

خزانة الأندلس

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد الفادر بن عمر البغدادى

١٠٣٠ - ١٠٩٣

تحقيق وشيخ

عبد السلام محمد هارون

الجزء الثامن

الناشر مكتبة النخاسى بالقاهرة

الطبعة الرابعة
١٤٢٠ هـ = ٢٠٠٠ م

رقم الإيداع
٩٩/١٥١٨٩
الترقيم الدولي I.S.B.N.
977 - 5046 - 60 - 2

المنطقة الصناعية الثانية - قطعة ١٣٩ - شارع ٣٩ - مدينة ٦ أكتوبر
ت : ٣٣٨٢٤٠ - ٣٣٨٢٤١ - ٣٣٨٢٤٢ / ٠١١

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب المجموع

(أنشد فيه ، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد الخمسمائة) :

٥٧٨ (لنا جاملٌ لأهدأ الليلَ سامِرُهُ)

على أن (جاملاً) ليس بجمع ، بدليل عود الضمير عليه من (سامرُهُ) مفرداً .

قال صاحب الكشف في (سورة الأعراف) : الأناس اسم جمع غير مكسّر ، بدليل عود الضمير المفرد إليه ، وتصغيره على لفظه .

والسابق إلى هذا أبو علي ، قال (في البغداديات) : فإن قال قائلٌ : فهلاً جاز تكسيره ، أي اسم الجمع ، كما جاز تحقيره ، فيما حكاه سيبويه من قولهم : رَجُلٌ ^(١) ورُجُلٌ ؟ قيل له : لا ينبغي أن يجوز . وذلك أنَّ هذا الاسم على بناء الآحاد ، والمراد به الكثرة ، فلو كسّر كما صغّر لكان في ذلك إجراؤه مُجرى الآحاد ، وإزالته عمّا وضع له من الدلالة على الكثرة ، إذ كان يكون في ذلك مساوئته له من جهة البناء والتكسير والتحقيق ، والحديث عنه كالحديث عن الآحاد ، نحو ما أنشد أبو الحسن :

(١) رجل هنا ، بالفتح وسكون الجيم : اسم جمع للراجلين الذين يمشون على أرجلهم لا يركبون .

* لهم جاملٌ لا يهدأ الليلَ سامرُهُ *

وهذا كلُّ جهاته أو عامته ، فيجب إذا صغر أن لا يكسر ، فيكون بترك تكسيره منفصلاً مما يراد به الآحاد دون الكثرة . انتهى .

صاحب الشاهد والمصراع من قصيدة للحطيئة هجا بها الزُّبرقان بن بدر الصُّحابي التميمي ، ومدح فيها ابن عمه بغيض بن شمس ، وفضله عليه .

وتقدم السبب في هذا مفصلاً في باب ما لا ينصرف ^(١) . والرواية : « ذُوو جامل » بدل : « لنا جامل » .

وهذه أبياتٌ منها :

أبيات الشاهد	فدغ آل شمس بن لأيٍ فإنهم	مواليك أو كاثر بهم من تكاثره
	أتحصرو أقواماً يجودوا بمالهم	فلولا قبيل الهرمزان تحاصره ^(٢)
	فلا المال إن جادوا به أنت مانع	ولا العز من بنيناهم أنت عاقره
	فإن تك ذا عزٌ حديث فإنهم	لهم إرثٌ مجد لم تخنه زوافره ^(٣)
	فإن تك ذا شاةٍ كثيرٍ فإنهم	ذوو جاملٍ لا يهدأ الليلَ سامرُهُ

(١) هذا سهو منه ، والصواب أنه تقدم في باب التمييز في الشاهد الرابع عشر بعد المائتين ، عند قول الحطيئة :

سيرى أمام فإن الأكثرين حصى
انظر الخزانة ٣ : ٢٩٠ - ٢٩٢ .

(٢) وكذا فيما سيأتي في الشرح . والوجه ما في الديوان ١١ : « أتحصرو قوماً أن يجودوا » . وفي الديوان أيضاً : « فهلا قتيل الهرمزان » . قال السكري : « يقوم : أمتنع الناس أن يجودوا بأموالهم في الخقوق ، فهلا منعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين يعطى الأموال في وجوهها . والهرمزان : دهقان تستر . وإنما نسب الهرمزان إلى قتل عمر لأنهم رأوا أبا لؤلؤة غلام المغيرة ابن شعبة وهو يعرض على الهرمزان السكين التي قتل بها عمر . فلذلك السبب وثب عبيد الله بن عمر على الهرمزان قتلته ، متهماً له أن يكون مالا أبا لؤلؤة على أبيه عمر بن الخطاب » .

(٣) في الديوان : « فإنهم ذوو إرث مجد لم تخنهم زواجره » .

وقوله : «مَوَالِيكَ» أى أبناء عمك . والمكاثرة : المفاخرة . أى فاخِر بهم ٣٩٠
إذا لم يكن عندك من الفخر ما تفخر به .

وقوله : «أَتَحْصِرُ أَقْوَاماً» إلخ ، أى أتمنع وتحبس ؟! يقول : دع هؤلاء
الذين يجودون بمالهم ، وعليك بالهرمزان فامنعه . أى إنك لا تقدر
إلا على العجم^(١) . ولولا بمعنى هلاً . والهرمزان كان وإلى مدينة تُستَر ،
فلما فتحت جاءوا به إلى عمر بن الخطاب .

وقوله : «فَإِنْ تَكَ ذَا عَرٍّ» إلخ الحديث : الحادث . يريد أن عَرَّه حادث
بتوليته النبي صلى الله عليه وسلم صدقات بني تميم^(٢) . والإرث بالكسر :
الأصل والمجدُّ والشرف . وزوافره : مواده وروافده ، يقال : هو زافرتهم
عند السلطان ، أى يقوم بأمرهم ويُعينهم . ويقال : هو في زافرة قومه ،
أى في عددهم وكثرتهم . ويقال : زوافره : معظمه .

وقوله : «فَإِنْ تَكَ ذَا شَاءٍ كَثِيرٍ» إلخ ، الشاء : جمع شاة . قال صاحب
المصباح : الشاة من الغنم يقع على الذكر والأنثى ، فيقال : هذا شاةٌ
للمذكر ، وهذه شاةٌ للأنثى ، وشاة ذكر وشاة أنثى ، وتصغيرهما شُوَيْهة .
والجمع شَاءٌ وشَاءٌ بالهاء رجوعاً إلى الأصل ، كما قيل شفة وشِفاه .
ويقال أصلها شَاهَةٌ مثل عاهة . انتهى .

والجامل : اسم جمع بمعنى جماعة الإبل مع رُعَاتِهَا . والهُدْمُ مهموز
الآخر : السُّكُون . والليل ظرف ، وسامره : فاعله ، والضمير للجامل .
أى لا يسكن ولا ينام الذى يحفظ الإبل ، وهو السامر . يعنى أَنَّ
الرُّعَاةَ يسهرون ليلهم لحفظ إبلهم . قال صاحب المصباح : السمر : المسامرة ،

(١) كذا . وانظر ما أسلفت من الرواية والتحقيق في الحاشية .

(٢) إضافة المصدر إلى مفعوله ثم الإتيان بالفاعل قليل . الأشمونى ٢ : ٢٨٩ .

وهو الحديث بالليل، وقد سَمَرِيسْمُر، فهو سامرٌ. والسَّامِر أيضاً: السَّامَر، وهم القوم يَسْمُرُونَ. انتهى.

وترجمة الحطيئة تقدمت في الشاهد التاسع والأربعين بعد المائة^(١).

* * *

وأنشد بعده :

(مع الصُّبح ركبٌ من أحاطةٍ مُجْفِلُ)

على أن (ركباً) ليس جمعاً بدليل عود الضمير إليه من صفته بالإفراد، ولو كان جمعاً لقليل مجفلون.

والمصراع من لامية العرب للشنفرى، تقدّم الكلام عليه قبل باب المثنى، في الشاهد السابع والخمسين وبعد الخمسمائة^(٢).

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد الخمسمائة^(٣) :

٥٧٩ (عَرَفْنَا جَعْفَرًا وَبَنَى أَبِيهِ وَأَنكَرْنَا زَعَانِفَ آخِرِينَ)

على أن نون الجمع قد تُكسَرُ في ضرورة الشعر كما في آخرين. وقد يمكن أن تكون كسرة النون كسرة إعراب كما تقدّم النقل عن أبي علي في باب التثنية. وسيأتى في آخر هذا الباب، فلا ضرورة حينئذ.

قال الشارح المحقق فيما سيأتى: إذا كسرت النون فلا يكون ما قبلها إلاّ الياء.

(١) الخزانة ٢ : ٤٠٦ - ٤١٣.

(٢) انظر الخزانة ٧ : ٤٤٧ - ٤٥١.

(٣) طبقات ابن سلام ٥٩ والعيني ١ : ١٨٧ والتصريح ١ : ٧٩ والمجموع ١ : ٧٩ والأشعوري ١ : ٨٩ وديوان جرير ٥٧٧.

وكذلك نصّ ابن عصفور (في كتاب الضرائر) أنّ كسرنون الجمع لا يكون إلّا في حال النصب والخفض ، كما أنّ فتح نون التثنية لا يكون إلّا كذلك . فلكسرها شرطان : أحدهما الشعر ، وثانيهما الياء .

وبهذا يعرف سقوط قول ابن هشام (في شرح الشواهد) : إنّ الشرط الثاني قد أهمله النحويون ، وإنّ الشرط الأوّل أهمله ابن مالك (في منظومته) دون التسهيل .

قال ابن عصفور : ووجه كسر النون تحريكها على أصل التقاء الساكنين . وقال العيني : ويقال إنّ كسر نون الجمع ليس بضرورة ، ٣٩١ وإنّما هو لغة لقوم بنى الشاعر كلامه على هذه اللغة .

والبيت آخر أبيات أربعة لجريز ، خاطب بها فضالة العُرنى ^(١) صاحب الشاهد أوردتها محمد بن حبيب (في المناقضات) ، وهي :

(أتوعدني وراء بني رياح كذبت لتقصّرني يداك دُوني
فَنِعَم الوَفْدُ وفْدُ بني رياح ونعم فوارسُ الفزعِ اليقينِ
عَرِينٌ من عُرِينة ليس منّا برئتُ إلى عُرِينة من عَرِينِ
عَرَفْنَا جعفرًا وبني عُبيدٍ وأنكرنا زعانف آخرين)

وزاد العيني في روايته بعد هذا بيتاً ، وهو :

(قُبَيْلَةُ أَنَاخَ اللُّؤْمُ فيها فليس اللُّؤْمُ تاركهم لحين)

وسبب هذا ، على ^(٢) ما حكاه محمد بن حبيب : أنّ جريراً لما هجا

(١) في حاشية ش : « قوله العرنى هكذا وجد بخط المؤلف ، وصوابه العرنى ، . ولا وجه له فإن حذف الياء في مثل هذا قياس . انظر سيبويه ٣ : ٣٣٩ والأشئوفى ٤ : ١٨٦ .
(٢) حل ، ساقطة من ش .

غَسَّانُ السَّلِيلِيِّ ، وهو سَلَيْطُ بن الحارث بن يربوع ، وكان خَالَ فَضالة^(١) أحد بني عَرِين بن ثعلبة بن يربوع ، قال فَضالةُ لجَرِيرٍ : أَتَهْجُو خَالِي ، أَمَا وَاللَّهِ لَأَقْتُلَنَّكَ ! فقال جَرِيرٌ هذه الأبيات .

وقوله : « أَتَوْعِدُنِي » الخ ، الحمزة للإنكار ، ووراء بمعنى ، خَلَفَ . ورياح بكسر الراء بعدها مثناة تحتية ، هورِياح بن يربوع بن حَنْظَلَةَ بن مالك ابن زيد مناة بن تَمِيم . وبنوه هم : هَمَامٌ ، وَهْرَمِي^(٢) ، وَحِمِيرِي ، وزيد ، وعبد الله ، وَمُنْقِدٌ ، وجابر .

وقوله : « فنعم الوفد » إلخ . الوفد : الجماعة . والفرع : الخوف ، وإنما وصفه باليقين لأن المدح إنما يكون لمن يُغِيثُ عند الخوف المتيقن ، لا الخوف المتوهم أو المظنون .

وقوله : « عَرِين من عُرينة » الخ ، عَرِين بفتح العين وكسر الراء : هو عَرِين ابن ثعلبة بن يربوع ، وهو مبتدأ وخبره من عُرينة . وهو بضم العين وفتح الراء ، وهو بطن من بَجِيلَةَ ، من قبائل اليمن ، وهو عُرينة بن قَسْر بن عَبْقَر بن أَمَّار بن إِرَاش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن زيد ابن كَهْلَان . وبجيلة هي أُمُّ عَبْقَر ، وهي بجيلة بنت سَعْد العَشيرة ، وهي أُمُّ جماعةٍ كُلِّ منهم بطن ، بها يعرفون . وجملة ليس منا ، خبر ثان ، أو مستأنفة . يريد إنَّ عَرِيناً قحطاني لا عدناني ، وإنما نفاه عن نسبه وجعله قحطانياً نكايَةً في فَضالة ، فإنه من ولد عَرِين .

وقوله : « برئت إلى عُرينة » إلخ . قال ابن هشام (في شرح الشواهد) :

(١) ش : « وكان خاله » فقط .

(٢) ضبطه في الاشتقاق ٢٢١ بقوله : « منسوب إلى الهرم ، والواحدة هرمة ، وهو ضروب من الحمض » .

الأصل برئت إليه منه ، فأَنَاب الظَاهِرِينَ عن الضَمِيرِينَ لإيضاح المتبرأ منه من المتبرأ إليه ، ولأنَّ إيقاع البراءة على صريح اسم عرين أبلغ .

وقال العيني : يقال برئ إليه بمعنى برئ له ، لأنَّ إلى تجيء مرادفة للآم . ويجوز أن تكون إلى للغاية ، والمعنى برئت من عرين منتهياً إلى عرينه ، فيكون إلى عرينه حال . هذا كلامه .

وقوله : «عرفنا جعفرأ وبني أبيه» أي إخوته ، وهم جعفر وجهور وعبيد . وكذا عرين أخوهم لكنَّه نفاه منهم ، وجميعهم أولاد ثعلبة بن يربوع . وثعلبة^(١) هو أخو كليب بن يربوع . وجريز من أولاد كليب ، فرياح وثعلبة وكليب إخوة . وروى :

* عرفنا جعفرأ وبني عُبيد *

وقوله : «وأنكرنا زعانف» إلخ . نا فاعل ، وزعانف مفعوله . وهذا تعريض بفضالة من بني عرين بأنَّه من المُلْحَقِينَ والأَتْبَاع ، لا من الصَّريح الخالص النَّسَب . وزعانف : جمع زِعْنِفَة بكسر الزاى والنون ٣٩٢ وسكون العين بينهما . قال محمد بن حبيب : الزَّعانف : الأَتْبَاع ، واحده زِعْنِفَة ، وهو من زعانف الثوب : أهذابه التي تُنُوس منه . وكذلك لثام الناس ورُدَّالهم إنَّما هم من أطراف الأديم وأخْبِثِه . وآخرين : صفة لموصوف محذوف ، أي قوم آخرين ، كذا قال الشارح المحقق . وترجمة جريز تقدَّمت في الشاهد الرابع من أوَّل الكتاب^(٢) .

* * *

(١) ط : «وثعلب» ، صوابه في ش .

(٢) الخزائن ١ : ٧٥ - ٧٧ .

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون بعد الخمسمائة (١) :

٥٨٠ (نَصَرَ اللهُ أَعْظَمًا دَفَنُوهَا بِسَجِسْتَانَ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ)

على أَنَّ السماع والاستعمال في نحو طلحة ، وهو كلُّ علمٍ مذكَّرٍ مختوم بالهاء ، جمعه بالالف والتاء ، ولم يسمع جمعه بالواو والنون .

وقد بسط ابنُ الأنباريُّ الكلامَ على هذه المسألة (في مسائل الخلاف) فلا بأس بإيراده ، قال :

ذهب الكوفيُّون إلى أَنَّ الاسم الذي آخره تاءُ التانيث إذا سُمِّيَ به رجلٌ يجوز أن يجمع بالواو والنون ، نحو : طلحة وطلحون . وإليه ذهب ابن كيسان إلاَّ أَنَّهُ يفتَحُ اللام (٢) فيقول : طَلَحُون بالفتح ، كما قالوا أرضون حملاً على أرضات . واحتجَّ الكوفيُّون بأنَّه في تقدير جمع طلح ، لأنَّ الجمع قد تستعمله العرب على تقدير حذف حرفٍ من الكلمة ، قال الشاعر :

* وعقبة الأعقابِ في الشهر الأصمِّ *

فكسَّره على مالاهاء فيه . وإذا كانت الهاء (٣) في تقدير الإسقاط جاز جمعه بالواو والنون . ويدلُّ لنا أَنَّا أجمعنا على أَنَّهُ لو سُمِّيَ رجلٌ بحمراء أو حُبلى جمع بالواو والنون . ولا خلافَ أَنَّ ما في آخره ألفُ التانيث أَشدُّ تمكناً في التانيث مما في آخره تاءُ التانيث ، لأنَّ ألفَ التانيث صيغت الكلمة عليها ولم تُخرج الكلمة من التذكير إلى التانيث ، وتاءُ

(١) الإنصاف ٤١ ، وابن يعيش ١ : ٤٧ ، والمص ٢ : ١٢٧ ، وديوان ابن قيس الرقيات ٢٠ .

(٢) ش : « يفتح اللام » ، وأثبت ما في ط والإنصاف .

(٣) ط : « وإذا كان » ، وأثبت ما في ش والإنصاف .

التأنيث ما صيغت الكلمة عليها وأخرجت الكلمة من التذكير إلى التأنيث. ولهذا المعنى قام التأنيث بالألف في منع الصرف مقام شيئين، بخلاف التأنيث بالتاء. فإذا جاز أن يُجمع بالواو والنون ما في آخره أَلَفُ التأنيث، وهي أوكد من التاء، فَلأنَّ يجوز فيما آخره التاء كان ذلك من طريق الأولى.

وَأَمَّا ابن كيسان فاحتجَّ على ذلك بأنه إِنَّمَا جَوَزْنَا جمعه بالواو والنون لِأَنَّ التاء تسقط في الطلحات، فإذا سقطت وبقي الاسم بلا تاء جاز جمعه بالواو والنون كقولهم: أَرْضُ وَأَرْضُونَ. وكما حُرِّكت العين في أَرْضُونَ بالفتح حملاً على أَرْضَاتٍ، فكذلك حركت العين من الطَّلَحُونَ حملاً على الطَّلَحَاتِ، لِأَنَّهُمْ يجمعون ما كان على فَعْلَةٍ من الأسماء دون الصفات، على فَعَلَاتٍ بالتحريك.

وقال البصريون: لا يجوز هذا الجمع. والدليل على امتناعه أَنَّ نحو طلحة فيه علامة التأنيث، والواو والنون علامة التذكير، فلو قلنا إِنَّهُ يجوز الجمع بالواو والنون لَأَدَّى إِلَى أَن يُجْمَعَ في اسم علامتان متضادتان، وذلك لايجوز. ولهذا إذا وصفوا المذكر بالْمُؤَنَّثَ فقالوا رجل رُبْعَةٌ جمعه رُبْعَاتٍ بلا خلاف، ولم يقولوا رَبْعُونَ. والذي يدلُّ على صِحَّةِ هذا القياس أَنَّهُ لم يسمع من العرب في جمع هذا الاسم ^(١) إِلَّا بِالْأَلْفِ والتاء كقولهم في طلحة: طَلَحَاتٍ، وهُبَيْرَةُ: هُبَيْرَاتٍ ^(٢). ولم يسمع عن أَحَدٍ من العرب أَنَّهُمْ قالوا الطَّلَحُونَ. فإذا كان هذا الجمع

(١) في جمع هذا الاسم، ساقط من ش. وبعده في الإنصاف: «أو نحوه».

(٢) ط فقط: «وهبيرات».

مدفوعاً^(١) من جهة القياس ، معدوماً من جهة النقل ، وجب أن لا يجوز .
وأما قولهم إنه في التقدير جمع طَلَح ففساد ، لأنَّ الجمع إنما وقع
على جميع حروف الاسم ، وتاء التانيث من جملته ، فلم ننزعها عنه
قبل الجمع وإن كان اسماً للذكر ، لئلا يكون بمنزلة ما سُمِّي به ولا علامة
فيه . فالتاء في جمعه مكان التاء في واحده .

وأما ما استشهدوا به من قولهم :

* وعُقبة الأعقاب في الشهر الأصمّ *

فهو مع شذوذه وقلته لا تعلق له بما وقع الخلاف فيه ، لأنَّ جمع
التصحيح ليس على قياس جمع التكسير ليُحمَل عليه .

وأما قولهم : إنا أجمعنا على جمع نحو حمراء وحُبلى علمين بالواو
والنون . قلنا : إنما جاز لأنَّ ألف التانيث يجب قلبها إلى بدل ، لأنها
صيغت الكلمة عليها ، فتنزَّلت منزلة بعضها ، فلم يفتقر لعلامة
تانيث الجمع^(٢) بخلاف التاء فإنه يجب حذفها إلى غير بدل ، لأنها
ما صيغت عليها الكلمة ، وإنما هي بمنزلة اسمٍ ضُمَّ إلى اسم ، فجعلت علامة
تانيث الجمع عوضاً منها .

وأما قول ابن كيسان : إنَّ التاء تسقط في الطلحات فإذا سقطت
جاز الجمع ، ففساد ، لأنَّ التاء وإن كانت محذوفةً لفظاً إلاَّ أنها ثابتة
تقديراً ، لأنَّهم لما أدخلوا تاء التانيث في الجمع حذفوا هذه التاء التي
كانت في الواحد ، لأنَّهم كرهوا أن يجمعوا بين علامتي تانيث . وكان

(١) ط فقط : « مدفوعاً » بالراء .

(٢) ش : « فلم يفتقر بعلامة تانيث الجمع » ، والذي في الإنصاف : « فلم يفتقر إلى أن
تعرض بعلامة تانيث الجمع » .

حذف الأولى أَوْلى لَأَنَّ في الثانية زيادةً معنى ، فَإِنَّ الأولى تدلُّ على التَّأْنِيثُ فقط ، والثانية تدلُّ على التَّأْنِيثُ والجمع ، وهى حرف إعراب ، فحذف الأولى بمنزلة ما حُذِفَ لالتقاء الساكنين ، فَإِنَّهُ وإن كان محذوفاً لفظاً إِلَّا أَنَّهُ ثابت تقديرأ .

والذى يدلُّ على فساد ما ذهب إليه من فتح العين من الطَّلَحون أَنَّ هذا الجمع يسلم فيه نظم الواحد في حروفه وحركاته ، والفتح يُدْخِلُ في جمع التصحيح تكسيرأ .

فأَمَّا قوله : إِنَّ العين حرَّكت من أَرْضون بالفتح حملاً على أَرْضَات. قلنا : لا نسلم ، وإِنَّمَا غُبِرَ فيه لفظ الواحد ، لَأَنَّهُ جمعٌ على خلاف الأصل ، لَأَنَّ الأصل في هذا الجمع أن يكون لمن يعقل ، ولكنَّهم لما جمعوه بالواو والنون غُبِرُوا فيه نظمَ الواحد تعويضاً عن حذف تاء التَّأْنِيثِ فيه ، تخصيصاً له بشيء لا يكون في سائر أخواته ، مع أَنَّ هذا التعويض تعويضٌ جواز لا تعويضٌ وجوب . أَلَا ترى أَنَّهُم لا يقولون في جمع شمس شَمْسُون ولا في جمع قَدَرٍ قَدَرُون ؟ فلمَّا كان هذا الجمع في أرض على خلاف القياس أُدْخِلَ فيه ضربٌ من التغيير^(١) ، فأما إِذَا جُمِعَ من يعقل بالواو والنون فلا يجوز أن يجعل بهذه المثابة ، لَأَنَّ جمعه بحكم الأصل ، فلا يجوز أن يدخله تغيير .

ويخرج على هذا حذف التاء وفتح العين من طلحات . أَمَّا حذف التاء فَلَأَنَّ التاء الثانية صارت عوضاً عنها لَأَنَّهَا للتَّأْنِيثُ . وَأَمَّا أَنتم فحذفتُم من غير عوض ، فبان الفرق .

وأَمَّا فتح العين فلأجل الفصل بين الاسم والصفة ، فَإِنَّ ما كان

(١) ش فقط : « فإذا جمع » .

على فَعْلَةٍ من الأسماء فَإِنَّهُ يَفْتَحُ مِنْهُ الْعَيْنُ ، نحو : جَفَنَاتٍ وَقَصَصَاتٍ .
وما كان صفةً فَإِنَّهُ لَا يُحْرَكُ مِنْهُ الْعَيْنُ نحو صَغَبَاتٍ . وأما جمع التصحيح
فلا يدخله [شَيْءٌ ^(١)] من هذا التغيير ، سواء كان اسماً أو صفة . فبان
الفرق بينهما . والله أعلم .

انتهى كلام ابن الأنباري مختصراً .

واعلم أَنَّ فَتْحَ عَيْنِ فَعْلَةٍ الْأَسْمَى فِي الْجَمْعِ وَاجِبٌ ، ويجوز تسكينه
في الضرورة كما يَأْتِي فِي بَابِهِ . ومنه قول البحري ^(٢) :

وكيف يَسُوغُ لَكُمْ جَحْدُهُ وطلحتكم بعض طَلحاته ^(٣) ٣٩٤

خلافاً لِأَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرَى (في شرحه) فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّهُ غَيْرُ ضَرُورَةٍ .

وقوله : (طلحة الطلحات) روى بالجر والنصب . قال أبو حيان (في
تذكرته) : حكى الكسائي والفراء عن العرب هذا البيت بخفض طلحة
على تكرير الأعظم ، أَيْ أَعْظُمَ طَلْحَةَ الطلحات . وما اختلفوا في جواز نصب
طلحة بالردِّ على الأعظم والحمل على إعرابها . انتهى .

وجعل ابن عصفور (في كتاب الضرائر) الجرَّ من الضرورة . قال :
ومنه حذف المضاف من غير أَنْ يُقَامَ المضافُ إِلَيْهِ مُقَامَهُ ، نحو قوله :

* بسجستان طلحة الطلحات *

في رواية من خفض طلحة ، يريد أَعْظُمَ طَلْحَةَ الطلحات ، فحذف

(١) التكملة من ش ، والإنصاف ٤٤

(٢) ديوان البحري ٩٨ : ١ هندية و ٧٥ : ١ الصيرفي . يقوله في عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

(٣) يريد بطلحة الأول طلحة بن طاهر بن الحسين الخزاعي أمير خراسان . ويشير بالطلحات
إلى طلحة الطلحات ، وهو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي .

المضاف الذى هو أعظم ، لدلالة أعظم المتقدم الذكر عليه ، ولم يُقِم المضاف إليه وهو طلحة مقامه ، بل أبقاه على خفضه . انتهى .

وقال ابن برّى (فى شرح أبيات الإيضاح) : والأشبه عندى أن تخفضه ^(١) بإضافة سجستان إليه ، لأنّه كان أميرها . انتهى .

وقول أبى حيان : نصب طلحة بالرّد على الأعظم يعنى البدليّة . وزعم بعضهم أنّه بدل كلّ من بعض ، وزاد هذا القسم فى الأبدال . والصحيح أنّه بدل كلّ من كلّ ، يجعل أعظم من قبيل ذكر البعض وإرادة الكلّ ، بدليل المعنى .

وقال ابن السيد البطليوسى (فى أبيات المعانى) : من نصب طلحة فعلى إضمار أعنى ، لأنّه نبّه عليه بضرب من المدح لما تقدّم من الترخّم عليه . وذهب آخرون فى نصبه إلى حذف حرف الجر ، كأنه أراد رحم الله أعظماً دفنوها لطلحة ^(٢) ، فلمّا حذف الجار نصب . وقد دفع ^(٣) قوم النصب ، وأنشدوه بالجر على تقدير مضاف ، كأنه فى التقدير : أعظم طلحة الطلحات ، ثم حذف الثانى لدلالة الأول عليه . وهذا شاذّ ، يقلّ فى كلامهم حذف الجار مع بقاء عمله . انتهى .

وظلحة الطلحات هو أحد الأجواد المشهورين فى الإسلام ، واسمه طلحة الطلحات طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى . وأضيف إلى الطلحات لأنّه فاق فى الجود خمسة أجواد اسم كلّ واحدٍ منهم طلحة ، وهم طلحة الخير ،

(١) ط : « يخفضه » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) ط : « بطلحة » ، صوابه فى ش .

(٣) ط : « رفع » بالراء ، صوابه من ش .

وطلحةُ الفياضُ ، وطلحةُ الجودِ ، وطلحةُ الدَّراهمِ ، وطلحةُ النَّدَى .
وقيل كان في أجداده جماعةٌ اسمُ كلِّ طلحة . كذا قال ابن الحاجب
(في شرح المفصل) .

وقال إبراهيمُ الوطواطُ (في كتاب الغرر والخصائص الواضحة ^(١)) :
قيل سمِّي بذلك لأنَّه كان أجودَهم ، وقيل لأنَّه وهب في عامٍ واحدٍ ألفَ
جارية ، فكانت كلُّ جاريةٍ منهن إذا ولدت غلاماً تسميه طلحة على
اسم سيِّدها . وذكر الطَّلَحَاتُ الخمسة ، وهم طَلْحَةُ بن عبيد الله التميمي ،
وهو طلحةُ الفياض ، وطلحةُ بن عُمر بن عبيد ^(٢) الله بن مَعْمَر التميمي
أيضاً ، وهو طلحةُ الجود . وطلحةُ بن عبد الله بن عَوْف الزُّهري ، أخى
عبد الرحمن بن عوف ، وهو طلحةُ النَّدَى . وطلحةُ بن الحسن بن على
ابن أبي طالب ، وهو طلحةُ الخير . وطلحةُ بن عبد الرحمن بن أبي بكر
الصديق ، ويسمى طلحةُ الدَّراهم . وطلحةُ بن عبد الله بن خَلَف الخُزاعي
وهو سادسهم المشهور بطلحة الطَّلَحَات . انتهى .

وقال ابن بَرِّي (في شرح أبيات الإيضاح) : سُمِّي طلحةُ الطَّلَحَات
بسبب أمه ، وهى صفية بنت الحارث بن طَلْحَة بن أبي طلحة ، وأخوها
طلحةُ بن الحارث ، فقد تَكَنَّفَه الطَّلَحَات كما ترى ، ففُصِّلَ هذه
الإضافة من غيره من الطَّلَحَات . وكانوا سِتَّة . انتهى .

(١) كذا في النسختين ، وإنما هو « غرر الخصائص الواضحة ، وعرر النقائص الفاضحة » .
(٢) ط : « طلحة بن عمرو بن عبد الله » . وفي غرر الخصائص ١٦٨ : « طلحة بن عمر
ابن عبد الله » . وأثبت ما في جمهرة أنساب العرب ١٢٧ والأغاني ٤ : ١٠٧ / ١٠ : ٥٦ . وبه
صحيح في نسخة ش . وفي الأغاني ١٠ : ٥٥ أن رملة بنت عبد الله بن خلف كانت تحت عمر بن عبيد الله
ابن معمر وولدت منه ابنة طلحة الجود . وانظر نواذر المخطوطات ١ : ٧٨ وجمهرة أنساب
العرب ١٤٠ .

وكان والى سجستان ، وبها مات .

قال الزمخشري (في أمثاله) : قال سحبان بن وائل البليغ المشهور
في طلحة الطلحات :

باطلحُ أكرمَ من مَشَى حسباً وأعطاهُ لتالد^(١)
منك العطاءُ فأعطيني وعلىَّ حمدك في المشاهد^(٢)

فحكّمه فقال : فرسك الورد ، وقصرُك بزرنج ، وغلّامك الخباز^(٣)
وعشرة آلاف درهم . فقال طلحة : أف لك ، لم تسألني على قدرى وإنما
سألتنى على قدرك ، وقدر قبيلتك باهلة ! والله لو سألتني كل فرسٍ
وقصرٍ وغلّامٍ لى لأعطيتك ! ثم أمر له بما سأل وقال : والله ما رأيت مسألة
محكمٍ ألام منها .

قال ياقوت (في معجم البلدان) : سجستان : ناحيةٌ كبيرة وولاية
واسعة . ذهب بعضهم إلى أنّ سجستان اسمٌ للناحية ، وأنّ اسم مدينتها
زرنج ، بتقديم المعجمة على المهملة ، وبينها وبين هراة عشرة أيام ، ثمانون
فرسخاً^(٤) وهى جنوبى هراة . وأرضها كلّها رملة سبخة ، والرياح فيها
لا تسكن أبداً ، ولا تزال شديدة تدير رُحجهم ، وطحنهم كلّ على تلك
الرُحج . وهى من الإقليم الثالث ، وفيها نخل كثير وتمر .

(١) فى بعض نسخ الزمخشري : « وأعطاهم » . المستقصى ١ : ٢٨ .

(٢) فى بعض نسخ المستقصى : « وعلى مدحك » .

(٣) المراد بالخباز : الطاهى الذى يجمع بين الخبز والتهوى . وانظر حواشى الحيوان ٥ :
٤٥٧ - ٤٥٨ من الطبعة الثانية .

(٤) ط فقط : « وثمانون فرسخاً » ، وما أثبت من ش يطابق ما فى معجم البلدان .

(٢ - خزائن الأدب - ج ٨)

(ونَضَّرَ) بمعنى حَسَّنَ . والمشهور : (رَحِمَ اللهُ أَعْظَمًا) .

صاحب الشاهد

والبيت أول قصيدة عدتها أربعة عشر بيتاً لقيس الرقيات ^(١) ،
رثى بها طلحة الطلحات وبعده :

(كَانَ لَا يَحْرِمُ الْخَلِيلَ وَلَا يَغْدُ تَلُّ بِالْبُخْلِ ، طَيَّبَ الْعَذْرَاتِ
سَبَطَ الْكُفَّ بِالنَّوَالِ إِذَا مَا كَانَ جَوْدُ الْبُخِيلِ حَبَسَ الْعِدَاتِ)

(في الزاهر) لابن الأنباري ، قال الأصمعي : العذرة : فناء الدار .
والعذرات : أفنية الدور . وكانوا فيما مضى يطرحون النجاسات في
أفنية دورهم ، فسموها باسم الموضع ، وكذلك الغائط هو عند العرب
ما اطمأن من الأرض ، وكانوا فيما مضى إذا أراد الرجل قضاء حاجته
طلب الموضع المطمئن من الأرض ، فكثُر هذا ، حتى سُموا الحدث باسم
الموضع . وكذلك الكنيف في كلام العرب : الحظيرة التي تعمل للإبل
فتكنفها من البرد ، فسموا ما حظروه وجعلوه موضعاً للحدث بذلك
الاسم ، تشبيهاً به . انتهى .

وقد تقدّمت ترجمة قيس الرقيات ^(٢) في الشاهد الثالث والثلاثين
بعد الخمسمائة ^(٣) .

* * *

وأنشد بعده :

(فَمَا وَجَدَتْ بَنَاتُ ابْنِي نَزَارَ حَلَالِلَ أَسُودِينَ وَأَحْمَرِينَا)

(١) في حواشي ش بخط ناسخها : « هكذا بخط المؤلف ، وصوابه ابن قيس الرقيات » .

(٢) كذا في ط . وفي ش : « ترجمة الرقيات » . وانظر الحاشية السابقة .

(٣) الخزائن ٧ : ٢٨٤ - ٢٩٠

على أَنَّ ابن كيسان استدَّل بهذا البيت على جواز جمع أحمر وأسود بالواو والنون ، وهو عند غيره شاذ .

والبيت قد تقدَّم شرحُه مفصَّلاً فى الشاهد الرابع والعشرين من أوائل الكتاب ^(١) .

* * *

وأنشد بعده :

* (وقائلةٌ خولانُ فانكحُ فئاتَهُم) *

على أَنَّ (فانكح) عند الأنخفش خبر المبتدأ الذى هو خولان ، والفاء زائدة فى الخبر ، وعند سيويه غير زائدة ، والأصل عنده : هذه خولان فانكح فئاتهم .

والمصرع صدرٌ وعجزه :

٣٩٦

* وأكرومة الحيين خلُو كماها *

وتقدَّم الكلام عليه مستوفى فى الشاهد السابع والسبعين من باب المبتدأ ^(٢) .

وخولان : حىٌّ من أحياء اليمن .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثمانون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س ^(٣) :

(١) الخزائن ١ : ١٧٨ - ١٨١ .

(٢) الخزائن ١ : ٤٥٥ - ٤٥٧ .

(٣) فى كتابه ١ : ٤٣٦ . وانظر سيرة ابن هشام ٥٠ والمقتضب ٧٢ : ٢ وابن الجرى ٧٤ : ١ والإنصاف ٦٢٣ وابن يمين ١٥٧ : ٨ والمقرب ٥٩ والمغنى ٥٣٣ والعينى ٤٤٣ : ٤ ، والتصريح ٢ : ٣٤٩ والمجم ١ : ٧٢ / ٢ : ٦١ والأشمونى ٤ : ١٨ .

٥٨١ (إِنَّكَ إِنْ يُصْرِعَ أَخُوكَ تُصْرِعُ)

على أَنَّ إلغاء الشرط المتوسط بين المبتدئ والخبر ضرورة ، فإنَّ جملة (تصرع) خبر إنَّ ، والجملة دليلُ جزاء الشرط ، وجملة الشرط معترضة بين المبتدئ والخبر .

ويأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى فى الجواز (١) .

صاحب الشاهد

والبيت من رجز لعمر بن خثارم البجلي ، وهو :

أشعار الشاهد

(يا أقرع بن حابس يا أقرعُ إني أخوك فانظرون ماتصنعُ
إِنَّكَ إِنْ يَصْرِعُ أَخُوكَ تُصْرِعُ إني أنا الداعي نزاراً فاسمعوا
فى باذخ من عزٍّ مجدٍ يَفْرَعُ به يَصْرُقُ قادرٌ وينفعُ
وَأَدْفَعُ الضَّيْمَ غَدًا وَأَمْنَعُ عزُّ أَلْدُ شامخٌ لا يُقْمَعُ
يتبعه الناس ولا يُسْتَتَبَعُ هل هو إِلَّا ذَنْبٌ وَأَكْرَعُ
وَزَمَعُ مُؤْتَشَبٌ مَجْمَعُ وحسبٌ وَغُلٌّ وَأَنْفٌ أَجْدَعُ)

قال ابن الأعرابي (فى نوادره) : كان جرير بن عبد الله البجلي تنافراً هو وخالد بن أوطاة الكلبي إلى الأقرع بن حابس ، وكان عالم العرب فى زمانه .

والمنافرة : المحاكمة ، من النَّفَر ، لأنَّ العرب كانوا إذا تنازع الرجلان منهم وادعى كلُّ واحدٍ أَنَّهُ أعزُّ من صاحبه تحاكما إلى عالم ، فمن فضّل منهما قَدَّمَ نفَرَهُ عليه ، أى فضّل نفَرَهُ على نفَرِهِ .

فقال الأقرع : ما عندك يا خالد ؟ فقال : ننزل البراح ، ونطعم بالرماح ، ونحن فتیان الصّباح^(١) .

فقال : ما عندك يا جرير ؟ فقال : نحن أهل الذهب الأصفر ، والأحمر المتصر^(٢) ، نُخيف ولا نَخافُ ، ونُطعم ولا نَسْتَطعم . ونحن حتى لِقَاحُ ، نُطعم ما هبَّت الرّياح . نُطعم الدّهر ، ونصوم الشهر^(٣) ونحن ملوك القسر^(٤) .

فقال الأقرع : واللات والعزى ، لو نافرتُ قيصرَ ملك الروم ، وكسرى عظيمَ الفرس ، والنعمانَ ملكَ العرب ، لنفرتُ عليهم . وروى : «لُنصرتُ عليهم» .

فقال عمرو بن خثارم البجليُّ هذه الأرجوزة في تلك المنافرة .

وقوله : (يا أقرع بن حابس) هو من الصّحابة رضى الله عنهم ، وكانت هذه المنافرة في الجاهليّة قبل إسلامه . والصّرغ : الهلاك .

ونزار هو أبو قبيلة ، وهو نزار بن معد بن عدنان .

والباذخ : العالى ، يقال جبلٌ باذخٌ بمعجمتين . والمجد : العظمة والشرف . ويفرّع ، أى يعلو كلّ عزٍّ ومجد . يقال : فرعت قومى ، أى علوتهم بالشرف ونحوه . وهو بالفاء ومهملتين .

(١) الصباح ، بالباء الموحدة : الفارة . وهى أكثر ما تكون في الصباح . وفي النسختين : «الصياح» بالياء ، تصحيف . وهم ينسبون فرسانهم إلى الصباح ، ومنه قول لبيد في رثاء عمه :
يا عامراً يا عامر الصّباح ومسدره الكتيبة الرّداح

(٢) في النسختين هنا : «المتصر» . ، وسيأتى بعد قليل بلفظ «المعصر» . والأحمر : النبيذ ، والخمر . وفي تفسير البغدادى التالى : «والأحمر المتصر هو الخمر» .

(٣) في رواية أخرى ستأتى : «نطعم الشهر ، ونضمن الدهر» . انظر ٣٦٨ بولاق .

(٤) القسر : القهر والغلبة . ط : «ونحن الملوك لقسر» . والوجه من ش .

والأَلْدُ: الْأَشَدُّ . وَلَدَّهُ يُلِدُّهُ : غلبه في الخصومة . والشامخُ : المرتفع .
ويُقَمِّعُ : أى يُقَهَّرُ وَيُدَلَّ ، يقال قمعه بالقاف والميم فانقمع .

وقوله : « هل هو » الضمير لخالد بن أُرطاة الكلبي . والأَكْرُعُ : جمع
كراع بالضم ، وهو مُسْتَدَقُّ الساق ، استعاره لأسفل الناس ، كالذَّنَبِ .

وَالزَّمَعُ بفتح الزاى والميم ، هو رُذال الناس . يقال هو من زَمَعَ الناس ،
أى مَاتَخير . هم والمؤْتَشَبُ ، بفتح الشين ، قال (فى الصحاح) : وفلان
مؤْتَشَبٌ ، أى مخلوط غير صريح فى نسبته . ٣٩٧

وَالوَغْلُ بفتح الواو وسكون المعجمة . قال (فى الصحاح) : والوغل :
النَّذْلُ من الرجال . وأَجْدَعُ بالجيم والذال المهملة : مقطوع الأنف .

وقوله : « نَنْزِلُ الْبَرَّاحَ » بفتح الموحدة والحاء المهملة : المكان الذى
لا سُترة فيه من شجر وغيره ، وهو منزل الكرماء .

وقوله : « وَالْأَحْمَرُ الْمُعْتَصِرُ » هو الخمر .

وقوله : « حَى لَقَاحٌ » بفتح اللام بعدها قاف ، قال (فى الصحاح) : يقال
حَى لَقَاحٌ لِلَّذِينَ لَا يَدِينُونَ لِلْمُلُوكِ ، أو لم يصبهم فى الجاهلية سياء .

وجرير بن عبد الله البجلي صحابى ، وكان جميلاً . قال عمر [رضى
الله عنه] : هو يوسف هذه الأمة . وقَدَّمَهُ عمر فى حروب العراق على
جميع بَجِيلَةٍ ، وكان لهم أثرٌ عظيم فى فتح القادسية . ثم سكن جريرُ
الكوفةَ ، وأرسله على [رضى الله عنه] رسولاً إلى معاوية ، ثم اعتزل
الفريقين وسكن قريشاً حتى مات ، سنة إحدى ، وقيل أربع وخمسين .

جرير بن
عبد الله البجل

وفى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم بعثه إلى ذى الخلصة فهدمها .

وفيه قال: « ما حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْذُ أَسَلَمْتُ ،
ولا رَأَى إِلَّا تَبَسَّمَ » . كذا (فى الإصابة) لابن حجر .

وخالد بن أَرْطَاة الكلبيُّ جاهليٌّ .

والأَقْرَع بن حابسٍ صحابىٌّ . قال ابن حجر (فى الإصابة) : هو الأقرع بن حابس
الأَقْرَع بن حابس بن عِقال بن محمد بن سُفيان التَّمِيمىُّ المُجاشِعى
الدَّارِى . قال ابن إسحاق : وفد على النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وشهد
فتح مَكَّةَ وَحُنيناً والطَّائِفَ ، وهو من المؤلِّفة قُلُوبِهِمْ . وقد حَسُنَ إسلامه .
وقال الزُّبَيْر (فى النسب) : كان الأَقْرَع حَكَمًا فى الجاهليَّة ، وفيه
يقول جرير ، وقيل غيره ، لَمَّا تنافَرَ إِلَيْهِ ^(١) هو والفُرافصة أو خالد بن
أَرْطَاة :

يا أَقْرَعَ بن حابس يا أَقْرَعَ إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعُ أَخْوَكُ تُصْرَعُ

قال ابن دُرَيْد : اسم الأَقْرَع بن حابس فِرَاس ، وإِنَّمَا قِيلَ لَهُ
الأَقْرَع لِقَرَعِ كان برأسه . وكان شريفًا فى الجاهلية والإسلام .

وروى ابن شاهين أَنَّهُ لما أَصاب عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ العنبر ، قَدِمَ
وفدُهُمْ . فذكر القصة وفيها : فكلَّم الأَقْرَع بن حابس رسولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى السَّبْى . وكان بالمدينة قَبْلَ قَدومِ السَّبْى . وفى ذلك يقول
الفَرَزْدَقُ يَفْخَرُ بِعَمِّهِ الأَقْرَع :

وعندَ رسولِ اللَّهِ قام ابنُ حابس بِخُطَّةٍ أُسْوَرِ إِلَى المجدِ حازِمٍ ^(٢)

(١) فى الإصابة : « لما سافر إليه » ، وما هنا صوابه .

(٢) وكذا فى الإصابة . والأسوار ، بكسر الهمزة وضمها : الجيد الرى بالسهام ، ولاوجه
له هنا ولا يستقيم مع قوله « إلى المجد » والوجه : « سوار إلى المجد » كما فى ديوان الفرزدق ٨٦٢
أى متوثب إليه .

له أطلق الأسرى التي في قيودها مُغْلَلَةً أعناقها في الشكائم^(١)

عمرو بن خثارم وأما عمرو بن خثارم البجلي فهو جاهلي ، والله أعلم :

هذا على وجه الاختصار ، وأما على وجه البسط فهو مأورده أبو محمد الأعرابي (في فرحة الأديب) قال : أملئ علينا أبو الندى قال :

منافرة جرير
البجل وماله
بن أرطاة

كان سبب المنافرة بين جرير بن عبد الله البجلي وبين خالد بن أرطاة بن خُشَيْن بن شُبَّث الكلبِي ، أَنَّ كلباً أصابت في الجاهلية رجلاً من بَجيلة يقال له مالك بن عتبة ، من بني عادية بن عامر بن قُداد^(٢) ، فوافوا به عُكاظ ، فمرَّ العاديُّ بابن عمِّ له يقال له القاسم بن عَقِيل بن أبي عمرو بن كعب بن عُرَيْج بن الحويرث بن عبد الله بن مالك بن هلال بن عادية بن عامر بن قُداد ، يأكل تمرّاً ، فتناول من ذلك التمر شيئاً ليتحرَّم به ، فجذبه الكلبِي ، فقال له القاسم : إِنَّه رجلٌ من عَشيرتي ! فقال : لو كانت له عشيرةٌ منعتهُ ! فانطلق القاسم إلى بني عمِّه بنِي زَيْد بن الغوث ، فاستتبَّعَهُمْ ، فقالوا : نحنُ منقطعون في العرب ، وليست لنا جماعة نقوى بها ، فانطلقَ إلى أَحْمَس^(٣) فاستتبَّعَهُمْ . فقالوا : كلُّما طارت وَبَرَّة من بني زَيْد في أيدي العرب أردنا أن نتبعها !

٣٩٨

(١) ش « مغللة » ، وصححها الشنقيطي « مغلة » كما في الإصابة والديوان . ورواية الديوان :

له أطلق الأسرى التي في حباله مغللة أعناقها في الأدهام والأدهام : القيود ، لسوادها . أما الشكائم فهي لجم الحديد المترعة في أفواه الخيل .
(٢) هو عامر بن قداد بن ثعلبة بن معاوية بن زَيْد بن الغوث بن أنمار . جمهرة أنساب العرب ٤٧٤ ، والاشتقاق ٥١٩ .

(٣) في النسختين : « إلى آخر » ، والصواب ما أثبت ، وهم بنو أَحْمَس بن الغوث بن أنمار ، من بطون بَجيلة . الجمهرة ٤٧٤ . وسيأتي ذكرهم في الخبر . وفي حواشي ش : « هكذا بخط المؤلف : آخر ، والصواب أَحْمَس » .

فانطلقَ عند ذلك إلى جرير بن عبد الله البجلي فكلمه ، فكان القاسم يقول : إِنَّ أَوَّلَ يَوْمٍ أُرِيتُ فيه الثيابَ المصبغة والقبابَ الحمر ، اليومُ الذى جئتُ فيه جريراً فى قَسْر ، وكان سيِّدَ بنى مالك بن سعد بن زيد ابن قَسْر ، وهم بنو أبيه . فدعاهم فى انتزاع العادى من كلب ، فتبعوه فخرج يمشى بهم ، حتَّى هجم على منازلِ كلبٍ بعكاظ ، فانتزع منهم مالك بن عُتبة العادى ، وقامت كلبٌ دونه ، فقال جرير : زعتم أن قومهم لا يمنعونه . فقالت كلب : إِنَّ رجالنا خلوفٌ : فقال جرير : لو كانوا لم يدفعوا عنكم شيئاً . فقالوا : كأنك تستطيل على قُضاعة ، إِنَّ شئت قايستناكم المجدد ! وزعيم قُضاعة يومئذ خالد بن أَرطاة بن خُشَيْن ابن شَبَث . قال : ميعادنا من قابلٍ سوقُ عكاظ .

فجمعت كلبٌ وجمعت قَسْرٌ ووافوا عكاظ من قابل ، وصاحبُ أمر كلب خالد بن أَرطاة ، فحكّموا الأقرع بن حابس بن عِقال بن محمد بن سفيان بن مُجاشع ، حكّمه جميعُ الحيّين ، ووضعوا الرُّهون على يديّ عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، فى أشرافٍ من قريش . وكان فى الرُّهْن من قَسْر : الأصرمُ بن عوف بن عُوف بن مالك بن ذُبْيَان بن ثعلبة بن عمرو بن يَشْكِر بن على بن مالك بن سعد بن نذير بن قَسْر . ومن أحمس ^(١) : حازمُ ابن أبى حازم ، وصخر بن العُلبة . ومن بنى زيد بن الغوث بن أَمّار رجلٌ . ثم قام خالد بن أَرطاة فقال لجرير : ما تجعل ؟ قال : الخطر فى يدك . قال : أَلْف ناقة حمراء فى أَلْف ناقة حمراء . فقال جرير : أَلْف قينة عذراء فى أَلْف قينة عذراء ، وَإِنْ شئت فأَلْف أوقية صفراء لأَلْف أوقية صفراء . قال : من لى بالوفاء ؟ قال : كفيلك اللات والعُزّى ،

(١) ط : « أحر » ، صوابه فى ش . وانظر الحاشية السابقة .

وإسافٌ ونائلة ، ويعوقُ وذو الخلصة ونسر ، فمن عليك بالوفاء ؟ قال: ودٌ ومناة، وقلس ورُضا . قال جرير : لك بالوفاء سبعون غلاماً مُعِماً مُخولاً ، يوضعون على أيدي الأَكفَاء من أهل الله^(١) . فوضعوا الرهن من بَجيلة ومن كلب على أيدي مَنْ سَمِينا من قريش ، وحكّموا الأقرع بن حابس ، وكان عالم العرب في زمانه ، فقال الأقرع : ما عندك ياخالد ؟ فقال : ننزل البراح ، ونطعن بالرماح ، ونحن فتیان الصّباح^(٢) ! فقال الأقرع : ما عندك يا جرير ؟ قال : نحن أهلُ الذهب الأصفر ، والأحمر المعتصر^(٣) ، نخيف ولا نخاف ، ونُطعم ولا نستطعم . ونحن حيّ لقاح ، نُطعم ما هبّت الرّياح ، نُطعم الشّهر ، ونضمن الدّهر ، ونحن ملوك القسر^(٤) ! فقال الأقرع : واللات والعزى لو فاخرت قيصر ملك الروم ، وكسرى عظيم فارس ، والنعمان ملك العرب ، لنفرتك عليهم ! وأقبل نعيم بن حجة النمرى ، وقد كانت قسرٌ ولدته ، بفرسٍ إلى جرير ، فركبه جرير من قِبَل وحشيّه ، فقيل : لم يحسن أن يركب الفرس ! فقال جرير : الخيل ميامن ، وإنّا لا نركبها^(٥) إلّا من وجوها .

وقد كان نادى عمرو بنُ خُثارم أحد بني جُشمَ بن عامر بن قُداد فقال :

(١) أهل الله ، هم قريش ، كانوا يسمون بذلك في الجاهلية . انظر أول ثمار القلوب للشمالي .

(٢) ش : « الصياح » صوابه بالباء ، كما في ط .

(٣) ش : « المصفر » ، صوابه في ط . وانظر ماسياً من تفسير البغدادى .

(٤) ط : « الملوك لقسر » ش : « الملوك قسر » ، وانوجه ما أثبت . وانظر ماسبق في ص ٢١ .

(٥) ط : « لا نركب » ، وأثبت ما في ش .

لا يُغْلَبُ اليومَ فَتَى وَالْأَكْمَا يَا ابْنَى نَزَارِ انصُرَا أَخَاكُمَا
 إِنَّ أَبَى وَجَدْتُهُ أَبَاكُمَا وَلَمْ أَجِدْ لِي نَسَبًا سِوَاكُمَا
 غَيْثُ رَبِيعٍ سَبَطَ نَدَاكُمَا حَتَّى يَحُلَّ النَّاسُ فِي مَرَعَاكُمَا
 أَنْتُمْ سرورُ عَيْنٍ مِنْ رَأَاكُمَا قَدْ مُلِثْتُ فَمَا تَرَى سِوَاكُمَا
 قَدْ فَازَ يَوْمَ الْفَخْرِ مِنْ دَعَاكُمَا وَلَا يَعُدُّ أَحَدٌ حَصَاكُمَا
 وَإِنْ بَنَوْا لَمْ يَلِدُوا بِنَاكُمَا مَجْدًا بِنَاهُ لَكُمَا أَبَاكُمَا
 ذَاكَ وَمَنْ يَنْصُرُهُ مِثْلَاكُمَا يَوْمًا إِذَا مَاسَعُرَتْ نَارَاكُمَا
 وَقَالَ أَيْضًا :

يَا لَنَزَارٍ قَدْ نَمَى فِي الْأَخْشَبِ دَعْوَةٌ دَاعٍ دَعْوَةَ الْمُثُوبِ ^(١)
 يَا لَنَزَارٍ ثُمَّ فَاسَعَى وَارَكَبِي يَا لَنَزَارٍ لَيْسَ عَنْكُمْ مَذْهَبِي
 إِنَّ أَبَاكُمْ هُوَ جَدِّى وَأَبِى لَمْ يُنْصَرَ الْمَوْلَى إِذَا لَمْ تَغْضَبِي
 يَا لَنَزَارٍ إِنَّنِى لَمْ أَكْذِبْ أَحْسَابَكُمْ أَخْطَرْتُهَا وَحَسَبِي ^(٢)
 وَمَنْ تَكُونُوا عِزُّهُ لَا يَغْلِبِ يَنْمَى إِلَى عِزِّ هِجَانٍ مُصْعَبِ
 كَأَنَّهُ فِي الْبُرْجِ عِنْدَ الْكُوكَبِ ^(٣)

وَقَالَ أَيْضًا :

يَا أَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ يَا أَقْرَعُ إِنِّى أَخْوَكُ فَانْظُرْنَ مَا تَصْنَعُ

(١) الأخشبان : الجبلان المطيفان بمكة ، وهما أبو قبيس والأحمر ، وهو جبل مشرف وجهه على قيعمان . قال ياقوت : « وقد تفرد هذه الثنية فيقال لكل واحد منهما : الأخشب » .
 (٢) أخطرتى فلان : صار مثلى فى الخطر والشرف .
 (٣) بعده فى ش مع علامة إلحاق ، حاشية نصها : « هذان الشطران بما أورده أبو محمد الأعرابي ، ولم يوردهما المؤلف » . والعبارة الملحقه هى :

« وَقَالَ أَيْضًا :

يَا لَنَزَارٍ دَعْوَةٌ صَبَاحًا قَدْ فَاضَحَ الْأَمْرُ بِنَا فِضَاحًا »

إِنَّكَ إِنْ يُصْرِعْ أَخُوكَ تُصْرِعُ إِنْ أَنَا الدَّاعِي نَزَارًا فَاسْمَعُوا
 لِي بِأَذْخٍ مِنْ عِزِّهِ وَمَفْرَعٌ^(١) بِهِ يَضُرُّ قَادِرٌ وَيَنْفَعُ
 وَأَدْفَعُ الضِّيمَ غَدًا وَأَمْنَعُ عِزُّ اللَّهِ شَامِخٌ لَا يُقْمَعُ
 يَتَّبِعُهُ النَّاسُ وَلَا يُسْتَبَعُ هَلْ هُوَ إِلَّا ذَنْبٌ وَأَكْرَعُ
 وَزَمَعَ مُؤْتَشَبٌ مَجْمَعُ وَحَسَبُ وَغُلٌّ وَأَنْفٌ أَجْدَعُ
 وَقَالَ أَيْضًا :

يَا أَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ يَا أَقْرَعُ إِنَّكَ إِنْ تَصْرَعَ أَخَاكَ تُصْرِعُ^(٢)
 إِنْ أَنَا الدَّاعِي نَزَارًا فَاسْمَعُوا فِي بِأَذْخٍ مِنْ عِزِّهِ وَمَفْرَعٌ^(٣)
 قُمْ قَائِمًا ثُمَّتْ قُلُوبُ فِي الْمَجْمَعِ لِلْمَرْءِ أَرْطَاةٌ أَيَا ابْنَ الْأَفْدَعِ^(٤)
 هَا إِنْ ذَا يَوْمٌ عَلَاءٌ وَمَجْمَعُ وَمَنْظَرٌ لِمَنْ رَأَى وَمَسْمَعُ
 فَنفَرَهُ الْأَقْرَعُ بِمَضَرٍ وَرَبِيعَةٍ، وَلَوْلَاهُمْ^(٥) نَفَرُ الْكَلْبِيِّ .

وكانت القرابة بين بجيلة وولد نزار : أن إراش بن عمرو بن الغوث ابن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان ، خرج حاجًا ، فتزوج سلامة بنت أنمار بن نزار ، وأقام معها في الدار بغور تِهامة ، فأولدها أنمار بن إراش ورجالا ، فلما توفى إراش وقع بين أنمار بن إراش وإخوته اختلاف في القسمة ، فتنحى عن إخوته ، وأقام إخوته^(٦) في الدار مع أخوالهم . وتزوج أنمار بن إراش بهند

(١) المفرع بالراء ، من فرع فلان فلاناً : علاه : ط : « ومفرع » صوابه في ش .

(٢) رسمت هذه الكلمة في ش لتقرأ بالياء والتاء معاً في الموضعين .

(٣) ط : « ومفرع » . وانظر ما سبق من تحقيق . وفي الشطر وما بعده إقواء .

(٤) ش : « الأقرع » ، وأثبت ما في ط . وقد سبق في الخبر أن صاحب أمر كلب هو

خالد بن أرتاة .

(٥) ط : « ولولاه » .

(٦) ط : « عن أخويه وأقام أخويه » ، تحريف ما أثبت من ش .

بنت مالك بن غافق بن الشاهد ، فولدت أفتل وهو خثعم ، ثم توفيت
فتزوج بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ، فولدت له عبقر^(١) ،
فسمته باسم جدّها وهو سعد ولقب بعبقر ، لأنّه ولد على جبل يقال له
عبقر . وولدت أيضاً الغوث ، ووادعة ، وصهبية ، وحزيمة ، وأشل ،
وشهلاء ، وسنية ، وطريفاً ، وفهماً ، وخدعة ، والحارث . انتهى
ما أورده أبو محمد الأعرابي .

وظهر أنّهما أرجوزتان على قافية العين ، أولاهما مرفوعة والثانية
مجرورة .

والشاهد إنّما يتأتّى على الأولى . وقد روى أيضاً :

* إنّك إن نصرع أخاك تُصرعوا *

بالجمع ، يريد الأقرع وقومه . وعلى هذا لاشاهد فيه كالرجز الثانى .
* * *

وأنشد بعده :

(الحافظو عورة العشيرة لا يأتِيهم من ورائنا وكف)

على أنّه تحذف نون الجمع للضرورة كما هنا ، والأصل : الحافظون
عورة العشيرة .

وهذا على رواية نصب عورة . أمّا على رواية خفضها فالتون حذفت
للإضافة .

وقد تقدّم الكلام عليه مفصلاً فى الشاهد الثامن والتسعين بعد
المائتين^(٢) .

(١) ط : « عبقر » .

(٢) الخزائن ٤ : ٢٧٢ - ٢٨٣ .

والو كف ، بفتح الواو والكاف ، وروى بدله : « نَطَفُ » بفتح النون والطاء المهملة ، وكلاهما بمعنى العَيْبِ .

* * *

وأنشد بعده :

(وحاتمُ الطائيُّ وهَّابُ المثنى)

على أنه حذف تنوين (حاتم) لالتقاء الساكنين . والمثنى أصله المثنين حذفت النون لضرورة الشعر ، كحذف التنوين .

وقد تقدّم الكلام عليه مستوفى في الشاهد الرابع والأربعين بعد الخمسمائة^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والثمانون بعد الخمسمائة^(٢) .

٥٨٢ (زَعَمْتَ تُمَاضِرُ أُنْتَى إِمَّا أُمْتُ يَسْدُدُ أُبَيْنُوهَا الْأَصَاغُرُ خَلَّتِي)

على أن جمع (أبينوها) شاذٌ ، كما بيّنه الشارح المحقق .

وملخصه : أنه إِمَّا جَمْعُ أُبَيْنٍ مصغر أُبْنَى كَأَعْمَى^(٣) .

وإِمَّا جَمْعُ أُبَيْنٍ مصغرُ أُبْنٍ بفتح الهمزة^(٤) ، وهو جمع ابنٍ بكسرهما .

وإِمَّا جَمْعُ أُبَيْنٍ مصغر ابن ، بجعل همزة الوصل قطعاً .

وإِمَّا مصغرُ بَنَيْنٍ على غير قياس . فهذه أقوال أربعة .

(١) الخزائن ٧ : ٣٧٥ - ٣٧٩ .

(٢) أمالي ابن الشجري ١ : ٢/٤٣ : ٦٩ والقالى ١ : ٨١ وابن يعيش ٩ : ٥ ، ٤١ والهمع ٢ : ٦٣ والحامسة بشرح المرزوقي ٥٤٧ ، وبشرح التبريزي ٢ : ١٢١ والأصمعيات : ١٦ .

(٣) ابن الشجري : « فهو اسم سموا به الجمع ولم ينطقوا به ، ولكن لما سمع تصغيره دل على أن المكبر أفضل » .

(٤) في الرضى ٢ : ١٧٠ : « كأدل جمع دلو » .

قال أبو علي (في باب من الجمع بالواو ^(١) والنون ، من كتاب الشعر) :
قال الشاعر ^(٢) :

إِنْ يَكْ لَا سَاءَ فَقَدْ سَاءَ فِي تَرْكُ أَبِيْنِيكَ إِلَى غَيْرِ رَاغٍ ^(٣)

لا يخلو قولهم أبينون في تحقير أبناء من أن يكون مقصوراً من أفعال ،
أو يكون تحقير أفعُل ، أو يكون اسماً صيغ في التحقير .

ولا يجوز أن يكون مقصوراً من أفعال ، لأنَّ أفعالاً لم يُقْصَر في
موضع غير هذا ، فلا يستقيم أن يدعى فيه شيء ولا نظير له وقد خولف
فيه . ولم يجيء في شيء كما جاء أسد وأسد ونحوه .

ولا يستقيم أن يكون تحقير أفعُل ، وإن كان أفعُل مثل أفعال في
أنَّ كل واحدٍ منهما للعدد القليل .

فإن قلت : أو ليس قد قالوا : صَبِيٌّ وَصَبِيَّةٌ ، وَغِلَامٌ وَغِلْمَةٌ ، وقالوا في
التصغير : أَصْغَبَةٌ وَأَغْصِمَةٌ ، وَأَفْعَلَةٌ مِنْ فِعْلَةٍ كَأَفْعُلٍ مِنْ أَفْعَالٍ فِي أَنَّ كُلَّ
واحدٍ جمع أدنى العدد ، جاء التكبير على أحدهما ووقع التحقير على الآخر .
وكذلك أبينون ، وإلى هذا يذهب بعض البغداديين .

فالجواب : لا يستقيم أن يكون هذا على أفعُل وإن كان ما ذكرت
من أدنى العدد يقوم مقام الآخر لدخول الواو والنون وهما في أنه للعدد
القليل ، مثل البناء المبني له ، فلا يستقيم ، إذ لم يُنْقَلْ لحاق الواو والنون
له ، كما لا يجتمع الحرفان لمعنى واحد في الكلمة . ألا ترى أنَّك إذا جمعت ٤٠١

(١) ط : « من الجمع الواو » ، صوابه في ش .

(٢) هو السفاح بن بكير اليربوعي . المفضليات ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

(٣) في المفضليات : « من يك لا ساء » .

اسماً فيه علامة التأنيث بالالف والتاء أزلتها بالحذف أو القلب . فكما أزلت العلامة فلم تجمع بينهما ، كذلك لا يستقيم أن تجمع بين الواو والنون وبين بناء أدنى العدد ، لاجتماع شيئين لمعنى واحد في الكلمة . فإذا لم يستقم ذلك علمت أنه صيغ في التحقير ، كما قال ، كأنك حقرت أبني^(١) مثل أعمى .

فإن قلت فمن أبيات الكتاب :

قد شربت إلا دهيدينا قليصات وأبيكرينا^(٢)

فالقول في ذلك أنه ضرورة . وكان الذي استهواه أن أفعل جمع من أبنية الجموع القليلة ، وقد جاء ضربان منه بالتاء فهو أفعة وفعة ، فلما وافقتها أفعل في القلة وكان تأنيث الجمع قائماً فيه قدر أن التاء فيه تلزم ، فقدر فيها التأنيث كما جاء في البناءين الآخرين^(٣) ، فلما لم تثبت عوض منها كما عوض من العلامة التي ينبغي أن تثبت فيها ، فقال أبيكرين كما قيل أرصون . فإذا كان كذلك لم تجتمع علامتان لمعنى . ألا ترى أن الياء كأنها عوض من علامة التأنيث ، كما أنها في أرضين كذلك . وأما أبنون فإذا لم تكن فيه ضرورة وكان التصغير قد بصاغ فيه الأسماء التي لا تكون في التكبير نحو عشيقة وأنيسان^(٤) كذلك تحمل أبني^(٥) على هذا النحو دون أفعل ، فيلزم فيه اجتماع

(١) في النسختين : « ابنا » . وانظر سيويوه ٢ : ١٢٥ بلاق و ٣ : ٤٥٦ هارون .

(٢) سيويوه ٢ : ١٤٢ بلاق و ٣ : ٤٩٤ هارون .

(٣) ش : « أن التاء فيه تلزم الآخرين » فقط .

(٤) إذ أن المكبر إنما هو عشية وإنسان ، والمصغر منهما عشيقة وأنيسان .

(٥) في النسختين : « ابنا » كما سبق .

شيئين بمعنى . وأما الدّهيدينا فيشبه أن يكون لمّا حذف حرف اللين الذي كان يجب إثباته شُبّه ذلك بعلامة التانيث من حيث الحذف ، فجعل الواو والنون عوضاً من ذلك كما جعلها عوضاً من علامة التانيث . انتهى كلامُ أبي عليّ .

وقال ابن جني (في إعراب الحماسة) : ذهب سيبويه إلى أنَّ الواحد المكبر من هذا الجمع أبني على وزن أفعل مفتوح العين ، بوزن أعمى ، ثم حَقَّرَ أيضاً^(١) فصار أبين كاعيم ، ثم جمع بالواو والنون فصار أبينون ، ثم حذف^(٢) النون للإضافة فصارت أبينوها .

وذهب الفراء إلى أنه كُسِّرَ ابناً^(٣) على أفعل مضوم العين ، ككلب وأكلب .

ويذهب البغداديون في هذه المحذوفات إلى أنها كلها سواكن العين . فأبين عندهم كأديل ، كما أنَّ أبين ذلك المقدَّر عندهم كأذل . وكانَّ سيبويه إنما عدل إلى أن جعل الواحد من ذلك أفعل اسماً واحداً مفرداً غير مكسَّرٍ لأمرين :

أحدهما : أنَّ مذهبه في ابنٍ أنه فعل ، بدلالة تكسيرهم إياها على أفعال ، وليس من باب فعل أو فُعل .

والآخر : أنه لو كانَ أفعل لكان لثال القلّة ، ولو كان له لقبح جمعه بالواو والنون . وذلك أنَّ هذا الجمع موضوعٌ للقلّة فلا يُجمع بينه

(١) أيضاً ، ليست في ث ولا في تنبيه ابن جني .

(٢) في التنبيه : « ثم حذف » .

(٣) هذا ما في التنبيه لابن جني . وفي النسختين : « ابني » ، تحريف .

وبين مثال القلّة ، لثلاً يكون ذلك كاجتماع شيئين لمعنى واحد ، وذلك مرفوضٌ في كلامهم . ورأى مع هذا أنّه قد جاء في أسماء الجموع المفردة غير المكسرة ما هو على أفعل مفتوح العين ، وهو ما أنشده أبو زيد من قوله :

ثم رآني لا أكوّنن ذبيحةً وقد كثرت بين الأعْمُ المضائضُ^(١)

كذا رواه الأعْمُ بفتح العين، ومثله أثابة وأثاب، وأضحاة وأضحى . وهذه أسماء مفردة غير مكسرة . وكذلك أرّوى ، وله نظائر . واعتصم الفراء فيما ذهب إليه بقول الشاعر :

قد رويتُ إلّا دُهيدينا قليصاتٍ وأبيكرينا

فهذا تحقير أبكر ، وهو مثال القلّة كما ترى ، وقد جمع بالواو والنون . وكان يروى « الأعْمُ » بضم العين ، فهذا عنده كصكّ وأصلك ، وضبّ وأضبّ . وكيف تصرّفت الحال فرواية أبي زيد في النفوس بحيث لا ريب^(٢) .

وأما قوله :

من بك لا ساء فقد ساعني تركُ أبينيك إلى غير راعٍ^(٣)

فيحتمل أمرين : أحدهما أن يكون الياء فيه علم الجمع ، كالواو

(١) في النسختين : « ثم واني » ، تصحيحه من النوادر ٦٢ . وقيله :

فإن أباهما مقسم يمينيه لأن نبضت كنى وإني لنابيض

(٢) بين هذا الكلام وتاليه كلام طويل في تنبيه ابن جني .

(٣) انظر نسبة البيت والكلام عليه فيما سبق . وفي ط : « راعي » . صوابه في ش . والبيت من قصيدة مقيدة بالسكون ، مظهرها :

صل على يحيى وأشياعه رب غفور وشفيع مطاع

في قوله أبينوها . والآخر : أَنَّهُ واحدُ الأَبْنَيْنِ^(١) على ماتقدم من الخلاف فيكون على قول صاحب الكتاب تحقير ابْنِي كأعمى ، وعلى قياس قول الفراء تحقير أبْنِي كأدلي ، فيكون اللام ياء^(٢) . انتهى .

واقنصر ابن الشجرى (فى أماليه) على مذهب سيويه ، قال : وأشكُلُ ما فى هذا الاسم وهو أبْنِ قولهم فى جمع مصغره أبينون فى هذا البيت . لا يجوز أن يكون أبينون جمعاً لمصغّر ابن ، لأنّه لو كان كذلك لقليل بُنيُون . ولا يجوز أن يكون جمعاً لمصغّر أبناء ، لأنّه لو كان كذلك لقليل أبيناعون . ولو أرادوا هذا لاستغنوا بقولهم أبيناء عن جمعه بالواو والنون . وإذا بطل الأول والثانى فإنّ قولهم : أبينون جمعٌ لتصغير اسم للجمع ، وليس بجمع ، ولكنّه كَنَفَرٍ ورَهْط ، وهو مما قدروه ولم ينطقوا به . ومثاله أبْنِي مقصور بوزن أعشى ، ثم حَقَّرَ فصار إلى أبينٍ مثل أعيش ، ثم جمع فقليل أبينون ، وأصله أبينيون ، ففعل به ما فعل فى القاضون . انتهى .

وبقى مذهبُ خامسٍ نقله الخطيب التبريزى (فى شرح هذا البيت من الحماسة) عن أبى الغلاء المعرى قال : زعم أبو الغلاء أنّ أبينوها تصغير أبناء . ولما ذكر سيويه هذا الجمع عبّر بعبارة توهم أنّه جمع أبْنِي على أفعل ثم صغّر ، كما يقال أعشى وأعيش والجمع أعيشون . وإنما أراد أن الألف التى فى أبناء وبعدها الهزة تحذف ، فيصير تصغيره كتصغير أفعل . كأنّ أبا الغلاء يريد أنّ مكبّر هذا الجمع أبْنِي على وزن أفعل مفتوح العين بوزن أعمى ، ثم حَقَّرَ فصار أبينٍ كأعيم ، ثم جمع بالواو

(١) هذا ما فى التنبيه . وفى ط : « الأبينين » ، وفى ش : « الأبينين » .

(٢) فى التنبيه : « فتكون الياء لاماً » .

والنون فصار أبينون ، ثم حذفت النون للإضافة . وكان الأصل أبناءً على أفعال ، فالهمزة لام الكلمة ، وهي منقلبة من واو ، فلما حذفت الألف من أفعال رجعت اللام إلى ما كانت فصارَت أَلْفاً في آخر الكلمة ، فصار أبني كاعى ، ثم صغر على ما تقدّم .

قال : ويحسن أن يقال : جمع ابناً على أفعل ، لأنَّ أصله فَعَلَ كما يقال زَمَنُ وأَزَمَنُ : ثم صغره وجمعه . وقال قوم : إنما أراد بنيون ، وابن من ذوات الواو ، فنقلها إلى أول الاسم ، ثم همزها للضمّة ، كما قالوا وجوه وأجوه . فقوله أبينوها على هذا تصغير أبني مقصوداً عند البصريين ، وهو اسمٌ صيغ للجمع كأروى وأضحى ، فهو على أفعل بفتح العين . انتهى .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة عدتها أحد عشر بيتاً لسلمي بن ربيعة^(١) من بني السيد بن ضبة ، أوردها أبو تمام (في الحماسة) وهي :

أبيات الشاهد (حَلَّتْ تَمَاضِرُ غَرَبَةٍ فَاحْتَلَّتْ فَلَجَأَ وَأَهْلَكَ بِاللَّوَى فَالْحِلَّةِ
وَكَأَنَّ فِي الْعَيْنَيْنِ حَبَّ قَرْنَفُلٍ أَوْ سُنْبُلًا كُحِلَّتْ بِهِ فَا نْهَلَّتِ
زَعَمْتُ تَمَاضِرُ أَنْتَى إِمَّا أُمْتُ يَسُدُّ أَبِينُوهَا الْأَصَاغُرُ خَلَّتِي
تَرِبْتُ يَدَاكِ وَهَلْ رَأَيْتَ لِقُومِهِ مَثَلِي عَلَى يُسْرَى وَحِينَ تَعَلَّتِي^(٢)
رَجُلًا إِذَا مَا النَّائِبَاتُ غَشِيَنَهُ أَكْفَى لِعِضْلَةٍ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ
وَمُنَاحٍ نَازِلَةٍ كَفَيْتُ ، وَفَارِسٍ نَهَلْتُ قَنَايَ مِنْ مَطَاهِ وَعَلَّتِ
وَإِذَا الْعَذَارَى بِالْذُّخَانِ تَقَنَّعَتْ وَاسْتَعْجَلْتُ نَصَبَ الْقُدُورِ فَمَلَّتِ

(١) انظر ما كتبت في تحقيق اسمه وفي نسبة هذه الأبيات في حواشي شرح الحماسة للرزوقي

دارت بأرزاق العفا مغالِقُ بيدى من قمع العشار العجلة
ولقد رأبت شأى العشيرة بينها وكفيت جانيتها اللتيا واللى^(١)
وصفحت عن ذى جهلها ورقدتها
نُضحى ولم تُصب العشيرة زلتى^(٢)
وكفيت مولاي الأحم جريرتى وحبت سائمتى على ذى الخلّة^(٣)

وقد روى هذه القصيدة القالى (فى أماليه) ، وأبو الحسن الأنخس
(فى شرح نواذر أبي زيد) كما نقلناها .

قوله : « حلت تماضر غربة » الخ . قال الإمام المرزوقى : تماضر : امرأته ،
وكانت فارقت عاتبة عليه فى استهلاكه المال ، وتعريضه النفس للمعاطب ،
فلحقت بقومها ، فأخذ هو يتلهف عليها ويتحسر فى أثرها وأثر أولاده
منها ، فيقول : نزلت هذه المرأة بعيدة منك فاحتلت فلجاً وأهلك
نازلون بين الموضعين . وهذا الكلام توجع . وفلج : على طريق البصرة .
والحلة : موضع من الحزن ببلاد ضبة . واللوى : رمل متصل به رقيق^(٣) .
وبين المواضع التى ذكرها تباعد . فإن قيل : لم قال حلت ثم قال احتلت^(٤) ؟
قلت : نبه بالأول أنها اختارت البعد منه والتغرب عنه ، وبالثانى
الاستقرار ، فكأنه قال : نزلت فى الغربة^(٥) فاستوطنت فلجاً . وفلج
بفتح اللام : بلد ، وفلج بسكون اللام : ماء . انتهى .

(١) سياق فى الشرح ص ٤٦ جواز ضبط « جانيتها » بفتح الياء وإسكانها .
(٢) تضحى ، كذا وردت ، وسيتكلم فيها البغدادى . وقد جعلت فى ش « نصحى » . ومع أنه
تصحیح لكنه ليس يريده البغدادى . والبغدادى سينص فى س ٦ على أنها رواية القالى ، لكن
الثابت فى الأمالى : « نصحى » بالنون ، وأراه تغييراً لرواية القالى لتساير الرواية المعروفة .
(٣) كذا بالراء فى النسختين وشرح المرزوقى .
(٤) بعمده فى المرزوقى : « وهلا اكنتى بأحدهما » .
(٥) المرزوقى : « نزلت فى هذه الغربة » .

وقال الأسود أبو محمد الأعراي (في شرح الحماسة) : هذه المرأة فارقت إِمّا بطلاق وإِمّا مغاضبة ، فأسِف عليها . والحِجْلَةُ بفتح المهملة وكسرهما : موضعُ حزن وصخورٌ ببلاد ضَبَّة . واللّوى هنا : موضعٌ بعينه . والغَرْبَةُ ، بفتح الغين المعجمة : الأرض البعيدة . وفَلَج بالفتح والسكون : وادٍ بطريق البصرة إلى مكَّة ، ببطنه منازلٌ للحاج ، وبينه وبين فَلَج ، زعموا ، مسيرةٌ عشر . انتهى .

وقال التبريزي : قوله غَرْبَةُ أى دار بعيدة^(١) . والحِجْلَةُ : موضعٌ في بلاد بنى ضَبَّة . وقالوا : هى حَزَنٌ ببلاد ضبة . انتهى .

وتماضر من أسماء النساء ، قال ابن جني (في إعراب الحماسة) : التاء في تماضر عندنا فاء ، وإنّما لم يصرف عندنا هذا الاسم لما فيه من التعريف والتأنيث ، [لا] لأنّه بوزن فُعاعِل^(٢) . فتماضر إذا كثر أقر وعُذافر . وكذا القياس في تاء جَمَل تُرامِز^(٣) . انتهى .

والظاهر أنّ تماضر تُفاعل ، والتاء زائدة لا أصل ، إذ هو من مَضَر . وإليه ذهب أبو العلاء المعري (في شرح ديوان البحترى) قال : تماضر بضم التاء وكسر الضاد ، وهو منقول من فعل مضارع ، كما سُميت المرأة تُكْتَم وتُكْنَى . وكان في النسخة (أى من ديوان البحترى) قال :

(١) التبريزي : « أى داراً بعيدة » .

(٢) سقطت كلمة « لا » من النسختين ، وإثباتها من إعراب الحماسة الورقة ٩٣ . وفي ط : « فُعاعِل » ، صوابه في ش وإعراب الحماسة . وابن جني ينفى أن يكون الوزن « فُعاعِل » بالتاء فتمنع الكلمة من الصرف العلمية ووزن الفعل ، ويعنى أن منعها الصرف العلمية والتأنيث .

(٣) في اللسان (رمز) : « الترامز من الإبل : الذى إذا مضغ رأيت دماغه يرتفع ويسفل ، وقيل هو القوى الشديد » .

تَمَاضِرُ بفتح التاء وضم الصاد . وهذا غلط ، والمعروف في أسماء النساء ما ذكرنا .

وذكر ابن السراج عن قومٍ من النحويين أَنَّهُم جعلوا تُمَاضِر في الأبنية التي أغفلها سيبويه . وهذا وهم ، لأنَّ تُمَاضِر تفاعل من قولك ماضرت تُمَاضِر . فإِما أَن يكون مأخوذاً من اللبن الماضر ، وهو الحامض ^(١) وقيل الأبيض ، فكأنه من ماضرت الرجل ، إذا سقيته وسقاك اللبن . ٤٠٤ وإِما أَن يكون من مُضِر ، كأنه من ماضرته إذا ناسبته إلى مضر . انتهى .

وقد تبعه تلميذه الخطيب التبريزي هنا ، وقال : تماضر من أسماء النساء . وقد ذكرها بعض الناس فيما أغفله سيبويه من الأبنية . وليس الأمر كذلك ، لأنَّ تماضر مسمّاة بالفعل المضارع الذي هو مأخوذ من اللبن الماضر ، وهو الحامض ^(٢) ؛ أو من قولهم : عيش مَضر أى ناعم ؛ وقيل : المضر : الأبيض . انتهى .

وقوله : « وكأَنَّ في العينين » إلخ ، قال المرزوقي : يقول : أَلَفْتُ البكاء لتباعدِها ^(٣) ، فجادت العينان بإسالة دمعهما غزيراً متحلباً منهما ، فكأنَّ في عينيَّ أحدَ هذين المهيَّجين الحالبيين للعيون . وقوله : « كحلت » إخبارٌ عن إحدى العينين ، وساغ ذلك لما في العلم من أَنَّ حالتيهما لا يفترقان ^(٤) [ومتى اجتمع شيئان في أمر لا يفترقان فيه] اجتزئ بذكر أحدهما عن الآخر . انتهى .

(١) الكلام بعده إلى كلمة « الحامض » التالية ، ساقط من ش .

(٢) إلى هنا ينتهي السقط الذي بدأ من موضع التنبيه السابق .

(٣) وكذا في شرح المرزوقي . وفي ط : « وتبعادها » .

(٤) هذا ما في المرزوقي ، وفي النسختين : « من أن حالتيهما لا يفترقان فيه » ، تحريف . والكلام بعده إلى « فيه » التالية ساقط من ش .

والقرنفل والسُّبُل من أخلاط الأدوية التي تُحرق العين وتُسبب
الدموع . وانهل واستهل ، إذا سال .

وقوله : « زعمت تماضر أننى » إلخ . قال المرزوقى فى زعمت ^(١) :
يتردد بين الشك واليقين ، وههنا يريد به الظن . وأننى مع معموليها ^(٢)
نائب عن مفعولي . يقول : ظننت هذه المرأة أنه إن نزل بي حادث قضاء
الله تعالى ، سدّ مكافئ ورمّ ما يتشعث من حالها بزوالى ، أبناؤها الأصاغر .
ويريد بهذا الكلام التوصل إلى الإبانة عن محلّه ، وأنه لا يغنى غناه
من الناس إلّا القليل . يقال سدّ فلان مسدّ فلان وسدّ خلّته ، وناب
منابه ، وشغل مكانه ، بمعنى واحد ^(٣) . فإن قيل : كيف ساغ أن يقول
يسدّد خلّتى وإذا مات لم تكن له خلّة ؟ قلت : أضافها إلى نفسه لما كان
يسدّها أيام حياته ، فكأنه قال : الخلّة التى كنت أسدّها . وهذا من
إضافة الشئ إلى الشئ [على ^(٤)] المعتاد فيهما . ومثله قولهم : شهاب
القذف ، فأضيف الشهاب إلى القذف لما كان من رمى الرامى . ووجوه
الإضافات واسعة كثيرة ، وكذلك متعلقاتها . انتهى .

وقال الأسود : أرته الاستغناء عنه بأطفالها . وهذا يدلّ على أنها
غاضبة وهى فى حباله . والخلّة بفتح المعجمة : الفرجة ، والثلمة التى
يتركها بموته . والخلّة : الضعف والوهن ، والخلّة : الفقر . والخليل :
الفقير ، والخلّة : الخلصة .

(١) كلمة « فى » ليست فى ش ولا فى المرزوقى . وفى المرزوقى : « زعم » .

(٢) المرزوقى : « وأننى مع الجزاء والجواب » .

(٣) كلمة « واحد » ليست فى المرزوقى .

(٤) التكلة من شرح المرزوقى .

وقوله : « تربت يدك » إلخ هذا التفاتٌ من الغيبة إلى خطابها . قال
المرزوقي في ترب : يستعمل في الفقر والخيبة لا غير . وأترب يستعمل في
الغنى والفقر جميعاً ، فإذا أُريد به الغنى فالغنى صار له من المال بعدد
التراب ، وإذا أُريد به الفقر فالغنى : صار في التراب ، كما يقال : أسهل
إذا صار في السهل . وقد يجوز أن يكون مثل أقل ، والغنى صار مالاً
قليلاً من المال . وقوله : « حين تعلت^(١) » : المعنى : وحين اعتمدت على
إقامة العلة لحصول الفقر^(٢) . وعلى هذا قوله :

* قليل أدخار الزاد إلا تعلت^(٣) *

أى قدر ما يقام به العلة . أقبل عليها يوبئها ويخطئ رأياً ،
ويكذب ظناً . ويقبّح اختيارها ، في إفاتة نفسها الحظ منه ، ويدعو
عليها بالفقر^(٤) والخيبة في الرجاء^(٥) فقال : صار في يدك التراب ،
وهل رأيت لقومه من يماثلني في حالتي السراء والضراء حتى تعلت مثل
رجائك في بغيري إذا أخليت مكاني . انتهى .

وقال الأسود : أى خاب رجائك حين تعدلين بي أطفالاً ، وقد رأيت الرجال
أعيامهم مكاني . وتربت يدك معناه صار في يدك التراب ، أى لك الخيبة
مما أملت . وهى كلمة تقال للمخطئ وجه القصد . وقوله « حين تعلت » :
يريد العسر ، تعتل حاله وتختل . وقال التبريزي : التعلت من عللت ،
كانه أراد حين أفترق فأحتاج إلى العلل ، أى الحُجج ، أو إلى أن أُعلل

٤٠٥

(١) ط : « تملت » ، صوابه في ش والمرزوقي .

(٢) المرزوقي : « بحصول الفقر » .

(٣) لتأبط شراً في الحاسة بشرح المرزوقي ٤٩٤ . وعجزه :

* فقد نثر الشرسوف والتصق الما *

(٤) المرزوقي : « بالفقر والبأساء » كما هو عادته في السجع .

(٥) ط : « الرخاء » ، صوابه في ش والمرزوقي .

نفسى كما يعلّل العليل . قال ابن جنى : قوله « وحين تعلّتى » معطوف على موضع قوله يُسرى ، أى على وقت يُسرى وحين تعلّتى .

ومثلى يحتمل أمرين : أحدهما أن يكون مفعول رأيت ، فينتصب رجلاً فى البيت بعده على التمييز ، كقولك : لى مثله عبداً أى من العبيد، فيكون تقديره : مثلى من الرجال الذين إذا غشوا كفّوا . والآخر : أن يكون أراد هل رأيت رجلاً مثلى ؟ فلما قدّم مثلى وهو وصف نكرة نصبه على الحال منها . واللام فى قوله لقومه متعلّقة بنفس رأيت ، كقولك : رأيت لبنى فلانَ نِعماً وعبيداً . وإن جعلت مثلى مفعول رأيت كانت الهاء فى قومه له . وإن جعلته حالاً مقدّمة فالهاء لرجل .

وقوله : « رجلاً إذا ما النائبات » إلخ ، قال المرزوقى : رجلاً بدل من مثلى ، كأنّه قال : هل رأيت لقومه رجلاً أكفى للشّدائد وإن عظمت عند طروق النوائب وغشيان الحوادث منى ؟ فحذف منى لأنّ المراد مفهوم . والمعضلة : الداهية الشديدة . يقال أعضل الأمر ، إذا اشتدّ . ويروى : « لمضليعة » وهى التى تضم^(١) الأضلاع بالزّفرات وتنفّس الصّعداء ، حتى تكاد تخطمها^(٢) .

وقوله : « ومُنَاخ نازلة » إلخ . قال المرزوقى : أخذ يعدّد ما كانت كِفَايَتُهُ مقسومةً فيه ، ومصروفةً إليه . ومُنَاخ : مصدر أنخت . وكفّيت يتعدّى إلى مفعولين ، وقد حذفهما ، كأنّه قال : كفّيته العشيرة . يقول : رَبِّ نازلةٍ أناخت ، أنا دفعت شرّها ، وكفّيت قَوْمى الاهتمام بها ، وربّ فارس سقيت رمحى من دم ظهره ، العَلَل بعد التّهل . وخصّ الظّهر ليُعلم أنّه أدبر عنه وولّى .

(١) فى النسختين : « تقيم » ، صوابه فى المرزوقى .

(٢) ط : « تخطمها » ، صوابه فى ش و المرزوقى .

وقوله: « وإذا العذارى بالدخان » إلخ . قال المرزوقي : أقبل يعدد الخصال المجموعة فيه من الخير^(١) بعد أن نبه على أنه لا يقوم مقامه أحد ، فكيف من طمعت^(٢) في نيابته عنه . يقول : وإذا أباكراً النساء صبرت على دُخان النار حتى صار كالقناع لوجهها ، لتأثير البرد فيها ، ولم تصبر لإدراك القدور^(٣) بعد تهيئتها ونصبها ، فشوت في الملة قدر ماتعلل به نفسها من اللحم ، لتمكّن الحاجة والضّر منها ، ولإجذاب الزمان واشتداد السنة على أهلها - أحسنت^(٤) . وجواب إذا في البيت بعده . وخبر العذارى بالذكر لفرط حيائهن ، ولتصوّنهن عن كثير مما يتبدّل فيه غيرهن^(٥) . وجعل نصب القدور مفعول استعجلت على المجاز والسعة . ويجوز أن يكون المراد به : استعجلت غيرها بنصب القدور ، أو في نصب القدور ، فحذف الجار . انتهى .

وقال الأسود : ويروى « تلمّعت » . واللّفاع : المِلْحَفَة . والقِناع : المِقْنَعَة . أى غشين الدخان حتى صار لهن كاللّفاع أو القِناع من شدة البرد . واستعجلت نصب القدور فملّت ، أى ألفت اللحم في الملة جوعاً وضراً^(٦) ، لم تصبر إلى إدراك القدر . قال التبريزي : وعلى هذا يكون وملّت بالواو ، وغير أبي تمام يرويه :

(١) من الخير ، ليست في المرزوقي .

(٢) المرزوقي « طمع » ، وتقرأ بالبناء للمجهول .

(٣) المرزوقي : « ولم تصبر على إدراك القدور » .

(٤) هو جواب « إذا » السابقة في السطر الثالث .

(٥) ش : « فهن غيرهن » ، صوابه في ط والمرزوقي .

(٦) في النسختين : « وضر ألم » والوجه ما أثبت . والضرى ، بفتحين : مصدر ضرى بالشئ ضرأ وضرأوة : طبع به واعتاده ولم يكده يصبر عنه .

« واستبطأت نصبَ القسودر فملت »

وقال ابن جنى : ملّت هنا من مَلَّة النار ^(١) لا من الملالة ، أى بادرت للضرورة الخبزَ قبل القدر .

٤٠٦

وهذا البيت أورده البيضاوى عند قوله تعالى : ﴿ ولهم فيها أزواج مطهرة ^(٢) ﴾ ، واستشهد به على جواز جمع الصفة وإفرادها فى مطهرة . وقرأ زيد بن على : ﴿ مطهرات ^(٣) ﴾ ، وهما لغتان فصيحتان .

وقوله : « دارت بأرزاق العفاة » إلخ هو جمع عاف ^(٢) ، وهو كل طالب رزق من الناس وغيرهم . ومغالتٌ : فاعل دارت ، وهى قِداح الميسر جمع مِغْلَق ومِغْلَاق بكسرهما ، مأخوذ من غَلِق الرهنُ ، لأنه مَنْ فاز سهمه غَلِق نصيبه فذهب به غير منازع فيه . قاله الأسود . وقال المرزوقى : وإنما سُميت القداح مغالت لأنَّ الجزر تغلق عندها وتهلك بها . والقَمْع ، بفتحيتين : قطع السنام ، الواحدة قَمْعَة . والعِشار : جمع عَشْرَاء ، وهى الناقة التى قد أتى عليها من حملها عشرة أشهر ، وتستصحب هذا الاسم فتسمى به بعد وضعها الحمل بأشهر . والجِلَّة بكسر الجيم : المسانُ ، الواحدة جليلة . ومنه : « ماله دقيقة ولا جليلة » أى شاة ولاناقة .

قال المرزوقى : قوله أرزاق العفاة كلامٌ شريف ، يقول : وإذا صار الزمان كذا ، دارت القِداح فى الميسر بيدي ، لإقامة أرزاق الطلاب من أسنمة النوق المسان الكبار الحوامل ، التى قُرب عهدُها بوضع الحمل . وكلُّ ذلك يُضنُّ به ويُتنافس فيه .

(١) ط : « من ملت » ، صوابه فى ش وإعراب الحامسة الورقة ٩٧ .

(٢) الآية ٢٥ من سورة البقرة .

(٣) ش : « عافى » .

وقال الأسود : قوله « بيدى » فيه قولان : أحدهما : أَنَّ ذَوَاتِ
الْأَنْصِبَاءِ مِنَ الْقِدَاحِ سَبْعَةٌ ، وعدد الأيسار سبعة ، فإذا نقص منهم
واحدٌ أخذَ أحدُ الستة قِدَحَهُ وأخرج من ثمن الجزور نصيبه ، ثم جعل
إحدى يديه ضاربةً بقَدَحِ نفسه ، والأخرى بقَدَحِ صاحبه . وإنما أراد
بذلك التمدُّحُ بأنَّه يضرب بقَدَحَيْنِ ، لا أَنَّهُ ^(١) يفرد لهذا يداً ولهذا أخرى .
وإياه أراد متمم بن نويرة بقوله :

بمَشْنَى الْإِيَادَى ثُمَّ لَمْ تُلَفِّ مَالِكَا من القوم ذا قاذورةً متزبعا ^(٢)
والآخر : أَنَّهُ أراد : يَقْرَعُ بين إبله أيُّها ينحر ؟ فقال : بيدى
ليعلم أَنه لم يرد مقارعة إنسان غيره . انتهى .

وقال بعضهم : فى البيت مبالغات : إحداها قوله دارت ، فإنه يدل
على أَنَّهُ أمر متكرر مرّة بعد أخرى . ثانيها : جمعُ الرزق والعافى .
ثالثها : الدلالة على أَنَّهُ غارم لا فائز . رابعها : قوله يدى بالثنية . خامسها :
إيثار السَّنام الذى هو أطيب ما فى الإبل . سادسها : العِشَار ، وهى أَنْفُسُ
الإبل عند العرب . سابعها : قمعها وتعريفها ^(٣) . ثامنها : أَنَّ العفاة مَالَهُمْ
مَوْتَلٌ غيره . وفيه غير ذلك .

وقوله : « ولقد رأبت ثأى العشيرة » إلخ . قال الأسود : رأبت رأباً :
أصلحت . والثأى كالعصا : الصَّدْعُ . وقد ثأى الخرزُ ، إذا انخرمت
خرزتان فصارتا واحدة ^(٤) ، أى ما كان بينهما من نائرة أطفأت ، أو جناية

(١) ط : « إلا أن » ، صوابه فى ش .

(٢) ش : « لم يلف » ، تحريف . ورواية المفضليات ٢٦٦ :

وإن تلقه فى الشرب لا تلتق فاحشاً على الكأس ذا قاذورة متزبعا

(٣) ش : « جمعها وتعريفها » .

(٤) فى اللسان : « ثأى الخرز ثأى ، وذلك أن يتخرم حتى يصير خرزتان فى موضع » .

غَرِمْتُ ، وكفيت جانبها اللتيا والتي ، وهما من أسماء الدواهي ، واللتيا أصغر من التي ، وهي في الأصل تصغيرها ، ثم هما من الأسماء الموصولة وحذفت صلتها . وذلك في عِظَم الأمر وشِدَّتِه ، كأنه قال ^(١) : كفيتُه التي عَظُمْتُ شِدَّتُها ، وتناهتْ بليَّتُها . وكأنه يريد باللتيا صِغارَ المغارم . أَى غُرْمُها في ماله . وبالتى عظامها ، كالدّم يعقله عن القتال ونحوه . انتهى .

وقال المرزوقي : يقول : وكما ظهر غَنائي في تلك الأبواب فلقد سَعِيت في إصلاح ذات البين من العشيرة ، وكفيت مَنْ جَنَى منها الجناية الصغيرة والكبيرة ، بالمال والنفس ، والجاه والعزّ . وقوله « جانيها » إن فتحت الياء كان واحداً وإنْ أَدَّى معنى الجمع . وإن سَكَنْت الياء جاز أن يكون جمعاً سالماً ، وأن يكون واحداً حذف فتحتها ^(٢) .

٤٠٧

وقال ابن جني : بينها متعلّق بنفس الثأى ، أى أصلحت الفساد بينها . والهاء في جانيها ضمير العشيرة ، أى كفيت جاني العشيرة الداهية التي جناها على نفسه . ولا يجوز أن يكون ها ضمير اللتيا أى جاني الداهية ، وذلك أن الجاني هو المفعول الأوّل وهو مقدّم في موضعه ، فلا يجوز أن يتعلّق به ضمير المفعول الثاني ؛ لأنّه إنما يتقدّم ضمير الشيء عليه إذا كان رتبته أن يكون بعده ، فأما أن يتقدم ضمير الشيء عليه متعلّقاً بما رتبته التقديم على صاحب الضمير فذلك تقديم الضمير على مُظْهَره لفظاً ومعنى ، وهذا عندنا غير جائز البتّة ، وإنّما المتجوّز من ذلك أن يتقدّم الضمير على مُظْهَره لفظاً على أن يكون متأخراً عنه معنى .

(١) قال ، ساقطة من ش .

(٢) المرزوقي : « قد حذف فتحتها » .

فَأَمَّا تَقَدُّمُهُ عَلَيْهِ لَفْظًا وَمَعْنَى فَلَا . أَلَا تُرَى : لَانَقُولُ ضَرْبَ غَلَامُهَا هِنْدًا ، وَلَكِنْ ثَقُولُ ضَرْبِ غَلَامُهَا هِنْدُ : فَكَذَلِكَ لَا يَكُونُ « هَا » مِنْ جَانِبِهَا ضَمِيرًا لِلتَّيَا ، كَمَا لَا تَجِيزُ أُعْطِيتُ مَا لَكَ دِرْهَمًا « وَلَا كَسَوْتُ صَاحِبَهَا جَبَّةً ، وَلَكِنْ ثَقُولُ : أُعْطِيتُ دِرْهَمَهُ زَيْدًا ، وَكَسَوْتُ ثَوْبَهُ عَمْرًا . وَقَدْ يَجُوزُ مَعَ هَذَا كُلُّهُ أَنْ تَكُونَ هَا مِنْ جَانِبِهَا ضَمِيرًا لِلتَّيَا عَلَى حَدِّمَا يَجِيزُهُ مِنْ : أُعْطِيَ الدِّرْهَمُ زَيْدًا ، وَأَدْخَلَ الْقَبْرُ عَمْرًا عَلَى الْقَلْبِ . وَعَلَى هَذَا أَجَازُوا : مَرَرْتُ بِالْمَكْسُوتَةِ جَبَّةً ، وَلَقِيتُ الْمَعْطَاهُ دِرْهَمًا . فَكَأَنَّ اللَّيَا وَالتِّيَا عَلَى هَذَا هِيَ الْمَكْفِيَّةُ جَانِبِهَا ، كَمَا أَنَّ الْجَبَّةَ هِيَ الْمَكْسُوتَةُ زَيْدًا فَهُوَ عَلَى قَوْلِكَ : كَفَيْتُ اللَّيَا جَانِبِهَا . فَاعْرِفْهُ . انْتَهَى ، وَلِنَفَاسَتِهِ سُقْنَاهُ بَرْمَتَهُ .

وقوله : « وصفحت عن ذى جهلها » إلخ ، قال الأسود : أكمل مكرمة صلاح ذات البين بما أردفه من الإغضاء على ما بدّر من جاهلها . أى من جهل منهم على صفحت عنه ولم أجهل عليه . وقوله : « نُضْحِي » أراد نُضْحِي ونُمْسِي ^(١) ، فاكتنى بذكر أحدهما من الآخر . ووجه آخر : خَصَّ الْغَدَاةَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّ جُنَاةَ الشَّرِّ يَتَوَخَّوْنَ بِهِ ظِلَامَ اللَّيْلِ إِرَادَةً أَنْ يَخْفَى ذَلِكَ . انْتَهَى .

وقد صحّف هذه الكلمة وحرّفها ، وإنّما هِيَ نُضْحِي بِالصَّادِ الْمَهْمَلَةِ ^(٢) . قال المرزوقي : يصف نفسه بالحلم معهم ومع سفهائهم ^(٣) ، يقول : عفوت عن

(١) ش : « نضحي ، أراد نضحي ونمسي » .

(٢) يشير بذلك إلى رواية القائل . انظر تعقيب البغدادى على الأبيات السابقة ص ٣٧ .

(٣) ط : « سفاهتهم » ، صوابه في ش . وفي المرزوقي : « يصف نفسه بالحلم معهم » . وكظم الغيظ فيهم ، ومنع سفاهتهم » .

جاهلها فلم أُوَاخِذْهُ بما بدر منه من هفوة أو زلّة ، ثم بذلتُ نصحي لعشيرتي بمقدار جهدي ، ولم أجِرْ عليه جريرتي^(١) .

وقال الأسود : المعنى أَنَّهُ ليس من أهل السّفَه وجُنّة الشر .

وقوله : « ولم تصب العشيرة زلتى » ، أى إنْ زلّ ، ولا عصمة ، كفى نفسه ولم يشتدّ عليه الأمر فيفتقرَ إلى من يكفيه أو يُعينه .

وقوله : « وكفيت مولاي الأحمّ » إلخ . قال الأسود : الأحمّ بالمهملة هو الأخصّ الأدنى ، من الحميم . وهو تفسيرُ لقوله : « ولم تصب العشيرة زلتى » وتأكيّد للإكمال . يقول : إن جررت جريرةً أغنيت فيها نفسى عن ابن عمّى الأدنى ، فضلاً عن الأبعد ، وحبستُ سائمتى ، يريد السّوام ، وهو المال الراعى . وقد سامت الماشية : دخل بعضها فى بعض فى الرّعى . وهذا إغراقٌ بعد التأكيد ، أى حبستُها عن المرعى على ذى الخلّة بالفتح ، أى الفقر ، ليختار منها على عينه ، كما قال :

* يخيّر منها فى البوازل والسُّدسِ^(٢) * انتهى .

قال ابن جنّى : اعلمْ أَنَّ هذا الشاعر لزم اللام قبل هذه التاء فى هذه الأبيات ، وليست بواجبةٍ من حيث كان الروىُ إنّما هو التاء . ووجه ذلك فيما ذهب إليه قطرب : أَنَّ هذه التاء فى الفعل نظيرة الهاء فى الاسم ، فكما يلزم ما قبلها فى نحو قائمة وسائمة^(٣) فكذلك التزم^(٤) ما قبلها فى

٤٠٨

(١) المرزوق : « ولم أجر عليهم جريرتي » .

(٢) لمصور بن مسجاح الضبى فى الحماسة ١٦٧٥ بشرح المرزوق . صدره :

* فطاف كما طاف المصدق وسطها *

(٣) فى إعراب الحماسة : « وساملة » .

(٤) فى النسختين : « ألزم » ، وأثبت ما فى إعراب الحماسة .

نحو: ضَنْتَ وَحَنْتَ. نَعَمْ، وقد يلتزم الشاعر المدلُّ ما لا يجب عليه، ثقةً بنفسه، وشجاعةً في لفظه. وقد ذكرت من هذا الطرز (في كتاب المغرب^(١)) ما يتجاوز قدر الكفاية .

وسلمى بن ربيعة روى بوجهين : أحدهما : بضم السين وتشديد الياء التحتية ، قال ابن جنى (في المبهج) : هو اسمٌ مرتجل .

وثانيهما : سَلَمَى بفتح السين والقصر ، قال أبو الحسن الأَخفش : وقع في نسختي من نوادر أبي زيد بهذا الضبط ، وحفظي^(٢) بالوجه الأول . والسيد بكسر السين ، قال ابن جنى : السيد : الذئب ، الأنثى سيدانة بزيادة الألف والنون .

وضبة أيضاً : اسم منقول من ضبة الحديد ، ومن أنثى الضب ونحوه .

وسلمى شاعرٌ جاهلي ، وهذه نسبته (من جمهرة ابن الكلبي) : سلمى بن ربيعة سلمى بن ربيعة بن زبَّان ، بفتح الزاي وتشديد الموحدة ، ابن عامر ابن ثعلبة بن ذئب بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة ابن أدد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

ومن ولد سلمى في الإسلام : يعلى بن عامر بن سالم بن أبي سلمى بن ابن ربيعة ، كان على خراج الرمي وهمدان .

ومن ولده أيضاً : المفضل الرواية بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم المذكور .

* * *

(١) في إعراب الحاشية : « المغرب في تفسير قوافي أبي الحسن » .

(٢) ط : « وحفظ » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح ، وكذلك نوادر أبي زيد ١٢١ .

(٤ - خزنة الأدب - ج ٨)

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد الخمسمائة ، وهو
من شواهد سيبويه ^(١) :

٥٨٣ (قد شَرِبْتُ إِلَّا الدُّهْدِيَّ) قُلَيْصَسَاتٍ وَأُبَيْكِرِينَا (

على أَنَّ جَمَعَ مَصْغَرٍ (دهداه) وجمعَ مَصْغَرٍ (بكر) على مافى البيت : شاذٌّ.

أنشد سيبويه هذا الرجز وقال : والدَّهْدَاهُ : حاشية الإبل ، فكأنه
حَقَّرَ دَهَادِهِ ^(٢) فَرَدَّهُ إِلَى الواحد وهو دَهْدَاهُ ، وَأَدْخَلَ الْيَاءَ والنون كما
تُدْخَلُ فِي أَرْضَيْنِ وسننن ، وذلك حيث اضْطُرَّ فِي الْكَلَامِ إِلَى أَنْ يُدْخَلَ يَاءُ
التصغير . وَأَمَّا أُبَيْكِرِينَا فَإِنَّهُ جَمَعَ الْأَبْكَرُ ، وَلَكِنَّهُ أَدْخَلَ الْيَاءَ والنون
كما أَدْخَلَهَا عَلَى الدُّهْدِيَّيْنِ . انتهى .

وقد تقدم عن أبي على في البيت قبله مايتعلق به .

وقال ابن جنى (في إعراب الحماسة) : وَأَمَّا أُبَيْكِرِين فَقَدْ يُمْكِنُ
عَلَى قَوْلِ سَيْبَوِيهِ أَنْ يَقَالَ إِنَّ وَاحِدَهَا أَبْكَرُ . بفتح العين في هذا الموضع .
أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ الْعَيْنَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَفْتُوحَةً وَلَا مَضْمُومَةً . فَإِنْ
قُلْتَ : فَقَدْ سَمِعْتَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ أَبْكَرُ بضم العين ؟ قِيلَ : أَجَلْ قَدْ
سُْمِعَ هَذَا بضم عينه ، وَغَيْرُ مَنْكَرٍ أَنْ يَكُونَ الْخُرُوجُ عَنِ الْوَاحِدِ مَرَّةً إِلَى
جَمْعٍ مَكْسَّرٍ ، وَأُخْرَى إِلَى اسْمٍ لِلْجَمْعِ ^(٣) مُفْرَدٌ غَيْرُ مَكْسَّرٍ . أَلَا تَرَاهُمْ
قَالُوا : رَجُلٌ وَرَجُلٌ فَكَسَّرُوهُ . ثُمَّ قَالُوا رَجُلَةٌ فَصَاغُوا لِلْجَمْعِ اسْمًا مُفْرَدًا .
وكَذَلِكَ الْجَمَالُ وَالْأَجْمَالُ ، هَذَا مَعَ قَوْلِهِمُ الْجَامِلُ . فَكَذَلِكَ لَا يَنْكَرُ أَنْ

(١) في كتابه ٢ : ١٤٢ والمختصر ٧ : ٦١ ، ١٣٧ واللسان (بكر ١٤٦ من ٣٥٢

دهد ٣٥٣) .

(٢) هذا الصواب في ط وكتاب سيبويه . وفي ش : « دهده » ، تحريف .

(٣) ش : « اسم الجمع » صوابه في ط وإعراب الحماسة ٩٥ .

يكون أبكر بضم العين جمعاً مكسراً ، أو يكون واحد أبكرين المكبر أبكر بفتح العين وإن لم يسمع مكبراً ، لكن يدلُّ عليه ما انحرف عند سيبويه^(١) من اعتقاد جمع أمرين لمعنى واحد . وهذا واضح . وكذلك ينبغي أن يقال في قول الآخر :

أشكو إلى مولاي من مولاي تربط بالحبل أكبر عاتي

وذلك أن الألف والتاء موضوعان للقلّة وضع الواو والنون لها ، فلا يحسن ٤٠٩ أن يكون الواحد المكبر من أكبر عات أكبر عة ولا أكبر عاً^(٢) بضمّ العين لأنهما مثالا قلّة . فعلى قياس قوله في أبينون^(٣) ما يجب أن يقال في الواحد المكبر من أكبر عات إنه أكبر ع ، على وزن أفعل بفتح العين ، كالأعمى والأروى . انتهى .

وقال (في سر الصناعة) أيضاً ، عند سرد ما جمع بالواو والنون من كل مؤنث معنوى كأرض ، أو مؤنث بالتاء محذوف اللام كثبة ، ما نصه :

فإن قلت : فما بالهم قالوا :

* قد رويت إلاّ الدهيد هينا * إلخ

فجمعوا تصغير دهاد ، وهو الحاشية من الإبل ؛ وأبكرأ وهو جمع بكر ، بالواو والنون ، وليسا من جنس ما ذكرت ؟

(١) في إعراب الحماسة : « ما انحرف سيبويه عنه » .

(٢) ط : « والأكرعة » ش : « ولا كركة » ، صوابها ما أثبت من إعراب الحماسة لابن جني ٩٥ .

(٣) كلمة « قوله » ساقطة من ش ثابتة في إعراب الحماسة . وما بعد هذا إلى نهاية نص ابن جني ساقط من ش .

فالجواب : أَنَّ أَبْكَرًا جمع بَكَر ، وكلُّ جمع فتأنيثه سائغٌ مستمرٌ ،
لأنَّه جماعةٌ في المعنى . وكأنَّه قد كان ينبغي أَنْ يكون في أبكر وأكلب
وأعبد هاءٌ ، فيكون تقديرها أَكْلِبَةٌ وَأَبْكَرَةٌ وَأَعْبُدَةٌ ، كما قالوا في
غير هذا : فِحَالَةٌ : جمع فحل ، وذكارة : جمع ذَكَر . فكما جاز أَنْ تأتي
الهاءُ في هذه الجموع كذلك جاز أيضاً أَنْ تقدَّر^(١) في أبكر الهاءُ ، فيصير
كأنَّه أبكرة . وقد جاءت الهاءُ في أَفْعَلٍ نفسها . قال :

بأَجْرِيَةِ بُقْعٍ عِظَامِ رُءُوسِهَا لَهْنَ إِذَا حَرَّكْنَ فِي الْبَطْنِ أَرْمَلُ^(٢)
فهذا جمع جَرَوْ . وَأَجْرِيَةٌ أَفْعَلَةٌ ، فآلحق الهاءُ في أَفْعَلٍ .
ويدلُّك على أَنَّهُ أراد أَفْعَلُ قولُ الآخر^(٣) :

وتَجَرُّ مُجْرِيَةٌ لَهَا لَحْمِي إِلَى أَجْرِ حَوَاشِبِ

وجاز أَنْ تجمع فِعْلاً على أَفْعَلٍ ، وَأَفْعَلَةٌ^(٤) ، وَأَفْعَلٍ ، لَفْعَلٍ مفتوحة
الفاءُ ، من حيث كان فَعْلٌ وفِعْلٌ ثلاثيّين ساكنيّ العينين ، وقد اعتقبا
أيضاً على المعنى الواحد ، نحو حَجَّ وحِجَّ ، وفَصَّ وفِصَّ ، ونَفَطَ ونِفَطَ .
وإذا ثبتَ أَنَّ أَفْعَلُ من أمثلة الجموع يجوز في الاستعمال والقياس تأنيثه ،
لم يُنْكَرْ أَنْ يعتقد في أَنَّ أَبْكَرًا قد كان ينبغي أَنْ يكون فيها هاءٌ تأنيث
الجماعة ، فصار إذن جمعهم إِيَّاهَا بالواو والنون في قوله « أَبْيَكِرُونَا »
إنَّما هو عوض من الهاءِ المقدَّرة في أَبْكَرٍ ، فجرى ذلك مجرى أرض في
جمعهم إِيَّاهَا بالواو والنون في قولهم : أَرْضُون .

(١) ش : « يقدر » .

(٢) الأزمَل : الصوت .

(٣) هو حبيب بن عبد الله ، المعروف بالأعظم الهذلي . ديوان الهذليين ٢ : ٨ وشرح
السكري ٣١٤ ، واللسان (جرا ١٥١) .

(٤) في النسختين : « عل أَفْعَلٍ ، وَأَفْعَلٍ » ، وأرى الصواب فيما أثبت .

فَأَمَّا دُهَيْدِينَا فَإِنَّ واحده دَهْدَاه ، وهو القطعة من حاشية الإبل ،
فهو نظير الصَّرْمَةِ وَالْهَجْمَةِ : فكأنَّ الهَاءَ فيها لتأنيث الفرقة والقطعة ،
كما أَنَّ الهَاءَ في عُصْبَةٍ وطائفة لتأنيث الجماعة ، فكأنَّه كان في التقدير :
دهداهة ، فلما حذفت الهاء فصار دهداهاً جمع تصغيره بالواو والنون
تعويضاً من الهاء المقدرة . قال أبو علي : وحسن أيضاً جمعه بالواو والنون
أنَّه قد حذفت أَلَفٌ دهداه في التحقير ، ولو جاء على أصله لقليل دهيديه ^(١)
بوزن صلصال وصلبصيل ، فواحد دهيدينا إنما هو دهيديه ، وقد
حذفت الألف من مكبره ^(٢) فكان ذلك أيضاً مسهلاً للواو والنون ، وداعياً
إلى التعويض بهما . انتهى كلامه .

وهذا مخالفٌ لكلامه السابق تبعاً لأبي على وغيره ، من أَنَّ أببيكرينا
جمع أبكر بفتح الكاف . وإليه ذهب يوسف ^(٣) بنُ السَّيرافي (في
شرح شواهد الغريب المصنف) ، قال : أببيكرينا جمع أببكر ، وأببكر
تصغير أببكر ، وأببكر جمع بَكَر ، وهو في الإبل بمنزلة الشاب في
الناس . وهذه العلامة لا تكون إلا لجمع المذكر العاقل في الكلام ،
وربَّما أدخلها الشاعرُ إذا احتاج . وتدخل على كثير من الأسماء النواقص .

والبيتان من رجز أورده أبو عبيد القاسم بن سلام (في الغريب
المصنَّف) قال : الحاشية صغار الإبل ، والدَّهْدَاهُ مثل ذلك . قال الراجز :

(١) ش : « دهيد » ، صوابه في ط .

(٢) ش : « إنما هو دهيدية » ، وقد حذف الألف من مكبره .

(٣) ش : « أبو يوسف » ، وإنما هو أبو محمد يوسف بن الحسن بن عبد الله ، المتوفى سنة
٣٨٥ . وأبوه الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو سعيد السيرافي ، المتوفى سنة ٣٦٨ . والذي شرح
شواهد الغريب المصنف هو ولده أبو محمد ، كما في البنية .

(يا وهبُ فابدأُ ببني أبنينا ثُمَّتَ ثَنُ بِنِي أَخِينَا
وجيرة البيت المجاورينا قد رَوَيْتَ إِلَّا الدُّهَيْدِينَا
إِلَّا ثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِينَ قُلِيصَاتٍ وَأَبْيَكْرِينَا)

قال ابنُ السِّيرافي: نَصَبَ الدُّهَيْدِينَا عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ . وَقَوْلُهُ : «إِلَّا ثَلَاثِينَ»
بَدَلٌ مِنَ الدُّهَيْدِينَا . وَقُلِيصَاتٍ بَدَلٌ مِنْ ثَلَاثِينَ . انْتَهَى .

وَجَعَلُهُ قُلِيصَاتٍ بَدَلًا مِنَ الْبَدَلِ جَائِزٌ مَشْهُورٌ ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ بَدَلًا مِنَ
الدُّهَيْدِينَا لِأَنَّهُ لَمْ يُعَرَفْ تَعَدُّدُ الْبَدَلِ فِي غَيْرِ بَدَلِ الْبَدَاءِ ، كَمَا قَالَ
أَبُو حَيَّانَ وَابْنُ هِشَامٍ (فِي بَحْثِ إِذْ مِنْ الْمَغْنَى) .

وَكَذَا أَعْرَبَ شَيْخُنَا يَاسِينَ الْحَمَصِيُّ قَوْلَ ابْنِ مَالِكٍ أَوَّلَ الْأَلْفِيَةِ :

* أَحْمَدُ رَبِّي اللَّهُ خَيْرَ مَالِكٍ *

فَجَعَلَ خَيْرَ بَدَلًا مِنَ الْجَلَالَةِ لَا مِنَ الرَّبِّ ^(١) قَالَ : وَأَمَّا دَعْوَى
الدَّمَامِينِيِّ الْجَوَازَ ، أَخَذًا مِنْ كَلَامِ ابْنِ الْحَاجِبِ (فِي الْأَمَالِي) فَاسْتَبَاهُ ؛
لِأَنَّ ابْنَ الْحَاجِبِ قَالَ فِي الْكَلَامِ عَلَى آيَةِ غَافِرٍ : الْأَحْسَنُ أَنَّ ذِي
الطُّوْلِ ^(٢) بَدَلُ ثَانٍ مِنَ الْمَبْدَلِ الْأَوَّلِ . فَقَالَ الدَّمَامِينِيُّ : فِيهِ دَلِيلٌ بَيِّنٌ
عَلَى جَوَازِ تَعَدُّدِ الْمَبْدَلِ مِنْهُ . انْتَهَى .

وَابْنُ الْحَاجِبِ لَمْ يَقُلْ مِنَ الْمَبْدَلِ مِنْهُ ، بَلْ قَالَ مِنَ الْمَبْدَلِ ، يَعْنِي
الْبَدَلِ . انْتَهَى .

(١) ط : « رَب » ، وَأَثْبَتَ مَا فِي ش .

(٢) فِي الْآيَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ سُورَةِ غَافِرٍ .

وقوله: « يا وهب » هو اسم راعٍ يسقى الإبل . وأبيننا وأخينا كلاهما جمع آب وأخ . (وقليصات) بكسر الياء المشددة جمع مصغّر قلوبص ، وهى الناقة الشابّة . وقد روى بدل « شربت » : « رويت » ، و« نهلت » . وهذا الرجز مع كثرة الاستشهاد به لم يعرف قائله . والله أعلم .

* * *

وأشدد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد الخمسمائة^(١) :

٥٨٤ (ولى دُونَكُمْ أَهْلُونَ سَيِّدٌ عَمَلَسُ

وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جِيَالُ)

على أَنَّ أَهْلًا وَإِنْ كَانَ غَيْرَ عِلْمٍ لِمَذْكَرٍ عَاقِلٍ وَلَا صِفَةً لَهُ ، لَكِنَّهُ جَمْعُهُ هَذَا الْجَمْعُ لِتَنْزِيلِهِ هَذِهِ الْوَحُوشَ الثَّلَاثَةَ ، مَنْزِلَةَ الْأَهْلِ الْحَقِيقِيِّ . وكذلك ما بعده ، وهو :

(هُمُ الْأَهْلُ لَا مُسْتَوْدَعُ السَّرِّ ذَائِعٌ لِدَيْهِمْ وَلَا الْجَانِي بِمَا جَرَّ يُخَذَّلُ)
وقبلهما :

(لَعْمَرُكَ مَا بِالْأَرْضِ ضِيقٌ عَلَى أَمْرِي سَرَى رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا وَهُوَ يَعْقِلُ)

والأبيات من قصيدة الشنفرى ، المشهورة بلامية العرب ، وقد تقدم صاحب الشاهد شرح أبيات منها^(٢) .

وقوله: « لعمرك » الخ اللام لام الابتداء للتأكيد . وعمرك بفتح العين مبتدأ مضاف إلى الكاف ، وخبره محذوف تقديره : قسمي . والعمر ، بضم العين وفتحها : مدة الحياة ، خُصَّ المفتوح بالقسم . وقوله : « ما بال أرض »

(١) المنصف ٣ : ٦ ، والمحاسب ١ : ٢١٨ وابن يعيش ٥ : ٣١ . وهو البيت الخامس من لامية العرب للشنفرى .

(٢) انظر الخزانة ٣ : ٣٤٠ - ٣٤٤ .

ما نافية وبالأرض خبر مقدم ، وضيق مبتدأ مؤخر ، والجملة جواب القسم^(١) وجملة « سرى » إلخ صفة لامرئ . وراغباً : حال من ضمير سرى ، وجملة « وهو يعقل » حال ثانية . يعنى أن من فارق أهله وسافر رغبة في أمرٍ يطلبه ، أو خوفاً من شئٍ يجتنبه ، يرى سعةً في حاله إن كان ممن يعقل ، فإنه يدبر نفسه بعقله ، ولا يضيع في الغربة .

٤١١ وقوله : (ولى دولكم أهلون) الخ ، التفات من الغيبة إلى الخطاب ، خاطب به أهله . وأهلون مبتدأ ، ودونكم ظرف كان في الأصل صفة لأهلون فلما قدّم عليه صار حالاً منه . ودون هنا بمعنى غير ، ولى خبر مقدّم لأهلون . وقوله : (سيدٌ عملّس) خبر لمبتدأ محذوف ، أى هم سيد وأرقط وعرفاء . يقول : اتخذت هذه الوحوش أهلاً بدلاً منكم ، لأنها تحمينى من الأعداء ، ولا تخذلنى في حالة الضيق . وهذا تعريضٌ بعشيرته ، فى أنهم لا حماية لهم كهذه الحيوانات ، ولا غيرة لهم على من جاورهم فضلاً عن الحميم القريب ، مثل هذه الوحوش . والسيد ، بكسر السين المهملة : مشترك بين الأسد والذئب ، ومراده الثانى ، ولهذا عينه بالوصف . وكذلك فعل بأرقط وعرفاء . والعملّس ، بفتح العين المهملة والميم واللام المشددة ، القوى على السير السريع . وأرقط : مافيه نقط بياضٍ وسواد ، مشترك بين حيوانات ، منها النمر والحيّة . وأراد الأوّل ، ولهذا وصفه بزهلول بضم الزاى ، وهو الأملس ، وقيل الخفيف وهو من أوصاف النمر . والعرفاء : مؤنث الأعرف . قال صاحب العباب : يقال للضبع عرفاء لكثرة شعر رقبتها . وأنشد هذا البيت .

وقال الخطيب التبريزى (فى شرح القصيدة) : العرفاء : الضبع التى

(١) كلمة « القسم » ساقطة من ش .

تكون طويلة العُرف، ليست ههنا بنعت ، ولكنها في الأصل نعت ، فغلب
فصار بمنزلة الأسماء غير النعوت ^(١) حتى إنه يقال : « جاءتكُم العُرفاء »
فيفهم من هذا القول أَنَّ الضبع جاءت . وجيأل بفتح الجيم وسكون
المثناة التحتية بعدها همزة مفتوحة ، بدل من عرفاء . قال صاحب
العياب : جيأل على وزن فيعل : اسمٌ للضبع وهي معرفة بلا ألف ولام .
وأنشد هذا البيت .

وقوله : « هم الأهل » إلخ لما نزل هذه الوحوش منزلة الأهل ذكرهم
بضمير العقلاء ، وعرف الخبر لإفادة الحصر ، أى هم الأهل لا غيرهم .
وبين وجهه بقوله « لا مستودع السر » إلخ يعنى أَنَّ السر المستودع عندهم
غير ذائع بل مصون . « ولا الجاني بما جرَّ يُخذَل » عندهم ، بل يُحمى .
والجاني : الذى فعلَ جنائية من قتل أو نهب ونحوهما . وجرَّ : أى فعل
جريرة بفتح الجيم ، وهى التَّبعة والذَّنْب . ويُخذَل : يُترك نصره ، يقال
خذلتُه وخذلت عنه من باب قتل ، والاسم الخِذلان ، إذا تركت نصره
وإعانتَه وتأخَّرت عنه .

وقد تقدَّمت ترجمة الشنفرى ، وهو شاعرٌ لصُّ جاهلى ، فى الشاهد
السادس والعشرين بعد المائتين ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده :

* ولسكنى أريدُ به الذَّوينا *

تقدَّم شرحه مفصلاً فى الشاهد السادس عشر من أوائل الكتاب ^(٣) .

(١) حورت فى ش إلى « المنعوتة » ، والوجه ما فى ط .

(٢) الخزائن ٣ : ٣٤٣ - ٣٤٨ .

(٣) الخزائن ١ : ١٣٩ - ١٤٦ .

وَأَرَادَ بِالذَّوَيْنِ مَلُوكَ الْيَمَنِ ، كَذَى نُوَاسٍ ، وَذَى رُعَيْنَ ، وَذَى
أَصْبَحَ .

وهو عَجَزٌ وَصَدْرُهُ :

* فَلَا أَعْنَى بِذَلِكَ أَسْفَلِيكُمْ *

والمشار إليه بذلك ، هو الهجو .

* * *

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ . وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد الخمسمائة ^(١) :

٥٨٥ (دَرَانِي مِنْ نَجْدٍ فَإِنَّ سِنِينَهَ لَعَيْنٌ بَنَا شِيئاً وَشَيْئَنَا مُرْدَاً)

على أن نون الجمع الذي جاء على خلاف القياس قد يجعلُ مُعْتَقَبَ الإعراب ، أي محلَّ تعاقبه ، أي تجرى عليها الحركات واحداً بعد واحدٍ ، ولا تحذف للإضافة كما في قوله (سِينينه) ، فالتون لما جرى عليها ٤١٢
الإعراب لم تحذف مع إضافة الكلمة إلى ضمير نجد .

وفي كلامه شيئان : أحدهما أنه غيرُ خاصٍّ بالضرورة .

والثاني : أنه لا يجوز هذا فيما حقه هذا الجمع .

والأوّل موافقٌ لكلام أبي علي (في إيضاح الشعر) دون الثاني . قال

في باب ما جعلت فيه النون المفتوحة اللاحقةً بعد الواو والياء في الجمع
حرفَ إعراب ، بعد أن أنشد جميع الآيات الآتية :

اعلم أن هذه النون إذا جُعِلَتْ حرفَ الإعراب صارت ثابتة في
الكلمة فلم تُحذف في الإضافة ، كما لا تحذف نون فِرْسِينَ وَرَعَشَينَ

(١) معاني الفراء ٢ : ٩١ وأمالى ابن السجري ٢ : ٥٣ وابن يعيش ٥ : ١١ والعي
١٦٩ : ١ والتصريح ١ : ٧٧ والأشموني ١ : ٨٦ واللسان (سنة ٣٩٥) .

ونحوه وإن كانت زائدة ، ويكون حرف اللين قبلها الياء ولا يكون الواو ، لأنَّ الواو تدلُّ على إعراب بعينه ، فلم يَجْزُ ثباتها من حيث لم يَجْزُ ثباتُ إعرابين في الكلمة . فأمَّا من أجاز ثبات الواو في هذا الضرب من الجمع وزعم أنَّ ذلك يجوز فيه قياساً على قولهم زيتون ، فقوله بعيد^(١) من جهة القياس ، مع أننا لا نعلمه جاء في شيء منهم . وذلك أنَّ هذه الواو لم تكن قطُّ إعراباً كما في مسلمون . وعلى ما ذهب إليه جاء التنزيل : ﴿ في عِلِّيِّين^(٢) ﴾ . انتهى .

وما ذهب إليه الشارح المحقق هو ظاهر كلام الفراء عند تفسير قوله تعالى : ﴿ الذين جعلوا القرآنَ عُضِينَ^(٣) ﴾ قال : العضون في كلام العرب : السحر . ويقال عضوه أى فرقوه كما تُعَضَّى الشاة والجذور ، وواحد العضون عِضَّة ، ورفعها عضون ، ونصبها وخفضها عُضِينَ . ومن العرب من يجعلها بالياء على كلِّ حالٍ ويُعرب نونها ، فيقال هذه عُضِينُك ومررت بِعُضِينِكَ وسنينك . وهى كثيرةٌ فى أسد وتيم وعامر ، أنشدني بعضهم من بنى عامر :

ذرائى من نجدٍ فإنَّ سنينه ... البيت

ثم قال بعد أبيات مثلها : وإنما جاز ذلك في هذا المنقوص الذى كان على ثلاثة أحرف فنقصت لاه ، فلما جمعه بالنون وتوهَّما أنَّه فِعُولٌ إذ جاءت الواو وهى واو جمع ، ف وقعت في موقع الناقص ، فتوهَّما أنَّها الواو الأصلية وأنَّ الحرف على فِعُول . ألا ترى أنَّهم لا يقولون ذلك

(١) ط : « يبعد » ، وأثبت ما في ش .

(٢) من الآية ١٨ في سورة المطففين . ونصها : « لى عليين » ، وحذف هذه الأحرف عند الاقتباس من القرآن جائز . انظر ما كتبت في حواشى الحيوان ٤ : ٥٧ وتحقيق النصوص ٤٩ .

(٣) الآية ٩١ من سورة الحجر .

في الصالحين والمسلمين وما أشبهه . وما كان من حرفٍ نقص من أوله ، مثل زنة ودية ولِدة ، فإنه لا يقاس على هذا . فما كان منه مؤنثاً أو مذكراً فاجره على التمام مثل الصالحين . انتهى كلامه .

وكذلك قال ابنُ الشجرى (في أماليه) قال : ومنهم من جعل النون في جمع سنة حرف الإعراب وألزمها الياء وأثبت النون في الإضافة ، ورفعها وخفّضها ونوّنُها ، تشبيهاً لها بنون غسيلين ، فقالوا : أقمّت عنده سنيّاً ، وعجبت من سنيّن زيد ، وأعجبتني سنيئك . وأنشد البيت .

وهذا مخالف لصنيع ابن جنى (في سر الصناعة) فإنه خصّه بالضرورة وجوّزه في الجمع الحقيقي .

وتبعه ابن عصفور في (كتاب الضرائر) قال : ومن العرب من يجعل الإعراب في النون من جمع المذكر السالم . وذلك كلّهُ لا يحفظ إلّا في الشعر ، نحو قول الفرزدق :

ماسدٌ حيٌّ ولا ميتٌ مسدّهما إلّا الخلائفُ من بعد النّبيّين^(١)

وقوله :

وإنّ أتمّ ثمانيناً رأيتَ له شخصاً ضئيلاً وكلّ السَّمْعُ والبصرُ

وقوله :

وأنّ لنا أبا حسنٍ عليّاً أبٌ برٌّ ونحن له بنين^(٢) ٤١٣

(١) الكامل ٢٩٢ ، وابن يعيش ٥ : ١٤ ، والهمع ١ : ٤٩ . وليس في ديوان الفرزدق .

(٢) لسعيد بن قيس الهمداني كما سيأتى في الشاهد ٥٨٨ . و « أن » تقرأ بفتح الهمزة ، كما سيأتى .

وقوله :

وماذا يدري الشعراء مني البيت^(١)

ووجه ذلك إجراء جمع السلامة وما يجري مجراه مجرى المفرد :
ولذلك ثبتت النون في حال الإضافة ، كقوله :

ولقد ولدتَ بنينَ صدق سادةً ولأنتَ بعد الله كنتَ السيدا^(٢)
وقول الآخر^(٣) :

سنيي كلها لاقيتُ حرباً أعدُّ مع الصلادة الذكور
وقوله :

ذرائي من نجد فإن سنييه ... البيت . انتهى

ومن إعراب الجمع بالحركة قولُ الشاعر :

ربَّ حيٍّ عَرَنَدَسْ ذِي طَلَالٍ لا يزالون ضاربين القِبابِ^(٤)

فضاربين منصوبٌ بالفتحة على أنه خبر يزالون ، وهو مضاف
للقباب . والحيّ : القبيلة . والعرنَدَسْ ، كسفرجل : الشديد . والطلال
بفتح المهملة : الحالة الحسنّة ، والهيئة الجميلة .

(١) لسحيم بن وثيل الرياحي في الأسميات ١٩ . وعجزه :

* وقد جاوزت حد الأربعين *

(٢) ابن يميّش : ١٢ .

(٣) هو قطيب بن سنان الهجيمي . وانظر نوادر أبي زيد ١٦٢ ، ومجالس ثعلب ٣٢١ ،
وابن يميّش : ١٢ .

(٤) ش : « القبابا » ، تحريف . وانظر المغني ٦٤٣ والعيني ١ : ١٧٦ والمجمع ١ : ٤٧
والتصريح ١ : ١٧ والأشون ١ : ٨٧ والمجمع ١ : ٦١

ومثله قول الزمخشري (في المفصل) : وقد يجعل إعراب ما يجمع
بالواو والنون في النون ، وأكثر ما يجيء ذلك في الشعر ، ويلزم الياء
إذ ذلك ، قالوا : أنت عليه سنين . وقال الشاعر :

دعاني من نجد فإن سنينه . . . البيت

وقال سحيم :

وماذا تدري الشعراء مني ... البيت . انتهى .

قال شارحه ابن يعيش : اعلم أنَّ من العرب من يجعل إعراب
هذا الجمع في النون بشرط أن يلحقه نقص كسنيين . والشيخ قد أطلق
هنا ، والحق ما ذكرته . انتهى .

والبيت من قصيدة للصَّمة بن عبد الله القُشَيْرِي ، وبعده :

صاحب الشاهد

(لحا الله نجداً كيف يترك ذا الندى

أبيات الشاهد

بخيلاً وحرَّ الناس تحسُّبه عبداً^(١)

على أنَّ نجداً قد كسائي حُلَّةً

إذا مارآني جاهلٌ ظنَّني عبداً

سواداً وأخلاقاً من الصُّوف بعدما

أُراني بنجسٍ ناعماً لابساً بُرداً

على أنَّه قد كان للعين قُرَّةً

وللبيض والفتيان منزله حمداً

سقى الله نجداً من ربيع وصيف

وجنودٍ وتُشكاب سقى مزنه نجداً)

قال ابن هشام (في شرح الشواهد) : وكان من خبره ، أى الصمة ، أنه خطب ابنة عمه ، فاشتطَّ عمه في المهر عليه ، وبخل عليه أبوه بالجمال ، فزوّجت من غيره ، فغضب من عمه وأبيه ، وخرج إلى طبرستان ، وهى مقرُّ الديلم ، فأقام به ^(١) مدّة حياته إلى أن مات فيها . فلهذا تارة يحنُّ إلى نجد ، وتارة يذمه . انتهى .

وقوله : (ذرائع من نجد) ويروى أيضاً : (دعائى من نجد) وهما بمعنى ، أى اتركاني من ذكر نجد . ونجد من بلاد العرب . وهو خلاف الغور . والغور هو تهامة . وكلُّ ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق فهو نجد . وهو مذكّر ، كذا في الصحاح .

والسنين : جمع سنة ، وهى هنا إمّا بمعنى العام وإمّا بمعنى القحط . ويقال : أرض بنى فلان سنة ، إذا كانت مجذبة . (وشيئاً) حال من نا فى « بنا » ، وهو بالكسر جمع أشيب : وهو الذى ابيضَّ شعره . (ومرداً) : حال أيضاً من نا فى شيبنا ، وهو جمعُ أمرَد وهو الذى لا شعر بعارضيه .

وقوله : « لعا الله نجداً » إلخ فى الصحاح لحاه الله ، أى قبّحه ولعنه . ٤١٤ والنّدى : الجود . وروى بدله : « الغنى » . « وحرّ » معطوف على ذا الندى ، وجملة تحسبه فى موضع المفعول الثانى . وهذا البيت تعريضٌ بأبيه وعمه .

ونقل ابن المستوفى عن ثعلب ، أن المراد من هذا البيت أن عيش نجدٍ عيشٌ شديد ، لا بدّ أن يقوم بالمال فيه وإلّا ضاع . ونقل عن ابن الأعرابي أيضاً أنه ذمَّ نجداً ليشنائه وقبظه . وهذا إنّما يصحُّ مع قطع النظر عن

(١) الوجه « بها » ، كما عند الميث .

سَبَب الشعر . ونقل أيضاً عن أبي زيد البيهقي المذكورين ، وأَنَّهُ قال :
ذمَّ نجدًا لشدة شتائه وقبظه .

ولم أَر في ديوان أبي زيد ^(١) إلا البيتَ الشاهد غير مشروح بهذا الشرح ،
ونقله أبو علي عن أبي زيد (في التذكرة القصيرية) ثم قال : [قال ^(٢)]
ابن الهيصم ، هذا الشيخُ الكوفيُّ الذي يجلس إلى أبي حاتم : قال :
أنشدني أعرابيُّ بالشام هذا البيت وقبله بيتاً آخر ، وهو :

(لما الله نجدًا كيف يتركُ ذا الغنى فقيراً وحرَّ القومَ تحسُّبه عبداً)

وهذا إنشاد طريف ^(٣) . وسمعت أيضاً هذا البيت بقصر ابنِ هُبيرة
من أعرابيٍّ . انتهى .

وكأنه لم يقف على هذه القصيدة ولا على شيء من خبرها .

وقوله : « على أَن نجدًا » إلخ ، على هنا للاستدراك والإضراب ، وكذلك
« على » الآتية . يريد أَنَّهُ لما تغرَّبَ وفارق نجدًا افتقر ، ولبسَ الثيابَ
الأخلاقَ السودَ من الصوف ^(٤) . وناعماً : متنعماً مترفهاً .

وقوله : « وللبيض والفتيان » الجارَّ والمجرور خبر مقدم ، ومنزله
مبتدأ مؤخر ، وهو مضاف لضمير نجد . والبيض : النساءُ الحسنات .
والفتيان : جمع الفتى ، وهو الشابُّ . والحمد هنا بمعنى المحمود . وهذا
تشويقٌ منه إلى وطنه وتحزُّنٌ على مفارقتِهِ منه . ثم دعا له على طريقة

(١) قد يكون عن نوادر أبي زيد . على أن الشاهد لم يرد في نوادر أبي زيد .

(٢) الكلمة من ش .

(٣) ط : « طريف » ، وأثبت ما في ش مع أثر تغيير .

(٤) كلمة « من » ساقطة من ش .

العرب بقوله : « سقى الله نجداً » إلخ ، وقوله : « من ربيع » أى من مطر ربيع ، وجود معطوف عليه ، وهو بفتح الجيم : المطر الغزير . والمزن : السحاب . والصمة شاعر إسلامي في الدولة المروانية ، وهو بدوي ، ولجده مرة بن هبيرة صحبة مع النبي صلى الله عليه وسلم . وتقدم الكلام عليه وعلى نسبه في الشاهد الخامس والستين بعد المائة ^(١) .

وذكره الآمدي (في المؤلف والمختلف) فقال : هو الصمة بن عبد الله من اسم الصمة إلى آخر نسبه ، ثم أورد له ثلاثة أبيات من شعره ، وأورد صمتين من الشعراء لبني جشم : أحدهما صمة الأكبر ، وهو مالك بن الحارث . وثانيهما : صمة الأصغر ، وهو معاوية بن الحارث ، أخو مالك بن الحارث ابن الصمة الأكبر . وهذا الأصغر هو أبو دريد بن الصمة ، وكلاهما شاعر فارس جاهلي .

والصمة بالكسر للصاد المهمله وتشديد الميم .

وقد أورد ابن الأعرابي (في نوادره) البيت الشاهد فقط ، ونسبه إلى محجن بن مزاحم الغنوي . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد الخمسة ^(٢) :

٥٨٦ (وماذا يدري الشعراء مني وقد جاوزت حد الأربعين)

لما تقدم قبله من أنه معرب بالحركة على النون .

قال المبرد (في الكامل) عند قول الفرزدق :

(١) الخزانة ٣ : ٦٢ .

(٢) ابن سلام ٥٩ ، والمقتضب ٣ : ٤/٣٣٢ ، والكامل ٢٩٣ وابن عيش ٥ : ١١ ، ١٣ ، والغني ١ : ١٩١ والتصريح ١ : ٧٧ ٧٩ والجمع ١ : ٤٩ والأشوفي ١ : ٨٩ والأصمعيات ١٩ .

إِنِّي لَبَاكَ عَلَى ابْنِي يُوسُفَ جَزَعًا ومثلُ فقدَهما للدين يُبْكِينِي
ما سَدَّ حَيًّا وَلَا مَيِّتًا مَسَدَّهُمَا إِلَّا الْخَلَائِفُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّينَ ^(١)

٤١٥ وابنا يوسف هما محمد أخو الحجاج السفّاك ، ومحمد ابنه ، فإنّه جاءه نعى أخيه يوم مات ابنه .

قال : أمّا قوله : « من بعد النبيين » فخفض هذه النون وهى نون الجمع ، وإنّما فعل ذلك لأنّه جعل الإعراب فيها لا فيما قبلها ، وجعل هذا الجمع كسائر الجمع ، نحو أَفْلُسٍ ومَسَاجِدَ وكَلَابٍ ، فإنّ إعراب هذا كإعراب الواحد . وإنّما جاز ذلك لأنّ الجمع يكون على أبنية شتّى ، وإنّما تلحق منه منهاج التثنية ^(٢) ما كان على حدّ التثنية ، لا يكسر الواحد عن بنائه ^(٣) ، وإلا فإنّ الجمع كالواحد لاختلاف معانيه ، كما تختلف معانى الواحد ، والتثنية ليست كذلك ، لأنّها ضرب واحد لا يكون اثنان أكثر من اثنين عدداً كما يكون الجمع أكثر من الجمع .

فمّا جاء على هذا المذهب قولهم : هذه سنين فاعلم ، وهذه عشرين فاعلم ، قال العدوّانى ^(٤) :

إِنِّي أَبِيُّ أَبِيُّ ذُو مَحَافِظَةٍ وابن أَبِيُّ أَبِيُّ مِنْ أَبِيِّينِ
وَأَنْتُمْ مَعْشَرُ زَيْدٍ عَلَى مِائَةٍ فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ كَلًّا فَكِيدُونِي ^(٥)
وقال سُحَيْمُ بْنُ وَثِيلٍ :

(١) رواية الكامل : « بعد النبيين » بالهمز .

(٢) الكامل : « وإنّما يلحق منه بمنهاج التثنية » .

(٣) ش : « على بنائه » ، صوابه فى ط والكامل .

(٤) ذو الإصبع . وانظر المفضليات ١٦٠ ، ١٦٣ .

(٥) الذى فى الكامل والمفضليات : « طرا فكيدونى » .

(وماذا يَدْرِي الشُّعْرَاءُ مِنِّي وقد جاوزتُ رَأْسَ الأَرْبَعِينَ
أَخُو خَمْسِينَ مَجْتَمِعُ أَشَدِّي ونَجَدْنِي مَدَاوِرَةَ الشُّثُونِ)

وفي كتاب الله [تعالى ^(١)] : ﴿ إِلَّا مِنْ غَسْلَيْنِ ^(٢) ﴾ . فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : فَإِنْ غَسْلَيْنِ وَاحِدٍ . فْجَوَابُهُ أَنَّ كُلَّ مَا كَانَ عَلَى بِنَاءِ الْجَمْعِ فَأِعْرَابُهُ إِعْرَابُ الْجَمْعِ .
أَلَا تَرَى أَنَّ عَشْرِينَ لَيْسَ لَهَا وَاحِدٌ مِنْ لَفْظِهَا ، فَأِعْرَابُهَا ^(٣) كإِعْرَابِ مُسْلِمِينَ ،
ووَاحِدُهُمْ مُسْلِمٌ . وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الإِعْرَابِ .

ويقولون : هذه فِلَسْطُونُ يَافَتَى ، ورَأَيْتَ فِلَسْطِينَ يَافَتَى ، وهذا القولُ
الأَجُودُ . وكذلك يَبْرِينُ وَيَبْرُونُ يَافَتَى . وكلُّ مَا أَشْبَهَ هَذَا فَهُوَ بِمَنْزِلَتِهِ ،
تَقُولُ : هذه قَنْسَرُونَ ، ورَأَيْتَ قَنْسَرِينَ . والأَجُودُ فِي هَذَا الْبَيْتِ :

وشَاهَدُنَا الْجُلُّ وَالْيَاسَمُو نَ وَالمُسْمِعَاتُ بِقَصَابِهَا ^(٤)

وفي القرآن ما يَصْدُقُ ذَلِكَ ، قول الله عز وجل : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ
الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ^(٥) ﴾ . انتهى .

وذهب ابن جنى إلى أَنَّ تِلْكَ الْكِسْرَةُ لِلزُّرُورَةِ ، وَالإِعْرَابُ إِنَّمَا هُوَ
بِالْيَاءِ . قَالَ (فِي سِرِّ الصَّنَاعَةِ) : فَأَمَّا قَوْلُ سُحَيْمِ بْنِ وَثِيلٍ :

* وَقَدْ جَاوَزْتُ حَدَّ الأَرْبَعِينَ *

فليست النون حرف إعراب ، ولا الكسرة فيها علامة جر الاسم ،

(١) هذه من ش . وفي الكامل : « عز وجل » .

(٢) من الآية ٣٦ من الحاقة .

(٣) في الكامل : « وإعرابها » .

(٤) للأعشى في ديوانه ١٢١ والسان (قصب ١٦٩ جلد ١٢٨) .

(٥) الآية ١٨ ، ١٩ من سورة المطففين .

وإنَّما هي حركةُ التقاء الساكنين ، وهما الياء والنون ، وكسرت على أصل حركة التقاء الساكنين ، ولم يفتح كما يفتح ^(١) نون الجمع ، لأنَّ الشاعر اضطرَّ إلى ذلك لثلاً تختلف حركة الروى في سائر الأبيات . ويدلك على أنَّ الحركة التي هي الكسرة ليست جرّاً قولُ الشاعر :

* وابنُ أبي أبي من أبيين *

فأبيون جمع أبي ، مثل ظريفون من ظريف . فكما لا شك ^(٢) أنَّ كسر نون أبيين إنما هي لالتقاء الساكنين ، لأنَّه جمع تصحيح ، فكذلك ينبغي أن تكون كسرة نون الأربعين . وكذلك قول الفرزدق :

* إلّا الخلائف من بعد النبين *

وهذا أيضاً جمع نبي على الصحة لا محالة ، فكسرة نون الجمع في هذه الأشياء ضرورة ، وأجريت في ذلك مجرى نون التثنية . انتهى .

وكذلك قال (في إعراب الحماسة) ، عند قول الشاعر ^(٣) :

أقول لما أرى كعباً ولحيته لا بارك الله في بضع وستين ^(٤) ٤١٦
من السنين تملأها بلا حسب ولا حياء ولا عقل ولا دين

قال : كان أبو العباس يذهب في قول سُحيم :

* وقد جاوزت حدَّ الأربعين *

إلى أنه أخرجه على أصل التقاء الساكنين ، وهو الكسرة ضرورة . ويؤكد ذلك ههنا أيضاً قوله بعده : « من السنين » فجاء بمن المرادة في

(١) ش : « كما تفتح » .

(٢) ش : « كما لا شك » .

(٣) الشاعر مجهول . وانظر إعراب الحماسة لابن جني الورقة ٢١٤ - ٢١٥ .

(٤) في الحماسة وإعراب الحماسة : « أقول حين أرى » . وش : « أقول أنى » .

جميع التفاسير من أحد عشر إلى تسعة وتسعين . ألا ترى أنَّ أصل حركة عشرين درهماً^(١) إنَّما هو عشرون من الدراهم ، فمجيئه بالتمييز على أصله يؤنسك بأنَّ كسر نون السنين من قبلها هو أيضاً خروجٌ فيها عن الأصل^(٢) ، غير أنَّ النون في السنين الثانية مفتوحة على الاستعمال ولم يضطر إلى كسرها ، كما يضطرُّ في القافية قبلها^(٣) . انتهى .

وأراد بآبي العباس المبرِّد ، وقد نقلنا كلامه ، وليس فيه مانقله عنه ، وكلامه بعده غير واضح . انتهى أيضاً فتأمَّله .

وسحيم بن وثيل شاعرٌ إسلامي ، تقدَّمت ترجمته في الشاهد الثامن والثلاثين من أوائل الكتاب^(٤) مع شرح عدَّة أبياتٍ من هذه القصيدة . وهذا البيت قبلَ البيتين اللذين أوردتهما المبرد :

(عذرتُ البُزْلَ إنَّ هـي خاطرتني فما بالي وبألَّ ابنتي لبون)

البُزْل : جمع بازل ، وهو المسنُّ من الإبل . وضربه مثلاً . يقول :
عذرت المسانَّ من الشعراء إذا تعرَّضُوا لي وهاجوني ، فكيف
بغلامين حديشين ؟ ! يعنى الأبيرد^(٥) والأخوص^(٦) ، وكانا تعرَّضا له .

(١) في إعراب الحماسة : « أن أصل عشرين درهماً » .

(٢) إعراب الحماسة : « على الأصل » .

(٣) إعراب الحماسة : « ولم يضطر في كسرها كما اضطر في القافية قبلها » .

(٤) الخزائن ١ : ٢٥٥ - ٢٧٠ .

(٥) ط : « الأبرد » ، صوابه في ش والأصميات والأغاني ١٠ : ١٣ : ١٧ . والأبيرد ، بهيئة التصغير ، وهو الأبيرد بن المذر بن قيس بن عتاب بن هرمي بن رياح بن يربوع بن حنظلة . الأغاني والمؤتلف ٢٤ .

(٦) الأخوص هذا بالخاء المعجمة كما في ش . وجاء في ط « الأخوص » بجاء مهملة خطأ . والأخوص لقب له ، واسمه زيد بن عمرو بن قيس بن عتاب بن هرمي بن رياح بن يربوع . وقد سبقت ترجمته في ٤ : ١٦٤ .

وقوله : (وماذا يَدْرِي الشعراءُ) إلخ ، يَدْرِي بالذال المهملة ، يقال أدراه يَدْرِيه ، إذا ختله وخدعه . يقول : كيف يطمع الشعراءُ في خديعتي وقد جاوزت أربعين سنة وقاربت الخمسين ، وقد اجتمع أشدِّي وجَرَّبْتُ وعرفت الخديعة والمكر ، فلا يتم على شيء . و «الشئون» : جمع شأن . ومداورتها : التقلب فيها والتصرف . و«نَجَّدُ» بالذال المعجمة ، أى أحكم ، يقال رجل منجَّدٌ ، إذا كان قد جَرَّبَ الأمور ، ونَجَّدته الأمورُ ، إذا أحكمته ، كما يقال حنَّكته التجارب . والناجد : آخر الأضراس ، ويقال له ضرس الحُلم . ومن ذلك قولهم : ضحك حتى بدت نواجذه .

واجتماع الأشدُّ عبارة عن كمال القُوَى وتمازج العقل .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد الخمسمائة ^(١) :

(غِراثُ الوُشَحِ صامِتَةُ البُرَيْنِ) ٥٨٧

لما تقدَّم قبله ، من أنَّه معرب بالحركة على النون .

وهو جمع بُرة بضم الباء ، قال فى الصحاح : كلُّ حلقةٍ من سِوار وقُرط ، وخلخال ، وما أشبهها بُرة . قال :

* وقعقعن الخلاخلَ والبُرينا ^(٢) *

والبُرة أيضاً : حلقة من صُفَر تجعل فى لحم أنف البعير . وقال الأصمعى : تُجعل فى أحد جانبي المنخرين . قال : وربما كانت البرة من شعر ، فهى الخزامة .

(١) ديوان الطرماح ١٧٧ .

(٢) ش : « والبُرَيْن » ، صوابه فى الصحاح واللسان (برا) .

قال أبو علي : أصل البرة بَرَوَة لَأَنَّهَا جمعت على بُرَى مثل قرية وُقُرَى ، ويجمع بُراتٍ وبُرين . انتهى .

والصواب أَنَّ أصلها بَرَوَة بضم الباء لا بفتحتها ، نحو غرفة وغرف ، وخُصْلَة وخُصِّل .

وهذا المصراع عجزٌ ، وصدره :

(حسانُ مواضعِ الثُّقَبِ الأعلى)

وقد أورده أبو علي (في كتاب الشعر) مع أبياتٍ أخر على طرز ٤١٧
الْبُرَيْنِ ، من قصيدة هذا البيتٍ وغيرها ، ثم قال : وقد كثر هذا
الضرب من الجمع ، حتَّى لو جُعِلَ قياساً مستمراً كان مذهباً . انتهى .

والبيت من قصيدة للطَّرْمَاح ، عدَّتْها سبعون بيتاً كلَّها غزلٌ ونسيب . صاحب الشاهد
وقبله :

(ظعائنُ كنتُ أعهدُهُنَّ قِدماً وهنَّ لدى الأمانةِ غيرُ خُونِ)

وبعده :

(طِوالٌ مثل أعناقِ الهوادي نواعمُ بين أبكارٍ وعُونِ^(١))

والظعائن : جمع ظعينة ، وهى المرأة مادامت فى الهودج . والعهد :
الحفظ بالبال . وقِدماً بكسر القاف وسكون الدال ، قال فى الصحاح :
يقال قِدماً كان كذا وكذا ، وهو اسم من القِدم جُعل اسماً من أسماء
الزمان . وخُونٌ : جمع خائنة . وجملة « وهنَّ لدى الأمانة » إلخ حال
من مفعول أعهدهنَّ .

(١) فى الديوان : « مشك أعناق الهوادي » ، وصوابها جيماً « مثل » بالميم المكسورة بعدها
تاء مثناة فوقية فلام مشددة . وانظر ما سيأتى من تحقيق .

وقوله : « حِسَانُ مواضع » إلخ ، جمع امرأة حَسَنَة بمعنى حسناء . والنَّقَب ، بضم ففتح : جمع نُقْبَة بسكون الشا ئى ، هو اللون والوجه . كذا فى الصحاح ^(١) . وأراد بالأعلى ما يظهر للشمس من الوجه والعنق وأطرافه فإنَّها مع ظهورها للشمس والهواء والحرَّ والبرد ، إذا كانت فى غاية الحسن والصفاء ونهاية اللُّطف ، فغيرها يكون أحسن . وغَرَاث : جمع غَرَثان ، بمعنى الجوعان ، وأراد لازِمَه وهو الهزيل ، اللازم من الجوع . والوُشَح بالضم : جمع وِشاح بالكسر والضم ، وهو شئٌ ينسج عريضاً من أديم ويرصَّع بالجواهر ، وتشدُّ المرأة بين عاتقَيْها وكشحيها . قال فى الصحاح : وامرأة غرثى الوشاح ، أى دقيقة الخصر لا يملأُ وشاحها ، فكأنَّه غَرَثان .

وصامته أى ساكنة . وسكوت البرة كناية عن امتلاء ساقِيها لحمًا ، بحيث لا يتحرَّك لىسمع له صوت . والبرة هنا : الخلخال .

وقوله : « طوال مثل » إلخ ، هو جمع طويل وطويلة . والمثل ^(٢) : الشَّبه . أراد تشبيه أعناقهنَّ بأعناق الطِّباء . ورواه المولى خُسرو (فى حاشيته على البيضاوى) بفتح الميم والشين المعجمة وتشديد اللام ، على إضافة طِوال إليه . قال : والمثَلْ : مَفْعَل من شللت الثوب ، أى خِطته ، والمراد به مايستر الأعناق . هذا كلامه ، وتبعه خَضْرُ الموصلى (فى شرح شواهد

(١) تفسير الجوهري هذا لا علاقة له بالبيت ، وإنما هو تفسير عام . ولا يصح هنا . وأراه يعنى بمواضع النقب ما يقابل الوشح والبرين فى عجز البيت ، أى ما يلقى عليه النقاب والوشاح والبرة . فالنقب : هنا بضمين جمع نقاب ، وهو قناع المرأة تنتقب به ، ولكن هكذا قيده البغدادى وفسره بهذا القيد .

(٢) ش : « ومثل » .

التفسيرين) ، ولا يخفى أن هذا تعسفٌ من تصحيف^(١) . والهوادي :
الطُّبَاءُ وبقر الوحش المتقدِّمة . والنواعم : جمع ناعمة ، وهي اللينة في
اللِّمَس . والعُون : جمع عَوَان ، قال الجوهري : العَوَان : النَّصْفُ في سَنِّهَا
من كل شيء ، أي المتوسطة .

وقد أورد هذا البيت (في التفسيرين) شاهداً على أَنَّ العَوَان في قوله
تعالى : ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾^(٢) بمعنى النَّصْفِ ، بينَ الحديثة والمسنَّة . قال
خضر الموصلي : وتوقَّف بعضهم في الاستشهاد ، لأنَّ بين يوصف بها
الوسط وتضاف إلى متعدِّدٍ ، هما الطرفانِ لذلك الوسط ، وفي البيت
الموصوفُ ببينَ هو النواعم ، والمتعدِّد الذي أُضيفت هي إليه الأَبْكَارُ والعُونُ
فلزم^(٣) أَنَّ يكونا طَرَفًا ، والنواعمُ وسطاً ، فلم يدلَّ على أَنَّ العَوَان النَّصْفُ ،
بل على ضده وهو الطَّرَفُ .

وأجاب عنه بعض الفضلاء بأنَّ بين هنا مستعملةٌ للتنويع ، كما يقال :
مركوبُ فلان ما بين البغل والفرس ، أي مركوبه نوعان : بغل وفرس ،
فيكون المعنى أَنَّ الممدوحاتِ نواعمُ بعضها أَبْكَارٌ وبعضها عُونٌ . ولا شكَّ ٤١٨

(١) أقول : هاتان الصورتان « مثل » و « مثل » والصورة الثالثة التي وردت في الديوان
« مثك » من السير قبولها . والذي أرى أن توجه إليه الرواية والتفسير هو « طوال مثل » بكسر
الميم بعدها تاء مشناة فوقية كما أسلفت في الحاشية رقم (١) وبإضافة طوال إلى « مثل » . ونظيره
من الشعر القديم قول عمرو بن عمار الهذلي ، وأنشده سيويوه في كتابه ١ : ٨١ بولاق و ١٦٢ :
من نسختي :

طويل مثل العنق أشرف كاهلاً
أشقى رحيب الجسوف معتدل الجرم
قال ابن منظور : « عني ما انتصب منه » . وقال الشنتمري بعد أن ذكر أن البيت في وصف
فرس : « والمثل : العنق الطويل ، الغليظ المفروز . وأضافه إلى العنق لتبيين نوع المثل ، فكأنه
قال : طويل الشيء المثل الذي هو العنق » .

(٢) من الآية ٦٨ من سورة البقرة .

(٣) ش : « فلزما » ، والوجه ما أثبت من ط .

أَنَّهَا هِيَ المتوسّطات في السَّنِّ ، وأما الصُّغَارُ الالاقِي في سَنِّ الطُّفُولِيَّةِ فلا يميل الطَّبْعُ إِلَيْهِنَّ ، وكذا المَسْنَنَاتُ . فالتوسُّطُ معلومٌ من المقامِ .

أقول : إِنَّمَا يَتِمُّ الجوابُ أَنَّ لو استعملَ بين التّينِ للتَّنويعِ بغيرِ ما ، والاستعمالُ يشهدُ أَنَّهُ لا بَدَّ مِنْهَا ، فيقالُ مَرَكُوبُ فلانَ مابِينِ بَغْلٍ وفَرَسٍ ، وثِيابِهِ مابِينِ خَزٍّ وحَرِيرٍ ، ولا يقالُ بَيْنَ ، كما صرَّحَ بِهِ النحاسُ . انتهى .

الطرمّاح بن حكيم والطرمّاحُ هو الطَّرِمّاحُ بن حَكِيمِ الطائِي ، شاعرٌ إسلاميٌّ في الدولة المروانيّة ، ومولده ومنشؤه بالشام ، ثم انتقل إلى الكوفة مع مَنْ وردّها من جيوش أهل الشام ، فاعتقد مذهب الشُّراةِ الأزارقة ، وذلكُ إِنَّهُ لما قدمها نزل على تَيْمِ اللاتِ بن ثعلبة ، وفيهم شيخٌ من الشُّراةِ له سِمَةٌ وهيئةٌ ، فكان يجالسُهُ ويسمعُ منه ، فدعاه إلى مذهبه فقبله منه ، واعتقدَهُ أَشَدَّ اعتقادٍ حتّى مات عليه .

قال ابن قتيبة ^(١) : كان الكميّ بن زيد صديقاً للطرمّاح لا يتفارقان في حال من الأحوال ، فقليل للكميّ : لأشياء أعجبُ من صفاء ما بينكما على تباعد ما بينكما من النسب والمذهب والبلاد ، وهو شائٍ قحطانيٌّ خارجيٌّ ، وأنت كوفيٌّ نزاريٌّ شيعيّ ^(٢) ، فكيف اتفقنا مع تباين المذهب وشدة العصبية ؟ ! فقال : اتفقنا على بُغْضِ العامّةِ .

والطَّرِمّاحُ بكسر الطاء والراء المهملتين وتشديد الميم ، وآخره حاءٌ مهملةٌ ووزنةٌ فيعْمَالُ ، فالميم زائدة ^(٣) .

(١) لم أجد النصّ التّالي في الشعر والشعراء ، فلملّه من كتاب له آخر .

(٢) ط : « وأنت نزارى كوفى شيعى » .

(٣) أقول : مع زيادة الميم لم لا يكون وزنه فعلا ؟ من قولهم : طرمح البناء وغيره :

علاه ورفقه .

ولم نذكر بقية نسبه لأنَّ في ألفاظها غرابية وغموضاً يحتاج إلى ضبط يطول به الكلام ، ولا فائدة فيه .

والشُّرَاة بضم الشين : الخوارج ، الواحد شارٌ ، كقضاة جمع قاض ، سَمُّوا بذلك لقولهم : إِنَّا شَرَيْنَا أَنفُسَنَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، أى بعناها بالجنة ، حين فارقنا الأئمةَ الجائرة . يقال منه تَشَرَّى الرجل . كذا في الصحاح .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد الخمسائة ^(١) :

٥٨٨ (وَأَنَّ لَنَا أَبَا حَسَنَ عَلِيًّا أَبُ بَرٍّ وَنَحْنُ لَهُ بَنِينَ)

لما تقدّم قبله ، فإنه رفع (بنينٌ) بالضمّة على النون مع لزوم الياء .

وأورده ابن عصفور (في كتاب الضرائر) وقال : إِنَّهُ ضَرُورَةٌ لِيُحْفَظَ إِلَّا فِي الشَّعْرِ .

وجعله خطأ أبو العباس المبرد (في كتاب الروضة) ، وخطأ قول أبي نواس :

شَمُولٌ تَخْطَأُهَا الْمَنُونُ فَقَدْ أَتَتْ سَنِينَ لَهَا فِي دَنِّهَا وَسَنِينَ ^(٢)

ولحنه في قوله بعد هذا :

* تَخْيِرُهَا بَعْدَ الْبَنِينَ بَنُونَ ^(٣) *

(١) الضرائر ٢١٩ المعنى ١ : ١٥٦ ، والتصريح ١ : ٧٧ .

(٢) ديوان أبي نواس ٣٣٨ من قصيدة مطلعها :

لَمَنْ طَلَلْ عَارَى الْحَمْلَ دَفِين عَفَا عَهْدَهُ إِلَّا خِوَالِدُ جُؤُونَ

(٣) البيت بتمامه في الديوان :

تراث أناس من أناس تخرموا توارثها بعد البنين بنون

لأنَّه جمع في الكلمة إعرابين: إعراباً بالحرف ، وإعراباً بالحركة .
وهو غير مسموع في كلام العرب .

وتقدّم الكلام على مثله قريباً ، وهو قوله :

ذرائي من نجد فإنّ سنينه . . . البيت

وقوله : (وأنّ لنا) بفتح الهمزة ، لأنّ معطوف على قوله :

* بآنّا لا نزال لكم عدوّاً *

في بيت قبله كما سيأتى .

ورواه ابن عقيل وابن هشام في شرح الألفية :

(وكان لنا أبو حسن عليّ أباً برّاً ونحن له بنين)

ولنا كان في الأصل نعتاً لقوله أب ، فلما قدّم عليه صار حالاً منه .
ونحن مبتدأ وبنين خبره ، وصفته محذوفة بدليل ما قبله ، والتقدير :
ونحن له بنين أبرار ، ولولا هذا التقدير لخلا الحملُ من فائدة .
وروى أيضاً :

ألم تر أنّ والينا عليّاً أبٌ برٌّ . . . إلخ

والوالى : من ولى الأمر يليه ولاية ، بكسر اللام فيهما وكسر الواو^(١) .
والبرُّ بالفتح ، قال صاحب المصباح : برّ الرجلُ يبرُّ برّاً وزان علم يعلم
علماً فهو برٌّ بالفتح ، وبارٌّ أيضاً ، أى صادق أو تقيّ ، وهو خلاف الفاجر ،
وجمع الأوّل أبرار ، وجمع الثاني بررة ، مثل كافر وكفرة^(٢) . وبررت

(١) وقيل الولاية ، بالفتح : المصدر . وبالكسر : الاسم مثل الإمارة والنقابة ، وقيل بكسر
الواو وفتحها في الولاية مصدرًا .

(٢) بعده في المصباح : « ومنه قوله للمؤذن : صدقت وبررت ، أى صدقت في دعواك
إلى الطاعات ، وصرت باراً . دعاء له بذلك ، ودعاء له بالقبول . والأصل : بر عملك » .

والدى أَبْرَهُ بِرًا وَبُرُورًا : أَحَسَنَتِ الطَّاعَةَ إِلَيْهِ ، وَرَفَقَتْ بِهِ ، وَتَحَرَّيْتُ
مَحَابَّهُ وَتَوَقَّيْتُ مَكَارِهِه . وَبِرَّ الْحَجِّ وَالْيَمِينِ وَالْقَوْلِ بِرًا أَيْضًا فَهُوَ بِرٌّ
وَبَارٌّ أَيْضًا . وَيَسْتَعْمَلُ مُتَعَدِّيًا أَيْضًا بِنَفْسِهِ فِي الْحَجِّ ، وَبِالْحَرْفِ فِي الْيَمِينِ
وَالْقَوْلِ ، فَيُقَالُ بِرَ اللَّهِ الْحَجَّ يَبْرُهُ بِرُورًا أَيْ قَبْلَهُ . وَبَرَرْتُ فِي الْقَوْلِ
وَالْيَمِينِ أَبْرٌ فِيهِمَا بُرُورًا أَيْضًا ، إِذَا صَدَقْتَ فِيهِمَا ، فَأَنَا بِرٌّ وَبَارٌّ . وَفِي
لُغَةٍ يَتَعَدَّى بِالْهَمْزَةِ فَيُقَالُ أَبْرَ اللَّهُ الْحَجَّ ، وَأَبَرَرْتُ الْقَوْلَ وَالْيَمِينَ .
وَالْبِرُّ بِالْكَسْرِ : الْخَيْرُ وَالْفَضْلُ ، وَالْمَبْرَةُ مِثْلُهُ . انْتَهَى .

وَالْبَيْتُ مِنْ أَبْيَاتِ لَسَعِيدِ بْنِ قَيْسٍ الْهَمْدَانِي قَالَهَا فِي أَحَدِ أَيَّامِ صَفَيْنَ صاحب الشاهد
وَذَلِكَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ دَعَا أَهْلَ الشَّامِ فَقَالَ : إِنَّ عَلِيًّا يَخْرُجُ فِي سَرَاعَانَ الْخَيْلِ
فَمَنْ يَنْتَدِبُ لَهُ ؟ فَقَامَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدٍ فَقَالَ : أَنَا لَهُ . فَقَالَ لَهُ
مُعَاوِيَةُ : اقْعُدْ فَلَمْ أَعْهَدْكَ خَفِيفًا . فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْعَكِّيُّ : أَنَا لَهُ .
فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : أَنْتَ لَهُ لَوْلَا عَجَلْتُكَ فِي الْحَرْبِ . فَقَالَ عَمْرُو بْنُ
الْحُصَيْنِ السَّكُونِيُّ : أَنَا لَهُ . فَقَالَ : أَنْتَ لَهُ حَقًّا ! فَخَرَجَ فِي عَكٍّ
وَالصَّدْفِ ، وَخَرَجَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَعَادَتِهِ ، فَتَرَقَّبَهُ السَّكُونِيُّ وَحَمَلَ
عَلَيْهِ مِنْ خَلْفِهِ ، فَلَمَّا كَادَ أَنْ يَطْعَنَهُ اعْتَرَضَهُ سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ الْهَمْدَانِي
فَطَعَنَهُ طَعْنَةً قَصَمَ بِهَا صُلْبَهُ ، فَالتَفَتَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَرَأَى السَّكُونِيَّ
صَرِيحًا . ثُمَّ قَتَلَ سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ رَجُلًا مِنْ ذِي رُعَيْنَ ، فَجَزَعَ عَلَيْهِمَا مُعَاوِيَةُ
جَزَعًا شَدِيدًا ، فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ ^(١) :

(لَقَدْ فُجِعْتُ بِفَارِسِهَارُعَيْنُ كَمَا فُجِعْتُ بِفَارِسِهَا السَّكُونُ
غَدَاةَ أَتَى أَبَا حَسَنٍ عَلِيًّا وَأُمُّ النَّقْعِ مُشْبِلَةٌ طَحُونُ

(١) الْأَبْيَاتُ لَمْ تَرُدْ فِي وَقْعَةِ صَفَيْنَ .

ليطعنَه فقلت له خذنها مُسَوِّمَةً يَخِيفُ لها القَاطِنُ
أقول له ورُمحي في صَلَاة وقد قَرَّتْ بِمصرعه العيونُ
ألا ياعَمرو عمرو بنِي حُصَيْن وكلُّ قَتَى ستدركه المنونُ
أترجو أنْ تنال إمامَ صِدْق أبا حسن، وذا ما لا يكونُ
لقد بكت السُّكونُ عليك حتَّى وهتَ منها النَّواظِرُ والجفونُ
ألا أبلغ معاويةَ بنَ حرب ورَجِمُ الغيب يكشِفُه اليقينُ
بأنَّا لا نزال لكم عدوًّا طَوَالَ الدَّهر ماسِمِعُ الحنينُ
ألم تر أنَّ واليَنا عليًّا أبٌ برٌّ ونحن له بنينُ
وأنا لا نريد سواه يومًا وذاك الرُّشدُ والحقُّ المبينُ
وأنَّ له العراقَ ، وكلُّ كبش حديد القرن ترهبُه القُرونُ

والعكَّى : نسبةٌ إلى عكٍّ بفتح المهملة : أبو قبيلة من اليمن ، وهو
عكٌّ بن عدنان بن عبد الله بن الأزْد .

والسُّكوني : نسبة إلى السُّكون بفتح السين المهملة ، أبو قبيلة عظيمة
من اليمن ، وهو السُّكون بن أشْرَسَ بن ثور . ويقال لثور : كِنْدَة ،
وإليه ينتسب امرؤ القيس .

٤٢٠ والصَّدِف ، بفتح المهملة وكسر الدال : بطنٌ من كندة ينسبون
اليوم إلى حضرموت . وإذا نسبت إليه فقلت صَدَقْتُ فتحت الدال .

وهمدان ، بسكون الميم : أبو قبيلة عظيمة باليمن .

وذو رُعَيْن بالتصغير : بطن من حمير ، وهو ذو رعين بن سهل بن
زيد . كذا في الجمهرة ^(١) . وقد تجوَّز الشاعر في حذف ذى منه

(١) يعني جمهرة ابن الكلبي . اكن في جمهرة ابن حزم ٤٣٣ : « بن زيد بن سهل بن عمرو
ابن قيس » .

وَفُجِعت في الموضعين بالبناء للمفعول ، من فجعه ، في ماله وأهله ،
أى أصابه بالرزية . والفجعة : الرزية ، وفعله من باب نفع . وأُمُّ النَّقْعِ
أراد بها الحرب . والنَّقْعُ بالنون والقاف : الغبار . ومُشْبِلَةٌ : اسم فاعل
من أشبل عليه أى عطف . وأشبِلت المرأة بعد بَعْلها : صبرت على
أولادها فلم تنزوّج . وَلَبَوءُ مُشْبِلٌ ، إذا مشى معها أولادها . والشَّيْلُ
بالكسر : ولد الأسد . وطحون : مبالغة طاحنة ، أى مهلكة .

والضمير في « خُذْنَهَا » راجعُ إلى الطعنة المفهومة من قوله ليَطْنُهُ .
والمسومة : المرسلّة ، من قولهم : سَوِّمَ فيها الخيل ، إذا أرسلها . ومنه
السائمة . ويخِفُ : يرحل ويُسافر . والقطين : جمع قاطن ، وهو المقيم .

والصَّلا ، بفتح الصاد والقصر : العجزُ ، وفي الأصل هو مَغْرَس
الذنب من الفرس ، ومنه ، قيل : أُخِذَت الصلاة . والمَصْرَعُ^(١) : المَهْلِكُ .
ووهت : ضعفت . وقوله : ﴿ رَجَمًا بِالْغَيْبِ ﴾^(٢) ، أى ظناً من غير دليل
ولا برهان .

وقوله : « بَأْنَا » ، متعلق بأبْلَغ . والعدو : خلاف الصديق ، يقع على الواحد
المذكّر والمؤنث والمجموع . وطَوَّال الدَّهْر بفتح الطاء ، أى طَوَّلَه .
والحنين هنا : حنين الناقة ، وهو صوتها في نزاعها إلى ولدها . والقرن
في الموضعين ، بفتح القاف^(٣) . وجملته ترهبه حالية .

(١) ط : « المصراع » ، صوابه في ش .

(٢) كذا في التسخين ، ولعله أراد أن يفسر الشعر على ضوء تفسير الآية الكريمة ، وما ورد
في نص الشعر في البيت الثامن « ورجم الغيب » . وهي الآية ٢٢ من سورة الكهف .

(٣) القرن الأول : روق الكبش ونحوه . وواحد القرون ، بالضم ، قرن أيضاً بفتح
القاف ، وهو سيد القوم ورئيسهم . فهذا ما أراده ولم يفسره .

سعيد بن
قيس الهمداني

وسعيد بن قيس الهمداني من أصحاب علي رضي الله عنه ، ولم أر له
ذكرًا في كُتُب الصحابة ^(١) ، وإنما هو تابعي .

قال ابن الكلبي : السَّبَّع : بطنٌ من همدان . ومن السَّبَّع : سعيد ^(٢)
ابن قيس بن زيد بن مَرَب بن معديكرب بن أسيف بن عمرو بن
سَبَّع بن السَّبَّع . انتهى .
وهمدان بسكون الميم : قبيلةٌ عظيمة باليمن ، وهو لقب ، واسمه
أوسلة .

والسَّبَّع بفتح السين المهملة وكسر الموحدة .
ومَرَب بفتح الميم وكسر الراء المهملة بعدها موحدة .
ولمَّا لم يقف العينيُّ على ما قبل البيت الشاهد ولا على ما بعده ظنَّ
أنَّ البيت لأحدِ أولادِ علي رضي الله عنه .

* * *

وأنشد بعده :

(متى كنَّا لأُمِّكَ مقتوينَا)

على أنَّه حُكي عن أبي عبيدة وأبي زيد جعلُ نونِ مقتوينَا محلًّا
تعاقب الإعراب بالحركة . فالألف هنا بدل من التنوين .

وهذه عبارة أبي زيد (في نواذره) : رجلِ مقتوينٌ ورجالِ مقتوين ^(٣) ،
وكذلك المرأة والنساء ، وهو الذي يخدم القومَ بطعامِ بطنه . وقال عمرو
ابن كلثوم :

(١) ط : « في كتاب الصحابة » ، صوابه في ش .

(٢) ط : « سعد » ، صوابه في ش وجهرة ابن حزم ٤٣٦ .

(٣) في نواذر أبي زيد ١٨٨ : « رجلِ مقتوين ورجلانِ مقتوين ورجالِ مقتوين » .

تَهْدَدُنَا وَأَوْعِدُنَا رَوِيدًا مَتَى كُنَّا لِأَمْلِكَ مُقْتَوَيْنَا
الواو مفتوحة وبعضهم يكسرها ، أَى مَتَى كُنَّا خَدَمًا لِأَمْلِكَ . هذا
كلامه .

وقد شرحه ^(١) أبو علي (في كتاب الشعر) ^(٢) وقال : النون حرف
الإعراب . ونقله عنه وعن أبي عبيدة . وضبط الميم بالفتح والضم .
وتقدم كلامه منقولاً بتمامه في الشاهد الثالث والخمسين بعد الخمسائة
من باب المذكر والمؤنث ^(٣) .

وقال أبو الحسن الأخفش في شرحه لها : هذا القياس ^(٤) وهو
مسموع من العرب أيضاً ، فتح الواو من مُقْتَوَيْن ، فتقول مُقْتَوَيْنَ ،
فيكون الواحد مُقْتَوًى ، فاعلم ^(٥) ، مثل مصطفًى فاعلم ^(٦) ، ومصطفين
إذا جمعت . ومن قال مُقْتَوَيْن فكسر الواو فإنه يفرد في الواحد والتثنية
والجمع والمؤنث ، لأنه عنده مصدر ، فيصير بمنزلة قولهم : رجل عدلٌ
وفطر وصوم ورَضاً ^(٧) وما أشبهه . ويقال مَقَّتَ الرجلُ ، إذا خَدَمَ .
فهذا بين في هذا الحرف . انتهى .

وهذا مبنى على أَنَّ الميم مضمومة ، إِلاَّ أَنَّ قوله مَقَّتَ الرجلُ ، فجعل
الميم أَصْلِيَّةً ، لا وجه له . فتأمل .

(١) ش : « وقد جره » ، وأثبت ما في ط .

(٢) يعني كتاب إيضاح الشعر ، ويسمى أيضاً : « الإيضاح الشمرى » ، و « إعراب
الشعر » .

(٣) الخزانة ٧ : ٤٢٩ .

(٤) ط : « هنا القياس » ، وأثبت ما في ش .

(٥) ط : « فاعل » صوابه في ش ونوادير أبي زيد .

(٦) ليست في النوادر . وفي ش : « فاعلم » .

(٧) رسمت في ش : « ورَضى » بالياء .

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ . وَهُوَ الشَّاهِدُ التَّاسِعُ وَالْثَمَانُونَ بَعْدَ الْخَمْسِمِائَةِ ، وَهُوَ
مِنْ شَوَاهِدِ سَيَبُويَه^(١) :

٥٨٩ (إِذَا مَا بَنُو نَعَشٍ دَنَوْا فَتَصَوَّبُوا)

عَلَى أَنَّ الْأَخْفَشَ حَكَى : بَنُو عَرَسٍ وَبَنُو نَعَشٍ ، اعْتِبَاراً لِلْفَرْقِ بَيْنَ
وَإِنْ كَانَ غَيْرَ عَاقِلٍ ، كَمَا فِي الْبَيْتِ . كَأَنَّهُ جَعَلَهَا جَمْعاً لِابْنِ نَعَشٍ وَإِنْ
لَمْ يَسْتَعْمَلْ .

قَالَ سَيَبُويَه : وَأَمَّا ﴿ كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾^(٢) ، وَ﴿ رَأَيْتَهُمْ لِي
سَاجِدِينَ ﴾^(٣) ، وَ﴿ يَا أَيُّهَا النَّملُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾^(٤) ، فَزَعَمَ الْخَلِيلُ أَنَّهُ
جَعَلَهُمْ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَعْقِلُ وَيَسْمَعُ ، لَمَّا ذَكَرَهُمْ بِالسُّجُودِ ، وَصَارَ النَّملُ
بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ حِينَ حَدَّثَ عَنْهُ مَا يَحْدُثُ عَنِ الْإِنْسَانِ^(٥) . وَكَذَلِكَ ﴿ فِي
فَلَكَ يَسْبَحُونَ ﴾ ، لِأَنَّهَا جَعَلَتْ فِي طَاعَتِهَا ؛ وَفِي أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ
يَقُولَ : مُطَرْنَا بَنُو كَذَا ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَعْبُدَ شَيْئاً مِنْهَا ، بِمَنْزِلَةِ
مَا يَعْقِلُ^(٦) مِنَ الْمَخْلُوقِينَ وَيُبْصِرُ الْأُمُورَ . قَالَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ :

شَرِبْتُ بِهَا وَالذِّيكُ يَدْعُو صَبَاحَهُ إِذَا مَا بَنُو نَعَشٍ دَنَوْا فَتَصَوَّبُوا
فَجَازَ هَذَا حَيْثُ صَارَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ عِنْدَهُمْ تُؤْمَرُ وَتَطِيعُ ، وَتَفْهَمُ
الْكَلَامَ ، وَتَعْبُدُ ، بِمَنْزِلَةِ الْإِنْسَانِ . انْتَهَى .

(١) فِي كِتَابِهِ ١ : ٢٤٠ . وَانْظُرِ الْمُقْتَضِبَ ٢ : ٢٦٦ وَالْمَعْدَةَ ٢ : ٢١٧ وَدَلَائِلَ
الْإِعْجَازِ ١ : ٦١ وَابْنَ عِيْشٍ ٥ : ١٠٥ وَالْمَغْنَى ٣٦٥ وَشَرْحَ شَوَاهِدِ السِّيُوطِيِّ ٢٦٥ وَالْأَزْمَنَةَ
وَالْمُمَكَّنَةَ ٢ : ٢٧٣ وَدِيَوَانَ النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ ٤ .

(٢) الْآيَةُ ٣٣ مِنْ سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ . وَفِي سُورَةِ يَس ٤٠ : « وَكُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ » بِالْوَاوِ .

(٣) الْآيَةُ ٤ مِنْ سُورَةِ يُوسُفَ .

(٤) الْآيَةُ ١٨ مِنْ سُورَةِ النَّملِ .

(٥) فِي سَيَبُويَه : « حِينَ حَدَّثَ عَنْهُ كَمَا تَحْدُثُ عَنِ الْإِنْسَانِ » .

(٦) فِي سَيَبُويَه : « مَنْ يَعْقِلُ » .

قال الأعلم : الشاهد فيه تذكير بنات نعش لإخباره عنها بالدنو والتصوب كما يُخبر عن الآدميين ، على ما بيّنه سيبويه . وصف خمراً باكرها بالشرب عند صياح الديك . وتصوبُ بنات نعش : دنوها من الأفق للغروب . والباءُ في قوله « بها » زائدة مؤكدة . وكثيراً ما تزيدها العرب في مثل هذا . قال تعالى : ﴿ عِيناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾^(١) . انتهى .

أقول : الباءُ في البيت والآية للتبويض . وقال (ابن خلف) : الشاهد أنه جمع ابناً من غير ما يعقل جمع العقلاء المذكّرين ، وكان ينبغي أن يقول : بنات نعش ، وواحدها ابن نعش . وحمل بنو نعش على ما يعقل لما كان دورها على مقدار لا يتغيّر ذلك الدور ، وتعلّقه . وقال : « دنوا فتصوبوا » وكان ينبغي أن يقال دنون فتصوبون . انتهى .

وقال ابن هشام (في المغني) : والذي جرّاه على استعمال الواو في غير العقلاء قوله بنو لابنات . والذي سوّغ ذلك أن ما فيه من تغيير نظم الواحد شبهه بجمع التكسير ، فسهُل مجيئه لغير العاقل . ولهذا جاز تأنيث فعله ، نحو : ﴿ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾^(٢) ، مع امتناع قامت الزيدون . انتهى .

وبنات نعش من منازل القمر الثمانية والعشرين ، قال صاحب الصحاح : اتَّفَقَ سيبويه والفراء على ترك صرف نعش ، للمعرفة والتأنيث .

قال الدماميني (في الحاشية الهندية) : الظاهر أنه جائز لا واجب ، لأنه ساكن الوسط .

(١) الآية ٢٨ من المطففين .

(٢) الآية ٩٠ من سورة يونس .

وقال صاحب العباب : بنات نعش الكبرى : سبعة كواكب ، أربعة منها نعش ، وثلاث بنات . وكذلك بنات نعش الصغرى . وذكر أبو عمر الزاهد (فى فائت الجمهرة) عن الفراء أَنَّهُ يقال بنات نُعْشَ فى ميزانِ عُمر ، لا ينصرف فى المعرفة وينصرف فى النكرة . قال : وليس بينهم خلاف ، تقول : هذه بناتُ نعش مقبلةٌ ، ومعها بناتُ نعشٍ أخرى مقبلة . وقد جاء فى الشعر بنو نعش ، وأنشد أبو عُبَيْدة للنَّابغة الجعدي :

٤٢٢

(وصهباء لا تُخفى القذى وهى دونه تُصَفَّقُ فى رَأْووقها ثم تُقَطَّبُ
تمزَّزتها والديك يدعو صباحه إذا ما بنو نعشٍ دنوا فتصوبوا)

وقال ابن دريد : سُمِّيت بنات نعش تشبيهاً بِحَمَلَةِ النعش^(١) فى تربيعها . وقال الليث : يقال للواحد منها ابن نعش ، لأنَّ الكواكب مذكرة ، فيذكرونه على تذكيره . وإذا قالوا ثلاث وأربع ذهبوا إلى مذهب الثنائيت ، لأنَّ البنين إنما يقال للأدميين . وعلى هذا القياس يقولون : ابن آوى ، وابن عرس ، فإذا جَمَعُوا قالوا : بنات آوى وبنات عرس ، قال الخليل : هذا شئٌ لم يسمَّ بالابن لحال الأب والأمِّ كما قيل بنون وبنات . وإذا ذكروا ابن لبون وابن مخاض قالوا : هذا ابن لبون وابن مخاض . وإذا ثنَّوا قالوا : ابنا لبون وابنا مخاض . وإذا جمعوا تركوا القياس ولم يقولوا بنون ، ولكنهم يقولون بنات مخاض ذكوراً . هذا كلام العرب . ولو حملة النحوى على القياس فذكر المذكر وأنث

(١) ط : « بجملة النمى » بالجيم ، وصوابها بالخاء كما فى ش ، واللسان (نعش ٢٤٨) ،
وجمهرة ابن دريد ٣ : ٦٢ .

المؤنث لكان صواباً . وبعضهم يقول : لا يجوز لِمَا كان من غير الآدميين ^(١) أن يقال في جمعه إلا بالتأنيث ، إلا أن يضطرَّ شاعر فيخرجه مخرج الآدميين ، إذا حمل على غير الآدميين ، على مثال ما يجمعون عليه . قال تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ^(٢) ۞ لَمَّا فَعَلُوا فَعَلِ الْآدَمِيُّونَ جَمْعُهُمْ كَمَا يُجْمَعُونَ ، وَخَاطَبَهُمْ بِمَا يَخَاطَبُونَ . انتهى كلام العباب .

وقال القالي (في المقصور والممدود) : قال أبو حاتم : يقال ابن آوى لهذا السبع ، وللاثنيين : ابنا آوى ^(٣) ، والمجمع : بنات آوى وإن كنَّ ذكوراً ، ولا يصرف آوى . ويجمعون كلَّ جماعة من غير الإنس على بنات ، كما قالوا بنات نعش لهذه الكواكب ، ولم يقولوا بنو نعش ، فإن اضطرَّ شاعرُ قاله مستكراً . قال الشاعر :

فباكرتها والديك يدعو صباحه . . . البيت

والصواب : بنات نعش دُنْتُ فتصوّبت ، أو دنون فتصوّبن . فهذا على الاضطرار . وأمّا ما لا يعرف ذكوره من إنائه فمحمولٌ على اللفظ ، يقال للذكر والأنثى ابن عرس وابن قِترَة ^(٤) لضربٍ من الحيات ، وابن دأية غير معروف للغراب . فإذا جمعت على هذا النحو قلت : بنات آوى ، وبنات عرس ، وبنات قِترَة ، وبنات دأية ، للذكور والإناث . وكلُّ جمع من غير الإنس والجن والشیاطين والملائكة فيقال فيه بنات . انتهى .

(١) الكلام بعده إلى « غير الآدميين » ساقط من ش .

(٢) من الآية ٤ في سورة يوسف .

(٣) ش : « أبناء آوى » ، صوابه في ش .

(٤) ابن قِترَة ، بكسر القاف : ضرب من الحيات خبيث إلى الصغر ما هو ، لا يسلم من لدغها ، وهو نحو من الشير ، يذو ثم يقع .

صاحب الشاهد والبيتان من قصيدة للنابعة الجعدى أورد أبياتاً منها الشُّوطى (في شرح شواهد المغنى)^(١) .

وقوله : « وصهباء » إلخ ، أى ربَّ صهباء ، وهى الخمر . لا تُخفى : لا تستر . والقذى : ما يقع فى الماء والشراب والعين إذا هبتَّ الريح . ودون هنا بمعنى قُدام . يقول : إنَّ القذى إذا حصل فى أسفل الزجاجه رآه الرائي فى الموضع الذى هو فيه ، لصفائها . والخمر أقرب إلى الرائي من القذى ، وهى فيما بين الرائي وبين القذى ، يريد أنَّها يُرى ما وراءها لصفائها . وتصفق بالبناء للمفعول . والتصفيق : إدارتها من إناء إلى إناء لتصفو . والراوق : المصفاة . وتُقَطَّب : تمزج .

وقوله : (شربت بها) إلخ روى أيضاً : (تمزَّتها والديك) . والتمزُّز : تمصُّص الشراب قليلاً قليلاً . ومزَّه أى مصَّه . وقوله (يدعو صَبَاحَه) أى فى وقت صَبَاحه^(٢) .

٤٢٣

قال ابن رشيق (فى باب السرقات الشعرية من العمدة) : قد اجتلب الفرزدقُ هذا البيت واستلحقه بشعره ، فقال : وإجانة ريباً السرور كأنها إذا غُمست فيها الزجاجَةُ كوكب^(٣) تمزَّزُتها والديكُ يدعو صباحَه . . . البيت

والنابعة الجعدى شاعر صحابى تقدِّمت ترجمته فى الشاهد السادس والثمانين بعد المائة^(٤) .

* * *

(١) وهى فى ديوان النابعة الجعدى ٣ - ١١ فى ٣٢ بيتاً .
(٢) ش : « أى وقت صباحه » بإسقاط « فى » . وفى ط : « فى أى فى وقت صباحه » ، و « فى » الأولى مقحمة .

(٣) الخزائن ٣ : ١٦٧ - ١٧٣ .

(٤) فى ديوان الفرزدق ١٥ : « ريبا السروب » ، و « إذا اغتمست » .

جمع المؤنث السالم

أنشد فيه . وهو الشاهد التسعون بعد الخمسائة^(١) :

٥٩٠ (أَتَتْ ذِكْرُ عَوْدَنْ أَحْشَاءَ قَلْبِهِ

خُفُوقاً وَرَفَضَاتُ الْهَوَى فِي الْمَفَاصِلِ)

على أَنَّ (رَفَضَات) كان يستحقُّ أَنْ يفتحَ فاؤه ، فسكَّنَ المضرورة ، لأنَّ رَفَضَات جمع رَفَضَةٍ ، وفعلته بفتح الفاء وسكون العين إذا كان اسماً لا صفة كَصَعْبَةٍ ، يجب فتحها إذا جمعت بالألف والتاء . ورفضة هنا اسمٌ لأنَّه مصدر محض ليس فيه من معنى الوصفية شيء ، ولو كان مؤوَّلاً بالوصف كرجل عدل لكان للتسكين وجه .

قال ابن عصفور (في كتاب الضرائر) : حُكِمَ لرفضات وهو اسمٌ بحكم الصفة . ألا ترى أَنَّ رفضات جمع رَفَضَةٍ ، ورَفَضَةُ اسم ، والاسم إذا كان على وزن فعللة وكان صحيح العين فإنه إذا جمع بالألف والتاء لم يكن بدُّ من تحريك عينه إتباعاً لحركة فائه ، نحو جفنة وجفنات . وإن كان صفةً بقيت العين على سكونها ، نحو ضخممة وضخمت . وإنما فعلوا ذلك فرقاً بين الاسم والصفة ، وكان الاسم أولى بالتحريك لخفته ، فاحتمل لذلك ثقل الحركة ، فكان ينبغي أَنْ يقول رَفَضَات بالتحريك ، إلَّا أَنَّهُ لما اضطرَّ إلى التسكين حَكَمَ لها بحكم الصفة فسكَّنَ . ومما يبيِّن لك صحة ما ذكرته من الحمل على الصفة أَنَّ أكثر ما جاء من

(١) المقتضب ٢ : ١٩٢ وإصلاح المنطق ١٥٤ والمحتسب ١ : ٥٦ / ١٧١ : ٢ وابن يعيش ٥ : ٢٨ واللسان (سب ٤٥٧) وديوان ذي الرمة ٤٩٤ .

ذلك في الشعر إنما هو مصدر ، لقوة شبه المصدر باسم الفاعل الذي هو صفة . ألا ترى أنَّ كل واحد منهما يقع موقع صاحبه . والمعتل اللام من فعلة بمنزلة الصحيح اللام ، في أنَّ العين لا تسكن في جمع الاسم منه إلا في ضرورة ، حكى أبو الفتح عن بعض قيس : ثلاث ظبيات بإسكان الباء . وروى أيضاً عن أبي زيد عنهم : شربة وشريات . انتهى باختصار .

وقد تكلم ابن جنى (في موضعين من المحتسب) على هذا الجمع في أول سورة البقرة ، وفي سورة لقمان . ولما كان الأول أجمع للفوائد اقتصرنا عليه .

قال : وقد سکنو المفتوح ، وهو ضرورة . قال لبيد :

رَحَلْنَ لِشِقَّةٍ وَنَصَبْنَ نَصْباً لوغرات المسجواجر والسُّوم^(١)

وقال ذو الرمة :

أبت ذكر عودن أحشاء قلبه . . . البيت

وروينا أيضاً أنَّ بعض قيس قال : ثلاث ظبيات ، فأسكن موضع العين . وروينا عن أبي زيد أيضاً عنهم شربة وشريات ، وهو الحنظل . والتسكين عندي في هذا أسوغ منه في نحو : رفضات ووغرات ، من قبل أنَّ قبل الألف ياء محرّكة مفتوحاً ما قبلها . وهذا شرط اعتلاها بانقلابها ألفاً . ويحتاج أن نعتذر من ذلك فنقول : لو قلبت ألفاً لوجب حذفها لسكونها وسكون الألف بعدها ، وليس في نحو رفضات ما يوجب الاعتذار

(١) ديوان لبيد ١٠٢ . والوغة : شدة حر النهار . والسوم ، بالفتح : الريح الحارة .

من الحركة . وكانَ رفضات أقرب مأخذًا من تمرات ، من قبلَ أنَّ رفضة حدثٌ ومصدر ، والمصدر قوىُّ الشبه باسم الفاعل الذى هو صفة . والصفة لا تُحرَّك في نحو هذا^(١) . ويدلُّك على قوَّة شبه المصدر بالصفة وقوعُ كلِّ واحدٍ منهما موقع صاحبه . فكذلك سهَّل شيئاً إسكانَ نحو رَفْضَة ووَغْرَة ، لسكونهما حدثين ومصدرين ، لشبههما بالصفة . ويزيد في أنسك تسكينَ عينٍ ما لأمه حرف عِلَّة^(٢) ، لما يعقب من الاعتذار من تحريك [عينه^(٣)] ، امتناعهم من تحريك العين في فعلة إذا كانت حرفَ عِلَّة ، وذلك نحو جَوَزات ، ألا ترى لو حرَّك لوجب أن يعتذر من صحة العين مع حركتها وانفتاح ما قبلها ، بأن يقولوا لو أُعلَّت لوجب القلب ، فيلتبس بما عينه في الواحد ألفٌ منقلبة نحو قارة وقارات^(٤) . وإذا جاز إسكان العينِ الصَّحيحة نحو تمرات صار المعتلُّ أخرى بالصحة . انتهى باختصار .

والبيت من قصيدة طويلة لذي الرمة كلُّها غزلٌ ونسيب . وقيله : صاحب الشاهد

(إذا قلت ودَّع وصلَ خرقاء واجتنِبْ زيارتها تُخْلِقُ حبالُ الوسائلِ)

يخاطب نفسه . ويقول : إذا قلت ودَّع يا ذا الرمة وصل خرقاء ، وخرقاء لقب محبوبته ميَّة ، وتُخْلِقُ مجزوم في جواب أحد الأمرين المتقدمين ، وفاعله ضمير المخاطب ، وهو من أخلقت الثوب ، إذا أبلينته

(١) بعده في المحتسب : « نحو صبة وصبات ، وخدلة وخدلات » .

(٢) أى في نحو ظبية وغزوة .

(٣) التكلفة من المحتسب ١ : ٥٧ .

(٤) في النسختين : « فارة وفارات » بالفاء ، وصوابهما بالقاف ، كما في المحتسب وما سيأتى في الشاهد ٥٩٣ . والقارة ، بتخفيف الراء : الحرة ، وهى أرض ذات حجارة سود ، والجمع قارات ، وقار ، وقور ، وقيران ، كما في اللسان (قور) .

والجبال : جمع حَبَل بمعنى السَّبَب ، استُعِير لكلِّ شَيْءٍ يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى أَمْرٍ مِنَ الْأُمُور . والوسائل : جمع وسيلة . قال شارح ديوانه : الوسيلة القُرْبَة والمنزلة .

وقوله : (أَبَتِ ذِكْر) إلخ ، هذا جوابٌ إِذَا فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ . (وَأَبَت) بِمَعْنَى امْتَنَعَتْ . وَفِي بَعْضِ نَسَخِ الشَّرْحِ (أَتَتْ) بِالْمَثْنَاءِ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْإِثْنَانِ . وَلَمْ أَرَهُ فِي نَسَخِ الدِّيَوَانِ ، وَعِنْدِي مِنْهُ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ أَرْبَعُ نَسَخٍ ، وَذَكَرَ بِكَسْرِ الذَّالِ وَفَتْحِ الْكَافِ : جَمْعُ ذَكَرَ ، وَالذَّكَرُ بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ : اسْمٌ لَذِكْرَتِهِ بِلِسَانِي وَبِقَلْبِي ذِكْرِي بِالْكَسْرِ وَالْقَصْرِ ، نَصٌّ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ أَبُو عُبَيْدَةَ ، وَابْنُ قَتِيْبَةَ . وَأَنْكَرَ الْقِرَاءَةَ الْكَسْرَ فِي الْقَلْبِ وَقَالَ : اجْعَلْنِي عَلَى ذِكْرٍ مِنْكَ بِالضَّمِّ لَا غَيْرَ . وَلِهَذَا اقْتَصَرَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ . وَالنُّونُ مِنْ (عَوَّذَن) ضَمِيرُ الذَّكَرِ . وَعَوْدَتُهُ كَذَا فَاغْتَادَهُ وَتَعَوَّدَهُ ، أَيْ صَيَّرْتَهُ لَهُ عَادَةً . وَ (الْأَحْشَاءُ) : جَمْعُ حَشَى بِالْقَصْرِ ، وَهُوَ مَا فِي الْبَطْنِ مِنْ مَعَى وَكَرَشٍ ^(١) ، وَغَيْرَهُمَا . وَالْخَفُوقُ مَفْعُولٌ ثَانٍ لِعَوْدَ ، وَهُوَ مُصَدَّرٌ خَفَقَ ، وَخَفَقَانًا أَيْضًا إِذَا اضْطَرَبَ . وَ (رَفَضَات) بِالرَّفْعِ مَعْطُوفٌ عَلَى ذِكْرٍ . قَالَ شَارِحُ دِيَوَانِهِ : رَفَضَاتُهُ : تَفَرُّقُهُ وَتَفْتُحُهُ فِي الْمَفَاصِلِ ، وَهُوَ بِالْفَاءِ وَالضَّادِ الْمَعْجَمَةُ . وَهَذَا مِنْ قَوْلِهِمْ : رَفَضْتَ الْإِبِلَ تَرْفِضُ كَضَرْبٍ يَضْرِبُ ، رُفُوضًا ، إِذَا تَبَدَّدَتْ فِي الْمَرْعَى حَيْثُ أَحْبَبْتَ . وَرَفَضَاتُ الْهَوَى مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى فَاعِلِهِ .

وقال ابن برى : يقول : إِنْ تَجْتَنِبُ زِيَارَتَهَا تُخْلَقُ حِبَالُ الْوَسَائِلِ لِبَعْدِ الْعَهْدِ بِهَا ، وَتَقَادُمُ الْوَصْلِ الَّذِي يَشُوقُ إِلَيْهَا . يَرِيدُ أَنْ يَهْوَنَ عَلَى

(١) الْمَى وَالْمَى ، بِكَسْرِ الْمِيمِ وَفَتْحِهَا مَعَ فَتْحِ الْعَيْنِ فِيهِمَا : وَاحِدُ الْأَمْثَالِ . وَفِي ش : « مِنْ أَمْثَالِ » .

نفسه السلو عنها ، ثم أجاب نفسه فقال : أبت ذكر جمع ذكرة .
وأحشاء قلبه : جمع حشئ ، كأنه أراد ما بين الجنبين ، لاشتال الخفقان
على جميع ذلك . ورفضات : جمع رَفْضَة ، يعنى الكسر والحطم . انتهى .
وترجمة ذى الرمة تقدّمت فى الشاهد الثامن^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والتسعون بعد الخمسمائة^(٢) :

٥٩١ (وأهله وُدٌ قد تبرّيتُ ودهمُ
وأبليتُهُم فى الحمد جهدى ونائلى)

على أَنَّ أهلاً الوصف يؤنث بالتاء كما فى البيت . ٤٢٥

وقوله : (وأهله وُدٌ) صفة لموصوف محذوف ، أى جماعة مستأهلة
للود ، أى مستحقّة له .

وفى البيت ردُّ على الخليل فى زعمه أَنَّهُ لا يقال أهلة . قال سيبويه :
قلتُ للخليل : هَلَّا قالوا أَرْضُونِ أَى بسكون الراء ، كما قالوا أهلون ،
قال : إِنَّهَا لَمَّا كانت تدخلها التاء أرادوا أَن يجمعوها بالواو والنون
كما جمعوها بالتاء . وأهل مذكر لاتدخله التاء ولا تغيّره الواو والنون
كما لا تغيّر غيره من المذكر نحو صعب . انتهى .

وقد أنكر بعضهم استأهل بمعنى استحق . نقل صاحبُ العباب عن
تهذيب الأزهري أَنه قال^(٣) : خطأً بعضهم قولَ من يقول فلان يستأهل
أَن يكرم أو يهان ، بمعنى يستحق . قال : ولا يكون الاستئصال إلا من

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ - ١١٠ .

(٢) المحتسب ١ : ٢١٧ ، واللسان (أهل ٢٨) .

(٣) النص فى تهذيب الأزهري ٦ : ٤١٨ مقارب لما هنا ، وليس مطابقاً له ، وهو : « وقد
سعت أعرابياً فصيحاً من بنى أسد يقول لرجل أولى كرامة : أنت تستأهل ما أوليت » .

الإِهالة ، وهو أَخَذَ الإِهالةَ أَوْ أَكَلَهَا ، وهى الأَلِيَّةُ المَذَابَةُ . قال الأَزْهَرِيُّ :
وَأَمَّا أَنَا فَلَا أُنْكِرُهُ وَلَا أُخْطِئُ مِنْ قَالِهِ ؛ لِأَنِّي سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا فَصِيحًا
مِنْ بَنِي أَسَدٍ يَقُولُ لِرَجُلٍ شَكَرَ عِنْدَهُ يَدًا أَوَّلِيهَا : « تَسْتَأْهِلُ يَا أَبَا حَازِمٍ
مَا أَوَّلَيْتَ ^(١) » . وَحَضَرَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَعْرَابِ ، فَمَا أَنْكَرُوا قَوْلَهُ . قَالَ :
وَيَحَقِّقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ^(٢) ﴾ . انْتَهَى .

وقول الشارح المحقق « وَأَهْلٌ فِي الْأَصْلِ اسْمٌ دَخَلَهُ مَعْنَى الْوَصْفِ »
قال الراغب (فِي مَفْرَدَاتِ الْقُرْآنِ) : أَهْلُ الرَّجُلِ : مَنْ يَجْمَعُهُ وَإِيَّاهُمْ
نَسَبٌ أَوْ دِينَ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ ، مِنْ صِنَاعَةٍ وَبَيْتٍ وَبَلَدٍ . فَأَهْلُ الرَّجُلِ فِي
الْأَصْلِ : مَنْ جَمَعَهُ وَإِيَّاهُمْ مَسْكَنٌ وَاحِدٌ ، ثُمَّ تَجَوَّزَ بِهِ فَقِيلَ أَهْلُ بَيْتِهِ
مَنْ يَجْمَعُهُ وَإِيَّاهُمْ نَسَبٌ أَوْ مَا ذُكِرَ . وَعَبَّرَ عَنْ أَهْلِهِ بِامْرَأَتِهِ ^(٣) . وَفُلَانٌ
أَهْلٌ لَكَذَا ، أَيْ خَلِيقٌ بِهِ . وَالْآلُ ، قِيلَ مَقْلُوبٌ مِنْهُ لَكِنْ خَصَّ بِالْإِضَافَةِ
إِلَى أَعْلَامِ النَّاطِقِينَ دُونَ التَّنَكُّرَاتِ وَالْأَزْمَنَةِ وَالْأَمَكْنَةِ ، فَيُقَالُ : آلُ فُلَانٍ
وَلَا يُقَالُ آلُ رَجُلٍ ، وَلَا آلُ زَمَنِ كَذَا ، وَلَا آلُ مَوْضِعٍ كَذَا ، كَمَا يُقَالُ
أَهْلُ بَلَدٍ كَذَا وَمَوْضِعٍ كَذَا . انْتَهَى .

وقال صاحب العباب : الأهل : أهل الرجل ، وأهل الدار ، وكذلك
الأهلة . قال أَبُو الطَّامِحَانِ الْقَيْنِيُّ :

وَأَهْلَةٌ وَدٌّ قَدْ تَبَرَّيْتُ وَدَّهْمٌ وَأَبْلِيَّتُهُمْ فِي الْجَهْدِ بَذْلٌ وَنَائِلِي
أَيُّ رَبٍّ مِنْ هُوَ أَهْلٌ لِلوَدِّ ، وَقَدْ تَعَرَّضْتُ لَهُ ، وَبَذَلْتُ لَهُ فِي ذَلِكَ طَاقَتِي

(١) انظر الحاشية السابقة .

(٢) مِنَ الْآيَةِ ٥٦ فِي سُورَةِ الْمَدَّثِرِ .

(٣) الْوَجْهَ مَا فِي مَفْرَدَاتِ الرَّائِغِ ٢٨ : « وَعَبَّرَ بِأَهْلِ الرَّجُلِ عَنْ امْرَأَتِهِ » .

من نائل . والجمع أهلات وأهلون . وكذلك الأهالى زادوا فيه
الياء على غير قياس ، كما جمعوا ليلاً على ليال . وقد جاء فى الشعر
آهال ، مثل فرخ وأفراخ . وأنشد الأخفش :

* وبلدة ما الإنسُ من آهالِها^(١) *

وقال ابن عبّاد : يقولون هو أهله لكل خير ، بلهاء . وفلان أهله
لكذا ، أى مستحق له . انتهى .

والواو فى «وأهلة» واو ربّ ، وصفة مجرورها محذوف ، أى ربّ أهلي
وُدّ ملتبس ومُبهم . وتبرّيت جوابُها العاملُ فى محلّ مجرورها . قال ابن
السكيت (فى إصلاح المنطق) : قد تبرّيت لمعروفه تبرّياً ، إذا تعرّضت
له . أنشد الفراء :

وأهلة ود البيت

يقال أهل وأهلة . انتهى .

ورواية البيت للشارح المحقق هى رواية ابن السكيت (فى إصلاح
المنطق^(٢)) ، وفى كتاب المذكر والمؤنث . وكذا رواه السخاوى (فى
سفر السعادة) وقال^(٣) : ومعنى تبرّيت تعرّضت له وأودّه ، وبذلت له
فى ذلك طاقتى .

(١) ابن يعيش ٥ : ٧٣ ، واللسان (بلا ٩٦) وفى اللسان :

* بل بلدة ما الإنس من آهالها *

شاهداً على استعمال « بل » فى استئناف الكلام . ونظيره أيضاً :

* بل ما هاج أحراناً وشجواً قد شجا *

(٢) ش : « فى الإصلاح » .

(٣) ط : « قال » بدون واو .

وقال ابن السيرافي (في شرح أبيات الإصلاح) : ويروى : « في الجهد بذل ونائل » أي ربَّ أهل وُدِّ قد تعرَّضت لأن يعلموا أنني أودهم وبذلت لهم مالى فى العسر واليسر ، ولم أبخل عليهم بشيء . يصف نفسه بالوفاء والبذل . وتفسير تبريت : كشفت وفتشت . يريد أنه فتش عن صحَّة وُدِّهم له ليعلمه فيجيزهم به . وأبليتهم : أوصلتهم ومنحتهم . والبليَّة بمعنى المنحة تارة والمِحنة ^(١) أخرى . ومنح يتعدَّى إلى مفعولين . قال زهير :

جَزَى اللهُ بِالْإِحْسَانِ مَا فَعَلَا بِكُمْ وَأَبْلَاهُمَا خَيْرَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَبْلُو ^(٢)
أَيَّ خَيْرِ الصَّنِيعِ الَّذِي يَخْتَبِرُ بِهِ عِبَادَهُ . والجُهد بالضم فى لغة الحجاز ، وبالفتح عند غيرهم : الوُسع والطاقة . والنائل : النوال ، كلاهما بمعنى العطاء .

صاحب الشاهد والبيت نسبه ابن السيرافي وصاحب العباب إلى أبى الطمحان
القينى ، وهو شاعرٌ إسلامي .

أبو الطمحان قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : هو حنظلة بن الشَّرْقِي . وكان
القينى فاسقاً . وقيل له : ما أدنى ذنوبك ؟ قال : ليلة الدَّير . قيل : وماليلة
الدير ؟ قال : نزلت بديري نصرانية فأكلتُ عندها طَفِيشَلاً بلحم خنزير ^(٣)
وشربت من خمرها ، وزنيت بها ، وسرقت كأسها ومضيت .

(١) فى التسخين : « والهمة » ، والوجه ما أثبت . يقال بلى فلان وابتل ، إذا امتحن بمنحة .

(٢) ديوان زهير ١٠٩ .

(٣) ضبطه صاحب القاموس بوزن سميع ، وذكر أنه نوع من المرق . وجمله البندادى فى كتاب الطبخ ٥٥ ضرباً من التنويرات ، أى الأظمة التى تنضج فى التنور . وجاء فى كتاب منهاج الدكان ٢٢٠ : « طفشيل : كل طعام يعمل من القطاني ، أعنى الحبوب ، كالمدس والجلبان وما أشبه ذلك » . وفهره استينجاس فى المعجم الفارسى الإنجليزى ٣١٣ بأنه ضرب من القم يعالج بالبيض والجزر والعسل . وانظر الحيوان ٣ : ٥/٢٤ . ويقال له أيضاً طفشيل بكسر الطاء والشين كما فى كتاب الطبخ وحواشيه . وهو مررب « تفشله » أو « نفشيله » الفارسية .

وكان نازلاً على الزُّبير بن عبد المطلب ، وكان ينزل عليه الخلعاء .

وهو القائل لقوم أغاروا على إبله وكانوا شربوا من ألبانها :
 وإنِّي لأرجو ملِّحها في بطونكم وما بسطت من جلدٍ أشعثٍ أغبراً^(١)
 يقول : أرجو أن يعطفكم^(٢) على ذلك اللبن أن تردوها . والمِلح :
 اللبن . انتهى .

وقال أبو عبيد البكري (في شرح أمالي القالي) : إنَّه كان نديماً
 للزُّبير بن عبد المطلب في الجاهليَّة ، ثم أدرك الإسلام .

وقال الآمدي (في المؤتلف والمختلف) : أبو الطمَّحان القَيْنِي اسمه
 حَنْظَلَةُ بن الشرق . كذا وجدته في كتاب بني القَيْن بن جَسْر . ووجدت
 نسبه (في ديوانه المفرد) : أبو الطمَّحان ربيعة بن عوف بن غَم بن
 كِنانة بن القَيْن بن جَسْر ، شاعر محسنٌ مشهور ، وهو القائل :

أضاعت لهم أحسابهم ووجوههم
 دُجى الليل حتى نَظَمَ الجزعَ ثاقبه^(٣)

(١) وكذا جاءت الرواية في الحيوان ٤: ٧٣ والكامل ٢٨٤ والغريب المصنف
 ٤٩٤ والاشتقاق ٢٦٧ والمختصر ١: ٢٦ واللسان (ملح) . وصوابها : « أغبر » بكسر الروي .
 كما في الشعراء ٣٨٩ والآل ٤٠٥ ومأنبه عليه ابن بري . والقصيدَةُ مخفوضة الروي أولها :
 ألا حنت المرقال واشتاق ربهَا تذكُر أرماما وأذكر معشري
 ومنها أبيات في الأغاني ١١ : ١٢٨ / ١٦ : ٦٧ . كما أن ابن الأعرابي أنشد هذا البيت
 في نوادره برواية :

* وما بسطت من جلد أشعث مقتر *

وبعد البيت كما في السمت :

جزاء سَنار جزوها ورهبسا وبالله والنعمى جزاء المكفر

(٢) ط : « يطفكم » ، صوابه في ش والشعراء .

(٣) الجزع ، بفتح الجيم وكسرهما : ضرب من الخرز فيه سواد وبياض . والبيت في مصون
 العسكري ٢٢ ، ٥٨ ، والكامل ٣٠٣ والنبى ١ : ٦٧ والحماسة بشرح المروزقي ١٥٩٨ . ونسب
 في الحيوان ٣ : ٩٣ إلى لقيط بن زرارَة .

ثم أورد اثنين من الشعراء يقال لهما أبو الطمّحان أحدهما أبو الطمّحان النّهشلى . ثانيهما : أبو الطمّحان الأسديّ .

وقال أبو حاتم (فى كتاب المعمرين ^(١)) : هو من بنى كنانة بن القين بن جسر بن شيع الله بن الأسد بن وبرة بن تغلب بن حُلوان ابن عمران بن الحاف بن قضاعة . عاش مائتى سنة ، وقال فى ذلك :

حَنَنْتِى حَانِيَا تُ الدَّهْرَ حَتَّى كَأَنِّى خَاتِلٌ يَدْنُو لَصِيدِ
قَرِيبُ الْخَطْوِ يَحْسَبُ مَنْ رَأَى وَلَسْتُ مَقِيدًا أَنِّى بِقَيْدِ

انتهى .

وأورده ابن حجر (فى الإصابة) فى قسم المخضرمين الذين أدركوا زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأسلموا ولم يَرَوْه .

وذكره المرزبانى فقال : هو أحد المعمرين ، وهو القائل :

وَلَأَنِّى مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ
أَضَاعَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دَجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظُمَ الْجَزَعُ ثَاقِبُهُ

ويقال هو أمدح بيتِ قَيل فى الجاهلية .

والطمّحان بفتح الطاء والميم بعدها حاءٌ مهملة .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والتسعون بعد الخمسائة ، وهو

٤٢٧

من شواهد س ^(٢) :

٥٩٢ (وَهُمْ أَهْلَاتُ حَوْلَ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ
إِذَا أَدْلَجُوا يَدْعُونَ بِاللَّيْلِ كَوَثْرًا)

(١) كتاب المعمرين ٥٧ . وانظر الأغاني ٢ : ١٢٢ ومحاضرات الراغب ٢ : ١٩٦ .

(٢) فى كتابه ٢ : ١٩١ . وانظر ابن يعيش ٥ : ٣٣ واللسان (أهل ٢٩) .

على أَنَّهُ جُمِعُ أَهْلُهُ ، جُمِعَ بِاعْتِبَارِ اسْمِيَّتِهِ ، ولهذا فُتِحَ عَيْنُهُ .

وفيه ردُّ على سيبويه في زعمه أَنَّهُ جُمِعَ أَهْلٌ . قال : وقد يجمعون المؤنث الذي ليست فيه هاءُ التأنِيثِ بالتاءِ ، كما يجمعون مافيه الهاءُ ، لَأَنَّهُ مؤنَّثٌ مثله . وذلك قولهم : عُرُسَاتُ وَأَرْضَاتُ ، وعِيرَاتُ ، حَرَكَوا الياءَ وأَجْمَعُوا فيها على لغة هذيل ، لَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : بَيْضَاتُ وَجَوَزَاتُ . وقد قالوا عِيرَاتُ وقالوا أَهْلَاتُ فَخَفَّفُوا ، شَبَّهُوا ^(١) بصِغَبَاتٍ حيث كان أَهْلٌ مذكراً تدخله الواو والنون ، فلَمَّا جَاءَ مؤنثاً كمؤنث صَغَبٍ فُعلَ به كما فعل بمؤنث صَغَبٍ . وقد قالوا أَهْلَاتُ ^(٢) كما قالوا أَرْضَاتٍ . قال المخبِّلُ :

وهم أَهْلَاتٌ حَوْلَ قَيْسٍ بنِ عَاصِمٍ ... البيت . انتهى

قال الأَعْلَمُ : الشاهد فيه جمع أَهْلٍ على أَهْلَاتٍ وتحريك الثاني ^(٣) . ووجه دخول الألف والتاء فيه حمل أَهْلٍ على معنى الجماعة ، لَأَنَّهُ يُوْدَى عن معناها وإن لم تكن فيه الهاءُ ، فجمع بالألف والتاء كما تجمع الجماعة . ووجه تحريك الثاني تشبيهه بأَرْضَاتٍ ، لَأَنَّهُ في الجمع مؤنَّثٌ مثلها ، ولأنَّ حكم ما يجمع بالألف والتاء من باب فَعْلَةٍ ، وكان من الأسماءُ ، تحريكُ ثانيه ، كجفنة وجفنات . انتهى .

(١) سيبويه : « شَبَّهُوا » .

(٢) سيبويه : « وقد قالوا أَهْلَاتُ ثَقَلُوا » .

(٣) الشنترى : « بالألف والتاء وتحريك الثاني » .

وقد تبع الزمخشريُّ (في مفضَّله) سيبويه فقال : وحكم المؤنث الذى لا تاء فيه كحكم الذى فيه التاء ، قالوا : أَرْضَاتِ وَأَهْلَاتِ فى جمع أَرْضٍ وَأَهْلٍ . قال : « فهم أهلات » البيت .

قال شارحه ابن يعيش : أَهْلَاتِ : جمع أهلة ، وليس بجمع أهل كما ظنه المصنف ^(١) . ألا ترى أَنَّ أَهْلًا مذكر يجمع بالواو والنون ، لأنَّهم لَمَّا وصفوا به أَجْرُوهُ مجرى الصِّفَاتِ فى دخول تاء التانيث ، للفرق ، فقالوا : رجل أَهْلٌ وامرأة أهلة ، كما يقولون ضارب وضاربة . قال الشاعر :

* وَأَهْلَةٌ وَدٌّ قَدْ تَبَرَّيْتُ وَدَّهْمِ *

ولمَّا قالوا فى المذكر أَهْلٌ وَأَهْلُونَ وفى المؤنث أَهْلَةٌ وَأَهْلَاتِ ، أشبهَ فعلة من الصفات فجمعه ^(٢) بالآلف والتاء ، وأسكنوا الثانى منه كما فعلوا ذلك بسائر الصفات . ومن العرب من يقول أَهْلَاتِ ، فيفتح الثانى كما فتحوا فى أَرْضَاتِ ، لأنَّه اسمٌ مثله وإن كان أشبه الصِّفَةِ . قال المخبل :

فهم أَهْلَاتٌ حول قيس بن عاصم ... انتهى

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ للمخبل السعدى . قال ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) : وقبله :

أبيات الشاهد (أَلَمْ تَعْلَمِ يَا أُمَّ عَمْسِرَةَ أَنَّي تَخَاطَأَنِ رَيْبُ الزَّمانِ لَأَكْبَرَا
وأشهد من عَوْفٍ حُلُولاً كثيرة يَحْجُونَ سِبَّ الزَّبْرِقانِ الْمُزْعَفْرَا

(١) الذى فى ابن يعيش : « كما ظنه صاحب الكتاب » ، يعنى سيبويه ، لا الزمخشري كما يتبادر إلى الذهن من عبارة « كما ظنه المصنف » .

(٢) فى التسخين : « جمعه » والصواب ما أثبت من ابن يعيش .

فهم أهلاتٌ حولَ قيس بن عاصم ... البيت)

وقوله : « أَلَمْ تَعْلَمِي » إلخ ، قال أبو محمد الأسود الأعرابي : معناه أَنَّهُ كره أن يعيش ويعمرَ حتَّى يرى الزبرقان من الجلالة والعظمة بحيث يحجُّ بنو سعد عِصَابَتَهُ ^(١) . انتهى .

وتخاطباني بمعنى تخطَّاني وفاتني . و « ريب الزَّمان » : حوادثه . وكبر في السَّنِّ ، من باب فرح .

وقوله : « وأشهد » بالنصب عطف على لَأَكْبَر . وعوف : أبو قبيلة ، وهو عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . والحُلُول : القوم النُّزُول ، من حُلَّ بالمكان إذا نزل فيه . ويحجُّون : يقصدون . قال ابن دريد (في الجمهرة) : الحجُّ : القصد . وأنشد هذا البيت . ٤٢٨

والسَّبُّ بكسر السين المهملة : العمامة ، قال ابن دريد (في الجمهرة) : السَّبُّ بالكسر : الشَّقَّةُ البيضاء من الثياب ، وهي السَّيْبَةُ أيضاً . وأنشد هذا البيت وقال : يريد العمامة ههنا . وكانت سادات العرب تصبغ العمائم بالزَّعفران . وقد فسَّر قومُ هذا البيت بما لا يذكر . انتهى .

أقول : من جُملة من فسَّره بالقبيح الأصمعي ، قال (في كتاب الفرق بين ما للإنسان والوحوش) : قالوا في الدُّبُر من الإنسان دون البهائم : اسْتُتْ وَسِتُّ وَسَهُْ بالهاء ، ويسمى أيضاً السُّبَّة بالضم ، والسُّبَّة بالفتح ، والسُّبَّة بالكسر . قال المخبل :

* يحجُّون سِبَّ الزبرقان المزعفرا *

(١) العصاية : العمامة ، وكل ما يعصب به الرأس .

قال ابن السيرافي (في شرح أبيات الإصلاح) : قال بعضُ الناس : إنّ الشاعر قصد بهذا البيت معنى قبيحاً وكفى بهذا اللفظ عنه . وإنما أراد أنّ الزبرقان كان به داءُ الأُبنة يؤتى من أجله . انتهى .

ويدفعه قوله « يزورون » ، فإنّ الزيارة لا تستعمل في مثل هذا ، إلا أن يدعى التهكم .

وقال أبو محمد الأسود : من زعم أنّ المخبل كنى ههنا عن قبيح فقد أخطأ ، وإنما قصد^(١) بسبّ الزبرقان أنّ بني سعد بن زيد مناة كانوا يحجّون عصابته إذا استهلّوا رجياً في الجاهلية ، إجلالاً له وإعظاماً لقدره . وذكر ذلك ربيعةُ بن سعد النمرى يمدح الزبرقان :

كانت تحجُّ بنو سعد عصابته إذا استهلّوا على أنصابه رجياً
سبُّ يزغفره سعدٌ ويعبده في الجاهلية ينتابونه عُصبا^(٢)

والعصابة : ما يعصب به الرأس . انتهى .

الزبرقان بن بدر والزبرقان هو ابن بدر الصحابي ، ولأه النبي صلى الله عليه وسلم صدقات بني تميم .

قال صاحب (زهر الآداب) : سمي الزبرقان لجماله . والزبرقان : القمر قبل تمامه ، وقيل لأنّه كان يزبرق عمته في الحرب ، أي يصفرها . انتهى .

واسمه حُصين بن بدر . وإيَّاه عنى المخبل بقوله من هذه القصيدة :

(١) ش : « أراد » .

(٢) ينتابونه : يقصدونه مرة بعد مرة . وفي ش : « بيتا يومه » . تحريف .

تَمْنَى حَصِينٌ أَنْ يَسُودَ جِذَاعُهُ فَأَمْسَى حَصِينٌ قَدْ أَذَلَّ وَأَقْهَرَا^(١)
والجِذَاعُ^(٢) ، بكسر الجيم بعدها ذال معجمة : أولاد السَّعْفَاءِ .
قال صاحب جمهرة الأنساب : ولد عوفُ بن كعب بن سعد عَطَارِدًا ،
وَبَهْدَلَةً ، وَجُثَمَ ، وَبِرْنِيقًا^(٣) . وأُمُّهم السَّعْفَاءُ بنت غَنَمٍ من بنى باهلة ،
ويقال لبنيها : الجِذَاع . وأنشد هذا البيت .

وقال السَّخَاوِي (في سفر السَّعَادَةِ) : وإِنَّمَا سَمَّى الزَّبْرَقَانُ لَصَفَرَةِ
عِمَامَتِهِ . وزبرقت الثَّوبُ أَيْ صَفَّرَتْهُ . وقال « المَزْعَفَرُ » لِأَنَّ السَّبَّ مَذْكُورٌ
وإن كان المراد به العمامة .

وقوله : (وهم أهلات) إلخ ، الظاهر أنَّ هذا البيت غير متصل بما قبله ،
لسقوط أبياتٍ بينهما . يقول : هم أهلات وأقاربُ حول قيس بن عاصم .
يعنى أَنَّهُ سَيِّدُهُمْ ، وهم قد أحاطوا به . وأدلج القوم إدلاجاً
كأَكْرَمَ إِكْرَاماً : ساروا اللَّيْلَ كُلَّهُ . فَإِنْ سَارُوا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَلِيلًا ادْلَجُوا
إِدْلَاجاً بِتَشْدِيدِ الدَّالِ . قال الأَعْلَمُ : وصف اجتماعَ أَحِبَّاءِ سعد من بنى
مِنْقَرٍ وَغَيْرِهِمْ إِلَى قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ الْمَنْقَرِيِّ سَيِّدِهِمْ ، وَتَعْوِيلَهُمْ عَلَيْهِ فِي

(١) ط : « جذاعة » ، صوابه في شمع أثر تصحيح ، واللسان (جذع ، قهر) ، والاقطصاب
٤٠٥ والتبذيب ٥ : ٣٩٥ .

(٢) في النسختين : « والجذاعة » ، والوجه ما أثبت كما يقتضيه السياق وما تؤيده المراجع
السابقة . وفي اللسان (جذع) أن جذاع الرجل قومه ، لا واحد له . ثم قال بعد إنشاد البيت : « وخص
أبو عبيد بالجذاع رهط الزبرقان » .

(٣) ط : « وبرنيق » ، صوابه في ش وجمهرة ابن حزم ٢١٨ والاشتقاق ٢٥٤ واللسان
(برنق) . وقال ابن منظور : « وبنو برنيق : بطين من العرب » . وذكروا أن البرنيق : ضرب
من الكمأة يكون لها شبيهه الاقماع يكون فيها دم قاتل .

أُمُورِهِمْ . والكُوثر : الجواد الكثير العطاء . أَى إِن أَدْلَجُوا حَدُّوا الإِبِلَ
بِمَدْحِهِ وَذِكْرِهِ . انتهى .

وقيل إِنَّ كُوثرًا كان شعاراً لهم عند نداء بعضهم بعضاً في الليل
وفي الحرب .

٤٢٩

قيس بن عاصم قيس بن عاصم صحابي ، وهو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد
ابن منقر بكسر الميم ، ابن عُبيد بن مُقاعس بن عمرو بن كعب بن
سعد بن زيد مناة بن تميم .

وفدَّ قيسُ بن عاصم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « هذا
سيدُ أَهْلِ الوبر » .

وترجمة المخبِّل السعدي تقدَّمت في الشاهد الرابع والثلاثين بعد
الأربعمئة ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد الخمسمئة ^(٢) :

٥٩٣ (أَخُو بَيَّضَاتٍ رَائِحُ مَتَاوَبٌ)

على أَنَّ هذِيلاً تفتح عين فَعْلَةً الاسمى في الجمع بالآلف والتاء ،
كَبَيَّضَاتٍ ، بفتحات .

(١) الخزانة ٦ : ٩٣ - ٩٥ .

(٢) المحتسب ١ : ٥٨ والخصائص ٣ : ١٨٤ والمنصف ١ : ٣٤٣ وابن يعيش ٥ : ٣٠
وشرح شواهد الشافية ١٣٢ والعيني ٤ : ٥١٧ والتصريح ٢ : ٢٩٩ والمجمع ١ : ٢٣
والأشئوني ٤ : ١١٨ .

صرَّح به ابن جنى (فى الخصائص) بأنَّ فتح حرف العلة فى بَيَضَات وجَوَزَات لغة هذيل ، فلا يكون من قبيل ضرورة الشعر .

ولهذا لم يورده ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) .

قال أبو عُمر^(١) محمد بن عبد الواحد الزاهد (فى كتاب اليواقيت) :
قال أبو العباس : وأخبرنى سلمة عن الفراء قال : أنشدنى بعض بنى
هذيل « أخو بيضات » البيت .

وكذا قال الزمخشريُّ (فى المفصل) : إذا اعتلَّت عين فعلة سكنت
إلَّا فى لغة هذيل . فعند غير هذيل يكون الفتح ضرورة .

وقد أطلق ابن جنى (فى شرح تصريف المازنى) فقال : وقد جاء
فى الشعر تحريك مثل هذا . قال الشاعر : « أخو بيضات » البيت .
وهذا ليس بجيد ، ولا بدَّ من التقييد .

قال (فى المحتسب) : امتنعوا من تحريك العين فى فعلة إذا
كانت حرف علة ، كجَوَزَات وبيضات . ولو حرَّك لوجب أن يُعذر من
صحَّة العين مع حرَّكتها وانفتاح ما قبلها بأنَّ يقال : لو أُعَلَّت لوجب
القلب فيصير جازات وباضات ، فيلتبس ذلك بما عينه فى الواحد أَلْفُ
منقلبة ، نحو قارة وقارات ، وجارة وجارات . وإذا جاز إسكان العين
الصحيحة نحو تمرات وشفرات صار المعتلُّ أخرى بالصحة . وربما جاء
الفتح فى العين ، كما قال الهذليُّ^(٢) :

(١) ش : « أبو عمرو » ، صوابه فى ط ، كما هو معروف فى ترجمته .

(٢) البيت لم يرد فى ديوان الهذليين ولا شرح أشعارهم . وأوله فى رواية ابن جنى فى كتبه
كلها : « أبو بيضات » ، لا « أخو بيضات » .

* أَخُو بَيَّضَات رَائِحُ مُتَأَوِّبٌ *

وعذره في ذلك أَنَّ هذه الحركة إِنَّمَا وجبت في الجمع ، وقد سبق العلم بكونها في الواحد ساكنة ، فصارت الحركة في الجمع عارضة فلم تُحْفَلْ . وفي هذا بعد هذا ضعفٌ . ألا ترى أَنَّ هذه الألف والتاء تبنّى الكلمة عليهما وليستا في حكم المنفصل . يدلُّك على ذلك صحَّةُ الواو في خُطُوات . ولو كانت الألف والتاء في حكم المنفصل لوجب إعلال الواو ، لأنها لام وقبلها ضمة . قال أبو علي : يدلُّك على أَنَّ الكلمة مبنية على الألف والتاء أطراد إِتِّباع الكسر للكسر في سِدِرَات وكِسِرَات مع عِزَّة فِعِل في الواحد بكسرتين^(١) . إِلَّا أَنَّ مِمَّا يُونَس بكون حركة العين غير لازمة ، قولُ يونس في جِرْوَة إذا قلت جِرَوَات . فصحَّة الواو وهى لامٌ بعد كسرة تدلُّك على قلة الاعتداد بها . أو يقال : إِنَّ هذا شاذ ، يدلُّ على شذوذه امتناعهم أَنَّ يحرَّكوا عين كُليَّة ومُدِّيَّة في هذا الجمع^(٢) ، لما كان يعقب ذلك من وجوب قلب الياء إلى الواو . فدلَّنا ذلك على أَنَّ نحو جِرَوَات شاذ . فهذه أشياء تراها متكافئة . وعلى كل حال فلاختيار خُطُوات بالإسكان . انتهى .

والمصراع صدرٌ . وعجزه :

(رفيقٌ بمسح المنكبين سبوحٌ)

والبيت مع كثرة وجوده في كتب النحو والصرف لم أُطَّلِع على قائله ، ولا على تتمته . قال شارح اللباب : يصف ذَكَراً من النعام ، أى هو أَخُو بَيَّضَات يرجع ويسرع إلى بيضاته .

٤٣٠

(١) الذى في المحتسب : « مع عزة فعل في الواحد . وإنما حكى سيبويه منه إبل لا غير » .

(٢) بدله في المحتسب : « أن يحرَّكوا عين كلية ومدية ، وأن يقولوا : كليات ومديات » .

وقال بعض فضلاء العجم (في شرح أبيات المفصل) : الرائح : الذى يسير ليلاً . والمتأوب : الذى يسير نهاراً ، يصف ظليماً وهو ذكر النعام ، شبه به ناقته ، فيقول : ناقتى فى سرعة سيرها كظليم^(١) له بيضات يسير ليلاً ونهاراً ليصل إلى بيضاته . رفيق بمسح المنكبين : عالم بتحريكهما فى السير . سبوح : حسن الجرى . وإنما جعله أخا بيضات ليدل على زيادة سرعته فى السير ، لأنه موصوف بالسرعة . وإذا قصد بيضاته يكون أسرع . انتهى .

وقال الكرمانى (فى شرح أبيات الموشح) : رائح من الرواح ، أى راجع . والسبوح من السبح ، وهو شدة الجرى . والمراد برفيق بمسح المنكبين : التحرك يمناً وشمالاً ، وذلك من عادة الطير . والمنكب : مجتمع ما بين العضد والكتف . وقد خطأ العيني فخر الدين الجاربردى فى قوله : البيت فى صفة النعامة ، بأن البيت فى مدح جملة شبهه بالظليم^(٢) . والتخطئة لا وجه لها ، وكونه فى وصف نعامة أو ظليم أمر سهل مع أنه متوقف على الوقوف على ما قبل هذا البيت .

قال صاحب المصباح : يتوهم بعض الناس أن الرواح لا يكون إلا فى آخر النهار ، وليس كذلك بل الرواح والغدو عند العرب يستعملان فى المسير أى وقت كان ، من ليل أو نهار . قاله الأزهري وغيره . وعليه قوله عليه الصلاة والسلام : « من راح إلى الجمعة فى أول النهار فله كذا » ، أى من ذهب .

والتأوب : تفعل من الأوب ، وهو الرجوع من السفر . والرفيق من الرفق ، وهو ضد العنف .

(١) ط : « ظليم » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) ش : « يشبه » ، وأثبت ما فى ط .

جمع التكسير

أُنشد فيه ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد سيوييه ^(١) :

٥٩٤) لَنَا الْحَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ فِي الضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا
على أَنَّهُ إِنْ ثَبِتَ اعْتِرَاضُ النَّابِغَةِ عَلَى حَسَّانَ بِقَوْلِهِ : « قَلَلْتُ
حِفَانَكَ وَسُيُوفَكَ » لَكَانَ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمَجْمُوعَ بِالْأَلْفِ وَالتَّاءِ جَمْعُ
قَلَّةٍ . وَهَذَا طَعْنٌ مِنْهُ عَلَى هَذِهِ الْحِكَايَةِ .

ثُمَّ اسْتَظْهَرَ أَنَّ جَمْعِي السَّلَامَةِ لِمَطْلُوقِ الْجَمْعِ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى الْقَلَّةِ
وَالكَثْرَةِ ، فَيَصِلُحَانِ لَهَا . انْتَهَى .

وَقَدْ نَظَّمَهُ أَبُو الْحَسَنِ الدَّبَّاجُ ^(٢) ، مِنْ نَحْوَةِ إِشْبِيلِيَّةٍ ، ذِيلاً لِمَجْمُوعِ
الْقَلَّةِ مِنَ التَّكْسِيرِ فِي بَيْتٍ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ ، وَهَمَا :

بِأَفْعُلٍ وَبِأَفْعَالٍ وَأَفْعَلَةٍ وَفِعْلَةٍ يُعْرِفُ الْأَدْنَى مِنَ الْعَدَدِ
وَسَالِمِ الْجَمْعِ أَيْضاً دَاخِلٌ مَعَهَا فَهَذِهِ الْخَمْسُ فَاحْفَظْهَا وَلَا تَنْزِدْ
وَقَدْ صَرَحَ سَيُويِيهِ بِأَنَّ الْجَمْعَ بِالْأَلْفِ وَالتَّاءِ لِلْقَلَّةِ . وَأَوَّلَ بَيْتٍ
حَسَّانَ عَلَى أَنَّهُ لِلكَثْرَةِ ، وَهَذَا نَصُّهُ :

وَأَمَّا مَا كَانَ عَلَى فَعْلَةٍ فَإِنَّكَ إِذَا أَرَدْتَ أَدْنَى الْعَدَدِ جَمَعْتَهَا بِالتَّاءِ وَفَتَحْتَ
الْعَيْنَ ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ : قَصْعَةٌ وَقَصَّعَاتُ ، فَإِذَا جَاوَزْتَ أَدْنَى الْعَدَدِ كَسَرْتَ
الاسْمَ عَلَى فِعَالٍ ، وَذَلِكَ قَصْعَةٌ وَقِصَاعُ .

(١) فِي كِتَابِهِ ٢ : ١٨١ وَالْمُقْتَضَبُ ٢ : ١٨٨ وَالْمَعْنُونَ ٣ وَالْخَصَائِصُ ٢ : ٢٠٦
وَالْمَحْتَسَبُ ١ : ١٨٧ ، ١٨٨ وَالْمَوْشِحُ ٦٠ ، وَالْأَغَانِي ٨ : ١٨٨ وَابْنُ يَعْيشَ ٥ : ١٠ وَالْعَيْنُ
٤ : ٥٢٧ وَالْأَشْمُونِيُّ ٤ : ١٢١ وَدِيوانُ حَسَّانَ ٣٧١ .

(٢) الدَّبَّاجُ ، بِالذَّالِ الْمَهْمَلَةِ الْمَفْتُوحَةِ وَالْبَاءِ الْمَهْمَلَةِ الْمَشْدُودَةِ وَآخِرُهُ جِيمٌ . وَوَرَدَ فِي النَّسَخَتَيْنِ
مَحْرفاً « الذِّيَّاحُ » ، صَوَابُهُ مِنَ الْبَغِيَّةِ ٢ : ١٥٣ . وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَى بْنِ جَابِرَ بْنِ عَلِيِّ الْأَشْبِيلِيِّ
الْحَنَفِيِّ النَّحْوِيِّ . تَصَدَّرَ لِإِقْرَاءِ النَّحْوِ وَالْقُرْآنِ نَحْوَ خَمْسِينَ سَنَةً وَتَوَفَّى سَنَةَ ٦٤٦ .

ثم قال : وقد يجمعون بالتاء وهم يريدون الكثير ، قال حسان :

لنا الجَنَاتُ الغُرُّ البيت .

فلم يرد أدنى العدد . انتهى .

٤٣١ قال الأعلم : الشاهد في وضع الجففات وهي لما قل من العدد في الأصل ، لجريها مجرى الثلاثة ، موضع الجفان التي هي للكثير . و (الغر) البيض ، يريد بياض الشحم . و (الأسياف) جمع لأدنى العدد ، فوضعه موضع الكثير . وصف قومه بالندى والبأس ، يقول : جفاننا معدة للأضياف ومساكين الحي بالغداة ، وسيوفنا يقطرن دماً ، لنجدتنا وكثرة حروبنا . انتهى .

وإلى مذهب سيبويه ذهب الزجاج ، قال في تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾^(١) قالوا : هي أيام التشريق . ومعدودات يستعمل كثيراً في اللغة للشيء القليل . وكل عدد قل أو كثر فهو معدود ، ولكن معدودات أول على القلة ، لأن كل قليل يجمع بالآلف والتاء ، نحو درهيمات وحمّامات . وقد يجوز ، وهو حسن كثير ، أن يقع الآلف والتاء للتكثير . وقد روى أنه عيب على القائل : « لنا الجففات الغر » البيت ، فقليل له : قللت^(٢) الجففات ولم تقل الجفان ! وهذا الخبر عندي مصنوع ، لأن الآلف والتاء قد تأتي للكثرة ، قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾^(٣) ، وقال : ﴿ فِي جَنَّاتٍ ﴾

(١) الآية ٢٠٣ من سورة البقرة .

(٢) ط : « قلت » ، وأثبت ما في ش .

(٣) الآية ٣٥ من الأحزاب .

وقال : ﴿ وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ ﴾^(١) فالمسلمون ليسوا في غُرَفَات قليلة ، ولكن إذا خصَّ القليل في الجمع بالألف والتاء دلَّ عليه ، لأنَّه يلي التثنية . وجائز حسن أن يراد به الكثير ، ويدلُّ المعنى الشاهد على الإرادة ، كما أنَّ قولك جمع يدل على القليل والكثير . انتهى .

وكذلك قال ابن جني (في المحتسب) عند قراءة طلحة من سورة النساء : ﴿ صَوَالِحٌ قَوَانِتٌ حَوَافِظٌ لِلْغَيْبِ ﴾^(٢) . قال أبو الفتح : التكسير هنا أشبه لفظاً بالمعنى ، وذلك أنَّه إنَّما يراد هنا معنى الكثرة لا صالحات من الثلاث إلى العشر . ولفظ الكثرة أشبه بمعنى الكثرة من لفظ القلَّة بمعنى الكثرة ، والألف والتاء موضوعتان للقلَّة ، فهما على حدِّ التثنية بمنزلة الزيدون من الواحد إذا كانوا على حدِّ الزيدان^(٣) . هذا موجب اللغة على أوضاعها ، غير أنَّه قد جاء لفظ الصَّحَّة^(٤) والمعنى الكثرة كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾ والغرض في جميعه الكثرة لا ما هو لما بين الثلاثة إلى العشرة ، وكان أبو علي ينكر الحكاية المروية عن النابغة وقد عرَّض عليه حسن شعره ، وأنَّه لما صار إلى قوله لنا الجففات الغر ، البيت ، قال له النابغة « لقد قللت جفنانك وسيوفك ! قال أبو علي : هذا خبر مجهول لا أصل له ، لأنَّ الله تعالى يقول : ﴿ وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ ﴾ ولا يجوز أن تكون الغرف كلُّها التي في الجنَّة من الثلاث إلى العشر . وعُذر ذلك عندى أنه قد كثر عنهم وقوع الواحد على معنى الجمع جنساً ، كقولنا : أهلك

(١) الآية ٣٧ من سورة سبأ .

(٢) من الآية ٣٤ في سورة النساء . وقراءة الجماعة : « فالصالحات قانتات حافظات للغيب » .

(٣) في المحتسب : « إذا كان على حد الزيدان » .

(٤) أى الجمع الصحيح للمؤنث والمذكر ، وهما للقلَّة :

الناسَ الدينارُ والدرهم ، وذهب الناسُ بالشاة والبعير ، فلما كثر ذلك جاءوا في موضعه بلفظ الجمع الذي هو أدنى إلى الواحد أيضاً ، أعني جمعَي السَّالم^(١) ، وعُلم أيضاً أنه إذا جيء في هذا الموضع بلفظ جمع الكثرة لا يتدارك معنى الجنسية ، فلهوا عنه وأقاموا على لفظ الواحد تارة ولفظ الجمع المقارب للواحد تارة أخرى ، إراحة لأنفسهم من طلب ما لا يدرك ويأساً منه . فيكون هذا كقوله :

رَأَى الْأَمْرَ يُفْضَى إِلَى آخِرٍ فَصِيرَ آخِرَهُ أَوَّلًا^(٢)

ومثل هذين الجمعين مجيئهم في هذا الموضع بتكسير القلة^(٣) كقوله تعالى : ﴿ وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴾^(٤) ، وقول حسان : وأسيافنا يقطرن ، ولم يقل عيونهم ولا سيوفنا . وقد ذكرنا هذا ونحوه في كتاب الخصائص^(٥) . انتهى .

قال شيخنا ياسين الحمصي (في شرح ألفية ابن مالك) : اعلم أنهم قالوا : إذا قرن جمع القلة بـال التي للاستغراق ، أو أضيف إلى ما يدل على الكثرة انصرف بذلك إلى الكثرة . وعلى هذا الإيراد ما قاله النابغة على حَسَّان ، ويقال إنَّ حَسَّانَ أجاب بذلك ، لكنَّ قوله أسيافنا لم يُضَفْ إلى ما يدل على الكثرة . وعليك بحفظ هذه القاعدة ، فكثيراً ما يُغفل عنها . ومن غَفَلَ عنها العلامة ، والقاضي ، وصاحب المغني^(٦) في تفسير قوله

(١) لفظ المحتسب : « أعني الجمع بالواو والنون ، والألف والتاء » .

(٢) في الخصائص ١ : ٢٠٩ / ٢ : ٣١ ، ١٧٠ وابن يعيش ٥ : ١٢٠ وفي بعض أصول الخصائص : « فصير غايته » .

(٣) ط : « بتكثير القلة » ، صوابه في ش والمحتسب .

(٤) من الآية ٩٢ في سورة التوبة .

(٥) انظر الحاشية ١ .

(٦) ط : « وصاحب المغني » بزيادة واو ، وفي ش : « والمغني » فقط . والوجه ما أثبت .

تعالى: ﴿مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾^(١) حيث وجهوا التعبير بجمع القلة بما ذكروه . ورد عليهم الكوراني بأن الجمع في الآية مضاف . واعلم أيضاً أن أبا حيان استشكل انصراف جمع القلة إلى الكثرة بما حاصله أنه وضع للقلة وهي من ثلاثة إلى عشرة فإذا دخل أداة الاستغراق ينبغي أن يكون الاستغراق فيها وضع له ، لا فيها زاد ، لأنه ليس مما وضع له . ثم أجاب بما حاصله أنه وضع بوضع آخر مع أداة الاستغراق للكثرة . انتهى .

وقال أيضاً (في حاشيته على التصريح للشيخ خالد) : اعلم أن ما ذكره النحاة من أن جموع القلة للعشرة فما دونها لا ينافي تصريح أئمة الأصول بأنها من صيغ العموم ، لأن كلام النحاة ، كما قال إمام الحرمين ، محمول على حالة التجرد عن التعريف . انتهى .

وهذا الجواب فيه نظر ، فإن غالب ما وقع فيه النزاع معرّف بآل .

وقد نقل جماعة اعتراض النابغة على حسن في هذا البيت ، منهم أبو عبد الله المرزباني (في كتاب الموشح) من عدة طرق ، قال : كتب إلى أحمد بن عبد العزيز ، أخبرنا عمر بن شبة قال : حدثني أبو بكر العليمي قال : حدثنا عبد الملك بن قُريب قال : كان النابغة الذبياني تُضربُ له قبة حمراء من آدم بسوق عكاظ ، فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها . قال : فأول من أنشده حسن بن ثابت الأنصاري^(٢) :

لنا الجففاتُ الغُرُّ يلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دماً
ولدنا بني العنقاء وابنى محرق فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابنماً^(٣)

(١) الآية ٢٧ من سورة لقان .

(٢) الذي في الموشح ٨٢ : « فأول من أنشده الأعشى ميمون بن قيس أبو بصير ، ثم أنشده حسان بن ثابت الأنصاري » في الكلام سقط .

(٣) ط : « وابن محرق » صوابه فيش والحيوان ١٤٨ : ٧ والموشح وديوان حسان ٣٧١ .

فقال له النابغة : « أنت شاعر ، ولكنك أقللت جفانك وأسيافك ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك » .

وحدثني علي بن يحيى قال : حدثنا أحمد بن سعيد قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثني عمي مصعب بن عبد الله قال : أنشد حسان نابغة بني ذبيان قصيدته التي يقول فيها : « لنا الجففات الغر » فقال له : « ما صنعت شيئاً ، قللت أمركم فقلت : جففات وأسياف » .

وأخبرني الصولي قال : حدثني محمد بن سعيد ، ومحمد بن العباس الرياشي ، عن الأصمعي ، عن أبي عمرو بن العلاء قال : كان النابغة الذبياني تضرب له قبة بسوق عكاظ من آدم ، فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها ، فاتاه الأعشى فكان أول من أنشده ، ثم أنشده حسان بن ثابت قصيدته التي منها : « لنا الجففات الغر » وذكر البيهقي ، فقال له النابغة : « أنت شاعر ولكنك أقللت جفانك وأسيافك ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك » .

قال الصولي : فانظر إلى هذا النقد الجليل الذي يدل عليه نقاء كلام النابغة وديباجة شعره ، لأنه قال : وأسيافنا ، وأسياف جمع لأدنى العدد ، والكثير سيوف . والجففات لأدنى العدد ، والكثير جفان . وترك الفخر بابائه وفخر بمن ولد نساؤه .

قال : ويروى أن النابغة قال له : « أقللت أسيافك ولمعت جفانك ^(١) » . يريد قوله « لنا الجففات الغر » والغرة : لمعة بياض في الجفنة . فكان النابغة

(١) في النسخين : « أجفانك » ، صوابه في الموشح ٦٠ . وإنما تجمع الجفنة على جفان ، كما تجمع على جفن بكسر ففتح ، كهضبة وهضب .

عابَ هذه الجفان ، وذهب إلى أَنَّهُ لو قال لنا الجفنان البيض فجعلها
بيضا ، كان أحسن . فلمرى إِنَّه حسنٌ في الجفان ، إِلَّا أَن الغرَّ أَجلُ
لفظاً من البيض .

قال أبو عبد الله المرزبانى : وقال قومٌ ممن أنكر هذا البيت : في
قوله يلمعن بالضحي ولم يقل بالدجى . وفي قوله وأسيافنا يقطرن ولم
يقول يجرين ، لأنَّ الجرى أكثر من القطر . وقد ردَّ هذا القول واحتجَّ
فيه قومٌ لحسان ، بما لا وجهَ لذكره في هذا الموضع .

فأما قوله : « فخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك » فلا عذر عندى
لحسان فيه على مذهب نقاد الشعر . وقد احتسب من مثل هذا الزلل
رجلٌ من كلب فقال يذكر ولادتهم لمُصعب بن الزبير وغيره ممن ولده
نساؤهم :

وعبد العزيز قد ولدنا ومُصعباً وكتبُ أبٌ للصالحين ولُودُ
فإنَّه لما فخر بمن ولده نساؤهم فضل رجالهم ، وأخبر أنَّهم يلدون
الفاضلين ، وجمع ذلك في بيت وأجاد . انتهى ما أورده المرزبانى .

ومن نقلها أيضاً أبو الفرج الأصبهاني (في الأغاني) قال بعد إيراد
سنده : إِنَّ النابغة كانت تُضرب له قبةً في سوق عكاظ ، وتُنشده الشعراءُ
أشعارها ، فأنشده الأعشى شعراً فاستحسنه : ثم أنشدته الخنساء قصيدةً
حتى انتهت إلى قولها :

وإنَّ صخرًا لو ألينا وسيِّدنا وإنَّ صخرًا إذا نشئوا لنحارُ
وإنَّ صخرًا لتأتى الهداة به كأنَّه علمٌ في رأسه نارُ

فقال : لولا أَنَّ أبا بصيرٍ الأعشى أنشدني قبلك لقلت إِنَّكَ أشعرُ الناس : أَنْتِ والله أشعرُ من كلِّ ذاتِ مَثَانَةٍ^(١) . فقالت : إِي والله ومن كلِّ ذِي خُصِيَيْن . فقال حسان : أَنَا والله أشعر منك ومنها ومن أبيك . قال : حيث تقول ماذا ؟ قال : حيث أقول : لنا الجففات الغُرَّ ... البيتَيْن . فقال : إِنَّكَ شاعر لولا أَنَّكَ قُلَّلتَ عدد جفنانك ، وفخرت بمن ولدته . وفي رواية أخرى : قال له : إِنَّكَ قُلَّلتَ الجففات فقلَّلتَ العدد ، ولو قُلَّلتَ الجفنان لكان أكثر ، وقلت يلمعن بالضحي ، ولو قلت يبرقن بالدُّجى لكان أبلغ في المديح ، لأنَّ الضيف في الليل أكثر . وقلت يقطرن من نجدة دمًا فدلَّلت على قلة القتل ، ولو قلت يعجرين لكان أكثر لانصباب الدم . وفخرت بمن ولدت ولم تفتخر بمن ولدك . فقام حسان منكسراً منقطعاً . انتهى مارواه .

وقال أسامة بن منقذ (في باب التفريط من كتاب البديع) : اعلم أَنَّ التفريط هو أن يُقدِّم على شيء فيأْتِي بدُّونه ، فيكون تفريطاً منه إذ لم يكمل اللفظ أو يبالغ في المعنى . وهو بابٌ واسع يعتمد عليه النقاد من الشعراء ، مثل قول حسان بن ثابت الأنصاري : « لنا الجففات الغُرَّ » البيت .

وفرَّط في قوله الجففات لآنها دون العشرة ، وهو يقدر أن يقول : « لدينا الجفنان » : لأنَّ العدد القليل لا يُفتخر به وكذلك قوله « وأسيافنا » لآنها دون العشرة ، وهو قادر أن يقول : « وبيض لنا » .

(١) أصل المَثَانَة مستقر البول وموضعه من الرجل والمرأة ، لكن المراد بها هنا مهبل المرأة . قال الأزهري : « والمثانة عند عوام الناس موضع البول ، وهو عنده - يعني ابن الأعرابي - موضع الولد من الأنثى » .

وفرط في قوله « الغر » لأنَّ السُّود أمدح من البِيض ، لأجل الدهن وكثرة القِرَى فيهنَّ .

٤٣٤

وفرط في قوله بالضُّحى وهو قادر على أن يقول في الدجى ، لأنَّ كلَّ شَيْءٍ يلمع في الضُّحى . وفرط في قوله يقطرن ، وهو قادرٌ على أن يقول يجرين ، لأنَّ القطر قطرة بعد قطرة . وقال قُدَّامة : أراد بقوله الغر المشهورات . وقال بالضُّحى لأنَّه لا يلمع فيه إلَّا عَظِيمٌ ساطع الضوء : والدجى يلمع فيه يسير النور . وأما أسياف وجففات فإنَّه قد يوضع القليل موضع الكثير ، كما قال سبحانه : ﴿ لَّهُمْ جَنَّاتٌ ^(١) ﴾ و﴿ درجات ^(٢) ﴾ . وقوله يقطرن دماً هو المعروف والمألوف ، فلو قال يجرين لخرج عن العادة . وينوب قطر عن جرى . ا هـ .

وقال ابن أبي الإصبع (في كتابه تحرير التحبير) : في باب الإفراط في الصفة ، وهو الذى سَمَّاهُ قدامة المبالغة ، وسَمَّاهُ مَنْ بعده التبليغ : وحدَّ قدامة المبالغة بأن قال : هى أن يذكر المتكلم حالاً من الأحوال لو وقف عندها لأجزأت ، فلا يقف حتَّى يزيد في معنى ما ذكره ما يكون أبلغ في معنى قصده ، كقوله ^(٣) :

ونكرمُ جارنا ما دام فينا ونُتبعه الكرامة حيث مالا

وأنا أقول : قد اختلف في المبالغة ، فقوم يرون أجود الشعر أكذبه وخير الكلام ما بولغ فيه ، ويحتجون بما جرى بين النابغة الذبياني وبين

(١) في آيات كثيرة منها الآيتان ٢٥ ، ١٩٨ من البقرة و ١١٩ من المائدة .

(٢) لهم درجات في الآية ٤ من الأنفال .

(٣) في تحرير التحبير ١٤٧ : « كقول عمرو بن الأهتم التغلبى » . وانظر معاهد التنصيص

حَسَّانَ فِي اسْتِدْرَاكِ النَّابِغَةِ عَلَيْهِ تِلْكَ الْمَوَاضِعَ ، فِي قَوْلِهِ : «لَنَا الْجَفْنَاتِ
الْغُرَّ» .. الْبَيْتُ ؛ فَإِنَّ النَّابِغَةَ إِنَّمَا عَابَ عَلَى حَسَانٍ تَرْكَ الْمِبَالِغَةَ . وَالْقِصَّةُ
مَشْهُورَةٌ ، وَإِنْ رُؤِيَ عَنْهُ انْقِطَاعُهُ فِي يَدِ النَّابِغَةِ . وَقَوْمٌ يَرَوْنَ الْمِبَالِغَةَ
مِنْ عِيُوبِ الْكَلَامِ . وَالْقَوْلَانِ مُرْدُودَانِ .

وَقَدْ بَيَّنَّ وَجْهَ الرَّدِّ فِيهِمَا ^(١) .

وَنَقُلُ الْعَيْنِيُّ عَنْ ابْنِ يَسْعُونَ نَقَدَ هَذَا الْبَيْتَ مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ ، سَاقِطٌ ،
لَأَنَّ الْجَمْعَ فِي الْجَفْنَاتِ نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ ﴾ ^(٢) .
وَأَمَّا الْغُرَّ هُنَا فَلَيْسَ جَمْعُ غُرَّةٍ ، بَلِ الْبَيْضُ الْمَشْرِفَاتُ مِنْ كَثْرَةِ الشُّحُومِ
وَبَيَاضِ اللَّحُومِ . وَهِيَ جَمْعُ غَرَاءَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِهَا الْمَشْهُورَةُ الْمَنْصُوبَةُ
لِلْقِرَى . وَكَذَلِكَ « يَلْمَعَنَّ » هُوَ الْمُسْتَعْمَلُ فِي هَذَا النَّحْوِ الَّذِي يُدَلُّ بِهِ
عَلَى الْبَيَاضِ ، كَمَا تَقُولُ : لَمَعَ السَّرَابُ ، وَلَمَعَ الْبَرْقُ ، وَكَذَلِكَ الضُّحَى
وَالضَّحَاءُ ، لِأَنَّهُمَا بِمَعْنَى . عَلَى أَنَّ الضُّحَى أَدْلُ عَلَى تَعْجِيلِهِمُ الْقِرَى .
وَأَمَّا الْقَوْلُ بِأَنْ يَبْرَقَنَّ فِي الدُّجَى أَبْلَغُ فَسَاقِطٌ ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُطْعِمَهُمْ
مَوْصُولٌ ، وَقِرَاهِمُ فِي كُلِّ وَقْتٍ مَبْذُولٌ ، لِأَنَّهُ قَدْ وَصَفَ قَبْلَ هَذَا قِرَاهِمَ
بِاللَّيْلِ حَيْثُ قَالَ :

وإِنَّا لَنَقْرِي الضَّيْفَ إِنْ جَاءَ طَارِقًا

مِنْ الشُّحْمِ مَا أَضْحَى صَحِيحًا مُسَلِّمًا

وَيُرْوَى : « مَا أَمْسَى » . وَأَمَّا قَوْلُهُ يَقْطُرْنَ فَهُوَ الْمُسْتَعْمَلُ فِي مِثْلِ هَذَا ،
يُقَالُ سَيْفُهُ يَقْطُرُ دَمًا . وَلَمْ تَجْرِ الْعَادَةُ بِأَنْ يُقَالَ : يَجْرِي دَمًا ، مَعَ أَنَّ

(١) انظر تحرير التبيين ١٤٨ - ١٥١ .

(٢) من الآية ٣٧ في سورة سبأ .

يقطر أمدح ، لَأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى مِضَاءِ السَّيْفِ وَسُرْعَةِ خُرُوجِهِ عَنِ الضَّرْبِيَّةِ
حَتَّى لَا يَكَادُ يَعلُقُ بِهِ دَم . ١ هـ .

صاحب الشاهد والبیت من قصيدة افتخارية لحسان بن ثابت الصحابي ، عدتها
خمس وثلاثون بيتاً . وهذه أبيات منها بعد أن ذكر منازل حبيته :

لنا حاضرٌ فعمُّ وبادٍ كأنه شاريخُ رَضْوَى عَزَّةً وتكرُّماً
متى ماتزناً من معدٍّ بعصبة وغسانٌ نمنعُ حوضنا أن يهدماً
بكلِّ فتى عارى الأشاجع لاحه قِراعُ الكماة يرشح المسك والدماً
إذا استدبرتنا الشمسُ دَرَّتْ متوننا

٤٣٥

كَأَنَّ عُرُوقَ الْجُوفِ يَنْضَخْنَ عِنْدَمَا
وَلَدْنَا بَنِي الْعَنْقَاءِ وَابْنِي مُحَرَّقٍ فَأَكْرَمَ بَنَا خَالاً وَأَكْرَمَ بَنَا ابْنَمَا
نَسُودُ ذَا الْمَالِ الْقَلِيلِ إِذَا بَدَتْ مُرُوءَتُهُ فِينَا وَإِنْ كَانَ مُكْرَمَا
وَلِنَّا لِنَقْرِي الضَّيْفَ إِنْ جَاءَ طَارِقاً

مِنْ الشَّحْمِ مَا أَمْسَى صَحِيحاً مُسْلِماً
أَلَسْنَا نَرُدُّ الْكَبْشَ عَنْ طِيَّةِ الْهَوَى

وَنَقْلِبُ مُرَّانَ الْوُشَيْجِ مُحْطَماً
وَكَائِنْ تَرَى مِنْ سَيِّدٍ ذِي مَهَابَةٍ أَبُوهَ أَبُونَا وَابْنُ أَخْتٍ وَمَحْرَمَا
لَنَا الْجَفْنَاتُ الْغَرَّ الْبَيْتِ
أَبِي فَعَلْنَا الْمَعْرُوفَ أَنْ نَنْطِقَ الْخَنَسَا .

وَقَاتِلُنَا بِالْعُورِ إِلَّا تَكَلَّمَا
فَكُلٌّ مَعَدٌّ قَدْ جَزِينَا بِصَنْعِهِ فَبُؤْسَى بِبُؤْسَاهَا وَبِالْتَّعْمِ أَنْعَمَا^(١)

(١) وكذا في الديوان ٣٧٢ . وفي ش : « وكل معد » بالواو . وبين هذا البيت وسابقه في

الديوان :

أبي جاهنا عند الملوك ودفننا وملء جفان الشين حتى تهزما

وهذه آخر القصيدة .

وقوله : « لنا حاضر فعم » الخ ، قال في الصحاح : الحاضر : الحيُّ العظيم . وأنشد البيت . والفعم : الكثير الممتلئ . والبادى : النازل بالبادية ، يقال بدا بَدَاوة ، بالفتح والكسر ، وهى الإقامة بالبادية . والشُمراخ بالكسر : رأس الجبل . ورَضوى ، بالفتح : جبلٌ بالمدينة .

وقوله : « متى مائزنا » إلخ تَزِنًا بالخطاب من الوزن . ومعد : أبوقبيلة . والواو فى قوله « وغسان » للقسم ونمنع جواب الشرط . وهذه عبارةٌ عن العزِّ والمنعة .

وقوله : « بكلُّ فتى » إلخ متعلق بنمنع . والأشاجع : أصول الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف ، الواحد أشجع . وأراد بعُربها كونها عاريةً من اللحم غير غليظة . ولاحه بالمهملَةِ بمعنى غيره . وقراع مصدر قارعة . ومقارعة الأبطال : قرعُ بعضهم بعضاً . والكمأة : الشَّجَعان . وقوله : « يرشح المسك » إلخ أراد أنهم ملوك ، فإذا جرح أحدهم سال دمه برائحة المسك .

وقوله : « إذا استدبرتنا الشمس » إلخ . المتون : الظهور . والعندم : البَقَم ، وقيل دم الأخوين . قال شارح ديوانه : يريد أنهم إذا عرقوا [عرقوا^(١)] برائحة الطيب .

وقوله : « ولدنا بنى العنقاء » إلخ ، العنقاء : ثعلبة بن عمرو مزيقياً

(١) التكملة من ش .

ابن عامر بن ماء السماء . ومحرق : هو الحارث بن عمرو مزريقياً^(١) وكان أوّل من عاقب بالنار . وقوله : « فأكرم بنا » هو تعجب ، أى ما أكرمنا خلاً ، وما أكرمنا ابناً ، وما زائدة .

وقوله : « وإنا لنقرى » إلخ . نقرى : نُضيف . والطروق : المجرى ليلاً . وما مفعول نقرى لتضمّنه معنى نطم . يريد أنهم يذبحون للضيف الإبل السائلة من علّة ومرض .

وقوله : « ألسنا نردّ الكبش » إلخ . الكبش : سيّد القوم . والطّيّة بالكسر : النية . والموى : هوى النفس . والمُرآن بالضم : جمع مارن ، وهو الرُمج اللين المهزّ . أى نقاتل بها حتّى تنكسر .
و« ها » فى البيت الأخير للتنبيه .

وترجمة حسن تقدّمت فى الشاهد الحادى والثلاثين من أوائل الكتاب^(٢) .

(١) مزريقياً : لقب لعمرى هذا . وهو عمرو بن عامر ماء السماء ، بن حارثة الغطريف ، ابن امرئ القيس البطريق ، بن ثعلبة البهلول ، بن مازن قاتل الجوع ، بن الأزد . الاشتقاق ٤٣٥ والعمدة ٢ : ١٧٨ .

والمحرق هذا ، وهو الحارث بن عمرو ، كان يلقب بالحارث الأكبر ، كما كان يكنى أبا شمر . ويعنى بابنى محرق هنا ولدين من نسله من الفساسة ، هما ابنة الحارث الأعرج ، وأمه مارية ذات القرطين ، وهى مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث . وحفيده الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج ، وكان يقال لهذا أبو شمر الأصغر ، واسمه عمرو بن الحارث ، وله يقول النابغة :

على لعمرى نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

وفى ملوك العرب من ملوك الحيرة من لقب بمحرق : امرؤ القيس بن عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة النخعى . وله يقول الأسود بن يعفر :

ماذا أوّمل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعثوا إباد

وفهم : عمرو بن هند ، وهو عمرو بن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى . وفى اللسان : « قال ابن سيده : محرق لقب ملك ، وهما محرقان : محرق الأكبر وهو امرؤ القيس النخعى ، ومحرق الثانى وهو عمرو بن هند مضطرب الحجارة » . العمدة ٢ : ١٧٧ - ١٧٩ وانظر اللسان والقاموس (حرق ، مزق) والعمدة ٢ : ١٧٧ - ١٧٩ والمجرب لابن حبيب ٢٤٧ ، ٣٠٤ ، ٣٧٢ والأغاني ٢١ : ١٢١ وسرح العيون ٢ : ٢٠٢ .

(٢) الخزائن ١ : ٢٢٧ - ٢٢٨

المصدر

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد الخمسائة ^(١) :

٥٩٥ (وما الحربُ إلَّا ما علمتم وذقتم وما هوَ عنها بالحديثِ المرجَّم)

على أنَّ الظرف والجار والمجرور يعمل فيهما ما هو في غاية البعد من

العمل ، كحرف النفي والضمير كما في البيت ، فإنَّ قوله عنها متعلق بهو . ٤٣٦
أى ما حديثي عنها .

والبيت من معلَّقة زهير بن أبي سُلمي الجاهلي . قال الصاغاني (في صاحب الشاهد العباب) : الحرب مؤنَّث ، يقال وقعت بينهم حرب . قال الخليل : تصغيرها حريب بلا هاءٍ روايةٌ عن العرب : قال المازني : لأنَّه في الأصل مصدر . وقال المبرِّد : الحرب قد تذكَّر . وأنشد :

وهو إذا الحرب هفا عقابُه مرَّجُمُ حربٍ تلتقى حِرابُه ^(٢)

وقد جعل الشارح المحقق الضمير كنايةً عن الحديث الذي هو قولُ وفاقاً لأبي الحسين الزَّوزني شارح المعلَّقات ، قال : الضمير كناية القول لا العلم ، لأنَّ العلم لا يكون قولاً . وفيه ردُّ على سائر شرَّاح المعلَّقات ، في أنَّ الضمير راجع إلى العلم . قال أبو جعفر النحاس ، وتبعه التبريزي واللفظ له : قوله وما هو عنها ، أى ما العلم عنها بالحديث ، أى ما الخبر عنها بحديث يُرجم فيه بالظنِّ ، فقوله هو كناية عن العلم ، لأنَّه

(١) مع الموماع ٢ : ٩٢ ويس على التصريح ٢ : ٦٢ .

(٢) ش : « ملجم » ، صوابه في ط وشرح شواهد الشافية ٩٨ . والرواية فيها وفي اللسان (حرب ٢٩٣) : « تلتظي حرابه » . وفي اللسان أيضاً : « كره اللقاء تلتظي حرابه » .

لَمَّا قَالَ : إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ ، دَلَّ عَلَى الْعِلْمِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا ﴾^(١) ، الْمَعْنَى : أَنَّهُ لَمَّا قَالَ يَبْخُلُونَ دَلَّ عَلَى الْبَخْلِ ، كَقَوْلِهِمْ : مَنْ كَذَبَ كَانَ شَرًّا لَهُ ، أَيْ كَانَ الْكَذِبَ شَرًّا لَهُ .

وَقَالَ الْأَعْلَمُ الشَّنْتَمَرِيُّ : هُوَ كُنْيَاةٌ عَنِ الْعِلْمِ ، يَرِيدُ : وَمَا عَلِمْتُمْ بِالْحَرْبِ . وَعَنْ بَدَلٍ مِنَ الْبَاءِ . هَذَا كَلَامُهُ .

وَقَالَ صَعُودَا (فِي شَرْحِ دِيْوَانِهِ) : هُوَ ضَمِيرٌ رَاجِعٌ عَلَى مَا ، وَكَانَهُ قَالَ : وَمَا الَّذِي عَلِمْتُمْ . ثُمَّ كُنِيَ عَنِ الَّذِي . ١ هـ .

وَالْمَرْجَمُ : الَّذِي يُرْجَمُ بِالظُّنُونِ ، وَالتَّرْجِيمُ وَالرَّجْمُ : الظَّنُّ ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ رَجِمًا بِالْغَيْبِ ﴾^(٢) ، أَيْ ظَنًّا . وَالذَّوْقُ أَصْلُهُ فِي الْمَطْعُومِ ، وَاسْتُعِيرَ هُنَا لِلتَّجَرُّبَةِ . يَقُولُ : لَيْسَتْ الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَاهَدْتُمُوهَا وَجَرَّبْتُمُوهَا وَمَارَسْتُمْ كِرَاهَتَهَا ، وَمَا هَذَا الَّذِي أَقُولُهُ بِحَدِيثِ مَظْنُونٍ . وَهَذَا مَا شَهِدْتُ بِهِ الشَّوَاهِدُ الصَّادِقَةُ مِنَ التَّجَارِبِ ، وَلَيْسَ مِنْ أَحْكَامِ الظُّنُونِ . خَاطَبَ زُهَيْرٌ بِهَذَا الْكَلَامِ قَبِيلَةَ ذُبْيَانَ وَأَحْلَافَهُمْ ، وَهُمْ أَسَدٌ وَغُطْفَانٌ ، وَيَحْرُضُهُمْ عَلَى الصُّلْحِ مَعَ بَنِي عَمِهِمْ بَنِي عَبَسَ ، وَيَخَوْفُهُمْ مِنَ الْحَرْبِ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ عَلِمُوا شِدَائِدَهَا فِي حَرْبِ دَاخَسَ^(٣) .

وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُ الْقِصَّةِ مَعَ شَرْحِ أَبْيَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ هَذِهِ الْمَعْلُوقَةِ مَعَ تَرْجُمَةِ زُهَيْرٍ فِي الشَّاهِدِ الثَّامِنِ وَالثَّلَاثِينَ بَعْدَ الْمِائَةِ^(٤) .

* * *

(١) الآية ١٨٠ من سورة آل عمران .

(٢) الآية ٢٢ من سورة الكهف .

(٣) ط : « قَدْ تَقَدَّمَ » .

(٤) الخزائن ٢ : ٣٣٢ - ٣٣٦ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والتسعون بعد الخمسة (١) :

٥٩٦ (أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ مَرَبِعٌ وَمَصِيفٌ لِعَيْنَيْكَ مِنْ مَاءِ الشُّونِ وَكَيْفُ)
على أَنَّ رَسْمَ دَارٍ مُصَدَّرٌ مُضَافٌ إِلَى مَفْعُولِهِ ، وَمَرَبِعٌ فَاعِلُهُ .

ورسم هنا : مصدر رَسَمَ المطرُ الدارَ ، أَيْ صَيَّرَهَا رَسْمًا ، بِأَنَّ عَفَاها .
ولا يراد بالرَّسْمِ هنا ما شَخَصَ من آثار الدار ، لِأَنَّ ذَلِكَ عَيْنٌ لَامَعْنَى
والذى يعمل معنى لاغير . كذا في (شرح الإيضاح لأبي البقاء الفارسي) .

وقال شارح أبياته ابن برى : ومعنى رَسَمَ أَثَرَ ، ولم يُبْقِ منها إلَّا
رسومًا وآثارًا . وقيل معناه غير أثرها بشدَّة الاختلاف عليها ، ومنه قيل :
رسمت الناقة رسيماً ، إذا أَثَرَتْ في الأرض بشدَّة وطئها . وقيل الرَّسْمُ بمعنى
المرسوم ، فعلى هذا يكون اسماً لا مصدرًا ، فلا يجوز أَنْ يعمل . والتقدير
أَلِعَيْنَيْكَ مِنْ مَاءِ الشُّونِ وَكَيْفُ مِنْ أَجْلِ مَرَسُومِ دَارٍ هُوَ مَوْضِعُ الْحُلُولِ
في الربيع والصيف . انتهى كلامه .

٤٣٧

صاحب الشاهد

والبيت مطلع قصيدة للحطيئة علَّتها ثمانية عشر بيتاً ، مدحَ بها سعيد
ابن العاص الأمويَّ لما كان والياً بالكوفة لعثمان بن عفان ، وبعده بيتان (٢) :

(تَذَكَّرْتُ فِيهَا الْجَهْلَ حَتَّى تَبَادَرَتْ

دموعي وأصحابي على وقوف)

(١) أُمَالِي ابْنِ الشَّجَرِيِّ ١ : ٣٥١ ، وَابْنُ يَئِيشَ ٦ : ٦٢ ، وَدِيوانُ الْحَطِيطَةِ ٣٩ .

(٢) هُما قَوْلُهُ فِي الدِّيوانِ ٤٠ :

رِشاشٌ كَثُرَتْ هَاجِرِي كَلَامُهَا لَه دَاجِنٌ بِالْكَرْتَيْنِ عَلِيْفٌ
إِذَا كَرَّ غَرْبًا بَعْدَ غَرْبِ أَعَاذِهِ عَلَى رَغْمِهِ وَافِيَ السَّبِيلِ عَتِيفٌ

وَقِي ط : « وَبَعْدَهُ بَيْتٌ » ، وَالْوَجْهَ مَا أُثْبِتَ مِنْ ش .

ومنها :

(إليك سعيد الخير جبت مهامها)
يقابلني آل بها وتنوف^(١)

وقوله : (أمن رسم دار) إلخ الهمزة للاستفهام التقريرى ومن تعليلية متعلقة بوكيف ، وهو مصدر وكف البيت بالمطر ، والعين بالدمع ، وكفأ من باب وعد ، ووكوفاً ووكيفاً : سأل شيئاً فشيئاً . قال شارح ديوانه : التأويل : أمن أن رسم داراً مربع ، أى أثر فيها آثاراً . والرسم : الأثر بلا شخص . والشئون : مجارى الدمع من الرأس إلى العين ، واحداً شأن . وقوله : (لعينيك) جارٌ ومجرور متعلق بمجنوف خبر مقدم على المبتدأ وهو وكيف ، يُروى بالثنائية ويروى بالافراد . و(مربع) : فاعل المصدر ، وهو رسم ، وهو على حذف مضاف ، والتقدير : مطره ونحوه . وهو ومابعده اسمان لزمان الربيع والصيف ، ويأتیان اسمى مكان أيضاً ، ومصدرين أيضاً . وهذه الصيغة يشترك فيها هذه المعانى الثلاثة ، وهى صيغة قياسية يذكرها الصرفيون . والمذكور فى كتب اللغة إنما هو المربع بمعنى منزل القوم فى الربيع خاصة .

وقد استعمل الحريرى فى المقامة الأولى المربع بمعنى الرّبع ، وهو المنزل حيث كان ، فى قوله : « ويسرّب من يتبعه ، لكن يُجهل مربعه^(٢) » . ولم يصب ابنُ الخشاب فى تخطئه الحريرى (فيما كتبه على المقامات) فى قوله : ماأصاب فيه ، لأنّ الربع منزل القوم فى الربيع خاصة ، وقد

(١) التنوف ، بالفتح : جمع تنوفة ، وهى ، التى لاماء بها من الفلوات ولا أنيس وإن كانت

معشبة .

(٢) مقامات الحريرى ١٥ .

استعمله بمعنى الأوّل وهو خطأ ، لأنّه كالصيف والمشتى ، وتلك منازلهم في هذه الأزمنة خاصة .

وقد أجاد ابن برى في الردّ عليه فقال : يقال ربيع بالمكان ، أى أقام به الربيع ، ويقال أيضاً ربيع بالمكان : أقام به حينما كان . واسم المكان منهما مربع قياساً مطّرداً عند النحويين ، كالصنع والمصرع . والشاهد على قولهم : ربيع بالمكان ، إذا أقام به حينما كان ، قول الحادرة :

بكرت سميّة غلوة فتمتّع . وغدت غدو مفارق لم يربّع^(١)
فسره المفضل (في المفضليات) فقال : يقال ربيع بالمكان إذا أقام به . ولم يشترط ربيعاً ولا غيره . فعلى هذا يصحّ أن يكون المربع لمنزل الإنسان . من بيته وداره ونحو ذلك ، وعليه يصحّ قول يزيد بن الصّعق :

* يَشْنُ عليكم بالقنا كلَّ مربع^(٢) *

أى كلّ مكان تقيمون فيه . وأما قول أهل اللغة إنّ المربع اسم للمنزل في الربيع خاصة فإنّما يريدون به الأكثر ، وهو الأصل ، ثم اتسع فيه فجعل لكلّ مكان أقام به الرجل . ألا ترى أنّهم لا يكادون يذكرون المربع في اسم الزمان ، وهو أيضاً قياس مطّرد مثل اسم المكان . وشاهده قول الحطيئة :

* أمن رسم دار مربع ومصيف *

فالمربع والمصيف على هذا : اسم لزمان الربيع والصيف ، وكذلك قول جرير :

(١) المفضليات ٤٣ .

(٢) أنشده في اللسان (قدد) والتهذيب ٨ : ٢٦٩ يقوله لبنى أسد . وصدّره فيهما :

* فرغم تمرين السياط وكنتم *

وإنما أوردنا هذا البيت في غير مواده ليدكر أن بعض بني أسد أجابه بقوله :

أعبت علينا أن نمرن قدننا — ومن لم يمرن قدّه يتقطع

رَدُّوا الجمال بذى طُلُوحٍ بعدما هاج المصيفُ وقد تولَّى المربعُ^(١)

٤٣٨

أَي رَدُّوا الجمال من موضع رعيها إلى الحَيِّ حين أرادوا التحمُّلُ ، وقد أتى المصيف وتولَّى المربع . وإذا أقبلَ زمنُ الصَّيفِ وتولَّى زمنُ الربيعِ يبس العشبُ في الأرض . وكذلك المربع قد يكون اسماً للمصدر في نحو قولهم : ربعت بالمكان مربِعاً . ولا يكاد يذكرون المربع إلا في اسم المنزل بالربيع ، وإنَّما يَذكر هذا مبيِّناً أَهلُ النحو ، ويجعلون له باباً مفرداً وقياساً مطَّرداً . وما خرج عن القياس في بناء ذكره . انتهى كلامه .

وقوله : « تذكَّرتُ فيها الجهل^(٢) » ، أَي جهل الشباب والصِّبا .

وقوله : « إِيَّاكَ سَعِيدَ الْخَيْرِ » إلخ . إِيَّاكَ متعلق بِجُبَّتْ ، قَدَّمَ عَلَيْهِ لإِفَادَةِ الْحَصْرِ . وَجُبَّتْ : قَطَعَتْ ، يُقَالُ جَابَ الْوَادِي بِجُوبِهِ ، إِذَا قَطَعَهُ ، وَسَعِيدٌ : مُنَادَى مُضَافٌ إِلَى الصِّفَةِ الَّتِي اشْتَهَرَ بِهَا . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَصْلُهُ خَيْرٌ بِالتَّشْدِيدِ ، فَخُفِّفَ . وَالْمَهْمَةُ : الْفَقْرُ . وَالْآلُ : السَّرَابُ . وَتَنُوفٌ : جَمْعُ تَنُوفَةٍ ، وَهِيَ الْفَلَاةُ .

رَوَى الْأَصْبَهَانِيُّ (فِي الْأَغَانِي) بِسَنَدِهِ إِلَى خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ : لَقِيتُ إِيَّاسَ بْنَ الْحَظِيثَةِ فَقَالَ لِي : يَا أَبَا عُمَانَ ، مَاتَ أَبِي وَفِي كِسْرِ بَيْتِهِ عَشْرُونَ أَلْفًا أَعْطَاهُ إِيَّاهَا أَبُوكَ وَقَالَ فِيهِ خَمْسُ قِصَائِدَ ، فَذَهَبَ وَاللَّهِ مَا أَعْطَيْتُمُونَا ، وَبَقِيَ مَا أَعْطَيْنَاكُمْ ! فَقُلْتُ : صَدَقْتَ وَاللَّهِ .

(١) تولى المربع : أدبر وتولى . وفي ط : « توالى » صوابه في ش ، وديوان جرير ٣٤١ .

(٢) في النسختين : « تذكر فيها الجهل » .

وروى أيضاً بسنيد متصل إلى خالد بن سعيد قال : كان سعيد بن العاص بالمدينة زمن معاوية ، وكان يُعشى الناس ، فإذا فرغ من العشاء قال الآذن : ليذهب إلّا مَنْ كان من أهل سَمَرِه . قال : فدخل الحطيئة فتعشى مع الناس ثم لم ينصرف ، فلما ألحَّ عليه الآذن قال سعيد : دعه ^(١) وأخذ في الشعر والحطيئة مطرق لا ينطق ، فقال الحطيئة : والله ما أصبتم جيد الشعر ولا شاعر الشعراء . قال سعيد : من أشعر العرب ياهذا ؟ قال : الذي يقول :

لا أعدُّ الاقتارَ عُدماً ولكن	فقد من قد رزِئته الإعدامُ
من رجال من الأقارب بانوا	من جذام هم الرُّمُوسُ الكرامُ
سلطَ الموتُ والمنونُ عليهم	فلهم في صدَى المقابر هامُ
وكذاكم سبيلُ كلِّ أناسٍ	سوف حقاً تبليهم الأيامُ

قال : ويحك من يقول هذا الشعر ؟ قال : أبو دُوَادٍ الإيادي . قال : ومن الثاني ؟ قال : الذي يقول :

أفلح بما شئتَ فقد يُبلغ بالـ ضَعْفٍ وقد يُخدعُ الأريب ^(٢)

قال : ومن يقول هذا الشعر ؟ قال : عبید . قال : ثم من ؟ قال : والله لحسبك بي عند رهبةٍ أو رغبةٍ ، إذا وضعتُ إحدى رجلي على الأخرى ، ثم رفعت صوتي بالشعر ^(٣) ثم عويت على إثر القوافي عواءً الفصيل الصادر عن الماء ! قال : ومن أنت ؟ قال : الحطيئة . قال : ويحك قد علمتَ

(١) العبارة هنا بتصرف من الأغاني ١٦ : ٣٨ .

(٢) ط : « يخادع الأريب » ، صوابه في ش وشرح المملقات للتبريزي ٧ : ٤ . وقال التبريزي : « و يروى : أفلح بالجيم » ، وأفلح بالخاء من الفلاح وهو البقاء . أى عش كيف شئت فلا عليك ألا تبالغ ، فقد يدرك الضعيف بضعفه مالا يدرك القوى ، وقد يخدع الأريب العاقل عن عقله . و يروى : فقد يدرك بالضعف » .

(٣) في الأغاني : « ثم رفعت عقيرتي بالشعر » . والعقيرة : الصوت .

تشوقنا إلى مجلسك ، وأنت تكتننا نفسك منذ الليلة ، فأنشدني . فأنشده
من أبيات :

سعيدٌ فلا يغررك قِلَّةُ لحمه تخذد عنه اللحمُ وهو صليبُ
إذا غبتَ عنا غاب عنا ربيعنا ونسقى الغمامَ الغرَّ حين يثوب^(١)
فنعم الفتى تعشوا إلى ضوء ناره إذا الريح هبت والمكان جديبُ

فقال له : أنت لعمر الله أشعر عندي منهم . فأمر له بعشرة آلاف
درهم . ثم عاد فأنشده :

* أمن رسم دار مربعٌ ومصيفٌ *

إلى آخر القصيدة ، فأعطاه عشرة آلاف أخرى .

وروى أيضاً هذا الخبر عن أبي عبيدة وقال : قال أبو عبيدة في
هذا الخبر : وأخبرني رجلٌ من بني كنانة قال : أقبل الحطيثة في ركب
من بني عبَّس حتى قدم المدينة^(٢) ، فقالوا له : إنا قد أردينا^(٣) وأخلينا^(٤)
فلو تقدمت إلى رجل شريف من أهل المدينة فقرأنا وحملنا . فأقى خالد
ابن سعيد بن العاص فسأله ، فاعتذر إليه وقال : ما عندي شيء . فلم
يُعِدْ عليه الكلامَ وخرج من عنده ، فارتاب به خالد فبعث يسأل عنه ،

٤٣٩

(١) في الأغاني : « إذا غاب عنا » .

(٢) بعده في الأغاني : « فأقام مدة » .

(٣) أردينا : صارت ركابنا رذية هزيلة من كثرة السير . ط والأغاني : « أردينا »
بالدال المهملة ، صوابه بالذال المعجمة كما في ش .

(٤) المراد أنهم قد نفد زادهم ، يقال أخل عن الطعام ، أى خلا عنه . وفي النسختين :
« أجلينا » بالميم ، والوجه ما أثبت من الأغاني .

فَأَخْبِرَ أَنَّهُ الْحَطِيطَةُ ، فَرَدَّهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ ؛ فَأَرَادَ خَالِدٌ أَنْ يَسْتَفْتِحَهُ الْكَلَامَ
فَقَالَ : مَنْ أَشْعَرَ النَّاسَ ؟ فَقَالَ : الَّذِي يَقُولُ ^(١) :

وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرُّهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِي الشَّمَّ يُشْتَمُ
فَقَالَ خَالِدٌ لِبَعْضِ جُلَسَائِهِ : هَذِهِ بَعْضُ عِقَارِهِ ! وَأَمْرٌ لَهُ بِكُسُوفِ
وَحُمْلَانٍ ^(٢) فَخَرَجَ بِذَلِكَ مِنْ عِنْدِهِ . ١ هـ .

وترجمة الحطيطه قد تقدّمت في الشاهد التاسع والأربعين بعد
المائة ^(٣) .

* * *

وَأَنشَدَ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ السَّابِعُ وَالتَّسْعُونَ بَعْدَ الْخَمْسِمِائَةِ ، وَهُوَ
مِنْ شَوَاهِدِ سَيَبَوِيهِ ^(٤) :

٥٩٧ (ضَعِيفُ النَّكَايَةِ أَعْدَاءُهُ يَخَالُ الْفِرَارَ يُرَاخِي الْأَجَلَ)
عَلَى أَنَّ سَيَبَوِيهِ وَالْخَلِيلَ جَوَّزًا إِمْعَالَ الْمَصْدَرِ الْمَعْرُوفَ بِاللَّامِ مُطْلَقًا
كَمَا فِي الْبَيْتِ .

قال سيبويه : وتقول : عجبت من الضرب زيدا ، كما تقول ^(٥) :
عجبت من الضارب زيدا ، يكون الألف واللام بمنزلة التنوين ، قال
الشاعر :

ضعيف النكايه أعداءه البيت

(١) يعنى زهير بن أبي سلمى . والبيت التالى من معلقته .

(٢) الحملان ، بالضم : ما يحمل عليه من الدواب ، في الهبة خاصة .

(٣) الخزائن ٢ : ٤٠٦ - ٤١٣ .

(٤) في كتابه ١ : ٩٩ . وانظر المنصف ٣ : ٧١ والمقرب ٢٥ وشنور الذهب ٣٨٤

والتصريح ٢ : ١٣ والجمع ٢ : ٩٣ والأشعوى ٢ : ٢٨٤ .

(٥) في سيبويه : « كما قلت » .

وقال المرار :

لقد علمت أولى المغيرة ... البيت . ٥١ .

وقال الأعم : الشاهد فيه نصب الأعداء بالنكاية لمنع الألف واللام الإضافة^(١) ومعاقبتهم للتنوين الموجب للنصب . ومن النحويين من ينكر عمل المصدر وفيه الألف واللام ، لخروجه عن شبه الفعل ، فينصب ما بعده بإضمار مصدر منكور فيقدره : ضعيف النكاية نكاية أعداءه . وهذا يلزمه مع تنوين المصدر ، لأنَّ الفعل لا يُنَوَّن ، فقد خرج المصدر عن شبه الفعل بالتنوين ، فينبغي على مذهبه أن لا يعمل^(٢) . يقول : هو ضعيف عن أن ينكى عدوه وجبان أن يثبت ، ولكنه يلتجئ إلى الفرار^(٣) ويخاله مؤخرًا لأجله . ٥١ .

وأراد ببعض النحويين أبا العباس المبرد .

وجعل السيراني نصب أعداءه على حذف الخافض ، أى ضعيف النكاية فى أعدائه .

وقوله : (يخال) بمعنى يظن . و (يراخى) : يباعد ، وفاعله ضمير الفرار ، وفاعل يخال ضمير المهجو . وجملة يراخى فى موضع المفعول الثانى ليخال . و (ضعيف) خبر مبتدأ محذوف ، أى هو ضعيف . و (النكاية) : مصدر نكيت فى العدو ، إذا أثرت فيه . وجاء معدى بنفسه . قال أبو النجم :

(١) فى الشنمى : « من الإضافة » .

(٢) الشنمى : « أن لا يعمل عمله » .

(٣) الشنمى : « هو ضعيف أن ينكى أعداءه وجبان عن أن يثبت لقرنه ، ولكنه يلجأ

إلى الفرار » .

* ينكى العدى ويكرم الأضيافاً ^(١) *

وقال عدى بن زيد :

إذا أنت لم تنفع بودّك أهله ولم تنك بالبؤسى عدوك فابعد
من بعد ، من باب فرح ، إذا هلك .

والبيت من أبيات سيبويه الخمسين التي لم يعرف قائلها . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد الخمسائة ، وهو
من شواهد س ^(٢) :

٥٩٨ (لقد علمت أولى المغيرة أننى

كررت فلم أنكل عن الضرب مسمعا)

لما تقدّم قبله . ويروى : (لحقت فلم أنكل) .

٤٤٠

قال الأعلام : الشاهد في نصب مسمع بالضرب على نحو ما تقدّم .
ويجوز أن يكون بلحقت ، والأول أولى ، لقرب الجوار ، ولذلك
اقتصر عليه سيبويه . يقول : قد علم أولى من لقيت من المغيرين أننى
صرفتهم عن وجههم هازماً لهم ، ولحقت سيدهم ^(٣) مسمعا ، فلم أنكل عن
ضربه بسيقى . والنكول : الرجوع عن القرن جُبنا . ١ هـ .

وقال ابن خلف : وكان بعض البصريين المتأخرين لا ينصب
بالمصدر إذا كان فيه الألف واللام ، وينصب مسمعا بلحقت لا بالضرب

(١) كذا في النسختين . والذي في اللسان (نكى) :

نحن منعنا وادى لـ صـ افا ينكى العدى ونكرم الأضيافا

(٢) في كتابه ١ : ٩٩ . وانظر المقتضب ١ : ١٤ والجمل ١٣٦ وابن يعيش ٦ : ٩ ،

٦٤ والعي ٣ : ٤٠ ، ٥٠١ ، والهمع ٢ : ٩٢ والأشئوفى ٢ : ١٠٠ ، ٢٨٤ .

(٣) الشنتمرى : « عميدهم » .

وحجته أَنَّ أَل تُبعد المصدر عن شبه الفعل . قال أبو الحجاج^(١) :
ومن أعمل الضرب فيه فهو عندى على قول من أعمل الثانى ، وهو أحسن
عند أصحابنا . ألا ترى أَنَّ المعنى لحقت مسمعا فلم أنكل^(٢) عن ضربه
فحذف المفعول من الأوّل لدلالة الثانى عليه . ومن أعمل لحقت أراد :
لحقت مسمعا فلم أنكل^(٣) عن الضرب إيّاه ، أو عن ضربه ، إلّا أَنَّهُ
حذف لأنّ المصادرَ يحذف معها الفاعل والمفعول . ولا يجوز على هذا
القياس ضربت وشتت زيدا ، حتّى تأتى بعلامة الضمير فى شتت .
يعنى إذا أعملت ضربت . قال : لأنّ الفعل لا يحذف معه هذا المفعول
كما يحذف مع المصدر . وقد أجاز السيرافى حذف الضمير فى هذا النحو
مع الفعل أيضاً ، لأنّ المفعول كالفضلة المستغنى عنها . قال أبو على :
ومن أنشد « كررت » كان مسمع مفعول الضرب لا غير ، لأنّ كررت
يتعدى بالحرف وهو على ، ولا حرف ههنا . فإن جعلت على مرادة كما جاء
فى قوله : ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٤) ، وقول الشاعر^(٥) :

تحنُّ فتبدي ما بها من صباية وأخفى الذى لولا الأسى لقضائى^(٦)

(١) أبو الحجاج يوسف بن سليمان الشنترى شارح أبيات سيبويه . ولد سنة ٤١٠ وتوفى
سنة ٤٧٦ . معجم الأدباء ٢٠ : ٦٠ . وهذا النص ليس فى شرح أبيات سيبويه فلمله فى شرح
أبيات الجمل له .

(٢) الكلام بعده إلى « أنكل » التالية ساقطة من ش .

(٣) هنا ينتهى السقط السابق .

(٤) الآية ١٦ من سورة الأعراف .

(٥) هو عروة بن حزام . وانظر المنى ١٤٢ ، ٥٧٧ وشرح شواهد السيوطى ١٤١ والبنى
٢ : ٥٥٢ والممع ٢ : ٢٩ . والبيت لم يرد فى ديوانه المخطوط .

(٦) الأسى هنا ، بالضم والكسر ، جمع أسوة بالضم والكسر ، وهو ما يتأبى به الحزين ،
أى يتعزى . ومثله فى اللسان لحريث بن زيد الخيل :

ولولا الأسى ماعشت فى الناس ساعة ولكن إذا ما شئت جاوبنى مثلى

فلما حُذِفَ أَوْصَلَتِ الْفِعْلَ^(١) فهو وجه . قال أبو الحجاج :
وهذا خلاف لما (في الإيضاح) لأنه قال هنالك : إِنَّ ذَلِكَ لَا يَعْمَلُ
عليه ما وُجِدَ مندوحة عنه . وليس يُنْكَرُ عَلَى الْعَالَمِ أَنْ يَرْجِعَ عَنْ قَوْلٍ إِلَى
ما هو خير منه . ١ هـ .

قال ابن برى (في شرح أبيات الإيضاح) : وأجاز السيرافي هذا
الذي منعه أبو علي ، وكذلك أجاز أبو علي في غير الإيضاح نصب مسمع
بكررت على إسقاط حرف الجر كالأية . ١ هـ .

ولو أعمل كررت لكان التقدير : كررت فلم أنكل عن الضرب
إياه ، على مسمع ، فحذف على وأوصل الفعل .

وقال ابن السيرافي : لا يحسن أَنْ يُنْصَبَ مسمع بكررت على تقدير
كررت على مسمع فلم أنكل عن الضرب . وعلى الرواية الثانية ينتصب
أيضاً بالضرب ، إِلَّا أَنَّهُ عَلَى إِعْمَالِ الثَّانِي الْأَقْرَبِ إِلَيْهِ . ولو أعمل
الْأَوَّلَ لَأَضْمَرُ ، وَكَانَ التَّقْدِيرُ : لَحَقْتُ مَسْمَعًا فَلَمْ أَنْكُلْ عَنِ الضَّرْبِ
إِيَّاهُ مَسْمَعًا .

وقد أورده ابن قاسم المرادي (في باب التنازع من شرح الألفية)
بلفظ « لَقِيتُ وَلَمْ أَنْكُلْ عَنِ الضَّرْبِ مَسْمَعًا » ، شاهداً على التنازع في
مسمع .

وأورده ابن النازم وابن هشام (في شرح الألفية) في باب إعمال
المصدر ، كالشارح المحقق .

(١) في النسختين : « فلما حذف الفعل أوصلت » ؛ وهو خطأ . كتب في حاشية ش :
« هكذا بخط المؤلف أوصلت ، والصواب أوصل بحذف التاء » . وأرى الصواب فيما أثبت .
والمراد أنه لما حذف « على » أوصلت الفعل وعديته إلى المفعول .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة لمالك بن زُغبة الباهلي، وبعده :

أبيات الشاهد (ولو أن رمحي لم يخنني انكساره لغادرت طيراً تَعْتَفِيهِ وَأَضْبُعاً^(١))
 ٤٤١ وفر ابن كدراء السدوسي بعدما تناول مني في المكرّة منزعاً
 [وما كنت إلا السيف لاقى ضربةً

فقطّعها ثم انثنى فتقطّعاً
 وإنني لأعدي الخيل تعثر بالقنا حفاظاً على المولى الحرّيد ليمنعاً
 ونحن جئنا الخيل من سرور حمير
 إلى أن وطئنا أرض خثعم نزعاً^(٢)]
 أجئتم لكيما تستبيحوا حريمنا فصادفتم ضرباً وطعناً مجدّعا
 فأبتم خزايا صاغرين أذلةً شريجة أرماح لأكتافكم معا)

قال أبو محمد الأعرابي (في فرحة الأديب) : مِسمَع بن شيبان :
 أحد بني قيس بن ثعلبة ، كان خرج هو وابن كدراء يطلبان بدماء من
 قتلت بهالة ، من بني بكر بن وائل ، يوم قُتل أبو الأعشى قيس بن
 جندل ، فبلغ ذلك بهالة فلقوهم فقاتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت
 بنو قيس ومن كان معهما من بني ذهل ، وضرب مِسمَعُ وأفلت جريحاً اهـ .
 وقوله : (لقد عِلِمَتْ أُولَى المغيرة) إلخ ، يعني أولها . والمغيرة : الخيل ،
 يُريد مقدّمة العسكر .

(١) تعتفيه بالعين ، كما في ش ، ويؤيده تفسير البغدادى فيها سيأتى . وفي اللسان (عفا) :
 وفلان تغفوه الأضياف وتعتفيه الأضياف ، وهو كثير العفاة ، وكثير العافية ، وكثير العفو .
 وفي ط : « تفتفيه » بالقاف في هذا الموضع وفي التفسير التالى ص ١٣٣ . والوجه ما أثبت من ش .
 (٢) الأبيات الثلاثة ساقطة من ط ثابتة في ش . والمملووظ أن البغدادى لم يفسر شيئاً منها .

نقل أبو حيان (في تذكرته) عن ابن خالويه أنه قال : سألت أبا عُمر^(١) عن قوله : « لقد علمت أولى المغيرة » ... البيت ، فقال : أولى كل شيء : أوله .

وقال ابن المستوفى : المغيرة يجوز أن تكون وصفاً للخيال المحذوفة ، وهو أجود لأن استعمالها معه^(٢) أكثر . ويجوز أن يكون وصفاً للجماعة المغيرة أو نحوها . وعلى أي الحالين فهو اسم فاعل ، من أغار على العدو إغارة . ٥١ .

وذكر ابن السيد (في شرح أبيات الجمل) : أنه يقال « المغيرة » بضم الميم وكسرهما .

وتبعه ابن خلف ، وتعقبه اللخمي بأنه يقال في اسم الرجل المغيرة بكسر الميم ، لأنهم^(٣) إنما يغيرون الأسماء الأعلام ، ولا يكادون يغيرون الصفات الجارية على الأفعال ، لثلاً يخرجوها عن الباب .

والنكول : الرجوع جُبناً . قال ابن خلف : من ضم الكاف في المضارع فتحها في الماضي ، ومن كسرهما^(٤) في الأول فتحها في الثاني . ومسمع بكسر الميم الأولى وفتح الثانية .

وقوله : « لغادرت طيراً » الخ . غادرت : تركت . وفلان تعتفيه الأضياف أي تأتبه . وأضبع : جمع ضبع . يريد أنه لو لم يخنه رمحه لقتله .

(١) أبو عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم ، المعروف بغلام ثعلب .

(٢) ش : « استعماله معها » .

(٣) ط : « لأنهما » ، صوابه في ش .

(٤) ش : « ومن كسر » .

وقوله « لغادرت طيراً » إلخ. غادرت: تركت. وفلان تعتفيه الأضياف^(١) أى تأتية. وأضيع: جمع ضبع. يريد أنه لو لم يخنه رمحه لقتله وكانت تأتية الطيور والسباع، تأكله. وسدوس بالفتح: أبو قبيلة. والمكررة بالفتح: موضع الحرب. والمنزع، بكسر الميم وسكون النون وفتح الزاى: السهم.

وقوله: « أجثم لكىما » الهمزة للاستفهام التوبيخى. والاستباحة: النهب والأسر. والمجدع، بكسر الدال المشددة: مبالغة جادع، من جدع أنفه وأذنه وشفته، من باب نفع، إذا قطعها.

وقوله: « فأبتم خزايًا » إلخ. أى رجعت، من الأوب وهو الرجوع. وخزايًا: جمع خزيان، وصف من خزى خزيًا من باب علم، أى ذلّ وهان. وأخزاه الله: أذلّه وأهانّه. وصاغرين، من صَغَرَ صَغَرًا، من باب تعب، إذا ذلّ وهان.

مالك بن زغبة ومالك بن زغبة، بضم الزاى وسكون الغين المعجمتين بعدها موحدة، شاعر جاهليّ.

* * *

وأنشد بعده:

(طلبُ المعقَّبِ حقُّه المظلُومُ)

على أَنَّ المظلوم ارتفع بقوله حقّه، أى غلبه المظلوم بالحق. وهذا غير ما وجهه به فى باب المناهى فإنه قال هناك: إنَّ فاعل المصدر وإن كان مجروراً بإضافة المصدر إليه محلّه الرفع، فالمُعقَّب فاعل المصدر، وهو طلب وقد جر بإضافته إليه، ومحلّه الرفع بدليل رفع وصفه، وهو المظلوم. وهذا التخريج هو المشهور.

والمعقَّب اسم فاعل من التعقيب ، وهو الذى يطلب حقَّه مرةً بعد مرة . يقال عَقَّبَ فى الأمر تعقيباً ، إذا تردَّد فى طلبه مُجِدًّا . وطلبُ بالرفع فاعل لِهاجَته فى المصراع قبله ، وهو :

٤٤٢

* حتى تهجَّر فى الرواح وهاجَه *

أى حتَّى سار الحمار فى الهاجرة وحثَّه على المسير طلبُ كطلب المعقَّب المظلوم حقَّه ، فحقه مفعول المصدر . وما ذكره الشارح هنا هو تخريج ابن جنى (فى المحتسب) ، إلَّا أَنَّهُ فسرَّ حقَّه المظلوم بغير هذا ، قال : أى عازَّة ومنعه المظلوم . فحقَّه على هذا فعلٌ ، حقَّه يحقُّه ، أى لواه حقَّه . انتهى .

ولم أر فى كتب اللغة حقَّه يحقُّه بهذا المعنى .

ونقل ابن المستوفى عن الخوارزمى أَنَّهُ قال : إن رفعت طلب فحقَّه حينئذ فعل ، يقال حقَّه يحقُّه : لواه حقَّه وصَدَّه . والمظلوم نعت المعقَّب وفاعل حقَّه مضمرٌ . هذا كلامه .

والذى ذكره الأندلسى أَن حاقَّه بمعنى خاصمه وادَّعى كلُّ واحد منهما الحقَّ ، فإذا غلبه قيل حقَّه . انتهى ما أورده ابن المستوفى .

فظهر من هذا أَن مأخذ الشارح المحقق كلام الأندلسى .

وقد تقدَّم الكلام مفصَّلاً على هذا البيت مع جملة أبيات من القصيدة ، وهى للبيد الصبحانى ، مع ترجمته ، فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة ^(١) .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد الخمسمائة^(١) :

٥٩٩ (أَكْفَرًا بعد رَدِّ الموتِ عَنِّي وبعدَ عطائِكَ المائَةَ الرُّتَاعَا)

على أَنَّ العطاء هنا بمعنى الإِعْطاء ، ولهذا عمل عمله . والمفعول الثاني محذوف ، أى بعد إعطائك المائَةَ الرُّتَاعَ إِيَّاي . وردَّ^(٢) : مصدر مضاف إلى المفعول ، وفاعله محذوف ، أى بعد رَدِّكَ الموتِ عني .

وأورده شراح الألفية على أَنَّ العطاء اسم مصدر .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة للقطامي ، تقدّم شرحُ أبياتٍ من أوّلها مع ترجمته في الشاهد الثالث والأربعين بعد المائة^(٣) : وهذه أبياتٌ منها :

أبيات الشاهد (ومَنْ يَكُنْ استِلَامَ إلى ثَوِي* فقد أَكْرَمْتَ يازُفَرُ المتاعا
أَكْفَرًا بعد رَدِّ الموتِ عَنِّي البيت
فلو بيدى سواكَ غداةَ زَلْتُ بي القدمانِ لم أَرْجُ اطلّعا
إِذَا هَلَكْتُ لو كانت صِغارُ من الأخلاقِ تُبْتَدَعُ ابتداعا
فلم أَر مُنْعِمِينَ أَقْلَ مَنَّا وأَكْرَمَ عِنْدنا اصطنعوا اصطناعا
مِن البِيضِ الوجوه بنى نُفَيْلٍ أَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ إِلَّا اتِّسَاعا)

وهي قصيدة طويلة مدح بها زفر بن الحارث الكلابي ، وحضّ قيساً وتغلب على الصلح .

(١) الشعراء ٧٢٣ والخصائص ٢ : ٢٢١ وابن الشجري ٢ : ١٤٢ وابن يعيش ١ : ٢٠ وشذور الذهب ١٢ والعينى ٣ : ٥٠٥ والتصريح ٢ : ٦٤ والهمع ١ : ١٨٨ / ٢ : ٩٥ والأشونى ٢ : ٨٨ وديوان الطرماح ٤١ .

(٢) في النسختين : «وردك» ، ولا يستقيم مع الكلام بعده . والذي في النص أيضاً : «ردالموت»

(٣) الخزنة ٢ : ٣٦٨ - ٣٧٢ .

قال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : كان القطامي أسره زُفرُ في الحرب التي كانت بين قيس وتغلب ، فأرادت قيسُ قتله ، فحالَ زفرُ بينهم وبينه ومنَّ عليه ، وأعطاه مائةً من الإبل وأطلقه ^(١) ، فقال :
* أكفراً بعد ردِّ الموت عني *

إلى آخر الأبيات التي أوردناها

قوله : « ومن يكن استلام » إلخ . قال شارح ديوانه : أي من أتى إلى ضيفه ما يُلام عليه فأنّت أتيت إلى ضيفك أمراً تستوجب فيه الثناء والمدح ، والذكر الحسن . والثوي : الضيف ، وهو فعيل من الشواء ، قال : وهو الإقامة . والمتاع : الزاد . ومتعته : زودته . أخبر أنه زوده وأعطاه .

وقوله : (أكفراً بعد ردِّ الموت) إلخ ، الهمة للاستفهام الإنكاري : وكفراً مفعول مطلق عامله محذوف ، أي أكفر كفراً . و (الرّثاع) : ٤٣ : جمع راتعة . قال شارح ديوانه : الرّثاع : الراعية . يقول : أخونك بعدَ هذا وقد مننتَ عليّ وأطلقتني ؟ ويقال : كان زفر اشتراه من قيس ابن وهب ، ووهب له مائةً من الإبل .

وقوله : « فلو بيدئ » إلخ ، الباء متعلّقة بمحذوف كما أشار إليه شارح ديوانه بقوله : يقول لو كنتُ في يدئ غيرك لم أرجُ اطلاعاً ، أي نجاة ، وارتفاعاً من صرعتي ، ولم أرجع إلى أهلي .

وقوله : « إذن هلكت » إلخ . قال شارح ديوانه : تبتدع : تُستحدث

(١) في الشعراء : « ووهب له مائة ناقة ورده إلى قومه » .

يقال شيءٌ يَدْعُ وبديع ، إذا كان بديعاً ، قال : لو ابْتَدَعْتُ صِغَارُ^(١)
لهلكت أنا . انتهى .

وصغار بالرفع ، وتبتدع بالبناء للمفعول . قال العيني : معناه
لو ابْتَدَعْتُ فِيْ أُمُوراً صِغَاراً هَلَكْتُ . هذا كلامه .

وقوله : « فلم أرَ منعمين » إلخ . قال شارح ديوانه : يقول : لم أرَ مثلهم
لا يَمْنُونُ بما صنعوا . يريد الذين أنعموا عليه .

وقوله : « من البيض الوجوه » . قال شارح ديوانه : نُفِيلُ بن عمرو
ابن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، رهط زفر .

* * *

وأنشد بعده :

(دَارٌ لِسُعْدَى إِذْهُ مِنْ هَوَاكَ)

على أَنَّ المصدر يجوز استعماله بمعنى اسم المفعول كما هنا ، فَإِنَّ هَوَى
مصدر هَوَيْتُهُ من باب تعب ، إِذَا أَحْبَبْتَهُ وَعَلِقْتَ بِهِ . والمراد به هنا اسم
المفعول ، أَى من مَهْوِيَّتِكَ .

وبهذا الوجه أوردته سابقاً في باب المفعول المطلق في الشاهد الثالث
والثامنين^(٢) . وتقدم الكلام عليه هناك مفصلاً .

وقوله : « إِذْهُ » أصله إِذْ هِيَ فَحُذِفَتِ الْيَاءُ ضَرْوَرَةً وَبَقِيَتْ الْهَاءُ مِنْ هِيَ .

وبهذا الوجه أوردته أيضاً (في باب الضمير) بعد الشاهد الثامنين
بعد الثلاثمائة ، وتقدم الكلام عليه أيضاً مستوفى هناك^(٣) .

(١) ط : « صغارا » . صوابه في ش . وانظر ما سيأتي .

(٢) الخزائن ٢ : ٥ - ٦ .

(٣) الخزائن ٥ : ٢٦٤ - ٢٦٦ .

اسم الفاعل

أنشد فيه :

(لَيْبُكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لَخْصُومَةٍ)

على أن قوله ضارع فاعل لفعل محذوف ، أى يبكيه ضارع .

وهذا على رواية « لَيْبُكَ » بالبناء للمفعول ، ويزيد نائب الفاعل .

وقد تقدم الكلام عليه مفصلاً مشروحاً في الشاهد الخامس والأربعين من أوائل الكتاب ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى للسمتة ^(٢) :

٦٠٠ (فَبِتُّ وَالْهَمُّ تَغْشَانِي طَوَارِقُهُ مِنْ خَوْفِ رَحْلَةِ بَيْنِ الظَّاعِنِينَ غَدًا)

على أن (غَدًا) يحتمل أن يكون منصوباً بأحد عوامل ثلاثة ، وهى رحلة ، وبين ، والظاعنين ، فلا يتم ما ادّعاه المبرد من جواز عمل اسم الفاعل الماضى ^(٣) . مع أن الكلام فى اسم الفاعل الذى ينصب مفعولاً به لا ظرفاً .

وأورد أبو على فى (إيضاح الشعر) هذا البيت وقال : فيه حذف ، صاحب الشاهد والتقدير من خوف الارتحال وخوف الفراق . ونسب البيت لجبرير .

وقوله : (فَبِتُّ وَالْهَمُّ) إلخ . بات هنا تامة ، قال ابن الأثير (فى النهاية) : كل من أدركه الليل فقد بات يبيت ، نام أو لم ينم . والواو هى واو

(١) الخزنة ١ : ٣٠٣-٣١٣

(٢) ديوان جرير ١٥٨ . والرواية فيه :

باتت هموى تغشاها طوارقها من خوف روعة بين الظاعنين غدا

(٣) الذى فى الرضى ٢ : ١٨٧ : « وجوز المبرد وغيره عمله بمعنى الماضى والحال والاستقبال ، استدلووا بقوله : فبت والهم تغشاني طوارقه » . والذى قيد عمل اسم الفاعل المحلى بال بأن يكون ماضياً هو أبو على فى كتاب الشعر ، وكذا الرمانى .

الحال ، والهم مبتدأ ، وَجُمْلَةُ تَغْشَانِي طَوَارِقَهُ خَبْرُهُ ، والجُمْلَةُ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ
 حال^(١) من التَّاءِ فِي بَتُّ . قال ابن الأثير : غَشِيَهُ يَغْشَاهُ غَشْيَانًا ، إِذَا
 جَاءَهُ . وَغْشَاهُ تَغْشِيَةً ، إِذَا غَطَّاهُ . وَغَشِي الشَّيْءَ ، إِذَا لَابَسَهُ . والطوارق
 هنا : الدَّوَاهِي . قال ابن الأثير : كُلُّ آتٍ بِاللَّيْلِ طَارِقٌ . وقيل أَصْلُ
 الطُّرُوقِ مِنَ الطَّرْقِ ، وَهُوَ الدَّقُّ . وَسُمِّيَ الْآتِي بِاللَّيْلِ طَارِقًا لِحَاجَتِهِ
 إِلَى دَقِّ الْبَابِ . وَجَمَعَ الطَّارِقَةُ طَوَارِقَ . ومنه الحديث : « أَعُوذُ بِاللَّهِ
 مِنْ طَوَارِقِ اللَّيْلِ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ » . ومن متعلِّقة بقوله تَغْشَانِي
 بِرَحْلَةٍ مُضَافٍ إِلَى بَيْنَ ، وَكَذَلِكَ بَيْنَ مُضَافٍ إِلَى مَا بَعْدَهُ ، فَهُمَا مَجْرُورَانِ
 بِالْكَسْرِ . وَالرَّحْلَةُ بِالْكَسْرِ : اسْمُ مُصَدَّرٍ بِمَعْنَى الْارْتِحَالِ . وَالْبَيْنَ هُنَا مُصَدَّرٌ
 بَيَانٌ يَبِينُ بَيْنًا ، أَيْ فَارَقَ وَبُعْدَ . وَالظَّاعِنِينَ مِنْ ظَعْنٍ يَظْعَنُ بِفَتْحٍ
 عَيْنُهُمَا ظَعْنًا ، بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَسُكُونِهَا ، أَيْ سَارَ وَذَهَبَ .

وترجمة جريير تقدّمت في الشاهد الرابع من أوائل الكتاب^(٢)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الواحد بعد السّائة^(٣) :

٦٠١ (فِيالِرِّزَامِ رَشَّحُوا بِي مَقْدَمًا عَلَى الْحَرْبِ خَوَاضًا إِلَيْهَا الْكَرَائِبَا)

عَلَى أَنَّ (خَوَاضًا) صِبْغَةٌ مَبَالِغَةٌ ، حُوِّلَ مِنْ اسْمِ الْفَاعِلِ الثَّلَاثِي وَهُوَ خَائِضٌ .

قال ابن جنّي (في إعراب الحماسة) : في هذا البيت شاهدٌ على جواز

عمال اسم الفاعل . ألا تراه كيف نصب الكرائب بخوَّاض^(٤) .

(١) ش : « في محل حال » ، فقط .

(٢) الخزائن ١ : ٧٥ - ٧٧ .

(٣) الحماسة بشرح المَرْزُوقِي ٧٢ والتبريزي ١ : ٧٣ وإعراب الحماسة الورقة ٢٠ .

(٤) في إعراب الحماسة : « كيف نصب بخوَّاض الكرائب » .

وهو من أبيات تسعة لسعد بن ناشب المازني ، أوردها أبو تمام (في صاحب الشاهد أوائل الحماسة) ، وهي :

(سَأَغْسِلُ عَنِّي الْعَارَ بِالسَّيْفِ جَالِباً عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ مَا كَانَ جَالِباً أبيات الشاهد
وَأَذْهَلُ عَنْ دَارِي وَأَجْعَلُ هَدْمَهَا لِعَرْضِي مِنْ بَاقِي الْمَذْمَةِ حَاجِباً
وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِي تِلَادِي إِذَا انْشَنَتْ يَمِينِي بِإِدْرَاكِ الَّذِي كُنْتُ طَالِباً
فَإِنْ تَهْدَمُوا بِالْغَدْرِ دَارِي فَأَيُّهَا تُرَاثُ كَرِيمٍ لِأَيُّبَالِي الْعَوَاقِبِ
أَخُو غَمَرَاتٍ لَا يَرِيدُ عَلَى الَّذِي يَهُمُّ بِهِ مِنْ مُفْطَعِ الْأَمْرِ صَاحِباً^(١)
إِذَا هُمْ لَمْ تُرْدَعْ عَزِيمَةُ هَمِّهِ وَلَمْ يَأْتِ مَا يَأْتِي مِنَ الْأَمْرِ هَائِباً
فِيالْكَرْزَامِ رَشُّحُوا بِي مَقْدِماً إِلَى الْمَوْتِ خَوَاضاً إِلَيْهَا الْكَرَائِبِ^(٢)
إِذَا هُمْ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزَمَهُ وَنَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِباً
وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِي أَمْرِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِباً)

قال شراح الحماسة : سبب هذه الأبيات أنه كان أصاب دماً ، فهدم :
بِلَالُ بْنُ أَبِي بَرْدَةَ دَارَهُ بِالْبَصْرَةِ وَحَرَّقَهَا . وقيل : إِنَّ الْحَجَّاجَ هُوَ الَّذِي
هَدَمَ دَارَهُ .

وقال ابن هشام (في شرح الشواهد) : ويقال إنه قُتِلَ لَهُ حَمِيمٌ ،
وإنه أَوْعَدَهُ بِهِدْمَ دَارِهِ إِنْ طَالَبَ بِشَارِهِ .

وقوله : « سَأَغْسِلُ عَنِّي الْعَارَ » إلخ . قال التبريزي : أَصْلُ الْقَضَاءِ
الْحَمُّ ، ثُمَّ يَتَوَسَّعُ فِيهِ فَيُقَالُ قُضِيَ قَضَاؤُكَ ، أَيْ فُرِغَ مِنْ أَمْرِكَ . فَاسْتَعْمَلَ
فِي مَعْنَى الْفَرَاغِ مِنَ الشَّيْءِ . ويروى : « قَضَاءُ اللَّهِ » بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ . فإِذَا

(١) في الحماسة بشرح التبريزي : « أَخِي غَمَرَاتٍ » . وبشرح المرزوق :

أَخِي عَزَمَاتٍ لَا يَرِيدُ عَلَى الَّذِي يَهُمُّ بِهِ مِنْ مُفْطَعِ الْأَمْرِ صَاحِباً

(٢) في الحماسة بشرحها : « خَوَاضاً إِلَيْهَا الْكَرَائِبِ » .

رفعته يكون فاعلاً لجالباً على ، وما في موضع المفعول ، ويكون القضاء بمعنى الحكم . والتقدير : سأغسل العارَ عن نفسي باستعمال السيف في الأعداء ، في حال جلبِ حكمِ الله على الشيء الذي يجلبه . وإذا نصب القضاء يكون مفعولاً وفاعله ما . ويكون القضاء الموت المحتوم ، كما يقال للمخلوق خلق . والمعنى : جالباً الموت على جالبه . وقيل : إن كان في قوله « ما كان » في معنى صار . انتهى .

٤٤٥

وقال ابن جني : أراد جالبه ، أى جالباً إيَّاه ، فحذف الضمير مع اسم الفاعل كما يحذف مع الفعل نفسه . ومثله ما أرانا أبو علي من قول الله تعالى : ﴿ فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾^(١) أى قاضيه ، في معنى قاضٍ إيَّاه . وعليه البيت الآخر فيه ، وهو :

* بإدراك الذي كنتُ طالباً *

أى إيَّاه ، أو طالبه أو طالباً له . وأن يكون المحذوف ضميراً متصلاً أولى من أن يكون ضميراً منفصلاً .

وقوله : « وأذهل عن داري » إلخ . الذهول : ترك الشيء متناسياً له . يقول : إذا نبا المنزل بي حتى يصير دارَ الهوان انتقلتُ عنه ، وأجعل خرابه وقايةً لنفسى من العار الباقي . وهذا قريبٌ من قوله :

* وإذا نبا بك منزلٌ فتحول^(٢) *

(١) الآية ٧٢ من سورة طه .

(٢) لعبد قيس بن خفاف البرجي في المفضليات ٣٨٥ وحماة البحري ١٧٩ . وصدره

في الأولى :

* واركحل السوء لا يحلل به *

* احذر محل السوء لا تحلل به *

وفي الثانية :

وقافيته في الأولى : « فتجمل » ، وفي الثانية مطابقة لما هنا .

وقوله: « ويصغر في عيني » إلخ. أراد بقوله يصغر صِغَرَ القَدَرِ . وخص التلاد، وهو المال القديم، لأنَّ النفس به أَضْنُ . ونَبَّه بهذا الكلام على أَنَّهُ كما يخفُّ على قلبه تركُ الدار والوطن خوفاً من التزام العار الباقي ، كذلك يقلُّ في عينه إنفاقُ المال عند إدراك المطلوب . وانثنت : انعطفت ومالت . وهذا البيت أورده ابن الناطم (في شرح الألفية) شاهداً على جواز حذف العائد المجرور بالإضافة إن كان المضاف وصفاً بمعنى الحال أو الاستقبال ، فإنَّ الأصل كنت طالبه فحذف الضمير .

وقوله: « فإن تَهدمُوا بالغدر » إلخ. الغدر : ترك الوفاء . يقول : إن تُخربُوا داري بالغدر منكم فإنها تراثٌ كريم . يعنى نفسه . وسَمَّى ملكه ميراثاً وهو حتى باعتبار ما يؤول إليه . والكرم : التنزه عن الأقدار^(١) .

وقوله: « أخو عَمَرَات » إلخ ، بفتحيتين ، هي الشدائد . ويروى . « أخو عَزَمَات » . والعزم : عقد القلب على ما يرى فعله . ومُفْطَع ، مِنْ أَفْطَع الأمرُ إِفْطَاعاً . وكذلك فَطَعَ فِطَاعَةً ، أى عَظُم . أو من أَفْطَعْنِي الأمرُ ففَطِطَ به ، أى أَعْيَانِي ففِطِطَ به ذَرْعاً . يصف نفسه بأنَّه صاحب همم وأخو عَزَمَات^(٢) ، مستبداً برأيه فيها ، غير متَّخذ رفيقاً .

وقوله : (فيالرزام رَشَّحُوا) إلخ . هو فعل أمر من الترشيح ، وهو التربية . ومنه رَشَّحت المرأة ولَدَهَا ، إذا دَرَجَتْه في اللبن ، ثم قيل : رَشَّح فلان لكذا توسَّعاً . أى رَشَّحُوا به بترشيحك إِيَّاي رجلاً كذا صفته . وأقام الصفة مقام الموصوف . قال التبريزي : قوله فيالرزام ، النية بالفاء استئناف ما بعدها وإن نسق بها جملةً على جملة . واللام

(١) ش : « والكريم : المتنزه عن الأقدار » .

(٢) ش : « وأخو عمرات » .

من يالرزام لام الاستغاثة ، ورزام مجرورٌ بها ، وهو قبيلة ، وهم المدعوون وأصل حركة اللام مع الظاهر الكسر ، وفتحت مع المستغاث لكونه في موقع الضمير ، ومُقَدِّماً بكسر الدال بمعنى متقدماً ، كما يقال ^(١) وجه وتوجه ، ونَبَّهَ بمعنى تنبَّه ، ونكَّبَ بمعنى تنكَّب . والكرائب : جمع كريمة وهي الشدة من شدائد الدهر . والأصل في الكرب الغمُّ الذي يأخذ بالنفس . ويروى بدله (الكتائب) جمع كتيبة ، وهي الجيش .

وقوله : « إذا همَّ ألقى » إلخ ، أى جعله بمرأى منه لا يغفل عنه . وقد طابق فيه لما قابله بقوله : « ونكَّبَ عن ذكر العواقب جانباً » . وسمى المعزوم عليه عزماً . ونكَّبَ إن كان بمعنى حرَّف فجانباً مفعول به له ، وإن كان بمعنى انحرف فجانباً ظرف له .

قال ابن جنى : لك في جانباً وجهان : أحدهما أن يكون مفعولاً به أى نكَّبَ جانباً منه عن ذكر العواقب . والآخر : أن يكون ظرفاً ^(٢) ، أى نكَّبَ عن ذكر العواقب في جانب . ويؤكد هذا رواية من رواه :

* وأعرضَ عن ذكر العواقب *

وقوله : « ولم يستشر » إلخ ، نبَّه على الرأى به وعلى الفعل بقوله : « ولم يرص » . وقائم السيف : مَقْبِضُهُ . وانتصب لأنه مستثنى مقدَّم .

وقال ابن جنى : إن شئت نصبتَ صاحباً على أنه مفعول به ونصبت قائم السيف على الاستثناء ، أى لم يرص صاحباً إلا قائم السيف . وإن شئت نصبت قائم السيف نصبَ المفعول به وجعلت صاحباً بدلاً منه ،

(١) ط : « كما يقال له » .

(٢) في شرح ابن جنى : « أن يكون انتصابه على انتصاب الظرف » .

كقولك : لم أضرب إلا زيدا قائماً ، أى لم أضرب أحداً إلا زيدا فى حال قيامه . ومن نصب زيدا فى قولك : مارأيت أحداً إلا زيدا على البديل لم ينصب قائم السيف فى القول الأول إلا على الاستثناء المقدم دون البديل ، وذلك لتقدمه على صاحبه ، والبديل لا يجوز تقدمه على البديل منه . انتهى .

وزاد ابن هشام (فى شرح الشواهد) بيتين بعد هذه الأبيات وهما :

(فلا توعِدْنى بالأمير فإنى لى جَنَاناً لَأَكْنُفِ المَخَافِ رَاكِبَا
وَقَلْباً أَبِياً لَا يُرَوِّعُ جَاشُوهُ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى بِالنَّهَارِ كَوَاكِبَا)

وسعد بن ناشب شاعرٌ إسلامى فى الدولة المروانية . قال سراح سعد بن ناشب الحماسة : هو من بنى مالك^(١) بن عمرو بن تميم .

وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : هو من العنبر ، وكان أبوه ناشب^(٢) أعور ، وكان من شياطين العرب ، وله يومُ الوقيط^(٣) وكان فى الإسلام بين تميم وبكر . وكان سعدٌ من مَرَدَةِ العرب ، وفيه يقول الشاعر^(٤) :

وكَيْفَ يُفَيِّقُ الدَّهْرَ سَعْدُ بْنُ نَاشِبٍ وَشَيْطَانُهُ عِنْدَ الْأَهْلَةِ يُصْرَعُ^(٥)
وَسَعْدٌ بَفَتْحِ السَّيْنِ وَسُكُونِ الْعَيْنِ ، وَنَاشِبٌ بِكُسرِ الشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ .

* * *

(١) فى النسختين : « بنى مالك بن مالك » تحريف . وانظر شرح التبريزى والجمهرة ٢١١ .

(٢) ط : « ناشب » ، صوابه فى ش .

(٣) انظر له العقد ٥ : ١٨٢ - ١٨٥ .

(٤) هو دعلج بن الحكم ، كما فى الحيوان ٦ : ٢٤٣ والشعراء ٦٧٧ .

(٥) انظر للصرع عند الأهلة ماورد فى الحيوان ٥ : ٤٧٩ .

وَأَنْشُدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الثَّانِي بَعْدَ السَّمَاةِ ، وَهُوَ مِنْ شَوَاهِدِ سِيُوبِيهِ^(١) :

٦٠٢ (ضَرُوبٌ بَنَضِلِ السَّيْفِ سُوقَ سِمَانِهَا
إِذَا عَدِمُوا زَادًا فَإِنَّكَ عَاقِرٌ)

على أَنَّ (ضروباً) صيغة مبالغة اسم الفاعل ، محوّل عن ضارب ، ولهذا عمل عمله . و (سوق) نصب به على المفعولية .
ولهذا أورده سيبويه .

صاحب الشاهد والبيت من أبياتٍ لأبي طالبٍ عمّ النبي صلى الله عليه وسلم ، رثى بها أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَرَ بن مخزوم^(٢) ، وكان أبو أمية زوج أخته عاتكة بنت عبد المطلب ، فخرج تاجراً إلى الشام فمات بموضع يقال له سَرَوْ سُحَيْمٍ ، فقال أبو طالب هذه الأبيات يرثيه :

أبيات الشاهد (أَلَا إِنَّ زَادَ الرِّكْبِ غَيْرَ مُدَافِعٍ بِسَرَوْ سُحَيْمٍ غَيْبَتَهُ الْمَقَابِرُ^(٣)
بَسَرَوْ سُحَيْمٍ عَارِفٌ وَمُنَاكِرٌ وَفَارُسٌ غَارَاتِ خَطِيبٌ وَيَاسِرٌ
تَنَادَوْا بَأَنَّ لَا سَيِّدُ الْحَيِّ فِيهِمْ وَقَدْ فُجِعَ الْحَيَّانِ كَعْبٌ وَعَامِرٌ
فَكَانَ إِذَا يَأْتِي مِنَ الشَّامِ قَافِلاً بِمَقْدَمِهِ تَسْعَى إِلَيْنَا الْبَشَائِرُ)

(١) في كتابه ١: ٥٧ . وانظر المقتضب ٢: ١٤ والجمل ١٠٤ وابن السجري ٢: ١٠٦ وابن يعيش ٢: ٦٩ ، ٧٠ والخزانة ٢: ١٧٥ ، وشذور الذهب ٣٩٣ والعين ٣: ٣٥٩ والتصريح ٢: ٦٨ ، والهمع ٢: ٩٧ ، والأشئوف ٢: ٢٩٧ وديوان أبي طالب مخطوطة الشنقيطي ١١ . والملاحظ أنه تكرر عددي للشاهد ٢٩٢ فيما سبق في ٤ : ٢٤٢ مع التزام البغدادى بعدم تكرار العدد إذا تكرر الاستشهاد .

(٢) ش : « ابن عمرو بن مخزوم » ، صوابه في ط . وانظر جهمرة ابن حزم ١٤٤ - ١٤٥ وديوان أبي طالب .

(٣) السرو من الجبل : ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر عن غلظ الجبل . وسحيم ، سيفسره البغدادى . وفي الديوان : « بوادى أثنى » . وأثنى : موضع بالوشم ، والوشم : واد بالجماعة . والأبيات الثلاثة بعد هذا البيت لم ترد في الديوان .

فَيُصْبِحُ أَهْلُ اللَّهِ بَيْضاً كَأَنَّمَا كَسَتْهُمْ حَبِيرًا رَيْدَةً وَمَعَا فُرُ
 ترى داره لا يبرح الدهر عندها مجعجة كَوْمُ سِمَانٍ وَبَا قُرُ
 إِذَا أَكَلْتُ يَوْمًا أَتَى الدَّهْرَ مِثْلُهَا زَوَاهِقُ زُهْمٍ أَوْ مَخَاضُ بَهَارُزُ^(١)
 ضروبٌ ينصل السيف سوقَ سَمَاتِهَا البيت
 وَإِلَّا يَكُنْ لَحْمٌ غَرِيضٌ فَإِنَّهُ تُكَبُّ عَلَى أَفْوَاهِهِنَّ الْغَرَائِرُ
 فَيَالِكَ مِنْ نَاعِ حَيْتَ بَالَّةٍ شِرَاعِيَّةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْإِظَا فُرُ

قوله : « أَلَا إِنَّ زَادَ الرِّكْبِ » قَالَ ابْنُ بَكَّارٍ (فِي أَنْسَابِ قَرِيْشٍ) :
 كَانَ أَزْوَادُ الرِّكْبِ مِنْ قَرِيْشٍ ثَلَاثَةً :

الأول : مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس .

الثاني : زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى .

الثالث : أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر^(٢) بن مخزوم .
 وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُمْ أَزْوَادُ الرِّكْبِ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَافَرُوا لَمْ يَتَزَوَّدْ مَعَهُمْ أَحَدٌ .
 وَلَمْ يَسْمَعْ بِذَلِكَ غَيْرَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ . وَكَانَ عِنْدَ أَبِي أُمِيَّةَ بْنِ الْمَغِيرَةِ أَرْبَعُ
 عَوَاتِكَ : عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَهِيَ أُمُّ زَهِيرٍ وَعَبْدُ اللَّهِ ، وَهُوَ
 الَّذِي قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا
 مِنَ الْأَرْضِ يَنْبوعاً ﴾^(٣) . وَعَاتِكَةُ بِنْتُ جَذَلِ الطَّعَانِ ، وَهِيَ أُمُّ أُمِّ سَلْمَةَ
 وَالْمُهَاجِرِ . وَعَاتِكَةُ بِنْتُ عَتَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ . وَعَاتِكَةُ بِنْتُ قَيْسٍ ، مِنْ
 بَنِي نَهْشَلِ بْنِ دَارِمِ التَّمِيمِيَّةِ . انْتَهَى .

(١) هذا البيت وكذا آخر الأبيات لم يردا في الديوان .

(٢) ش : « عمرو » . وانظر ما سبق من تحقيق . ولأزواد الركب أيضاً الأغاني ٨ : ٤٦٠ .

(٣) الآية ٩٠ من سورة الإسراء .

وقوله : « غير مُدافع » بالنصب . وجملة « غيبته المقابر » خبر إن .
 والباء من قوله بِسَرُو سحيم متعلق به . وسُحيم بضم السين وفتح الحاء
 المهملتين : موضع في طريق الشام من مكة . وسَرُو على لفظ الشجر بمعنى
 أعلى . فسَرُو سحيم : أعلاه . وقوله : « بسرو سحيم » تأكيد للأول . وقوله
 عارفٌ خبر مبتدأ محذوف ، أى هو ذو معرفة بالأمر . ومُناكر اسم
 فاعل ، من ناكِرهُ بمعنى قاتله .

والياسر : اللاعب بالميسر ، وهو قمار العرب بالأزلام ، وهو ممّا
 يُفتخر به عندهم ، كانوا يقامرون بها في أيام الغلاء والقحط ، ويفرق
 الغالب لحمَ الجزور على الفقراء .

وقوله : « تَنَادَوْا » أى تَنَادَى جماعة الركب . وأن مخففة من الثقيلة ،
 وجملة لاسيد الحي فيهم من المبتدأ والخبر خبر أن المخففة . وفُجِعَ
 بمعنى أصيب بالرزية . والقافل : الراجع من السفر .

وعنى بأهل الله قريشاً . وكانت العرب تسميهم أهل الله لكونهم
 أرباب مكة . والجبير ، بفتح الحاء المهملة وكسر الموحدة : ثياب ناعمة
 كانت تصنع باليمن . وريدة بفتح الراء المهملة وسكون المثناة التحتية :
 بلدة من بلاد اليمن ، وأراد أهل ريدة . ومعاقر بفتح الميم بعدها عين
 مهملة وكسر الفاء : قبيلة من قبائل اليمن .

ومجمعجة : اسم فاعل من جمعجت الإبل ، إذا صوتت ، وإنما تصوت
 لذبح أولادها ، وكان في الأصل صفة لكوم ، وقد قدم عليه ^(١) صار

(١) ط : « لما قد قدم عليه » .

حالاً منه . والكُوم : جمع كَوماء ، وهى الناقة العظيمة السنام . والباقر : اسمُ جمع بمعنى البقر .

وقوله : « إذا أَكَلْتُ » أى إذا أَكَلَهَا الأضياف يريد أنه يُدِنِي^(١) من موضعه الذى ينزله قطعةً من الإبل للنحر والقرى ، فكلما فنيت قطعةً أَحْضَرَ قطعةً أخرى . والزواحق : جمع زاهقة ، وهى السمينة المفرطة السمن . والزهم^(٢) : جمع زَهْمَة بفتح فكسر ، وهى الكثيرة الشحم . والمَخَاض : الحوامل من الإبل ، واحداها خَلِفَة من غير لفظها . والبهازر : جمع بَهْزَرَة ، بتقديم المعجمة ، على وزن حيدرة ، وهى الناقة الجسيمة . ٤٤٨

وقوله : « ضروبٌ بنصل السيف » أى هو ضروبٌ . ونصل السيف : شَفْرته ، فلذلك أَضافه إلى السيف . وقد يسمّى السَّيْفُ كله نصلاً . مدحه بأنّه كان يُعْرَقَب الإبل للضَّيْفَان عند عدم الأزواد . وكانوا إذا أَرَادُوا نحر الناقة ضَرَبُوا ساقها بالسَّيْف فخرَّت ، ثم نحروها ، وقوله : « إذا عَلِمُوا زَاداً » إلخ ، الجملة الشرطية التفاتٌ إلى الخطاب من الغيبة . والسُّوق : جمع ساق .

وقوله : « وإلاّ يكن لحم غريض » ، بفتح الغين المعجمة وكسر الراء وآخره ضاد معجمة ، هو الطرىُّ من اللَّحْم . وتُكَبُّ : تُصَبُّ . والغرائر : الأعدال ، جمع غِرارة بالكسر ، وهى وعاءٌ يجعل فيه الدقيق وغير ذلك . وقوله : « فيا لك من ناع » مجرورٌ مِنْ تمييزٍ للكاف . والناعى : المخبر بموت إنسانٍ . دعا عليه ، لكونه أخبر بموت المرتضى . وحُيِّيت : خُصِصَتْ . والآلة بفتح الهمزة وتشديد اللام : الحرّبة . والشراعية ، بكسر الشين

(١) ط : « أنه يرى » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « والزهم » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

المعجمة : الطويلة ، وقيل التي قد أُشْرِعت للطنن أى مُدَّت نحوه .
وصفرة الأظفار كناية عن الموت ، فإنَّ الميت تصفرُّ أظفاره .
وترجمة أبي طالب تقدّمت في الشاهد الواحد والتسعين ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد الستائة ، وهو من شواهد
سيبويه :

٦٠٣ (شُمُّ مَهاوِينِ أَبْدانَ الْجَزُورِ مَخا
مِيصِرِ الْعَشِيَّاتِ لَا خُورٍ وَلَا قَزَمٍ)
على أن (مهاوين) جمع مِهوان من أَهان ، وبناء مفعال من أَفعل
قليلٌ نادر ، والكثير من فَعَلَ .
وقد أوردته الزمخشري (في المفصل) على أن ما جمع من اسم الفاعل
يعمل عمل المفرد .

والأوصاف جميعها مجرورة في البيت ، لأنَّ قبله :
(يَأْوِي إِلَى مَجْلِسٍ بَادٍ مَكَارِمُهُمْ لَا مُطْمَعِي ظَالِمٍ فِيهِمْ وَلَا ظَلَمٍ)
والبيت إنَّما وردَ (في كِتَاب سيبويه والمفصل وغيرهما) على إعمال
مفعال عمل فِعْلِهِ ، وليس فيهما ما يدلُّ على أنَّ الأوصاف مرفوعة
أو مجرورة .

ولا وجه لقول ابن خلف : البيت في الكتاب رويُّه مرفوع ، وهو
مخفوضٌ كما يدلُّ عليه ما قبله . وكذا قول ابن المستوفى : قد أنشده
سيبويه في كتابه كما أنشده الزمخشريُّ بالرفع ، وهو مجرور . انتهى .

(١) الخزانة ٢ : ٧٥ - ٧٦ .

(٢) في كتابه ١ : ٥٩ . وانظر ابن يعيش ٦ : ٧٤ ، ٧٦ واليعنى ٣ : ٥٦٩ والهمع

ولم يقف ابن الحاجب (في أماليه على المفصل) على البيت الأول فظنّه مرفوعاً وقال : شَم خبر مبتدأ محذوف وما بعده أخبارٌ وأوصاف . وكذلك قال العيني .

وقوله : « يأوى إلى مجلس » إلخ فاعل يأوى ضمير مستتر . يقال أوى إلى منزله يأوى ، من باب ضرب ، أويّاً على وزن فُعول ، إذا أقام فيه . والمجلس : موضع الجلوس ، وقد أطلق هنا على أهله ، تسميةً للحال باسم المحلّ ، يقال انفضّ المجلس ، بدليل الأوصاف الآتية ، ولهذا عاد الضمير إليه من « مكارمهم » بجمع العقلاء ، كما يطلق المقامة بالفتح على محلّ القيام ، وعلى الجماعة من الناس . وبإد : اسم فاعل من بدا يبدو بدواً ، إذا ظهر . والمكارم : جمع مكرمة بفتح الميم وضمّ الراء ، قال صاحب المصباح : المكرمة ، بضم الراء : اسمٌ من الكرم ؛ وفعلٌ الخير مكرمة ، أى سببٌ للكرم أو التكريم . وبإد صفة سببيةً لمجلس . وقوله : « لا مطعمى ظالم » صفة ثانية لمجلس ، وأصله مطمعين ، حذفت نونه للإضافة . وقوله : « ولا ظُلم » بضمّتين : جمع ظُلوم صفة ثالثة لمجلس . يريد إنّ الناس قد عرفوا أنّه من ظلمهم انتصفوا منه ، فليس أحدٌ يطمع في ظلمهم ، ولا هم يظلمون أحداً .

٤٤٩

وقوله : « شَم » صفة رابعة لمجلس ، وهو جمع أشم ، وصفٌ من الشَّم ، وهو ارتفاعٌ في قصبة الأنف مع استواء أعلاه^(١) ، فإن كان فيها احديداب فهو القنّى ، يقال أفنى الأنف . جعل الشم كنايةً عن العزة والأنفة . يقال للعزيز شامخ الأنف ، وللذليل خاشع الأنف . وقال ابن الحاجب : وصفهم بالارتفاع إمّا في النسب والكرم ، أو القدر ، أو العزة^(٢) ، وهو

(١) ش : « من استواء أعلاه » ، صوابه في ط .

(٢) ط : « أو عزة » ، صوابه في ش .

مأخوذ من الشَّم المذكور . وهذا كلامه ، ولا حاجة إليه . وقوله : « مهاوين » صفة خامسة لمجلس ، وهو مجرور بالفتحة لأنَّه على صيغة منتهى الجموع ، وهو جمع مهوان ، وهو مبالغة مهين ، من أهانه أى أدَّله .

قال الأعلم : الشاهد فيه نصب أبدان الجزور بقوله مهاوين ، لأنَّه جمع مهوان ، ومهوان تكثير مهين ، كما كان منحار ومضرب تكثير ناجر وضارب ، فعمل الجمع على واحد . يريد أنَّهم يُهينون للأضياف والمساكين أبدان الجزور ، وهو جمع بدنة ، وهى الناقة المتخذة للنحر المسمنة . وكذلك الجزور .

هذا كلامه ، وتبعه ابن يعيش وقال : الأبدان : جمع بدنة وهى الناقة المتخذة للنحر . يريد أنَّهم يسمنون الإبل فينحرونها للأضياف . وعليه يقتضى أن يكون من إضافة أحد المترادفين إلى الآخر ، مع أنَّه لم يُسمع جمع بدنة على أبدان ، وإنَّما ورد جمعها على بدنات وبدن بضميتين وإسكان الدال تخفيفاً . والصواب أنَّه جمع بدن ، وهو من الجسد ما سوى الرأس واليدين والرجلين . وإنَّما أثر ذكره على غيره لإفادة زيادة وصفهم بالكرم ، فإنَّهم إذا فرقوا أفضل لحم الجزور فتفريق ما سواه يكون بالطريق الأولى ، والإضافة حينئذٍ من إضافة البعض إلى الكل . والبدنة : ناقة أو بقرة ، زاد الأزهرى : أو بعير . قالوا : ولا تقع على الشاة .

و (الجزور) ، بفتح الجيم من الإبل خاصّة ، يقع ^(١) على الذكر والأنثى ، والجمع جُرر بضمّتين ، وتجمع أيضاً على جُررات ^(٢) ، ثم على جزائر . ولفظ الجزور أنثى ، فيقال رعت الجزور . قاله ابن الأنبارى .

(١) ط : « تقع » بالتاء ، وأثبت ما فى ش .

(٢) فى اللسان (جزر ٢٠٤) أن جزرات جمع الجمع ، كطرق وطرقات .

وزاد الصُّغاني : وقيل الجزور الناقة التي تنحر ، وجزرت الجزور وغيرها من باب قتل ، إذا نحرتها . كذا في المصباح .

واللام في الجزور لاستغراق الأفراد . وقال ابن خلف : أراد أن يقول الجُزْر فاكنتني بالواحد عن الجمع . وروى : « مهاوين أبدأء الجزور » ، وهو جمع بدء^(١) بفتح الموحدة وسكون الدال بعدها همزة ، قيل هو بمعنى النصيب ، وقيل بمعنى المَفْصِل . وقال الأَعلم : أبدأء الجزور أفضل أعضائها ، واحداً بدء^(٢) ، ومنه السيد بدءاً لفضله . وقوله : « مخاميص العشيات » صفة سادسة لمجلس ، وهو مجرور بالكسرة لأنه مضاف ، وهو جمع مخماص مبالغة خميص ، من خَمَصَ الشخصُ خُمَصاً فهو خميص ، إذا جاع ، مثل قُرْب قريباً فهو قريب . والمخمصة : الجماعة .

وقال بعض فضلاء العجم (في شرح أبيات المفصل) : هو جمع مخموص ، من خمصه الجوع خمصاً ، أي جعله ضامراً البطن .

والعشيات : جمع عشى ، والعشى والعشاء بالكسر : من صلاة المغرب إلى العتمة . والعشى قيل بمعنى العشيّة ، وقيل جمعها . ومخاميص العشيات ، كقولهم : نهاره صائم . وقال ابن الحاجب : هذه الإضافة اتساع ، والأصل : في العشيات .

قال الأَعلم : يريد ، أنهم يؤخّرون العشاء لأجل ضيفٍ يطرق ، فبطونهم خميصة في عشيّاتهم لتأخر الطعام عنهم .

(١) الكلام بعده إلى « بدء » التالية ساقط من ش .

(٢) هنا ينتهى السقط الذي نهت عليه قريباً .

٤٥٠

وليس المعنى على قول ابن خلف : المخاميص : الذين ليسوا بعظام البطون. يعنى أَنَّهُمْ لا يأكلون حتَّى تعظم بطونُهُمْ ، وإنَّما يكتفون بأخذ ما يحتاجون إليه من الطعام ، ليس فيهم نَهْمٌ .
هذا كلامه ، وفيه أَنَّهُ يَبْقَى العشيَّاتُ لغوًا .

وقوله : « لاخور » بالجر صفة سابعة لمجلس ، والخور : الضُّعْفَاءُ عند الشَّدَّةِ . قال صاحب الصحاح : الخَوَرُ بفتح الحين : الضَّعْفُ ، رجلٌ خَوَّارٌ ورُمحٌ خَوَّارٌ ، وأرضٌ خَوَّارةٌ ، والجمع خَوَرٌ بتخفيف الواو . وقال العيني : هو جمع أَخَوَرٍ ، وهو الضَّعِيفُ . وقوله هو القياس .

وقوله : « ولا قَزَمَ » بالجر صفة ثامنة لمجلس ، وهو بفتح القاف والزاي . قال صاحب الصحاح : القَزَمَ بالتحريك : الدناءة والقَمَاءة . والقَزَمَ : رُذال الناس وسَفِلَتُهُمْ ، يقال رجل قَزَمٌ ، والذكر والأنثى والواحد والجمع فيه سواءٌ ، لَأَنَّهُ في الأصل مصدر .

صاحب الشاهد والشعر نسبه سيبويه إلى الكيت بن زيد الأسدي ، وتقدَّمت ترجمته في الشاهد السادس عشر^(١) .

وقال ابن المستوفي كابن خلف : رواه سيبويه للكيت . ولم أَرِه في ديوانه .

وأنشده ابن السيرافي لتميم بن مقبل^(٢) ، ولم أَرِه فيما كتبه ، من شعره . والله أعلم .

(١) الخزانة ١ : ١٤٣ - ١٤٧ .

(٢) ط : « ابن أبي مقبل » ، صوابه « ابن أبي بن مقبل » . وأثبت ما في ش . يقال تميم بن مقبل ، و تميم بن أبي بن مقبل . نسبة إلى جده أو إلى أبيه ثم جده . وأبي ، هيئة التصغير .

وترجمة تميم بن مُقبل تقدّمت أيضاً في الشاهد الثاني والثلاثين^(١).
وكلاهما شاعر إسلامي .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع بعد السهانة ، وهو من شواهد
سيبويه^(٢) :

٦٠٤ (حَتَّى شَاَهَا كَلِيلٌ مَوْهِنًا عَمِلٌ

بانت طراباً وباتَ اللَّيْلَ لم يَنَمْ)

على أن سيبويه قال : إذا حُوِّلَ فاعل إلى فاعيل أو فَعِلَ عَمِلَ أيضاً .
وأنشد هذا البيت ، فَإِنَّ كَلِيلًا قد عمل في قوله مَوْهِنًا . وَرُدُّ بَأَنَّ مَوْهِنًا
ظرف لَشَاَهَا ، ولو كان لكَلِيلٍ أيضاً فلا استدلال فيه ، لَأَنَّهُ ظرف
يكفيه رائحةُ الفعل . واعتذر لسيبويه بَأَنَّ كَلِيلًا بمعنى مُكَلِّلٍ فمَوْهِنًا
مفعوله على المجاز ، كما يقال أَتَعَبْتَ يَوْمَكَ ، ففَعِيل مبالغة مُفَعِّل
لا فاعل . وفيه أَنَّهُ قليل نادر ولا يصحُّ الاستدلال بالاحتمال مع أَنَّ
هذا الاعتذار بعيد . هذا كلامه .

قال التبريزي (في شرح الكافية) : أنشد سيبويه هذا البيت على
إعمال فَعِيل ، فَإِنَّ كَلِيلًا بمعنى مُكَلِّلٍ ، ومَوْهِنًا منصوب على أَنَّهُ مفعول به ،
أَي يُكَلِّلُ أَوْقَاتَ اللَّيْلِ من كثرة العمل . وطعنوا في هذا البيت من جهة
استشهاده . وقيل كَلِيلٌ بمعنى كَان ، من كُلَّ يَكِلُ فَإِنَّهُ لازم ، ومَوْهِنًا
منصوب على الظرف . وهذا التأويل ليس بقوى ، لَأَنَّ صدر البيت

(١) الخزانة ١ : ٢٣١ - ٢٣٣ .

(٢) في كتابه ٥٨ : ١ . وانظر المقتضب ١١٥ : ٢ والنصف ٧٦ : ٣ وابن يعيش
٧٢ : ٦ والمقرب ٢٤ والمغني ٣٤٥ ويس على التصريح ٦٨ : ٢ والهدليين ١٩٨ : ١ وشرح
السكري ١١٢٩ .

وعجزه ينافيه ، فإنه قال : « وباتَ الليل لم ينم » فلا يمكن أن يوصف بأنه قال في بعض أوقات الليل ، وقال عَمِلَ وهو يدلُّ على كثرة العمل .

وقال ابن مالك : إِنَّمَا أَنشَد سيبويه هذا البيت لِيُعْلَمَ جوازُ العدول من فاعل إلى فاعيل ، لَأَنَّ أَصْلَهُ كَال . ولم يتعرض للإعمال .

وهذا أيضاً ضعيفٌ ، بما نقل السيرافي أَنَّهُ قال سيبويه : كليل في معنى مُكِلٍّ ، مثل أليم ، وداءٌ وجيع ، بمعنى مؤلم وموجع . انتهى .

وقال ابن هشام (في المغنى) : رُدَّ على سيبويه في استدلاله على إعمال فاعيل بهذا البيت . وذلك أَنَّ موهناً ظرف زمان ، والظرف يعمل فيه روائح الفعل ، بخلاف المفعول به . ويوضح كونَ الموهن ليس مفعولاً به أَنَّ كليلاً من كلٍّ ، وفعله لا يتعدى . واعتذر عن سيبويه بأن كليلاً بمعنى مُكِلٍّ ، وكانَّ البرقَ يُكِلُّ الوقتَ بدوامه فيه ، كما يقال أتعبتَ يومك . أو بآئنه إِنَّمَا استشهد به على أَنَّ فاعلاً يُعدَلُ عنه إلى فاعيل للمبالغة ، ولم يستدلَّ به على الإعمال . وهذا أقرب ؛ فإنَّ في الأول حملَ الكلام على المجاز مع إمكان حمله على الحقيقة . اهـ .

٤٥١

ونحن ننقل لك كلام سيبويه هنا ليظهر لك حقيقة الحال ، قال (في باب ما جرى في الاستفهام من أسماء الفاعلين ، من أوائل الكتاب) : وأجروا اسمَ الفاعل إِذَا أَرَادُوا أَن يبالغوا في الأمر مُجرأه ، إِذَا كَانَ عَلَى عَلَى بِنَاءِ فاعل ، لَأَنَّهُ لَا يَرِيدُ بِهِ مَا أُرِيدَ بِفَاعِلٍ مِنْ إِيقَاعِ الْفِعْلِ ، إِلَّا أَنَّهُ يَرِيدُ ^(١) أَن يَحْدُثَ عَنِ الْمَبَالِغَةِ . فمِمَّا هُوَ الْأَصْلُ الَّذِي عَلَيْهِ أَكْثَرُ هَذَا الْمَعْنَى : فَعُولٌ ، وَفَعَالٌ ، وَمِفْعَالٌ ، وَفِعْلٌ . وَقَدْ جَاءَ فَعِيلٌ كَرَحِيمٍ وَقَدِيرٍ ، وَسَمِيعٍ وَبَصِيرٍ ، يَجُوزُ فِيهِنَّ مَا جَازَ فِي فَاعِلٍ مِنَ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ ،

(١) في سيبويه : « لأنه يريد » .

والإضمار والإظهار . لو قلت : هذا ضروبُ رؤوسِ الرجال وسوقِ الإبل ،
على : ضروب^(١) سوقِ الإبل جاز ، كما تقول : ضاربُ زيدٍ وعمراً^(٢)
نُضمير : وضاربُ عمراً . ومما جاء مقدماً ومؤخراً على نحو ما جاء في
فاعل قول ذى الرمة :

هجومٌ عليها نفسه غير أنه متى يُرمَ في عينيه بالشَّبحِ ينهض
وقال القلائخ :

* أنا الحرب لبّاساً إليها جلاها^(٣) *

وقال أبو طالب :

* ضروبٌ بنصل السَّيفِ سوقَ سمانها *

وقد جاء في فعلٍ وليس في كثرة ذلك ، قال :

* أو مسحلٌ شنج عِصادة سَمحج^(٤) *

ومما جاء في فعلٍ قوله :

* حَذِرُ أُموراً لا تُخافَ وآمن^(٥) *

ومن هذا الباب قول رؤبة :

* برأس دماغ رُموسَ العِزِّ *

(١) سيبويه : « على : وضروب » .

(٢) ط : « ضارب زيد عمراً » ، صوابه في سيبويه وش أيضاً مع أثر تصحيح .

(٣) عجزه في سيبويه :

* وليس بولاج الخوالم أعقلا *

(٤) لعمر بن أحمَر ، كما في سيبويه ، أو هو للبيد في ديوانه ١٢٥ . وعجزه :

* بسراته ندب لها وكلوم *

(٥) عجزه في سيبويه :

* مائس منجيه من الأقدار *

ومنه قول ساعدة :

حتى شآها كليلٌ موهناً عمل . . . البيت

وقال الكميت :

شمٌ مهاوينَ أبدانَ الجزور . . . البيت

ومنه : قدير وعليم ورحيم ، لأنه يريد المبالغة وليس بمنزلة قولك حسنٌ وجه الأخ ، لأن هذا لا يقلب ولا يضم^(١) ، وإنما حده أن يتكلم به في الألف واللام^(٢) ولا تعنى أنك أوقعت فعلاً سلف منك إلى أحد . ولا يحسن أن تفصل بينهما فتقول : هو كريمٌ فيها حسب الأب . هذا نصه بحروفه ، مع حذف بعض أمثلة .

قال الأعلم : الشاهد في نصب الموهن بكليل ، لأنه مغيرٌ عن بنائه للتكثير . وقد رُدَّ هذا التأويل على سيبويه لما قدّمنا : أن فعيلاً وفعلاً بناءً لما لا يتعدى في الأصل . وجعل الرادُّ نصبَ موهن على الظرف ، والمعنى عنده أن البرق ضعيفُ الهبوب كليلٌ في نفسه . وهذا الردُّ غير صحيح ، إذ لو كان كليلاً كما قال لم يقل عمِلٌ وهو الكثير العمل ، ولا وصفه بقوله : وبات الليل لم ينم . والمعنى على مذهب سيبويه أنه وصّفَ حماراً وأتّناً نظرتُ إلى برق مُستمطر دالٌّ على الغيث يُكِلُّ الموهن بدُؤوبه وتوالي لعانه ، كما يقال أتعبت ليلك ، أى سرت فيه سيراً حثيثاً مُتعباً متوالياً . والموهن : وقتٌ من الليل . فشآها البرق أى ساقها وأزعجها إلى مهبة ، فباتت طربةً إليه ، منتقلة نحوه . وفعل في معنى

(١) انظر ما كتبت على هذا من تعليق في نسختي من سيبويه ١ : ١١٥ .

(٢) بعده في سيبويه : « أو نكرة » .

مُفْعِلٌ موجودٌ كثير . يقال بصير في معنى مبصر ، وعذاب أليم بمعنى مؤلم ، وسميع بمعنى مسمع . وكذلك كليل في معنى مُكِلٌّ . وإذا كان بمعناه عمل عمله ، لَأَنَّهُ مَغْيَرٌ منه للتكثير كما تقدم . ١ هـ .

وقال ابن خلف أيضاً^(١) : الشاهد نصب موهناً بكليل نصبَ المفعول به ، لَأَنَّهُ بمعنى مُكِلٌّ فيعمل عمله .

وقال المبرد : موهناً ظرف وليس بمفعول . ولا حجة له فيه . وجعل ٥٢
كليلاً من كل يكل ، وكل لا يتعدى إلى مفعول به فكيف يتعدى
كليل .

قال أبو جعفر : لا يجوز عند الجرمي والمازني والمبرد أن يُعملوا فعيلًا . قال : وما عَلِمْتُ^(٢) إِلَّا أَنَّ النحويَّينَ مجمعون على ذلك . ولا يجوزون هو رحيمٌ زيداً ، ولا عليمٌ الفقه . والعلة فيه أَنَّ فعيلًا في الأصل من فَعَلَ فهو فعيل ، وهذا لا ينصب بإجماعهم ، وهو معهم على ذلك . وفعيل هذا بمنزلة ذاك ، لَأَنَّهُ إِنَّمَا يُخْبَرُ به عَمَّا في الهيئة ، فهو ملحق به لا يعمل كما لا يعمل . وفَعَلَ عند المبرد بمنزلة . واحتجَّ بقولهم رجل طَبُّ وطبيب .

قال أبو إسحاق (في الحجة) ، في إعمال فعيل^(٣) : إِنَّ الأصل كان أَنَّ لا يعمل إِلَّا ما جرى على الفعل ، فلما أعرَبوا ضروباً لَأَنَّهُ بمعنى ضارب وجب أن يكون فعيل مثله . قال : ومنه قدير . وسيبويه أورد هذا على أَنَّهُ للمبالغة في كَالٍ ، وكَالَ يتعدى إلى مفعول على تقديره . وكَانَ الذي عند سيبويه أَنَّ كَلَّتْ يتعدى ، ويكون معناه أَنَّ

(١) نص ابن خلف هذا مسهب سينتهي في آخر صفحة ١٦٠ .

(٢) ط : « عملت » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

(٣) في النسختين « ليس في إعمال فعيل » ، وكلمة « ليس » مقحمة .

كَلَّلَ الموهن ، أى جعل يبرق فيه برقاً ضعيفاً . وزعم أَنَّ كليلاً بمعنى مُكِلٍّ .
وليس هذا من مذهب سيبويه فى شئ : لَأَنَّ سيبويه غرضه ذكر
فعل الذى هو مبالغة فاعل ، وماعرَضَ لفعل الذى بمعنى مُفْعِل .

وقد روى أَبُو الحسن اللِّحْيَانِيُّ (فى نوادره) أَنَّ بعض العرب يقول
فى صفة الله عز وجل : هو سميعٌ قولك وقولَ غيرك ، بتنوين سميع ونصب
قولك . وهذا يشهد لصحة مذهب سيبويه . وقال أَبُو نصر هارون
ابن موسى : زعم الراذ على سيبويه أَنَّ موهناً ظرف . وهو على ما ذكرنا
من فساد المعنى . والكليل ههنا : البرق . والموهن : وقتٌ من الليل ،
ولو كان ظرفاً لوصف البرق بالضعف فى لمعانه ، وإذا كان بهذه الصفة
فكيف يسوقها وهو لا يدلُّ على المطر ؟ ولكنَّ البرق إذا تكرر فى لمعانه
واشتدَّ ودام دَلٌّ على المطر ، وشاق^(١) ، وأتعب الموهن فى ظلمته ، لَأَنَّهُ
كلَّمًا هبَّ ذهبَت الظلمة ثم يرجع إذا فترَّ البرق ، ثم يذهب إذا لمع .
فلذلك عدَّى الشاعر الكليل إلى الموهن .

وقوله : (شآها) أى شأى الإبل ، أى ساقها . قال الأخفش : تبعها .
يقال شاعنى الأمر وشأتى ، أى ساقنى . ويقال أيضاً شأتى : حزننى . و (كليل)
أى برق ضعيف . وإِنَّمَا ضَعَّفَه لَأَنَّهُ ظهر من بعيد . و (الموهن) بفتح
الميم وكسر الهاء : قطعة من الليل . و (العَمَل) : الدائب المجتهد فى أمره
الذى لا يفتُر . و (باتت طراباً) يعنى البقر الوحشية طراباً إلى السير إلى
الموضع الذى فيه البرق ، وبات البرق الليل أجمع لا يفتُر . فعبّر عن البرق
بأنه لم ينم لاتصاله من أول الليل إلى آخره . انتهى ما أورده ابن خلف .

(١) ط : « وساق » بالسین المهملة ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

وقال النحاس : شأها يعنى الإبل . وكليل : برق خفي . طراباً : طربت للبرق وشاقها^(١) . وبات البرق لم ينم لشدة دوامه . قال ابن حبيب : طراباً من الطرب تحنُّ إلى أولادها . قال الجعفي : تنزع إلى أوطانها .

والصحيح أنه غنى بها البقر لا الإبل ، خلافاً للشارح المحقق وغيره . قال السكري (في شرح أشعار الهذليين) : حتى شأها يعنى شأى البقر ، يقال شُوتُه ، فكان ينبغى أن يقول شاءها ، فقلب فقَدَّم الهمزة . ومعنى شُوتُه شُقَّتُه^(٢) وهيئته وسررته . يقول : حتى شاء البقرَ كليلٌ ، وهو البرق الضعيف ، موهناً : بعد هذاء من الليل . عملٌ ، أى ذو عمل ، لا يفتر البرق . وباتت طراباً ، يعنى البقر . وبات الليل ، يعنى البرق . وعَمِل : دائب ، يقال للرجل إذا دأب : قد عمل يعمل . انتهى .

٤٥٣

والبيت من قصيدة طويلة لساعدة بن جُوَيَّة ، رثى بها من أصيب يوم مَعِيط^(٣) ، وهو أرض ، منهم سُرَاقَة بن جُعْثَم من بنى مُدَلَج ، كان يرسل إليهم الأخبار . وهذا مطلعها :

(يا ليتَ شِعْرى ولا مَنَجى من الهَرَمِ أم هل على العيش بعد الشَّيبِ من نَدَمِ)

قال السكري^(٤) : ويروى :

(١) ط : « وساقها » بالسین ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

(٢) ط : « سبقته » ، ، صوابه في ش مع أثر تصحيح . وفي شرح السكري ١١٢٩ : « شأها : شاقها فاشتقت » . وفي اللسان تعليقاً على هذا البيت : « شأها ، أى شاقها وطربها بوزن شعاعا » .

(٣) بفتح الميم وسكون العين وفتح الياء ، كما في ش ومعجم البلدان .

(٤) لم أعر على هذا النص في شرح السكري .

* ياللرَّجال أَلَا مَنْجَى مِنَ الْهَرَمِ *

يقول : هل يندم أَحَدٌ عَلَى أَنْ لَا يَعِيشَ بَعْدَ أَنْ يَشِيبَ . وقوله « على العيش » ، أى على فوت العيش . ومثله : «المال يُزْرِى بِأَقْوَامٍ^(١)» يريد فقد المال اهـ .

وهذا البيت أورده ابن هشام (فى المغنى) على أَنَّ زيادة أَمْ فيه ظاهرة . إلى أَنْ قال :

(تَاللهِ يَبْقَى عَلَى الْآيَامِ ذُو حَيْدٍ أَدْفَى صَلُودٌ مِنَ الْأَوْعَالِ ذُو خَدَمٍ)

يريد : تالله لا يبقى ، فحذف لا النافية فى جواب القسم . وروى : «لله يبقى» واللام للقسم والتعجب معاً . ولأجله استشهد ابن هشام (فى المغنى) بهذا المصراع . وَذُو حَيْدٍ هو الوَعِل . وَالْحَيْدُ بكسر ففتح : جمع حَيْدٍ ، بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية ، وهى الْعُقْد فى قرن الوَعِل . والأدْفَى بالقصر : الذى يَمِيلُ قرْنُهُ إلى نحو ذَنْبِهِ . وَصَلُودٌ : صفة أدْفَى . وَالصَّلُودُ : الذى يقرع بظلفه الجبل . وَالْخَدَمُ بفتح الخاء المعجمة والداد : جمع خَدَمَةٍ ، وهى الخلخال ، ويجمع على خِدَامٍ أيضاً بالكسر . وَالْخَدَمُ : خطوطٌ بِيضٌ فى قوائمه تشبه الخلاخيل .

ثم وصف تحصُّنه فى رؤوس الجبال فى ثمانية أبيات ، فلما جاءه أَجَلُهُ لم يسَلِّمْ من الصيَّاد ، فهلك على يديه ، وقال :

(فَكَانَ حَتْفًا بِمَقْدَارٍ وَأَدْرَكَهُ طَوْلُ النَّهَارِ وَلَيْلٌ غَيْرُ مُنْصَرَمٍ)

(١) كذا وردت هذه القطعة للاستشهاد بها ، وأنا فى ريب من صحتها بدليل اقتضاها المخل . وفى ديوان حسان ٣٢٧ :

الفقر يزرى بأقوام ذوى حسب ويقتدى بلثام الأصل أنذال

أراد: أدركه طول النهار وليل غير منقطع . يقول : لم يفلت من طول الأيام والليالي . وبعده :

(ولا صِوارٌ مذرأةٌ مناسجُها مثلُ الفريد الذي يجرى من النُظْمِ^(١))

هذا معطوفٌ على ذوحيد في جواب القسم السابق. أى تالله لا يبقى على الأيام ذوحيد ولا صِوارٌ ، وهو بكسر الصاد المعجمة : جماعة البقر . يقال نعجة مذرأة وكبش مذرى بالذال المعجمة ، إذا جُرَّ وترك بين كتفيه صوف لم يجز . فهى الذرورة بكسر الذال وضمتها . والنُظْمُ بضمين : جمع نظام ، وهو الخيط الذى فيه اللؤلؤ . يقول : الصَّوار مثل اللؤلؤ فى الحسن والبياض .

(ظَلَّتْ صوافنٌ بالأرزان صاويةٌ فى ماحقٍ من نهار الصَّيفِ مُحْتَدِمٌ^(٢))

أى قدرفن إحدى قوائمهِنَّ . والصوافن : التى تفرج بين رجلها . والأرزان : جمع رِزْن ، بكسر الراء المهملة وسكون الزاى ، وهو الموضع الغليظ الذى فيه الماء . وصاوية بالصاد المهملة : اليابسة من العطش . والماحق : شدة الحر . والمحتدم : المحترق ، بالحاء والذال المهمتين . أى كان ذلك اليوم محترقا من شدة الحر .

(قد أُوْبِيَتْ كُلُّ ماءٍ فهى صاويةٌ مهما تُصِيبُ أفقاً من بارقٍ تَشِمُ^(٣))

(١) فى شرح السكرى : « ولاصوار مذراة » بالذال المهملة . وقال فى تفسيره : « يقول : كأن مناسجها ذريت بالمدرى ، أى ضربتها الريح كما يدرى الشعر بالمдарى » . وفى ديوان الهذليين ١ : ١٩٧ : « مذراة » بالذال المعجمة . وفى تفسيره : « يقول : كأن مناسجها ذريت بالمدرى ، أى ضربتها الريح كما يدرى الشعر بالمدارى » .

(٢) صاوية ، هنا ، بالواو فى التسخين وشرح السكرى . قال : « والصاوى اليابس ومن قال طاوية فإنه يريد خاص » .

(٣) ط : « صادية » بالذال ، وأثبت مافى ش وهو ما يقتضيه التفسير التالى . وفى شرح السكرى : « فهى طاوية » ، أى ضامرة .

(حتى شأها كليلٌ موهناً عَمِلٌ
 كأنما يتجلى عن غواربه
 حَسِيرَانُ يركب أعلاه أسافله
 فأسادت دكجاً تحبى لموقعه
 حتى إذا ماتجلى ليلها فزعت
 فافتنّها في فضاء الأرض يافرها
 أنحى عليها شراعياً فغادرها
 وبعد هذا شرع في الرثاء .

باتت طراباً وبات الليل لم ينم
 بعد الرقاد تمشى النار في الضرم^(١)
 يخفى تراب جديد الأرض منهزم^(٢)
 لم تنتشب بوعوث الأرض والظلم
 من فارس وحليف الغرب ملتئم
 وأصحرت في قفاف ذات معتصم
 لدى المزاحف تلى في نضوح دم

قوله : « قد أوبيت كل ماء » البيت إلخ أورده أبو حنيفة (في كتاب
 النبات) مع أبيات أربعة بعده وقال : وصف بها ساعدة بن جؤبة
 حميراً . وقال : أوبيت : مُنعت . وقال السكري : يقول : مُنعت
 كل ماء ، أى قطع عنها ، يقال طعام وشراب لا يؤبى : لا ينقطع . وقال
 شارح اللباب : أى جعلت تأبى كل ماء وتكرهه . وصاوية بالصاد المهملة .
 قال أبو حنيفة : الصاوى : اليابس ، أى يبست من العطش . وقوله :
 « مهما تصب أفاقاً » قال السكري أى ناحية من بارق ، أى من سحاب
 فيه برق . وتشم : تنظر إليه ، والضمير في الجميع ضمير الصّوار .

وهذا البيت أورده ابن هشام (في المغنى) على أن ابن يسعون
 استدللّ به على مجيء مهما حرف شرط كإن . قال : واستدلّ ابن
 يسعون تبعاً للسهيلي ، على أن مهما تأبى حرفاً بقوله : قد أوبيت كل ماء ،

(١) في شرح السكري : « يخفى جديد تراب الأرض » ، وكذلك في ديوان الهذليين .
 (٢) وكذا في شرح السكري . وقال : « أى أحيت ليلتها . يريد لتبلغ ذلك المطر » .
 وفي ش : « يحيى » تصحيف .

البيت . قال : إذ لا تكون مبتدأ لعدم الربط من الخبر وهو فعل الشرط ، ولا مفعولا لاستيفاء فعل الشرط مفعوله ، ولا سبيل إلى غيرهما ، فتعين أنَّها لاموضع لها . والجواب أنَّها مفعول تصب وأفقا ظرف ، ومن بارق تفسير لمهما أو متعلق بتصب ، فمعناها التبويض . والمعنى أى شئ تُصب في أفق من البوارق تشم . وقال بعضهم : مهما ظرف زمان ، والمعنى أى وقت تصب بارقا من أفق . فقلب الكلام . أو في أفق بارقا فزاد من واستعمل أفقا ظرفا . ١٥ .

ثم ذكر أنَّها لاتأني ظرفا ، خلافا لابن مالك .

وإلى الظرفية ذهب صاحب اللباب ، قال : وقد تستعمل مهما للظرف ، نحو :

* مهما تصب أفقا من بارق تشم *

قال شارحه : أى مهما تصب بارقا في جهة في أفق^(١) وناحية من الجهات تشم الناقة ذلك البارق . من شمت البرق ، أى نظرت إلى سحابه أين يطر . والبارق : السحاب ذو البرق . ومهما في البيت ظرف ، لأنَّ الفعل بعده تسلط على مفعوله فلا يتسلط عليه تسلط المفعول به ، لأنه لايتعدى إلا إلى واحد ، فهو ظرف ، أى في أى جهة تصب . ١٥ .

وقال أبو حيان (في تذكرته) : قال الفارسي : هذا على القلب ، والمعنى : مهما تصب بارقا من أفق . فإن جعلت أفقا ظرفا كانت من

(١) ش : « بارقا في أفق في جهة » .

زائدة لأنها غير واجبة ، فهي مثل إن تصب عندى من درهم . فلا قلب .
وأجاز أن تكون من غير زائدة ، ومن بارق فى موضع نصب بتشيم .
ومفعول تصب محذوف ، وهو ضمير منصوب يعود على أفق أو على
بارق . قلت : الذى ذكره الفارسى من إعمال الفعلين والمعمول متوسط
غريب ، قلماً يذكره النحويون . وقد ذكرنا فى باب كونه تقدم على
الفعلين ، نحو أى رجل ضربت أو شتمت ويجب أن يكون الأول أولى
بالعمل بلاخلاف ، كما كان ذلك فى قولك أى رجل ضربت أو شتمت ،
لأنه فى هذه المسألة أقرب . وفى مسألة أبى على وإن لم يكن أقرب الفعلين
فليس بأبعد الفعلين ؛ لأن النسبة فى التلاصق واحدة ، إلا أن عمل
الفعل مقدماً أولى من عمله مؤخراً بلا خلاف . ابن يسعون : يجوز أن
يقدر إنارة أفق فلا قلب . ويحتمل أن يكون مهما مفعولاً بتصب .
أى أى شئ تجد فى أفق من البرق تشم . وفى رواية الجمحى :

٤٥٥

* مهما يُصب بارقُ آفاقها تشم *

وهذا سهل^(١) الإعراب ؛ ومهما ظرفُ العامل فيه يُصب ، ولا يحتاج فيه
إلى ضمير . والظرف فى مهما قليل ، ويتصور أن يكون بمعنى إن على
ما ذكروا ، إلا أن هذا أولى . انتهى ما أورده أبو حيان .

وقوله : « حتى شأها » إلخ ضمير المؤنث للصوار ، وهى البقر ،
لا للحمير الوحشية ، خلافاً لأبى حنيفة ، ولا للإبل خلافاً للشارح
وغيره ، ولا للناقة خلافاً للشارح اللباب . قال أبو حنيفة : شأها : شاقها
بالشين المعجمة . قال : قدم همزة شاء ، يقال شاءنى يشوئنى ويشيشنى
أيضاً ، أى شاقنى . قال الشاعر^(٢) :

(١) فى النسختين : « سهل » ، تحريف .

(٢) هو الحارث بن خالد المخزومى ، كفا فى اللسان (شأى ١٤٥) .

مَرَّ الحُمُولُ فما شَأُونُكَ نَقْرَةً ولقد أَرَاكَ تُشَاءُ بالأَظْعَانِ
أَيُّ تُشَاقٍ ، فَجَاءَ باللغتين . والكيليل : البرق الضعيف ، وقد يستحبُّ
أَن يكون قليلاً . والعَمِيلُ : الدَّائِبُ^(١) لا يفتِر . والطَّرَابُ : التي قد استخفَّها
الفرح . والمَوَهْنُ : بعد ساعةٍ من نصف الليل ، وضمير بات للبرق
الكيليل .

وقوله : « كَأَنَّمَا يَتَجَلَّى » إلخ ، أَي البرق الكليل . والغوارب : أَعَالَى
السَّحَابِ . والضَّرَمُ : مَادَقٌ مِنَ الحطب ، فالنار تُسرع فيه .

وقوله : « حَيْرَانُ يَرْكَبُ أَعْلَاهُ » إلخ ، قال السكري : يعنى هذا
السحابُ لا يَمْضِي على جَهْتِهِ قد حار ، فهو يتردَّد . وقوله : « يَخْفَى ترابُ
الأَرْضِ »^(٢) أَي يُظْهِرُهُ^(٣) ، مِنْ خَفَاهُ : أَظْهَرَهُ ، يعنى المطر يُظْهِرُ التراب .
وَجَدِيدُ الأَرْضِ ، بالجيم : أَرْضٌ صَلْبَةٌ لَمْ تُحْفَر . وقوله « منهزم » يقول :
هذا السحاب قد انخرق بالماء ، يقال انشَقَّ سحاب الماء . هذا مثلٌ .
ويقال للدابة : انشَقَّ سِقَاؤُهُ بالعَدُو . اهـ .

وقال أبو حنيفة : قوله حيران ، أَي لاجهة له فهو ما كَثُرَ . وخفاه :
أَظْهَرَهُ . يعنى أَنَّ سَيْلَهُ يَشُقُّ الأَرْضَ فيُظْهِرُ باطنها . ومنهزم : منشَقٌّ
بالماء .

وقوله : « فَاسَّادَتْ دَلَجًا » إلخ ، قال أبو حنيفة : الإسَّادُ سير الليل
كلُّه . وكذلك الدَّلَجُ . وتُحْيِي لموقعه يريد تُحْيِي الليلَ لموقع هذا الغيث ،
تسير إليه . لم تنتشب : لم تتَحَبَّس ، أَي لم يعقها وعوْثُ الأَرْضِ .

(١) ط : « الدائم » بالميم .

(٢) كذا في النسخين . والذي في النص : « تراب جديد الأرض » .

(٣) ط : « يظهر » ، وأثبت ما في ش .

وقال السكرى : قوله تُحْيِي لموقعه ، يعنى هذه البقرة تحيى ليلتها
جمعاء لموقع ذلك السحاب لتبلّغهُ . والوَعْثُ : اللين ؛ وهو يحبس .

وقوله : « حَتَّى إِذَا مَا تَجَلَّى لَيْلُهَا » إلخ : قال السكرى : يعنى بحليف
الغرب رُمحاً حديدَ السَّنان . وغرب كلُّ شَيْءٍ : حُدّه . وملتئم : يشبه
بعضه بعضاً لا يكون كعب منه رقيقاً^(١) والآخر غليظاً . وقيل يعنى
بحليف الغرب فرسه ، والغرب : النشاط .

وقوله : « فافتنَّها » يريد انشَقَّ بها فى ناحية ، من فتن^(٢) ، بالفاء
والمثناة فوق والنون . وقيل افتنَّها : طرحها . ويأفُّرها : يسوقها من
الآفر بالفاء والراء المهملة ، وهو عدوٌّ فيه قَفْز . وقوله : وأصحرت ، أى
صارت فى صَحَار^(٣) ، وقوله : « فى قفاف » القُفْ بالضم : ما غلُظ من
الأرض وارتفع ولم يبلغ أن يكون جبلاً . والمعتصم بفتح الصاد : الملجأ .

وقوله : « أنحى عليها » إلخ ، أى أهوى إليها الفارس بالرمح . والشراعى
بضم الشين المعجمة : الرمح الطويل . وغادرها : تركها وخلفها . وتلَّى :
صرعى . ولدى المراحف : جمع مَرَحَف ، أى حيث زاحفها فيه ، أى
قاتلها . والنضخ : ما أصابك [من^(٤)] الشئ على غير عمد ، يقال
أصابه نضخٌ من الدَّم والزعفران والبُول ما لم تتعمّد به ، فإذا أنت
تعمّدت قلت : نضخته بالماء ، بالحاء المهملة . يقال نضح ينضح إذا مارشح .

٤٦٢

(١) ش : « دقيقاً » .

(٢) فى النسختين : « فتن » بالناء ، انسياقاً وراء الضبط التالى ، والصواب أن الضبط التالى
إنما هو ضبط لافتنها . وأن « فتن » إنما هو بيان للمادة اللغوية .(٣) ش : « فى صحارى » . يقال فى جمع الصحراء الصحارى والصحارى ، بكسر الراء
وفتحها .

(٤) التكلة من ش .

وترجمة ساعدة بن جؤية الهذلي قد تقدمت في الشاهد التاسع والستين
بعد المائة^(١).

* * *

وأُشَدُّ بعده، وهو الشاهد الخامس بعد الستائة ، وهو من شواهد
سيبويه^(٢) :

٦٠٥ (حَذِرْ أُمُورًا لَا تُخَافُ وَآمَنْ مَالِيسَ مُنْجِيَهُ مِنَ الْأَقْدَارِ)
على أَنَّ سيبويه استدلَّ به على عمل فَعِلَ بهذا البيت ، ومنعه غيره
وقال : إِنَّ البيت مصنوع . يُروى عن اللاحقَى أَنَّ سيبويه سألني عن شاهدٍ
في تعدَّى فَعِلٍ ، فعملتُ له هذا البيت .

أَقُولُ : إِنَّ طُعِنَ على سيبويه بهذا البيت فقد استشهدَ ببيتٍ آخر لا مطعنَ
عليه فيه ، وهو قولُ لبيد الصَّحَابِي :

أَوْ مِسْحَلُ شَنِجٍ عِضَادَةٌ سَمَحِجٍ بِسَرَاتِهِ نَدَبٌ لَهَا وَكُلُومٌ
وقال الأعلم ، وتبعه ابن السِّيد (في شرح أبيات الجمل) : قد
وجدنا في شعر زيد الخيل الطائي الصحابي بيتاً آخر لا مطعنَ فيه ، وهو :
أَلَمْ أُخْبِرْكُمْ مَا خَبَرًا أَتَانِي أَبُو الْكَسَّاحِ جَدًّا بِهِ الْوَعِيدُ^(٣)
أَتَانِي أَنَّهُمْ مَرْقُونٌ عِرْضِي جِحَاشُ الْكَرْمَلَيْنِ لَهَا فَدِيدُ

أَمَّا البيت الأوَّل فقد قال ابن خلف : الشاهد فيه أَنَّهُ نصبٌ عِضَادَةٌ
بشَنِجٍ نصبَ المفعول به ، لَأَنَّهُ تكثيرُ شانِجٍ ، و Shanj في معنى ملازم ،

(١) الخزانة : ٣ : ٨٦ - ٨٧ .

(٢) في كتابه ١ : ٥٨ . وانظر المقتضب ٢ : ١١٦ والجمل ١٥٥ وابن الشجري

٢ : ٥٤٣ وابن يعيش ٦ : ٧١ والعيني ٣ : ١٠٧ والأشعري ٢ : ٢٩٨ .

(٣) انظر التعليق التالي .

وفعله شَنِجَتْهُ كَلِمَتُهُ ، على ما حكاه البصريون . وذلك غير مشهور . قال أبو نصر هارون بن موسى : وردَّ عليه هذا القول بعضُ النحويِّين وزعم أنَّ عَضَادَةَ ظَرْفٍ . وهذا من الذين يتهاونون بالخَلْفَ إذا عرفوا الإعراب ، وهو إذا جعله ظرفاً كان المعنى فاسداً ، وذلك أنَّ الشاعر شبه ناقته في نشاطها وصلابتها بحمارٍ وحشيٍّ ملازمٍ لِأَتَانٍ يضربُها ، فلشدته وصلابته قد لازمها ، وقبض الناحية التي بينها وبينه ، ولم يحجزه عن ذلك رَمَحُها وعَضُها اللذان بسرَّاته منها ندبٌ وكلوم . ولو كان ظرفاً لكان المعنى أنَّ المسحل شَنِجٌ متقبِّضٌ في ناحية السَّمْحَجِ مَهِينٌ ، قد شعفه عَضُها ورَمَحُها ، فكيف يشبه أحدُ ناقته بمسحل هذه صفته .

والذي يحتجُّ لسيبويه أيضاً أنَّ العَضَادَةَ ليست من الظُّروف ، لأنَّه يريد بالعَضَادَةَ جنبَها وأعضادها . ألا ترى أنَّه لا يجوز أن يقول هو شَنِجٌ رَجُلٍ سَمْحَجٍ ولا يدِ سَمْحَجٍ . ومسحل معطوف على « مُسَدَّمٌ » قبله ، وهو :

حَرَفٌ أَضَرَّ بِهَا السَّفَارُ كَأَنَّهَا بَعْدَ الْكَلَالِ مُسَدَّمٌ مَحْجُومٌ

وصفَ لبيد ناقته . والحرف : الضَّامِرُ . وأَضَرَّ بِهَا السَّفَارُ : أنضأها وهزلها . والكَالَالُ : التعب . والمُسَدَّمُ : الفَحْلُ من الإبل الذي قد حُبِسَ عن الضَّرَابِ . والمَحْجُومُ : المشدود الفم . والمسحل : حمار الوحش . والسَّمْحَجُ : الأَتَان الطَّوِيلَةُ . وسرَّاتُها : أعلاها . والنَّدَبُ : الأثر . والكلوم : الجراحات . يريد أنَّ هذه الأَتَان بها آثارٌ من عَضِّ الحمار ، كأنها جراحات . وعَضَادَةُ : جنب . والشَنِجُ : المتقبِّضُ في الأصل ، ويراد به في البيت الملازم ، كأنَّه قال : أو مسحل ملازمٌ جنبَ أَتَانٍ لا يفارقها . يقول : كأنَّ هذه الناقة بعد ما كلَّتْ بغيرٍ مُسَدَّمٍ ، أو مسحلٌ موصوفٌ بما ذكر .

وأما البيت الثاني فمزقون : جمع مَزَق مبالغة مازق ، من المَزَق وهو شقُّ الشيء . وعرض الرجل ، بالكسر : جانبه الذي يَصُونُه ، من نفسه وحَسَبِه . وجحاش ، أى هم جحاش ، فهو تشبيهه بليغ كما حقّقه السعد ، لا استعارة كما زعمه العينى . وهو جمع جَحَش ، وهو ولد الحمار . والكَرْمَلَيْنِ ، بكسر الكاف وفتح اللام^(١) : اسم ماءٍ في جبل طَيْيٍّ . والفديدُ : الصوت ، يريد أَنَّهُمْ عنْدِي بمنزلة الجحاش التى تنهق عند ذلك الماء ، فلا أعبأ بهم . وتخصيص الجحاش مبالغة في التحقير .

والبيت استشهد به شراح الألفية .

وأما ما روى عن اللاحق فى البيت الأوّل فقد حكاه المازنى قال : أخبرنى أبو يحيى اللاحق قال : سألتى سيبويه عن فَعِلٍ يتعدّى ، فوضعت له هذا البيت . وإذا حكى أبو يحيى مثلاً هذا عن نفسه ورضى بآن يخبر أَنَّهُ قليلُ الأمانة ، وَأَنَّهُ اثْتَمَنَ على الرواية الصحيحة فخان ، لم يكن مثله يُقبلُ قوله ويُعترض به على ما قد أثبتته سيبويه . وهذا الرجلُ أَحَبُّ أن يتجملُ بآن سيبويه سألَه عن شَيْءٍ فخبّر عن نفسه بآنَه فعل ما يبطل الجمال . ومن كانت هذه صفته بُعدَ فى النفوس أن يسألَه سيبويه عن شَيْءٍ . وقال أبو نصر هارون بن موسى : وهذا^(٢) ضعيفٌ فى التأويل ، وكيف يصلح أن ينسب اللاحقُ إلى نفسه ما يضعُ منه ولا يحِلُّ ، أو كيف يعجز هذا على سيبويه ، وهو المشهور فى دينه وعلمه وعقله وأخذه عن

(١) وكذا ضبط ياقوت « الكرمل » بالكسر ثم السكون وكسر الميم . وقال فى مادة (الكرملين) : « اسم ماء فى جبل طيى » ، فى قول زيد الخيل ، وثناه ثم أفرد فى شعر واحد :
ألم أخبر كما خبراً أتانى أبو الكساح يرسل بالوعيد
أتانى أَنهم مزقون عسرى جحاش الكرملين لها فديد
فسيرى يا عدى ولا تراعى فحل بسين كرمل فالوحيد .
(٢) ط : « هذا » بغير واو .

الثقات الذين لا اختلاف في علمهم وصحة نقلهم . وإنما أراد اللأحق بقوله : « فوضعت له هذا البيت » : فرويته . والحذر : مبالغة حاذر ، من الحذر وهو التحرز . وجملة « لا تخاف » بالبناء للمفعول صفة قوله أموراً . وروى بدله « لا تضير » بمعنى لا تضر ، يقال ضاره يضيره ، وضره يضره بمعنى واحد ، كما يقال ذامه يذمه وذمه يذمه بمعنى .

قال ابن السيد (في شرح أبيات الجمل) : معنى البيت يحتمل أمرين :

أحدهما : أنه يصف إنساناً بالجهل وقلة المعرفة ، وأنه يضع الأمور في غير موضعها ، فيأمن من لا ينبغي أن يؤمن ، ويحذر من لا ينبغي أن يحذر .

والوجه الثاني ، وهو الأشبه عندي : أن يكون أراد أن الإنسان جاهل بعواقب الأمور ، يدبر فيخونه القياس والتدبير . ونحوه قول أبي العتاهية :

وقد يهلك الإنسان من باب أمنه وينجو بإذن الله من حيث يحذر وزعم قوم أن البيت لابن المقفع لا للأحق . انتهى .

وقال ابن هشام اللخمي : الظاهر من البيت أنه ذم . ويحتمل أن يكون مدحاً ، يمدحه بكثرة الحذر ، فيخرج هذا المعنى إنني^(١) لأعد للأمر عسى أن لا يكون أبداً . وحذر وآمن بمعنى الاستقبال ، لأن الحذر والأمن إنما يكونان فيما يأتي ، وأما ما مضى فقد علم . والهاء في

« منجيه » عائدة على الضمير الذى فى لىس . ومنجيه بمعنى المضارع لا الماضى ، والدليل عليه وقوعه خبر لىس ، والنفى إنّما يقع على الأخبار ، ولىس إنّما تنفى المضارع . انتهى كلامه .

وقال العيى : إنّ منجيه اسم فاعل مضاف إلى الهاء ، والهاء فى موضع ٤٥٨ نصب لأنّ اسم الفاعل إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال وأضيف كانت إضافته غير محضة ، وكانت النية بها الانفصال . هذا كلامه .

واللاحق هو أبان بن عبد الحميد اللاحق . هو من شعراء هارون أبان اللاحق الرشيد . وهو شاعر مطبوع بصري ، لكنّه مطعون فى دينه .

قال صاحب الأغاني : هو أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عُفَيْر^(١) مولى رقاش . قال أبو عبيدة : بنو رقاش ثلاثة نفر ينسبون إلى أمهم ، وهم مالك ، وزيد مناة ، وعامر ، بنو شيان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة ابن صعب بن على بن بكر بن وائل .

أخبرنى الصولى قال : حدّثنى محمد بن سعيد قال : حدّثنا يحيى ابن إسماعيل^(٢) قال : جلس أبان بن عبد الحميد ليلة فى قوم فثلبّ أبا عبيدة فقال : يقدح فى الأنساب ولا نسب له ! فبلغ ذلك أبا عبيدة فقال : لقد أغفل السُّلطان كلَّ شئ ، حتى أغفل^(٣) أخذ الجزية من أبان اللاحق ؛ هو وأهله يهود ، وهذه منازلهم فيها أسفار التوراة ولىس

(١) فى الأغاني ٢٠ : ٧٣ : « بن عفر » .

(٢) فى الأغاني ٢٠ : ٧٨ : « عن عيسى بن إسماعيل » .

(٣) فى الأغاني : « حين أغفل » .

فيها مصحف ، وأوضح الأدلة على تهوؤهم^(١) أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَدَّعِي حِفْظ التَّوْرَةِ وَلَا يَحْفَظُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا يَصِلُ بِهِ . فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَانًا فَقَالَ :

لَا تُنَمِّنَنَّ عَنْ صَدِيقِي حَدِيثًا وَاسْتَعِذْ مِنْ تَشْرِيرِ النَّمَامِ^(٢)

وَاخْفِضِي الصَّوْتَ إِنْ نَطَقْتَ بِلَيْلٍ

والتفت بالنهار قبل الكلام.

وكان المعدل بن غيلان صديقاً لأبان ، وكانا مع صداقتهما يتعابثان^(٣) بالهجاء ، ويهجوهُ المعدل بالكفر وينسبه إلى الثنوية ، ويهجوهُ أبانُ بالفُسَاءُ الذي يُهَجِّي بِهِ عَبْدُ الْقَيْسِ ، وَالْقِصْرُ ، وَكَانَ الْمَعْدَلُ قَصِيراً . وَمِنْ هَجْوِهِ :

رَأَيْتُ أَبَانًا يَوْمَ فَطْرِ مَصْلِيًّا فَقَسَمَ فِكْرِي وَاسْتَفَزَّنِي الطَّرْبُ
وَكَيْفَ يَصِلُ مَظْلَمُ الْقَلْبِ دِينُهُ عَلَى دِينِ مَانِي ، إِنَّ هَذَا مِنَ الْعَجَبِ
وَهَجَاهُ أَبُو نُوَّاسٍ بِقَوْلِهِ :

جَالَسْتُ يَوْمًا أَبَانًا لَا دَرَّ دَرُّ أَبَانٍ
حَتَّى إِذَا مَا صَلَاةُ الْـ أَوَّلَى دَنْتُ لَأَوَانٍ^(٤)
فَقَامَ ثُمَّ بِهَا ذُو فَصَاحَةٍ وَبَيَانٍ
فَكُلُّ مَا قَالَ قَلْنَا إِلَى انْقِضَاءِ الْأَذَانِ
فَقَالَ كَيْفَ شَهِدْتُمْ بَذَا بَغِيرِ عِيَانٍ

(١) في الأغاني : « وأوضح الدلالة على يهوديتهم » .

(٢) كذا في النسختين . وفي الأغاني : « تسرر » .

(٣) ط : « يتعاقبان » ، ش : « يتعاقبان » . والأخيرة محرفة ، وأثبت ما في الأغاني .

(٤) في النسختين : « لأذان » ، صوابه في الأغاني والحيوان ٤ : ٤٤٩ .

لا أَشْهَدُ الدَّهْرَ حَتَّى تُعَايِنَ العَيْنَانِ
فَقُلْتُ : سُبْحَانَ رَبِّي فَقَالَ : سُبْحَانَ مَا نِي

وَأَخْبِرْنِي الصُّوْلَى قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْعَيْنَاءِ قَالَ : حَدَّثَنِي الْحِرْمَازِيُّ
قَالَ : خَرَجَ أَبَانُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْلاحِقُ مِنَ الْبَصْرَةِ طَالِباً لِلاتِّصَالِ
بِالْبَرَامِكَةِ ، وَكَانَ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى غَائِباً ، فَأَقَامَ بِبَابِهِ لَمَّا قَصَدَهُ
مُدِيدَةً لَا يَصِلُ إِلَيْهِ ، فَتَوَسَّلَ بِنِ أَوْصَلْ لَهُ شِعْراً إِلَيْهِ ، وَقِيلَ إِنَّهُ تَوَسَّلَ
إِلَى بَعْضِ بَنِي هَاشِمٍ مِمَّنْ شَخَّصَ مَعَ الْفَضْلِ ، فَقَالَ لَهُ :

يَا غَزِيرَ النَّدَى وَيَا جَوْهَرَ الْجَوِّ هَرِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ بِالْبَطَاحِ
إِنَّ ظَنِّي وَلَيْسَ يُخْلِفُ ظَنِّي بَانَ فِي حَاجَتِي سَبِيلُ النِّجَاحِ (١)
إِنَّ مِنْ دُونِهَا لِمَصْمَتَ بَابٍ أَنْتَ مِنْ دُونِ قُفْلِهِ مِفْتَاحِي
تَأَقَّتْ النَّفْسُ يَا جَلِيلَ السَّمَاحِ نَحْوَ بَحْرِ النَّدَى مُجَارِي الرِّيَّاحِ (٢)
ثُمَّ فَكَّرْتُ كَيْفَ لِي وَاسْتَحَرْتُ الـ لَهُ عِنْدَ الْإِمَاءِ وَالْإِصْبَاحِ
فَامْتَدَحْتُ الْأَمِيرَ أَصْلَحَهُ اللـ هُ بِشِعْرِ مَشْهُرِ الْأَوْضَاحِ

٤٥٩

فَقَالَ لَهُ : هَاتِ مَدِيحَكَ . فَأَعْطَاهُ شِعْراً فِي الْفَضْلِ فِي هَذَا الْوِزْنِ

وَقَافِيَتُهُ :

أَنَا مِنْ بُغْيَةِ الْأَمِيرِ ، وَكَنْزُ مِنْ كَنْزِ الْأَمِيرِ ذُو أَرْبَاحِ
كَاتِبُ حَاسِبٍ خَطِيبُ أَدِيبٍ نَاصِحُ زَائِدٍ عَلِي النَّصَّاحِ
شَاعِرٌ مُفْلِقٌ أَخْفُ مِنَ السَّرِي شَعْرٌ فِيمَا يَكُونُ تَحْتَ الْجَنَاحِ (٣)

(١) ط : « أَنْ » ، وَأَثْبَتَ مَا فِي ش . وَفِي الْأَغَانِي : « بَكَ » .

(٢) فِي الْأَغَانِي : « يَا خَلِيلَ السَّمَاحِ » .

(٣) فِي الْأَغَانِي ٢٠ : ٧٥ : « عِنْدَ الْجَنَاحِ » .

وهي طفولة ، ومنها :

إِنْ دَعَانِي الْأَمِيرُ عَايِنَ مَنِي شَمَرِيًّا كَالْبُلْبُلِ الصِّيَّاحِ
قال : فدعا به ووصله ، ثم خُصَّ بالفضل وقَدِمَ معه ، فقرب من
قلب يحيى بن خالد ، وكان صاحب الجماعة وذا أمرهم .
أخبرني حبيب بن نصر المهلبى قال : حدثنا على بن محمد النوفلى ،
أَنَّ أَبَانَ بن عبد الحميد عاتبَ البرامكة على تَرْكِهِمْ إِيصَالَهُ إِلَى الرَّشِيدِ
وإِيصَالِ مدحه إليه ، فقالوا له : وما تريد بذلك ؟ فقال : أريد أَنَّ أَحْظَى
منه بمثل ما حَظَى به مروان بن أَبِي حَفْصَةَ . فقالوا له : إِنَّ لِمَرْوَانَ مَذْهَبًا
فِي هِجَاءِ آلِ أَبِي طَالِبٍ بِهِ يَحْظَى ، وَعَلَيْهِ يُعْطَى ، فَاسْلُكْهُ حَتَّى نَفْعَلَ !
قال : لَا أَسْتَحِلُّ ذَلِكَ . قالوا : لَا تَجِءْ أُمُورُ الدُّنْيَا ^(١) إِلَّا بِفِعْلٍ مَا لَا يَحِلُّ .
فقال أَبَانُ :

نَشَدْتُ بِحَقِّ اللَّهِ مَنْ كَانَ مُسْلِمًا أَعْمُ بِمَا قَدْ قَلَتْهُ الْعُجَمُ وَالْعَرَبُ
أَعْمُ رَسُولِ اللَّهِ أَقْرَبُ زُلْفَةً لَدَيْهِ ، أَمْ ابْنُ الْعَمِّ فِي رُتْبَةِ النَّسَبِ
وَأَيُّهُمَا أَوْلَى بِهِ وَبِعَهْدِهِ وَمَنْ ذَا لَهُ حَقُّ التُّرَاثِ بِمَا وَجَبَ
فَإِنْ كَانَ عَبَّاسٌ أَحَقُّ بِتِلْكَكُمْ وَكَانَ عَلَى بَعْدِ ذَاكَ عَلَى سَبَبِ
فَأَبْنَاءُ عَبَّاسٍ هُمْ يَرِثُونَهُ
كما العمُّ لابن العمِّ في الإرث قد حَجَبَ

وهي طفولة قد تركت ذكرها لما فيه [من] تنقيص ^(٢) . فقال
الفضل : ما يَرِدُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ شَيْءٌ أَعْجَبُ إِلَيْهِ مِنْ أَبْيَانِكَ . فركب
فَأَنشَدَهَا الرَّشِيدَ ، فَأَمَرَ لِأَبَانَ بِعَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، ثُمَّ اتَّصَلَتْ بَعْدَ ذَلِكَ
خِدْمَتُهُ لِلرَّشِيدِ وَخُصَّ بِهِ . انتهى مانقلته من الأغاني .

(١) في الأغاني : « قالوا : لا يجيء طلب الدنيا » .

(٢) في الأغاني : « لما فيه » فقط . وقد زدت كلمة « من » ليستقيم الكلام .

وأما ابن المقفّع فاسمه عبد الله ، وهو كاتبٌ بليغٌ لكنّه زنديق . عبد الله بن المقفّع
قال السيد المرتضى قُدّس سرّه (في أُماليه) : قال جعفر بن سليمان :
روى عن المهديّ أنّه قال : ما وجدت كتابَ زندقَةٍ قطُّ إلاّ أصلُه ابنُ
المقفّع .

وروى ابن شُبّة قال : حدثني من سمع ابنَ المقفّع وقد مرَّ ببَيْتِ
نارِ المجوس بعد أن أسلم ، فلمَحّه وتمثّل :

يَابَيْتَ عَاتِكَةَ الَّذِي أَنْعَزَلُ حَذَرَ الْعِدَى وَبِهِ الْفَوَاضِلُ
إِنِّي لَأَمْتَحِكَ الصُّدُودَ وَإِنِّي قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصُّدُودِ لَأَمْتِلُ

وكان الخليل بن أحمد يحبُّ أن يرى عبد الله بن المقفّع ، وكان
ابن المقفّع يحبُّ^(١) ذلك ، فجمعهما عبّاد بن عبّاد المهلبى ، فتحدثا ثلاثة
أيام ولياليهنّ ، ف قيل لل خليل : كيف رأيت عبد الله ؟ قال : ما رأيتُ
مثله ، وعلمته أكثرُ من عقله . وقيل لابن المقفّع : كيف رأيت الخليل ؟
قال : ما رأيتُ مثله ، وعقله أكثر من علمه . قال المغيرة : صدّقاً^(٢) ،
أدّى عقلُ الخليل إلى أن مات وهو أزهدُ الناس^(٣) ، وجهلُ ابن المقفّع
أدّاه إلى أن كتب أماناً عن المنصور لعبد الله بن عليّ فقال فيه : « ومتى
غدر أميرُ المؤمنين بعمّه عبد الله فنساؤه طوالقُ ، ودوابّه حبّس ، وعبيده
أحرار ، والمسلمون في حلٍّ من بيعته » . فاشتدَّ على المنصور جدّاً ، وخاصّة
أمر البيعة^(٤) ، وكتب إلى سفيان بن معاوية المهلبى ، وهو أمير البصرة مِنْ
قَبَلِه ، بقتله ، فقَتَلَه .

(١) وكذا في أُمالي المرتضى ١ : ١٣٦ . وفي ش : « يجب أن يرى ذلك » .

(٢) في أُمالي المرتضى : « فصدقا » .

(٣) في الأُمالي : « إلى أن مات أزهدُ الناس » .

(٤) في النسختين : « وخاصّ أمر البيعة » ، صوابه من المرتضى .

وكان ابن المقفع مع قلة دينه جيّد الكلام فصيح العبارة له حكمٌ وأمثال .

ثم أورد السيد المرتضى نثفاً من حكمه وأمثاله .

قال الصغاني (في العباب) : عبد الله بن المقفع كان فصيحاً بليغاً ، وكان اسمه رَوْزبة ، وكان قبل إسلامه يكتنى بأبي عمر ، فلما أسلم تسمى بعبد الله وتكنى بأبي محمد . والمقفع اسمه المبارك ، ولُقّب بالمقفع لأنّ الحجاج بن يوسف ضربه ضرباً فتقّعت يده . ورجل مقفعّ اليدين أي متشنّجهما . انتهى .

وقيل هو المقفع بكسر الفاء لعمله القفّعة ، بفتح القاف وسكون الفاء . والقفعة : شيءٌ شبيهٌ بالزنبيل^(١) بلا عروة ، وتعمل من خوص ، ليست بالكبيرة . وقال الليث : القفعة تُتخذ من خوص ، مستديرة ، يجتنى فيها الرطب ونحوه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد السّمانّة^(٢) :
 ٦٠٦ (أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُوَرِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعُ)
 على أنّ فعيلا قد جاء لمبالغة مُفعِلٍ على رأيٍ .

وهو رأي الجمهور ، منهم ابن الأعرابي (في نوادره) أنشد لُنُغْبَةِ الغَنَوَى :

(١) في القاموس : « والزبيل كأمير وسكين وقنديل ، وقد يفتح : القفة أو الجراب ، أو الوعاء » . ش : « بالزبيل » .

(٢) الكامل ١٤٤ ليبسك والشعراء ٣٣٢ ، ٣٣٤ والأغاني ١٤ : ٣١ وابن الشجري ١ : ٦٤ / ٢ : ١٠٦ وابن يميث ١ : ٧٣ والأصمعيات ١٧٢ .

إِنِّي تَوَدُّكُمْ نَفْسِي وَأَمْنَحُكُمْ حُبِّي، وَرُبَّ حَبِيبٍ غَيْرُ مُحِبِّوبٍ
حَبِيبٌ فِي مَعْنَى مُحِبٍّ، مِثْلُ أَلِيمٍ فِي مَعْنَى مُؤْلِمٍ، وَسَمِيعٌ فِي مَعْنَى
مَسْمُوعٍ. وَأَنْشُدْ هَذَا الْبَيْتَ.

وَمِنْهُمْ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ، قَالَ (فِي الْكَامِلِ) : قِيلَ خَصِيبٌ وَأَنْتَ
تَرِيدُ مَخْصَبٌ، وَجَدِيدٌ وَأَنْتَ تَرِيدُ مُجْدَبٌ^(١)، كَقَوْلِكَ : عَذَابُ أَلِيمٍ
وَأَنْتَ تَرِيدُ مُؤْلِمٍ. وَيُقَالُ رَجُلٌ سَمِيعٌ أَيْ مُسْمِعٌ، قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرَبٍ :
* أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ * . . . الْبَيْتَ

وَمِنْهُمْ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ قَالَ (فِي تَفْسِيرِهِ) مِنْ الْبَقْرَةِ، عِنْدَ قَوْلِهِ
تَعَالَى : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^(٢) مَعْنَى أَلِيمٌ مُوَجِّعٌ يَصِلُ وَجَعُهُ إِلَى قُلُوبِهِمْ. وَتَأْوِيلُ
أَلِيمٍ فِي اللَّغَةِ مُؤْلِمٌ. قَالَ الشَّاعِرُ. وَأَنْشُدْ هَذَا الْبَيْتَ.

وَمِنْهُمْ الْبَيْضَاوِيُّ، فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٣)
قَالَ : أَيْ مُبْدِعُهُمَا. وَنَظِيرُهُ السَّمِيعُ فِي قَوْلِهِ :
* أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ *

وَيُقَابِلُ قَوْلَ الْجُمْهُورِ قَوْلُ صَاحِبِ (الْكَشَافِ) عِنْدَ قَوْلِهِ : ﴿ بَدِيعُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ : هُوَ مِنْ إِضَافَةِ الصِّفَةِ الْمَشْبَهَةِ إِلَى فَاعِلِهَا، أَيْ بَدِيعُ
سَمَوَاتِهِ وَأَرْضِهِ. وَقِيلَ الْبَدِيعُ بِمَعْنَى الْمُبْدِعِ، كَمَا أَنَّ السَّمِيعَ فِي قَوْلِ
عَمْرُو :

* أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ *

(١) وَكَذَا فِي الْكَامِلِ. وَخَالَفَتْ شَ هُنَا فُورْدُ فِيهَا « مُجْدَبًا » بِالنَّصْبِ.

(٢) فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْكِتَابِ أَوَّلُهَا الْآيَةُ ١٠ مِنْ سُورَةِ الْبَقْرَةِ.

(٣) مِنَ الْآيَةِ ١١٧ مِنَ الْبَقْرَةِ وَ ١٠١ مِنَ الْأَنْعَامِ.

بمعنى المسمع . وفيه نظر . انتهى .

قال السعد (في حاشيته) : اعتُرض المصنّف بأنّه لم يثبت فاعل بمعنى مفعول ، ولا استشهد في البيت ، لأنّ داعي الشوق لمّا دعا القائل صار سميعاً لدعوته فتسبّب لكونه سميعاً ، فأوقع على الداعي اسم السميع لكونه سبباً فيه . على أنّ الشاذّ لا يصحّ القياس عليه إن ثبت . انتهى . ٤٦١

وقال السّفاقيّ في إعرابه بعد ما نقل كلام السّعد : قال ابن عطية : بديع مصروف من مُبدع ، كبصير من مبصر ، ومثله سميع بمعنى مسمع في البيت . وعلى هذا يكون من إضافة اسم الفاعل لمفعوله . إلّا أنّ الزمخشري ذكر هذا الوجه وقال : إنّ فيه نظراً . ولم يبيّنه ، فلعلّه يريد أنّ فاعلاً بمعنى مفعول لا ينقاس ، مع أنّ بيت عمرو محتملٌ للتأويل . انتهى .

وما تأوّل السّعد يدفعه البيت الذي بعده ، وهو :

(يُنادي من براقش أو معين فأسمع واتلّاب بنا مليع)

فإنّ^(١) فاعل ينادي وأسمع وهو فعل ماضٍ : ضمير الداعي ، فيكون الداعي مُسمِعاً لا سامعاً .

وبراقش ومعين ؛ بفتح أولهما : بلدتان كانتا متقابلتين باليمن . كذا (في معجم ما استعجم) .

واتلّاب بمعنى استقام . والمليع ، بفتح الميم : الأرض الواسعة .

(١) ش : « قال » ، صوابه في ط .

صاحب الشاهد والبیتان أولاً قصیده لعمر بن معدیکرب الزُّبیدی الصَّحابی . قال جامعُ دیوانه أبو عبدِ الله بنُ الأعرابی : قالها عمرو فی أُخته ، ریحانة بنتِ معدیکرب ، وهی أمُّ درید بن الصُّمَّة ، وكان الصُّمَّة غزا بَنی زُبید فسباها ، فغزا عمرو مراراً فلم یقدر علیها .

وقوله : (أمن ریحانة) إلخ ، الهزرة للاستفهام ، ومن للتعلیل متعلق بقوله یؤرقنی . وریحانة : اسم أُختِ عمرو . والداعی : مبتدأ بتقدير موصوف ، والتقدير : الشوق^(١) الداعی . و (السَّمیع) صفة الداعی وجملة (یؤرقنی) خبر المبتدأ ، وجملة (وأصحابی هجوع) حالٌ من الیاء . وهُجوع : جمع هاجع ، أى نائم ، كقعود جمع قاعد .

ولصاحب الأغانی فی ریحانة روايتان :

إحداهما أنها أُخته . قال : إنَّ هذه القصيدة قالها عمرو فی أُخته ریحانة لما سباها الصُّمَّة بن بكر ، وكان أغار علی بنی زُبید فی قیس ، فاستاق أموالهم وسبى ریحانة ، وانهمزت زُبید بین یدیه . وتبعه عمرو وأخوه عبد الله ابنا معدیکرب ، ثم رجَّع عبد الله وأتبعه عمرو . فأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام ، أنَّ عمرواً اتبعه یناشده أن یخلی عنها ، فلم یفعل ، فلما یئس منه ولَّى وهی تنادیه بأعلى صوتها : یاعمر ! فلم یقدر علی انتزاعها ، وقال :

* أمن ریحانة الدَّاعی السَّمیعُ *

وعنه الروایة فالداعی فعل الظرف ، وهو بمعنى الذى یدعو وینادى . بمعنى الشوق الداعی ، والسَّمیع بمعنى السمع . أو الداعی

(١) فی النسختين : « والتقدير والشوق » ، والواو الثانية مقحمة .

مبتدأ والظرف قبله خبره ، ومن عليهما للابتداء لا للتعليل ، والجملتان في المصراع الثاني حالان متداخلتان .

والرواية الثانية : أنَّ ربحانة امرأته المطلقة ، قال : أخبرني الحسين ابن يحيى قال : [قال ^(١)] حماد : قرأت على أبي : وأما قصة ربحانة فإنَّ عمرو بن معديكرب تزوج امرأة من مُرَادٍ وذهب مُغَيَّراً قبل أن يدخل بها ، فلما قدم أُخْبِرَ أَنَّهُ قد ظهر بها وَضَحَ ، وهو داءٌ تحذره العرب ، فطلَّقها وتزوَّجها رجلٌ آخر من بني مازن بن ربيعة ، وبلغ ذلك عمراً وأنَّ الذي قيل فيها باطل ، فأخذ يشبُّبُ بها ، فقال قصيدته ، وهي طويلة :

* أَمِنْ رِبْحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعِ * انتهى .

فإعرابه على هذا هو الإعراب الأول . وهذه الرواية هي القريبةُ إلى الصواب ، والقصيدة تدلُّ عليها .

وقال الطَّيِّبِيُّ ^(٢) : ربحانة امرأة ، وقيل موضع .

وقد رجعتُ إلى كتب البلدان والأماكن فلم أجِدْ هذا الاسم فيها .

وقال صاحب (الكشف) ^(٣) : عَلِمْتُ حَبِيبَةَ عمرو ، وهي أخت دريد ابن الصُّمَّةِ ، تعلَّقَ بها عمرو وأغار عليها ، ثم التمس من دُرَيْدٍ أن يتزوَّجها فأجاب .

٤٦٢

(١) التكلة من ش .

(٢) الطيبي : أحد شراح الكشف ، وهو الحسن بن محمد بن عبد الله الطيبي . المتوفى سنة ٧٤٣ .
بنية الوعاة ٢٢٨ ، أولى و ١ : ٥٢٢ ثانية . وقال صاحب الكشف عند الكلام على كشف الزمخشري ، وقد سرد أسماء أصحاب الحواشي عليه ، وذكر حاشيته على الكشف فقال : « وهي أجل حواشيه ، في ستة مجلدات مضام » .

(٣) صاحب الكشف عن مشكلات الكشف هو عمر بن عبد الرحمن الفارسي القزويني المتوفى سنة ٧٤٥ . كشف الظنون .

وهذه الرواية لا أصل لها .

ثم نقل صاحب الكشف عن ابن قتيبة أنها أخت عمرو ، وكانت تحت الصَّمة فولدت له دريد بن الصمة . واعترضه بأن دريداً قُتل يوم هوازن وهو شيخ هم^(١) يُنيف على المائة ، لا يُنتفع إلا برأيه . وعمرو أسلم في زمن عمر وهو على جلده . هذا كلامه .

والأول حق لا شبهة فيه ، ولهذا صوبنا أنها امرأته لا أخته . وأما عمرو فقد أسلم على يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو من الصحابة كما يشهد به كتب الصحابة .

(تمة)

وأما فَعِيل بمعنى مُفَعَّل بالفتح ، اسم مفعول ففيه خلاف أيضاً . فأخذه من المزيد المتعدى لم يرتضه الزمخشري .

وقال ابن مالك (في التسهيل) : وربما استغنى عن فاعل بمفعِل أو مُفَعَّل .

قال ابن عقيل (في شرحه) قالوا : عمَّ الرجلَ بمعروفه ، ولمَّ متاع البيت ، فهو مَعَمٌّ ومُعَمٌّ ، ومُلِمَّ ومُلَمٌّ . ولمَّ يُقَلَّ بهذا المعنى عامٌ ولا لأمٌ ، ولا نظير لهما ، حكاه ابن سيده .

وقال ابن برى (في حاشية صحاح الجوهري) : قد جاء ذلك كثيراً نحو مُسَخَّنٍ وسَخِينٍ ، ومُقَعَّدٍ وقَعِيدٍ ، ومُوقِنَعٍ وقَنِيعٍ ، ومُحَبَّبٍ وحَبِيبٍ ومُطَرَّدٍ وطَرِيدٍ ، ومُقَصِّى وقَصِّى ، ومُهْدَى وهْدَى ، ومَوْصَى ووَصَّى^(٢) ، ومُبْرَمٍ

(١) هم ، بالكسر : شيخ كبير . وفي ش : «هرم» بمعنى .

(٢) ط : «ومقص وقصى، ومهد وهدى، وموص ووصى» ، صوابه في ش .

وبريم ، ومُحَكَّم وحكيم ، ومُبَدَّع وبديع ، ومُفَرَّد وفريد ، ومُسَمَّع وسميع ،
ومُونَق وأنيق ، ومؤلم وأليم ، في أخواتٍ له . انتهى .

قصيدة الشاعر
وقصيدة عمرو بن معديكرب عدتها اثنان وثلاثون بيتاً ، كلها
تغزل بالنساء وحماسة .

وبعد البيتين الأولين :

يَعْلُ بعينها عندي شفيعُ	(وربَّ محرَّشٍ في جَنبِ سلمى
يُسَفَّ بحيث تَبْتَدِرُ الدُّمُوعُ ^(١)	كَأَنَّ الإِثْمَدَ الحِصَارَى منها
نواعمَ في أَسْرَتِهَا الرُّدُوعُ	وأبكارٍ لهوتُ بهنَّ حِيناً
وتعجبني المَحَاجِرُ والقُرُوعُ ^(٢)	أَمْشَى حَوْلَهَا وَأَطُوفُ فِيهَا
بدا بَرْدُ أَلَحٍّ به الصَّقِيعُ	إِذَا يَضْحَكُنْ أَوْ يَبْسِمُنْ يَوْمًا
يُفَضُّ عَلَيْهِ رُؤْمَانُ يَنْبِيعُ	كَأَنَّ عَلَى عَوَارِضِهِنَّ راحاً
ومِقْدَحُ صَحْفَةٍ فِيهَا نَقِيعُ ^(٣)	تَرَاهَا الدَّهْرَ مُقْتِرَةً كِبَاءً
بجَدَّتْهَا كَمَا احْمَرَّ النَجِيعُ	وَصِيعُ ثِيَابِهَا فِي زَعْفَرَانٍ
تَفَرَّعَ لَمَى شَيْبُ فَطِيعُ	وَقَدْ عَجِبْتُ أَمَامَهُ أَنْ رَأَتْنِي

وهذا آخر الغزل . ومن أبيات الحماسة :

وَهُمْ مَا تَبَلَّغَهُ الضَّلُوعُ ^(٤)	(أَشَابَ الرَّأْسَ أَيَّامُ طُولِ
كَأَنَّ زُهَاءَهَا رَأْسُ صَلِيعُ	وَزَحَفُ كَتِيبَةٍ لِلْقَاءِ أُخْرَى
وَحُلَّى بَيْنَهُمْ إِلَّا الْوَرِيعُ	دَنَتْ وَاسْتَأْخَرَ الْأَوْغَالُ عَنْهَا

(١) ش : « يبتدر » ، وأثبت ما في ط والأصمعيات .

(٢) ش : « ويعجبني » .

(٣) الأصمعيات : « ومقدح صحفة » .

(٤) ط : « ما تبله » بالعين المهملة .

فَدَى لَهْمُ مَعَا أُمِّي وَخَسَالِي وَشَرَحَ شَبَابَهُمْ إِنْ لَمْ يَضْيَعُوا
وإِسْنَادُ الْأَسْنَةِ نَحْوِ نَحْرِي وَهَزُّ الْمَشْرِفِيَّةِ وَالْوَقُوعُ^(١)
فَإِنْ تَنَبَّ النَّوَائِبُ آلَ عُضْمٍ تَجَدَّ حَكَمَاتُهُمْ فِيهَا رَفُوعُ^(٢)
إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئاً فَدَعْنَهُ وَجَسَاوَزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ
وَصِدْلُهُ بِالزَّرْمَاعِ فَكُلُّ شَيْءٍ سَمَا لَكَ أَوْ سَمَوْتَ لَهُ وَلَوْغُ
وَكَمْ مِنْ غَائِطٍ مِنْ دُونِ سَلَمِي قَلِيلُ الْإِنْسِ لَيْسَ بِهِ كَتِيعُ
بِهِ السَّرْحَانُ مَفْتَرِشاً يَدِيهِ كَانَ بِيَاضَ لَبَّتِهِ الصَّدِيعُ

٤٦٣

وقوله: « وربُّ محرَّشٍ » الخ. التحريش: الإغراء بين القوم. وَيَعْلُ من العلل مرّة بعد مرّة. والحارّي: نسبة إلى الحيرة. وَيُسْفُ: يُذَرُّ. والأسيرة: جمع سِرارة بالكسر، وهو، الخطوط في الكفّ. والردوع: جمع رَدَع، يقال به رَدَعٌ من زعفرانٍ أودم، أى لَطُخُ وأثر. يريد أنهنَّ يصبُغن ثيابهنَّ بالزَّعفران.

وقوله: « أمشي حولها » هو جواب ربّ المقدرة في وأبكار. والمحاجر: جمع مَحْجِرِ العين كمجلس، وهو ما يبدو من الثُّقَاب. والفُرُوع: جمع فرع، وهو الشَّعْر التَّام. والبرْدَ بفتح الحين: حبُّ الغمام. والصَّقِيع: الجليد. والعارض: الناب، والضَّرْس الذي يليه. والراح: الخمر. وينيع: يانع، أى بالغ. ومُقْتَرَة: اسم فاعل من القُتَار بضم القاف، وهو هنا الدُّخْنة. والكِبَاء، بالكسر والمد: العود. والمِقْدَح، بكسر الميم: المغرقة. والنَّقِيع يُبَرِّد لها فتشربه. والنَجِيع: الدم. وتفرَّع: علا. واللِّمَّة بالكسر: شعر الرأس الذي يُلَمُّ بالمنكِب.

(١) في ش مع أثر تصحيح: « والرفوع ».

(٢) ش: « فيها رفوع » بالقاف.

وقوله : أشاب الرأس . إلخ . وتبلَّغَه أى تَسَّعَه .

وزُهاءُها ، بالضم والمد ، أى مقدارها . والرأس الصليح : الذى انحسر شعر مقدمه .

والأوغال : جمع وَغْل ، وهو النَّذل من الرجال . والوريع ، بالراء المهملة ، وكذلك الورع بفتحتين ، وهو الصَّغير الضعيف الذى لا غناء عنده .

والوقوع : الواقعة والقتال .

وآل عصم مفعول تَنَبَّ أى [تُصِيبُ^(١)] ، من النائية . والحَكَمَات ، بالتحريك : جمع حَكَمَة بفتحتين ، وهى ما أحاط بالحنك من اللجام . والرُّفوع بالضم : مصدرٌ بمعنى الارتفاع .

وقوله : « إذا لم تستطع » إلخ . هذا من شواهد تلخيص المفتاح ، فيه الإِرصاد .

وقوله : « وِرْصُلُه » أى وِصِلِ الشىء الذى لم تستطعه . والزَّمَاع بالفتح : العَزم والتصميم . والوَلُوع بالفتح : مصدر وَلِعْتُ بالشىء ، إذا لزمته . والغائط : المطمئنُّ من الأرض الواسع . وكتيع ، أى أحدٌ ، ملازم للنفى .

والسَّرْحان : الذئب . واللَّبَّة بالفتح : موضع القِلادة من الصدر . والصَّدِيع بالdal : الصُّبح .

وما أثبتناه هو رواية ابن الأعرابى (فى ديوان عمرو بن معديكرب) .

وروى صاحبُ الأغاني الشعر على غير ما ذكرنا ، وتبعه الناسُ عليه ،

وهو :

(أَمِنْ رِيحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ يُوَرِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعُ
سَبَاها الصُّمَّةُ الْجَشْمِيُّ غَضَبًا كَأَنَّ بَيَاضَ غُرَّتِها صَدِيعٌ^(١)
وَحَالَتْ دُونَهَا فُرْسَانُ قَيْسٍ تَكْشِفُ عَنْ سَوَاعِدِها الدُّرُوعُ
إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعِهِ الْبَيْتِ)

وزاد الناس في هذا الشعر وَغْنَى فِيهِ :

(وَكَيْفَ أَحَبُّ مَنْ لَا أَسْتَطِيعُ وَمَنْ هُوَ لِلذَّيْ أَهْوَى مَنُوعُ
وَمَنْ قَدْ لَامَنِي فِيهِ صَدِيقِي وَأَهْلِي ثُمَّ كُلاًَّ لَا أُطِيعُ
وَمَنْ لَوْ أَظْهَرَ الْبَغْضَاءَ نَحْوِي أَتَانِي قَابِضُ الْمَوْتِ السَّرِيعُ
فِدَى لَهُمْ مَعَا عَمِّي وَخَالِي وَشَرَحُ شَبَابِهِمْ إِنْ لَمْ يَطِيعُوا)

٤٦٤

هذا ما رواه ، وليس في الديوان بعض هذه الأبيات^(٢) ، والله أعلم .

وترجمة عمرو بن معديكرب تقدمت في الشاهد الرابع والخمسين

بعد المائة^(٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد السّائة ، وهو من شواهد

سيبويه^(٤) :

(١) ط : « غَضَبًا » ، صوابه في ش والأغاني .

(٢) وكذلك لم يرد مظهرها في الأصمعيات .

(٣) الخزائن ٢ : ٤٤٤ - ٤٤٦ .

(٤) في كتابه ١ : ٥٨ . وانظر نواذر أبي زيد ١٠٦ والجل ١٠٦ وابن عيش ٦ : ٧٤ ، ٧٥ والمبني ٣ : ٤٥٨ والتصريح ٢ : ٦٩ والمص ٢ : ٩٧ والأشوفي ٢ : ٢٩٩ وديوان طرفة ٦٨ .

٦٠٧ (ثُمَّ زَادُوا أَنَّهُمْ فِي قَوْمِهِمْ غُفِرَ ذُنُوبُهُمْ غَيْرُ فُحْرٍ)

على أَنَّ مَثْنَى المبالغة ومجموعها يعمل ، كما في البيت ؛ فَإِنَّ ذُنُوبَهُمْ مفعول لُغْفِرَ ، وهو جمع غُفُور ، مبالغة غافِرٍ ، وفُحْرٌ بضمتين أيضاً : جمع فُحُور^(١) .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة طويلة عدتها أربعة وسبعون^(٢) بيتاً لطرفة ابن العبد ، وهو شاعر جاهلي تقدمت ترجمته في الشاهد الثاني والخمسين بعد المائة^(٣) . وقبله :

أبيات الشاهد (وَلِيَ الْأَصْلُ الذِي فِي مِثْلِهِ يُصْلِحُ الْآبِرُ زَرَغَ الْمُؤْتَبِرِ^(٤)
طَبِيبُ الْبَاءَةِ سَهْلٌ ، وَلَهُمْ سُبُلٌ إِنْ شَتَّتَ فِي وَحْشٍ وَعِزٌّ
وَهُمْ مَا هُمْ إِذَا مَالِبَسُوا نَسَجَ دَاوُدَ ، لِبَاسٍ مُحْتَضَرٌ
وَتَسَاقَى الْقَوْمُ كَأَسَا مُسَرَّةً وَعَلَا الْخَيْلَ دِمَاءٌ كَالشُّقْرِ
ثُمَّ زَادُوا أَنَّهُمْ فِي قَوْمِهِمْ ... (البيت)

قال الأعلم (في شرحه) : وقوله : « وَلِيَ الْأَصْلُ » إلخ ، يقول : لِيَ الْأَصْلُ الذِي فِي مِثْلِهِ يَتِمُّ المعروف والاصطناع . والآبر : المصلح للشيء القائم عليه . المؤتبر : المستدعى إلى الإصلاح ، وأكثر ما يستعمل الإبار في النخل ، ثم هو عام في كل شيء . وضربه هنا مثلاً لإتمام الصنيعة .

والباءة : السّاحة والفناء ، أى ساحتهم طيبة سهلة لمن أراد معرفتهم ،

(١) ش : « أربعة وستون بيتاً » ، والصواب كما في ط أنها أربعة وسبعون . ديوان طرفة ٦٣ - ٧٥ قازان ٦٧ - ٨٧ نشرة على الجندي .

(٢) الخزائن ٢ : ٤١٩ - ٤٢٥ .

(٣) ويروى أيضاً : « غير فجر » بالميم كما في سيويه ، وهو جمع فجور ، وكذلك الأنثى فجور بغير هاء ، كما في اللسان .

(٤) ط : « ذرع » ، صوابه في ش والديوان .

وهى وعرة خشنة لمن أرادهم بسوء . وهذا مثل . والوخش : المتوخش ، وهو كناية عن خشونة الجانب وشدته .

وقوله : « وهم مأهم » إلخ ، هذا تفضيمٌ وتعجُّبٌ ، كأنه قال : أى رجالٍ هم ! وقوله : « نسج داود » يعنى الدروع . والنسج : عملها وسردها وأوّل من عملها داود عليه السلام ، فلذلك تنسب إليه . والبأس : شدة الأمر . والمحتضر : المحضور المجتمع إليه . يقول : إذا لبسوا الدروع وتسلّحوا للقتال فأى رجالهم ! ويروى « محتضر » بالكسر ، أى حاضر .

وقوله : « تساقى القوم » إلخ ، هذا مثلٌ ضربه ، أى سقى بعضهم بعضاً كأسَ الحتوف ، أى قتل بعضهم بعضاً . والكأس : الإناء فيه الشراب ، والشراب فى الإناء يقال له كأسٌ أيضاً . والشقر : شقائق النعمان . وقال الأصمعى : هو شجرٌ له ثمر أحمر .

وقوله : « ثم زادوا أنّهم » إلخ ، لما وصفهم بالإقدام والجرأة والصبر فى الحرب ، وغير ذلك من أفعال البر ، بيّن أنّ لهم مزيداً على ذلك ، وهو أخذهم بالعفو والصفح عن الذنب وترك الفخر بذلك ، لأنّ الفخر إعجابٌ وخفة . انتهى .

وقال اللخمي (فى شرح أبيات الجمل) : قوله : « ثم زادوا أنّهم » ، أراد : بأنّهم ، فحذف الباء . وقوله « فى قومهم » فى بمعنى عند ، والظرف متعلق بزادوا ، والتقدير : ثم زادوا عند قومهم بأنّهم غفر ذنبهم غير ٤٦٥ فخر . وغير فخر خبر بعد خبر ، ويروى : « غير فُجر » بالميم ، يعنى أنّهم لا يكذبون . والفُجور : الكذب . والمشهور رواية الخاء ، وهى أوجه . انتهى .

وقال ابن خلف : يريد زادوا على الفضائل التي ذكرها فيهم أنهم إذا جنى عليهم بعض قومهم غفروا لهم ذنبهم مع قدرتهم على الانتصاف. وقد يكون زادهم بمعنى شرفهم ورفعهم ، فتكون أن على هذا فاعلة بزاد ، أي زادهم المجد شرفاً ورفعاً . هذا كلامه ، وهو سبق قلم منه ، فإن فاعل زاد هو الواو . وقوله : « والمراد زادوا على الفضائل » إلخ ، هو تقدير ابن السيرافي (في شرح أبيات الكتاب) .

قال ابن الحاجب (في أماليه على المفصل) : للفتح في أن وجهان : أحدهما أن يكون في موضع المفعول ، والآخر : أن يكون المعنى ثم زادوا على ما تقدم [من الخصال ، أو على من تقدم ^(١)] ، ثم فتح أن على معنى اللام ، لأنهم على صفة كذا وكذا . وللكسر وجهان : أحدهما التعليل على ما ذكر في الوجه الثاني . والثاني : أن يكون على الحكاية [وهو ضعيف ^(٢)] ؛ لأنه ليس موضع الحكاية . ٥١ .

وبعد هذه الأبيات بقليل :

(نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتقر
حين قال الناس في مجلسهم أفتار ذاك أم ربح قطر
بجفان تعترى نادينا من سديف حين هاج الصنبر)

قال الأعلم : قوله : « نحن في المشتاة » يريد في الشتاء والبرد ، وذلك أشد الزمان . والجفلى : أن يعم بدعوته إلى الطعام ولا يخص أحداً . والآدب : الذي يدعو إلى المأدبة ، وهي كل طعام يدعى إليه . والانتقار :

(١) التكلة من ش .

(٢) هذه التكلة أيضاً من ش .

أَنْ يَدْعُو النَّقْرَى ، وَهُوَ أَنْ يَخْصَّصَهُمْ وَلَا يُعَمَّهُمْ . يَقُولُ : لَا يَخْصُّونَ
الْأَغْنِيَاءَ وَمَنْ يَطْمَعُونَ^(١) فِي مَكَافَأَتِهِ ، وَلَكِنَّهُمْ يَعْمُونَ طَلِباً لِلْحَمْدِ ،
وَلَا كِتْسَابَ الْمَجْدِ . وَالْقُتَارُ ، بِالضَّمِّ : رَائِحَةُ اللَّحْمِ إِذَا شُوِيَ . وَالْقُطْرُ ،
بِضْمَتَيْنِ : الْعُودُ الَّذِي يَتَبَخَّرُ بِهِ . يَقُولُ : نَحْنُ نُطْعِمُ فِي شِدَّةِ الزَّمَانِ
إِذَا كَانَ رِيحُ الْقُتَارِ عِنْدَ الْقَوْمِ بِمَنْزِلَةِ رَائِحَةِ الْعُودِ ، لِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ
الْجَهْدِ وَالْحَاجَةِ إِلَى الطَّعَامِ .

وَقَوْلُهُ : « بَجْفَانٍ تَعْتَرِي » إِيخ ، أَيْ نَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَفَانِ . وَمَعْنَى تَعْتَرِي :
تُلْمُ بِهِ وَتَنَاتِيهِ . وَالنَّادَى : مَجْلِسُ الْقَوْمِ وَمُتَحَدِّثُهُمْ . وَالسَّدِيفُ : قَطْعُ
السَّنَامِ .

وَالصَّنْبِيرُ : أَشَدُّ مَا يَكُونُ مِنَ الْبَرْدِ . اهـ . قَالَ صَاحِبُ الصَّحَاحِ :
صُنَابِرُ الشِّتَاءِ : شِدَّةُ بَرْدِهِ ، وَكَذَلِكَ الصَّنْبِيرُ ، بِتَشْدِيدِ النُّونِ وَكَسْرِ الْبَاءِ
وَأَنشَدَ الْبَيْتَ ، ثُمَّ قَالَ : وَالصَّنْبِيرُ بِتَسْكِينِ الْبَاءِ : يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ الْعَجُوزِ ،
وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى وَإِنَّمَا حَرَكَةُ الْبَاءِ لِلضَّرُورَةِ . انْتَهَى .

وَجَزَمَ ابْنُ جَنِّي (فِي الْخَصَائِصِ) بِأَنَّ الْبَاءَ سَاكِنَةً ، وَقَالَ : كَانَ
حَقُّ هَذَا إِذَا نُقِلَتِ الْحَرَكَةُ أَنْ تَكُونَ الْبَاءُ مَضْمُومَةً ، لِأَنَّ الرَّاءَ مَرْفُوعَةً
لَكِنَّهُ قَدَّرَ الْإِضَافَةَ إِلَى الْفِعْلِ ، يَعْنِي الْمَصْدَرُ . كَأَنَّهُ قَالَ : حِينَ هَيَّجَ
الصَّنْبِيرُ ، يَعْنِي أَنَّهُ نَقَلَ الْكُسْرَةَ مِنَ الرَّاءِ إِلَى الْبَاءِ السَّاكِنَةِ وَسَكَنَتِ
الرَّاءُ . وَهَذَا مِنَ الْغَرَائِبِ فَإِنَّ الصَّنْبِيرَ فَاعِلٌ بِهَاجٍ ، لَكِنَّهُ أَعْرَبَهُ بِالْكَسْرِ
نَظْراً إِلَى أَنَّ الْفِعْلَ فِي مَعْنَى الْمَصْدَرِ الْمُضَافِ إِلَى هَذَا الْفَاعِلِ ثُمَّ نَقَلَ
الْكَسْرَ^(٢) .

(١) ط : « يَطْمَعُونَ » بِتَقْدِيمِ الْعَيْنِ ، صَوَابُهُ فِي شَرْحِ مَعْنَى أَثَرِ تَصْحِيحِهِ .

(٢) الْخَصَائِصُ ١ : ٢٨١ وَهَذَا تَصَرُّفٌ مِنَ الْبَغْدَادِيِّ .

قال الدماميني في الجملة المضاف إليها (من الحاشية الهندية على المغني) : وعلى ذلك يتنزّل اللغز الذي نظمته قريباً ، وهو :

أيا علماء الهند إني سائلٌ فَمُنُّوا بتحقيقٍ به يظهر السرُّ
أرى فاعلاً بالفعل أعرب لفظه بجرٍّ ولا حرفٌ يكون به الجرُّ
وليس بمَحْكِيٍّ ولا بمجسور
لدى الخفض ، والإنسان للبحث يُضطرُّ

فهل من جواب عندكم نستفيده
فمِنَ بحركم ما زال يُستخرج الدرُّ

قال الشُّمْنِيّ : سبقه إلى هذا اللغز أبو سعيد فرج بن قاسم المعروف بابن لُبِّ النحوى الأندلسي (في منظومته النونية في الألفاظ النحوية) فقال :

ما فاعلٌ بالفعل لكن جرُّه مع السكون فيه ثابتان
وفي شرحها : يعنى الصنبر ، من قول طرفة . انتهى .

* * *

وأنشد فيه ، وهو الشاهد الثامن بعد السمتانة ، وهو من شواهد سيويوه^(١) :

٦٠٨ (ممنَ حملنَ به وهنَّ عواقدُ حُبِّكَ النِّطَاقِ فشبَّ غيرَ مهبلٍ)
على أن (حُبِّكَ النِّطَاقِ) مفعول لعواقد . وهو جمع عاقدة^(٢) .

(١) في كتابه ١ : ٥٦ . وانظر الشعراء ٦٧١ والكامل ٧٩ والإنصاف ٤٨٩ وابن عيمش ٧٤ : ٦ والمغني ٦٨٦ والمعنى ٣ : ٥٥٨ والأشوقي ٢ : ٢٩٩ والهامسة ٨٥ بشرح المرزوق ١ : ٨٤ بشرح التبريزي وديوان الهذليين ٢ : ٩٢ .

(٢) ش : « عاقد » ، وإنما يقال عاقد للأثني من الإبل التي تعقد بذنبها عند القحاح .

قال سيبويه : ومما يجرى مجرى فاعل من أسماء الفاعلين فواعل ،
أَجْرُوهُ مُجْرَى فاعلة ، حيث كان جمعه ، وكسروه عليه كما فعلوا ذلك
بفاعلين وفاعلات . فمن ذلك قولهم : « هُنَّ حَوَاجُ بَيْتِ اللَّهِ » .
قال أبو كبير :

* ممن حملن به وهن عواقدُ * ... البيت

قال الأَعلم : الشاهد في نصب حبك النطاق بعواقد ؛ لأنَّ جمع عاقدة
وعاقدة تعمل عمل الفعل المضارع لأنَّها في معناه ، فجرى جمعها في
العمل مَجْرَاهَا . ونَوَّنَ عواقدُ للضرورة . وصفَ رجلاً شَهْمَ الفؤاد ماضياً
في الرجال ، فذكر أَنَّهُ ممن حملتْ به النساءُ مُكْرَهَاتٍ ، فغلب عليه
شَبَهُ الآباءِ وخرج مذكراً . وكانت العرب تفعل ذلك : يُغْضِبُ الرجلُ
منهم امرأته ويُعْجِلُهَا حُلَّ نطاقها ويقع عليها ، فيغلب ماؤه على ماها
فينزع الولدُ إليه^(١) في الشَّبه . وحُبُّكَ النطاق : مشدَّة ، واحداً حَبَاكَ ،
وهو من حبكت الشيء ، إذا شددته وأحكمته . والنطاق : إزار تحتبك
به المرأةُ في وسطها وترسل أعلاه على أسفله ، تقيمه مَقَامَ السَّراويل .
والمهبلُ : الثقل ، ويقال هو الذي يُدْعَى عليه بالهبل ، فيقال : هبلته
أمه ، أي فقدته . انتهى .

والبيت من قصيدة لأبي كبير الهذلي ، عدتها سبعة وأربعون بيتاً صاحب الشاهد
أوردها السُّكْرَى (في أشعار الهذليين) ، واقتصر منها أبو تمام على أبيات
أوردها (في أوائل الحماسة) ، وكذلك اقتصر عليها ابن قتيبة (في
كتاب الشعراء) ، فلنقتصر على ما أورده ، وهو :

(١) ط : « الوليد إليه » ، وأثبت ما في ش والشنترى .

(ولقد سرّيتُ على الظلامِ بِمَغْشَمٍ
مَنْ حَمَلَنَ بِهِ وَهْنَ عِوَاقِدُ
حَمَلْتُ بِهِ فِي لَيْلَةٍ مَزْعُودَةٍ
فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الْفَوَادِ مِبْطُنَا
وَمَبْرَأً مِنْ كُلِّ غُبْرِ خَيْضَةٍ
وَإِذَا نَبَذَتْ لَهُ الْحِصَاةَ رَأَيْتَهُ
وَإِذَا يَهَبُ مِنَ الْمَنَامِ رَأَيْتَهُ
مَا إِنْ يَمَسُّ الْأَرْضَ إِلَّا مَنَكَبُ
وَإِذَا رَمَيْتَ بِهِ الْفِجَاجَ رَأَيْتَهُ
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أَسْرَةٍ وَجْهِهِ
يَحْيَى الصَّحَابَ إِذَا تَكُونُ كَرِيهَةً
وَإِذَا هُمْ نَزَلُوا فَمَاوَى الْعَيْلِ)

٤٦٧

سبب الأبيات قال التبريزي (في شرح الحماسة) : كان السبب في هذه الأبيات أن أبا كبير تزوج أمّ تائباً شراً ، وكان غلاماً صغيراً ، فلما رآه يُكثر الدخول على أمّه تنكّر له ، وعرف ذلك أبو كبير في وجهه إلى أن ترعرع الغلام ، فقال أبو كبير لأُمّه : ويحك ، قد والله رابني أمرُ هذا الغلام ، ولا آمنه ، فلا أقربك ! قالت : فاحتلّ عليه حتّى تقتله . فقال له ذات يوم : هل لك أن تغزو ؟ فقال : ذلك من أمري . قال : فامض بنا . فخرجنا غازيين ولا زاد معهما : فسارا ليلتهما ويومهما من الغد حتّى ظنّ أبو كبير أن الغلام قد جاع ، فلما أمسى قصد به أبو كبير قوماً كانوا له أعداء فلما رأيا نارهم ^(١) من بُعد قال له أبو كبير : ويحك قد جُعنا ، فلو

(١) ش : « فلما رأهم » . وفي التبريزي : « فلما رأى نارهم » .

ذهبت إلى تلك النار فالتصمت منها لنا شيئاً ! فمضى تائباً شراً فوجد على النار رجلين من الصّ من يكون من العرب ، وإنما أرسله إليهما أبو كبير ليقتلاه^(١) ، فلما رآياه قد غشي نارهما وثبا عليه ، فرمى أحدهما وكرّ على الآخر فرماه ، فقتلهما^(٢) ، ثم جاء إلى نارهما فأخذ الخبز منها فجاء به إلى أبي كبير ، فقال : كل لا أشبع الله بطنك ! ولم يأكل هو ، فقال : ويحك أخبرني قصّتك . فأخبره فازداد خوفاً منه ، ثم مضى في ليلتهما فأصابا إبلا ، وكان يقول له أبو كبير ثلاث ليالٍ : اختر أي نصف الليل شئت تحرس فيه وأنام ، وتنام النصف الآخر . فقال : ذلك إليك ، اختر أيهما شئت . فكان أبو كبير^(٣) ينام إلى نصف الليل ويحرسه تائباً شراً ، فإذا نام تائباً شراً نام أبو كبير أيضاً لا يحرس شيئاً حتى استوفى الثلاث ، فلما كان في الليلة الرابعة ظنّ أنّ النعاس قد غلب على الغلام ، فنام أوّل الليل إلى نصفه وحرسه تائباً شراً ، فلما نام الغلام قال أبو كبير : الآن يستثقل نوماً وتمكنني فيه الفرصة . فلما ظنّ أنّه قد استثقل^(٤) أخذ حصاةً فحذف بها ، فقام الغلام كأنّه كعبٌ فقال : ماهذه الوجبة^(٥) ؟ قال : لا أدري . قال : والله صوتٌ سمعته في عرض الإبل . فقام فعسّ وطاف فلم ير شيئاً ، فعاد فنام ، فلما ظنّ أنّه استثقل أخذ حصيةً صغيرةً فحذف بها ، فقام كقيامه الأوّل فقال : ما هذا الذي أسمع ؟ قال : والله ما أدري ، لعلّ

(١) التبريزي : « وإنما أرسله إليهما أبو كبير على معرفة » .

(٢) التبريزي : « وثبا عليه ، وكر ساعياً واتبعاه ، فلما كان أحدهما أقرب إليه من الآخر عطف عليه فرماه فقتله ، ورجع إلى الآخر فرماه فقتله » .

(٣) يستمر نقل البغدادى عن التبريزي بتصرف كبير .

(٤) المستثقل ، بالبناء للمفعول : الذي أثقله النوم .

(٥) الوجبة : السقطة مع الهدة ، أو صوت ما يسقط .

بعضَ الإبل تحرَّك . فقام وطاف فلم ير شيئاً فعاد فنام ، فأخذ حُصِيَّةً^(١) أصغر من تلك فرمى بها فوثب ، فطاف ورجع إليه فقال : يا هذا ، إني قد أنكرتُ أمرَك ، والله لئن عدتُ أسمع شيئاً من هذا لأقتلنَّك ! قال أبو كبير : فبتُ والله أحرسُه خوفاً أن يتحرَّك شيء من الإبل فيقتلني . فاملاً رجعا إلى حيَّهما قال أبو كبير : إنَّ أمَّ هذا الغلام لا أقربُها أبداً . وقال هذه الأبيات . انتهى .

وزعم بعضُ الرواة أنَّ هذه القصيدة لتأبَّطُ شراً قالها في ابن الزرقاء .

قال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : وبعضُ الرواة ينحلُّ هذا الشعر تأبَّطُ شراً ، ويذكر أنَّه كان يتبع امرأة من فُهم ، وكان ابنُ لها من هذيل ، وكان يدخل عليها تأبَّط ، فلما قارب الغلامُ الحلم قال لأمِّه : من هذا الرجل الداخلُ عليك ؟ قالت : صاحبٌ كان لأبيك . قال : فلا أزيتهُ عندك ! فلما رجع تأبَّط أخبرته وقالت : هذا الغلام مفرقُ بيني وبينك فاقتله . قال : سأفعل ذلك . فمرَّ به وهو يلعبُ مع الصبيان فقال له : هلمَّ أهَبْ لك نبلاً . فمضى معه فتذمَّ من قتله ووَهَبَ له نبلاً ، فلما رجع تأبَّط إلى أمِّ الغلام أخبرها فقالت : إنَّه والله شيطانٌ من الشياطين والله ما رأيته مُستثقلاً نوماً قطُّ ، ولا ممتلئاً ضحكاً قطُّ ، ولا همَّ بشيء إلاَّ فعله . ولقد حملته فما رأيتُ عليه دمأً حتَّى وضعته . ولقد وقع على أبوه في ليلة هرب وإني لتوسدة سرجاً ، وإنَّ نطاقاً لمشدود ، وإنَّ على أبيه لدرعاً ، فاقتله فأنْتَ والله أحبُّ إليَّ منه . قال : سأغزو به . فمرَّ فقال : هل لك في الغزو ؟ قال : إذا شئت . فخرج به غازياً فلم يجد منه غرَّة ، حتَّى مرَّ في بعض الليالي بنار لابنَى قُترة الفزاريين ، وكانا

٤٦٨

في نَجْمَةٍ ، فلمّا رأى تَأَبَّطُ^(١) النَّارَ عَرَفَهَا وعرف أهلها ، فأَكَبَّ على رجله ينادى : نُهِشْتُ نُهِشْتُ ، أَبْغَى ناراً ! فخرج الغلامُ يَهْوَى نحو النَّارِ ، فصادف عندهما الرَّجُلَيْنِ^(٢) فواثباه فقتلهما ، وأخذ جَذْوَةً من النَّارِ واطَّردَ إبْلَ القومِ ، وأقبلَ نحو تَأَبَّطُ ، فلمّا رأى تَأَبَّطُ النَّارَ تَهْوَى نحوه ظَنَّ أَنَّ الغلامَ قُتِلَ وأنه دَلَّ عليه ، فمرَّ يسْعَى . قال : فما كان إِلَّا أَنْ أَدْرَكْنِي ومعه النار يطرد إبْلَ القومِ ، فلمّا وصلَ إلَيَّ قال : ويلك لقد أتعبتني ! ثم رمى بالرُّاسِينَ فقلت : ما هذا ؟ قال : كلبان هَارَانِي على النَّارِ فقتلتهما . فقلت : الهربُ الآنَ فَإِنَّ الطلبَ من ورائنا . فَأَخَذْتُ به على غير الطريقِ ، فما سرنا إِلَّا قليلاً حتَّى قال : أَخْطَأْتُ والله الطريقِ ، وما تستقيمُ الريحُ فيه ، فما لبثَ أَنْ استقبلَ الطريقِ وما كان والله سلكها قطُّ . قال : فسرتُ به ثلاثاً حتَّى نظرتُ إلى عينيه كأنهما خيطان ممدودان ، وأدركَ اللَّيْلُ فقلت : أُنِخْ فقد أُمِنَّا . فَأَتَخْنَا فنام في طرفٍ منها ونمتُ في الطَّرَفِ الآخرِ ، فما زلتُ أَرْمُقُهُ حتَّى ظننتُ أَنَّهُ قد نام ، فقمْتُ أريده فإذا هو قد استوى وقال : ماشأُنْكَ ، فقلت : سمعتُ حِسًّا في الإبلِ . فطاف معي بها فلم ير شيئاً فقال : أتخافُ شيئاً ؟ قلت : لا . قال : فمَنْ لا تُعَدُّ فَإِنِّي قد ارتبتُ بك . فنمتُ وأمهلتُهُ حتَّى لم أَشْكُ في نومه فقذفتُ له بحصاةٍ نحوَ رأسه فإذا هو قد وثب ، وتناومتُ فأقبلَ نحوي حتَّى ركضني برجله وقال : أَنَأْتِمُ أَنْتِ ؟ قلت : نعم . قال : أسمعُ ما سمعتُ ؟ قلت : لا . فطاف في الإبلِ وطُفْتُ معه فلم نر شيئاً ، فأقبلَ عَلَيَّ تتوقَّدُ عيناه ، قال : قد أرى ما تصنعُ منذُ الليلة ، والله لئن أَنبَهْنِي شَيْءٌ لَأَقْتُلَنَّكَ ! قال : فليئتُ

(١) وكذا في الشعراء ٦٧٣ . وفي ش : « تأبط شرأ » في هذا الموضع والموضعين التاليين .

(٢) ش : « رجلين » ، وأثبت الصواب من ط والشعراء .

والله أكلوه مخافة أن ينبّهه شيء فيقتلني ، فلما أصبح قلتُ : ألا تنحروا جزوراً ؟ قال : بلى . قال : فنحرننا ناقة فأكل ، ثم احتلب أخرى فشرب ، ثم خرج يريد المذهب^(١) وكان إذا أراد ذلك أبعد وأبطأ على ، فاتّبعته فإذا أنا به مضطجعا على مذهبه ، وإذا يده داخله في جحر أفعى فانترعها ، فإذا هو قابض على رأس أفعى وقد قتلها وقتلته . فذلك قولي :

ولقد غدوت على الظلام بمِغْشَمٍ جَلْدٍ من الفتيان غير مثقلٍ

انتهى ما أورده ابن قتيبة .

والمشهور : « ولقد سرّيت على الظلام » ، أى فى الظلام . والمغشم ، بالكسر : الغشوم ، من الغشم وهو الظلم . والجلد بالفتح ، وهو من له الجلادة ، وهى قوّة القلب . وقوله : « غير مثقل » قال التبريزى : أى كان حسنَ القبول محبباً إلى القلوب .

٤٦٩

وقوله : « ممّن حملن به » النون ضمير النساء ولم يعجرهن ذكر ، ولما كان المراد مفهوماً جاز إضمارها . وقال « به » فردّ الضمير على لفظ مَنْ ، ولو ردّ على المعنى لقال بهم . وروى السكرى وغيره : « ممّا حملن به » قال التبريزى ، تبعاً لشارح الهذليين : أى هو من الحمل الذى حملن به .

قال ابن الشجرى (فى أماليه) : عدّى حمل فى البيت بالباء وحقّه أن يصل إلى المفعول بنفسه ، كما جاء فى التنزيل : ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّ كُرْهًا ﴾^(٢) ولكنّه عدى بالباء لأنّه فى معنى حبلت .

(١) المذهب : قال الكسائى : « يقال لموضع الفائط : الحلاء ، والمذهب ، والمرفق والمرحاض » .

(٢) الآية ١٥ من سورة الأحقاف .

وأورده ابن هشام (في المغنى) وقال : ضَمَّنَ حمل في الموضعين معنى علق ، ولولا ذاك لعدى بنفسه .

وقوله : (وهنَّ عواقدُ حُبِّكَ) إلخ ، بتنوين عواقد . واستشهد به ابن الأنباري على أَنَّ الأَصْلَ في الأسماء عند البصريين الصرف ، وإِنَّمَا يُمنع بعضها من الصَّرف لأسباب عارضة ، فإذا اضطرَّ الشاعر ردّها إلى الأَصْل ولم يعتبر تلك الأسباب العارضة ، كما صرف عواقد في البيت ، وهو جمع عاقدة ، وأعمله في حُبِّكَ حكايةً للحال وإن كان ذلك فيما مضى ، كقوله تعالى : ﴿ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ^(١) ۝ وَحُبُّكَ بَضْمَتَيْنِ . قال ابن قتيبة (في أبيات المعاني) ، وأورد فيها بعض هذه الأبيات : هو جمع حَبَاك ، والحَبَاك بالكسر : ما يُشدُّ به النَّطَاق مثل التَّكَّة . والنَّطَاق : شُقَّة تلبسها المرأة وتشدُّ وسطها ثم ترسل الأعلى على الأسفل إلى الرُّكبة ، والأسفلُ ينجرُّ على الأرض ليس له حُجْزة ولا نَيْفَق ولا ساقان ؛ والجمع نُطُق . والحُجْزة بالضم : موضع التَّكَّة . والنَّيْفَق : الموضع المتسع من السراويل ، والعامّة تكسر النون .

وقال ابن خلف : قال أبو جعفر : وسألت عن هذا البيت على ابن سليمان فقال : حملن به من الحبل ، إِي إِيَّهِنَّ حملن به وهن يخدمُن . وكانت العرب تستحبُّ أَنْ تطأَّ النساء وهنَّ متعبات أو فِرَاعَات ، ليغلب ماء الرجل فيخرج الولدُ مذكَراً . فوصف أَنَّهَا حَبِلَتْ به وهي عاقدة حُبِّكَ النطاق . والحُبُّكَ : الطرائق ، وقيل الحبك الإزار الذي تأتزر به المرأة ، وقيل الحُبُّكة : حُجْزة الإزار . والنَّطَاق : المِنْطَقَة . انتهى .

(١) الآية ١٨ من سورة الكهف .

وقال ابن المستوفى: الحُبْكُ من قولهم: حَبَكَ الثوبَ يَحْبِكُهُ بالكسر حَبَكًا ، إذا أجاد نسجه ، كَأَنَّهُ جَمَعَ المَصْدَرَ على حَبَاكَ ، وجمع حَبَاكَ حُبُكًا . وقيل الحُبْكُ: جمع الحَبِيكِ والحَبِيكَةِ ، وهو ما تَكَسَّرَ من ثوبٍ وماءٍ . وقيل جمع الحَبَاكَ ، وهو الإِزَار . والْأَوَّلُ بعيد ، لَأَنَّ الحَبِيكَةَ جمعها حَبَاتُكَ ، وإذا صَحَّ إِنْ الحَبَاكَ الإِزَار فهو جَمْعُهُ ، مثل كتاب وكتب . انتهى . وما نقله هو كلام التبريزي .

وروى السُّكْرِيُّ: (حَبَكَ الثَّيَابَ) . وقال شارحه القارِي^(١): حُبْكُ الإِزَار : طرائقه . وَحَبَكَةُ الإِزَار : استدارته وشُدُّه . والنُّطَاق : الإِزَارَ يَعْنِي حملت به وعليها مِنْطَقُهَا ، وأَرَادَ أَنَّهَا متَحَزِّمَةٌ . يقول : لَمْ تُمَكِّنْ مِنْ نَفْسِهَا . انتهى .

وقال التبريزي ، وتبعه العيني : الرواية : (حُبْكُ الثَّيَابِ) ؛ لَأَنَّ النُّطَاقَ لا يَكُونُ لَهُ حُبْكٌ وهو الطرائق . هذا كلامه .

والمُهْبَلُ ، قال القارِي : المَثْقَلُ بِاللَّحْمِ ، يقال هَبْلَهُ اللحم : كَثُرَ عليه وغلظ . وكذلك قال أبو جعفر: المُهْبَلُ : الكثير اللحم ، يقال: هَبِلَتِ المرأةُ وَعُبِلَتْ . وفي حديث الإفك حرفٌ رُبَّمَا صَحَّفَهُ أصحاب الحديث ، وهو: « والنِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ لَمْ يَهْبِلْنَ » ، أَيْ لَمْ يَحْمِلْنَ الشَّحْمَ . وقيل المُهْبَلُ : الَّذِي يُدْعَى عَلَيْهِ بقولهم : هَبِلَتْهُ أُمُّهُ ، كما يقال لِمَنْ يُسْتَرْدَلُ ، أَيْ ثَكَلَتْهُ .

٤٧٠

(١) القارِي ، رَاوَى أَشْعَارَ المَهْذِلِينَ عَنِ السُّكْرِيِّ ، سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي حَوَاشِي ١ : ٢٧٥ .
وَفِي النُّسخَتَيْنِ هُنَا: « الفَارِسِي » ، تَحْرِيفٌ .

وقول العيني : أو ^(١) هو الذى حملت به أمّه وهى مُكرّهة ، فاسدٌ .
فتأمل .

وقال التبريزى : ذكر بعضهم أنّ المهبلّ الممتوه الذى لا يتماСК . فإنّ
صحّ ذلك فكأنّه من الإسراع ، يقال جمل هبلٌ . ومعنى البيت أنّه من
الفتيان الذين حملتهم أمّهنّ وهنّ غير مستعدّات للفراش ، فنشأ محموداً
مرضياً لم يُدعّ عليه بالهبلّ والثكل . وحكى عن بعضهم : إذا أردتَ
أن تنجب المرأة فاغضبها عند الجماع . ولذلك يقال فى ولد المدعورة :
إنّه لا يطاق . قال :

تسئمّتها غضبى فجاء مسهداً وأنفعُ أولادِ الرجال المسهدُ ^(٢)

وقال المبرد (فى الكامل) : يقال أنجبُ الأولاد ولدُ الفارك ، وذلك
لأنّها تبغض زوجها فيسبقها بمائه فيخرجُ الشبّه إليه فيخرج الولد ذكراً .

وقال بعضُ الحكماء : إذا أردتَ أن تنجب المرأة فاغضبها ثم
قَع عليها فإنّك تسبقها بالماء . وكذلك ولدُ الفزعة كما قال أبو كبير .
وأنشد البيهقي .

وقوله : « حملتُ به فى ليلة مزعودة » هى مفعولة من زأدته أزأده زأداً ،
أى أفزعته ؛ وزُئِدَ فهو مزعُودٌ ، أى مدعور ، وهو بالزأى والهمزة والبدال .

قال المبرد (فى الكامل) : مزعُودة ذات زُؤد ^(٣) وهو الفزع . فمن نصب مزعُودة

(١) ط : « أى » ، صوابه فى ش والعينى ٣ : ٥٥٩ .

(٢) وكذا جاء البيت غير منسوب فى شرح المرزوقى للحماسة ٨٦ .

(٣) الزؤد ، بضمّتين وبضم أيضاً . وضبطت فى الكامل بضمّة واحدة .

فإنَّما أَرَادَ المرأةَ، ومن خفض أَرَادَ الليلةَ . وجعل الليلةَ ذات فَرْعٍ لَّأنَّه يُفْرَعُ فيها قال الله تعالى : ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ^(١) ﴾ ، والمعنى بل مكرُكم في الليل والنهار . وقال جرير :

* ونمت وما ليلُ المطىٰ بنائِم ^(٢) *

وقال آخر :

* فنام ليلي وتجلَّى همي ^(٣) *

وقال ابن جني (في إعراب الحماسة) بعدما قال مثلَ كلام المبرد : هذا ونحوه إنَّما يتسع فيه بأن يسند الفعلُ إلى الوقت الذي وقع فيه ، ومجيئه مجيء الفاعل . ألا ترى إلى قوله : « فنام ليلي » ، وإلى نفيه وهو قوله « وما ليل المطىٰ بنائِم » . وببيت أبي كبير إنَّما جعل الوقت الذي هو الليلة بلفظ اسم المفعول ، وهو قوله مزعودة . فأكثر ما يقولون إذا اتَّسعوا في نحو هذا : يومٌ ضارب ، أي كثر فيه الضرب ، ولا يقولون يوم مضروب . غير أنَّ مزعودة إنَّما جاز لأنَّهم قد ينصبون الظرف نصبَ المفعول به ، نحو قوله :

* ويوم شهدناه سليماً وعامراً ^(٤) *

فلما كانوا يأخذونه في هذا الشق ^(٥) جاءوا به أيضاً مسنداً إليه الفعل

(١) الآية ٣٣ من سورة سبأ .

(٢) من شواهد الخزانة ، وهو الشاهد الثامنون في ١ : ٤٦٥ . وصدره :

* لقد ملتنا يا أم غيلان في السرى *

(٣) لرؤبة في ديوانه ١٤٢ .

(٤) لرجل من بني عامر . وأنشده سيبويه في كتابه ١ : ٩٠ ، والمبرد في المقتضب ٣ : ١٠٥

والكامل ٢١ . وعجزه :

* قليل سوى الطمن النبال نوافله *

(٥) في إعراب الحماسة الورقة ٢٤ : « في هذا الشق وهذا الغور » .

إِسْنَادَهُ إِلَى مَالِمٍ يَسَمُّ فاعله . تقول : رَبَّ يَوْمَ مَقُومٍ ، وَرَبَّ سَاعَةٍ مَضْرُوبَةٍ ، عَلَى قَوْلِكَ : قُمْتَ يَوْمًا وَضَرَبْتَ سَاعَةً ، وَأَنْتَ تَنْصِبُ الْيَوْمَ وَالسَّاعَةَ نَصْبَ الْمَفْعُولِ بِهِ . فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي لَيْلَةِ مَرْغُودَةٍ عَلَى حَدِّ قَوْلِكَ : زُنِدْتَ اللَّيْلَةَ ، وَعَلَى قَوْلِكَ قَبْلَ إِسْنَادِ الْفِعْلِ إِلَيْهَا هَذِهِ لَيْلَةُ زُنْدِهَا زَيْدٌ ، كَقَوْلِكَ هَذِهِ جَبَّةٌ كُسِيَهَا عَمْرُو ، ثُمَّ تَقُولُ : هَذِهِ لَيْلَةُ مَرْغُودَةٍ كَقَوْلِكَ : جَبَّةٌ مَكْسُوءَةٌ . هَذَا عَلَى رِوَايَةِ الْجَرِّ . وَأَمَّا مَنْ نَصَبَ فَعَلَى الْحَالِ ، وَمَرْغُودَةً لِلْمَرْأَةِ الْحَامِلِ . وَفَائِدَةُ ذِكْرِ اللَّيْلَةِ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ أَنَّ تَكُونَ بَدَأَتْ بِحَمْلِهِ لَيْلًا ، وَهُوَ أَنْجَبُ لَهُ ، وَصَاحِبُهُ يُوصَفُ بِالشَّجَاعَةِ . وَقَدْ دَعَاهُمْ ذَلِكَ إِلَى أَنْ وَصَلُوا أَنْسَابَهُمْ بِاللَّيْلِ تَحَقُّقًا بِهِ . قَالَ :

أَنَا ابْنُ عَمِّ اللَّيْلِ وَابْنُ خَالِهِ إِذَا دَجَا دَخَلْتُ فِي سِرْبَالِهِ
* لَسْتُ كَمَنْ يَفْرَقُ مِنْ خِيَالِهِ *

٤٧١

انتهى .

وبه يُدْفَعُ قَوْلُ ابْنِ هِشَامٍ (فِي الْمَغْنَى) : مَرْغُودَةٌ مَذْعُورَةٌ ، وَيُرْوَى بِالْجَرِّ صِفَةً لِلَّيْلَةِ وَبِالنَّصْبِ حَالًا مِنَ الْمَرْأَةِ ، وَلَيْسَ بِقَوًى مَعَ أَنَّهُ الْحَقِيقَةُ ، لِأَنَّ ذِكْرَ اللَّيْلِ حِينَئِذٍ لَا كَبِيرَ فَائِدَةٍ فِيهِ . انْتَهَى .

وَقَالَ ابْنُ قَتِيْبَةٍ (فِي أَبْيَاتِ الْمَعَانِي) : مَرْغُودَةٌ : فِيهَا زُؤْدٌ وَذُعْرٌ ، كَذَلِكَ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ . وَيُرْوَاهُ بَعْضُهُمْ بِالنَّصْبِ وَيَجْعَلُهُ حَالًا مِنَ الْمَرْأَةِ . وَيُقَالُ إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا حَمَلَتْ وَهِيَ مَذْعُورَةٌ فَأَذْكَرَتْ جَاءَتْ بِهِ لَا يُطَاقُ . انْتَهَى .

وَمِثْلُهُ قَوْلُ ابْنِ جَنِّي : الْغَرَضُ مِنْ ذِكْرِ الزُّؤْدِ فِي الرِّوَايَتَيْنِ جَمِيعًا أَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا حَمَلَتْ بَوْلَدِهَا وَهِيَ مَذْعُورَةٌ كَانَ أَنْجَبَ لَهُ . أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ :

* فَاتَتْ بِهِ حُوشَ الْجَنَانِ مَبْطُنًا * ... الْبَيْتِ

وقال التبريزي : ويجوز أن يكون جرّ مزعودة على الجوار وهو في الحقيقة للمرأة ، كما قيل : جحر ضبٌ خربٍ : وهذا لميلهم إلى الحمل على الأقرب ، ولأنهم الالتباس . ومزعودة بالرفع صفة أقيمت مقام الموصوفة^(١) . وانتصب كُرْهاً على أنه مصدرٌ في موضع الحال ، أى كارهة . وكذلك جملة « وعقد نطاقها لم يحلل » حال . والنطاق : ما تنتطق به المرأة تشدُّ وسطها للعمل . والمنطقة أخذت من هذا . والمعنى أنها أكرهت ولم يُحلَّ نطاقها .

وقوله : « فأتت به حُوش الفؤاد » إلخ حوش الفؤاد : حالٌ من الضمير في به ، والإضافة لم تفد شيئاً من التعريف . وبه استشهد ابن هشام (في شرح الألفية) عليه . و [أيضاً^(٢)] استشهد به صاحب الكشف في سورة المزمل لشيء آخر^(٣) . وكذلك مبطناً وسُهداً حالان منه .

قال ابن السِّدِّ (في شرح الكامل) : حُوش الفؤاد ، أى مجتمع الدّهن جيّد الفهم .

وقال القارى وابن قتيبة : يعنى وحشىّ الفؤاد .

وقال التبريزي : حُوش الفؤاد وحُوشىّ الفؤاد : وحشيّه . لحدّته وتوقّده . ورجلٌ حُوشىّ : لا يخالط الناس . وليلٌ حُوشىّ : مظلم هائل ، كما يقال ليلٌ سخّامٌ وسُخامىٌّ للأسود . وكذلك إبلٌ حُوشٌ وحُوشيةٌ ، أى وحشيّة . وقيل الحوشية بلاد الجن .

(١) وكذا النص في التبريزي ، ومى صحيحة .

(٢) التكلة من ش .

(٣) أتى به شاهداً في الآية الأولى من المزمل ، على إيقاظ الرسول صلى الله عليه وسلم لينتقى الأمر الخطير بالقيام بالليل ، وترتيل القرآن .

و (في الأساس) : رجلٌ حوش الفؤاد: ذكىٌ كيّس ، وأصله من الإبل الحوشية ، وهى التى يزعمون أنّ فحولَ نَعَم الجنّ قد ضربتُ فيها . ومبطناً : ضامر البطن .

والسُّهْد بضمّتين : قليل النوم . وإذا ظرف لِسُهداً . قال التبريزى : قوله نامَ ليلِ الهوجل جعل الفعلَ لليلِ لوقوعه فيه ، أى نام الهوجل فى ليله . والهوجل : الثَّقِيلُ الكسلان ، وقيل الأحمق لا مُسكة به . وبه سمّيت الفلاة التى لا أعلامَ بها ولا يُهتدى فيها : الهوجل . أى أتت الأم بهذا الولد ذكياً حديد الفؤاد ، يسهر إذا نام الهوجل .

قال العينى : ما زائدة ، ويحتمل أن تكون مصدرية ، أى حين نوم ليلِ الهوجل . انتهى .

والصواب الأوّل ، لأنّ إذا لا تضاف إلى مفرد .

وقوله : « ومبرأً من كلِّ » إلخ ، هو معطوف على حوش الفؤاد ، وقد وقع فى الحماسة قبل البيتين قبله^(١) . وقال التبريزى : ويروى بالنصب والجبر ، فالنصب عطفٌ على غير مهبل ، كأنه قال : شبّ فى هاتين الحالتين . وإذا جرّته كان عطفاً على قوله : جلدٍ من الفتيان .

وغيرُ الحيض ، بضم المعجمة وتشديد الموحدة المفتوحة : بقاياها ، وكذلك غيرُها بسكون الموحدة ، وكذلك غيرُ اللبن : باقيه فى الصّرع . والحيضة بالكسر : الاسم ، وبالفتح المرّة . وكلّ للتأكيد ؛ كأنه نفي

(١) ط : « على البيتين قبله » ، صوابه فى ش . والواقع أن البيت الذى أوله « ومبرأ » وقع فى الحماسة سابقاً ترتيبه فى الحماسة للأول منهما ، وبليه بيت « حملت به فى ليلة مزودة » ، ثم بيت « فأنت به حوش الفؤاد » ، .

٤٧٢

قليلَ ذلك وكثيره . وأضاف الفساد إلى المرضعة لآنَّه أراد الفساد الذى .
 يكون من قبلها . وهم يضيفون الشيء إلى الشيء لأدنى ملابسة . والمُغِيلُ ،
 بضم الميم وكسر الياء ، من الغِيل ، وهو أن تُغشى المرأةُ وهى تُرضع ، فذلك
 اللبن الغِيل . يقال أغالت المرأة ، إذا أرضعته على حَبَل . ويروى بدله :
 « معضل » ، وهو الذى لا دواءَ له ، كأنَّه أعضل الأطباءَ وأعيانهم .
 وأصل العَضل المنع . يقول : إنَّها حملت به وهى ظاهرٌ ليس بها بقيةٌ
 حيض ، ووضعتَه ولا داءَ به استصحبه من بطنها فلا يقبلُ علاجاً ،
 لأنَّ داءَ البطن لا يفارق . ولم تُرضعه أمه غيلاً ، وهو أن تسقيه غيلاً
 وهى حُبلى بعد ذلك

وقوله : « وإذا نبذت له » إلخ ، نبذتُ الشيء من يدي ، إذا طرحته .
 وروى السكرى : « وإذا قذفت » يعنى أنك إذا رميته بحصاةٍ وهو نائمٌ
 وجدته ينتبه انتباهً من سمع بوقعها هدةً عظيمةً ، فيطمرُ طموراً
 الأَخيل ، وهو الشقيرَاق . وانتصاب طمور بما دلَّ عليه قوله : « فرعاً
 لوقعتها » كأنَّه قال : رأيته يطمرُ طموره ، لأنَّ الخائف المتيقِّظ يفعل
 ذلك . والطُّمور : الوثب . وقال بعضهم : الأَخيل : الشاهين ، ومنه قيل
 تخيَّل الرجل ، إذا جَبَنَ عندَ القتال فلم يثبت . والتخيُّل : المضيُّ والسرعة
 والتلُّون .

وقوله : « وإذا يهبُّ من المنام » أى يستيقظ . ورأيتَه ، أى رأيتُ رُتوبه
 فحذف المضاف . ورُتوب الكعب : انتصابه وقيامه . يقول : إذا استيقظ
 من منامه انتصب انتصاب كعبِ الساق . وكعب الساق منتصبٌ أبداً فى
 موضعه . والزَّمَل بضم الزاى : الضَّعيف النَّوْم .

وقوله : « ما إن يمسُّ الأرضُ » إلخ . إن زائدة . قال القارِى : يقول إذا اضْطَجَعَ لم يندَلِقْ بَطْنُهُ ، إِنَّمَا يَمَسُّ مَنْكِبَهُ الأرضُ وهو خميص البطن . ولَمَّا قال لا يمسُّ الأرضُ إِلَّا مَنْكِبٌ عُلِمَ أَنَّهُ خميص البطن ، فاكتفى بمعناه عن ذكره . يقول : مِنْ ضُمِرِ بطنه وخُصِّصَ إِذَا اضْطَجَعَ لا يمسُّ الأرضُ مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا مَنْكِبُهُ . ثم جعله لطيفاً مثل مَحْمَلٍ فى طَيْهِ .

وقوله : « طَىَّ المَحْمَلُ » يريد حمائل السَّيْفِ ، بكسر الميم الأولى . أراد أَنَّهُ مدمج الخلق كطىَّ المَحْمَلُ : كَأَنَّهُ قال : طَوَّى طَىَّ المَحْمَلُ . وقال التبريزى : انتصب على المصدر بما دلَّ عليه ما قبله ، لَأَنَّهُ لَمَّا قال : يَمَسُّ الأرضُ مِنْهُ إِذَا نام جانبُهُ وحرفُ الساقِ ، عُلِمَ أَنَّهُ مطوى غير سمين . والمعنى إِذَا نام لا يَنبَسِطُ على الأرض ولا يَتِمَكَّنُ مِنْهَا بأَعْضَائِهِ كُلِّهَا حَتَّى لا يَكَادَ يَتَشَمَّرُ عند الانتباه بسرعة .

وهذا البيت أورده ابن هشام (فى شرح الألفية) على أَنَّ طَىَّ المَحْمَلُ نصب بتقدير : يطوى طَىَّ المَحْمَلُ .

وقوله : « وَإِذَا رَمِيتَ بِهِ الفِجَاجَ » إلخ . قال القارِى : أى حملته عليها . والفَجَجَ : الطريق الواسع فى قُبُلِ جَبَلٍ وَنَحْوِهِ . قال التبريزى : الهَوَىُّ بضم الهاء هو القصد إلى أعلى ، وبفتح الهاء إلى أسفل . وعلى ذلك قول زهير .

* هَوَىَّ الدَّلُو أَسْلَمَهَا الرِّشَاءُ ^(١) *

(١) صدره فى ديوان زهير ٦٧ :

* فَنَجَّهَا الْأَمَازُ وَهَى تَهْوَى *

فلا تخيّر^(١) في رواية البيت على الضم ، وإن كان قد قيل غير ذلك .
انتهى .

وأورده صاحب الكشف عند قوله تعالى : ﴿ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾^(٢)
من سورة إبراهيم ، على أَنَّ تَهْوِي بمعنى تسرع إليهم وتطير شوقاً ، كما في البيت .
والخارم : جمع مخرم كجعفر ، وهو منقطع أنف الجبل . والخرم :
أنف الجبل . والأجلد : الصقر .

وقوله : « وإذا نظرتَ إلى أَسْرَةٍ وَجْهه » قال التبريزي : الخطوط التي
في الجبهة الأغلب عليها سِرار ، وتجمع على الأَسْرَة . والتي في الكفِّ
الأغلب عليها سِرَرٌ وَسُرٌّ ، وتجمع على الأسرار . وقد قيل الأَسْرَة الطرائق .
والعارض من السحاب : ما يعرض في جانب من السماء . وتهلّل الرجل
مَرَحاً واهتَلَّ ، إذا افتَرَّ عن أسنانه في التَّبَسُّم . يقول : إذا نظرتَ في وجهه
رَأَيْتَ أَسَارِيرَ وجهه تُشْرِقُ إشراق السحاب المتشقق بالبرق . يَصِفُهُ بِحُسْنِ
البشر وطلاقة الوجه .

٤٧٣

قال السيوطي (في شرح أبيات المغني) : أخرج أبو نُعَيْم (في الدلائل)
والخطيب ، وابن عساكر ، بسندٍ حسن عن عائشة قالت :

كنت قاعدةً أَغْرِلُ ، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم يَخْصِفُ نعله ،
فجعل جبينه يعرق ، وجعل عرقه يَتَوَلَّدُ نُورًا ، فَبُهِتُ فقال : مالكِ
بُهِتٌ ؟ فقالت : جعلَ جبينك يعرق ، وجعل عرقك يَتَوَلَّدُ نوراً ، ولو
رَأَيْتَ أَبُو كَبِيرٍ الهذليُّ لعلم أَنَّكَ أَحَقُّ بشعره حيث يقول :

(١) ط : « فلا تختَر » .

(٢) الآية ١٣٧ من سورة إبراهيم .

* ومبرأً أَمِنْ كُلِّ غَبْرٍ حَيْضَةٍ * ... البيت

* وإذا نظرت إلى أَسْرَةٍ وجهه * ... البيت

وقوله: « يحمى الصُّحَابَ » إلخ ، العَيْل ، بضم العين وتشديد المثناة التحتية: جمع عائل ، وهو الفقير .

وأبو كبير الهذلي: شاعرٌ صحابيٌّ، اشتهر بكنيته . واسمه عامر بن أبو كبير الهذلي الحُلَيْس ، أحد بني سهل بن هذيل . كذا قال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) وغيره .

والحُلَيْس : مصغر الحِلْس ، بكسر الحاء المهملة وسكون اللام وآخره سين مهملة . والحلس للبعير : كِسَاءٌ رقيق يكون تحت البرْدعة .

وأبو كبير، بفتح الكاف وكسر الموحدة، على وزن خلاف الصَّغير . وقد أورده ابن حجر (في القسم الأول من الإصابة) ولم يذكر اسمه فقال: أبو كبير، بالموحدة، الهذلي ، ذكره أبو موسى وقال: ذكر عن أبي اليقظان أنه أسلم ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: أحلّ لي الزَّنى . فقال: «أتحبُّ أن يؤتى إليك مثلُ ذلك؟» قال: لا . قال: « فإرضَ لأخيك ما تَرْضَى لنفسك » . قال: فادعُ الله لي أن يُذهبَ عني . انتهى .

* * *

وأنشد بعده :

(الحافظُ عورةَ العشيرةِ لا يأتِيهمُ من ورائهم وكَفُ)

على أنَّ الأصل : الحافظون عورةَ العشيرة ، فحذفت النون تخفيفاً .

وهذا على رواية نصب عورة . وأمّا على رواية جرّها فالنونُ حذفت

لإضافة .

وقد تقدّم الكلام عليه مفصّلاً في الشاهد الثامن والتسعين بعد المائتين^(١).

والوكف ، بفتح الواو والكاف : العيب والعار .

* * *

وأنشد بعده :

(أَبْنَى كُلَيْبٍ إِنَّ عَمَى اللَّسَا قَتَلَ الْمُلُوكَ وَفَكَّكَ الْأَغْلَا)

على أَنَّ أصله اللذان قتلا الملوك ، فحذفت النون من الموصول تخفيفاً .
وتقدّم الكلام عليه أيضاً في الشاهد الثالث والعشرين بعد الأربعمئة^(٢)

* * *

وأنشد بعده :

(وإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفَلَجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدِ)
على أَنَّ أصله إن الذين حانت ، فحذفت النون منه تخفيفاً .

وتقدّم الكلام عليه أيضاً في الشاهد السادس والعشرين بعد الأربعمئة^(٣).

وحانت : هلكت ، من الحَيْن ، وهو الهلاك . وفلج ، بفتح الفاء
وسكون اللام وآخره جيم : موضع في طريق البصرة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع بعد الستمائة ، وهو من شواهد

٤٧٤

سيبويه^(٤) :

٦٠٩ (وَكَرَّارٌ خَلَفَ الْمُجَحَّرِينَ جَوَادِهِ
إِذَا لَمْ يُحَامِ دُونَ أَنْشَى حَلِيلُهَا)

(١) الخزانة ٤ : ٢٧٢ - ٢٨٣ .

(٢) الخزانة ٦ : ٦ ، ١٣ .

(٣) الخزانة ٦ : ٢٥ ، ٣٤ .

(٤) في كتابه ١ : ٩٠ . وانظر ديوان الأخطل ٢٤٥ ومعاني الفراء ٢ : ٨١ .

على أنّه قد فُصل اسم الفاعل المضافُ إلى مفعوله عنه بظرفٍ ،
والأصل : وكرّارُ جَوادِهِ خلف المُجَحِّرين .

وهذه رواية الفراء ، قال (في تفسيره) : إذا اعترضت صفةً بين
خافض وما خَفَضَ جاز إضافته ، مثل قولك : هذا ضاربٌ في الدار
أخيه ، ولا يجوز إلّا في شعر ، مثل قوله :

مُؤَخَّرٌ عَنْ أَنْيَابِهِ جِلْدِ رَأْسِهِ فَهِنَّ كَأَشْبَاهِ الزَّجَاجِ خُرُوجُ^(١)
بخفض جلد . وقال الآخر :

* وكرار دون المجحّرين جواده * . . . البيت

بخفض جواده .

وزعم الكسائي أنّهم يُؤثرون النصب إذا حالوا بين الفعل والمضاف
بصفة^(٢) ، فيقولون : هو ضاربٌ في غير شيء أخاه ، يتوهّمون إذْ
حالوا بينهما^(٣) أنّهم نَوَّنوا . انتهى .

والصفة عند الكوفيين : الجار والمجرور والظرف .

وتقدّم نقلُ كلامِ الفراء برُمّته في الشاهد الحادى والتسعين بعد
المائتين^(٤) .

وأما عند سيبويه فهو مضافٌ إلى خلفٍ ، وجواده منصوب . وهذا
نصّه :

(١) في معاني الفراء : « لمن » موضع « فهن » .

(٢) في معاني الفراء : « بين الفعل المضاف بصفة » ، وما هنا صوابه .

(٣) ط : « إذا حالوا » ، وأثبت ما في ش ومعاني الفراء .

(٤) الخزائن ٤ : ٢٣٤ - ٢٣٥ .

ولا يجوز : يا سارق الليلة أهل الدار إلا في الشعر ، أى بنصب الليلة وجر أهل ، كراهية أن يفصلوا بين الجار والمجرور^(١) . وإذا كان منوناً ، فهو بمنزلة الفعل الناصب ، تكون الأسماء فيه منفصلة . قال الشماخ :

رب ابن عم لسلمي مُشمعلٌ طبّاخ ساعات الكرى زاد الكسل^(٢)
وقال الأخطل :

* وكرار خلف المجحّرين جواده * . . . البيت »

قال الأعلم في البيت الأوّل : الشاهد فيه إضافة طبّاخ إلى ساعات ونصب زاد على التعدّي ، والتقدير : طبّاخ ساعات الكرى ، على تشبيه الساعات بالمفعول به ، لا على الظرف . ولا يجوز الإضافة إليها وهي مقدّرة على أصلها من الظرف ، لأنّ الظرف يقدر فيه حرف الوعاء ، وهو في ، والإضافة إلى الحرف غير جائزة ، وإنّما يضاف إلى الاسم . ولما أضاف الطباخ إلى الساعات على هذا التأويل اتّسعاً ومجازاً عدّاه إلى الزاد لأنّه المفعول به في الحقيقة . انتهى .

وتقدّم شرحه في الشاهد المذكور .

وقال في البيت الثاني : الشاهد فيه إضافة كرار إلى خلف ونصب الجواد ، والقول فيه كالبيت الذي قبله ، إلّا أنّ الإضافة إلى خلف أضعف ، لقلة تمكّنها في الأسماء . ويجوز فيه من الفصل ما جاز في الأوّل ، والأوّل أجود . انتهى .

(١) يعنى المضاف والمضاف إليه .

(٢) ديوان الشماخ ١٠٩ . وقد نسب فيه إلى جبار بن جزء بن ضرار ، ابن أنى الشماخ .

وقال ابن خلف : الشاهد إضافة كَرَّارٍ إلى خلف وهو ظرف ، فإذا نُصِبَ نصبَ المفعول به على السَّعة جاز أن يضاف إليه كما يضاف إلى المفعول به ، وهذا هو الوجه . وقد أنشد^(١) بعضهم بجراً جواده ، فهذا مثل التفسير الذي في :

* طبّاخ ساعاتِ الكرى زاد الكسل *

وهو في كَرَّارٍ خلف أحسن ، لأنَّ خلفَ أقلَّ تمكُّناً وأضعف من ساعات . انتهى .

وكَرَّارٌ بالرفع معطوف على عروفٌ في بيت قبله كما يأتى . وهو فعَّال من كَرَّ الفارس كَرّاً من باب قتل ، إذا فرَّ للجَوْلان ثم عاد للقتال . وضمَّته معنى العطف والدفع ، ولهذا تعدَّى إلى المفعول . والمجحرين^(٢) اسم مفعول من أجمحره ، بتقديم الجيم على الحاء المهملة ، أى ألجأه إلى أن يدخل جُحرة فأنجمح ، أى يكرُّ كراً كثيراً جواده خلف المجحرين ، وهم الملجئون المغشئون ، ليحامي عنهم ويقاتل في أدبارهم . والجواد : الفرس الكريم . (لم يحام) : لم يدافع ، بإشباع كسرة الميم للوزن . ودون بمعنى أَمَامَ وقَدَّام . وأراد بالأنثى أعمّ من الزوجة والبنت والأخت والأم . و(الحليل) : الزوج . والحليلة : الزوجة ، سمياً بذلك لأنَّ كلَّ واحد منهما يحلُّ للآخر دون غيره ، أو لأنَّه يحلُّ من صاحبه محلاً لا يحلُّه غيره . وصَّفه بالشَّجاعة والإقدام . يقول : إذا فرَّ الرجال عن نسايتهم وأسلموهنَّ للعدوِّ قاتل عنهم وحماهم .

ورواية البيت في ديوان الأخطل كذا :

(١) ش : « أنشد » ، مع أثر تغيير .

(٢) ما بعده إلى كلمة « خلف » التالية ساقط من ش .

وَكَّرَّارُ خَلْفِ الْمَرْهَقِينَ جَوَادَهُ حِفَاطًا إِذَا لَمْ يَحْمَرْ أُنْثَى حَلِيلُهَا

و (المرهق) : اسم مفعول من أرهقته ، إذا أعسرتة وضيقته عليه .
وقال السكري (في شرح ديوانه) : المرهق : الذي قد غشيه السلاح .
و (الحفاظ) : الحماية ، علة لقوله كرّار . وإذا ظرف لكرّار .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة للأخطل النصرائي ، مدح بها همام بن مطرف التغلبي . وهذه أبيات منها :

أبيات الشاهد (رأيت قروم ابني نزار كليهما إذا خطرت عند الإمام فحولها
يرون لهمام عليهم فضيلة إذا ما قروم الناس عدت فضولها
فتي الناس همام وموضع بيته برابية يعلو السروابي طولها
فلو كان همام من الجن أصبحت سجوداً له جن البسلاد وغولها)
إلى أن قال :

(جواد إذا ما أمحل الناس ممرع كريمة ، لجوعات الشتاء قتولها^(١)
إذا نائبات الدهر شقت عليهم كفاهم أذاها واستخف ثقلها^(٢)
عروف لإضعاف المرازى ماله إذا عجز منحوت الصفاة بخيلها^(٣)
وكرار خلف المرهقين جواده)
... البيت

القروم : الأشراف والسادة . وابنا نزار هما ربيعة ومضر . وأمحل الناس : أقحطوا . وممرع : ذو خصب ونعمة . وشقت من المشقة .

(١) في الديوان ٢٤٤ : « لجوعات النساء » .

(٢) في الديوان : « شفت عليهم » بالفاء ، يقال شف عليه ثوبه يشف شفوفاً ، وشفيقاً ، أي رق حتى يرى ما خلفه . وفي الديوان أيضاً : « فاستخف ثقلها » ، مبدوءاً بالفاء .

(٣) ش : « لأصناف » ، تحريف . وفي الديوان : « لأصناف » بالهمزة المفتوحة .

والعروف : الصُّبور هنا ، ومبالغة العارف . وإضعاف مصدر أضعف يضعف ، وهو من الضَّعْف ضدَّ القوَّة . والمرأى : جمع المرزأ ؛ بفتح الميم فيهما ، مصدرٌ بمعنى المصيبة ، وهو حدوث أمرٍ يذهب به المالُ . قال (في المصباح) : «الرزيَّةُ : المصيبة ، وأصلها الهمز ، يقال رزأته ترزؤه^(١) مهموز بفتحيتين^(٢) ، والاسم الرُّزءُ كقفل . ورزأته أنا ، إذا أصبته بمصيبة . وقد يخفَّف فيقال رزَيْته أرزأه » . وماله فاعل عروف ، أى هو عروفٌ ماله . وعَجَّ : صاح . والصَّفاة : بالفتح : الصَّخرة . قال السكري : ومنحوت الصَّفاة : الذى إذا سئل لم يُعطِ ، كما لا يبضُّ الحجر إذا نُحِت .

وقال ابن خلف : المنحوت الذى يؤخذ منه شيء بعد شيء بشدَّة . يقول : هذا الرجل يُعطى إذا ضجَّ من السؤال الرجل الذى يُعطى اليسير بعد شدَّة ، ويكون ما يؤخذ^(٣) منه بمنزلة ما ينحت من الصَّخر . وبخيلها يريد بخيل النفس ، فأضمر .

وترجمة الأخطل تقدّمت فى الشاهد الثامن والسبعين^(٤) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد السّائة ، وهو من شواهد سيبويه^(٥) :

٦١٠ (هل أنت باعثُ دينارٍ لحاجتنا أو عبد ربٍّ أخا عونٍ بنٍ مخراقٍ)
على أن سيبويه أنشده بنصب عبد ربٍّ ، ونصبه بتقدير اسم الفاعل
أولى من تقدير الفعل ، ليوافق المقدّر الظاهر .

(١) ط : « ترزأه » ، صوابه فى ش والمصباح . يريد : رزأته المصيبة ترزؤه .

(٢) يريد فتح عين الماضى وفتح عين المضارع .

(٣) ط : « ما يأخذ » ، صوابه فى ش .

(٤) الخزائن ١ : ٤٥٩ - ٤٦٢ .

(٥) فى كتابه ١ : ٨٧ . وانظر المفتض ٤ : ١٥١ والجل ٩٩ والعي ٣ : ٥٦٣ .

والمع ٢ : ١٤٥ والأشئ ٢ : ٣٠١ .

وفيه أَنَّ الأوَّلَى عند سيبويه تقدير الفعل ، فَإِنَّه قَبْلَ أَنْ قال :
«وزعم عيسى أَنَّهُمْ يَنْشُدُونَ هذا البيتَ بنصب عبد ربّ» قال أبو الحسن:
سمعته من عيسى^(١) - قال :

وتقول في هذا الباب: هذا ضاربُ زيدٍ وعمرو، إذا أَشْرَكَ بين
الآخر والأوَّل في الجارِّ ، لأنَّه ليس في العربية شيءٌ يعمل في حرف فيمتنع
أَنْ يُشْرَكَ بينه وبين مثله . وإن شئتَ نصبتَ على المعنى ، تضمير له ناصباً
فتقول: هذا ضاربُ زيدٍ وعمراً، كأنه قال : ويضرب عمرواً، أو وضاربُ
عمراً . انتهى .

وقال ابن خلف : الشاهد فيه نصب عبد ربّ بإضمار فعل ، كأنه
قال : أو تبعث عبد ربّ . ولا يجوز أَنْ يضمَّر إلَّا الفعل المستقبل ،
لأنَّه مستفهم عنه ، بدليل قوله « هل » . ويجوز أَنْ ينتصب عبد ربّ
بالعطف على موضع دينار ، لأنَّه مجرورٌ في اللفظ منصوبٌ في المعنى .
انتهى .

ولم يُصَبِّب الأَعلَمُ في قوله : الشاهد فيه نصب عبد ربّ حملاً على
موضع دينار ، لأنَّ المعنى هل أنت باعثُ ديناراً أو عبد ربّ . انتهى .
وإلى تقدير الوصف ذهب ابن السَّراج (في الأصول) قال : أراد
بباعث التَّنوين ، ونصب الثاني لأنَّه أَعْمَل في الأوَّل ، كأنه قال :
أو باعث عبد ربّ . ولو جرَّه على ما قبله كان عربياً ، إلَّا أَنْ الثاني
كلَّمًا تباعد من الأوَّل قوَى النصب . انتهى .

وإلى تقدير الفعل لا غير ذهب الرَّجَاجِيُّ^٢ (في الجمل) .

(١) من عيسى ، ساقط من ش . على أن عبارة « قال أبو الحسن : سمعته من عيسى » ليست في
صلب كتاب سيبويه ، وهي بلا ريب من تعليقات الأخفش .

قال ابن هشام اللخمي : الشاهد فيه نصب عبد ربّ بفعل مضمّر وهو مذهب سيبويه . وقد خطأ بعضهم الزجاجي في قوله : تنصبه بإضمار فعل ، وقال : لا يحتاج هنا إلى الإضمار ؛ لأنّ اسم الفاعل بمعنى الاستقبال وموضع دينار نصب ، فهو معطوف على الموضع ، ولا يحتاج إلى تكلف إضمار ، وإنّما يحتاج إلى تكلف الإضمار إذا كان اسم الفاعل بمعنى المضيّ لأنّ إضافته إضافة محضة لا ينوئ بها الانفصال . والذي قال الزجاجي هو الذي قال سيبويه ، وتمثله يشهد لما قلناه ، وإن كان جائزاً أن يعطف عبد رب على موضع دينار ، ولكنّ ما قدّمنا هو الذي نصّ عليه سيبويه .
والدليل على أنّ المراد بباعث في البيت الاستقبال دخول هل ، لأنّ الاستفهام أكثر ما يقع عمّا يكون في الاستقبال ، وإن كان قد يستفهم عمّا مضى ، كقولك : هل قام زيد ؟ لكنّه لا يكون إلّا بدليل . والأصل ما قدّمنا . انتهى .

وقد نقل العيني كلام اللخمي برؤيته ولم يعزه إليه .

والبيت أورده الزمخشري ، عند قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴾^(١) قال : هو استبطاء لهم في الاجتماع ، وحث على مبادرتهم إليه ، كما يقول الرجل لغلامه إذا أراد أن يحثّه على الانطلاق : هل أنت منطلق ؟ وهل أنت باعث ديناراً ، أي ابعثه سريعاً ولا تبطئ به .

قال ابن خلف : ومعنى باعث موقظ : كأنّه قال : أوقظ ديناراً^(٢) أو عبد ربّ . وهما رجلان .

(١) الآية ٣٩ من سورة الشعراء .

(٢) كذا وردت في النسختين ، والمعروف « أيقظ » بالياء .

وقال اللخمي : باعث هنا بمعنى مرسل ، كما قال تعالى : ﴿ فابعثوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ^(١) ﴾ . وقد يكون بمعنى الإيقاظ : كقوله تعالى : ﴿ مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدْنَا ^(٢) ﴾ . غير أَنَّ الأحسن هنا أَنَّ يكون بمعنى الإرسال ، إذ لا دليل على النَّومِ في البيت . ٤٧٧

قال الأعلام : يحتمل دينار هنا وجهين : أحدهما أَنَّ يكون أراد أحد الدنانير ، وَأَنَّ يكون أراد رجلاً يقال له دينار .

وكذا قال اللخمي : دينار وعبد رب : رجُلان ، وقيل : أراد بدينار واحد الدنانير ، كما قال بعض الشعراء :

إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مَرْسِلاً وَأَنْتَ بِهَاسَا كَلْفٌ مَغْسَرُمُ
فَأَرْسَلْ حَكِيماً وَلَا تُوصِهِ وَذَاكَ الْحَكِيمُ هُوَ الدَّرْهَمُ ^(٣)

وقال ابن خلف : عبد ربّ الاسمُ إِنَّمَا هو ربّه ، لكنه ترك الإضافة وهو يريدّها . وأخا عون : وصف لعبد رب . ويجوز : أَوْ عبد ربّ أَخِي ، بالجرّ . وزعم عيسى بن عمر أَنَّهُ سمع العرب تنشده منصوباً .

وقال العيني : أخا عون بدل من عبد رب ، بدل الشيء من الشيء ، وهما لعين واحدة .

وقال خضر الموصلي : أخاغون إِنَّمَا عطف ببيان لعبد ربّه أَوْ نعت له على رواية النصب ، أَوْ منادى عليهما . انتهى .

(١) الآية ١٩ من سورة الكهف .

(٢) الآية ٥٢ من سورة يس .

(٣) أى الحكيم مستغن بحكته عن الوصية . ويقال فى أمثالهم أيضاً : « أرسل حكيماً وأوصه » ، أى إنه وإن كان حكيماً فإنه يحتاج إلى معرفة غرضك . الميداني ١ : ٢٧٧ والمستقصى للزمخشري ١ : ١٤٠ . والبيتان لابن فارس صاحب المقاييس فى ترجمته فى معجم الأدباء ٤ : ٨٧ والشامى ، وابن خلكان ، والياقنى ، وابن العماد . وانظر حواشى المقاييس ١ : ١٣ من مقدمة الناشر .

وعلى النداء يكون أخا عون هو المخاطب في قوله : هل أنت . وكان
هذا الوجه لبعض من شرح الكشاف . ولم أر لخضر الموصلي في تأليفه
بنت فكر . والله أعلم .

و (مخراق) بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة : اسم .

والبيت من أبيات سيويه الخمسين التي لم يعرف قائلها . وقال
ابن خلف : وقيل هو لجابر بن رألان السنيسى . وسنيس : أبو حى من
طبي .

ونسبه غير خدمة سيويه إلى جرير ، وإلى تأبط شراً ، وإلى أنه
مصنوع . والله أعلم بالحال .

اسم المفعول

أَنشُد فِيهِ :

(أَذْنُو فَاَنْظُرُو^(١))

هو قطعة بيتٍ تقدّم شرحه في باب الإعراب من أوّل الكتاب ، وهو :

(وَأَنْتَى حَيْثُمَا يَثْنِي الْهَوَى بَصْرِي

من حَيْثُمَا سَلَكُوا أَذْنُو فَاَنْظُرُو)

الصفة المشبهة

أَنشُد فِيهَا :

(أَقَامَتْ عَلَى رُبْعِيهِمَا جَارَتَا صَفَاً كُفَيْتَا الْأَعَالَى جَوْنَتَا مُصْطَلَاهُمَا)

تقدّم شرحه بما لا مزيد عليه في الشاهد الموفى الثلاثة^(٢) .

* * *

وَأَنشُد بَعْدَهُ :

(رَوَانِفُ أَلَيْتِيكَ وَتُسْتَطَارَا)

هذا عجز ، وصلده :

(مَتَى مَا تَلَقَّنِي فَرْدَيْنِ تَرْجُفُ)

والروانف : جمع رانفة ، وهي طرف الآلية ، فالأليتان لهما رانفتان.

وإنّما قال روانف باعتبار ما حول كلّ رانفة ، فتكون الألف في تستطارا

ضمير الروانف ؛ لأنّها بمعنى رانفتين .

وهذا قول أبي علي (في المسائل البصرية) .

(١) الشاهد الحادي عشر في الخزانة ١ : ١٢١ - ١٢٢ .

(٢) الخزانة ٤ : ٢٩٣ - ٣٠٣ .

وقد تقدّم شرح هذا البيت أيضاً مستوفى مفصّلاً فى الشاهد التاسع والستين بعد الخمسمائة من شواهد باب المثنى ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد السّمائة ^(٢) :

٤٧٨

٦١١ (أَنْعْتُهَا إِنِّىَ مِنْ نُعَاتِهَا كُومَ الذُّرَى وَادَقَةُ سُرَاتِهَا)

على أن وادقة صفة مشبهة ، وفاعلها ضمير مستتر فيها . و (سُرَاتِهَا) منصوب بالكسرة على التشبيه بالمفعول للصفة المشبهة .

قال أبو على (فى المسائل البصرية) : أنشد الفراء عن الكسائى ، وقد رويناه عن ثعلب عنه (فى نوادر ابن الأعرابى) :

أَنْعْتُهَا إِنِّىَ مِنْ نُعَاتِهَا مُدَارَةَ الْأَخْفَافِ مُجْمَرَاتِهَا
غُلِبَ الذَّفَارَى وَعَفَرَتِيَّاتِهَا كُومَ الذُّرَى وَادَقَةُ سُرَاتِهَا

قال أبو على : هذا على : هند حسنة وجهها . وفى وادقة ذكر من الإبل وليست للسُّرَاتِ . فافهم . انتهى .

وعدّ ابن عصفور هذا من ضرورة الشعر ، قال (فى كتاب الضرائر) : ومنه نصب معمول الصّفة المشبهة باسم الفاعل فى حال إضافته إلى ضمير موصوفها ، نحو قولك : مررت برجل حسن وجهه بنصب الوجه ، ولا يجوز ذلك إلّا فى ضرورة نحو قوله :

أَنْعْتُهَا إِنِّىَ مِنْ نُعَاتِهَا كُومَ الذُّرَى وَادَقَةُ سُرَاتِهَا

(١) الخزانة ٧ : ٥٠٧ - ٥٢١ .

(٢) ابن يعيش ٦ : ٨٣ ، ٨٨ والمقرب ٢٨ والضرائر ٢٨٦ والبيئ ٣ : ٥٨٣ والدرر اللوامع ٢ : ١٣٥ عرضاً والأشعوى ٣ : ١١ والأصمعيات ٣٤ .

ألا ترى أَنَّهُ قد نوَّن وادقة ونصب معمولها وهي مضافة إلى ضمير موصوفها ، وكان الوجه أن ترفع السُّرَّات^(١) ، إلا أَنَّهُ اضطرَّ إلى استعمال النصب بدل الرفع ، فحمل الصفة ضميراً مرفوعاً عائداً على صاحب الصفة ، ونصب معمول الصِّفة إجراءً له في حال إضافته إلى ضمير الموصوف مُجرهاً إذا لم يكن مضافاً إليه . وكذلك أيضاً لا يجوز خفض معمولها في حال إضافته إلى ضمير الموصوف إلاَّ عند الاضطرار ؛ لأنَّ الخفض لا يكون إلاَّ من نصب . ومن ذلك قولُ الأعشى :

فقلتُ له هذه هاتِها إلينا بأدماءٍ مقتادِها^(٢)

ألا ترى أَنَّهُ أضاف الصِّفة ، وهي أدماءٌ ، إلى معمولها وهو مقتاد في حال إضافته إلى ضمير موصوفه . وقولُ الآخر في الصَّحيح من القولين :

أقامتُ على ربيعهما جارتا صفاً

كُميتا الأعالى جَوْنَتا مُصْطَلاهما^(٣)

ألا ترى أَنَّهُ أضاف الصفة وهي جونتا إلى معمولها وهو مُصْطَلًى في حال إضافته إلى ضمير موصوفه . انتهى .

ونقل ابنُ الناظم (في شرح الألفيَّة) عن سيويه أَنَّ الجرَّ في هذا النحو من الضرورات ، وَأَنَّ النصب من القِسْمِ الضعيف . وأنشد البيت . ولم يصب العينيُّ في قوله : الاستشهادُ عند ابن الناظم في نصب سُرَّاتِها ، لأنَّ فيه شاهداً على جواز زيد حسن وجهه بالنصب . انتهى .

(١) ط : « السراة » ، خطأ كتابي ، صوابه في ش والضرائر .

(٢) ديوان الأعشى ٥١ . والرواية فيه :

* بأدماء في حبل مقتادها *

(٣) للشاخب في ديوانه ٨٦ . وانظر الخزانة ٤ : ٢٩٣ وهو الشاهد الموفق الثلاثمائة .

وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) : قوله وادقة سرّاتها نظير حسن وجهه . وسرّاتها بالكسر فى موضع النصب على التمييز . انتهى .

وهذا إنّما هو على مذهب الكوفيّين ، والبصريون يقولون : منصوب على التشبيه بالمفعول .

ثم نقل عن صاحب المقتبس أنّ عبد القاهر قال : الأصل وادقة السرّات ^(١) ، فنابت الإضافة عن اللام كما تنوب اللام عن الإضافة . انتهى .

ولا يخفى أنّ المعهود عند النحاة هو الثانى لا الأوّل .

[قال ^(٢)] : والرجز المذكور أنشده ابن الأعرابي (فى نوادره) على ذلك الترتيب . وبعد البيت الشاهد :

* حَمَلْتُ أَثْقَالِي مَصْمَمَاتِهَا *

ثم سبعة أبيات آخر لا حاجة لنا بإيرادها . وإنّما جمعوا فى الاستشهاد بين البيت الأوّل والبيت الرابع للاختصار ، ولظهور المعنى إجمالاً .

وقوله : (أنعتُها) إلخ ، الضمير للإبل ، فإنّ النعوت الآتية إنّما هى لها . نَعَتَهُ نعتاً من باب نفع : وصفه . و (نُعَات) بالضم والتشديد : جمع ناعت . وقوله : « مُدَارَةُ الْأَخْفَاف » منصوب بتقدير أعنى ونحوه على المدح ، وكذا الحال فى الأوصاف الآتية . والمعنى أنّ أخفافها مدوّرة . مُجْمَرَاتُهَا ، أى مجمرات الأخفاف . والمُجْمَر بضم الميم وسكون الجيم

(١) ط : « السراة » ، تحريف .

(٢) التكلة من ش .

وفتح الميم الثانية قال صاحب الصحاح^(١) : حافر مُجَمَّر ، أى صلب .
 وقوله : « غلب » إلخ الغَلَبُ بفتح الغين المعجمة واللام : غِلْظُ الرِّقْبَةِ ،
 والوصف أغلب والجمع غُلْب . والذَّفَارَى ، بفتح الذال المعجمة بعدها
 فاء آخره ألف مقصورة : جمع ذَفْرَى بكسر الأوّل وسكون الثانى والقصر ،
 قال صاحب الصحاح^(٢) : الذَّفْرَى من القفا هو الموضع الذى يعرق من
 البعير خلف الأذن ، والألف للتأنيث وقيل للإلحاق بدرهم . وأراد بالذَّفْرَى
 العنق ، من قبيل المجاز المرسل . وعَفْرَنِيَّاتُهَا : جمع عَفْرَنَاءَ بفتح العين
 المهملة والفاء وسكون الراء والنون ، والألف للإلحاق بسفرجل ، والتاء
 للتأنيث . قال صاحب الصحاح : وناقَة عَفْرَنَاءَ أى قويّة . وأنشد هذا
 البيت .

وقوله : (كُومَ الذُّرى) منصوب على المدح كالذى قبله كما تقدّم .
 وهو بضم الكاف : جمع كَوْمَاءَ بفتحها وبالمد ، وهى الناقة العظيمة السنام .
 والذُّرى بضم الذال : جمع ذِرْوَةٍ بكسرها^(٣) ، وهى أعلى السنام . و(وادقة)
 منصوب أيضاً ، من ودق ، إذا دنا ، لأنها إذا سمت دنت إلى
 الأرض من سَمْنِهَا . يقال بعيرٌ وديق السُرّة ، أى سمينها . ووادقة صفة
 مشبهة ، لأنه أريد به ثبات معناه ودوامه ، وإن كان بزنة اسم الفاعل
 الموازن يفعل ، لأنه لا يراد به تجدد معناه وانقطاعه . وقال الخوارزمى :
 ودق : دنا ، والمراد به السَّمْنُ ههنا ، لأنها متى سمت خرجت من
 السَّمْنِ سُرَّتْهَا ودنت إليك . وسُرَّتْهَا بضم السين وتشديد الراء : جمع
 سُرّة ، وهى موضع ما تقطعه القابلة من الولد .

(١) الكلام بعده إلى « صاحب الصحاح » الثانية ساقط من ش .

(٢) هنا ينتهى السقط الذى نهت عليه .

(٣) الحق أنها بكسر الذال وضمتها أيضاً ، كما فى المعاجم .

قال التبريزى (فى شرح الكافية الحاحية) بعد إيراد هذا البيت :
ولا يجوز تقديم المنسوب على العامل لأنّه مرفوع فى المعنى . ويجوز فى
هذه المسألة وفى مررت بزيد الحسن وجهه ، بنصب وجهه ، أن تُثنى ^(١)
الصفة فيهما وتجمع وتؤنث وتذكّر : بحسب المعنى . انتهى .

وقوله : « حملت » إلخ ، هو بتشديد الميم يتعدّى إلى مفعولين ، الأوّل
أثقال وهو جمع ثقل بفتح حتين ، وهو المتاع ، كسبب وأسباب . والثانى :
مصمّماتها ، جمع مصمّمة ، بكسر الميم المشدّدة ، من صمّم فى الأمر ، إذا
مضى فيه .

وجميع القوافى ما عدا الأولى منصوبة بالكسرة ، لأنّها جمع مؤنث
سالم .

والزّمخشى إنما أورد البيت الشاهد . وزعم بعضُ شراح أبياته من
فضلاء العجم أنّه عجز ، وصدره :

« رعت كما شئت على غراتها *

وقال : الغرة بالكسر : الغفلة . وكوم الذرى بالرفع : فاعل رعت .
وهذا من عدم تمييزه بين الرجز والشعر ، مع أنّ الذى ضمّه ليس من
الرجز ^(٢) .

وهذا الرجز لم ينسبه ابن الأعرابى إلى أحد ، وإنما قال : هو لبعض
الأسديين يصف إبلاً . وقال العيني : قاله عمير بن لَحَا ، بالحاء المهملة ، التيمى .

٤٨٠

(١) ش : « يثنى »

(٢) يعنى بالذى ضمه السبعة الأبيات التى أشار إليها البغدادى فى ص ٢٢٣ بقوله « ثم سبعة
أبيات آخر لا حاجة لنا بإيرادها » . وقد ظن مصحح طبعة بولاق أن البغدادى يشير إلى الشطر
الآخر هنا وهو « رعت كما شئت على غراتها » . وقال معترضاً « بل هو رجز كما هو ظاهر » .
فأخطأ هو فى تحطّته للبغدادى .

ولم أعرف شاعراً كذا ، وإنما المعروف عُمر^(١) بن لجأ التيمي .
وعُمر^(٢) مكبر لا مصغر . ولجأ بفتح اللام والجيم مهموز الآخر . والله
أعلم بحقيقة الأمر .

والبيت الذى أنشده ابن عُصفور لأعشى بكر إنما الرواية فيه :

فقلتُ له هذه هاتِها بأدماء في جبل مُقتادها

فلا ضرورة فيه . وقبله :

فقمنا ولما يصبح ديكنا إلى جونةٍ عند حدادِها

ويعنى بالحداد الخمار ، لأنه يمنع من الخمر ويحفظها . وكلُّ
من حفظ شيئاً ومنع منه فهو حداد . وهذه إشارة إلى الجونة المذكورة ،
وهي الخابية ، جعلها جونة لاسودادها من القار . والمعنى : هات هذه
الخابية وخذ هذه الناقة الأدماء ، أى البيضاء ، بحبل قائدها . والأدمة
في الإبل : البياض ، وفي الناس : السُمره ، وفي الأطباء : سمره في ظهورها
وبياض في بطونها . وضمير له للحداد . وبأدماء حال ، كأنه قال :
مشتراة بأدماء . وفي حبل صفة لأدماء ، كأنه قال : بأدماء مشدودة في
حبل قائدها ، أو خبر لمبتدأ محذوف ، أى وهى في حبل قائدها ، والجملة
حال . والجونة بفتح الجيم ، معناه السوداء .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى عشر بعد السمتة ، وهو من شواهد

سيبويه^(٣) :

(١) ط : « عمرو » ، صوابه في ش . وقد تقدمت ترجمته في ٢ : ٢٩٩ - ٣٠٢ .
وانظر الشعر والشعراء ٦٨٠ - ٦٨١ .

(٢) ط : « عمرو » ، صوابه في ش .

(٣) في كتابه ١ : ١٠٣ . وانظر العيني ٣ : ٦١٧ وديوان رؤبة ١٥ .

٦١٢

(الحَزْنُ باباً والعَقُورُ كَلْباً)

على أنّه كناية عن البخل ، كما أنّ جبان الكلب كناية عن الجود .
وأنشده سيبويه على أنّ نصب باب و كلب على حَدِّ الحسن وجهاً .

والبيت من رجز لرؤبة بن العجاج . وقبله :

* فذاك وخمٌ لا يبالي السِّبَا *

والوخم : الثقيل . يقول : ذاك من الرجال وخمٌ ثقيل لا يرتاح
لفعل المكارم ، ولا يَهْشُ للجود ، ولا يبالي أن يُسَبَّ ، ويرى المال أحبَّ
إليه من عرضه .

و(الحزن) بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي : صفة مشبهة ، وهو
خلاف السَّهْل . وكذلك (العقور) صفة مشبهة . قال الأزهري : الكلب
العقور : هو كلُّ كلب يَعْقِرُ ، من الأسد والفهد والنمر والذئب . يقال
عَقَّرَ النَّاسَ عَقْراً ، من باب ضرب ، أي جرحهم ، فهو عقور ، والجمع
عُقُرٌ مثل رسول ورُسُل . و (باباً) و (كلباً) تمييزان .

وصف رؤية رجلاً بشدة الحجاب ومنع الضَّيْف ، فجعل
بابه حزناً وثيقاً لا يُسْتَطَاعُ فتحه ، وكلَّبه عقوراً لمن حلَّ بفنائه
طالباً لمعرفه . يقول : إنّ من أتاه لقي قبل الوصول إليه مايكره من حاجب
أو بوابٍ أو صاحب . وجعل له كلباً على طريق الاستعارة ، كما يكون
في البادية .

وترجمة رؤية تقدّمت في الشاهد الخامس من أول الكتاب^(١) .

* * *

وأنشد بعده :

(لحافِي لحافُ الضَّيْفِ والبُرْدُ برْدُهُ)

على أَنَّ اللام في قوله و « البرد » بدل من الضمير ، والتقدير :
وبردى برده .

وهذا صدرٌ وعجزه :

(ولم يُلهِنِي عنه غزالٌ مقنَعٌ)

وقد تقدّم شرحه في الشاهد الثالث والتسعين بعد المائتين^(١) .

* * *

وأنشد بعده :

(رحيبٌ قطابُ الجيبِ منها)

تمامه :

(. رفيقَةٌ بجسِّ النداءِ بضّة المتجرّدِ)

على أن رحيبٌ مضاف إلى قطاب ، وقطاب مضاف إلى الجيب .

وتقدّم الكلام عليه في الشاهد الحادى بعد الثلاثمائة من باب الإضافة^(٢) .
والرواية الصحيحة تنوين رحيبٌ ورفع قطابٌ على الفاعلية . وضمير
منها لقينة في بيت قبله .

و (الرحيب) : الواسع . و (قطاب الجيب) : مجتمعه حيث قُطِب ،
أى جُمع ، وهو مخرج الرأس من الثوب . وإنما وصف قطاب جيبها
بالسعة لأنها كانت توسّعه ليلبّس صدرها فيُنظر إليه ويُتلذذ به . ورفيقة

(١) الخزائن ٤ : ٢٥١ - ٢٥٥ .

(٢) الخزائن ٤ : ٣٠٣ - ٣٠٧ .

بالفاء ثم القاف : الملائمة والليّنة . (والجَسُّ) بفتح الجيم : اللمس .
و (بضّة) : ناعمة رقيقة . والمراد بالمتجرّد حيث يتجرّد من بدنّها ، أى
يُعرى من الثوب ، وهو الأطراف . وخصّه بالذكر مبالغةً فى نعومتها ،
لأنّه إذا كان ما تصيبه الرّيحُ والشمس والبرد من اليدين والرجلين
بضّاً ناعماً رقيقاً ، كان المستتر بالثياب أشدّ بضاضة ونعومة . وهذا هو
المعنى الجيّد بخلاف ما أسلفناه هناك تبعاً لشرّاح المعلقات ، وهو قولنا
المتجرّد : ما ستره الثياب من الجسد ، أى هى بضّة الجسم عند التجريد
من ثيابها . ولا يخفى ضعفه وركاكته . وهذا المعنى لاح لنا والله الحمد .

والبيت من معلّقة طرفة بن العبد ، وتقدّمت ترجمته فى الشاهد
الثانى والخمسين بعد المائة^(١) .

أفعل التفضيل

أنشد فيه : وهو الشاهد الثالث عشر بعد السّائة^(١) :

(أبيضُ من أختِ بني أباضِ)

على أنَّ الكوفيَّين أجازوا بناءً أفعل التفضيل من لفظي السّواد والبياض كما هنا ، وهو شاذٌّ عند البصريين .

قال شارح اللباب : أجاز الكوفيون التعجّب من السّواد والبياض لأنّهما أصول الألوان . وأنشدوا :

إذا الرجالُ شتَوْا واشتدَّ أكلهمُ فأنْتَ أبيضهمُ سربالَ طبَّاخٍ^(٢)
وأنشدوا أيضاً :

جاريةٌ في درعها الفَضْفاضِ أبيضُ من أختِ بني أباضِ
وجاء في شعر المتنبي :

* لأنْتَ أسودُ في عيني من الظُّلمِ^(٣) *

وقالوا : لما جاء منهما أفعل التفضيل جاء بناءً التعجب . والاستشهادات ضعيفة ، لأنّها من ضرورة الشعر لا في سعة الكلام ، فيكون نادراً .

(١) أمالي المرتضى ٢ : ٣١٧ والإنصاف ١٤٩ والجلد ١١٥ وابن يميّش ٦ : ٩٣ / ٧ : ١٤٧ وملحقات ديوان روضة ١٧٦ .

(٢) لطرفة بن العبد في ديوانه ١٥ . وانظر معجم الشواهد .

(٣) من قصيدته التي مطلعها في الديوان ٢ : ٣٠٠ :

ضيف ألم برأسى غير محتشم والسيف أحسن فعلا منه باللم
وهو التالي لهذا المطلع . وصدره :

* أبعد بعدت بياضاً لا بياض له *

والبيت هو الشاهد ٦١٤ فيما سيأتى .

وقولهم : إنّهما أصلان للألوان ممنوع ، وبعد تسليمه فدلّيل المنع قائمٌ فيهما وإن كانا من أصول الألوان .

وقال أيضاً في آخر الكتاب : هذه الأبيات ليست بحجّة للشذوذ ، مع أنّه يحتمل أن يكون أبيض في البيتين أفعال الذي مؤنثه فعلاء ؛ فلا يكون للتفضيل ، فكأنّه قال : أنت مبيضّهم . وانتصب سربال على التمييز . وكذا البيت الآخر لا يكون بالتفضيل^(١) أيضاً ، بل معناه مبيضة هي من أخت بنى أباض . انتهى .

٤٨٢ وهذا محصل كلام ابن الأنباري (في مسائل الخلاف) وقال : الأبيات ضرورة ، أو أبيض فيهما أفعال الذي مؤنثه فعلاء ، لا الذي يراد به المفاضلة ، فكأنّه قيل في الأول : مبيضّهم ، وفي الثاني : جسدٌ مبيض من أخت بنى أباض ، ويكون من أخت في موضع الصفة^(٢) .

وقال ابن يعيش (في باب التعجب) : فإن قيل : لو كان الأمر كما قلّم لقليل بيضاء ، لأنّه من صفة الجارية . قيل : إنّما قال أبيض لأنّه أراد في درعها الفضا فض جسدٌ أبيض ، فارتفاعة بالابتداء ، والجار والمجرور قبله الخبر ، والجملة من صفة الجارية . انتهى .

وكذا صنيع الشريف المرتضى (في أماليه الغرر والدرر) وزاد في البيت الأوّل أنّ أبيض وإن كان في الظاهر عبارة عن اللون فهو في المعنى كناية عن اللؤم والبخل ، فحمل لفظ التعجب على المعنى دون

(١) ش : « للتفضيل » .

(٢) في الإنصاف : « ويكون من أخت هنا في موضع رفع ، لأنها صفة لأبيض ، كأنه قال : أبيض كائن من أخت ، كقولهم : أنت كريم من بنى فلان » .

اللفظ . ولو أنه أراد بآبيضُهم بياضَ الثوب ونقاءهُ على الحقيقة لما جاز أن يتعجب بلفظ أفعل . فالذى جَوَزَ تعجبه هذه اللفظة ما ذكرناه .

هذا كلامه ، ولا يخفى أَنَّ البياض لم يُستعمل قطُّ في اللؤم والبخل ، وإنَّما استعماله في المدح ، وإنَّما كان هنا ذمًّا بالنسبة إلى الطَّبَّاح . والكلمة في البيت أفعل تفضيل لا تعجب . وهذا ظاهر . ولما كان الظاهر باقتضاء المعنى أَنَّ أفعل في الأبيات الثلاثة للتفضيل لم يتعسف الشارح المحقق في تأويلها بإخراجها عن التفضيل ، بل أجاب بأنَّها من قبيل الشُّذُوذ وضرورة الشعر . فلله دَرُه ما أبعد مرماه ، وما أحكم مغزاه !

وأغرب ما رأيته قولُ بعضهم : شبه كثرة أولادها لغيرِ رِشْدَةٍ بالبَيُّض . وآبيضُ بمعنى كثيرِ البيضِ جائزٌ . هذا كلامه ولا وجه له .

وقال ابن يعيش (في باب أفعل التفضيل) : من اعتلَّ بأنَّ المانع من التعجب من الألوان أَنَّها معانٍ لازمة كالأعضاء الثابتة ، نحو اليد والرجل ، فهذان البيتان شاذَّان قياساً واستعمالاً عنده . ومن علَّلَ بأنَّ المانع من التعجب كونُ أفعالها زائدة ، فهما شاذَّان عند سيبويه وأصحابه من جهة القياس والاستعمال . أمَّا القياس فإنَّ أفعالها ليست ثلاثيةً على فَعَلَ ولا على أَفْعَلَ ، إنَّما هو أَفْعَلَ وأَفْعَالٌ . وأمَّا الاستعمال فأمره ظاهر . وأمَّا عند أبي الحسن الأخفش والمبرد فإنَّهما ونحوهما شاذَّان من جهة الاستعمال ، صحيحان من جهة القياس ، لأنَّ أفعالهما بزيادة ، فجاز تقدير حذف الزوائد . انتهى .

صاحب الشاهد قال ابن هشام اللخميُّ (في شرح أبيات الجمل) : البيت الشاهد من رجز لرؤبة بن العجاج . وقبله :

لقد أتى في رمضانَ الماضي جاريةً في درعها الفَضْفَاضِ
تُقَطِّعُ الحديثَ بالإِمَاضِ أبيضُ من أختِ بني أباضِ
قال : كذا أنشده ابن جني . انتهى .

ولم أره في ديوانه . ورأيت (في نوادر ابن الأعرابي) ، ولم ينسبه إلى
أحد :

يالبِئْسَ مثلكِ في البِياضِ أبيضُ من أختِ بني أباضِ
جاريةً في رمضانَ الماضي تُقَطِّعُ الحديثَ بالإِمَاضِ
قال ابن السِّيد واللخمي : وزاد غير ابن الأعرابي على هذا :

مثلُ الغزال زينَ بالخِضاضِ قَبَاءُ ذاتِ كَفَلٍ رضراضِ ٤٨٣
قال ابن الأعرابي بعد الإنشاد : إذا أومضتُ تركوا حديثهم ونظروا
إليها من حُسْنِها . وقوله « في رمضان الماضي » كان الربيع جمعهم في
ذلك الوقت .

وأورده الفراء (في كتاب الأيام والليالي) شاهداً على أنه يقال
رمضان بدون شهر ، كما يقال معه .

وقال أبو عُمر الزاهد المطرزي ، الشهير بغلام ثعلب (في كتاب
اليوم واللييلة) بعد إنشاد الأبيات عن ابن الأعرابي وعن الفراء ، قالاً :
يقال هذا شهر رمضان ، وهذا رمضان ، بلا شهر . وأنشد فيمن قال
بلا شهر :

* جاريةً في رَمَضانَ الماضي *

وأخبرنا ثعلب عن سلمة عن الفراء عن الكسائي ، قال : كان

الرُّؤَاسِيُّ يَكْرَهُ أَنْ يُجَمَعَ رَمَضَانُ ، ويقول : بلغني أَنَّهُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تعالى . انتهى .

وقال اللَّخْمِيُّ : قال أبو عمرو : والعرب تركوا الشُّهُورَ كُلَّهَا مَجْرَدَةً إِلَّا شَهْرَ ربيع وشهرَ رَمَضَانَ . وَيَرِدُ عَلَيْهِ أَنَّ رُؤْبَةً أَتَى بِرَمَضَانَ هُنَا مَجْرَدًا مِنْ الشَّهْرِ ، وهو مِنْ فُصَحَاءِ الْعَرَبِ . وجاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : « مِنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ^(١) » . ولكنَّ إِيْثَابَاتِ الشَّهْرِ أَفْصَحَ ، كما نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ . انتهى .

والدَّرْعُ : الْقَمِيصُ . وَالْفَضْفَاضُ : الْوَاسِعُ . وَ (أُخْتُ بَنِي أَبَا ض) بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ بَعْدَهَا مُوَحَّدَةً ، قَالَ اللَّخْمِيُّ : مَعْرُوفَةٌ بِالْبَيَاضِ . وَقَالَ ابْنُ السَّيِّدِ : وَبَنُو أَبَا ضٍ قَوْمٌ . وَالْخَضَاضُ بِكَسْرِ الْمَعْجَمَةِ ^(٢) : الْيَسِيرُ مِنَ الْحَلَى وَقِيلَ هُوَ نَوْعٌ مِنْهُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَوْ أَشْرَفْتَ مِنْ كُفَّةِ السَّتْرِ عَاطِلًا

لَقُلْتَ : غَزَالٌ مَا عَلَيْهِ خَضَاضٌ ^(٣)

وَالْقَبَاءُ : الضَّامِرَةُ الْبَطْنِ ، فَعَلَاءٌ مِنَ الْقَبَبِ ، وَهُوَ دَقَّةُ الْخَضَرِ . وَالرَّضْرَاضُ ، بِالْفَتْحِ : الْكَثِيرُ اللَّحْمِ :

وَقَوْلُهُ : « تَقَطَّعَ الْحَدِيثُ » . إلخ أوردته ابن هشام (في المغني) مع قوله :

* جارية في رمضان المساضى *

(١) حديث صحيح رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه . الجامع الصغير

٨٧٧٥ .

(٢) ضبط في القاموس كسحاب . ونحوه في اللسان .

(٣) بدون نسبة في تهذيب اللغة ٢ : ١٦٥ / ٦ : ٥٤٩ واللسان (خضض ، عطل) . وهو من إنشاد القناني . وفي ط : « لو أشرفت » بالخرم وبالقاف ، صوابه في ش والتهذيب واللسان .

وقال : إِنَّ نَقْطَعَ حِكَايَةَ للحالِ الماضية . وقال الفراء : إِنَّهَا إِذَا تَبَسَّمت وكان الناس على حديثٍ قطعوا حديثهم ونظروا إلى حُسن ثغرها . وكذلك قال ابن السَّيِّد : الإِيْمَاضُ ما يبدو من بياض أسنانها عند الضَّحْك والابتسام . وشَبَّهه بوميض البرق . وقد بيَّن ذلك ذو الرمة بقوله :

وتَبَسَّمُ لمَحَ البرقِ عن متوضِّحٍ

كَلَوْنِ الْأَقَاخِي شَافَ أَلْوَانَهُ الْقَطْرُ^(١)

وقال آخر :

كَأَنَّ وَمِيضَ البرقِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا

إِذَا حَانَ مِنْ بَعْضِ الْبُيُوتِ ، ابْتِسَامُهَا^(٢)

وقال اللَّخْمِي : معنى الإِيْمَاضُ أَنَّهُمْ إِذَا تَحَدَّثُوا فَأَوَمَّضَتْ إِلَيْهِمْ ، أَيْ نَظَرَتْ ، شَغَلَهُمْ حَسْنُ عَيْنِيهَا فَقَطَّعُوا حَدِيثَهُمْ . وقيل : الإِيْمَاضُ هُنَا التَّبَسُّمُ . شَبَّهَ ابْتِسَامَهَا بوميض البرق في لمعانه ، فيكون معناه كمعنى القول الأول . ويحتمل أَنْ تكون هِيَ المَحْدَثَةُ وَأَنَّهَا تَقْطَعُ حَدِيثَهَا بِالتَّبَسُّمِ . يصفها بطلاقة الوجه وسَمَاحَةِ الخلق ، كما قال ذو الرمة :

يُقْطَعُ مَوْضُوعَ الْحَدِيثِ ابْتِسَامُهَا تَقْطَعُ مَاءَ الْمِزْنِ فِي نَزْفِ الْخَمْرِ^(٣)

واقْتَصَرَ الدَّمَامِينِي (في الحاشية الهندية) في تَفْسِيرِ الإِيْمَاضِ عَلَى

(١) في الديوان ٢١٣ : « كَنُورُ الْأَقَاخِي شَافَ أَلْوَانَهَا الْقَطْرُ » . شَافَهُ : جَلَّاهُ .

(٢) نحوه قول ذو الرمة في ديوانه ٦٤٢ :

أَسِيلَةُ مَجْرَى الدَّمْعِ هَيْفَاءُ طِفْلَةٍ شَمُوسٌ كَالْإِيْمَاضِ الْغَامِ ابْتِسَامُهَا

(٣) الموضوع : الخافَتِ المنخفض . والنَزْفُ : القليل من الماء والخمر ، وأحدته نَزْفَةٌ بالضم . ط : « تَرَفٌ » بالتاء ، صوابه في ش مع أثر تصحيح ، والديوان ٢٦٤ واللسان (نَزَفٌ) . وفي أساس البلاغة : « في نَظْفِ الخمر » .

٤٨٤

قول اللخمى أولاً ، ولكن قوله : يجوز رفع جارية على أنها خبر مبتدأ محذوف ، أى محبوبتى جارية ، ويجوز جرّها بربّ محذوفة . انتهى غير جيد .

قال اللخمى : جارية فاعل يأتى الواقع فى البيت الذى قبل هذا ، والفضفاض نعت للدرع ، وأبيض نعت للجارية . انتهى .

والعجب من غلام ثعلب حيث قال بعدما نقل تفسير الفراء للإيماض : هذا خطأ لأن الإيماض لا يكون فى الفم ، إنما يكون فى العينين ، وذلك أنهم كانوا يتحدثون ، فنظرت إليهم واشتغلوا بحسن نظرها عن الحديث ومضت . انتهى .

ويرد عليه ما تقدم ، وقول المبرد (فى الكامل) عند قول الشاعر (١) :

لا أحبّ النديمَ يومض بالعيـ من إذا ما انتشى لِعرسِ النديمِ

قال : الإيماض تفتح البرق ولمحه ، يقال : أومضت المرأة (٢) إذا ابتسمت . وإنما ذلك تشبيه للمع ثناياها بتبسّم البرق . فأراد أنه فتح عينه ثم غمضها بغمز . انتهى .

وأما قوله : « إذا الرجال شتوا » إلخ فهو من أبيات لطرفة بن العبد ، هجا بها ملك الحيرة عمرو بن هند . ويروى كذا :

أنت ابنُ هندٍ فأخبر من أبوك إذن
لا يُصلح الملكَ إلّا كلُّ بدّاخ

(١) الكامل ٧٣ ليسك والعقد ٦ : ٣٤٤ . وفى البيان ٣ : ٣٤٧ : « وقال بعضهم لزائر له ورآه يومئ إلى امرأته ، وهو أبو عطاء السندى . وفى الأغاني ١٦ : ٨٤ مع هذه النسبة أيضاً أن الزائر كان يلاحظ جاريته .

(٢) ط : « البرق » ، صوابه فى ش والكامل .

إن قلت نصرٌ فنصرٌ كان شرفي
 قدماً وأبيضهم سربال طباخ
 ما في المعالي لكم ظلٌ ولا ورقٌ
 وفي المخازي لكم أسناخُ أسناخ
 مع أبيات^(١) أخر .

قال ابن الكلبي : هذا الشعر منحول .

وقوله : « واشتدُّ أكلهم » أراد بالأكل القوت ، وهو مضموم الهمزة ،
 أى غلت أسعارهم . ومن روى « أكلهم » بفتح الهمزة جعل الأكل بمعنى
 المأكول ، وقد يكون معناه أنهم إذا شتوا لا يجدون الطعام إلا بعد
 جهد وشدة وجوع ، فإذا وجدوه بالغوا في الأكل . ومن روى : « أكلهم »
 بضم الهمزة وتشديد الكاف فهو جمع آكل ، وهو راجع إلى المعنى الذى
 قدمت آنفاً . والسربال : القميص . يقول : إذا دخل فصل الشتاء الذى
 يمنع من التصرف ، وانقطعت الميرة وغلت الأسعار ، واشتدَّ القوت
 فسربال طباخك نفقاً للؤمك . ولو كنت كريماً لاسودَّ لكثرة طبخه ،
 على ما عهد من سربال الطباخين . وهذا ضد قول مسكين الدارمى :

كأنَّ قدورَ قومي كلَّ يوم قبابُ التُّركِ مُلبَّسةُ الجلالِ
 كأنَّ الموقدين لها جمالٌ طلاها الزَّفتُ والقطرانُ طالى
 بأيديهم مغارفٌ من حديدٍ أشبهها مقبَّرة الدَّوالى

وأنشد ابن السكيت (فى أبيات المعاني) بيت طرفه .

ومثله قول الآخر :

(١) الأبيات كلها خمسة فى ديوان طرفه ١٥ قازان .

ثِيَابُ طُهَاتِكَ عِنْدَ الشَّتَا ۚ بَيْضٌ تَلَالًا لَا تَدْنَسُ
وَقَدْرُكَ لَمْ يَغْرِهَا طَارِقُ ۖ وَكَلْبُكَ مَنَجِرٌ أَخْرَسُ
قال : كلبه ينجحِرُ لَأَنَّهُ لَا يَأْتِيهِ طَارِقُ ، وَلَا يَكُونُ فِي مَكَانِ
يَأْتِيهِ فِيهِ .

* * *

وَأُنْشَدَ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الرَّابِعُ عَشَرَ بَعْدَ السُّتُمَاةِ ^(١) :

٦١٤ (لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ)

لَمَّا تَقَدَّمَ قَبْلَهُ ، مِنْ أَنَّ أَسْوَدَ أَفْعَلَ تَفْضِيلَ مِنَ السَّوَادِ ، جَاءَ عَلَى
الشَّدُوذِ .

وَالْمَعْنَى عَلَيْهِ ، لِأَنَّ الْغَرَضَ كَوْنُ بَيَاضِ الشَّيْبِ فِي نَظَرِهِ أَشَدَّ مِنْ سَوَادِ
الظُّلَمِ ، مِبَالِغَةً فِي كِرَاهَةِ الشَّيْبِ .

٤٨٥

وَهُوَ عَجْزٌ ، وَصَدْرُهُ :

(اِبْعَدْ بَعْدَتْ بَيَاضًا لَا بَيَاضَ لَهُ)

وَالْبَيْتُ ثَانِي بَيْتٍ مِنْ قَصِيدَةٍ لِأَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّئِيِّ ، قَالَهَا فِي صَبَاهِ .
وَقَبْلَهُ وَهُوَ مَطْلَعُهَا :

(ضَيْفٌ أَلَمَ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمٍ ۖ وَالسَّيْفُ أَحْسَنُ فِعْلًا مِنْهُ بِاللَّمِّ)
وَتَقْدَمُ بَيْتٌ مِنْهَا فِي بَابِ الْحَالِ .

قال الإمام الواحدي (في شرح ديوان المتنبي) : جميع من فسر هذا
الشعر قال في قوله :

(١) ١ الى ١٠ : ٢ : ٣١٧ ودرة الفواص ١٨ والمغنى ٥٤٣ وديوان المتنبي ٢ : ٣٠٠ .

* لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ *

إِنَّ هَذَا مِنَ الشَّاذِّ الَّذِي أَجَازَهُ الْكُوفِيُّونَ ، مِنْ نَحْوِ قَوْلِهِ :

* أَبْيَضُ مِنْ أُخْتِ بَنِي أَبَايَضِ *

وَسَمِعْتُ الْعَرُوضِي^(١) يَقُولُ : أَسْوَدُ هَهُنَا : وَاحِدُ السُّودِ . وَالظُّلْمُ : اللَّيَالِي الثَّلَاثُ فِي آخِرِ الشَّهْرِ ، الَّتِي يُقَالُ لَهَا « ثَلَاثُ ظُلْمٍ » . يَقُولُ لِبَيَاضٍ شَبِيهِ : أَنْتَ عِنْدِي وَاحِدٌ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي . عَلَى أَنَّ أَبَا الْفَتْحِ قَدْ قَالَ مَا يُقَارِبُ هَذَا . وَقَدْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ « لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي » كَلَامًا تَامًا ، ثُمَّ ابْتَدَأَ يَصِفُهُ فَقَالَ : « مِنَ الظُّلَمِ » ، كَمَا يُقَالُ هُوَ كَرِيمٌ مِنْ أَحْرَارِ . وَهَذَا يُقَارِبُ مَا ذَكَرَهُ الْعَرُوضِي ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَجْعَلِ الظُّلْمَ اللَّيَالِي فِي آخِرِ الشَّهْرِ . انْتَهَى .

وَهَذَا التَّأْوِيلُ مُحْصَلٌ لِلْمِبَالِغَةِ الْمَذْكُورَةِ بِجَعْلِ الْأَسْوَدِ مِنْ أَفْرَادِ اللَّيَالِي الْحَنَادِسِ ، مَعَ تَفْصِيلِهِ مِنَ الشَّدُوذِ .

وَقَدْ مَثَى عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ جَمَاعَةٌ ، مِنْهُمْ الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى (فِي أَمَالِيهِ) ، قَالَ : لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي كَلَامٌ تَامٌ ، ثُمَّ قَالَ مِنَ الظُّلْمِ ، أَيْ مِنْ جُمْلَةِ الظُّلْمِ ، كَمَا يُقَالُ حُرٌّ مِنْ أَحْرَارِ ، وَلَثِيمٌ مِنْ لَثَامِ ، أَيْ مِنْ جَمَلَتِهِمْ . قَالَ الشَّاعِرُ :

وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ شَهَابٌ بَدَأَ ، وَاللَّيْلُ دَاجٍ عَسَاكِرُهُ

(١) الْعَرُوضِي هَذَا شَيْخُ الْوَاحِدِي ، وَهُوَ أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُوسُفَ الْعَرُوضِي الصَّفَارِيُّ الشَّافِعِيُّ ، حَدَّثَ عَنِ الْأَصَمِّ وَأَبِي مَنْصُورِ الْأَزْهَرِيِّ ، وَتَخَرَّجَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُئِمَّةِ مِنْهُمْ الْوَاحِدِي . وَأَنْفَقَ عَمَلَهُ عَلَى مِطَالَعَةِ الْعُلُومِ وَتَدْرِيسِ مُؤَدِّي نَيْسَابُورِ . وَلَدَ سَنَةَ ٣٣٤ وَمَاتَ بَعْدَ سَنَةِ ٤١٠ . بَنِيَةُ الرَّوَاةِ ١٦٠ وَتَمَتَّةُ الْيَتِيمَةِ ٢ : ٢٣ .

كَأَنَّهُ قَالَ : وَأَبْيَضُ كَأَنَّ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ . فَقَوْلُهُ « مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ » وَصَفٌ لِأَبْيَضٍ ، وَلَيْسَ يَتَّصِلُ بِهِ كَاتِصَالٌ مِنْ بِأَفْضَلُ فِي قَوْلِكَ : هُوَ أَفْضَلُ مِنْ زَيْدٍ ، وَكَذَلِكَ مِنَ الظُّلَمِ فِي بَيْتِ الْمُتَنَبِّئِ .

وَمِنْهُمْ الْحَرِيرِيُّ (فِي دُرَّةِ الْغَوَاصِ) قَالَ : وَقَدْ عِيبَ عَلَى الْمُتَنَبِّئِ هَذَا الْبَيْتَ . وَمَنْ تَأَوَّلَ لَهُ فِيهِ جَعَلَ أَسْوَدَ هُنَا مِنْ قَبِيلِ الْوَصْفِ الْمُحْضِ الَّذِي تَأْنِيثُهُ سُودَاءُ ، وَأَخْرَجَهُ عَنْ حَيْزِ أَفْعَلِ التَّفْضِيلِ ، وَيَكُونُ عَلَى هَذَا قَدْ تَمَّ الْكَلَامُ فِي قَوْلِهِ : لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي ، وَتَكُونُ مِنْ [الَّتِي ^(١)] فِي قَوْلِهِ مِنَ الظُّلَمِ لِتَبْيِينِ جِنْسِ السَّوَادِ ، لَا أَنَّهَا صِلَةٌ أَسْوَدَ .

وَمِنْهُمْ ابْنُ هِشَامٍ (فِي الْمَغْنَى) قَالَ : عَلَّقَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَأَسْوَدَ ، وَهَذَا يَقْتَضِي كَوْنَهُ اسْمَ تَفْضِيلٍ ، وَذَلِكَ مِمْتَنِعٌ فِي الْأَلْوَانِ . وَالصَّحِيحُ أَنَّ مِنَ الظُّلَمِ صِفَةً لِأَسْوَدَ ، أَيْ أَسْوَدَ كَأَنَّ مِنْ جَمَلَةِ الظُّلَمِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ أَيْضاً :

يَلْفَاكَ مَرْتَدِيًّا بِأَحْمَرَ مِنْ دَمٍ ذَهَبَتْ بِخُضْرَتِهِ الطَّلَى وَالْأَكْبَدُ ^(٢)
مِنْ دَمٍ إِمَّا تَعْلِيلٌ ، أَيْ أَحْمَرَ مِنْ أَجْلِ التَّبَاسَةِ بِالدَّمِ ، أَوْ صِفَةٌ . كَأَنَّ السَّيْفَ لِكَثْرَةِ التَّبَاسَةِ بِالدَّمِ صَارَ دَمًا .

وقوله : (أَبْعَدُ) هُوَ بِكَسْرِ الِهْمْزَةِ وَفَتْحِ الْعَيْنِ أَمْرٌ مِنْ بَعْدَ يَبْعَدُ ، مِنْ بَابِ فَرَحٍ ، بِمَعْنَى هَلْكَ وَذَلٍّ . قَالَ الْوَاحِدِيُّ : وَعَنَى بِالْبَيَاضِ الْأَوَّلِ الشَّيْبَ . يَقُولُ : يَا بَيَاضًا لَيْسَ لَهُ بَيَاضٌ ! يَعْنِي بِهِ مَعْنَى قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :
لَهُ مَنْظَرٌ فِي الْعَيْنِ أَبْيَضٌ نَاصِعٌ وَلَكِنَّهُ فِي الْقَلْبِ أَسْوَدُ أَسْفَعُ

(١) زيادة من ش لم ترد في درة الغواص ١٨ .

(٢) البيت للمتنبى في ديوانه ١ : ٢١٠ . يقول : ذهب بسواد حديد دماء الأعناق والأكباد .

٤٨٦

وقال الشريف المرتضى قُدَّس سرُّه : المعنى الظاهر للناس فيه أَنَّهُ أراد لا ضياءَ له ولا نورَ ولا إشراق ، من حيث كان حلوله محزناً مؤذناً بتقصي الأجل . وهذا لعمري معنى ظاهر ، إِلَّا أَنَّهُ يمكن فيه معنى آخر وهو يريد : إِنَّكَ بياضٌ لا لونَ بعده ، لأنَّ البياض آخر ألوان الشعر ، فجعل قوله لا بياض له بمنزلة قوله لا لون بعده . وإنما سوَّغ ذلك له أَنَّ البياض هو الآتي بعد السواد ، فلما نفى أَن يكون للشيب بياضٌ كان نفياً لأنَّ يكون بعده لون . انتهى .

وبياضاً : تمييز محوّل عن الفاعل ، والعرب تكنى بالبياض عن الحُسن ومنه يد بيضاء . أى أهلك الله مَنْ لا بياضَ له . والظلم : جمع ظُلْمة بمعنى الظلام ، ويكون اسماً لثلاث ليالٍ من آخر الشهر .

وقوله : « ضيفُ أَلَمٍ برأسى » إلخ ، قال الواحدى : عنى بالضيف الشَّيب ، كما قال الآخر :

أَهْلًا وَسَهْلًا بِمَضِيفٍ نَزَلَ أَسْتودِعُ الله أليفاً رَحَلَ

يريد الشَّيب والشباب . والمحتشم : المتقبض والمستحجى . يريد أَنَّ الشَّيب ظهر فى رأسه شائعاً دفعةً من غير أَن يظهر فى تراخ ومُهْلة . وهذا (١) معنى قوله : « غير محتشم » . ثم فضَّلَ فعلَ السَّيف بالشعر على فعل الشَّيب لأنَّ الشَّيب يبيّضه ، وذاك أقبح ألوان الشعر ، ولذلك سُنَّ تغييره بالحمرة ، والسَّيف يكسبه حمرة . على أَنَّ ظاهر قوله : « أحسن فعلاً منه باللَّم » يوجب أَنَّ الشعر المقطوع بالسَّيف أحسن من الشعر الأبيض بالشَّيب ، لأنَّ السَّيف إذا صادفَ الشَّيب قطعه ، وإنما يكسبه حمرةً إذا قَطَعَ اللَّحْم . وقد قال البحتري :

(١) ش : « هذا » بدون واو .

وَدِدْتُ بِيَاضَ السَّيْفِ يَوْمَ لَقِينَنِي مَكَانَ بِيَاضِ الشَّيْبِ حَلَّ بِمَفْرُقٍ
 فجعل نزول السيف برأسه أحبُّ إليه من نزول الشيب . انتهى .
 وقد ضَمَّنَ البوصيرى ، صاحبُ البردة ، مطلعَ المتنبيِّ فقال وأَجَادَ :
 وَلَا أَعَدَّتْ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ قِرَى
 ضَيْفُ أَلَمْ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمٍ
 وقد تقدَّمت ترجمة المتنبي في الشاهد الواحد والأربعين بعد المائة ^(١)
 * * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الْخَامِسَ عَشَرَ بَعْدَ السَّمَاةِ ^(٢) :
 ٦١٥ (إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ)
 على أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حُذِفَ مِنْهُ الْمَفْضُولُ ، أَيْ أَعَزُّ مِنْ دَعَائِمِ
 كُلِّ بَيْتٍ أَوْ مِنْ دَعَائِمِ بَيْتِكَ .
 وعليه اقتصر صاحب المِفْصَلِ واللُّبَابِ .
 وقدَّره بعضهم : أَعَزُّ مِنْ سَائِرِ الدَّعَائِمِ . وقال ابنُ المستوفى : قالوا
 أَعَزُّ وَأَطْوَلُ مِنَ السَّمَاءِ ، عَلَى مِبَالِغَةِ الشُّعْرَاءِ .
 ونقل التَّبْرِيزِيُّ (في شرح الكافية) عَنِ الطَّرِمَّاحِ أَنَّهُ قَالَ لِلْفَرَزْدَقِ :
 يَا أَبَا فِرَاسٍ ، أَعَزُّ مِمَّ وَأَطْوَلُ مِمَّ ؟ فَأَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ وَقَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ! فقال
 الْفَرَزْدَقُ : يَا لَكِعِ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ ، أَكْبَرُ مِمَّ ذَا ؟ فقال :
 مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . فقال : أَعَزُّ مِنْ كُلِّ عَزِيزٍ ، وَأَطْوَلُ مِنْ كُلِّ طَوِيلٍ .
 انتهى .

(١) الخزانة ٢ : ٣٤٧ - ٣٦٣ .

(٢) ابن يعيش ٦ : ٩٧ ، ٩٩ ، والعينى ٤ : ٤٣ ، ومعاهد التنصيص ٢ : ٣٧ ، والأشمونى

٣ : ٥١ ، وديوان الفرزدق ٤١٧ .

ويجوز أن يكون المحذوف مضافاً إليه : أى أعزُّ دِعامَةً وأطولُها .
وبقى احتمالٌ ثالث ، وهو أن يكون أفعَل فيه بمعنى فاعل . قال المبرد
(فى الكامل) : وجائز أن يكون التقدير : دعائمه عزيزة وطويلة .

وبه أورده ابن الناظم وابن عقيل (فى شرح الألفية) .

قال العينى : الاستشهاد فيه أنهما على وزن أفعَل التفضيل ، ولكن
لم يُقصد بهما تفضيل ، فَإِنَّهُمَا بمعنى عزيزة وطويلة .

وعَمَّ الخَلْخَالُ (فى شرح تلخيص المفتاح) فقال : أى من كلِّ شَيْءٍ ،
أو من بيتك يا جرير ، أو من السماء . أو عزيزٍ طويل .

ونقل أبو حيان (فى تذكرته) عن أبى عبيدة أنه قال : يكون أفعَل
بمعنى فاعِل وفاعل ، غيرَ موجب تفضيلَ شَيْءٍ على شَيْءٍ ، كقوله تعالى :
(وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ^(١)) ، ويقول الأحوص :

* قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصُّدُودِ لَأَمِيلَ ^(٢) *

وبقول الفرزدق :

* بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ *

وبقول الآخر :

تَمْنَى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أُمْتُ فَتَلَكَ سَبِيلُ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ ^(٣)

(١) الآية ٢٧ من سورة الروم .

(٢) صدره فى ديوانه ١٥٣ :

* إِنِّى لِأَمْنَحِكَ الصُّدُودَ وَإِنِّى *

(٣) البيت من أبيات ثلاثة فى أمالى القالى ٣ : ٢١٨ . وانظر شرح المازوقى للحماسة ١٠١ ،
٩٧٢ . وأشار الميمنى فى الجزء الثالث من سبط اللآل ص ١٠٤ إلى أنها منسوبة فى كتاب الاختيارين
للأخفش إلى مالك بن القين الخزرجى . قلت : وهى فى النسخة المطبوعة منه بتحقيق فخر الدين
قباوة ص ١٦١ .

قال أبو حيان : وزرَى النَحْوِيُّونَ عليه هذا القول ، ولم يَسْلَمُوا له هذا الاختيار وَقَالُوا : لا يخلو أفعل من التفضيل . وعارضوا حججه بالإبطال ، وتَأَوَّلُوا ما استدَلَّ به . انتهى .

ونقل الخلف ابن الأنباري (في الزاهر) ، قال : قولهم الله أكبر ، سمعت أبا العباس يقول : اختلف أهل العربية فقالوا : معناه كبير ، واحتجوا بقول الفرزدق :

* دعائمه أعزُّ وأطولُ *

أراد : دعائمه عزيزة طويلة . واحتجُّوا بقول الآخر :

* لستُ فيها بأوحدٍ *

وبقول معن :

* لعمرِكَ ما أدري وإنِّي لأَوْجَلُ *

أراد : لوَجَلُ . وبقول الأَحوص :

* قسماً إليك مع الصدود لأَمِيلُ *

أراد : للمائل . واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ^(١) ﴾ قالوا : معناه هَيِّنٌ عليه . وقال الكسائيُّ والفراءُ وهشام : الله أكبر معناه أكبر من كلِّ شيء ، فحُذِفَتْ مِنْ لَأَنَّ أَفْعَلَ خبر . واحتجُّوا بقول الشاعر :

إذا ما سُتُورُ البيتِ أُرْحِينَ لم يكنْ

سِراجٌ لنا إلَّا ووجهُكَ أنورُ ^(٢)

(١) مجزؤه كافى الديوان : * على أينَا تعدو المنية أول *

(٢) الآية ٢٧ من سورة الروم .

(٣) شرح القصائد السبع لابن الأنباري ٦٧ ؛ والأزهية للهروي ٢٤٨ .

أراد : أنور من غيره . وقال معن :

ولا بلغ المهذون نحوكَ مدحةً

ولو صدقوا إلا الذى فيك أفضلُ

أراد : أفضل من قولهم . انتهى .

وقال المبرد (فى الكامل) فى تفسير قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾^(١) تقديره فى العربية : وأخفى منه . والعرب تحذف مثل هذا فيقول القائل : مررت بالفيل أو أعظم ، وإنه كالبقعة أو أصغر^(٢) . فأمّا قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ ففيه قولان : أحدهما وهو المرضى عندنا إنما هو : وهو عليه هين ، لأن الله جلّ وعزّ لا يكون شئٌ أهون عليه من شئٍ آخر . وقال معن بن أوس :

* لعمرك ما أدرى وإننى لأوجلّ *

أراد : وإننى لوجلّ . وكذلك يكون^(٣) ما فى الأذان : « الله أكبر الله أكبر » ، لأنّه إنما يفاضل بين الشيئين إذا كانا من جنس واحد ، فيقال : هذا أكبر من هذا ، إذا شاكله فى باب . فأمّا : الله أجود من فلان والله أعلم بذلك منه ، فوجه بين^(٤) لأنّه من طريق العلم والمعرفة ، والبذل والإعطاء . وقوم يقولون : الله أكبر من كل شئ . وليس يقع هذا على

(١) الآية ٧ من سورة طه .

(٢) فى الكامل ٤٢٣ : « وإنه كالبقعة أو أصغر » ولو قال : رأيت زيدا أو شبيهاً لجاز ، لأن فى الكلام دليلاً . ولو قال : رأيت الجميل أو راكباً وهو يريد عليه ، لم يجز ، لأنه لا دليل فيه . والأول إنما قرب شيئاً من شئ ، وها هنا إنما ذكر شيئاً ليس من جنس ما قبله .

(٣) فى الكامل : « وكذلك يتأول » .

(٤) الكامل : « فوجه بين » .

محض الرؤية^(١) لَأَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ . وكذلك قول الفرزدق :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ . . . الْبَيْتَ

جائز أن يكون^(٢) قال للذي يخاطبه : مِنْ بَيْتِكَ ، فاستغنى عن ذكر ذلك بما جرى من المخاطبة والمفاخرة . وجائز أن يكون^(٣) دعائمه عزيزة طويلة ، كما قال الآخر :

قُبْحَتُمْ يَا آلَ زَيْدٍ نَفَرًا أَلَامَ قَوْمٍ أَصْغَرًا وَأَكْبَرًا^(٤)

يريد صغاراً وكباراً . فأمّا قول مالك بن نويرة في ذؤاب^(٥) بن رُبَيْعَةَ^(٦) حيثُ قَتَلَ عُتَيْبَةَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ وَفَخِرَ بِنِي أَسَدٍ بِذَلِكَ مَعَ كَثْرَةِ مَنْ قَتَلَ بَنُو يَرْبُوعٍ مِنْهُمْ :

فَخَرَّتْ بَنُو أَسَدٍ بِمَقْتَلِ مَالِكٍ صَدَقَتْ بَنُو أَسَدٍ ، عُتَيْبَةُ أَفْضَلُ فَإِنَّمَا مَعْنَاهُ أَفْضَلُ مِمَّنْ قَتَلُوا . عَلَى ذَلِكَ يَدُلُّ الْكَلَامُ . وَقَدْ أَبَانَ مَا قُلْنَا فِي بَيْتِهِ الثَّانِي بِقَوْلِهِ :

فَخَرُّوا بِمَقْتَلِهِ وَلَا يُوفِي بِهِ مَنِّي سَرَائِهِمُ الَّذِينَ نَقَلُوا

والقول الثاني في الآية : وهو أَهْوَنُ عَلَيْهِ عِنْدَكُمْ ، لِأَنَّ إِعَادَةَ الشَّيْءِ عِنْدَ النَّاسِ أَهْوَنُ مِنْ ابْتِدَائِهِ حَتَّى يُجْعَلَ شَيْءٌ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ . انْتَهَى

(١) ط : « الرؤية » ، صوابه في ش والكامل .

(٢) ط : « يقول » ، صوابه في ش والكامل .

(٣) ط : « تكون » ، وأثبت ما في ش والكامل .

(٤) هو الشاهد ٦٢١ فيا سيأتي ص ٢٧٦ .

(٥) ط : « ذؤاد » ، ش : « ذؤاد » ، صوابهما في الكامل وجمهرة ابن حزم

١٩٤ - ١٩٥ والمجهر ٢٢٠ .

(٦) ربّيع ، هَيْثَةُ التَّصْنِيرِ ، كما في الجمهرة ، وضبط بالقلم في الكامل : « ربّيع »

بفتح الراء .

وقوله : (سَمَكُ السَّمَاءِ) إلخ سَمَكٌ بمعنى رفع ، وأراد بالبيت بيت العزّ والشرف . وقال الخَلْخَالِي : المراد بالبيت هو الكعبة ، وقيل هو العزّة . وتبعه العيني والعباسي (في المعاهد) . قال ابن يعيش : « وأطول » ههنا من الطُّول بالفتح الذي هو في الفضل ، لا من الطُّول بالضم الذي هو ضدُّ القِصر . ودلّ على إرادة مِنْ امتناعه من التصرف .

وهذا البيت أورده علماء المعاني على أَنَّ فيه جعلَ الإيماء إلى وجه الخبر وسيلةً إلى التعريض بالتعظيم لشأنه . وذلك في قوله إن الذي سَمَكٌ، ففيه إيماء إلى أَنَّ الخبر المبنى عليه أمر من جنس الرُّفعة ، بخلاف مالمو قيل إنَّ الله ، ونحوه . ثم فيه تعريضٌ بتعظيم بنائه ، لكونه فعلَ من رفع السماء التي لا أرفع من بنائها ولا أعظم . قال الخَلْخَالِي : وإدراك مثل ذلك يحتاج إلى لطفٍ طبع .

والبيت مطلع قصيدةٍ عدّها تسعة وتسعون بيتاً للفرزدق^(١) يفخر بها صاحب الشاهد على جرير ويهجوّه . وبعده :

(بيتاً بناه لنا المليكُ، وما بنى حَكَمُ السماءِ فإنه لا يُنْقَلُ
بيتاً زُرارةٌ محتبٍ بفنائهِ ومُجاشعٌ وأبو الفوارس نهشلُ
يلجئون بيتَ مجاشعٍ وإذا احتبوا برزوا كأنّهم الجبالُ المُثَلُّ
لا يحتبى بفناء بيتك مثلهم أبداً إذا عُدَّ الفَعَالُ الأَفْضَلُ)

وتقدّم بعضُ أبيات منها في باب الظروف في الشاهد السابع والتسعين بعد الأربعمئة^(٢) .

(١) في ديوانه ٧١٤ - ٧٢٥ وعدّها مائة وخمسة أبيات ، لا تسعة وتسعون كما ذكر البغدادي هنا ، وما ذكره سابقاً في ٦ : ٥٣٤ .

(٢) الخزّانة ٦ : ٥٣٤ - ٥٣٩ .

و (بيتاً) في البيتين بالتنوين بدل من الأول . وزرارة بالضم هو زرارة بن عُدُس بالضم أيضاً ، ابن زيد بن عبد الله بن دارم . ومجاشع : ابن دارم . ونهشل : ابن دارم . ومُحتَبٍ : اسم فاعل من الاحتباء . أراد أنَّهم متمكنون في بيت العزِّ كنتمكن المحتبي .

روى صاحبُ الأغاني بسنده عن سلمة بن عيَّاش قال : دخلتُ على الفرزدق السجَنَ وهو محبوسٌ فيه ، وقد قال قصيدته :

إِنَّ الذي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا . . . البيت

وقد أفجِمَ وأجَبَلَ ، فقلت له : ألا أرفدك ؟ فقال : وهل ذلك عندك ؟ فقلت : نعم . ثمَّ قلت :

بيتاً زُرَّارةً محتَبٍ بفنائهِ . . . البيت

فاستجاده ، وغازه قولي فقال لي : ممن أنت ؟ قلت : من بني عامر ابن لؤي . فقال : لئامٌ والله ، جاورتهم بالمدينة فما أحمَدُتهم . فقلت : أَلَأَمَ والله منهم قومك ، جاءك رسولُ مالك بن المنذر وأنت سيدهم وشاعرهم فأخذ يَأْذُنُكَ يقودك حتَّى حبسك ، فما اعترضه أحدٌ ولا نصرك . فقال : قاتلك الله ما أمكرك^(١) ! وأخذ البيت فأدخله في قصيدته . انتهى .

و « يلجُون » من الولوج ، وهو الدُّخُول . والمثلُّ : جمع مائل ، كركع جمع راكم . والفعال ، بالفتح : الجميل .

وقد عارضه جريرٌ بقصيدةٍ مثلها ، عدتها اثنان وستون بيتاً ، منها^(٢) :

٤٨٩

(١) في الأغاني ٢١ : ٨٥ : « ما أمكرك » .

(٢) المألوف في المناقضات أن تكون المناقضة مطابقة لأختها في الوزن والقافية . والروى هنا مكسور لا مضموم كروى الفرزدق . والقصيدة في ديوان جرير ٤٤٢ - ٤٤٨ . وعدتها ثلاثة وستون ، لا اثنان وستون .

أَخْزَى الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ مَجَاشِعَا
وَبَنَى بِنَاءَكَ بِالْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ^(١)

إِلَى أَنْ قَالَ :

وَقَضَتْ لَنَا مَضْرُوعًا عَلَيْكَ بِغَضْمِنَا وَقَضَتْ رِبْعَةً بِالْقَضَاءِ الْفَيْصِلِ
إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا عِزًّا عِلاكَ فَمَا لَهُ مِنْ مَنْقَلِ
وترجمة الفرزدق وجريز قد تقدّمت في أوائل الكتاب^(٢)

* * *

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ السَّادِسُ عَشَرَ بَعْدَ السَّائَةِ^(٣) :

٦١٦ (سَتَعْلَمُ أَيُّنَا لِلْمَوْتِ أَدْنَى إِذَا دَانَيْتَ لِي الْأَسْلَ الْجِرَارَا^(٤))

على أَنَّ المفضول محذوف ، والتقدير أدنى من صاحبه . ويجوز أن يكون أفعل بمعنى اسم الفاعل . أى قريب . ويجوز أن يكون المحذوف مضافاً إليه ، والتقدير : أقربنا وأدنانا ، أو أقرب رجلين منا .

والبيت من قصيدة لعنترة العبسيّ ، خاطب بها عُمارة بن زياد صاحب الشاهد العبسيّ ، وتقدّم شرح أبياتٍ منها قبل البيت في الشاهد التاسع والستين بعد الخمسمائة من باب المثني^(٥) . وما بعده من الأبيات لا تعلق لها به^(٦) فلذا تركناها .

(١) في الديوان : « في الحضيض » .

(٢) الخزائن ١ : ٧٥ - ٧٨ و ١ : ٢١٧ - ٢٢٣ .

(٣) أمالي ابن الشجري ١ : ٢٢ وديوان عنترة ١٠٩ .

(٤) ش : « قبله إليه » ، ومعها تعليق للناسخ : « كذا بخط المؤلف ، ولم يظهر معناه وصحح عليه . فتأمل » .

(٥) الخزائن ٧ : ٥٠٧ - ٥٢١ .

(٦) ط : « لنا به » ، صوابه في ش .

و (أَدْنَى) و (دانيت) فاعَلْتُ ، كلاهما من الدنوُّ وهو القُربُ .
قال ابن الشَّجَرِي (في أَماليه) : أراد إلى الموت أدنى ، وإذا دانيت ^(١)
إلى الأَسَل . فوضع اللام في موضع إلى ، لأنَّ الدنوَّ وما تصرف منه أصله
التعدى بإلى . ومثله في إقامة اللام مقام إلى قولُ الله سبحانه : ﴿ بَانَ رَبُّكَ
أَوْحَى لَهَا ^(٢) ﴾ ، أى أوحى إليها . ٥١ .

و (الأَسَل) بفتححتين : أطراف الرِّمَاح ، وقيل هى الأَسَنَّة : الواحدُ
أسلة بزيادة الهاء . و (الحرار) بكسر المهملة : جمع حرَّى ، كعطاشٍ جمع
عَطَشَى وزناً ومعنى .

يقول لُعْمارة العبسى : ستعلم إذا تقابلنا ودانيت الرماحَ بيننا أينا
أقرب إلى الموت . أى إنك زعمت أنك تقتلنى إذا لقيتني ، وأنت
أقربُ إلى الموت عند ذلك مني .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر بعد السَّمائة ^(٣) :
٦١٧ (وَلَسْتَ بِالْأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصًّا وَإِنَّمَا الْعِزَّةُ لِلْكَائِرِ)
على أَنَّ (من) فيه ليست تفضيلية ، بل للتبعيض ، أى لست من
بينهم بالأكثر حصًّا ، إلى آخر ما ذكره .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة للأعشى ميمون ، فضِّل فيها عامر بن الطفيل
عدوَّ الله على علقمة بن عُلَثة الصحابي قبل إسلامه . وتقدَّم شرح أوائل

(١) ط : « إذا » بدون واو . وأثبت ما في ش وابن الشجرى .

(٢) الآية ٥ من سورة الزلزلة .

(٣) (نوادر أبي زيد ٢٥ ، والخصائص ١ : ٣ / ١٧٥ : ٢٣٤ ، وابن يعيش ٣ : ٦ / ٦ :
١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، والخزانة ١ : ٢٣٠ بولاق عرضاً و ٢ : ١١ ، هارون والمغنى ٥٧٢
والتصريح ٢ : ١٠٤ ، والأشعوى ٣ : ٤٧ ، وديوان الأعشى ١٠٦ .

هذه القصيدة وسبب تفضيله على علقمة ، في الشاهد الخامس والثلاثين والثلاثين بعد المائتين ^(١) .

وهذه أبيات منها :

أبيات الشاهد

(إن تُرجِعِ الحقَّ إلى أهله
ولست في السلم بذى نائل
ولست بالأكثر منهم حصاً
ولست في الأثرين من مالك
ولست في الأثرين من مالك
هم هامة الحي إذا ما دُعُوا
سُدت بنى الأحوص لم تغدُهم
ساد وألنى قومه سادة
فاصبر على حظك مما تسرى
فأبى بكر أولي الناصر
ولست في الهيجاء بالجاسر
وإنما العزة للكائر ^(٢)
وما لك في السؤدد القاهر
وعامرٌ ساد بنى عامر
وكابراً سادوك عن كابر ^(٣)
فإنما الفلج مع الصابر

٤٩٠

المسدى، من السدى بالفتح والقصر، وهو ما مد من الثوب . يقال
أسدى الثوب ، وسداه ، وتسداه . والنائر : اسم فاعل من نيرت الثوب
نيراً بالفتح ، ونيرته وأنترته : جعلت له نيراً بالكسر، وهو علم للثوب،
وهُدبه ولُحِمته . وهذا هو المراد هنا . وهذا مثل يضرب في التبرى من
الشيء، كقولهم : « لا في العير ولا في النفير » . وهذا خطاب مع علقمة
ابن علاثة .

والسلم ، بالكسر : خلاف الحرب . والنائل بمعنى النوال ، وهو العطاء

(١) الخزائن ٣ : ٣٩٨ - ٤٠٣ .

(٢) هذه هي الرواية المشهورة ، وحورت في ش إلى « منه حصاً » . وكلتاها صحيحة ،
فإنه بصدد تفضيل على الرجل أو على قبيلته .

(٣) ط : « مكابر » ، صوابه في ش والديوان .

والهيجاء : الحرب . والجاسر ، بالجيم ، من الجسارة ، وهى الجراءة ^(١) والشجاعة .

و (الحصى) : العدد ، والمراد به هنا عدد الأعوان والأنصار ، وإنما أطلق الحصى على العدد لأنَّ العرب أميون لا يعرفون الحساب بالقلم ، وإنما كانوا يعدُّون بالحصى ، وبه يحسبون المعدود . واشتقوا منه فعلا فقالوا : أحصيت . و (العِزَّة) : القوة والغلبة . قال الدماميني : بهذا المعنى فسرها الجوهري في البيت ، ولا مانع من جعلها بمعنى خلاف الدلَّة . أقول : الجوهريُّ لم يذكر البيت هنا ، والمعنى الذى ذكره لازم للقوة والغلبة . و (الكاثر) بمعنى الكثير ، كذا فى الصحاح . ويجوز أن يكون اسم فاعل من كَثَرَتْهُمْ ، إذا غلبَتْهُمْ فى الكثرة . قال صاحب القاموس : وكاثروهم : غالبوهم فى الكثرة فغلبوهم . وعليه اقتصر بعضُ شراح شواهد المفصل ، قال : الكاثر : الغالب ، من كاثرتَه فكثرتَه .

و « الأثَرَيْن » جمع أثرى جمع تصحيح ، بمعنى ذى ثروة وذى ثراء ، أى ذى عدد وكثرة مال . قال الأصمعى : ثرا القومُ يَثْرُونَ ، إذا كَثُرُوا ونَمُوا .

ومالك هو جدُّ عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وأبو بكر : عمُّ جدِّه ، واسمه عُبيد بالتصغير ابن كلاب بن ربيعة المذكور . فأبو بكر أخو جعفر بن كلاب . والأحوص هو جدُّ والدِ علقمة بنِ ثلاثة ، لأنَّ علقمة هو علقمة بن عوف ابن الأحوص بن جعفر المذكور . فالأحوص ومالكُ أخوان ، والطفيل وعوف ابنا عمِّ .

« والفُلج » بضم الفاء: اسمٌ من فلج الرجلُ على خصمه يَفْلُجُ فَلْجاً، من باب نصر، وهو الظفر والفوز. وهذا من قبيل التهكم.

وقوله: (ولست بالأكثر منهم حصاً) ظاهره الجمع بين آل بين من في أفعال التفضيل. وجوزهُ أبو عَمَر^(١) الجَرْمِيُّ في الشعر. رأيت (في نوادر أبي زيد) عند الكلام على هذا البيت، قال أبو عَمَر^(٢): هذا يجوز في الشعر، يقال أنت أكثر منه مالاً وأنت الأفضل، إذا لم تأت بمن، فإذا اضطرَّ الشاعر قال: أنت الأفضل منهم. ولا يجوز إلا في اضطرار. ولو قال: أنت الأكبر من هؤلاء، وهو منهم، لكان معناه أنت أكبر منهم. انتهى.

ونسب ابن جني جواز الجمع بينهما إلى الجاحظ (في موضعين من الخصائص) قال في أوائله، في باب الرد على من اعتقد فساد علل النحويين: يُحكى عن الجاحظ أنه قال: قال النحويون إنَّ أفعال الذي مؤنَّته فعلى لا تجتمع فيه الألف واللام ومن، وإنما هو بمن، أو بالألف واللام. ثم قال: وقد قال الأعشى:

ولست بالأكثر منهم حصاً... البيت

رحم الله أبا عثمان، أما إنه لو علم أنَّ من في هذا البيت ليست التي تصحب أفعال للمبالغة، لضرب عن هذا القول إلى غيره، مما يعلو فيه قوله، ويعنو لسدادِهِ وصحَّةِ خَصْمِهِ.

(١) في النسختين: «أبو عمرو»، صوابه «أبو عمر»، وهي كنية صالح بن إسحاق الجرمي البصري، كما في كتب التراجم.

(٢) في النسختين: «أبو عمرو»، وانظر ما سبق. على أن هذا النص لم يرد في نوادر أبي زيد.

وكذلك نسب ابن هشام (في المغنى) هذا القول إلى الجاحظ ووهمه .
ومنَعَ النحاةَ الجمعَ بينهما .

وبينَ ابن جنِّي وجهَ المنع (في أواخر الخصائص) في باب الامتناع
من نقض الفرض ، ومثَّل له أمثلة ثم قال :

ومن ذلك امتناعُهم ، أى امتناع العرب ، من إلحاقِ من بأفعل إذا
عرَّفته باللام ، نحو الأحسن منه . وذلك أن (من) تُكسب ما يتصل
به من أفعل هذا تخصيصاً ما . ألا تراك لو قلت دخلت البصرة فرأيت
أفضلَ من ابن سيرين ، لم يسبق الوهمُ إلا إلى الحسن . وإذا قلت
الأحسن أو الأفضل أو نحو ذلك فقد استوعبت اللامُ من التعريف أكثرَ
مما تفيده من حصَّتها من التخصيص . وكرهوا أن يتراجعوا بعدما
حكموا به من قوَّة التعريف إلى الاعتراف بضعفه إذا هم أتبعوه من
الدالة^(١) على حاجته إليها ، وإلى قدر ما تفيده من التخصيص المُفاد
منه . فأمَّا ما ظنَّ أبو عثمانَ الجاحظُ من أنَّه يدخل على قول أصحابنا في
هذا من قول الشاعر :

ولستَ بالأكثرَ منهم حصاً . . . البيت

فساقطُ . وذلك أنَّ من هذه ليست هى التى تصحب أفعلَ هذا
لتخصيصه . انتهى .

ووجهُ الشارحُ المحقق ، تبعاً لغيره ، ما فى هذا البيت من ظاهر الإشكال
بثلاثة أجوبة :

أحدها : أنَّ من فيه ليست تفضيلية ، بل للتبعيض ، أى لست
من بينهم بالأكثر حصاً .

(١) وصف لمن ، وفى النسختين : « الدالة » ، صوابه من الخصائص ٣ : ٢٣٤ .

يُحتمل من هذا التقرير^(١) أَنَّ يكون مراده أَنَّ الظرف حالٌ من التاء في لستَ ، كما قال ابن جنى (في الموضع الثاني من الخصائص) ، وعبارته : وَمِنْ إِنَّمَا هِيَ حَالٌ مِنْ تَاءٍ لَسْتُ ، كَقَوْلِكَ : لَسْتُ فِيهِمْ بِالْكَثِيرِ مَالًا ، أَيْ لَسْتُ مِنْ بَيْنِهِمْ وَفِي جَمَلَتِهِمْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ ، كَقَوْلِكَ : أَنْتَ وَاللَّهُ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ حُرٌّ ، وَزَيْدٌ مِنْ جَمَلَةِ رَهْطِهِ كَرِيمٌ . هَذَا كَلَامُهُ .

ويحتمل أَنَّ يكون متعلِّقاً بليس كما قال بعضهم ، ونقله ابن هشام (في المغنى) . وَيُرَدُّ عَلَيْهِ شَيْئَانِ : أَحَدُهُمَا أَنَّ لَيْسَ لَا تَدُلُّ عَلَى الْحَدَثِ^(٢) ، فَلَا تَعْمَلُ فِي الظَّرْفِ . وَثَانِيَهُمَا : لَزُومُ الْفَضْلِ بَيْنَ أَفْعَلٍ وَتَمْيِيزِهِ بِالْأَجْنَبِيِّ .

وَأَجَابَ ابْنُ هِشَامٍ (في المغنى) عَنِ الْأَوَّلِ بِأَنَّ الظَّرْفَ يَجُوزُ تَعَلُّقُهُ بِمَا فِيهِ رَائِحَةُ الْفِعْلِ ، وَفِي لَيْسَ رَائِحَةُ النَّفْيِ . وَعَنِ الثَّانِي بِأَنَّ الْفَصْلَ قَدْ جَاءَ لِلضَّرُورَةِ فِي قَوْلِهِ :

* ثَلَاثُونَ لِلْهَجَرِ حَوْلًا كَمِيلًا^(٣) *

وَأَفْعَلٌ أَقْوَى فِي الْعَمَلِ مِنْ ثَلَاثُونَ . انْتَهَى .

وَزَادَ ابْنُ يَعِيشَ (في شرح المفصل) قَالَ : وَيَجُوزُ أَنَّ يَكُونَ مُتَعَلِّقًا بِالْأَكْثَرِ عَلَى حَدِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الظَّرْفُ ، لِأَعْلَى حَدٍّ : هُوَ أَفْضَلُ مِنْ زَيْدٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَلَسْتُ بِالْأَكْثَرِ فِيهِمْ ، لِأَنَّ أَفْعَلَ بِمَعْنَى الْفِعْلِ أَظْهَرَ مِنْهُ فِي لَيْسَ ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ نَصْبُ الظَّرْفِ فِي قَوْلِهِ :

(١) ط : « التقدير » .

(٢) ط : « الحديث » ، صوابه في ش :

(٣) هو الشاهد ٢١٦ في الخزانة ٣ : ٢٩٩ . وصدره :

* عَلَى أَنِّي بَعْدَ مَا قَدْ مَضَى *

فإنَّا رأينا العرضَ أحوجَ ساعةً

إلى الصَّوْنِ من ربطٍ يمانٍ مسهمٍ^(١)

ألا ترى أنَّ الظرف هنا لا يتعلَّقُ إلَّا بأحوج ، وتعليق الظرف
بليس ليس بالسَّهل ، لجريه مجرى الحروف . انتهى .

ولو جعل الظرف حالاً من الضمير في أكثر لاستغنى عن هذا .

٤٩٢

والأكثر على أن من هنا للبيان . قال أبو حيان : من في البيت
للبيان لا للتفضيل ، والمفضل عليه معلومٌ من العهد . وبيان ذلك :
أنَّك تقول لمخاطبك : زيد أفضل من عمرو ، ثم تقول له بعد ذلك :
زيد الأفضل من تميم ، فَمِنْ هنا للبيان ، أى إنَّ زيدا الذى هو أفضل من
عمرو هو من تميم . ولك أن تجمع بينهما فتقول : زيد أفضل من عمرو
من تميم . انتهى .

وعلى هذا فالظرفُ حالٌ لا غير .

وقال بعضهم : من هنا بمعنى (فى) ، ويتعلَّقُ بالأكثر . نقله شارح
أبيات الموشح .

وهذا كُلُّه جوابٌ واحدٌ لإخراجٍ مِنْ مِنَ التفضيل ، لا أجوبةٌ متعدِّدة
كما زعم العيني . غاية ما فى الباب الذاهبون إلى إخراجها من التفضيل
اختلفوا فى معناها .

(١) لأوس بن حجر . وهو الشاهد ٦١٩ فى ص ٢٩٣ .

الجواب الثاني : أنَّ اللام زائدة ، ومن تفضيلية . وهذا الجواب
لأبي زيد (في نوادره) .

الثالث : أنَّ من تفضيلية لكنّها متعلّقة بأفعل آخر عارياً من اللام ،
أى بالأكثر أكثر منهم . فأكثر المنكر المحذوف بدلٌ من الأكثر المعرف
المذكور . وإنّما ضَعَفَه بقوله « على ما قيل » ، لما ذكره في باب البدل من
أنَّ النكرة إذا كانت بدل كلٍّ من معرفة يجب وصفها ، وليس هنا
وصف .

هذا والراوية الصحيحة في هذا البيت ، كما رواه أبو زيد (في
نوادره) ، وهى ثابتة في ديوانه ، ويدلُّ عليها سياق الأبيات ، إنّا هى :
« ولست بالأكثر منه » ، أى من عامر . وعليها فيسقط الجواب
الأول ، ويجاب بأحد الجوابين الأخيرين .

ولما وصلتُ إلى هنا رأيت شرحَ المنافرة التى بين علقمة وبين عامر
بأبسط مما مرَّ ، (في أول شرح المقامات الحريرية للشريشى) ، فلا
بأس بإيراده ، قال :

نافر : حاكمٌ فى النسب . وكانوا فى الجاهلية إذا تنازع الرّجلان فى
الشرف تنافرا إلى حكمائهم ، فيفضّلون الأشرف . وسميت منافرة لأنهم
كانوا يقولون عند المفاخرة : أنا أعزُّ نفراً .

وأشهر منافرة فى الجاهلية منافرة عامر بن الطفيل بن مالك بن
جعفر بن كلاب^(١) مع علقمة بنِ علاثة بن عوف بن الأحوص

منافرة عامر
وعلقمة

(١) ش : « مالك بن كلاب » ، صوابه فى ط وشرح المقامات للشريشى ٢ : ٤٨ .
(١٧ - خزنة الأدب - ج ٨)

ابن جعفر ، حين قال له علقمة : الرِّياسة لِجَدِّي الأَحوص ، وإنَّما صارت إلى عمِّك أبي براءٍ من أجله ، وقد استسنَّ عمُّك ^(١) وقَعَدَ عنها فأنَّا أولى بها منك ، وإن شئتَ نافرْتُك .

فقال له عامر : قد شئتُ والله ، لأنَّا أشرفُ منك حسَباً ، وأثبتَ نسباً ، وأطولَ قَصَباً .

فقال علقمة : أنا فرك وإنِّي لبرٌّ وإنَّك لفاجر ، وإنِّي لولود وإنَّك لعاقِر ^(٢) ، وإنِّي لوافٍ وإنَّك لغادر .

فقال عامر : أنا فرك إنِّي أسمى منك سُمَّةً ^(٣) وأطولُ قِمَّةً ، وأحسنَ لِمَّةً ، وأجعدُ جُمَّةً ، وأبعدُ هِمَّةً .

فقال علقمة : أنا جميل وأنت قبيح ، ولكن أنا فرك ، إنِّي أولى بالخيرات منك .

فخرجت أمُّ عامر فقالت : نافرَه أيُّكما أولى بالخيرات . ففعلوا على أنْ جعلوا مائةً من الإبل يعطيها الحكمَ الذي يُنفَرُ عليه صاحبه . فخرج علقمة ببني خالد بن جعفر وبني الأحوص ، ومعهما القباب والجزر والقُدور ^(٤) ، ينحرون في كلِّ منزلٍ ويطعمون . وخرج عامرُ ببني مالك وقال : إنَّها المقارعة ^(٥) عن أحسابكم ، فاشخصوا بمثل ما شخصوا

(١) في شرح المقامات : « وقد أسن عمك » .

(٢) بعده في شرح المقامات : « وإنِّي لعف وإنك لعاهر »

(٣) السمة ، بضم السين وتشديد الميم : الخاصة من القوم ، كالسامة أيضاً مقابل العامة . وفي شرح المقامات : « أسنى منى سنة » ولا تستقيم مع الجمع . وانظر اللسان (سم ١٩٥) .

(٤) في شرح المقامات : « والجزور والقدر » ، وما هو صوابه .

(٥) ط : « لقارعة » ، صوابه في شر والثريشى .

به . وقال لعمه أبي براء : أعنى . فقال : سبني . فقال : كيف أسبك وأنت عمي ؟ فقال : وأنا لا أسب الأصوص وهو عمي ! ولم ينهض معه .

فجعلا منافرتهما إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية ، ثم إلى أبي جهل بن هشام ، فلم يقولوا بينهما شيئاً .

ثم رجعا إلى هرم بن قطبة بن سنان ^(١) الفزاري فقال : نعم لأحكم بينكما ، فأعطيني موثقاً أطمئن به أن ترضيا بحكمي وتسلمما لما قضيت بينكما ^(٢) .

ففعلا فأقاما عنده أياماً . ثم أرسل إلى عامر فأتاه سرّاً فقال : قد كنت أحسب أن لك رأياً وأن فيك خيراً ، وما حبستك ^(٣) هذه المدة إلا لتنصرف عن صاحبك . أتنافر رجلاً لا تفخر أنت ولا قومك إلا بآبائه ، فما الذي أنت به خير منه ؟ فقال عامر : نشدتك الله والرحم أن لا تفضل على علقمة ، فوالله لئن فعلت لا أفلح بعدها أبداً . هذه ناصيتي فاجزها واحتكم في مالي ، فإن كنت لا بد فاعلاً فسو بيني وبينه . فقال : انصرف فسوف أرى من آرائي ^(٤) .

فانصرف عامر وهو لا يشك أنه ينفره عليه . ثم أرسل إلى علقمة

(١) كذا في ط وأصل ش ، وفي هامش ش : « بخط المؤلف : سنان ، والصواب سيار » . لكني أبقيت ماثبت أنه بخط المؤلف حفاظاً على حقه ، مع ظهور الخطأ فيه ، فالصواب « سيار » بالراء ، كما في شرح الثريشي . ويؤيده ما في الاشتقاق ٢٨٣ وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ٢٥٨ . وسبب الالتباس في هذا مشابته لهرم بن سنان بن أبي حارثة مدوح زهير ، فهذا بنونين .

(٢) الثريشي : « وتسلمما ما قضيت بينكما » .

(٣) هذا ما في الثريشي والأغانى ، وفي النسختين : « وما حبستك » ، تحريف .

(٤) الثريشي والأغانى : « فسوف أرى رأيي » .

سرّاً فقال له ما قال لعامر وقال : أتفاخر رجلاً هو ابن عمّك في النسب وأبوه أبوك ، وهو مع ذلك أعظم منك غنائاً ، وأحمد لقاءً ، وأسمح سباحاً ، فما الذي أنت به خير منه ؟ فردّ عليه علقمة ما ردّ به عامر ، وانصرف وهو لا يشكُّ أنّه ينقّر عامراً عليه .

فأرسل هرمٌ إلى بنيه وبنى أخيه وقال لهم : إننى قائلٌ فيهم غداً مقالةً ، فإذا فرغتُ فليطرد بعضكم عشر جزائر فلينحرها عن علقمة ، وليطرد بعضكم مثلها فلينحرها عن عامر ، وفرّقوا بين الناس لا يكونوا بينهم جماعة^(١) .

ثم أصبح هرمٌ فجلس مجلسه ، وأقبل عامر وعلقمة حتّى جلسا ، فقال هرم : « إنكما يا ابني جعفر قد تحاكمتما عندي ، وأنما كركبتى البعير الآدمر الفحلّ تقعان الأرض^(٢) » ، وليس فيكما واحدٌ إلّا وفيه ما ليس في صاحبه ، وكلاكما سيّد كريم . ولم يفضل واحداً منهما على صاحبه لكيلا يجلب بذلك شراً بين الحيين . ونحر الجزر وفرّق الناس^(٣) .

وعاش هرمٌ حتّى أدرك خلافة عمر ، فقال : يا هرم ، أىّ الرجلين كنتَ مفضّلاً لو فعلتَ ؟ قال : لو قلت ذلك اليومَ عادت جدّةً ، ولبلغت شغفات هجر ! فقال عمر : نعم مُستودعُ السرِّ أنت يا هرم ، مثلك فليستودع العشيّة أسرارهم !

(١) الشريشي : « لا يكون بينهم جماعة » . الأغاني : « لا تكون لهم جماعة » .

(٢) الشريشي : « تقعان على الأرض » ، الأغاني : « تقعان إلى الأرض » .

(٣) في الأغاني : « وفرّقوا الناس » ، وأثبت ما في ش . لكن في ط والشريشي : « وفرّق على الناس » ، ولا إدخالها صحيحة .

والحكاية طويلة قد اختصرناها^(١) .

وقال فيه الأعشى :

حَكَمْتُمُوهُ فَقَضَى بَيْنَكُمْ أبلجَ مثلَ القَمَرِ الباهرِ
لا يأخذُ الرِّشوةَ في حكمه ولا يبالي غَبَنَ الخاسِرِ

انتهى كلام الشريشي .

وقد شرحها بأكثر من هذا مرتين أو ثلاثاً الأصبهاني (في الأغاني) ،
ومن أراد بسطَ الكلام فليَنظرهُ في الجلد الخامس عشر من تجزئة
عشرين^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن عشر بعد السّائة^(٣) :

٦١٨ (ورِثْتُ مُهْلِلاً والخيرَ منه زُهيراً نِعَمَ ذُخْرُ الدَّاخِرِينَا)

على أن اللام في (الخير) زائدة ، ومن في منه تفضيلية . ويجوز
أن يقدر أفعَل آخر عارياً من اللام يتعلّق به منه ، والتقدير : والخيرَ
خيراً منه .

وقال الإمام البيضاوي (في لب اللباب) : ولا يستعمل ، أى اسم
التفضيل : إِلَّا بِمِنْ ، أو اللام ، أو الإضافة . و « الخيرَ منه » قليل . وهذه^(٤)
إشارة إلى البيت .

وأجاب شارحه السيّد عبد الله بما أجاب به الشّارح المحقّق ، من
التخريجين .

(١) الشريشي : « والحكاية طويلة » ، فقط .

(٢) انظر الأغاني ١٥ : ٥٠ - ٥٥ .

(٣) لم أجد له تخريجاً في الشواهد .

(٤) ط : « وهذا » .

ولم يقل إنَّ من ليست فيه تفضيلية كما قال في البيت الذي قبله ،
لأنَّه لم يتأتَّ ذلك هنا .

صاحب الشاهد ٤٩٤ شرح أبيات منها في الشاهد الثامن والثمانين بعد المائة ^(١) ، وبعده :

(وعتَاباً وكلثوماً جميعاً بهم نِلنا ثِراثَ الأكرمينَا)

وقوله : (ورثتُ مهلهلاً) إلخ ، هو بالتكلم . ومهلهل : اسم جدُّ الشاعر من قَبْل أُمِّه . وهو أخو كليب بن وائل ، وصاحب حرب البسوس أربعين سنة . وتقدّمت ترجمته مع سبب تسميته بمهلهل في الشاهد العاشر بعد المائة ^(٢) .

وقوله : (والخيرَ مِنْه) أى ورثتُ خيراً من مهلهل . و (زهيراً) عطف بيان للخير ، وإنَّما كان زهير خيراً من مهلهل لأنَّه جدُّه من قبل أبيه ، فإنَّ صاحبَ المعلّقة كما تقدّمت ترجمته ، هو عمرو بن كلثوم ابن عتّاب بن مالك بن ربيعة بن زهير بن جُشم بن بكر بن حبيب ابن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل .

والمخصوص بالمدح في (نعم ذخر الذاخرينا) زهير على حذف مضاف ، يريد : ورثتُ مجدَّ مهلهل ومجد زهير ، فنعم ذخر الذاخرين زهير ، أى مجده وشرفه ، للافتخار به .

وقوله : « عتّاباً وكلثوماً » إلخ . عتّاب جدُّ الشاعر . وكلثوم أبوه . يقول : ورثنا مجدَّ عتّاب وكلثوم ، وبهم بلغنا ميراثَ الأكارم ، أى حُرْنَا مآثرهم ومفاخرهم فشرّفنا بها وكَرَّمْنَا .

* * *

(١) الخزانة ٣ : ١٧٧ - ١٨٥ .

(٢) الخزانة ٢ : ١٦٤ - ١٧٤ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع عشر بعد السّائة ، وهو من أبيات الإيضاح للفرسي^(١) :

٦١٩ (فَإِنَّا رَأَيْنَا الْعِرْضَ أَحْوَجَ سَاعَةً إِلَى الصَّوْنِ مِنْ رَيْطٍ يَمَانٍ مُسَهَّمٍ)

على أنه يجب أن يلى أفعال التفضيل إمّا من التفضيلية ، كما في قولهم : زيد أفضل من عمرو ، وإمّا معموله كما في البيت ، فإنّ ساعة ظرف لأحوج .

ومثله قوله تعالى : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾^(٢) ، وقال تعالى : ﴿قَالَ رَبُّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾^(٣) .

وقد يفصل بالنداء أيضاً . قال جرير :

لَمْ أَلْقَ أَحَبُّ يَافِرْزَدَقُ مِنْكُمْ لَيْلًا وَأَحَبُّ بِالنَّهَارِ نَهَارًا^(٤)

قال أبو البقاء (في شرح الإيضاح) : رأينا هنا بمعنى علمنا . وأحوج اسمٌ يراد به التفضيل ، وهو منفعول ثانٍ لرأينا ، وساعة منصوب بأحوج وإلى الصّون متعلّق به أيضاً ، وكذلك « من رَيْط » . وجاز أن يتعلّق حرفاً الجرّ بأفعل لأنّ معناهما مختلف ، ومن هي التي يقتضيها^(٥) أفعل . والاقوى أن يقدّم من على إلى ، لأنّ تعلّق من بأفعل يوجب معنى في أفعل وهو التخصيص ، فإذا فصلت بينهما ضعفت علّفته به ، ومع هذا فهو

(١) ابن يعيش ٢ : ٦١ / ٦ : ١٦٤ وشنور الذهب ٤١٥ وديوان أوس بن حجر ١٢١ .

(٢) الآية ٦ من سورة الأحزاب .

(٣) الآية ٣٣ من سورة يوسف .

(٤) ديوان جرير ٢٣٢ والممع ٢ : ١٠٤ .

(٥) ش : « تقتضيها » .

جائزُ وَرَدَ القرآنُ به . قال تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ^(١) ﴾
وقال تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ ^(٢) ﴾ . وهو أَكْثَرُ مِنْ أَنْ أُحْصِيَهُ .
وإنَّما ذكره أبو علي ليبين لك أَنَّ عملَ أَحوج في ساعة ليس على حَدِّ
عمله في من التَّيِّ للمفاضلة ، كما أَنَّ قوله بالأكثر منهم لا يتعلَّق من
بالأكثر على هذا الحدِّ ، بل على حَدِّ تعلُّق ساعةً بأحوج . وأمَّا إلى ، ومن
رَيْط ، فيتعلَّقان بأحوج لا محالة . فَإِنْ قيل : لم لا تعلِّق ساعة برأينا ؟
قيل : يمتنع من وجهين : أحدهما أَنَّ المعنى ليس على هذا ، بل المعنى على
شِدَّة حاجة العرض إلى الصَّوْن في أيِّ ساعةٍ كانت . والثاني : أَنَّك
لو نصبتهَا برأينا لفصلتَ بها بين أحوج وما يتعلَّق به وهو أَجْنَبِيٌّ ، فلم
يَجْزُ . انتهى كلام أبي البقاء .

٤٩٥

والبيت من قصيدة طويلة جداً لأوس بن حجر ^(٣) ، وقبلة :

(ومستعجب مما يرى من أناتنا ولو زينتَه الحربُ لم يترمرم)

فإنَّا وجدنا العرض البيت

أرى حربَ أقوامٍ تَدِقُّ وحرْبُنَا تحِلُّ فتَعْرَوِرِي بها كلُّ مُعْظَمٍ

تري الأرضَ مِنَّا بالفضاءِ مريضَةً

معضلةً مِنَّا بجمعٍ عَرَمَرَمٍ)

(١) الآية ١٦ من سورة ق .

(٢) الآية ٨٥ من سورة الواقعة .

(٣) في ديوانه ١١٧ - ١٢٤ وليست طويلة جداً فإنها في ٤٨ بيتاً فقط .

وقوله: «مستعجب ممّا» إلخ^(١) الواو واو ربّ، ومستعجب: اسم فاعل.
قال صاحب العباب: واستعجبت منه: تعجّبت منه. وأنشد هذا البيت.

والأناة بالفتح: اسمٌ للتأني، يقال تأنّى في الأمر: تمكّث ولم يعجل.
وزبنته: دفعته، يقال زبنت الناقة حالبها زبناً، من باب ضرب:
دفعته برجلها، فهي زبونٌ. وحربٌ زبونٌ أيضاً، لأنها تدفع الأبطال
عن الإقدام خوف الموت. ومنه الزبانية، لأنهم يدفعون أهل النار
إليها. قال صاحب الصحاح: وترمرم، إذا حرّك فاه للكلام. وأنشد
هذا البيت.

وقوله: «فإنّا وجدنا العِرض» إلخ العِرض، بالكسر، قال الشريف
(في أماليه): هو موضع المدح والذم من الإنسان. فإذا قيل ذُكر عرضُ
فلانٍ، فمعناه ذكر ما يرتفع به أو ما يسقط بذكره ويُمدح أو يذمُّ
به. وقد يدخل بذلك ذكر الرجل نفسه وذكر آبائه وأسلافه؛ لأنَّ
كلَّ ذلك مما يمدح به ويذمُّ. والذي يدلُّ على هذا أنَّ أهل اللغة لا يفرقون
في قولهم شتم فلانُ عرضَ فلانٍ، وبين أن يكون ذكره في نفسه بقبيح
أو شتم سلفه وآبائه. ويدلُّ عليه قولُ مسكين الدارمي:

رُبَّ مهزولٍ سمينٍ عِرضُهُ وسمينٍ الجسمِ مهزولٍ الحسبُ
فلو كان العِرض نفسَ الإنسان لكان الكلام متناقضاً، لأنَّ السمينَ
والهزولَ يرجعان إلى شيء واحد. إلى آخر ما فصله^(٢).

(١) في النسختين: «منا»، صوابه ما أثبت:

(٢) أمال المرتضى ١: ٦٣٢ - ٦٣٣.

وردَّ على ابن قتيبة في زعمه أَنَّ العِرْضَ هو النَّفْسُ ، ونَقَضَ ما استدلَّ به .

وقد أَحْكَمَ الكلامَ على معنى العِرْضِ ابنُ السَّيِّدِ البَطْلَيْوسِيُّ أَيْضاً (في أوائل شرح أدب الكاتب لابن قتيبة) . وكذلك حَقَّقَ المراد من العِرْضِ ابنُ الأَنْبَارِيِّ (في كتابه الزاهر) ، ولولا خوفُ الإطالة لأوردتُ كلامَهُمَا .

ويؤيِّدُ كلامَ الشَّريف المرتضى قولُ ابن السكيت في شرح هذا البيت (من شرح ديوان أوس) يقول : العِرْضُ يحتاجُ سُويعةً إلى أَنْ يُصَان . فَإِنْ سَقِيَ الرجلُ عليه قطعَ عَرْضِهِ ومَزَّقَهُ إن لم يحتمل فيصونه . انتهى . وقوله : « أَحوج » قال ابن جنى (في إعراب الحماسة) : هذا خلاف القياس ، لأنَّه أَفْعَلُ تفضيلٍ من المزيْد ، قالوا : ما أَحوجَّه إلى كذا ، وقياسُه : ما أَشَدَّ حاجته ، أو ما أَشَدَّ احتياجه . وأنشد هذا البيت .

وفيه نظر ، فَإِنَّ الثَّلَاثِيَّ المجرَّدَ منقول ثابت . قال صاحب الصحاح وغيره : وحاجٌ يَحُوجُّ حَوْجاً ، أى احتاج ، قال الكيت ^(١) :

غَنَيْتُ فلم أَرْدِدْكُمْ عند بُغْيَةٍ وَحُجَّتْ فلم أَكْدُدْكُمْ بالأَصَابِعِ ^(٢)
وَأَحوجُهُ إليه غيره . وَأَحوجُ أَيْضاً بمعنى احتاج . انتهى .

وروى بدله : « أَفَقَرَّ سَاعَةً » وهذا عند الجوهريَّ شاذٌّ . قال : وقولهم : فلانٌ ما أَفقره وما أَغناه ، شاذٌّ لأنَّه يقال في فعلهما افتقر واستغنى ، فلا يصحُّ التعجُّبُ منه . انتهى .

٤٩٦

(١) هو الكيت بن معروف ، كافي اللسان (حوج) ، وفي اللسان (كدد) : « وأنشد الكيت » . وانظر ملحقات ديوان الكيت ١ : ٢٥١ .
(٢) وروى أيضاً : « حجت » بكسر الحاء ، من قولهم : حاج يحيج .

وفيه نظرٌ أيضاً؛ فإنّ ثلاثيه مسموعٌ أيضاً . قال صاحب المصباح:
الفقير فعيل بمعنى فاعل ، يقال فَقِرَ يَفْقِرُ ، من باب تعب ، إذا قلَّ
ماله . قال ابن السّراج : ولم يقولوا فَقَرَ أَى بالضم ، استغنوا عنه بافتقر .
انتهى .

وتنوين ساعةً للتذكير والتقليل ، كما فهم من كلام ابن
السّكّيت . وقال ابن برّى : قال أبو الفتح بن جنى : قوله ساعة يريد
ساعة الغضب ، فاستغنى عن الإضافة لدلالة اللفظ عليه . انتهى .

والمعنى أنّ العرضَ يُصان عند ترك السّفه في أقلّ من ساعة إذا ملك
نفسه ، فكيف لا يصان إذا داومَ عليه . والعرض أكثر احتياجاً إلى
الصّون من الثياب النفيسة ، فإنّ عرض الرجل أحوجُ إلى الصّيانة عن
الدّنس والرّين من الثوب الموشّى المزين . وعنى بالساعة ساعة الغضب
والأنفة ، فإنّه كثيراً ما أهلك الحلم . وأتلفه . وفي المثل السائر : « الغضب
غُولُ الحِلْمِ » .

والرّيّط واحده ريطرة ، قال صاحب المصباح : الرّيّطة بالفتح :
كلُّ ملاءة ليست لِفَقَيْن ، أى قطعتين ، والجمع رباط ورّيّطُ أيضاً ، مثل
تمرّة وتمر . وقد يسمّى كلُّ ثوبٍ رقيقٍ رّيّطة . انتهى .

والمعنى الآخر هو المراد هنا . قال ابن السكّيت : ومُسَهَّمٌ : فيه وشى
مثل أفواق السّهام^(١) . وقال الجوهري : المسهّم : البرد المخطّط .

وقوله : « أرى حربَ أقوام » إلخ . قال صاحب المصباح : الدّقيق :

(١) الأفواق : جمع فوق ، بالضم ، وهو مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . وفي ط :
«أفراق» صوابه في ش .

خلاف الجليل . ودَقَّ يَدَقُّ من باب ضرب دَقَّةً : خلاف غَلِظَ ، فهو دَقِيقٌ . ودَقَّ الأمرُ دَقَّةً أَيْضاً ، إذا غَمَضَ وخَفِيَ معناه ، فلا يكاد يفهمه إِلَّا الْأَذْكِيَاءُ . وَجَلَّ الشَّيْءُ يَجِلُّ بالكسر : عَظُمَ فهو جَلِيلٌ . قال ابن السكيت : يقول : نحن نسرُعُ إلى هذه الحربِ كما يَعَجَلُ الرجلُ إلى فرسه فيَعْرَوِرِيه ، أي يركبُه عرياناً . ويقال : قد اعرورَى فرسَه ، إذا ركبَه عُرياً ، بالضم . انتهى .

وقوله : « ترى الأرض منَّا » إلخ ، في الصحاح : وعَضَلَتِ الشَّاةُ تعضياً إذا نَشِبَ الولد فلم يسهل مخرجه ، وكذلك المرأة ، وهي شاةٌ معضلةٌ ومعضَلٌ أَيْضاً بلا هاءٍ . وعَضَلَتِ الأرضُ بأهلها : غَصَّتْ بهم . وأنشد هذا البيت .

والعَرَمَرَم : الجيش الكثير . قال ابن السكيت : هذا مَثَلٌ ضربه ، شَبَّهَ الأرضَ بالجُبلى التى تتمخَضُ وقد نَشِبَ ولدُها فى بطنها . فيقول : قد نَشَبْنَا بالأرض من كثرتنا .

وأوس بن حجر شاعر جاهلى ، تقدّمت ترجمته فى الشاهد الرابع عشر بعد الثلاثمائة ^(١) .

وحَجَرَ ، بفتح الحاء والجيم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى للعشرين بعد الستمائة ^(٢) :

٦٢٠ (واستنزلَ الرِّبَاءَ قَسْراً وهى مِنْ

عُقَابِ لُسُوحِ الجَوِّ أَعْلَى مُنْتَمَى)

(١) الخزائن ٤ : ٣٧٩ - ٣٨٠ .

(٢) من مقصورة ابن دريد .

على أَنَّ تقدُّم (من) على أفعال التفضيل إذا لم يكن مجرورُها اسم استفهام خاصٌّ بالشعر .

وهذا مذهبُ الجمهور ، وهو قليلٌ عند ابن مالك لا ضرورة .
وأما تقدُّمها على المبتدأ نحو : من زيد أنت أفضل : فضرورةٌ اتِّفاقاً .

وقال ابن هشام اللخمي في شرح هذا البيت : من عقاب متعلق بأعلى وإنما قدمه ضرورة ، لأنَّ أفعال لا يقوى قوَّة الفعل فيعمل عمله فيما قبله فلا يجوز . من زيد أنت أفضل ، فتقدَّم الجارُّ عليه ، لضعفه ، إلَّا أنَّه جائزٌ هنا للضرورة ، كما قال الفرزدق :

٤٩٧

وقالت لنا أهلاً وسهلاً وزودت

جَنَى النَّحْلِ أَوْ مَا زَوَّدَتْ مِنْهُ أَطِيبٌ^(١)

انتهى . ولا يخفى أَنَّ المثالَ مخالفٌ للبيتين ؛ فإنَّه مما تقدَّمت من فيه على المبتدأ والخبر ، والبيتان مما تقدَّمت من فيه على الخبر فقط .

والبيت من مقصورة ابن دريد المشهورة . وقبله :

صاحب الشاهد

(وقد سَمَا عَمَرُو إلى أوتاره فاحتطَّ منها كلٌّ على المستمى)

سما يسمو سموًا : ارتفع . والأوتار : جمع وتر بكسر الواو وفتحها وهو طلبُ الإنسان بجناية . واحتطَّ : افتعل من الحَطَّ بالمهملتين : أنزل . وعالٍ : مرتفع . ومستمى : مفتعلٌ من سما يسمو .

وعمرُو هو عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة بن عبد الحارث بن عمرو بن عدى معاوية بن مالك بن غنم بن غمارة بن لخم ، ملك الحيرة . ملكَ بعد خاله

(١) ديوان الفرزدق ٣٢ والمعنى ٤ : ٣ ، وابن يمش ٢ : ٦٠ .

جَذِيمة مائة وثمانى عشرة^(١) سنة . وهو أوّل مَنْ ملك من ملوك لَحْم .
وكان مدّة ملك لَحْم بالحيرة خمسماية سنة .

وكان من حديث عدىّ أَنَّ جَذِيمة قال ذات يوم لندمائه : لقد ذُكِرَ
لى غلامٌ من لحم فى أخواله من بنى إِياد ، له ظرفٌ وأدبٌ ، فلو بعثتُ
إليه وولّيته كأسى ، والقيام على رأسى ، لكان الرأى . فقالوا : الرأى
مارآه الملكُ فليبعثْ إليه . ففعلَ ، فلمّا قدّم عليه قال : من أنت ؟
قال : أنا عدىّ بن نصر . فولّاه مجلسه ، فعشّقته رَقاش بنتُ مالك ،
أخت جذيمة ، فقالت له : يا عدىّ إذا سقيتَ القومَ فامزُجْ لهم وعرقٌ
للملك ، أى امزُجْ له قليلاً كالعرق ، فإذا أخذتِ الخمر منه فاخطبني
إليه فإنّه يزوّجك ، فأشهدِ القومَ إنَّ^(٢) فعل . ففعل الغلامُ وخطبها ،
فزوّجه وأشهد عليه ، وانصرف إليها فعرفها ، فقالت : عرسٌ بأهلك .
فلمّا أصبح غداً متضمّخاً بالخلوق ، فقال له جذيمة : ما هذه الآثار
يا عدىّ ؟ قال : آثارُ العرس . قال : وأى عرس ؟ قال : عرس رَقاش .
فنخر وأكبَّ على الأرض ، ورفع عدىّ جراميزه^(٣) فأسرّع جذيمة فى
طلبه فلم يجدّه ، وقيل بل قتله وبعث إليها :

حدّثني وأنت لا تكذّبينى أبحرٍ زنيّتِ أم بهجين^(٤)
أم بعبدٍ فأنّتِ أهلٌ لعبدٍ أم بدونٍ ، فأنّتِ أهلٌ لدون
فأجابته رقاش :

(١) ط : « : » وثمان عشرة » ، وهى لغة جائزة . انظر اللسان (ثمن ٢٣١) .

(٢) فى الأغاني « إن هو فعل » .

(٣) أى استعد للفرار . والجراميز : اليدان والرجلان .

(٤) الأغاني ١٤ : ٧٠ والشريشى ٢ : ٤ .

أَنْتَ زَوْجَتْنِي وَمَا كُنْتُ أَدْرِي
وَأَتَانِي النِّسَاءُ لِلتَّزْيِينِ^(١)
ذَاكَ مِنْ شُرْبِكَ الْمُدَامَةَ صِرْفًا
وَتَمَادِيكَ فِي الصَّبَبِ وَالْمَجُونِ

فنقلها جذيمة إليه وحصنها في قصره ، فاشتملت على حمل وولدت غلاماً فسمته عمراً ، حتى إذا ترعرع حلتها وعطرتة^(٢) ثم أزارته خاله فأعجب به ، وألقيت عليه محبة منه . ثم إن جذيمة نزل منزلاً وأمر الناس أن يجتنوا له الكماة ، فكان بعضهم إذا وجد شيئاً منها يعجبه آثر به نفسه على جذيمة ، وكان عمرو بن عدى يأتيه بخير ما يجد ، فعندها يقول عمرو :

هَذَا جَنَائِي وَخِيَارُهُ فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ

ثم إن الجن استهوته فطلبه جذيمة [في آفاق الأرض^(٣)] فلم يسمع له خبراً ، إذ أقبل رجلان من بني القين ، يقال لأحدهما مالك وللآخر عقيل ابنا فالج^(٤) ، ويروى فارح ، من الشام ، وهما يريدان الملك بهدية ، فنزلا على ماءٍ ومعهما قينة يقال لها أم عمرو ، فنصبت لهما قدراً وهيأت لهما طعاماً ، فبينما هما يأكلان إذ أقبل رجل أشعث الرأس قد طالت أظفاره ، وساءت حاله ، ومد يده فناولته القينة طعاماً فأكله ، ثم مد يده فقالت القينة : « أُعْطِيَ الْعَبْدُ كُرَاعًا فَطَلَبَ ذِرَاعًا^(٥) » ، فأرسلتها

(١) البيتان أغفلهما أبو الفرج ، وهما عند الشريشي برواية : « فَأَتَانِي » .

(٢) بعده في الأغاني والشريشي : « وَأَلْبَسَتْهُ كِسْوَةً مِثْلَهُ » .

(٣) التكلفة من ش . وفي الأغاني : « فَلَمْ يَزَلْ جَذِيمَةُ يَرْسِلُ فِي الْآفَاقِ فِي طَلْبِهِ » .

(٤) ط : « ابنا فالج » ، ويروى : فارح « بالحاء المهملة فيها ، والصواب في ش والأغاني والشريشي ، حيث ذكر الأول « فالج » والآخر « فارح » .

(٥) في الأغاني : « إِنَّ يَعْطَى الْعَبْدُ كُرَاعًا يَتَسَعُ ذِرَاعًا » . وانظر بخمرة الأمثلة ١ : ١٠٧ .

مثلاً . ثم ناولت صاحبها من شرابها ، وأوكت سقاءها ، فقال عمرو ابن عدى

صددتِ الكأسَ عنا أمَّ عمرو وكان الكأسُ مجراها اليمين
وما شرُّ الثلاثة أمَّ عمرو بصاحبك الذى لا تصبحينا

ويروى هذا الشعر لعمرو بن كلثوم التغلبي . ويقال إن عمرو بن كلثوم أدخله في معلقته . والله أعلم .

وهما من شواهد سيبويه . ومجراها بدلُ من الكأس ، واليمين خبر كان . وإن شئت جعلت مجراها مبتدأً واليمين ظرفاً ، كأنه قال : ناحية اليمين ، وهو خبر عن مجراها ، والجملة خبر كان .

فقال له الرجلان : من أنت ؟ قال : أنا عمرو بن عدى . فقاما إليه وسلما عليه ، وقلما أظفاره وقصرا من شعره ، وألبسا من طرائف ثيابهما وقالا : ما كنَّا نهدى إلى الملك هديةً هى أنفسُ عنده ولا هو عليها أحسنُ عطاءً من ابن أخوته ، قد ردَّه الله عليه . فلما وقفا بباب الملك بشراه فسُرَّ به ، وصرفه إلى أمه وقال : لكما حكمكما . فقالا : حُكْمنا مُنادمُك ما بقيتَ وبقينا . قال : ذلك لكما .

فهما ندمانا جذيمة المعروفان . وإيأهما غنى متمِّم بن نويرة بقوله في مرثيته لأخيه مالك بن نويرة :

. وكُنَّا كَندَمَانِي جَذِيمَةَ حِقْبَةٍ من الدَّهرِ حتَّى قيلَ لن يتصدَّعا^(١)
فلَمَّا تفرَّقنا كَانِي ومالكاً لطولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا

وقال أبو خِراش الهذلي يرثي أخاه عروة :

ألم تعلمي أنّ قد تفرّق قبلنا نديماً صَفَاءً مالِكٌ وعَقِيلٌ^(١)

وروى أنّ جذيمة كان لا ينادم أحداً كبيراً وزهواً . وكان يقول :
أنا أعظم من أن أنادم إلا الفرقدين . فكان يشرب كأساً ويصبُّ لكلٍّ
واحدٍ منهما كأساً ، فلما أتى مالك وعقيل نادماه أربعين سنة ما أعادا
عليه حديثاً .

ثم إنّ أمَّ عمرو جعلت في عنقه طوقاً من ذهبٍ لنذرٍ كان عليها ،
ثم أمرته بزيارة خاله ، فلما رأى لحيته والطَّوقَ في عنقه قال : « شَبَّ
عمرو عن الطَّوق ! » . فذهبت مثلاً .

وأقام عمرو مع خاله جذيمة قد حمَل عنه عامّة أمره ، إلى أنّ قُتل .
وقوله : (فاستنزل الزَّبَاءَ قَسْراً) البيت ، أى أنزل الزَّبَاءَ . وفاعله
ضمير عمرو المذكور في البيت قبله ، والزَّبَاءُ مفعوله .

والزَّبَاءُ ملكة اسمها نائلة ، وقيل فارعة ، وقيل ميسون . وكانت
زرقاء . ومن النساء الموصوفات بالزَّرَقِ زرقاء البجامة . وكانت البسوس
أيضاً زرقاء .

والزَّبَاءُ تمدّد وتقصّر . فمن مدَّ جعل مذكرها أزَبٌ ، ومن قصر جعل
مذكرها زَبَّان .

وكان لها شعرٌ ، وإذا مشت سحبتة وراءها ، وإذا نشرته جلَّلها فسميت
الزَّبَاءَ . والأزَبُ : الكثير الشعر .

(١) ديوان الهذليين ٢ : ١١٧ وشرح السكري ١١٩٠ .

واختلف في نسبها ، ففيل كانت رومية وكانت تتكلم بالعربية ،
ومدائنهما على شاطئ الفرات من الجانب الشرق والغرب . وقيل إنها بنت
عمرو بن ظرب بن حسان ، من أهل بيت عاملة من العماليق ، ملكت^(١)
الشام والجزيرة .

وقيل إن الزباء بنت مليح بن البراء ، كان أبوها ملكاً على الحضر ،
وهو الذي ذكره عدى بن زيد بقوله :

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دج لمة تجبى إليه والخابور^(٢)

قتله جذيمة وطرد الزباء إلى الشام فلحقت بالروم ، وكانت عربية
اللسان ما رُئي في نساء زمانها أجمل منها . وكانت كبيرة الهمة ، وبلغت
من همتها أن جمعت الرجال وبذلت الأموال ، وعادت إلى مملكة أبيها
فأزالت جذيمة عنها ، وبنت على الفرات مدينتين متقابلتين ، وجعلت
بينهما أنفاقاً تحت الأرض ، وتحصّنت ، وهادنت جذيمة مدة ، ثم خطبها
فاستدعته وقتلته ، كما تقدّم شرحه في الشاهد الرابع والثلاثين بعد
الخمسمائة من باب العلم^(٣) .

وقوله : (من عقاب لُوح) الخ ، العُقاب بالضم : طائر معروف .
واللُوح بالضم : الهواء ، والجو ما بين السماء والأرض . ونظم ابن دريد
قول عمرو بن عدى لقصير : « كيف أقدر على الزباء وهى أَمْنَعُ من
عُقاب لُوح الجو » كما يأتى .

ومنتمى : مرتفع ، في القاموس : وانتمى البازى : ارتفع من

(١) ش : « ملكة » .

(٢) ديوان عدى بن زيد ٨٨ .

(٣) الخزانة ٧ : ٢٩٣ - ٢٩٥ .

موضعه إلى آخر . ويروى : « أعلى منتهى » أى أعلى ما يُنتهى إليه . قيل
قد غلط فيه ، لأنَّ العرب لا تقف بالتنوين ، ومنتمى هنا منصوب على
التمييز ، والوقف فيه عند سيويه على الألف المبدلة من التنوين .

وقد حَقَّقَ الشارح المحقق في باب الوقف (من شرح الشافية) أنَّ
هذا ليس مذهب سيويه ، وأنَّ هذه الألف لام الكلمة لا الألف المبدلة
من نون التنوين .

وَقَسْرًا : قهراً ، إمَّا مفعول مطلق وإمَّا حال . أى فاستنزل الزبَاءَ كارهةً .
يريد أنَّ عمرًا أخذ ثأره منها فقتلها ، وإنَّمَا قَدَّرَ عليها بإعانة قصير بن
سعد ، من أصحاب جذيمة ، فَإِنَّهُ قال لعمر بن عدى بعد قتل جذيمة :
ألا تطلبُ بثأر خالك ؟ فقال : وكيف أقدر على الزَّبَاءِ وهى أَمْنَعُ من
عقاب لُوحِ الجَوِّ ! فَأَرْسَلَهَا مثلاً . فقال له قصير : « اطلبُ الأَمْرَ وَخَلَاكَ
ذمُّ ! » ، فذهبت مثلاً أيضاً .

ثم إنَّ قصيراً جدع أنفه وقطع أذنه بنفسه ، وفيه قيل : « لأمر
مَا جدع قصيرُ أنفه » . ثم لحق بالزَّبَاءِ زاعماً أنَّ عمرو بن عدى صنع
به ذلك ، وأنَّه لجأ إليها هارباً منه ، ولم يزل يتلطَّفُ بها بطريق
التجارة وكسب الأموال ، إلى أن وثِّقَتْ به وعلم خفايا قصيرِها وأنفاقه .
فلما كان في السَّفْرة الثالثة اتَّخَذَ جُوعَالَاتٍ كجِوَالِقِ المال ، وجعلَ
رُبُطَهَا من داخل الجِوَالِقِ في أسفلهِ ، وأدخلَ فيها الرجالَ بالأسلحة ،
وأخذ عمرو بنَ عدى معه ، وقد كان قصيرٌ وصفَ لعمر بنَ عدى النَّفَقَ ،
ووصف له الزَّبَاءَ ، فلَمَّا دخلت الجمالُ المدينة جاءَ عمرو بن عدى على
فرسِهِ فدخل الحِصْنَ بعَقْبِ الإِبِلِ ، وبركت الإِبِلُ ، وحلَّ الرجالُ الجِوَالِقَاتِ

وَمَثَلُوا بِالْمَدِينَةِ ، وَوَقَفَ عَمْرُو عَلَى بَابِ النِّفْقِ ، فَلَمَّا جَاءَتْ الزَّبَائِدُ هَارِبَةً
جَلَّلَهَا بِالسَّيْفِ وَاسْتَبَاحَ بِلَادَهَا .

وقد تقدّم شرح هذه القصة ببساطة من هذا في شرح الشاهد المذكور .
وترجمة ابن دريد تقدمت في الشاهد الثامن والسبعين بعد المائة ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الواحد والعشرون بعد الستمائة ^(٢) :

٦٢١ (قُبِحْتُمْ يَا آلَ زَيْدٍ نَفَرًا أَلَّامَ قَوْمٍ أَصْغَرًا وَأَكْبَرًا) ٥٠٠

على أن أفعل قد يأتي بمعنى اسم الفاعل أو الصفة المشبهة قياساً عند
المبرّد ، سماعاً عند غيره . وهو الأصحُّ كما في البيت فإنّهما بمعنى صغير
وكبير .

وهذا البيت أورده المبرّد (في الكامل) عند شرح قول الفرزدق :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

قال : وجائز أن يكون التقدير : دعائمه عزيزة طويلة ، كما قال
الآخر :

* قُبِحْتُمْ يَا آلَ زَيْدٍ نَفَرًا * البيت

قال : يريد صغاراً وكباراً .

و (في التسهيل وشرحه لابن عقيل) : واستعماله عارياً دون من

(١) الخزانة ٣ : ١١٩ - ١٢١ .

(٢) المقرب ٣ : ٣٤٧ والكامل ٤٢٣ .

مجرداً عن معنى التفضيل مؤولاً باسم الفاعل : ﴿هو أعلم^(١) بكم﴾ أى عالمٌ أو صفةٌ مشبهة : ﴿وهو أهون عليه^(٢)﴾ أى هيّن - مطردٌ عند المبرد . وعليه المتأخرون . وحكى ابن الأنبارى الجواز عن أبى عبيدة ، والمنع عن النحويين . والأصح قصرُ على السماع . قيل لقلّة ما ورد^(٣) من ذلك . وفيه نظر ظاهر ، ولعل وجهه أنّ الوارد قابلٌ للتأويل ، إلا أنّ فى بعض التأويل تكلفاً ، وموضع التكلف قليل ، ومنه : ﴿بناتى هن أطهر لكم^(٤)﴾ أى طاهرات ، ﴿لا يضلّها إلا الأشقى^(٥)﴾ أى الشقى . والوجه ، أنّ ذلك . مطرد ، ولزوم الأفراد والتذكير فيما ورد كذلك أكثر من المطابقة . فالأفراد : ﴿خيرٌ مستقراً وأحسن مقيلاً^(٦)﴾ ، ﴿نحن أعلم بما يستمعون^(٧)﴾ والمطابقة :

إذا غاب عنكم أسود العين كنتم كراماً وأنتم ما أقام الأئيم^(٨)
فالأئيم جمع الأئم بمعنى لئيم . وإذا صحّ جمع أفعال العارى المجرد عن معنى التفضيل إذا جرى على جمع ، جاز تأنيثه إذا جرى على مؤنث . وعلى هذا يكون قول الحسن بن هانئ :

كأن كبرى وصغرى من فقاقتها حصباء درّ على أرضٍ من الذهب
صحيحاً ، لأنّه تأنيث أصغر وأكبر ، بمعنى صغير وكبير ، لا بمعنى التفضيل . انتهى .

(١) الآية ٣٢ من سورة النجم .

(٢) الآية ٢٧ من سورة الروم .

(٣) ط : « أورد » .

(٤) الآية ٧٨ من سورة هود .

(٥) الآية ١٥ من سورة الليل .

(٦) الآية ٢٤ من سورة الفرقان .

(٧) الآية ٤٧ من سورة الإسراء .

(٨) نسب إلى الفرزدق فى العيى ٤ : ٥٧ وليس فى ديوانه .

وقال الشاطبي عند قول ابن مالك :

وأفعل التَّفضيل صَلُّهُ أَبَدًا تقديرًا أو لفظًا بمن إن جُرِّدا

قوله : « أبدا » فيه تنكيته^(١) وتنبيه على أَنَّ المجرّد لا يأتي بمعنى اسم الفاعل مجرّداً من معنى من قياساً أصلاً ، خلافاً للمبرّد القائل بأنّه جائز قياساً ، فيجوز عنده أن تقول : زيد أفضل ، غير مقصود به التفضيل على شيء ، بل بمعنى فاضل . وزعم أَنَّ معنى قولهم في الأذان وغيره : الله أكبر : الله الكبير ، لأنّ المفاضلة تقتضي المشاركة في المعنى الواقع فيه التفضيل ، والمفاضلة في الكبيرياء هنا تقتضي المشاركة إن قَدَّرَ فيه : من كل شيء . ومشاركة المخلوق للخالق في ذلك أو في غيره من أوصافِ الرَّبِّ مُحالٌ ، بل كلّ كبير بالإضافة إلى كبريائه لا نسبة له ، بل هو كلا شيء . وكذلك قال في قوله : ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾^(٢) تقديره معنى : وهو هينٌ عليه ، لأنّ جميع المقدورات متساوية بالنسبة إلى قدرة الله ، فلا يصحُّ في مقدورٍ مفاضلةُ الهون فيه على مقدورٍ آخر . ومنه قوله تعالى : ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴾ إذ لا مشاركة لأحدٍ بين علمه وعلم الله تعالى . ومن ذلك قول الفرزدق :

إِنَّ الذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بيتاً . . . البيت

أى عزيزة وطويلة . فهذه مواضع لا يصحُّ فيها معنى المفاضلة ،

٥٠١

(١) المراد بالتنكيته هنا الإشارة . وفي اللسان : « ونكت في العلم بموافقة فلان أو مخالفة فلان : أشار » . والفعل فيه ثلاثي لا مضعف ، ومثل في تاج العروس . والنكته أصل معناها النقطة ، وفي الأساس : « ومن الهجاز : جاء بنكته وبنكت في كلامه . . . ونكت نكت في قوله ، ورجل منكته ونكاته » . وفي تاج العروس عن الفنارى : « النكته هى اللطيفة المؤثرة في القلب من النكت ، كالنقطة من النقط ، وتطلق على المسائل الحاصلة بالنقل ، المؤثرة في القلب ، التي يقارنها نكت الأرض غالباً بنحو الإصبع » .

(٢) سبق تخريج هذه الآية وتالياتها .

فثبت أنّها صفات مجردة عن ذلك ، مساوية لسائر الصفات . ومثل ذلك كثير .

فقاس المبرّد على ذلك ما فى معناه . فالناظم نكّث عليه ^(١) ، وارتضى مذهب سيويه ومن وافقه ، وأنّ أفعّل التفضيل لا يتجرّد من معنى من إذا كان مجرداً أصلاً . وما جاء ممّا ظاهره خلاف ذلك فهو راجع إلى تقدير معنى من ، أو إلى باب آخر . فأما المفاضلة فيما يرجع إلى الله تعالى فهى بالنسبة إلى عادة المخلوقين فى التخاطب ، وعلى حسب توهمهم العادى . فقوله : الله أكبر ، معنى ذلك أكبر من كلّ شىء يُتوهم له كبر ، أو على حسب ما اعتادوه فى المفاضلة بين المخلوقين ، وإن كان كبرياء الله تعالى لا نسبة لها إلى كبر المخلوق .

وكذلك قوله : ﴿ وهو أهون عليه ﴾ يريد على ما جرت به عادتكُم ؛ أنّ إعادة ما تقدّم اختراعه أسهل من اختراعه ابتداءً .

وقوله : ﴿ هو أعلم بكم ﴾ أى منكم ، حيث تنوهمون أنّ لكم علماً والله تعالى علماً ، أو على حدّ ما تقولون : هذا أعلم من هذا .

وهى طريقة العرب فى كلامها ، وبها نزل القرآن . خوطبوا بمقتضى كلامهم ، وبما يعتادون فيما بينهم .

وقد بينّ هذا سيويه فى كتابه حيث احتاج إليه . ألا ترى أنّه حين تكلم على لعلّ فى قوله تعالى : ﴿ لعلّه يتذكّر ﴾ أو يخشى ^(٢) ؟ صرف

(١) انظر التعليق السابق .

(٢) الآية ٤٤ من سورة طه .

مقتضاها من الطَّمَع إلى المخلوقين فقال : والعلم قد أتى من وراء ما يكون ولكن اذهبا على طَمَعكما ورجائكما وميلغكما من العلم . قال : وليس لهما إلَّا ذاك^(١) ما لم يعلما .

وهذا من سيبويه غاية التحقيق . وكثيراً ما يذكر أمثال هذا في كتابه .

وأما بيت الفرزدق فغير خارج عن تقدير من ، فقد رُوِيَ عن رؤية ابن العجاج أنَّ رجلاً قال له : يا أبا الجحَّاف، أخبرني عن قول الفرزدق : «أطول»، من كل شيء؟ فقال له : رويداً ، إن العربَ تجتزئُ بهذا . قال : وقال المؤذن : الله أكبر ، فقال رؤية : أما تسمع إلى قوله : الله أكبر ، اجتزأ بها من أنَّ يقول من كلِّ شيء . هذا ما قال ، وهو ظاهرٌ في صحَّة التقدير ، وأنَّه مرادُّ العرب .

ثم إنَّ الذي يدلُّ على أنَّ المراد معنى من ، أنَّ أفعل في هذه المواضع ونحوها لا يشنَّى ولا يجمع ، ولا يؤنَّث ، وما ذاك إلَّا لمانع تقدير من ، كقوله تعالى : ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾^(٢) وقوله : ﴿نحن أعلم بما يستميعون﴾^(٣) ونحو ذلك .

والذي جاء من ذلك على الجمع شاذُّ ، نحو ما أنشدته الفارسي من قول الشاعر :

إذا غابَ عنكم أسودُ العين . . . البيت

أنشده المؤلف في الشَّرح على أنَّه جمع ألأم مجرداً عن تقدير من .

(١) الذي في سيبويه ١ : ١٦٧ بولاق و ٣٣١ من نسختي : « وليس لهما أكثر من ذا » .

(٢) الآية ٢٤ من سورة الفرقان .

(٣) الآية ٤٧ من سورة الإسراء .

وحمله الفارسى على أنّه جمع لثيم ، كقطيع وأفاطيع ، وحديث وأحاديث وحذف الزيادة . انتهى كلام الشاطبي .

ولم يذكر البيت الذى أنشده الشّارح المحقق .

والتفضيل فيه غير مراد ، فإنّ (أصغر) حال من الضمير فى ألأم ، والمعنى نسبتهم إلى أشدّ اللؤم فى حال صغرهم وفى حال كبرهم ، والتفضيل لا وجه له إلاّ بتكثّف ، وهو أن يكون التقدير : أصغر من غيره وأكبر منه . وهذا معنى سخيّف . ويجوز أن يكون أصغر صفة لآلأم للتعميم ، فيرجع إلى معنى الحالية . ولا وجه لجعله صفة لقوم . فتأمل .

و (ألأم) منصوب على الذمّ ، ويجوز أن يكون صفة لقوله نفرأ ، ويجوز أيضاً رفعه على أنّه خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير : أنتم ألأم قوم ، والقطع للذمّ أيضاً . واللؤم بالهمز : ضد الكرم ، يقال لؤم على وزن كرم ، لؤماً ، فهو لثيم ، وهو الشحيح ، والدنيء النفس ، والمهين . وقوله : (قُبَحَ) هو بالبناء للمفعول وتشديد الباء . يقال قَبَحَ الله يَقْبَحُهُ بفتح الباءين المخففتين ، أى نحاه عن الخير . وفى التنزيل : ﴿ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾^(١) أى المبعدين عن الفوز . وقَبَحَ الله بتشديد الباء للمبالغة . والجملة دعائية . ويُقرأ بضم التاء والميم للوزن .

و (نفرأ) : تمييزٌ محوّل عن الفاعل ، والتقدير : قُبَحَ نفرُكم يا آل زيد . والنّفَر بفتحتين : جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة ، وقيل إلى سبعة . ولا يقال نفر فيما زاد على العشرة . قاله صاحب المصباح . وفى ذكر نفر ذمّ أيضاً .

والبيت لم أقف له على خبر . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والعشرون بعد الستائة^(١) :

٦٢٢ (ملوكٌ عظامٌ من ملوكِ أعظم)

على أَنَّ (أعظم) بمعنى عظام ، وهو جمع أعظم بمعنى عظيم ، غير مراد به التفضيل . ولو كان مراداً للزم الأفراد والتذكير .

ويأتى فيه ما نقله الشاطبي عن الفارسي من أَنَّهُ جمع عظيم مع حذف الزيادة^(٢) .

والمصراع من أبياتٍ لأعرابيٍّ . والرواية كذا :

(توسَّمتهُ لَمَّا رَأَيْتُ مَهَابَةً)	أبيات الشاهد
وإِلَّا فَمِنْ آلِ الْمُرَّارِ فَإِنَّهُمْ	
فَقَمْتُ إِلَى عَنزٍ بَقِيَّةٍ أَعْنَزِ	
فَعَوَّضَنِي عَنْهَا غِنَايَ ، وَلَمْ تَكُنْ	
فَقُلْتُ لِأَهْلِي فِي الْخَلَاءِ وَصِيبَتِي	
فَقَالُوا جَمِيعاً : لَا بَلَّ الْحَقُّ هَذِهِ	
بِخَمْسٍ مَثْنِينَ مِنْ دَنَانِيرٍ عَوَّضْتُ	

من العنز ما جادت به كف حاتمٍ

رُوي أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ الْعَبَّاسِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، خَرَجَ مَرَّةً مِنَ الْمَدِينَةِ يَرِيدُ مَعَاوِيَةَ فِي الشَّامِ ، فَأَصَابَتْهُ سَمَاءٌ ، فَنَظَرَ إِلَى نُوْبِرَةٍ عَنْ يَمِينِهِ^(٣) ، فَقَالَ لَغَلَامِهِ : مِلْ بِنَا إِلَيْهَا . فَلَمَّا أَتَيَاهَا إِذَا شَيْخٌ ذُو هَيْئَةٍ

(١) لم أجده له تخريجاً .

(٢) انظر نهاية نص الشاطبي السابق في ٢٨١ س ٢ .

(٣) النورية : مصغر النار .

رثّة ، فقال له : أَنْخِ انْزِلْ حَيِّتْ ! ودخل إلى منزله فقال لامرأته : هَيِّئِ شَاتَكَ أَقْضِ بِهَا ذِمَامَ هَذَا الرَّجُلِ ، فَقَدْ تَوَسَّمتُ فِيهِ الْخَيْرَ ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْ مُضَرٍّ فَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنَ الْيَمَنِ فَهُوَ مِنْ بَنِي آكَلَ الْمُرَارِ . فقالت له : قد عرفتَ حَالَ صَبِيَّتِي وَأَنَّ مَعِيشَتَهُمْ مِنْهَا ، وَأَخَافُ الْمَوْتَ عَلَيْهِمْ إِنْ فَقَدُوهَا . فقال : موتهم أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ اللَّؤْمِ . ثم قبض على الشاة فَأَخَذَ الشَّفْرَةَ وَأَنشَدَ :

قَرِيبَتِي لَا تُوقِظِي بَنِيَّسَهُ إِنْ يُوقِظُوا يَنْسَحِبُوا عَلَيْهِ
وَيَنْزِعُوا الشَّفْرَةَ مِنْ يَدَيْهِ أَبْغِضْ هَذَا أَنْ يُرَى لَدَيْهِ

ثم ذَبَحَهَا وكشط جلودها وقطّعها أرباعاً وقذفها في القِدرِ ، حتّى إذا استوت أَثَرَدَ فِي جَفْنَةٍ فَعَشَّاهُمْ ثُمَّ غَدَّاهُمْ ، فَأَرَادَ عُبَيْدُ اللَّهِ الرَّحِيلَ فَقَالَ لِعُغْلَامِهِ : ارْمِ لِلشَّيْخِ مَا مَعَكَ مِنْ نَفَقَةٍ . فقال : ذَبَحَ لَكَ الشاةَ فَكَافَأْتُهُ^(١) بِمِثْلِ عَشْرَةِ أَمْثَالِهَا ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُكَ ؟ فقال : وَيَحْكُ ، إِنَّ هَذَا لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ مِنَ الدُّنْيَا غَيْرَ هَذِهِ الشاةِ ، فَجَادَ لَنَا بِهَا وَإِنْ كَانَ لَا يَعْرِفُنَا ، فَأَنَا أَعْرِفُ ٥٠٣ نَفْسِي ، ارْمِ بِهَا إِلَيْهِ . فرماها إِلَيْهِ فَكَانَتْ خَمْسَمِائَةَ دِينَارٍ . فارتحل عُبَيْدُ اللَّهِ فَأَتَى مَعَاوِيَةَ فَقَضَى حَاجَتَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ رَاجِعاً إِلَى الْمَدِينَةِ ، حتّى إذا قَرُبَ مِنْ ذَلِكَ الشَّيْخِ قَالَ لِعُغْلَامِهِ : مَلَأْنَا بِهَا إِلَيْهِ نَنْظُرُهُ فِي أَيْ حَالَةٍ هُوَ ؟ فانتَهَيَا إِلَيْهِ فَإِذَا بِرَجُلٍ سَرَى عِنْدَهُ دُخَانٌ عَالٍ وَرَمَادٌ كَثِيرٌ ، وَإِبِلٌ وَغَنَمٌ ففَرَحَ بِذَلِكَ وَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ : انْزِلْ بِالرُّحْبِ وَالسَّعَةِ . وقال : أَتَعْرِفُنِي ؟ فقال : لَا وَاللَّهِ فَمَنْ أَنْتَ ؟ فقال : أَنَا نَزِيلُكَ لَيْلَةَ كَذَا وَكَذَا . فقام إِلَيْهِ فَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ ، وَقَالَ : قَدْ قَلْتُ أَبْيَاتاً أَتَسْمَعُهَا مِنْنِي ؟

(١) ط : « فكَافَأْتُهُ » ش : « فكَافَأْتُهُ » ، كلاهما محرف عما أثبت .

فقال : هات . فأتشد هذه الأبيات ، فضحك عبید الله وقال : أعطيتنا أكثر مما أخذت منا ، يا غلام أعطه مثلها !
فبلغت فعلته معاوية فقال : لله در عبید الله ، من أي بيضة خرج ،
وفي أي عش درج ، وهي لعمرى من فعلاته !
وقوله : « توسمته » بمعنى تفرسته ، من التوسم ، يقال توسمت فيه الخير
أي طلبت سيمته .

وقوله : « وإلا فمن آل المزار » أي إن لم يكن من آل هاشم فهو من
آل المزار ، على حذف مضاف أي آل آكل المزار ، وهم ملوك اليمن .
قال صاحب القاموس : والمزار بالضم : شجر من أفضل العشب وأضخمه ،
إذا أكلته الإبل قلصت مشافرها فبدت أسنانها ، ولذلك قيل لجد
امريء القيس : « آكل المزار » ؛ لكثير كان به .

وقال الشريف الجواني : إن في آكل المزار خلافاً ، هل هو الحارث
ابن عمرو بن حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن
ثور بن مرثع^(١) ؟ أم هو حُجر بن عمرو بن معاوية ؟ وإن الحارث إنما
سمى آكل المزار لأن عمرو بن المَبُولَةَ الغساني أغار عليهم ، وكان الحارث
غائباً ، فغنم وسبي ، وكان فيمن سبي أم أنيس بنت عوف بن محلم
الشيباني امرأة الحارث ، فقالت لعمرو بن المَبُولَةَ في مسيره : لكائي
برجل أدلم أسود ، كأن مشافره مشافر بعير آكل المزار ، قد أخذ برقبتك !
تعني الحارث . فسمى آكل المزار . والمزار ، كغراب : شجر مر إذا
أكلت منها الإبل تقلصت مشافرها . ثم تبعه الحارث في بكر بن وائل
فلحقه فقتله ، واستنقذ امرأته وما كان أصاب .

(١) ابن الأنباري في شرح القصائد ٤ : « وإنما سمي مرتعاً لأنه كان من أتاه من قومه
تمه ، أي جعل له مرتعاً لماشيته » .

وقال ابن دريد (في كتاب الاشتقاق) : إِنَّ آكل المَرار الحارث
جُدُّ امرئ القيس الشاعر ابن حُجر .

وقوله : « مُلوْكُ عَظامُ » إلخ ، بتنوين ملوك ، وعَظامُ وُصفهُ ، وكذلك
ما بعده .

وقوله : « فعَوْضُنِي » إلخ ، فاعله ضمير المرء من آل هاشم ، المراد به
عبيد الله بن عباس . و « غنای » المفعول الثاني لِعَوْضَ . والغنى : ضد
الفقر ، وضمير عنها للعنز .

وقوله : « تُساوئُ » بضم الياء للضرورة ، أورده ابن عصفور (في
كتاب الضرائر ^(١)) وقال : أجرى حرف العلة مجرى الحرف الصحيح
فأظهر الضمة عليه .

وكذا أورده المرادئ (في شرح الألفية) .

وقوله : « فقلت لأهلي » إلخ ، الخلاء بالفتح والمد : الفضاء . وصيبة :
جمع صبي ، أى قلت لزوجتي وأولادى .

وقوله : « أَحَقَّأ ^(٢) أرى » إلخ . يقول : من شدة سرورى بالدنانير دُهشت
فقلت لهم مستفهماً : أما أراه حقاً ، أم تلك الدنانير أضغاثُ أحلام ؟
وقوله : « تحبُّ بها » أى بذكرها ، أى بذكر الدنانير . وتحبُّ ،
تسرع من الخَبَب ، وهو ضربٌ من العَدُو ، وفعله من باب نصر . ورُكيان
جمع راكب . والمواسم : جمع مَوَسمِ الحج .

وقوله : « بخمس مئين » إلخ ، هو بدلٌ من قوله بها . ومئين بالكسر
والتنوين لغةٌ ، أو ضرورة جمع مائة . وعُوضت : جُعِلت عوضاً من العنز .

(١) الضرائر ٤٦ ، ٢٧٣ .

(٢) ط : « أحق » ، صوابه في ش .

وقوله : « ما جادت » إلخ . ما نافية ، أى لم تجدْ كَفُّ حاتم بهذا الجود . ويحتمل أن تكون ما موصولة خبر مبتدأ محذوف ، أى هى ما جادت به كَفُّ حاتم . المراد به عُبَيْد الله بن العباس بالتصغير ، وهو أخو عبد الله بن العباس رضى الله عنهم ، حَبْرُ هذه الأمة . والأَوَّل مشهورٌ بالجود معدودٌ من الأجواد ، والثانى مشهورٌ بالعلم ، وإن كانا فى العلم والجود مشتركين .

وقد أورد ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) بعضَ ما يتعلّق بجود عبید الله^(١) .

منها : أنه أول من فطّر جيرانه فى رمضان ، وأوّل من وضع الموائد على الطُّرُق ، وأوّل من حيّا على طعامه^(٢) ، وأوّل من أنبهه .

ومن جوده : أنه أتاه رجلٌ وهو بفناء داره ، فقام بين يديه فقال يا ابن عباس ، إنّ لى عندك يداً وقد احتجتُ إليها . فصعد فيه بصّره وصوبه فلم يعرفه ، ثم قال له : ما يدُك عندنا ؟ قال : رأيتك واقفاً بباب زمزم^(٣) وغلامُك يمتَح لك من مائها ، والشَّمْسُ قد صهرتك ، فظَلَلْتُكَ بطرف كسائى حتّى شربت . قال : إنّى لأذكر ذلك ، وإنّه يتردّد بين خاطرى وفكرى . ثم قال لقيّمه : ما عندك ؟ قال : مائتا دينار وعشرة آلاف درهم . قال : ادفعها إليه وما أراها تفى بحقّ يده عندنا . قال له الرجل : والله لو لم يكن لإسماعيل ولدٌ غيرك لكان فيه ما كفاه ، فكيف

(١) العقد ١ : ٣٤٠ - ٣٤٣ .

(٢) أى قال حى على الطعام ، أى هلموا إليه وأقبلوا .

(٣) فى العقد : « بززم » .

وقد وَلَدَ سَيِّدَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ شَفَعَ^(١) بِأَبِيكَ وَبِكَ .

ومن جوده أيضاً : أَنَّ معاوية حَبَسَ عن الحسين بن عليّ صَلَاتِهِ حَتَّى ضَاقَتْ حَالُهُ عَلَيْهِ ، فَقِيلَ^(٢) : لَوْ وَجَّهْتَ إِلَى ابْنِ عَمِكَ عُبَيْدَ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ قَدِيمٌ بِنَحْوِ أَلْفِ أَلْفِ دَرَاهِمٍ . فَقَالَ الْحُسَيْنُ : وَأَيْنَ تَقَعُ أَلْفُ أَلْفٍ مِنْ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَوَاللَّهِ لَهُ أَجْوَدُ مِنَ الرِّيحِ إِذَا عَصَفَتْ ، وَأَسْخَى مِنَ الْبَحْرِ إِذَا زَخَرَ . ثُمَّ وَجَّهَ إِلَيْهِ مَعَ رَسُولِهِ بَكْتَابٍ ذَكَرَ فِيهِ حَبْسَ معاويةَ عَنْهُ صَلَاتِهِ وَضِيقَ حَالِهِ ، وَأَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى مِائَةِ أَلْفِ دَرَاهِمٍ . فَلَمَّا قَرَأَ عُبَيْدُ اللَّهِ كِتَابَهُ وَكَانَ مِنْ أَرْقِ النَّاسِ قَلْبًا انْهَلَتْ عَيْنَاهُ ، ثُمَّ قَالَ : وَيْلَكَ يَا معاويةَ مَا اجْتَرَحْتَ يَدَاكَ مِنَ الْإِثْمِ حِينَ أَصْبَحْتَ لَيْلَ الْمَهَادِ ، رَفِيعَ الْعِمَادِ ، وَالْحُسَيْنُ يُشْكُو ضِيقَ الْحَالِ ، وَكَثْرَةَ الْعِيَالِ ! ثُمَّ قَالَ لِقَهْرْمَانِهِ : احْمِلْ إِلَى الْحُسَيْنِ نَصْفَ مَا أَمْلَكَهُ مِنْ فَضَّةٍ وَذَهَبٍ ، وَثُوبٍ وَدَابَّةٍ ، وَأَخْبِرْهُ أَنِّي شَاطِرْتُهُ مَالِي ، فَإِنْ أَقْنَعَهُ ذَلِكَ وَإِلَّا فَارْجِعْ وَاحْمِلْ إِلَيْهِ الشَّطْرَ الْآخِرَ . فَقَالَ لَهُ الْقِيمُ : فَهَذِهِ الْمُونُ الَّتِي عَلَيْكَ مِنْ أَيْنَ تَقُومُ بِهَا ؟ قَالَ : إِذَا بَلَّغْنَا ذَلِكَ دَلَّلْتُكَ عَلَى أَمْرٍ يُقِيمُ حَالَكَ . فَلَمَّا أَتَى الرَّسُولُ بِرِسَالَتِهِ إِلَى الْحُسَيْنِ قَالَ : إِنَّا لِلَّهِ ، حَمَلْتُ وَاللَّهُ عَلَى ابْنِ عَمِّي ، وَمَا حَسْبَتُهُ يَتَسَّعُ لَنَا هَذَا كُلُّهُ . فَأَخَذَ الشَّطْرَ مِنْ مَالِهِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فِي الْإِسْلَامِ .

ومن جوده : أَنَّ معاويةَ أَهْدَى إِلَيْهِ وَهُوَ عِنْدَهُ بِالشَّامِ مِنْ هَدَايَا النَّيَرُوزِ حُلَلًا كَثِيرَةً ، وَمِسْكًَا ، وَآنِيَةً مِنْ ذَهَبٍ وَفَضَّةٍ ، وَوَجَّهَهَا مَعَ حَاجِبِهِ ، فَلَمَّا وَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ نَظَرَ إِلَى الْحَاجِبِ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا فَقَالَ : هَلْ فِي

(١) فِي الْعَقْدِ : « ثُمَّ شَفَعَهُ » .

(٢) الْعَقْدُ : « فَقِيلَ لَهُ » .

نفسك منها شيء؟ فقال : نعم ، والله إنَّ في نفسي منها ما كان في نفس يعقوب من يوسف عليهما السلام ! فضحك عُبيد الله وقال : فشأنك بها فهي لك . قال : جُعِلْتُ فداك ، أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيجِدَ عليَّ . قال : فاخْتِمْها بخاتَمك ، وارفعها إلى الخازن ، فإذا حان خروجُنا حملها إليك ليلاً . فقال الحاجب : والله لهذه الحيلة في الكرم أكثر من الكرم ، ولوددتُ أنِّي لا أموت حتى أراك مكانه ، يَعيى معاوية ، فَظَنَّ عُبيد الله أنها مكيدة منه . قال : دع عنك هذا الكلام فإنَّا فوِّمُ نَفْيِ بما وعدنا ، ولا ننقض ما أَكَّدنا .

٥٥٥

ومن جوده أيضاً : أَنَّهُ أَتَاهُ سَائِلٌ وهو لا يعرفه ، فقال له : تصدَّقْ فإنِّي نَبِّئْتُ أَنَّ عُبيد الله بنَ العباس أعطى سائلاً ألفَ درهمٍ واعتذرَ إليه . فقال له : وأين أنا من عُبيد الله ؟ قال : أين أنت منه في الحسب أم كثرة المال ؟ قال : فيهما . قال أَمَّا الحسبُ في الرَّجُلِ فمروءته وفعله ، وإذا شئتَ فعلتَ ، وإذا فعلتَ كنتَ حسيباً . فَأَعْطَاهُ أَلْفِي درهمٍ واعتذرَ إليه من ضيقِ الحال ، فقال له السائل : إن لم تكن عُبيدَ الله بنَ عَبَّاسٍ فَأَنْتَ خَيْرٌ منه ، وإن كنته فَأَنْتَ اليومَ خَيْرٌ منك أمس ! فَأَعْطَاهُ أَلْفاً أُخْرَى ، فقال السائل : هذه هِزَّةٌ كريمٍ حسيبٍ ، والله لقد نقرتَ حَبَّةَ قلبي فأفرغتَها في قلبك فما أخطأتُ إِلَّا باعتراضِ الشَّدِّ من جوانحي^(١)

ومن جوده أيضاً : أَنَّهُ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فقال : يا ابنَ عَمِّ رسول الله ، وُلِدَ لِي فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ مَوْلُودٌ وَإِنِّي سَمَيْتُهُ بِاسْمِكَ تَبَرُّكاً مِنِّي بِهِ ، وَإِنَّ أُمَّهُ مَاتَتْ . فقال عُبيد الله : بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي الْهَبَةِ ، وَأَجْزَلَ لَكَ

(١) العمد : « إِلَّا باعتراضِ الشك بين جوانحي » .

الأجر على المصيبة . ثم دعا بوكيله فقال : انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه ، وادفع إليه مائتي دينارٍ للنفقة على تربيته . ثم قال للأنصارى : عد إلينا بعد أيام فإنك جئتنا وفي العيش يُبس ، وفي المال قلة ! قال الأنصارى : لو سبقت حاتماً بيومٍ واحد ما ذكرته العرب أبداً ولكنه سبقك فصرت له تالياً ، وأنا أشهد أن عفوك أكثر من مجهوده ^(١) وطلّ كرمك أكثر من وابله .

هذا ما اخترناه من العقد ، وفيه كفاية ، وقصدنا بتسطيره الثواب وإن كنا أطلنا به الكتاب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد السّمائة ^(٢) :

٦٢٣ (لَعَبْرُكَ مَا أَدْرِى وَإِنِّى لَأَوْجَلُ

على أَيْنَا تَعْدُو المنيّةُ أوّلُ)

على أن (أوّلُ) بنى على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه . والأصل : أوّل أوقات عَدْوِها .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : إنما بنيت أوّل هنا لأنّ الإضافة مرادة فيها ، فلما اقتطعت منها وهى مرادة فيها بنيت كقبّل وبعد ، فكأنه قال : تعدو المنيّة أوّل الوقت . وأصلها قبل الإضافة أن

(١) العفو : ما كان يغير مسألة .

(٢) المقتضب ٣ : ٣٤٦ ، والكامل ٣٥٧ ، ٤٢٣ ، والمنصف ٣ : ٤٥ ، وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٢٨ / ٢ : ٢٦٣ وابن يمش ٤ : ٦ / ٨٧ : ٩٨ وشنور الذهب ١٠٣ : ٣ : ٤٣٩ والأشجوى ٢ : ٢٦٨ : ٢ : ٢٦٨ ويس على التصريح ٢ : ٥٢ وديوان معن ٥٦ . وشرح الحماسة للمرزوق ١١٢٦ والتبريزى ٣ : ١٣٢

تكون معها مِنْ لِيَتِمَّ بها قبل الظرفية صفة ، فتكون كقديم وحديث^(١) لم تنقل عن الوصف إلّا إلى الظرفيّة^(٢) . فإذا صحَّ فيها مذهب الصّفة فلا بدَّ فيها من معنى مِنْ قبل الإضافة ، فإذا تصوّرت صفةً قبل ذلك أمكن حينئذ نقلها إلى الظرف كسائر ما نقل إلى الظروف من الصفات ، نحو قديم وحديث ، ومَلَى وطويل . وأَوْجَلُ ممّا جاء على الصفات على أفعل لا فعلاء له . ألا تراهم لا يقولون وَجَلَاء ، استغنوا عنها بِوَجَلَةٍ. ٥١.

وظنّه العيني فعلاً مضارعاً فقال : قوله : لأَوْجَلُ أى لَأَخَافُ ، من وَجَلَ يَوْجَلُ .

و (عمر ك) ، بفتح العين : مبتدأ محذوف الخبر ، أى قسمي ، وجملة ما أدرى جواب القسم . والمصراع الثاني في محل نصب على أنّه سادٌّ مسدّدٌ مفعولاً دَرى ، معلقٌ عن العمل في لفظه بسبب الاستفهام ، وعلى متعلقة بتعدّو . وأخطأ العيني في قوله : مفعول أدرى محذوف تقديره : ما أدرى ما يفعل بنا أو مايكون ، ونحو ذلك . ولم يتعرّض لجملة على أيّنا تعدّو إلخ . وهو بالعين المهملة من عدا عليه يعدو غَدَوًا ، بمعنى ظلم وتجاوز الحد . وروى بالغين المعجمة ، من غدا غَدَوًا^(٣) ، أى ذهب غُدوة ، وهى ما بين صلاة الصُّبح وطلوع الشمس . هذا أصله ، ثم كثر حتى استعمل في الذهاب والانطلاق أى وقت كان . والمنية : الموت . وأوّل : ظرفٌ مبنيٌّ ، وموضعه النصب بتعدو ، وجملة وإنّي لأَوْجَلُ جملة معترضة بين أدرى وبين السادّ عن مفعوليهما . وأَوْجَلُ معناه خائف . والعنى :

٥٠٦

(١) في إعراب الحماسة : « كلى وقديم وحديث » .

(٢) في إعراب الحماسة : « ثم تنقل عن الوصف إلى الظرفين » .

(٣) يقال غدا يغدو غَدَوًا ، وغَدَوًا أيضاً على فَعُول .

أقسم ببقائك ما أعلم أيّنا يكون المقدم في عدو الموت عليه . وهذا كما قال الآخر :

فأكرم أخاك الدهر ما دتما معاً كفى بالممات فرقةً وتنائياً
والبيت مطلع قصيدة لمعن بن أوس المزني، أورد بعضها أبو تمام
(في الحماسة) . ونحن نقتصر عليه .

قال شراحها : وسبب هذا الشعر أنه كان لمعن بن أوس صديق ، سبب الشعر
وكان معن متزوجاً بأخته ، فاتفق أنه طلقها وتزوج بأخرى ، فحلف
صديقه أن لا يكلمه أبداً . فقال معن هذه القصيدة يستعطف بها
قلبه ويسترقه له . وفيها ما يدلُّ على القصة ، وهو قوله :

فلا تغضبن أن تستعار ظعينةً وترسل أخرى ، كل ذلك يفعلُ
والأبيات التي أوردها أبو تمام بعد المطلع هي هذه :

(وإنني أخوك الدائم العهد لم أحلُ
إن أبزأك خصمٌ أو نبا بك منزلُ
أحاربُ من حاربت من ذى عداوةٍ
وأحبسُ مالى إن غرمت فاعقلُ
كأنك تشفى منك داء مساعى
وشخطى ، وما فى ريشتى ما تعجلُ
وإن سؤتى يوماً صبرتُ إلى غدٍ
ليعقب يوماً منك آخرٌ مقبلٌ^(١))

(١) في الحماسة والديوان ٣٦ : « صفحت » . وفي الديوان أيضاً : « ليعقب يوم » .

وإِنِّي عَلَى أَشْيَاءٍ مِنْكَ تَرِيْبِي
 قَدِيْمًا لَذُو صَفْحٍ عَلَى ذَاكَ مُجْمِلُ
 سَتَقْطَعُ فِي الدُّنْيَا ، إِذَا مَا قَطَعْتَنِي
 يَمِينُكَ ، فَانْظُرْ أَيْ كَفٌّ تَبَدَّلُ
 وَفِي النَّاسِ إِنْ رَثْتُ حِبَالُكَ وَاصِلُ
 وَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْقَلْبِ مَتَحَوَّلُ
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخْيَاكَ وَجَدْتَهُ
 عَلَى طَرَفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ
 وَيَرْكَبُ حَدَّ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تَضِيْعَهُ
 إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَزْحَلُ
 وَكُنْتُ إِذَا مَا صَاحِبُ رَامٍ ظَنَّنِي
 وَبَدَّلَ سُوءِي بِالَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ^(١)
 قَلْبْتُ لَهُ ظَهَرَ الْمِجَنِّ وَلَمْ أَدُمُ
 عَلَى ذَاكَ إِلَّا رِيْثَمَا أَتَحَوَّلُ
 إِذَا انْصَرَفْتُ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكْذُ
 إِلَيْهِ بَوِجُهُ آخِرَ الدَّهْرِ تَقْبِلُ^(٢)

وقوله : « وَإِنِّي أَخْوَك » إلخ . يقول : إِنِّي أَخْوَك الَّذِي يَدُومُ عَهْدُهُ
 وَلَا يَزُولُ وَلَا يَحُولُ إِنْ أَبْزَاكَ خَصْمٌ ، أَيْ غَلَبَكَ وَقَهْرَكَ . يُقَالُ بَزَوْتُ
 الْخَصْمَ بَزَوًّا ، وَأَبْزَيْتَهُ إِبْزَاءً ، بِالْبَاءِ الْمُوحَّدَةِ وَالزَّيْ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
 أَبْزَاكَ مِنْ بَزَى يَبْزَى فَهُوَ أَبْزَى ، وَهُوَ دَخُولُ الظَّهْرِ وَخُرُوجُ الْبَطْنِ

(١) هذا ما في ش . وفي ط والحامسة والديوان : « سوءاً » .

(٢) في الديوان : « عليه بوجه » .

ويكون المعنى : إن حمّلك خَصَمٌ من الثقل ما يَبْزَى له ظهرك فلا تطيق الثَّباتَ تحته والنهوضَ به .

وقوله : « أَحَارِبَ مَنْ حَارِبْتَ » إلخ ، هذا تفسير دوام عهده ، أَى تجدنى ذاباً عنك ، وإن أصابك غُرم حبستُ مالى عليك . وأعقل عنك ، يقال عَقَلْتُ عنه إذا غَرِمْتُ ما لزمه فى ديتِه . وعَقَلْتُهُ ، إذا أَعْطَيْتُ ديتَه . ويجوز أن يكون معنى فَأَعْقَلُ : أَشَدُّهَا بَعْقُلُهَا بفنائك لتدفعها فى غرامتك . والمال إذا أَطْلِقَ يراد به الإبل .

وقوله : « كَأَنَّكَ تَشْفِى » إلخ ، يريد : إِسَاءَتِكَ إِلَى وَسَخَطِكَ عَلَى ، فَأَضَافَهُمَا إِلَى الْمَفْعُولِ . والمعنى : إِنَّكَ تَسْتَمِرُّ فى إِسَاءَتِكَ إِلَى حَتَّى كَأَنَّ بَكَ دَاءً ذَاكَ شِفَاؤُهُ . والرَّيْثَةُ : ضِدُّ الْعَجَلَةِ . يقول : ليس فى أَنَاثى وتركى مكافأتك ما يجبُ أن يتعجَّلَ عَلَىَّ بما يسوئنى .

وقوله : « وَإِنْ سُوَّتْنِي يَوْمًا » إلخ ، أَى إِنْ فَعَلْتَ مَا يَسُوئُنِي تَجَاوَزْتُ إِلَى غَدٍ لِيَجِيءَ يَوْمٌ آخِرُ مَقْبَلُكَ مِنْكَ بِيَوْمٍ يَسُرُّنِي .

وقوله : « سَتَقْطَعُ فى الدُّنْيَا » إلخ ، يقول : أَنَا لَكَ بِمَنْزِلَةِ يَدِكَ اليمْنَى ، فَإِذَا قَطَعْتَنِي فَإِنَّمَا تَقْطَعُ يَمِينَكَ .

وقوله : « وَفى النَّاسِ إِنْ رَثْتُ » إلخ ، يقول : إِذَا انْقَطَعَتْ حِبَالُ الْوَدِّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَرَثْتُ فِى النَّاسِ وَاصِلٌ غَيْرَكَ . وَإِذَا نَبَا بِي جَوَارُكَ فِى جَوَانِبِ الْأَرْضِ مَتَحَوَّلٌ عَنْ دَارِ الْبُغْضِ .

وقوله : « إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصَفْ » إلخ ، أَى إِذَا لَمْ تُنْصَفْ أَخَاكَ وَلَمْ تُوفَّهِ حَقُّوَ إِخَائِهِ وَجَدْتَهُ هَاجِراً لَكَ مُسْتَبْدِلاً بِكَ إِنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ ، ثُمَّ لَا يَبَالِي أَنْ يَرْكَبَ مِنَ الْأُمُورِ مَا يَقْطَعُهُ تَقْطِيعُ السِّيفِ ، وَيؤْثِّرُ فِيهِ تَأْثِيرَهُ ، مَخَافَةَ أَنْ يَصِيبَهُ ضَيْمٌ مَتَى لَمْ يَجِدْ عَنْ رُكُوبِهِ مَعْدِلاً .

وقوله: « من أن » أى بدلاً من أن . وشَفَرَة السَّيْف بالفتح: حُدّه . ومَزَحَل ، بالزاي والحاء المهملة : مصدر زَحَلَ عن مكانه ، إذا تنَحَّى عنه وتباعد .

وقوله : « وكنت إذا ما صاحبٌ » إلخ ، رام ظَنَنِي بالكسر : عرَضَنِي لَاتِّهَامِ عَقْدِهِ والارتياح بوَدِّهِ ، بأنَّ عَدَّ إِحْسَانِي إِلَيْهِ إِسَاءَةً . ومعناه : رام إِبْقَاعَ التُّهْمَةِ عَلَيَّ .

وقوله : « قلبتُ له ظهر » إلخ ، أى اتَّخَذْتَهُ عَدُوًّا وقلبتُ له ظهر الثُّرس متَّحِيًّا مِنْهُ ، ولم أَدُمَّ عَلَى الْحَالِ الْمَذْكُورَةِ مَعَهُ إِلَّا قَدَرٌ مَا أَتَحَوَّلُ ، وَبُطْءٌ مَا أَتَنَقَّلُ .

قال المبرد (فى الكامل): دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ ^(١) يوماً عَلَى معاوية فقال : اسمعُ أبياتاً قُلْتُهَا . وَكَانَ وَاجِداً عَلَيْهِ . فَقَالَ معاوية : هَاتِ . فَأَنشَدَهُ :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصَفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الْمِجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ
مَعَ الْبَيْتِ الَّذِى بَعْدَهُ . فَقَالَ لَهُ معاوية : قَدْ شَعَرْتُ بَعْدَنَا يَا أَبَا بَكْرٍ !
ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ معاويةُ أَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ مَعْنُ بْنُ أَوْسٍ الْمُزْنِىُّ فَقَالَ : أَقَلْتَ
بَعْدَنَا شَيْئاً ؟ فَقَالَ : نَعَمْ . فَأَنشَدَهُ :

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرَى وَإِنِّى لَأَوْجَلُ عَلَى أَيُّنَا تَعْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ
حَتَّى صَارَ إِلَى الْأَبْيَاتِ الَّتِى أَنشَدَهَا ابْنُ الزَّبِيرِ ، فَقَالَ لَهُ معاوية :
يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَمَّا ذَكَرْتَ آتِئاً أَنَّ هَذَا الشَّعْرَ لَكَ ؟ قَالَ أَصْلَحْتُ الْمَعَانِىَ
وَهُوَ أَلْفُ الشَّعْرِ ، وَهُوَ بَعْدُ ظِئْرَى ، فَمَا قَالَ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ لى . وَكَانَ
عَبْدُ اللَّهِ مُسْتَرْضِعاً فِي مُزَيْنَةَ . انْتَهَى .

(١) عبد الله بن الزبير ، بفتح الزاي وكسر الباء ، ترجم فى ١ : ٢٦٤ - ٢٦٦ .

والظُّثْرُ ، بكسر الظاء المعجمة بعدها حمزة ساكنة : المرأة الأجنبية
تحضُن ولد غيرها . ويقال للرجُل الحاضن ظُثْر أيضاً . وهذا هو مراد
ابن الزبير .

وقال الحُصْرِيُّ (في زهر الآداب) بعد إيراد هذه الحكاية : أراد
ابن الزبير معاتبة معاوية بشعرٍ معن ، وليس ادّعاؤه على حقيقةٍ منه .
وهذان البيتان قد أوردتهما صاحب تلخيص المفتاح في السرقات
الشعرية .

وترجمة معن بن أوس المزني تقدّمت في الشاهد الثلاثين بعد
الخمسمائة ^(١) .

* * *

وأنشد بعده :

(ولا ناعب إلاّ بيبين غُرَابُهَا)

هو عَجْزٌ ، وصدّره :

(مشائِمُ ليسوا مصلِحِينَ عشيرةً)

على أَنَّ (ناعبا) عَطَفَ بالجَرِّ على مصلِحِينَ المنصوب على خبر لَيْسُوا ،
لِتَوَهُمُ الباءُ ، فإنها تزداد في خبر ليس .

وقد تقدّم الكلام على هذا البيت في الشاهد الثامن والسبعين بعد
المائتين ^(٢) .

(١) الخزائن ٧ : ٢٦٠ - ٢٦٣ .

(٢) الخزائن ٤ : ١٥٨ - ١٦٥ .

ومشائيم : جمع مشئوم ، من شئم عليهم بالبناء للمفعول ، فهو مشئوم ،
إذا صار شؤماً . يقول : لا يُصلحون أمر العشيرة إذا فسد ما بينهم ،
ولا يأترون بخير ، فغرائبهم لا ينعب إلا بالتشتيت والفراق . وهذا مثلٌ
للتطير منهم والتشاؤم بهم . والنعيب : صوتُ الغراب ومدُّ عنقه عند ذلك .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد السّائة^(١) :

٦٢٤ (في سعي دُنيا طالما قد مُدَّتِ)

على أَنَّ (دنيا) قد جُرِّدت من اللام والإضافة لكونها بمعنى العاجلة .
يريد أَنَّ الاسمية غلبت عليها لكثرة استعمالها ، ولهذا لم تجر على
موصوف غالباً ، كما غلبت الاسمية على نحو الأجرع والأبطح .

قال ابن يعيش : القياس في دنيا أَن يكون بالآلف واللام ، لأنَّه
صفة في الأصل على أَنه فُعلِي ومذكره الأدنى ، مثل الأكبر والكبرى .
وهو من دنوت ، فقلبت الواو في الأدنى ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ،
وذلك بعد أَن قُلبت ياءً لوقوعها رابعة . وقد تقدّم أَنَّ الآلف واللام تلزم
هذه الصفة ، إِلَّا أَنَّهُم استعملوا دنيا استعمالَ الأسماء ، فلا يكادون يذكرون
معه الموصوف ، ولذلك قلبوا اللام منه ياءً لضربٍ من التعادل والعوض^(٢) ،
كَأَنَّهُم أرادوا بذلك الفرقَ بين الاسم والصفة^(٣) ، فلمَّا غلب عليها حكم

(١) الكشف ٢ : ٣٠ وابن يعيش ٦ : ١٠ وديوان المعاج ٥ .

(٢) أي لئلا يجتمع ثقل الضمة في أول الكلمة والواو في آخرها ، فقلبت الواو ياء ليتحقق
التبادل والخفة .

(٣) أي إنهم إنما أجروا التعديل في الاسم لأنه أسبق من الصفة وأولى بالتعديل والتخفيف
فقلبت واوه ياء في نحو : الدنيا والعليا والقصيا . وأما الصفة التي على فعل بالضم ، فقد بقيت
على ثقلها ، بضم أولها وبالواو في آخرها ، وذلك نحو : الغزوى والقصوى . وانظر شرح الشافية

الْأَسْمَاءُ أَجْرُوهَا مجرى الأسماء . وكانت الألف واللام لا تلزم الأسماء فاستعملوها بغير ألف ولام ، كسائر الأسماء . انتهى .

وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ ﴾^(١) من سورة طه . قال : إن تنكير ساحر مع كونه معلوماً معيناً لأجل تنكير المضاف ، وهو كَيْدٌ ، كما نكّر الشاعر دنيا ، لأجل تنكير سعى . والمراد كيدٌ سحرى وسعىً دنيوى . ولو عرّف السحر والدنيا لصار الكيد والسعى معرفتين ، والمراد تنكيرهما ، إذ الغرض كيدٌ ما وسعى ما .

وقال أبو حيان : البيت محمولٌ على الضرورة ، إذ دنيا تأنيث الأدنى ، لا يستعمل إلا بالألف واللام أو بالاضافة . وأمّا قول عُمر : « إِنِّى لأكره أن أرى الرجل فارغاً لا فى عمل دنيا ولا فى عمل آخرة » ، فيحتمل أن يكون من تحريف الرواة . انتهى .

ولا يخفى أنه ورد فى الحديث الصحيح : « فإن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها » . ولم يقل غيره إن دنيا ضرورة . نعم تنوينه ضرورة^(٢) ، ذكره ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) .

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) عند^(٣) قول المثلم بن رباح المرمى :

إِنِّى مَقْسَمٌ مَا مَلَكَتُ فِجَاعِلُ أَجْرًا لآخِرَةٍ وَدُنْيَا تَنْفَعُ^(٤)

قد استعملت العرب فى غير هذا دنيا نكرة كما ترى ، قال العجاج :

(١) الآية ٦٩ من سورة طه .

(٢) فى هامش ش : « أقول : أى ضرورة تدعو إلى صرف دنيا والوزن مستقيم بالألف كما هو ظاهر . فليتأمل . وكذلك أثبت فى هامش ط على أنه ثابت فى هامش أصلها .

(٣) ط : « عن » ، صوابه فى ش .

(٤) ضرائر ابن عصفور ٣٥ والحماسة بشرح المرزوق ١٦٥٧ .

* في سَعَى دُنْيَا طالما قد مُدَّت *

وروى ابنُ الأعرابي « دنيا » بالصَّرف ، وقال أيضاً في ذلك ^(١) : إنهم شبهوها بفُعْلَل فنَوَّنوها .

وهذا نادرٌ غريب ، ولم نعلم شيئاً مما في آخره ألف التانيث مفرداً مصروفًا غير هذا الحرف . ولو قال قائلٌ إن دنيا هذه المصروفة تكون ملحقه في قول أبي الحسن بجُخْدَبٍ ، وكالْألف في بُهْمَا ^(٢) لم أر بأساً .

فإن قلت : فلو كانت ألف دنيا للإلحاق لوجب فيها دُنُوًا ، وذلك أنَّ اللام في نحو هذا إذا كانت واوًا فإنَّها إنَّما تبدل ياءً في فعلٍ التي ألَّفها للتانيث ، وجاءت هذه للإلحاق ؟ فالجواب : أنَّ هذا النحو لمَّا غلب عليه مثال فعلٍ التي ألَّفها للتانيث ، وجاءت هذه للإلحاق ، أجزَّوها على المعتاد من القلب فيها . وأيضاً فإنَّ ألف الإلحاق قد تجرى مجرى ألف التانيث . ألا تراها زائدةً مثلها ، وذات معنى مثلها . نعم ، وإذا جعلت ما فيه ألفُ الإلحاق علماً لم ينصرف ، لمشابتها حيثُ ألف التانيث .

فإن قلت : فأجز أيضاً أن يكون دنيا فُعْلَل كسُودَد؟ قيل : يمنع من هذا أنَّ حرف الإلحاق من حيث ذكرنا أشبه بحرف التانيث من لام الفعل ، فإذا كان إنَّما لتشبيهه الملحق بحرف التانيث على ضعف وضرب من التأول لم يتجاوز ذلك إلى تشبيه الأصل بحرف التانيث ، لإفراط تباعدهما . فلو كانت دنيا على هذا فُعْلَلًا لكانت دُنُوًا . ولو قال قائل :

(١) ط : « في غير ذلك » ، صوابه في ش وإعراب الحماسة الورقة ٢٢٦ .

(٢) البهامة : واحدة البهي بالقصر ، لضرب من النبات . وفي ط : « بهمات » ، صوابه في وإعراب الحماسة .

إنّ دنيا فيمن صرف فُعِيلُ بمنزلة عُليْبٍ لكان له وجهٌ من التصريف ،
ولكنّه يبقّى عليه شيْتان : أحدهما قَلَّةٌ عُليْبٍ فلا يقاس عليه . والآخر :
أنّ دنيا تأنيث الأدنى . وهذا أشدُّ شَيْءٍ تبايناً من ^(١) حديث فُعِيلٍ
وفعلل ، وهو أيضاً أحداً يَضَعِفُ كونها أَلَفَ إلحاق. فاعرف ذلك .
انتهى .

والبيت من رجز للعجاج ، أوّلُه :

أشعار الشاهد	بإذنه السَّمَاءُ واطمَأْنَنْتِ وَحَى لَهَا الْقَرَارَ فاستقرَّتِ والجاعلُ الغيثَ غياثَ المُسْنِتِ بعد الممات ، وهو مُحْيِي المَوْتِ من نُزُلٍ إِذَا الأُمُورُ غَبَّتِ حَتَّى انقضى قضاؤها فَأَدَّتِ	(الحمدُ لله الذى استقلَّتْ بإذنه الأرضُ فما تَعَنَّتِ ^(٢) وشدّها بالراسياتِ الثَّبَّتِ والجامعُ الناسَ ليومِ المَوْقِيتِ يومَ ترى النفوسُ ما أَعَدَّتِ فى سَعْيِ دنيا طالما قد مُدَّتِ
--------------	--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

قال أبو القاسم الزجاجي (فى أماليه الوسطى والصغرى) : أخبرنا
أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدى قال : أخبرنا أبو الفضل الرياشيُّ
عن الأصمعيِّ ، عن عبد الله بن رؤية بن العجاج ، عن أبيه عن جدّه
قال : أنشدتُ أبا هريرة قصيدتي التي أولها :

* الحمد لله الذى استقلَّتِ *

حتى أتيتُ على آخرها ، فقال : أشهد إنك لمؤمن . انتهى .

(١) ش : « تبايناً عن » ، وفى إعراب الحماسة « تباعداً عن » مع إثبات « تباينا » فى هامش المخطوطة تصحيحاً لها .

(٢) وهكذا ضبطت بالنون فى تفسير البغدادى . ورواية الديوان ٢٦٦ ، والتهذيب ٣ : ١٤٣ ،
واللسان (عتا) : « وما تَعَنَّتِ » بالتاء . وفى شرح الديوان : « وعنت : عصت ، يقال عتا فلان على
فلان ، إذا عصى عليه » .

وقوله «استقلَّت»، أى ارتفعت . والسياء فاعله . واطمأنت ، أى سكنت ، والأرض فاعله . و«تعنت» بالنون : تعبت . فى الصحاح : وعَنِى بالكسر عناء أى تعب ونَصِب ، وعَنِيتَه تعنية فتعنى . والوحى : الإشارة والإلهام : قال صاحب الصحاح : والكلام الخفى وكلُّ ما ألقىته إلى غيرك . يقال : وَحَيْتُ إليه الكلام وأوحيت ، وهو أن تكلمه بكلام تُخفيه^(١) . وأنشد هذا البيت .

و «الراسيات» ، هى الجبال الثوابت والرواسخ . و «الثَّبَّت» : جمع ثابت و «الغيث» : المطر . وفى المصباح : أغاثه : أعانه ونصره . وأغاثنا الله بالمطر ، والاسم الغياث . و «المُسْنِت» : اسم فاعل من أسنت القوم أى أجذبوا ، وأصله من السنَّة^(٢) وهو القحط . و «المَوْتُ» : جمع مائت . و «أَعَدَّت» ، أى هيأت وجعلته عُدة . و «من نُزِل» بالضم بيان لما . والنزُل : ما يهبط للنزول ، أى الضيف . وغبَّت بالغين المعجمة والموحدة ، أى بلغت غيبتها وعاقبتها . وفى الصحاح : وقد غبَّت الأمور ، إذا صارت إلى أواخرها . وفى سعى متعلق بغبَّت . و «مُدَّت» بالبناء للمفعول أى امتدَّت وتطاولت . و «أَدَّت» بتشديد الدال . يقال أدَّت فلاناً داهية تؤذيه أداً بالفتح ، من الإِدِّ ، والإدَّة ، بكسر أولهما ، وهى الداهية والأمر الفظيع .

٥١٠

وترجمة العجاج تقدَّمت فى الشاهد الحادى والعشرين من أوائل الكتاب^(٣) .

* * *

(١) ش : « أن يكلمه بكلام يخفيه » ، وأثبت ما فى ط والصحاح .

(٢) ش : « السنَّة » ، صوابه فى ط .

(٣) الخزائن ١ : ١٧٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد السهانة ^(١) :

٦٢٥ (وإن دعوتِ إلى جُلِّيٍّ ومَكْرُمة

يوماً سَراةً كِرامٍ النَّاسِ فَلَخِيئَةً

على أن (الجُلِّيَّ) قد تجرد من اللام والإضافة لكونها بمعنى الخطئة العظيمة .

والخطئة بالضم : الشأن والحالة والخصلة ، فتكون الجُلِّيُّ ^(٢) اسماً للشأن والحال ، كما قال الزمخشري (في المفصل) .

وقال ابن يعيش (في شرحه) : الجيّد أن تكون مصدراً كالرجعي بمعنى الرجوع ، والبُشْرَى بمعنى البشارة . وليس بتأنيث الأجل ، على حد الأكبر والكبرى ، لأنّه إذا كان مصدراً جاز تعريفه وتنكيره .

وإلى هذا ذهب الحريري (في درّة الغواص) قال : وأما طوبى في قولهم : طوبى لك ، وجُلِّيَّ ^(٣) في قول بشامة النهشلي :

وإن دعوتِ إلى جُلِّيٍّ ومكرمة

... البيت

فإنّهما مصدران كالرجعي ، وفعلی المصدرية لا يلزم تعريفها .

والبيت وقع في شعرين : أحدهما للمرقيش الأكبر رواه الفضل بن محمد الضبي له ، وكذلك ابن الاعرابي (في نوادره) ، وأبو محمد الأعرابي (فيما كتبه على شرح الحماسة للنمري) ، وهو :

(يا دارَ أجوارنا قُومى فحيّينا وإن سَقِيتِ كِرامَ النَّاسِ فاسْقِينَا

(١) المؤلف ٦٦ وابن يعيش ٦ : ١٠٠ ، ١٠١ ويس على التصريح ٢ : ٣٨١ والحماسة بشرح المرزوقي ١٠١ وبشرح التبريزي ١ : ٩٩ والمفضليات ٤٣١ .

(٢) ش : « الجلة » ، صوابه في ط .

(٣) في النسختين : « وجلى لك » ، صوابه من درة الغواص ٢٦ .

وإن دعوتِ إلى جُلِّي ومكرُمةِ يوماً سَراةِ خِيارِ النَّاسِ فادعينا
 شُعْتُ مَقادِمنا نُهَبىَ مَراجِلنا نَأُسو بِأَموالنا آثارَ أَيْدِينا^(١)
 المَطْعُمُونَ إذا هَبَّتْ شاميةِ وخيرُ نادٍ رآهُ النَّاسُ نادِينا

قوله : « يادار أجوارنا » إلخ ، قال في العباب : الجارُ يجمع على جيران ، وجيرة ، وأجوار . وأنشد الليث :

* ورسم دارِ دارس الأَجوار *

وروى : « يا ذات أجوارنا » .

وقوله : « شُعْتُ مَقادِمنا » إلخ ، رُوى أيضاً :

* بيضُ مفارقنا تغلى مَراجِلنا *

قال أبو محمد الأعرابي : سألتُ أبا النَّدَى عن هذه الرواية قال : هذه روايةٌ ضعيفة ، فإنَّ بيضَ المفارق قُرْع ، ومرجل الحائك يغلى كما يغلى مرجل الملك . قال : والرواية الصحيحة الأولى ، ومعناها إننا أصحاب حروب وقِرَى . انتهى .

والشعر الثاني لبشامة بن حَزَنٍ النهشلي ، رواه المبرِّد (في الكامل) وأبو تمام (في الحماسة) ، وهو :

(إنَّا محبوكِ ياسلَمي فحيِّينا وإنَّ دعوتِ إلى جُلِّي ومكرُمةِ
 وإنَّ سَقَيْتِ كرامَ النَّاسِ فاسقينا يوماً سَراةِ كرامِ النَّاسِ فادعينا
 إنَّا بني نهشل لا ندعى لأبٍ عنه ، ولا هو بالأبناءِ يَشرينا
 إنَّ تُبتَدِرَ غايَةً يوماً لمكرُمةِ تَلَقَّ السَّوابِقَ مِنَّا والمصلِّينا
 وليس يَهْلِك مِنَّا سيِّدٌ أبداً إلَّا افتليننا غلاماً سيِّداً فينا

(١) ط : « نهى مَراجِلنا » ، صوابه في ش وسائر المراجع .

نكفيه إن نحن متنا أن يُسَبَّ بنسبنا

وهو إذا ذكر الآباء يكفيننا

إنّا لَنُرخِصُ يومَ الرّوعِ أنفُسنا ولسو نُسَامُ بها في الأمن أغلينا

بيضٌ مفارقنا تغلي مَراجِلُنا نأسو بأموالنا آثارَ أيدينا

إنّا لمن مَعشِرٍ أفنى أوائلهُم قولُ الكِماةِ ألا أين المُحامونا

لو كان في الألف مِنّا واحدٌ فدَعُوا

مَن فارسٌ خالهُم إِيّاهُ يَعَنونا

إذا الكِماةُ تَنَحَّوا أن يُصِيبَهُمُ حَدُّ الطُّبَاتِ وَصَلْناها بأيدينا^(١)

ولا تَراهُمُ وإنْ جَلَّتْ مصِيبَتُهُمُ مع البُكاةِ على مَن مات يَبكونا

وفَرَكَبَ الكَرّهَ أحياناً فيَفْرِجُهُ عَنّا الحِفاظُ وأَسِيفُ ثَوَاتينا

قوله: «إنّا محيوك يا سلمى» إلخ، قال التبريزي: أي إنّنا مسلمون

عليك أيتها المرأة فقابلينا بمثله، وإن سقيت الكرام فأجرينا مجراهم،

فإنّا منهم. والأصل في التحية أن يقال عند اللقاء، ثم استعمل في غيره

من الدعاء. وقيل في سقيت معناه إن دعوت لأمثل الناس بالسقيا

فادعى لنا أيضاً. والأشهر في الدعاء أن يقال فيه سقيت فلاناً بالتشديد.

والحجة بالتخفيف قول أبي ذؤيب الهذلي:

* سَقَيْتُ بِهِ دارَها إِذْ دَنَتْ^(٢) *

وقوله: «وإن دعوت إلى جُلّي» إلخ، جُلّي: فعلى أجراها مجرى الأسماء

ويراد بها جليلة، كما يراد بأفعل فاعل وفعليل. يقول: إن أشدت بذكر

(١) في النسختين: «الطباة»، والوجه ما أثبت.

(٢) لم ير في ديوان الهذليين، لكنه في شرح السكري ٢٠١. وعجزه.

* وصدقت الخال فيه الأنوحا *

خيار الناس بجليلة نابت ، أو مكرمة عرضت ، فأشيدى بذكرنا أيضاً . وهذا الكلام ظاهره استعطاف لها ، والقصد به التوصل إلى بيان شرفه واستحقاقه ما يستحقه الأشراف . ولاسقى ثم ولا تحية . قاله التبريزي ^(١) .

و (المكرمة) ، بفتح الميم وضم الراء : اسم من الكرم . وفعل الخير مكرمة ، أى سبب للكرم أو التكريم . قاله صاحب المصباح .

و (السراة) بالفتح : اسم مفرد بمعنى الرئيس ، وقيل اسم جمع ، وقيل جمع سري ، وهو الشريف . وقد تقدم الكلام عليه مشروحاً في الشاهد السبعين بعد الأربعمائة ^(٢) .

ولم يتكلم ابن جني (في إعراب الحماسة) على هذا البيت إلا من جهة القافية . قال : يروى فادعينا ، بإشمام الضم في كسرة العين . ويروى بإخلاص الكسرة . فأما من أخلص الكسرة فلا سؤال في إنشاده من جهة الرّدْف . وأما من رواه بإشمام الضم ففيه السؤال . وذلك أن الحركة قبل الردف ، وهى التى يقال لها الحذو ، لم تأت عنهم مُشَمَّة ولا مَشُوبَة ، وإنما هى إحدى الحركات مُخلَصَة البتة . ولم يذكر الخليل ولا أبو الحسن ولا أبو عمرو ، ولا أحد من أصحابنا ^(٣) ، حال هذه الحركة المشوبة كيف اجتماعها مع غيرها . فدل ذلك على أن الحركة فى نحو هذا ينبغى أن تكون مُخلَصَة . ومذهب سيبويه فى هذا النَّحو ، [مثل ^(٤)] : ادعى واغزى الإمالة وإشمام الكسرة شيئاً من الضمة . ولم يستثن ردفاً من غيره . ووجه

(١) ش : « قال التبريزي » صوابه فى ط .

(٢) الخزائن ٦ : ٣٥٣ - ٣٥٤ حيث سبق تحقيق السرى .

(٣) فى إعراب الحماسة الورقة ٢٦ : « ولا واحد من أصحابنا » .

(٤) التكلة من إعراب الحماسة .

٥١٢

جواز هذه الحركة المشوبة مع الكسرة والضمّة الصّريحتين : أنَّ ما فيها من الإشام لا يعتدُّ به ، ولا يُنظر إلى قدره ، وإنّما هو كإمالة الفتحة إلى الكسرة في نحو سالم وحاتم . وأنّت تجيزهما في شعر واحد مع قادم وغانم ، ولا تحفل بما بين الحركتين ، بل إذا جاز سالم مع قادم ، وسلاح مع صباح . وقنا مع فتى ، كان اجتماع ادعينا مع يشرينا ونحو ذلك أسهل وأسوغ . وإنّما كان أسهل من قَبْلَ أَنَّ الفتحة إذا نُحِيَ بها قَبْلَ الألف نحو الكسرة انتحيت أيضاً بالألف بعدها نحو الياء لا بدّ من ذلك ، من حيث كانت الألف ناشئة عن الحركة قبلها على احتذاء ، وموازنة اتباع^(١) . فإذا^(٢) أملت الفتحة والألف فهناك عملان في الحركة والحرف جميعاً كما ترى . وأمّا الياء في ادعينا وقيل وبيع ، فإنّها وإن شِيبَت الحركة قبلها خالصة البتة ، وغير مشوبة شوبَ ما قبلها ، وجاز ذلك فيها من حيث كانت الطاقة حاملة ، والقدرة ناهضة بالنطق بالياء الساكنة ، بعد الضمّة الناصعة ، فكيف بها بعد الكسرة التي إنّما اعتلّت بأنّ انتحى بها نحو الضمّة . والعمل في ذلك خلّس خفيّ . وأمّا الألف الخالصة فليس في الطوق أن يُنطق بها بعد غير الفتحة الخالصة ، ففي سالم إذن تغييران ، وفي قيل وبيع واغزى وادعى تغيير واحد . فإذا جاز اجتماع ما فيه تغييران نحو سالم وسلاح ، مع قادم وصباح ، كان اجتماع ما فيه تغيير واحد مع ما لا تغيير فيه نحو قيل واغزى وادعى ، مع قيل وبيع ، وحيّينا واسقينا ، أحجى بالجواز ، فاعرف ذلك . وإذا جاز اجتماع هذا الخلاف في المجرى ، وهو أغلظ حُرمة وأمسّ مذمة من

(١) ط : « موازنة اتباع » ، بدون وار ، وأثبت ما في ش وإعراب الحماسة .

(٢) ش : « فإن » .

الحدو. أعنى اجتماع قتي مع عتّا^(١) والروى التاء ، كان ذلك في الحدو أسهل ، وأخف وأدون . وقد كان يجب أن نودع هذا الموضع كتابنا في تفسير قوافي أبي الحسن ؛ لامتزاجه به ومماسته إيّاه ، لكنه لم يحضرنا حينئذ ، والخاطر أجول ممّا نذهب إليه ، وأشدّ ارتكاضاً وذهاباً في جهات النظر من أن يقف بك على انتهائه ، أو يُطّيك ذروة أجواله وأقصائه^(٢) . انتهى .

وقوله : « إنا بني نهشل » إلخ ، قال المبرد (في الكامل) : من قال إنا بنو فقد خبرك وجعل بنو خبر إن . ومن قال بنى فإنما جعل الخبر إن تُبتدر غاية إلخ . ونصب بنى على فعلٍ مضميرٍ للاختصاص ، وهو أمدح . وأكثر العرب ينشد :

إنا بني منقر قوم ذوو حسبٍ فينا سراة بني سعد وناديا^(٣)

وكتب أبو الوليد الوراقى (فيما كتبه على الكامل) بعد بيت « إنا بني منقر » إلخ : هذا وإن وافق الأول بوجهٍ فإنه يخالفه بوجهٍ أخص منه وأليق به في قانون النحو ، لأنّ هذا نصب على المدح ، والأول نصب على الاختصاص ، والمسمى مُضارع النداء . ألا ترى أنّه يرفع هنا ما يرفع في النداء ، كقولهم : اللهم اغفر لنا آيئتها العصابة . ا هـ .

وقال التبريزي : بنى نصب على الاختصاص والمدح ، وخبر إن لا ندعى ، ولو رفع وقال بنو كان خبراً ولا ندعى في موضع الحال .

(١) ط : « غنى » صوابه في ش وإعراب الحماسة .

(٢) رسمت في إعراب الحماسة بدون نقط للقف .

(٣) لسرو بن الأهم المنقرى ، كما في حواشي الكامل ٦٥ .

والفرق بين أن يكون اختصاصاً وبين أن يكون خبراً صراحاً : هو أنه لو جعله خبراً لكان قصده إلى تعريف نفسه عند المخاطب ، وكان لا يخلو فعله لذلك من خمولٍ فيهم^(١) أو جهل بشأنهم^(٢) . فإذا جعل اختصاصاً فقد آمنَ الأمرين جميعاً . وإنما قلت خبراً صراحاً لأنَّ لفظ الخبر قد يستعار لمعنى الاختصاص ، لكنه يُستدلُّ على المراد منه بقرائنه . وعلى هذا قوله :

* أَنَا أَبُو النَّجْمِ . وَشِعْرِي شِعْرِي^(٣) *

وقوله : « لا ندعى لأبٍ عنه » ندعى نفتعل ، وعنه تعلق به . يقال ادعى فلان في بنى فلان ، إذا انتسب إليهم . وادعى عنهم ، إذا عدل نسبهم عنهم . وهذا كقولهم : رغبت في كذا ورغبت عنه . وقوله لأبٍ ، أى من أجل أب . ومعناه إننا لا نرغب عن أبينا فنتنسب إلى غيره ، وهو لا يرغب عنا ، قد رضى كلُّ منا بصاحبه . وقوله : « يشرينا » قال المبرد : يريد يبيعنا . يقال شراه يشريه ، إذا باعه . فهذه اللغة المعروفة ، قال الله عز وجل : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ^(٤) ﴾ ، ويكون شريت في معنى اشتريت ، وهو من الأضداد .

وقوله : « إِن تُبْتَدَرُ غَايَةً » إلخ ، يقال بادرت مكان كذا وإلى مكان كذا وكذلك ابتدرنا^(٥) الغايةَ وإلى الغاية . وقوله : « لمكرمة » أى لاكتساب مكرمة . ويجوز أن تكون اللام مُضيفة للغاية إلى المكرمة ، كأنه يريد

(١) ط : « فهم » ، صوابه في ش وشرح التبريزي ١٠٠ .

(٢) التبريزي : « أوجهل من عند المخاطب بشأنهم » .

(٣) واضح أنه لأبٍ النجم . وانظر الخزائنة ١ : ٤٣٩ .

(٤) الآية ٢٠ من سورة يوسف .

(٥) ط : « يتتدرون » ، وأثبت ما في ش .

تسابقهم إلى أقصاها . وإنما قال المصلِّين ولم يقل المصلِّيات مع السوابق لأنَّ قصده إلى الآدميين وإنَّ كان استعارهما من صفات الخيل . ويجوز أن يكون أخرج السابق لانقطاعه عن الموصوف في أكثر الأحوال ، ولنيابته عن المجلِّي ، وهو اسم الأوَّل من خيل الحلبة ، إلى باب الأسماء فجمعه على السوابق ، كما يقال كاهل وكواهل . والمصلِّي : الذى يتلو السابق فيكون رأسه عند صَلَاة . والصَّلوان : العظمان الناتئان من جانبي العجز . وقال ابن دريد : هو العظم الذى فيه مَغْرَزَ عَجَبِ الذَّنْب . وقال بعض أهل اللغة : هما عِرْقَانِ فى موضع الرَّدْف .

وأسماء خيل الحلبة عشرة ، لأنَّهم كانوا يرسلونها عشرةً عشرة . وسُمِّي كل واحد منها باسم . فالأوَّل : المجلِّي ، والثانى : المصلِّي ، والثالث : المسلِّي ، والرابع : التالى ، والخامس : المرتاح ، والسادس : العاطف ، والسابع : المؤمِّل ، والثامن : الحظي ، والتاسع : اللطيم ، والعاشر : السكَّيت بالتصغير ، ويقال سكَّيت بالتشديد .

وقوله : « إلا افتلينا » الافتلاء : الافتطام والأخذ عن الأمِّ ، ومنه القلَو . قال المبرد : مأخوذ من فلوت القلَو ، إذا أخذته عن أمه . وأخذ هذا المعنى من قول أبي الطَّمَحان :

« إذا مات منّا سيدٌ قام صاحبه ^(١) »

وقوله : « إنا لنُرخص » إلخ ، قال المبرد : أخذه من قول الهمداني ،

(١) صدره كما فى الكامل ٣٠ والحيوان ٣ : ٩٣ مع نسبته فى الحيوان إلى لقيط بن زرارۃ :

« وإنى من القسوم الذين هم هم »

وهو الأجدع ، أبو مسروق بن الأجدع الفقيه^(١) :

لقد علمت نِسوانَ همدانَ أَنّني لهنَّ غداةَ الرّوعِ غيرُ خَذولٍ
وأبذلُ في الهِجاءِ وجهي وإنّني له في سِوى الهِجاءِ غيرُ بذولٍ

ومن القتال الكلابيّ حيث يقول :

أنا ابن الأكرمينَ بنى قشير وأخوالى الكرامِ بنو كلاب^(٢)
نُعْرضُ للسيوفِ إذا التقينا نفوساً لا تُعْرضُ للسُّبابِ

وقوله : « ولو نسام بها » أى نُحْمَلُ على أن نسام بها . ويقال سامَ بسلعته كذا ، وأسّمته أنا ، أى حملته على أن يُسام . ويحتمل أن يكون من سُمّته خسفاً . وأغلينا ، الألف للإطلاق ، والنون ضمير الأنفس ، ومعنى أغلينا^(٣) وَجِدَتْ غالية . وقوله : « بيضُ مفارقنا » إلخ ، قال التبريزي : ويروى : « بيض معارفنا » وهى الوجوه ، والمراد به نقاء العرض وانتفاء الذم ، جمع مَعْرِفٍ ، بفتح الرّاء وكسرهما : سَمِيَ الوجهُ به لَأَنَّ معرفة الأجسام وتمييزها به . والأشهرُ « مفارقنا » . والمراد ابيضّت مفارقنا من كثرة ما نقاسى الشّدائد ، كما يقال أمرٌ يُشيب الذّوائب . وتغلى مراجلنا ، أى حروبنا ، كقول الآخر^(٤) :

(١) مسروق هذا هو الفقيه مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية بن عبد الله بن مر بن معمر بن الحارث بن سعد بن عبد الله بن وداعة الهمداني الكوفي العابد ، وكنيته أبو عائشة . كان من كبار التابعين ، وروى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وابن مسعود وغيرهم . وروى عنه ابن أخيه محمد بن المنتشر بن الأجدع ، وإبراهيم النخعي ، وأبو اسحاق السبيعي ، وغيرهم . مات سنة ٦٣ هـ وله ثلاث وستون سنة . وفي النسختين هنا : « قول الأجدع بن مسروق بن الأجدع » ، صوابه وتكملته ما أثبت من الكامل ٦٧ . وانظر تهذيب التهذيب في ترجمته وتاج العروس (جدع) .
(٢) ديوان القتال ٣٧ عن الكامل والخزانة .

(٣) ط : « أغلينا » .

(٤) هو النابغة الجعلى هـ كما في اللسان (فتا، جيش) . وأنشده في (دوم) بدون نسبة . ونسب في التهذيب كما في اللسان إلى الكيت . ولم أجده بهذه النسبة في التهذيب ١٤ : ٢١١ بل هو مجرد من النسبة . والبيت في ديوان النابغة ١١٨ .

تفسور علينا قِدرُهم فنُدِيعُها ونَفْثُها عَنَّا إِذَا حَمِيْهَا غَلَا^(١)
 ويجوز: ابْيَضَّتْ مفارقنا من كثرة استعمال الطيب ، كقول الآخر :
 « جَلَا الْأَذْفَرُ الْأَحْوَى مِنَ الْمِسْكِ فَرَقَهُ »^(٢) *

فقوله : « تغلى مراجلنا » أى قدورنا للضيافة . ويجوز أن يريد :
 مَشِينَا مَشِيبُ الْكِرَامِ لَا مَشِيبَ اللَّثَامِ . كقوله :

وَشَيْبُ مَشِيبِ الْعَبْدِ فِي نُقْرَةِ الْقَفَا

وَشَيْبُ كِرَامِ النَّاسِ فَوْقَ الْمَفَارِقِ^(٣)

فالمرجل : قدور الضيافة . وقوله : « نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا » ، يريد تَرْفَعُهُمْ
 عَنِ الْقَوْدِ^(٤) وَدَفَعَ أَطْمَاعَ النَّاسِ عَنْ مَقَاصَّتِهِمْ^(٥) . وَالْأَسُو : المداواة ،
 أى نقتل ونُدِي .

وقوله : « لو كان في الألف » إلخ ، قال المبرد : أخذه من قول طرفة :

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتَى خَلْتُ أَنَّنِي

عُنَيْتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدْ

ومن قول متمم :

(١) في اللسان (جيش) : « تجيش علينا » .

(٢) البيت من أبيات بدون نسبة في الحيوان ٣ : ٤٨٦ والبيان ١ : ٣٩٦ والكامل ١٠٣
 والمقده ٥ : ٦/٣٤٣ : ٢٢٨ .
 وعجزه كما في تلك المراجع :

« وطيب الدهان رأسه فهو أنزع »

(٣) البيت في شرح الحماسة للتبريزي عن نوادر ابن الأعرابي .

(٤) القود ، بالتحريك : القصاص وقتل القاتل بالقتيل . وفي ش : « ندفعهم » ، وفي ط :
 « نرفعهم » ، ، صوابهما ما أثبت من التبريزي في شرح الحماسة ١ : ١٠٤ .

(٥) ط والتبريزي : « ورفع أطماع الناس عن مقاصتهم » ، ووجهه : « دفع » بالبدال
 كما أثبت من ش .

إذا القوم قالوا مَنْ فتى لعظيمة
فما كُلُّهم يُدعى ولكِنَّه الفتى

وقوله : « إذا الكماة تنحوا » إلخ ، قال المبرد : الطُّبَّة : الحدُّ بعينه ،
يقال أصابته طُبة السيف وطُبة النَّصل . وأراد بالنَّصل هنا موضع الضرب
وأخذ هذا من قول كعب بن مالك :

نَصلُ السُّيُوفِ إذا قُصِرْنَ بخطونا
قُدُماً ونُلحِقُها إذا لم تَلَحِقِ^(١)

وقوله : « ولا تراهم وإن جَلَّتْ » إلخ ، يعنى أَنَّهُم لا يموتون إلَّا بالقتل
فقد صار لهم عادة ، وإنَّ كُلَّ من يولد منهم يكون سيِّداً ، فلا يجزعون على
من مات منهم .

وقوله : « ونركب الكرَّة » إلخ ، يَفِرُّجُه : يَكشِفُه . وقوله : « أسياف
تواتينا » يجوز أن يكون كقوله^(٢) :

* فحالفنا السُّيُوفَ على الدهر^(٣) *

ويجوز أن يكون أراد بالسُّيُوف رجالاً كأنَّهم السُّيُوف مضاء .
والأوَّلُ أوَّلَى . قاله التبريزى .

وهذه الأبيات قد اختلفت فى قائلها ، والصحيح أَنَّها لبشامة
ابن حَزَن النهشلى . وعليه الآمدى (فى كتابه المؤتلف والمختلف)

(١) ديوان كعب ٢٤٥ والبيان ٣ : ٢٦ .

(٢) هو يحيى بن منصور الذهلى ، أو موسى بن جابر الحنفى ، انظر الحماسة ٣٢٦ وما أثبت
فى حواشيا من تحقيق .

(٣) البيت بتمامه ، كما فى الحماسة :

فلما نأت عنا العشرة كلها
أنحنا فحالفنا السُّيُوف على الدهر

ونسبها المبرد (في الكامل) لأبي مخزوم النهشلي . وقال ابن السيد البطليوسي (فيما كتبه على الكامل) : هذه الأبيات لبشامة بن حزن النهشلي . وقال السكري : هو بشامة بن حرّى . والأول قول أبي رياش . ويقال لبشامة بن جزء . وقال ابن الأعرابي : هو لحجر بن خالد^(١) بن محمود القيسي . وزعم ابن قتيبة أنها لابن غلفاء التميمي . انتهى .

أقول : الذي قاله ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) أن الأبيات لنهشل بن حرّى .

وقال النمرى : هي لرجل من بني قيس بن ثعلبة .

قال أبو محمد الأعرابي : لم يفرق النمرى بين بني نهشل الذين هم مضرية ، وبين بني قيس بن ثعلبة الذين هم ربعية ، فلزهما في قرن . والبيت الذي فيه « إنا بني نهشل » لبشامة بن حزن النهشلي . والأبيات الأخر الأربعة للمرقش الأكبر ، وهو عمرو بن سعد بن مالك ابن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . انتهى .

وتقدّمت الأبيات الأربعة أولاً .

قال التبريزي : من قال إن الشعر للقيسي ، روى « إنا بني مالك » .

أما المرقش فهو شاعر جاهلي . قال صاحب الأغاني : المرقش لقب غلب عليه بقوله :

المرقش

(١) في النسختين : « لحجى بن خالد » . وإنما هو حجر بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . شاعر جاهلي كان معاصراً لعمرو بن كلثوم ، كان أنشد شعراً بين يدي الملك النعمان بن المنذر فأحفظ عمرو بن كلثوم ، فلفظه عمرو في مجلس الملك ثم اقتصر منه حجر ، وأجار الملك حجراً ، فقال حجر أبياتاً يمدح بها النعمان ، رواها الجاحظ في الحيوان ٣ : ٥٨ وأبو تمام في الحماسة ١٦٤٠ بشرح المرزوقي . كما روى له أبو تمام مقطوعات في الحماسة ٣٥١ ، ٥١٢ ، ٥١٧ بشرح المرزوقي .

الدار وحشٌ والرُّسومُ كما رَقَّشَ في ظهر الأديم قلم^(١) ٥١٥

وهو أحدٌ من قال شعراً فلقَّب به ، واسمه فيما ذكر أبو عمرو الشَّيباني عمرو . وقال غيره : عوف بن سعد بن مالك بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . وهو أحد المُتَمِّمين ، كان يهوى ابنة عمِّه أسماء بنتَ عوف بن مالك بن ضُبَيْعة . ويقال له المرقُّش الأكبر ، لأنَّه عمُّ المرقُّش الأصغر . والمرقُّش الأصغر عمُّ طرفة ابن العبد .

وكان للمرقِّشين معاً موقعٌ من بكر بن وائل في حروبها مع بني تغلب وبأسٌ وشجاعة ونجدة ، وتقَدُّمٌ في الحروب ، ونكايةٌ في العدو .

وأما ابن غلفاء ، بالغين المعجمة والفاء ، فهو أوس بن غلفاء ، من أوس بن غلفاء بنى الهُجيم^(٢) بن عمرو بن تميم وهو شاعر جاهلي ، وهو القائل :

أَلَا قَالَتْ أَمَامَةُ يَوْمَ غَوْلٍ تَقَطَّعَ يَا ابْنَ غَلَفَاءِ الْجِبَالُ^(٣)
ذَرِينِي إِنَّمَا خَطَّيْ وَصَوَّبِي عَلَى ، وَإِنَّ مَا أَنْفَقْتُ مَالٌ

يقول : إن الذي أهلكْتُ مَالٌ ، ولم أُنَلِفْ عرضاً . والمال يستخلف . كذا (في كتاب الشعراء لابن قتيبة) .

وأما بشامة بن حَزْنِ النهشلي ، فهو بفتح الموحَّدة وتخفيف الشين بشامة بن حزن المعجمة . قال ابن جني (في المبهج) : معناه عودُ شجر يُستاك به . قال جرير :

(١) المفضليات ٢٣٧ وسمط اللالي ٨٧٤ .

(٢) ط : « الهجيم » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح . وانظر للهجيم جمهرة ابن حزم ٢٠٩ والاشتقاق ٢٠١ .

(٣) غول ، بالفتح : جبل للضباب حذاء ماء ، فيسمى الجبل هضب غول ، وكانت في غول وقعة لضبة على بني كلاب . معجم البلدان عند إنشاد هذا البيت .

أَتَنَسَى إِذْ تَوَدَّعْنَا سُلَيْمَى بَعُودَ بَشَامَةٍ سُقَيَ الْبَشَامُ
والْحَزْنَ ، بفتح الحاء المهملة وسكون الزاى بعدها نون ، ومعناه
الموضع الغليظ .

وذكره الآمدي (في المؤتلف والمختلف) ولم يزد في نسبه على قوله :
بشامة بن حزن النهشلي ، نهشل بن دارم .

ولم أر له ترجمة ، وليس له ذكر في ترجمة الأنساب ، والظاهر
أنه إسلامي . وكذا أبو مخزوم النهشلي كما يظهر من شرح المبرد لأبياته .
وذكر الآمدي شاعراً آخر اسمه بشامة . قال : بشامة بن الغدير ،
والغدير اسمه عمرو بن هلال بن سهم بن مرة بن عوف بن سعد بن
ذبيان . شاعر مُحسِنٌ مقدَّم ، وهو خال زهير بن أبي سلمى المزني . وله
أشعارٌ جَيَادٌ طوال . انتهى .

بشامة بن
الغدير

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد السجّاة^(١) :

٦٢٦ (وَلَا يَجْزُونَ مِنْ حَسَنِ سُوءَى وَلَا يَجْزُونَ مِنْ غِلَظِ بَلِيْنِ)

على أَنَّ (سُوءَى) مصدرٌ كالرُّجْعَى والبشرى وليس مؤنَّثٌ أسوأ .

والبيت من أبياتٍ لأبي الغول ، مذكورة في أوائل الحماسة ، وتقدم
شرحها في الشاهد الثالث والثمانين بعد الأربعمئة^(٢) .

قال شراح الحماسة : وقد روى « سُوءَى » في البيت روايتين أخريين :
إحداهما : « بِسَى » بفتح السين وسكون المثناة التحتية بعدها همزة ، وهو

(١) ابن يعيش ٦ : ١٠٠ ، ٢٠٠ والحماسة ٤٠ بشرح المرزوقي .

(٢) الخزائنة ٦ : ٤٣٤ - ٤٣٨

مخفَّف سَيِّئٍ بتشديد الياء ، كما يخفَّف هَيْنَ وَلَيْنَ فيكون وصفاً .
والثانية : « بَيْئٌ » بكسر السين وتشديد الياء بلا همزة . والسِّيُّ :
المثل . ومعناه أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ في الجزاء على قدر الابتداء . قال الطَّبْرَسِيُّ ^(١)
وهذا ليس بشيء ، لَأَنَّهُ إِخْلَالٌ بالمطابقة التي حُسِّنَ البيتُ بها ، لَأَنَّهُ
جعل سيئاً في مقابلة حسن ، واللَّيْنُ في مقابلة الغلظ . وهذا من المطابقة
الصحيحة ، لَأَنَّهُ قابل الاسم بالاسم ، والمصدر بالمصدر . انتهى .

وروى شُرَّاحُ المِفْصَلِ روايةً أخرى وهي : « بَسَوْءٌ » وهو مصدر أيضاً
كالرواية الأولى . قال ابن المستوفى : الذي استشهد به الزمخشريُّ هو
بعض الروايات ، لكنَّه اختاره لمكان حاجته إليه . والمعنى واضح . وضدُّه
قول قُرَيْطِ بْنِ أُنَيْفٍ العنبريِّ :

يَجْزُونَ مِنْ ظَلَمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً

وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا ^(٢)

وروى ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) البيت هكذا :

وَلَا يَجْزُونَ مِنْ خَيْرِ بَشَرٍ وَلَا يَجْزُونَ مِنْ غِلَظٍ بَلِينٍ

تَمَّةٌ

خَطَأً الزمخشريُّ (في المِفْصَلِ) أَبَا نُوَّاسٍ في قوله :

كَأَنَّ صُغْرَى وَكَبْرَى مِنْ فِقَاقِعِهَا

حَصْبَاءُ دَرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ

لكونه استعمل صُغْرَى وَكَبْرَى نكرة . وهذا الضُّرْبُ مِنَ الصِّفَاتِ

(١) الطبرسي ، سنن ترجته في ص ٣٨٥ . ونسبته إلى طبرستان . وفي ط : « الطبرسي »
صوابه في ش .

(٢) البيت هو السادس من المقطوعة الأولى في حماسة أبي تمام .

لا يستعمل إِلَّا معرفاً ، وإنما يجوز التنكير في فعلى التى لا أفعل لها نحو حُبلى . قال الأندلسى : لم يقل إنه ضرورة لأنَّ المولد لا يسوغ له استعمال شىء على خلاف الأصل للضرورة إِلَّا أن يردَّ به سماع فيتوقف فيه على محلِّ السماع ، ولا يقاس عليه . وصغرى ما ورد فيه سماع ، وقد حاولوا له أجوبة :

أحدها : أن صغرى قد غلبت عليها الاسمية كما تقدم فى قوله :

* فى سَعَى دُنْيَا طَالَمَا قَدْ مُدَّتْ ^(١) *

قال ابن يعيش : والاعتذار عنه : أنه استعمله استعمالَ الأسماء لكثرة ما يجىء منه بغير موصوف ، نحو صغيرة وكبيرة ، فصار كصاحب والأبطح فاستعمله نكرة لذلك .

ثانيها : أن فعلى فيه ليست مؤنث أفعل بل بمعنى فاعلة ، كأنه قال : صغيرة وكبيرة من فقاقتها ، على حدِّ قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ^(٢) ﴾ قاله ^(٣) ابن يعيش أيضاً .

وإليه ذهب ابن هشام (فى المغنى) ، قال فيه : ربَّما استُعمل أفعل التفضيل الذى لم يرد به المفاضلة مُطابِقاً ^(٤) . مع كونه مجرداً ، كقوله : « وأنتم ما أقام الأثم ^(٥) » . . . البيت ، أى لثام . فعلى هذا يخرج بيت أبى نواس ، وقولُ النحويين : جملة صغرى وجملة كبرى ، وكذلك

(١) الشاهد ٦٢٤ فى ص ٢٩٦ من هذا الجزء .

(٢) الآية ٢٧ من سورة الروم .

(٣) ط : « قال » ، ضوابه فى ش .

(٤) ط : « مطابقة » ، « ، ضوابه فى ش .

(٥) للفرزدق . وقد سبق فى ٢٧٧ ، ٢٨٠ .

قول العروضيين: فاصلة صغرى وفاصلة كبرى . انتهى .

ثالثها : قال الأندلسي : قيل إنّ من المذكورة زائدة ، وكبرى مضافة ، وحذف مضاف الأول كما في قوله :

* ياتيمَ تيمَ عدى^(١) *

لكنّ حذف من في الواجب لا يجوز إلّا عند الأخفش . والأجود أن يقال حذف المفضّل الداخل عليه من ، اكتفاءً بذكره مرّة ، أى كأنّ صغرى من فقاعها وكبرى منها . انتهى .

ولا يخفى أنّه كان يجب أن يقول : وزيادة من في الواجب لا تجوز إلّا عند الأخفش بدل قوله : « لكنّ حذف من في الواجب » إلخ . وقد ردّ ابن هشام (في المغنى) هذا الجواب فقال : وقول بعضهم إنّ من زائدة وإنهما متضايغان ، يرده أنّ الصحيح لا تُقَمَّ^(٢) من في الإيجاب ولا مع تعريف المجرور . انتهى .

والبيت في صفة الخمر . والفقاع : جمع فُقَاعَة . ويروى : « من فواقعا » جمع فاقعة ، ومعناها النُّفَاحَات التي تكون على وجه الماء . وصف الخمر وما يعلوها من الحَبَاب فشبه الحَبَاب بالدرّ ، وهو اللؤلؤ الكبير ، والخمرة^(٣) التي تحته بأرض من ذهب .

(١) لجرير . وانظر الخزّانة ٢ : ٢٩٨ - ٣٠٢ .

(٢) في ش : « لايقم » . والذي في المغنى : « أن الصحيح أن من لاتقم في الإيجاب » .

(٣) ط : « والخمر » ، وأثبت ما في ش . يقال خمر وخمرة . وفي اللسان : « والأعراف في الخمر التأنيث ، يقال خمرة صرف ، وقد يذكر » .

وقال اللخمي : باعث هنا بمعنى مرسل ، كما قال تعالى : ﴿ فابعثوا
أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ^(١) ﴾ . وقد يكون بمعنى الإيقاظ : كقوله
تعالى : ﴿ مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْفَدِنَا ^(٢) ﴾ . غير أَنَّ الأَحسن هنا أَنَّ يكون بمعنى
الإرسال ، إذ لا دليل على النَّومِ في البيت . ٤٧٧

قال الأَعلم : يحتمل دينار هنا وجهين : أحدهما أَنَّ يكون أراد
أحد الدنانير ، وَأَنَّ يكون أراد رجلاً يقال له دينار .

وكذا قال اللخمي : دينار وعبد رب : رجُلان ، وقيل : أراد بدينار
واحدَ الدَّنَانِير ، كما قال بعض الشعراء :

إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مَرْسَلًا وَأَنْتَ بِهَا كَلْفٌ مَغْرَمٌ
فَأَرْسَلُ حَكِيمًا وَلَا تُوصِيهِ وَذَاكَ الْحَكِيمُ هُوَ الدَّرْهَمُ ^(٣)

وقال ابن خلف : عبد ربَّ الاسمُ إِنَّمَا هو رَبُّهُ ، لكنه ترك الإضافة
وهو يريد بها . وأخا عون : وصف لعبد رب . ويجوز : أَوْ عبدِ ربِّ أخى ،
بالجر . وزعم عيسى بن عمر أَنَّهُ سمع العرب تشدده منصوباً .

وقال العيني : أَخَا عون بدل من عبد رب ، بدل الشيء من الشيء ، وهما
لعين واحدة .

وقال خضر الموصلي : أَخَاغون إِذَا عَظِفَ بَيَانُ لَعِبِدِ رَبِّهِ أَوْ نَعَتْ لَهُ عَلَى
رواية النصب ، أَوْ مَنَادَى عَلَيْهِمَا . انتهى .

(١) الآية ١٩ من سورة الكهف .

(٢) الآية ٥٢ من سورة يس .

(٣) أى الحكيم مستغن بحكته عن الوصية . ويقال في أمثالهم أيضاً : « أرسل حكيماً
وأوصه » ، أى إنه وإن كان حكيماً فإنه يحتاج إلى معرفة غرضك . الميداني ١ : ٢٧٧ والمستقصى
للرغزباني ١ : ١٤٠ . والبيتان لابن فارس صاحب المقاييس في ترجمته في معجم الأدياء ٤ : ٨٧
والشعالبي ، وابن خلكان ، والياقني ، وابن الهادي . وانظر حواشي المقاييس ١ : ١٣ من
مقدمة الناشر .

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ بَعْدَ السِّتَاةِ ^(١) :

٦٢٧ (وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا)

عَلَى أَنَّ (الْقَوَانِس) مَنْصُوبٌ بِفِعْلِ مَحْذُوفٍ لَا بِأَضْرَبَ .

قال ابن جني (في إعراب الحماسة) : القوانس منصوب عندنا بفعل مضمر يدلُّ عليه أَضْرَبَ ، أَيْ ضَرَبْنَا أَوْ نَضْرِبُ الْقَوَانِسَ . فلا يجوز أن يتناوله أَضْرَبَ هذه في البيت ، لِأَنَّ أَفْعَلَ هذه للمبالغة تجرى مجرى فعل التعجب . وأنت لا تقول ما أَضْرَبَ زَيْدًا عمرًا حتى تقول لعمرى ، وذلك لضعف هذا الفعل وقلة تصرفه . فإن تجشمت ما أَضْرَبَ زَيْدًا عمرًا فَإِنَّمَا نَصَبْتَ عمرًا بفعل آخر ، على ما تقدّم . انتهى .

وقال ابن الحاجب (في أماليه على المفصل) : القوانس منصوب بفعل مقدّر ، كَأَنَّهُ سئلَ عَمَّا يَضْرِبُونَ فقال : نَضْرِبُ الْقَوَانِسَ . انتهى . واستشهد به صاحب الكشف عند قوله تعالى : ﴿ أَيْ الْحَزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ^(٢) ﴾ عَلَى أَنَّ أَمَدًا مَنْصُوبٌ بِفِعْلِ دَلَّ عَلَيْهِ أَحْصَى الَّذِي هُوَ أَفْعَلُ تَفْضِيلٌ ، كَمَا نَصَبَ الْقَوَانِسَ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ أَضْرَبَ .

وقال بعض من شرح أبيات المفصل : المراد بالبيت أَضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيُوفِ لِلْقَوَانِسِ ، فَحَذَفَ اللَّامَ لِحُضُورَةِ الشَّعْرِ . فَمِنْ لَابِتْدَاءِ الْغَايَةِ مَتَعَلِّقٌ بِأَضْرَبَ تَعَلَّقَ الظَّرْفُ ، وَبِالسُّيُوفِ تَعَلَّقَ الْآلَةُ ، وَاللَّامُ تَعَلَّقَ الْمَفْعُولُ بِهِ . وَهَذَا التَّقْدِيرُ أَوَّلَى مِنَ الْأَوَّلِ لَوَجْهِينِ : الْأَوَّلُ أَنَّ إِضْمَارَ :

(١) ابن يعيش ٦ : ١٠٥ ، ١٠٦ والمغنى ٦٧٨ والتصريح ١ : ٣٣٩ والأشعري ٣ : ٥٦ والأصمعيات ٢٠٥ والحماسة بشرح المازني ٤٤١ وبشرح التبريزي ٢ : ١٦ .

(٢) الآية ١٢ من سورة الكهف .

نضرب ، يفسد معنى البيت ، إذ مراد الشاعر أَنَّهُم ضاربون ونحن أَضربُ منهم ، فيحصل التفضيل . ولو قال نضرب القوانس لم يكن فيه تفضيل . والثاني : أَنَّ أَضربَ لا ينصب المفعول به ، فكيف يدلُّ عليه والدال على عامل هو الذى يصحُّ أَن يعمل فى معموله . وإذا لم يصحَّ عمله فيه لم يدلُّ عليه . انتهى .

وقد ردَّ عليه الجاربردى (فى رسالة ألفها على مسألة الكحل) قال : كلا الوجهين فاسد . أما الأول فلأنَّ التفضيل إنما يفوت لو لزم تقدير فعل ناصب للمفعول ، إذ لا يكون لاسم التفضيل تعلق معنى بذلك المنسوب ، لكنَّه ممنوع لجواز أَن يكون أَضرب متعلقاً بالقوانس من حيث المعنى ، مع أَن يكون انتصابُها بفعل مقدَّر . وإذْنُ تعلق به معنى يحصُل مراد الشاعر وهو التفضيل .

٥١٨

وقال المصنف (فى أماليه) فى قولنا مررت بزيد قائماً : إنَّ العامل فى زيد فى اللفظ هو الباء ، ومن حيث المعنى هو مررت ، وفى قائماً بالعكس . يعنى أَنَّ الفاعل فيه من حيث المعنى هو الباء ، ومن حيث اللفظ هو مررت . هذا كلامه .

فأقول : لا يبعد فيما نحن فيه أيضاً أَن يكون نضرب عاملاً لفظاً فى القوانس ، ويكون لأضربَ تعلقٌ بها من حيث المعنى ، فحيثُ يتم ما ذكرنا .

وأما الوجه الثانى فلأنَّ الدالَّ على عامل مقدَّر لا يلزم أَن يكون مما يعمل عملَ ذلك العامل . ألا ترى أَنَّ الدال على العامل المقدَّر فى

قولنا: زيد مررت به هو مررت ، مع أنَّه لا ينصب زيداً . ونظائره كثيرة .
فإن قلت : مررت مع الباء يصحُّ أن ينصب زيداً ، فلذلك يدلُّ على
الناصب المقدَّر . قلت : فكذا أضرب فيما نحن فيه مع اللام المقدَّرة
يصحُّ أن تنصب القوانس ، لأنَّكم ذهبتُم إلى أنَّ القوانس تعلق بأضرب
تعلق المضروب به ، وإذا صحَّ أن يكون ناصباً لها مع اللام صحَّ أن يكون
دالاً على عاملها . وإذا ثبت فساد الوجهين فلا يكون التقدير الثاني
أولى من التقدير الأول ، بل الأمر بالعكس ؛ لأنَّ تقدير الفعل أكثر
من تقدير حرف الجر . وأيضاً التفصيل الذى ذكره للخوافض الثلاث
مخالف لما يفهم من كلام المحققين على ما لا يخفى على الأذكياء . انتهى
كلام الجاربردى .

وأقول : لم يبيِّن الفساد الذى ادَّعاه على وجهين من تقدير اللام ،
وغاية ما أوردته تصحيح تقدير الفعل على زعمه . فتأمل وأنصف .
والله تعالى أعلم .

والمصراع من قصيدة للعباس بن مرداس الصحابي ، قالها فى الجاهلية
قبل إسلامه ومطلعها :

(لَأَسَاءَ رَسْمٌ أَصْبَحَ الْيَوْمَ دَارِساً وَأَقْفَرَ إِلَّا رَحْرَحَانَ فَرَائِساً^(١))

واختار منها أبو تمام فى الحماسة أربعة أبيات ، وهى :

(فلم أرمثل الحى حياً مصبَحاً ولا مثلنا يوم التقينا فوارساً
أَكْرَ وَأَحْمَى للحقيقة منهم وَأَضْرَبَ منا بالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا
إذا ما حملنا حَمَلَةً نَصَبُوا لَنَا صُدُورَ الْمَذَاكِي وَالرِّمَاحَ الْمَدَاعِيسَا

(١) القصيدة ثمانية وعشرون بيتاً فى الأسمعيات ٢٠٤ - ٢٠٧ .

إذا الخيل جالت عن صريح نكرها

عليهم فما يرجعن إلا عوابسا

قال أبو عبيدة (في كتاب أيام العرب) : غزت بنو سليم ورئيسهم عباس بن مرداس مراداً ، فجمع لهم عمرو بن معديكرب فالتقوا بثلاثين من أرض اليمن ، بعد تسع وعشرين ليلة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل من كبار مراد ستة ، وقتل من بنى سليم رجلان ، وصبر الفريقان حتى كره كل واحد منهما صاحبه ، فقال عباس بن مرداس قصيدته التي على السين ، وهي إحدى المنصفات . انتهى .

وقوله : « فلم أر مثل الحي » إلخ ، أراد بالحي المصباح بنى زبيد بن مراد . قال المرزوقي : لم أر مغاراً عليه كالذين صبحناهم ، ولا مغيراً مثلنا يوم لقيناهم ، فقسم الشهادة قسم السوء بين أصحابه وأصحابهم وتناول بالمدح كل فرقة منهم . وانتصب حياً مصباحاً على التمييز ، وكذلك فوارساً تمييز وتبيين ، ويجوز أن يكونا في موضع الحال . فإن قيل : لم قال فوارس والتمييز يؤتى به مفرد اللفظ ؟ قلت : إذا لم يتبين كثرة العدد واختلاف الجنس من المميز يؤتى بالتمييز مجموع اللفظ ، متى أريد التنبيه على ذلك . وعلى هذا قول الله تعالى : ﴿ هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً ^(١) ﴾ ، كأنه لما كانت أعمالهم مختلفة كثيرة نبه على ذلك بقوله : « أعمالاً » . ولو قال عملاً كان السامع لا يبعد في وهمه أن أحسرهم كان لجنس واحد من أجناس المعصية ، أو لعمل واحد من الأعمال الذميمة . وكذلك قوله : « فوارس » ، جمعه حتى يكون فيه إيذان بالكثرة . انتهى .

وقال ابن الحاجب (في الأمالي) : إنَّ أُرِيدَ بالرؤية العلم فحياً منصوب بها مفعول أوَّل ، ومثَّل مفعول ثان . وإنَّ أُرِيدَ رؤية العين فيحتمل أن يكون حياً مصبِّحاً هو المفعول ، ومثَّل الحى صفة قدِّمت فانتصب على الحال . ويجوز أن يكون مثل الحى هو المفعول ، وحياً مصبِّحاً إما عطف بيان لقوله مثل الحى وإما حال من الحى ، كأنه قال : مثل الحى مصبِّحاً ، وأتى بحى للتوطئة للصفة المعنوية ، كقولهم : جاءنى الرجل الذى تعلم رجلاً صالحاً . وضح الحال من المضاف إليه لأنَّ هنا فى معنى المفعول ، أى لم أر ماثلاً للحى فى حال كونهم مصبِّحين . والمضاف إليه إذا كان فى معنى فاعل أو مفعول صحَّ منه الحال كغيره . ويجوز أن يكون تمييزاً كقولك : عندي مثله تمرأ أو قمحاً ، لما فى مثل من إبهام الذات ، فصحَّ تمييزها كتمييز ما أشبهها ، وكلُّ ما ذكر فى ذلك فهو جارٍ فى قوله مثلنا فوارساً ، ففوارساً مثل قوله مصبِّحاً ، ومثلنا مثل قوله مثل الحى . انتهى كلام ابن الحاجب .

ونقله [الجارِ بردى ^(١)] فى تلك الرسالة وقال : على تقدير أن يراد بالرؤية العلم يجوز أن يجعل مثل الحى مفعولاً أوَّل وحياً مصبِّحاً مفعولاً ثانياً . فإن قلت : لا يجوز أن يكون مثل الحى مفعولاً أوَّل ، لأنَّه فى أفعال القلوب حكمه حكم المبتدأ ، فيجب أن يكون معرفة أو نكرة مخصَّصة بوجه ما . وهنا ليس كذلك ، لأنَّ البِثْل كما لا يتعرَّف بالإضافة فلا يتخصَّص أيضاً ، فلا يصلح لأن يكون مفعولاً أوَّل .

فالجواب بعد تسليم ذلك أن يقال : المثل هنا إما تخصص بال إضافة أو لا ، بل بقى على ما كان ، يصلح لأن يكون مفعولاً أول . أمّا على التقدير الأول فظاهر ، وأمّا على التقدير الثانى فلأنّه إذا كان نكرة وقد وقع فى سياق النفى فيعم ، ولا شكّ أنّه يصح الابتداء به ، فيصح أن يكون مفعولاً أول . انتهى .

وقوله : « أكرّ وأحمى » إلخ ، قال المرزوق : المصراع الأوّل ينصرف إلى أعدائه وهم بنو زُبَيْدٍ ، والثانى إلى عشيرته وأصحابه . والمراد لم أر أحسنَ كراً وأبلغَ حمايةً للحقائق منهم ، ولا أضربَ للقوانس بالسيف مِنّا . وانتصب القوانس من فعل^(١) دلّ عليه قوله : وأضربَ مِنّا . ولا يجوز أن يكون انتصابه عن أضربَ ، لأنّ أفعل الذى يتمّ بمن لا يعمل إلّا فى التكرات ، كقولك : هو أحسنُ [منك^(٢)] وجهاً . وأفعل هذا يجرى مجرى فعل التعجب ، ولذلك تعدى^(٣) إلى المفعول الثانى باللام فقلت : ما أضرب زيداً لعمرى . قال الدُّرَيْدِيُّ : القونس هو أعلى البيضة . وقال غيره : قونس الفرس : ما بين أذنيه إلى الرأس . ومثله قونس البيضة من السّلاح . انتهى .

وقال ابن الحاجب : قوله : « أكرّ وأحمى » إلخ ، تبين لما ادّعاه فيما تقدّم ، فيجوز أن ينتصب بفعل مقدّر لا صفة لما تقدّم ، لئلا يفصل بين الصفة والموصوف بما هو كالأجنبي إذا جعل تمييزاً . ويجوز أن يكون صفةً لما تقدّم ، كأنّها صفة واحدة . وإذا جعل غير تمييز كأنّه

٥٢٠

(١) وكذا فى المرزوق . وفى ش : « عن فعل » .

(٢) هذه التكلة الضرورية من المرزوق .

(٣) ش فقط : « يعدى » بالباء .

قال : جاءني زيدٌ وعمرُو العاقلِ والعالم . وذلك جائز . فأكرَّ وأحمى صفةً لحياً مصبِّحاً ، وأضربَ منّا صفةً لِفِوارساً . انتهى .

ونقله الجارِبردى فى تلك الرسالة وقال : كلامُهُ مشعرٌ بأنّه على تقدير كون ماتقدّم على أكرَّ وأحمى تمييزاً لو جُعلَ أكرَّ وأحمى صفةً يلزم الفصل بين الصفة والموصوف بما هو كالأجنبيّ ، وأمّا على تقدير كون المتقدم غير تمييز لو جعل أكرَّ وأحمى صفةً لا يلزم ذلك . والفرق مشكلاً جداً . انتهى .

و (أكرَّ) من كرّ عليه ، إذا صالَ عليه . (وأحمى) من الحماية . وحقيقة الرجل : ما يحقُّ عليه حفظه من الأهل والأولاد والجار .

وقوله : « إذا ما حملنا حملة » إلخ ، قال المرزوقى : يروى : « إذا ماشدنا شدة » . يقول : إذا حملنا عليهم ثبتوا فى وجوهنا ونصبوا صدورَ الخيلِ القُرَحَ والرِّماحَ المعدّةَ للدَّفع . والدَّعْسُ : الدفع فى الأصل ، ثم يستعمل فى الطعن وشدة الوطء والجماع . والذِّكاءُ : ضد الفتاء ، يقال فرسٌ مُدَكٌّ إذا تمَّ سنُّه وكُمِّلَ قوَّتُه . وفى المثل : « جَرى المذَكِّياتِ غِلابٌ ^(١) » . ويقال « غِلاءٌ » . ويقال فتاءُ فلانٍ كذكاءِ فلانٍ وكذكية فلانٍ ، أى حَزَامَتِه على نقصان سنِّه كحزامة ذاك مع استكمالهِ . قال زهير :

يفضُّله إذا اجتهدا عليه تمامُ السنِّ منه والذِّكاءُ

انتهى .

وقال بعض شراح الحماسة : المذاكى : المُسِنَّات من الخيل . والمذكى من الخيل بمنزلة المُخْلِيف من الإبل .

(١) أمثال الميدانى ١ : ١٤٣ ، وجمهرة السكرى ١ : ٢٩٩ .

وقوله : « إذا الخيلُ جالت » قال المرزوقي : أى إذا الخيل دارت عن مصروع منّا كررنا عليهم لنصرعَ مثل ما صرّعوا منّا . ويجوز أن يريد : إذا جالت الخيل عن صريع منهم لا يُقنعنا ذلك فيهم ، بل نكرها عليهم لثله وإن كرهت الكرّ لشدة البأس ، فلم ترجع إلّا كوالج . والعامل فى إذا نكرها ، وهو جوابه . وعوابس حال ، والخيل فاعل فعل يفسره ما بعده . انتهى .

وقال شارح آخر : جالت : انكشفت . جال القومُ جولة : انكشفوا ثم كرّوا . ولم ترجع الخيل إلّا عابسةً لما وجدت من مسّ السّلاح . وقد ردّ على العباس عمرو بن معديكرب ، واعتذر بأنّ خيلهم لم تكن سماناً ، وأنّه لولا ذلك لم تنالوا الذى نلتم ، فى قصيدة يقول فيها :
أعبّاس لو كانت شياراً جيادنا

بتثليث ما ناصيتَ بعدى الأحامسا^(١)

لُدسناكم بالخيل من كلّ جانبٍ
كما داسَ طبّاخُ القدور الكرادسا

يقال ناصيتُ الرجل ، إذا أخذتَ بناصيته . والكردوس : كلُّ ملقى عظيمين ، كالمنكبين والرّكبتين والوركين . ودسناكم : وطئناكم . انتهى .

قال الطبرسى (فى شرحه أبيات العباس من باب المنصفات) : وهو

(١) يقال فرش شير وخيل شيار ، مثل جيد وجياد ؛ من الشارة والشورة ، بالفتح ، وهو السمن . والبيت فى اللسان (شور ١٠٤) .

من باب التناصف . وللعرب قصائدٌ قد أنصف قائلوها أعداءهم [فيها^(١)]
وصدّقوا عنهم وعن أنفسهم فيما اصطَلَوْهُ من حَرِّ اللّقاء ، وفيما وصَفوه
من أحوالهم في إِمحاض الإِخاء ، قد سَمَّوها المنصفات . ويروى أَنَّ أَوَّلَ
من أنصف في شعره مُهلِهُلُ بن ربيعة حيث قال :

كَأَنَّا غُدُوَّةٌ وَبَنَى أَبِينَا بَجَنِبِ عُنِيزَةِ رَحِيًّا مُدِيرِ^(٢)

ومن التناصف في الإِخاء قول الفضل بن العباس رضى الله عنهما ٥٢١
في أبي لُهب :

لَا تَطْمَعُوا أَنْ تَهَيِّنُونَا وَنَكْرِمَكُم
وَأَنْ نَكْفِيَ الْأَذَى عَنْكُمْ وَتَوْذُونَا

انتهى .

والعباس وعمر بن معد يكرب صحابيَّان ، تقدّمت ترجمة الأول
في الشاهد السابع عشر^(٣) ، وترجمة الثاني في الشاهد الرابع والخمسين
بعد المائة^(٤) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد السّمائة ، وهو من
شواهد سيويهِ^(٥) :

٦٢٨ (مررتُ على وادِي السَّبَاعِ ولا أرى
كوادِي السَّبَاعِ حين يُظْلِمُ وادِيَا)

(١) التكلة من ش .

(٢) ط : « فانا غدوة » ، صوابه في ش ، وأمال القالي ٢ : ١٣٣ ، والبلدان (عيزة)
والأصمعيّات ١٥٥ .

(٣) الخزّانة ١ : ١٥٣ - ١٥٤ .

(٤) الخزّانة ٢ : ٤٤٤ - ٤٤٦ .

(٥) سيويهِ ١ : ٢٣٣ ، والمعنى ٤ : ٨٨ ، ومعجم البلدان (وادى السباع) .

أَقْلَ به ركبٌ أَتَوْه تَثِيَّةٌ

وَأَخَوْفَ إِلَّا مَا وَقَى اللهُ سَارِيَا)

على أن أفعل فيه من قبيل: ما رأيتُ كعينِ زيدٍ أحسنَ فيها الكُحْلُ .
قال سيبويه : إنما أراد أَقْلَ به الرُّكْبُ تَثِيَّةٌ منهم ، ولكنه حذف
استخفافاً ، كما تقول : أنتَ أفضلُ ، ولا تقول من أحد . وتقول :
اللهُ أكبرُ ، ومعناه الله أكبر من كل شيء . انتهى .

قال ابن خلف : حذف منهم وبه اختصاراً ، لعلم السامع . والهاء في
به الأولى ضمير (واديا) ، والهاء في به التي بعد منهم ضميرُ وادى السَّبَاعِ .

وقال الجاربردى (في رسالة ألفها لمسألة الكُحْل) على عبارة
الكافية : ولوقوع التغيير الكثير في العبارة الثالثة من الحذف والتقديم
والتأخير ، ربّما يتوهم أنها غير جائزة ، فلذلك احتاج إلى إيراد نظيرٍ
لها جاء في كلام العرب ، وقد أنشدَه سيبويه ، وهو قوله :

مَرَرْتُ عَلَى وادى السَّبَاعِ . . . البيتين

والاستشهاد إنما يحصل من البيتين بقوله : ولا أرى كوادى السباع
أَقْلَ به ركبٌ أَتَوْه تَثِيَّةٌ في وادى السباع . فَأَفْعَلَ ههنا وهو أَقْلَ ، جَرَى
لشيءٍ وهو في المعنى لمُسَبِّبٍ هو الرُّكْبُ مفضَّل باعتبار مَنْ هوله ؛ وهو قوله
به ، على نفسه ، باعتبار وادى السباع . انتهى .

وقد شرح الشارح المحقق البيتَين بما لم يُسَبِّق به .

وقوله : « الواو في ولا أرى اعتراضية » هذا بالنظر إلى مايتأتى بعد

البيت الثاني .

وجعل العيني جملة « ولا أرى » حالية . وقوله : « وهو بمعنى المفعول »
يعنى أَنَّ أَخَوْفَ فى البيت مأخوذ من الفعل المبني للمجهول ، أى أَشَدَّ
مُخَوِّفَةً ، كما أَخِذَ أَشْهَرُ وَأَحْمَدُ من المبني للمجهول ، أى أَشَدَّ مشهوريةً
ومحموديةً . وقوله : « وهو منصوب على التمييز من أَقْلَ » ، هذا هو الظاهر
وعليه اقتصر شارح اللباب قال : التثية : التوقُّف والتثبت . وتثية
تمييز ، من قوله أَقْلَ ، أى أَقْلَ توقُّفاً . فَأَقْلَ : أَفْعَلَ من القلة منصوب
لأنَّه صفة لمفعول أرى . وقال الجاربردى : تثية إمّا مصدر على أَصْلِهِ ،
لأنَّ الإتيان قد يكون تَثِيَةً أى بتوقُّف ، وقد يكون بغيره . وإمّا مصدرٌ
فى تأويل المشتقِّ ، أى متوقِّفين ، فيكون حالاً . وَأَخَوْفَ عطف على أَقْلَ
أو على تَثِيَةٍ إن جعلت حالا . وإلّا ماوقى الله : استثناءً مفرَّغ ، أى فى كلّ
وقت إلّا وقتَ وقاية الله السّارى . انتهى .

ومحصّل المعنى أَنَّ ثبوت الرّكب فى وادى السباع أَقْلُ من ثبوته فى

غيره .

والشعر لِسُحَيْمِ بْنِ وَثِيل ، وهو شاعرٌ عصرىُّ الفرزدق ، وقد تقدّمت

ترجمته فى الشاهد الثامن والثلاثين^(١)

ووادى السّباع : اسم موضع بطريق البصرة . قال أبو عُبَيْدٍ

البكرى (فى معجم ما استعجم) : وادى السباع جمع سبع ،

بالبصرة معروف ، وهو الذى قُتل فيه الزُّبَيْرُ بن العوّام ، سَمِيَ

بذلك لأنَّ أَسْمَاءَ - بنتَ عمران بن الحاف بن قضاعة . وقال

أسماء بنت دريم الكلبي : هي أسماء بنت دُرَيْم بن القَيْن بن أَهْوَد^(١) بن بهراء - كانت تنزلُهُ . ويقال ، لها أُمُّ الأَسْبُع ، لأنَّ ولدها أسد ، و كلب ، والذئب ، والدَّبَّ ، والفهد ، والسَّرْحان . وأقبل وائل بن قاسط فلماً نظر إليها رآها امرأة ذات جمال ، فطَمِعَ فيها ، ففطنت له فقالت : لو هَمَمْتُ بِى لَأَتَاكَ أَسْبُعِي ! فقال : ما أرى حولك أَسْبُعاً . فدَعَتْ بنيتها فَأَتَوْا بالسُّيُوف من كُلِّ ناحية . فقال : والله ما هذا إلا وادى السباع : فسَمَّى به . انتهى .

وقال ياقوت (فى معجم البلدان) : وادى السباع جمع سَبُع . والسبع يقال على ما له نابٌ وَيَعْدُو على الناس والدوابَّ فيفترسُها ، مثلُ الأسد ، والذئب ، والنمر ، والفهد . فأما الثعلب فإنه وإن كان له ناب فإنه ليس بسبعٍ لأنَّه لا عُدوانَ له . وكذلك الضَّبُع . ووادى السَّباع هو الذى قتل فيه الزبير بن العوام بين البصرة ومكة ، بينه وبين البصرة خمسة أميال^(٢) . كذا ذكره أبو عبيدة . ووادى السباع من نواحي الكوفة ، سَمَّى بذلك لما أذكَّره لك ، وهو : أَنَّ أسماء بنت دُرَيْم بن القَيْن بن أَهْوَد^(٣) بن بهراء كان يقال لها أُمُّ الأَسْبُع . وولدها بنو وَبَرَة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، يقال لهم السَّباع ، وهم : كلب ، وأسد ، والذئب ، والفهد ، والثعلب ، وسِرْحان . ونَزَكَ ، بفتح النون

(١) ط : « أهود » ، صوابه بالبدال المهملة كما فى ش معجم البلدان ومعجم ما استعجم والاشتقاق ونهاية الأرب ٢ : ٢٩٢ والقاموس (هود) .

(٢) فى النسختين : « خمسة أجبل » ، صوابه من معجم البلدان . وفى هامش المطبوعة مانصه : « قوله بينه وبين البصرة إلخ . المعروف الآن أن قبر الزبير يقرب البصرة ، بينهما أربعة أميال أو خمسة ، ولا يعرف جبل هناك ، فلمل أجبل مصحفة عن أميال . انتهى من هامش الأصل » . ولم ترد هذه الحاشية فى ش . وقد صح توقع ناشر الطبعة الأولى بما صححته به .

(٣) ط : « أهود » . وانظر ماسلف من تحقيق .

وسكون الزاى ، وهو الحَرِيش ويقال له الكركَدَنْ ، له قرنٌ واحد يحمل الفيلَ على قرنه على ما قيل . وجُعْمٌ^(١) ، وهو الضبع . والفِرَز ، وهو البَبَر : نوع من الضَّبَاع دون جِرم الفهد إلاَّ أَنَّهُ أَشَدُّ وأَجْرَأُ منه . وَعَنْزَة وهى دَابَّةٌ طويلة الخَطْم يُعَدُّ من رُغُوس السَّبَاع ، يَأْتِي الناقَةَ فيُدْخِل خَطْمَه فى حيائها ويأْكُل ما فى بطنها ، ويَأْتِي البعير فيمتلخ عينيه . وهرٌّ ، وضبع . والسَّمْع بالكسر ، وهو ولد الذئب من الضَّبْع . ودَيْسَم ، وهو الثعلب ، وقيل ولد الذئب . وِنَمْس ، وهو دويبة فوق ابن عرس يأكل اللحم ، وهو أَسود مِلْمَعٌ ببياض . والعِفْر : جنس من البير . وسَيْدٌ^(٢) . والدُّلْدُل . والظَّرَبَانُ : دويبةٌ منتنة الفُساء . ووَعَوَع ، وهو ابن آوى الضخم . وكانت تنزل مع أولادها بهذا الوادى فسمَّى وادى السَّبَاع بأولادها .

قال ابن حبيب : مرَّ وائل بن قاسط بِأسماء هذه أُمُّ ولد وَبَرَة وكانت امرأة جميلة ، وبنوها يرعون حَوْها ، فَهَمَّ بها فقالت له : لعلَّكَ أَسررت فى نفسك منى شيئاً ؟ فقال : أَجَلْ . فقالت : لئن لم تنته لَأَسْتَصرخنَّ عليك ! فقال : والله ما أرى بالوادى أحداً . فقالت : لو دعوتُ سِبَاعَه لَمُنَعَتْنِي منك وَأَعَانَتْنِي عليك . فقال : أَوَ تفهم السَّبَاعَ عنك ؟ قالت : نعم . ثم رفعت صوتها : يا كَلْبُ ، يا ذئبُ ، يا فهدُ ، يا دُبُ ، يا سِرْحانُ ، يا أَسَدُ^(٣) . فجاءوا يتعادون ويقولون : ما خبرُكِ يا أُمّاه ؟ قالت : ضيفكم هذا أَحْسِنُوا قِرَاه . ولم تر أَنَّ تفضح نفسها عند بنيتها ، فذبحوا له وأطعموه ، فقال وائل : ما هذا إلاَّ وادى السَّبَاع ! فسمى بذلك . انتهى .

(١) فى معجم البلدان : « خُتم » .

(٢) السيد ، بالكسر : الذئب . وفى ش : « سليع » .

(٣) فى معجم البلدان : « يا أَسَدُ ياسيد » .

الفعل الماضي

أنشد فيه ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد الستائة ^(١) :

٦٢٩ (والله لا عَذَّبَتْهُمْ بَعْدَهَا سَقْرُ)

٥٢٣ على أَنَّ الماضي المنقَّى بلا في جواب القسم ينصرف إلى الاستقبال
كما في البيت . وهو عجزٌ وصدْرُهُ :

(حَسْبُ الْمُحِبِّينَ فِي الدُّنْيَا عَذَابُهُمْ)

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة للمؤمل بن أميل المحاربى ، قالها في امرأةٍ كان
يهواها من أهل الحيرة يقال لها « هند » ، وهى قصيدة مشهورة ، ومنها :
(شَفَّ الْمُؤْمَلُ يَوْمَ الْحِيرَةِ النَّظْرُ لَيْتَ الْمُؤْمَلُ لَمْ يُخْلَقْ لَهُ بَصْرُ)
ومنها :

(قَتَلْتُ شَاعِرَ هَذَا الْحَيِّ مِنْ مُضَرٍ وَاللَّهِ يَعْلَمُ مَا تَرْضَى بِذَا مُضَرٍ)

روى الأصمهبانى (بسنده فى الأغانى) عن على بن الحسن الشيبانى
قال : رأى المؤمل فى نومه قائلاً يقول : أنت المتألى على الله أنه لا يعذب
المحبين ، حيث تقول :

يكفى المحبين فى الدنيا عذابُهُمُ وَاللَّهِ لَا عَذَّبَتْهُمْ بَعْدَهَا سَقْرُ

فقال : نعم . فقال : كذبت يا عدو الله ! ثم أدخل إصبعيه فى
عينيه ، وقال له : أنت القاتل :

شَفَّ الْمُؤْمَلُ يَوْمَ الْحِيرَةِ النَّظْرُ ... البيت

(١) الأغانى ١٩ : ١٥٠ ، والخزانة ٤ : ٢٢٨ بولاق ، والمغنى ٢٤٣ .

هذا ما تمنّيت ! فانتبه فزِعاً فإذا هو قد عمى^(١) .

وروى بسنده أيضاً عن مُصعب الزُّبيري أنّه قال : أنشد المهدي :

قتلت شاعرَ هذا الحيّ من مُضِرٍّ . . . البيت

فضحك وقال : لو علمنا أنّها فعلتُ لَمَّا رَضينا ، ولغضبنا له وأنكرنا .

انتهى .

و (شَفَّ) بالشين المعجمة والفاء بمعنى أَرَقّه وأهزله ونقصه . والمتألّى بمعنى الحالف : اسم فاعل من تألّى من الآليّة وهي اليمين . ويقال منها آلى إيلاءً ، واثلى أيضاً : افتعل من الآليّة .

والمؤمل : ابنُ أمّيل بن أسيد المحاربي . والمؤمل بصيغة اسم المفعول ، والثاني بالتصغير ، وكلاهما مأخوذان من الأمل ، والثالث بفتح الهمزة وكسر السين المهملة .

وهذه ترجمته من الأغاني قال : هو المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربي ، محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر . شاعرٌ كوفيٌّ من مخضرمي الدولتين الأمويّة والعباسيّة . وكانت شهرته في العباسيّة أكثر ، لأنّه كان من الجند المرتزقة معهم ، ومن يخصّهم ويخدمهم من أوليائهم . وانقطع إلى المهديّ في حياة أبيه وبعده . وهو صالحُ المذهب في شعره ، ليس من المبرزين الفحول ولا المردولين . وفي شعره لين^(٢) . وله طبعٌ صالح . وروى عنه بالسند أنّه قال : قدِمْتُ على المهديّ وهو بالرّى ، وهو إذ ذاك وليُّ عهد ، فامتدّحتُه بأبياتٍ فأمر لي بعشرين ألفَ درهم ، فكتب

(١) انظر معجم المرزباني ٣٨٤ .

(٢) ش : « ولا المردولين في شعره » فقط .

بذلك صاحبُ البريد إلى أبي جعفر المنصور وهو بمدينة السلام ، يُخبره
 أَنَّ الأمير المهدى أمر لشاعرٍ بعشرين ألفَ درهم ، فكتب إليه يعذُّله
 ويلومه ويقول له : إِنَّمَا كَانَ يَنْبَغِي [له ^(١)] أَنْ تَعْطِيَهُ بَعْدَ أَنْ يَقِيمَ
 بِبَابِكَ [سنة ^(٢)] أَرْبَعَةَ آلَافِ دَرَاهِمٍ . وكتب إلى كاتب المهدى أَنْ
 يُوَجِّهَ إِلَيْهِ بِالشَّاعِرِ . فَطَلَبَ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ : إِنَّهُ
 قَدْ تَوَجَّهَ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ . فَأَجْلَسَ قَائِدًا مِنْ قَوَّادِهِ عَلَى جِسْرِ النَّهْرَوَانِ
 وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَصَفَّحَ النَّاسَ رَجُلًا رَجُلًا . فَجَعَلَ لَا تَمُرُّ بِهِ قَافِلَةٌ إِلَّا تَصَفَّحَ مِنْ
 فِيهَا حَتَّى مَرَّتِ الْقَافِلَةُ الَّتِي فِيهَا الْمُؤَمِّلُ ، فَتَصَفَّحَهُمْ فَلَمَّا سَأَلَهُ مِنْ أَنْتَ ؟
 قَالَ : أَنَا الْمُؤَمِّلُ بْنُ أُمَيْلٍ الْمَحَارِبِيِّ الشَّاعِرِ ، أَحَدُ زَوَّارِ الْأَمِيرِ الْمُهْدِيِّ .
 فَقَالَ : إِيَّاكَ طَلَبْتُ . قَالَ الْمُؤَمِّلُ : فَكَادَ قَلْبِي يَنْصَدِعُ خَوْفًا مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ
 الْمَنْصُورِ . فَقَبِضَ عَلَيَّ وَأَسْلَمَنِي إِلَى الرَّبِيعِ ^(٣) ، فَأَدْخَلَنِي إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ
 وَقَالَ لَهُ : هَذَا الشَّاعِرُ الَّذِي أَخَذَ مِنَ الْمُهْدِيِّ عَشْرِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ ، قَدْ ظَفِرْنَا
 بِهِ . فَقَالَ : أَدْخُلُوهُ إِلَيَّ ^(٤) . فَأَدْخَلْتُ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ مَدْعُورٍ مَرْوَعٍ ^(٥)
 فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ وَقَالَ : لَيْسَ هَهُنَا إِلَّا خَيْرٌ ، أَنْتَ الْمُؤَمِّلُ بْنُ أُمَيْلٍ ؟
 قُلْتُ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أَتَيْتَ غَلَامًا غِرًّا فَخَدَعْتَهُ . قُلْتُ :
 نَعَمْ ، أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتَيْتُ غَلَامًا غِرًّا كَرِيمًا فَخَدَعْتَهُ فَانْخَدَعَ .
 قَالَ : فَكَأَنَّ ذَلِكَ أَعْجَبَهُ ، فَقَالَ : أَنْشِدْنِي مَا قُلْتَ لَهُ . فَأَنْشَدْتُهُ :

٥٢٤

(١) هذه من ش فقط .

(٢) التكملة من ش ، والأغاني ١٩ : ١٤٧ .

(٣) في ش : « وسلمني من الربيع » ، وفي حواشيها : « كذا خط المؤلف ، والصواب :
 وأسلمني إلى الربيع » . وما أثبت من ط والأغاني .

(٤) ط : « قال أدخله إلى » ، وأثبت ما في ش والأغاني .

(٥) في الأغاني « تسليم مروع » .

هو المهدي إلاَّ أنَّ فيه مشابهة من القمر المنير^(١)
تَشَابَهَ ذا وذا ، فهُما إذا ما أنارا مشكلانِ على البصيرِ
فهذا في الظَّلام سراجٌ ليلٍ وهذا في النهار ضياءُ نورِ
ولكنَّ فضلَ الرحمنُ هذا على ذا بالمتابِر والسَّيرِ
وبالمُلْك العزيزِ فذا أميرٌ وما ذا بالأميرِ ولا الوزيرِ
وبعضُ الشَّهر ينقصُ ذا ، وهذا منيرٌ عند نقصانِ الشُّهورِ^(٢)
فيا ابنَ خليفةِ الله المصفى به تعلو مُفاخرةُ الفُخورِ
لئن فُتَّ الملوكُ وقد توافوا إليك من السُّهولة والوعورِ
لقد سبقَ الملوكُ أبوك حتَّى بقُوا من بينِ كابٍ أو حسيرِ
وجئتَ مصلِّياً تجرَى حثيثاً وما بك حينَ تجرَى من فتورِ
فقال الناسُ : ما هذان إلاَّ كما بينَ الخَلقِ إلى الجديرِ
لئن سَبَقَ الكبيرُ فأهلُ سبق له فضلُ الكبيرِ على الصغيرِ
وإنَّ بلغَ الصغيرُ مدى كبيرٍ فقد خُلِقَ الصَّغيرُ من الكبيرِ

فقال : والله لقد أحسنت ، ولكن هذا لا يساوي عشرين ألف درهم ، فأين المال ؟ قلت : ها هو هذا . قال : يا ربيع امضِ معه فأعطه أربعة آلاف درهم وخذ منه الباقي . قال المؤمل : فخرج معي الربيعُ فحطَّ ثَقْلِي ووزَن لي من المال أربعة آلاف درهم ، وأخذ الباقي . فلما ولَّى المهديُّ الخلافةَ ولَّى ثوبان^(٣) المظالم ، فكان يجلسُ للناسِ بالرُّصافة ، فإذا ملأَ كِسَاءَهُ رَقاعاً رفعها إلى المهديِّ ، فرفعت إليه رقعةٌ فلما دخل بها

(١) الأغاني والطبري ٨ : ٧٤ : « مشابهة صورة القمر » .

(٢) الأغاني : « ونقص الشهر ينقص ذا » ، وفي الطبري : « ونقص الشهر يخذذا » .

(٣) في النسختين « أبو ثوبان » في هذا الموضع وتاليه ، صوابه في الأغاني ١٩ : ١٤٨ ،

والطبري ٨ : ٤٧ .

ابن ثوبان جعل المهديّ ينظر في الرّقاع ، حتّى إذا وصل إلى رقعتي ضحكك ، فقال له ابنُ ثوبان : أصلح الله أمير المؤمنين ، ما رأيْتُكَ ضحكْتَ من شيء من هذه الرّقاع إلّا من هذه الرقعة . فقال : هذه رقعة أعرف سببها ، ردُّوا إليه عشرين ألف درهم . فردُّوها إليّ وانصرفت .

وروى بسنده أيضاً عن أبي محمد اليزيديّ عن المؤمل بن أميل قال : صرت إلى المهديّ بجرجان ، فمدحته بقولي :

تعزّ ودعْ عنك سلمي وسِرْ حثيثاً على سائراتِ البغالِ
وكلُّ جوادٍ له مِيعَةٌ يخبُّ بسرّجك بعد الكلالِ
إلى الشّمسِ شمسِ بنى هاشم وما الشّمسُ كالبدرِ أو كالهلالِ
ويُضحكه أن يدومَ السؤالُ ويتلفُ من ضحكِهِ كلُّ مالٍ^(١)

٥٢٥

فاستحسنها المهديّ وأمر لي بعشرة آلاف درهم .

وشاع الشعر ، وكان في عسكره رجلٌ يغني ، فغنى في الشعر لرفقائه وبلغ ذلك المهديّ فبعث إليه سرّاً فدخل عليه فغناه ، فأمر له بخمسة آلاف درهم ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم أخرى ، وكتب بذلك صاحبُ البريد إلى المنصور . ثم ذكر باقي الخبر نحو ما تقدّم ، وزاد فيه أن المنصور قال له : جئت إلى غلامٍ غرّ فخدعته حتّى أعطاك من مال الله عشرين ألف درهم ، لشعر قلته غير جيّد ، وأعطاك من رقيق المسلمين مالا يملكه ، وأعطاك من الكُراع والأثاث ما أسرف فيه ، ياربيعُ خذ منه ثمانية عشر ألف درهم وأعطه ألفين ، ولا تعرّض لشيء من الأثاث والدواب والرقيق ، ففی ذلك غناه^(٢) . فأخذتُ مني والله بخواتمها . فلما ولي المهديّ

(١) الأغاني : « أن يديم السؤال ويتلف في ضحكة » .

(٢) الأغاني : « غناؤه » . والغنى يمد ويقصر .

دخلتُ عليه في المتظلمين ، فلما رآني ضحك وقال : مظلمةٌ أعرفها ولا
أحتاج إلى بينةٍ عليها . وجعل يضحك ، وأمر بالمال فردَّ عليَّ بعينه ،
وزادني فيه عشرة آلاف درهم . انتهى .

ومن شعره :

حَلَمْتُ بِكُمْ فِي نَوْمِي فَغَضِبْتُمْ
وَلَا ذَنْبَ لِي إِنْ كُنْتُ فِي النَّوْمِ أَحْلَمُ
سَاطَرْدُ عَنِّي النَّوْمُ كَيْلَا أَرَاكُمْ
إِذَا مَا أَتَانِي النَّوْمُ وَالنَّاسُ نَوْمٌ
تُصَارِمُنِي ، وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنَّي
أَبْرُءُ بِهَا مِنَ الْوَدَيْهَا وَأَرْحَمُ^(١)
وَقَدْ زَعَمُوا لِي أَنَّهَا نَذَرْتُ دَمِي
وَمَا لِي بِحَمْدِ اللَّهِ لَحْمٌ وَلَا دَمٌ
بَرَى جَبْهًا لَحْمِي وَلَمْ يُبْقِ لِي دَمًا
وَإِنْ زَعَمُوا أَنَّي صَحِيحٌ مُسَلِّمٌ^(٢)
فَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْحَبِّ صَحَّ سَقِيمُهُ
وَلَا مِثْلَ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْحَبَّ يَسْقَمُ^(٣)
سَقَتْلَ جِلْدًا بِأَلْيَا فَوْقَ أَعْظَمِ
وَلَيْسَ يُبَالَى الْقَتْلَ جِلْدٌ وَأَعْظَمُ

(١) الأبيات بعده لاتصل به مباشرة ، بل هي صوت خامس من القصيدة كما في الأغاني .

(٢) ش : « ولم يبق لي دم » .

(٣) الأغاني : « ولا مثل من لم يعرف » .

روى صاحب الأغاني بسنده إلى حذيفة بن محمد الطائي قال :
 حدثني أبي قال : رأيت المؤمل شيخاً كبيراً نحيفاً^(١) أعمى ، فقلت له
 لقد صدقتَ في قولك :

وقد زعموا لي أنها نذرتُ دمي . . . البيت

فقال : نعم فديتُك ، لا أقول إلا حقاً^(٢) !

(١) الأغاني : « شيخاً مصغراً نحيفاً » .

(٢) الأغاني : « وما كنت أقول إلا حقاً » .

الفعل المضارع

أَنشُد فيه ، وهو الشاهد الثلاثون بعد السمائة ^(١) :

٦٣٠ (أَبَيْتُ أُسْرِي وَتَبَيَّنَ تَدْلُكِي جِلْدَكَ بِالْعَنْبَرِ وَالْمِسْكِ الدَّكِي)

على أَنَّ النون من الأفعال الخمسة قد يندُر حذفها لا للأشياء المذكورة نظاماً ونشراً . والأصل تبين تدلكين .

قال ابن جنى (فى باب ما يردُّ عن العربى مخالفاً لما عليه الجمهور ، من كتاب الخصائص) : سألت أبا على رحمه الله عن قوله :

أَبَيْتُ أُسْرِي وَتَبَيَّنَ تَدْلُكِي وَجْهَكَ بِالْعَنْبَرِ وَالْمِسْكِ الدَّكِي

فحُضُنَا فيه ، واستقرَّ الأمر فيه على أَنَّهُ حذف النون من تبيتين ، كما حذف الحركة للضرورة فى قوله :

* فالْيَوْمَ أَشْرَبُ غَيْرَ مُسْتَحَقِّبٍ ^(٢) *

٥٢٦ كذا وَجَّهَتْه معه . فقال لى : فكيف تصنع بقوله : « تدلكي » ؟ قلت : نجعله بدلاً من تبينى أو حالا ، فنحذف النون كما حذفها من الأوَّل فى الموضعين ^(٣) . فاطمأنَّ الأمرُ على هذا . وقد يجوز أَن يكون تبينى فى موضع النصب بإضمار أَن فى غير الجواب ، كما جاء بيت الأعشى :

لَنَا هَضْبَةٌ لَا يَنْزِلُ الدُّلُّ وَسَطَهَا وَيَأْوِي إِلَيْهَا الْمُسْتَجِيرُ فَيَعَصِمَا ^(٤)

(١) الخصائص ١ : ٣٨٨ والمحتسب ٢ : ٢٢ والتصريح ١ : ١١ والممع ١ : ٥١
وبين على التصريح ١ : ٧٦ ، ٣٣٢ .

(٢) لا مرئ القيس فى ديوانه ٢٥٨ .

وعجبت :

* إِيْمَانُ اللَّهِ وَلَا وَاعِلْ *

(٣) أى أول الموضعين ، وهو قوله : « تبينى » .

(٤) الصحيح نسبته إلى طرفة . وانظر معجم الشواهد .

انتهى . وأورده ابن عصفور أيضاً (في كتاب الضرائر) قال :
ومنه حذف النون الذي هو علامة للرفع في الفعل المضارع لغير ناصب
ولا جازم ، تشبيهاً لها بالضممة ، من حيث كانتا علامتي رَفْع ، نحو
قول أيمن بن خُرَيْم :

وَإِذْ يَغْضَبُوا النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ إِذَا مَلَكَوْهُمْ وَلَمْ يُغْضَبُوا
وقول الآخر :

أَبَيْتَ أَسْرَى . . . البيت

وقول الآخر ، أنشده الفارسي :

وَالْأَرْضُ أَوْرَثَتْ بَنِي آدَامَا مَا يَغْرُسُهَا شَجَرًا أَيَّامًا^(١)
أَلَا تَرَى أَنَّ النُّونَ قَدْ حُذِفَتْ مِنْ يَغْضَبُونَ ، وَتَبَيَّنَتْ ، وَتَدْلُكِينَ ،
وَيَغْرُسُونَ ، لغير ناصب ولا جازم كما فعل بالحركة في أَشْرَبُ من قوله :
* فاليوم أَشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحَقِّبَ *

ولا يحفظ شيء من ذلك في الكلام إلا ما جاء في حديث خرَّجه
مسلم^(٢) في قتلى بدر ، حين قام عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فناداهم . . . الحديث . فسمع عمر قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال :
« يا رسول الله ، كيف يسمعون ، وَأَنَا يَجِيبُوا وَقَدْ جِئْنَا^(٣) ! » ، فحذف
النون من يسمعون ويجيبون . انتهى .

(١) كذا في ش و ضرائر ابن عصفور ١٠ ، وفي ط : « إذا ما » .

(٢) في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، في باب عرض مقعد الميت من الجنة عليه وإثبات
عذاب القبر . ج ٨ ص ١٦٣ . وقد أخرجه كذلك النسائي في كتاب الجنائز ، كما أخرجه أحمد
١ : ٣/٤٧٢ ، ١٠٤ ، ١٧٢ ، ٢٢٠ ، ٦/٢٦٢ ، ١٧٠ .

(٣) ط : « أحيقوا » ، صوابه في ش وصحيح مسلم . وتام الحديث : « قَالَ : وَالَّذِي
نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعُ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ وَلَكِنْهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَجِيبُوا . ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَحَبُّوا فَأَلْقُوا
فِي قَلْبِ بَدْرَ » . وفي نسخة من مسلم كما في الحواشي : « كيف يسمعون وَأَنَا يَجِيبُونَ » . لكن حذف
النون هو الوارد في معظم النسخ المتبعة ، كما في الحواشي .

وهذا البيت لم أقف على قائله :

وقوله : « أبيت أسرى » إلخ ، أبيت مضارع بات بيتوته ومبيتاً ومباتاً ، ومعناه اختصاص الفعل بالليل ، كما اختص الفعل في ظلّ بالنهار . فإذا قلت بات يسرى ، فمعناه فعل السرى بالليل ، ولا يكون إلاّ مع سهر الليل . وأسرى : مضارع سريت الليل وسريتُ به سرياً ، والاسم السراية ، إذا قطعته بالسير . وجملة أسرى خبر بات . و (تدلّكى) دلكت الشيء دلّكاً من باب قتل ، إذا مرسته بيدك . ودلكت النعل بالأرض : مسختها بها . وروى : (وجهك) بدل جلدك . والذكى : الشديد الرائحة . قال أبو القاسم البصرى (فى كتاب أغلاط الدينورى فى كتاب النبات) : يستعمل الذكاء أيضاً فى حدة الرائحة ، فيقال مسك ذكىّ بين الذكاء . ويستعمل أيضاً فيما أنتن فيقال منهما : رائحة ذكية ، وقد ذكت الرائحة تذكو ذكواً وذكاءً ، وهى فى الطيب أشهر ، وهم لها أكثر استعمالاً . انتهى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون^(١) بعد السّمائة^(٢) :

٦٣١ (كجوارى يلعبن بالصّحراء)

على أنّ ظهور الجرّ والتنوين على الياء ضرورة .

وقال فى شرح الشافية : وقومٌ من العرب يُجرّون الياء والواو مُجرى

(١) ش : « الواحد والثلاثون » والأفصح القلب ، أى الحادى . وفى التصريح ٢ : ٢٧٧ : « وحكى الكسائى عن بعض العرب واحد عشر على الأصل ، فلم يلتزم القلب كل العرب » . وفى الأثونى ٤ : ٧٧ : « وأما ما حكاه الكسائى من قول بعضهم واحد عشر فشاذاً به على الأصل المرفوض . قال فى شرح الكافية : ولا يستعمل هذا القلب فى واحد إلا فى تنييف ، أى مع عشرة أو مع عشرين وأخواته » .
(٢) ابن عيمش ١٠ : ١٠١ وشرح شواهد الشافية ٤٠٣ وأمالى الزجاجى ٨٣ .

الحرف الصحيح في الاختيار ، فيحركون ياء الرامى رفعاً وجراً ، وياء يرى رفعاً ، وكذا واو يغزو رفعاً . وأنشد هذه الأبيات وغيرها . والمشهور ما هنا .

قال ابن عصفور (في كتاب الضرائر) : فيه ضرورتان : إحداهما إثبات الياء وتحريكها ، وكان حقه أن يحذفها فيقول : كجوارٍ . والثانية أنه صرف مالا ينصرف ، وكان الوجه لما أثبت الياء إجراء لها مجرى الحرف الصحيح أن يمنع الصرف فيقول كجوارى . انتهى .

وهذا المصراع عجز ، وصدرة :

* ما إن رأيتُ ولا أرى في مُدَّتِي *

وإن زائدة مؤكدة لما النافية ، وجملة (ولا أرى في مُدَّتِي) أى في عمرى ، معترضة بين أرى البصرية وبين مفعولها ، وهو الكاف من قوله كجوارٍ ، فإنها اسميةٌ ولا يصح جعلها حرفية ، فإنَّ التقدير حينئذ ما رأيت نساء كجوارى ، وحذف الموصوف من مثل هذا لا ينطبق عليه ضابطه ، فإنَّ الصفة إذا كانت جاراً ومجروراً فلا بدَّ لجواز حذف الموصوف أن يكون بعضاً من مجرور بمن أوفى ، كما هو المعروف . ومفعول لا أرى محذوف ، أى مثلهن . والجوارى : جمع جارية ، وهى الشَّابة . قال صاحب المصباح : الجارية السفينة ، سميت بذلك لجريها في البحر ؛ ومنه قيل للأمة جارية على التشبيه ، لجريها مستسخرة في أشغال مواليتها . والأصل فيها الشَّابة لخفتها . ثم توسَّعوا حتَّى سمَّوا كلَّ أمةٍ جارية وإن كانت عجوزاً لا تقدر على السَّعى ، تسميةً بما كانت عليه . والصحراء : البرية والخلاء .

وقال ابن المستوفى (في شرح أبيات المفصل) : والعامل^(١) في في والكاف على الاختلاف في توجيه العاملين (رأيت) الواقع ، دون أرى المتوقع . وإن جاز إعمال كل واحدٍ منهما على الخلاف فيه ، لكنّ الأولى ما ذكرته ، لوجود الرؤية متحققة مع إعمال الأوّل ، وعدمها متوهمة مع إعمال الثاني . ويقوى ذلك زيادة إن مع ما . وموضع الكاف نصب ، وكذا موضع في أيضاً . هذا كلامه .

والبيت مع كثرة تداوله في كتب النحو واللغة لم أقف على قائله . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والثلاثون بعد السّائة^(٢) :

٦٣٢ (أَبَى اللَّهُ أَنْ أَسْمُو بَاءً وَلَا أَبِ)

على أَنَّ النصب على الواو يقدر كثيراً لأجل الضرورة .

وأورده أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي الأخفش (في كتاب المعاية) وقال : إنّما جاز ذلك للشاعر لأنّ الحركات مستثقلة^(٣) في حروف المدّ واللين ، فلمّا جاز إسكانها في الاسم في موضع الجرّ والرفع أجرى عليه في موضع النصب أيضاً لمّا أخبرتْك به . انتهى .

وأورده ابن عصفور أيضاً (في كتاب الضرائر) وقال : حذف الفتحة من آخر أسمو إجراءً للنصب مجرى الرفع .

(١) ش : « العامل » .

(٢) كامل المبرد ٩٣ والمختب ١ : ١٢٧ وابن يعيش ١٠ : ١٠٠ ، ١٠١ والمفنى ٦٧٧ والعينى ١ : ٢٤٢ والأشمونى ١ : ١٠١ وديوان عامر بن الطفيل ١٠ .

(٣) ط : « مستقلة » ، صوابه في ش .

صاحب الشاهد

والمصراعُ من أربعة أبياتٍ لعدوِّ الله عامر بن الطفيل ، على ما في ديوانه . وكانت كنيته في السُّلم أبو علي ، وفي الحرب أبو عقيل ، وهي :

أبيات الشاهد

(وما سوَّدتني عامرٌ عن وِراثةِ أبى الله أن أسمو بأُم ولا أبِ
ولا شَرَفَتني كُنيَّةُ عربيَّةٍ ولا خالفتُ نفسي مكارمَ منصبي
ولكنني أحمي حماها وأتقى أذاها ، وأرِمِي مَنْ رَمَاها بمنكبِ
وأتركها تسمو إلى كلِّ غايةٍ وتَفْخُرُ حييَ مشرقٍ بعد مغربِ)

٥٢٨

قال جامع ديوانه : أراد تغلبُ حيَّ المشرق وحيَّ المغرب .

وقوله : « وما سوَّدتني عامر » أى جعلتني سيِّد قبيلة بني عامر بالإرث عن آبائهم ، بل سُدتهم بأفعالي . وقوله : « أبى الله » إلخ ، أبى له معنيان : أحدهما بمعنى كره ، وهو المراد هنا . والثاني بمعنى امتنع . و (أن أسمو) مفعوله . والسُّمو : العلو .

وهذا المصراع أورده ابن هشام (في الباب الثامن من المغني) قال في القاعدة الأولى : قد يُعطى الشئُ حكمَ ما أشبهه في معناه أو لفظه أو فيهما . فأمَّا الأوَّلُ فله صور كثيرة . إلى أن قال منها : العطف بولا بعد الإيجاب ، في نحو قوله :

* أبى الله أن أسمو بأُم ولا أبِ *

لما كان معناه قال الله لي : لا تسمو بأُم ولا أبِ . انتهى .

وقال العيني : الإباء : شدة الامتناع ، وأن أسمو مفعوله ، والتقدير : أبى الله سُموي وسيادتي بأُم ولا أبِ . وقوله (ولا أبِ) عطفٌ على قوله بأُم . وزاد كلمة لا تأكيداً للنفي . هذا كلامه فتأمله .

وأورده جامع ديوانه كذا :

* أَبَى الله أَنْ أَسْمُو بِأُمِّي وَالْأَبِ *

فلا شاهد فيه على ما ذكره ابن هشام . واللام في الأب عوض عن المضاف إليه ، أى بأُمِّي وأبى .

وأورد المصراع أبو العباس المبرّد (في الكامل) في أبيات ثلاثة كذا :

إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ فَارِسٍ عَامِرٍ وَفِي السَّرِّ مِنْهَا وَالصَّرِيحِ الْمَهْذَبِ
فَمَا سَوَّدَنِي عَامِرٌ عَنْ وَرَاقَةٍ أَبَى اللهُ أَنْ أَسْمُو بِأُمٍّ وَلَا أَبِ
وَلَكِنِّي أَحْمَى حِمَاها وَأَتَقَى أَذَاهَا وَأَرْمِي مَنْ رَمَاهَا بِمِقْنَبِ

قال أبو الحسن الأَخْفَشُ (فيما كتبه على الكامل) : هذه الأبيات الثلاثة أولها :

تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمْرِىُّ مَالِكٌ بَعْدَمَا أَرَاكَ صَحِيحًا ، كَالسَّلِيمِ الْمَعْذَبِ
فَقُلْتُ لَهَا : هُمَّى الَّذِي تَعْلَمِينِهِ مِنَ الثَّأْرِ فِي حَيِّى زُبَيْدٍ وَأَرْحَبِ
إِنْ أَغْزُ زُبَيْدًا أَغْزُ قَوْمًا أَغْزَا مُرَكَّبِهِمْ فِي الْحَيِّ خَيْرٌ مُرَكَّبِ
وَإِنْ أَغْزُ حَيِّى خَشَعُمُ فِدْمَاؤُهُمْ شِفَاءً ، وَخَيْرِ الثَّأْرِ لِلْمَتَاوَبِ
فَمَا أَدْرَكَ الْأَوْتَارَ مِثْلُ مُحَقِّقٍ بِأَجْرَدِ طَاوٍ كَالْعَسِيبِ الْمَشْدَبِ
وَأَسْمَرَ خَطِّى وَأَبْيَضَ بَاتِرٍ وَزَغَفَ دَلَاصٍ كَالْغَدِيرِ الْمُثَوَّبِ
سِلَاحُ امْرِئٍ قَدْ يَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّهُ طَلُوبٌ لثَارَاتِ الرِّجَالِ مُطْلَبِ

فإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ إِلَى آخِرِ الْأَبْيَاتِ الثَّلَاثَةِ .

قال الأَخْفَشُ : السَّلِيمُ : المَلْدُوغُ ، وَقِيلَ لَهُ سَلِيمٌ تَفَاوُلًا لَهُ بِالسَّلَامَةِ .
وَزُبَيْدٌ وَأَرْحَبٌ : قَبِيلَتَانِ مِنَ الْيَمَنِ . وَالثَّأْرُ : مَا يَكُونُ لَكَ عِنْدَ مَنْ
أَصَابَ حَمِيمَكَ مِنَ الثَّرَةِ . وَالمَتَاوَبُ : الَّذِي يَأْتِيكَ لَطْلُبُ ثَأْرِهِ عِنْدَكَ ،

يقال: آب يثوب، إذا رجع. والتأوب في غير هذا: السير بالنهار بلا توقّف. والأوتار والأحقاد واحدُهما وتر وحقد. والأجرد: الفرس المتحسرّ الشعر^(١)، والضامر أيضاً. والعسيب: السَّعْفَة. والمشدّب: الذى قد أخذ ما عليه من العَقْد والسَّلاء والخُوص. ومنه قيل للطَّويل^(٢) مشدّب. وخطي: رمحٌ نسب إلى الخطّ، وهى جزيرة بالبحرين يقال إنّها تنبت الرماح. وقال الأصمعى: ليست بها رماح ولكن سفينة كانت وقعت إليها فيها رماحٌ وأرقيشتُ بها فى بعض السنين المتقدمة، فقيل لتلك الرماح الخطيّة: ثم عمّ كلّ رمحٍ هذا النسبُ إلى اليوم. والزَّغف: الدروع الرقيقة الدقيقة النسيج^(٣). والمثوب: الذى تصفّقه الرياح فيذهب ويجمىء. وهو من ثاب يثوب إذا رجع. وإنما سمى الغدير غديرًا لأنّ السيل غادره. اهـ.

٥٢٩

وقد أورد العينى رواية الأَخفش وفسّر جميع الأبيات وقال: الأوتار جمع وتر بالكسر: الجناية. والطاوى: ضامر البطن. والأسمر: الرُمح. والأبيضُ: السيف. والباتر: القاطع. والزَّغف، بفتح الزاى وسكون الغين المعجمة: جمع زَغَف بفتححتين: وهى^(٤) الدرع الواسعة. ومَنكَب، بفتح الميم وكسر الكاف: أعوان العرفان، وقيل رأس العرفاء

(١) تحسر الوبر عن البعير، والشعر عن الحمار، إذا سقط. ومنه قوله:

تحسرت عقبة عنه فأنسلها
واجتاب أخرى حديدًا بعد ما ابتلا

وفى النسختين: «المنحسر» صوابه فى الكامل.

(٢) فى الكامل: «للطويل المرق».

(٣) الذى فى الكامل: «والزغف: الدرع الرقيقة النسيج». والزغف لفظ مشترك بين المفرد والجمع، كما فى اللسان. وفى القاموس: «درع زغف ودروع زغف أيضاً». ومثله «الفلك» مشترك بين المفرد والجمع أيضاً للسفينة والسفائن، وكذلك «الجنب» للواحد والجمع.

(٤) ش: «وهو».

مِن النُّكَّابَةِ ، وهى العِرافة والنَّقَابَةُ . وروى بدله : « بمقنب » بكسر الميم
وفتح النون : جماعة الخيل والفُرسان . انتهى المراد منه .
وترجمة عامر بن الطفيل تقدّمت فى الشاهد الثامن والستين بعد
المائة^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد السائة^(٢) :

٦٣٣ (كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرَقُ

أَيْدَى جَوَارٍ يَتَعَاطَيْنَ الْوَرَقُ)

على أَنَّ تسكين الياء من (أَيْدِيَهُنَّ) ضرورة ، والقياس فتحها .

قال ابن جنى (فى المحتسب) عند قراءة الحسن : ﴿ أَوْ يَعْفُو الَّذِي ﴾
ساكنة اللام : وسكون الواو من المضارع فى موضع النصب قليل ، وسكون
الياء فيه أكثر . وأصل السكون فى هذا إِنَّمَا هُوَ لِلْأَلْفِ لِأَنَّهَا لَا تَحْرُكُ
أَبَدًا ، ثم شبهت الياء بالألف لقربها منها ، فجاء عنهم مجيئاً كالمستمر ،
نحو قوله :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْمُومَةِ أَيْدَى جَوَارٍ يَتْنُ نَاعِمَاتِ

وقال الآخر :

* كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرَقُ *

وقال الآخر :

* يَا دَارَ هِنْدٍ عَفَتْ إِلَّا أَثَافِيهَا^(٣) *

(١) الخزائن ٣ : ٨٠ - ٨٢ .

(٢) الخصائص ١ : ٢/٣٠٦ : ٢٩١ والمحتسب ١ : ١٢٦ ، ٢٨٩ والممددة
٢ : ١٩٣ وأمال المرتضى ١ : ٥٦١ وابن الشجرى ١ : ١٠٥ وشرح شواهد الشافية ٤٠٥
وملحقات ديوان رؤبة ١٧٩ .

(٣) البيت للخطبة فى ديوانه ١١١ . وعجزه :

* بين الطوى فصارات فوادها *

وكان أبو العباس المبرّد يذهب إلى أَنَّ إسكان هذه الياء في موضع النّصب من أحسن الضّرورات ، وذلك لأنّ الألف ساكنة في الأحوال كلّها ، فكذلك جعلت هذه ، ثم شبّهت الواو في ذلك بالياء ، فقال الأخطل :

إذا شئت أن تلهو ببعض حديثها
رفغن وأنزلن القطين المولدا^(١)

وقال الآخر :

* أبى الله- أن أسمو بأُم ولا أبِ *

فعلى ذاك ينبغي أن تُحمل قراءة الحسن : ﴿أَوْ يَعْفُو الذّى^(٢)﴾ فقال ابن مجاهد : وهذا إنّما يكون في الوقف . فأما في الوصل فلا يكون . وقد ذكرنا ما فيه . وعلى كلّ حال فالفتح أعرف . ١٠١ .

وقال ابن الشجرى (في أماليه) : قال المبرّد : هذا من أحسن الضّرورات لأنّهم ألحقوا حالة بحالتين ، يعنى أنهم جعلوا المنصوب كالمجرور والمرفوع ، مع أنّ السكون أخفّ الحركات . ولذلك اعترضوا على إسكان الياء في ذوات الياء من المركّبات نحو معديكرب وقالى قلا . ١٠١ هـ .

والبيتان من الرّجز نسبهما ابن رشيق (في العمدة) إلى رؤبة بن العجاج ، ولم أرهما في ديوانه .

وضمير أيديهن للإبل . والقاع هو المكان المستوى . والقرق ، بفتح القاف الأولى وكسر الراء : الأملس . وجوار : بفتح الجيم : جمع جارية .

(١) ديوان الأخطل ٩١ . رفغن : أسرع السير . أنزلن القطين ، أى أنزلن خدمهن

لئلا يسموا كلامهن .

(٢) من الآية ٢٣٧ في سورة البقرة .

ويتعاطين ، أى يناول بعضهنّ بعضاً . والورق : الدراهم . وفى التنزيل : ﴿ فابعثوا أحدكم بوريقكم هذه ^(١) ﴾ : كذا فى أمالى ابن الشجرى .

وقال الشريف المرتضى رحمه الله تعالى (فى أماليه) : القرق : ٥٣٠ الخشن الذى فيه الحصى . وشبه حذف مناسمهن له بحذف جوار ^(٢) يلعبن بدراهم . وخصّ الجوارى لأنهنّ أخفّ يداً من النساء . وقال آخرون : القرق هنا المستوى من الأرض الواسع . وإنما خصّ بالوصف لأنّ أيدي الإبل إذا أسرعت فى المستوى فهو أحمداً لها ، وإذا أبطأت فى غيره فهو أجهد لها ^(٣) .

تتمّة

أورد الشّارح المحقق بعد هذا الشعر المثلّ المشهور : « أعط القوسَ بارياً » ، وقال : قد يقدر نصب الياء فى السّعة أيضاً . وذكر المثل ، فإنّ بارياً مفعول أعط ، وهو ساكن الياء . وهو فى هذا تابع للزمخشريّ (فى المفضل) . قال الميدانى (فى أمثاله) : أى استعنى على عملك بأهل المعرفة والجدق فيه . ويُشدد :

يا بارى القوس برياً لست تحسّنها لا تُفسدنها وأعط القوسَ بارياً
قال شارح أبياته ابن المستوفى : قرأته على شيخنا أبى الحرم مكّيّ
ابن ريان (فى الأمثال لأبى الفضل أحمد بن محمد الميدانى) : أعط
القوسَ بارياً بفتح ، وكان فى الأصل « ليس يُحسنه » فأصلحه وجعله

(١) من الآية ١٩ فى سورة الكهف .

(٢) وكذا فيما نقل عنه البغدادى فى شرح شواهد الشافىة . لكن الذى فى أمالى المرتضى : « شبه حذف مناسمهن له بخذف جوار » بالخاء المعجمة فى الموضعين ، وكلاهما صواب وإن كان استعمال الخاء المعجمة فى سير الإبل هو الأكثر فى الاستعمال .

(٣) أى أشدّ لإجهاداً . وفى أمالى المرتضى : « فهو أحمداً لها » ، وما هنا صوابه .

« برياً لست تحسنها » وهو كذلك في نسخ كتاب الميداني . ولعلّ الزمخشري إنما أراد بالمثل آخر هذا البيت المذكور ، فأورده على ما قاله الشاعر ، لا على ما ورد من المثل في النثر ، فإنه ليس بمحلٍّ ضرورة . ويُروى :

يابارَى القوسَ برياً ليس يصلحُه لا تظلمِ القوسَ وَاَعْطِ القوسَ بارِيا
والأوّلُ أصَحّ . ويجوز أن يسكن ياءَ بارِيا وإن كان مثلاً برأسه ، على ما تقدّم تعليقه . ١ هـ .

والمشهور تسكين يائه .

وقد أورده الزمخشري (في أمثاله) وقال : قيل إنّ الرواية عن العرب : « بارِيا » بسكون الياء لا غير . يُضْرَبُ في وجوب تفويض الأمر إلى من يحسنه ويتمهرّ فيه . انتهى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد السّمائة ، وهو من شواهد س^(١) :

٦٣٤ (فَالْيَوْمَ أَشْرَبَ غَيْرَ مَسْتَحْقِبٍ إِثْمًا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِغِلْ)

على أنّه يقدر في الضرورة رفع الحرف الصحيح ، كما في أَشْرَبَ فإنّ الباءَ حرفٌ صحيحٌ وقد حذف الضمةُ منه للضرورة .

قال سيبويه : وقد يسكّن بعضهم في الشعر ويُسَمِّم ، وذلك قول امرئ القيس :

(١) في كتابه ٢ : ٢٩٧ . وانظر النوادر ٣١٣ والخصائص ١ : ٢/٧٤ : ٣١٧ ، ٣/٣٤٠ : ٩٦ والمحتسب ١ : ١٥ ، ١١٠ وابن يميث ١ : ٤٨ والمقرب ١١٦ وشذور الذهب ٢١٢ والتصريح ١ : ٨٨ والجمع ١ : ٥٤ وديوان امرئ القيس ١٢٢ ، ٢٥٨ .

فاليوم أَشْرَبُ غَيْرَ مُسْتَحَقِّبٍ . . . البيت

قال الأعلم : الشاهد فيه تسكين الباء من قوله أَشْرَبُ في حال الرفع والوصل . ٥١ .

وقال ابن جنى (في المحتسب) : اعتراض أبي العباس المبرّد هنا على الكتاب إنّما هو على العرب لا على صاحب الكتاب ، لأنّه حكاه كما سمعته ، ولا يمكن في الوزن أيضاً غيره . وقولُ أبي العباس : إنّما الرواية : فاليوم فاشْرَبُ ، فكأنّه قال لسيبويه : كذبت على العرب ولم تسمع ما حكيتّه عنهم . وإذا بلغ الأمر هذا الحدّ من السّرْف فقد سقطت كلّفة القول معه . وكذلك إنكاره عليه أيضاً قولَ الشاعر :

* وقد بدا هنك من المُنْزَرِ ^(١) *

فقال : إنّما الرواية :

* وقد بدا ذاك من المُنْزَرِ *

و « ما أطيب العرس لولا النّفقة » ^(٢) . ولو كان إلى الناس تخيّر

ما يحتمله الموضع لكان الرجل أقومَ من الجماعة به ، وأوصلَ إلى ٥٣١ المراد منه . ٥١ .

ووقع في نسخ الكامل للمبرّد :

* فاليوم أُسْقَى غَيْرَ مُسْتَحَقِّبٍ *

فلا شاهدَ فيه على هذا . ورواه أبو زيد (في نوادره) كرواية المبرّد :

(١) للأقشير . وقد سبق في الشاهد ٣٣٠ .

(٢) وكذا في المحتسب . وسبق في ٤ : ٤٨٥ : « ما أطيب العروس » . والعرس بالكسر والعروس : الزوجة . والعرس ، بالضم : طعام الوليمة في الإملاك .

« فاليوم فاشرب » قال أبو الحسن الأنخفش (فيما كتبه على نوادره) :
 الرواية الجيدة « فاليوم فاشرب » و « اليوم أَسْقَى » . وأما رواية من روى
 « فاليوم أَشْرَب » فلا يَجُوز^(١) عندنا إلا على ضرورة قبيحة ، وإن كان
 جماعة من رؤساء النحويين قد أجازوا . اهـ .

وهو في هذا تابع للمبرد .

وأورده ابن عصفور (في كتاب الضرائر) مع أبياتٍ مثله وقال :
 ومن الضرورة حذف علامتي الإعراب : الضمة والكسرة ، من الحرف
 الصحيح تخفيفاً ، إجراءً للوصل مُجرى الوقف ، أو تشبيهاً للضمة
 بالضمة من عَصْدُ ، وللكسرة بالكسرة من فخذ وإيل ، نحو قول امرئ
 القيس في إحدى الروايتين :

• فاليوم أَشْرَبُ غير مستحب •

إلى أن قال : وأنكر المبرد والزجاجي التسكين في جميع ذلك ، لما فيه
 من إذهاب حركة الإعراب ، وهي لمعنى ، وروياً موضع فاليوم أَشْرَب :
 « فاليوم فاشرب » . والصحيح أن ذلك جائزٌ سماعاً وقياساً .

أمّا القياس فإن النحويين اتفقوا على جواز ذهاب حركة الإعراب
 للإدغام ، لا يخالف في ذلك أحدٌ منهم . وقد قرأت القراء : ﴿ مَالِكٌ
 لَا تَأْمَنَّا^(٢) ﴾ بالإدغام ، وخط في المصحف بنون واحدة فلم ينكر ذلك
 أحدٌ من النحويين . فكما جاز ذهابها للإدغام فكذلك ينبغي أن لا يُنكَرَ
 ذهابها للتخفيف .

وأما السماع فثبوت التخفيف في الأبيات التي تقدّمت ، وروايتها

(١) وكذا في ملحقات نوادر أبي زيد ٣١٤ . وفي ش : « فلا تجوز » بالتاء .

(٢) الآية ١١ من سورة يوسف .

بعض تلك الآبيات على خلاف التخفيف لا يُقدح في رواية غيرهما .
 وأيضاً فإن ابن محارب قرأ : ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ ﴾^(١) بإسكان التاء .
 وكذلك قرأ الحسن^(٢) : ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ ﴾^(٣) بإسكان الدال . وقرأ
 أيضاً مسلمة ومُحارب : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ﴾^(٤) بإسكان الدال . وكان الذي
 حسن مجيء هذا التخفيف في حال السَّعة شدة اتصال الضمير بما قبله
 من حيث كان غير مستقل بنفسه : فصار التخفيف لذلك كأنه قد
 وقع في كلمة واحدة . والتخفيف الواقع في الكلمة نحو عَضِدَ في عَضِدَ
 سائغ في حال السَّعة ، لأنه لغة لقبائل ربيعة : بخلاف ما شبه به من
 المنفصل ، فإنه لا يجوز إلا في الشعر . فإن كانت الضمة والكسرة اللتان
 في آخر الكلمة علامتي بناء اتَّفَقَ النحويون على جواز حذفهما في الشعر
 تخفيفاً . انتهى ما أردنا منه .

وما نقله عن الزجاج مذكور (في تفسيره) عند قوله تعالى :
 ﴿ فَتَوَبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾^(٥) من سورة البقرة قال : والاختيار ما روى عن
 أبي عمرو أنه قرأ : ﴿ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾ بإسكان الهمزة . وهذا رواه سيبويه
 باختلاس الكسر ، وأحسب أن الرواية الصحيحة ما روى سيبويه فإنه
 أضبط لما روى عن أبي عمرو . والإعراب أشبه بالرواية عن أبي عمرو ،
 ولأن حذف الكسر في مثل هذا وحذف الضم إنما يأتي باضطرار من
 الشعر . وأنشد سيبويه وزعم أنه مما يجوز في الشعر خاصة :

(١) الآية ٢٢٨ من البقرة .

(٢) ط : « أبو الحسن » صوابه في ش . على أني لم أجد من نسب هذه القراءة إلى الحسن .
 بل هي قراءة الأعشى ، في المحتسب ١ : ١٩٩ وشواذ القرآن لابن خالويه ٢٩ وتفسير أبي حيان
 ٣ : ٣٥٤ وإتحاف فضلاء البشر ١٩٤ .

(٣) الآية ١٢٠ من سورة النساء و٢٧ من سورة الإسراء .

(٤) الآية ٧ من سورة الأنفال .

(٥) الآية ٥٤ من سورة البقرة .

* إِذَا اعْوَجَجْتَ قُلْتَ صَاحِبُ قَوْمٍ ^(١) *

بإسكان الباء . وأنشد أيضاً :

* فاليوم أَشْرَبُ غير مستحَقَب *

فالكلام الصحيح . أن يقول : يا صاحبُ أَقْبَلْ ، أو يا صاحبِ أَقْبَلْ ،
ولا وجه للإسكان . وكذلك : اليوم أَشْرَبُ يا هذا . وروى غير سيويه
هذه الأبيات على الاستقامة ، وما ينبغي أن يجوز في الكلام والشعر .
رووا هذا البيت على ضربين :

٥٣٢

* فاليوم أُسْقَى غير مُسْتَحَقَب *

وروا :

* إِذَا اعْوَجَجْتَ قُلْتَ صَاحِ قَوْمٍ ^(٢) *

ولم يكن سيويه ليروى إلا ما سمع ، إلا أن الذي سمعه هؤلاء
هو الثابت في اللغة . وقد ذكر سيويه أن القياس غير الذي روى . اهـ .
والبيت من قصيدة لامرئ القيس . قال عبد الرحمن السعدي (في
كتاب مساوى الخمر) :

غزا امرؤ القيس بنى أسدٍ ثائراً ببأبيه ، وقد جمع جمعاً من حميرٍ
وغيرهم من ذُوبان العرب وصعاليكها ، وهربَ بنو أسدٍ من بين يديه
حتى أنصوا الإبل وحسروا الخيل ، ولحقهم فظفر بهم ، وقتل بهم

(١) لأبي نخيلة الأعرابي . معجم الشواهد ٥٤٠ . وفي النسختين هنا وفي الموضع التالى :
« قومي » ، صوابه من سيويه .

(٢) في النسختين : « قومي » . وانظر ما سبق .

مقتلة عظيمة ، وأَبَار^(١) حُلْمَةَ بنِ أَسَد^(٢) ، ومَثَل في عمرو وكاهل ابني أَسَد .

وذكر الكلبي عن شيوخ كندة أَنَّهُ جعل يسْمُلُ أَعْيَنَهُم ، ويُحِمِّي الدُّرُوعَ فيلبسهم إِيَّاهَا .

وروى أَبُو سعيد السكريُّ مَثَلَ ذلك ، وَأَنَّهُ ذبحهم على الجبل ، ومزج الماء بدمائهم إلى أَن بلغ الحضيض ، وَأَصَاب قوماً من جُذَامٍ كانوا في بني أَسَد . وفي ظَفَرِهِ بنى أَسَد يقول :

قولا لدودان عبيد العصا	ما غرَّكم بالأسدِ الباسِلِ
لا تسقيني الخمر إن لم يروا	قتلى فتاماً بأبي الفاضل ^(٣)
حتى أُبِيرَ الحي من مالك	قتلاً ومن يشرف من كاهل
ومن بنى غنم بن دودان إذ	يُقَذَفُ أَعْلَاهُمْ على السافل ^(٤)
نعلوهم بالبيض مسنونة	حتى يروا كالخشب الشائل
حلت لي الخمرُ وكنت امرأ	من شربها في شغلٍ شاغلٍ
فاليوم أشرب غير مستحقب	إثماً من الله ولا واغل ^(٥)

قوله : « لدودان عبيد العصا » دُودان بالضم ، هو ابن أَسَد بن خزيمة ، وأراد القبيلة . وكان أَبُو امرئ القيس إذا غَضِبَ على أحدٍ منهم ضربوه

(١) ش : « وأباد » . والإبارة والإبادة سيان ، كلاهما بمعنى الإهلاك . وانظر البيت الثالث من المقطوعة التالية .

(٢) حلمة ، بضم الحاء ، كما في مختلف القبائل لابن حبيب ٢٤ . وانظر جمهرة ابن حزم ١٩٠ والمقد ٣ : ٣٤٠ . وهم حلمة بن أَسَد بن خزيمة .

(٣) في الديوان ٢٥٧ : « لا تسقني الخمر إن لم يروا » .

(٤) في الديوان : « إذ نقذف أَعْلَاهُمْ » .

(٥) في الديوان : « فاليوم فاشرب » .

بالعصا ، فسمُّوا عبيد العصا: أى يُعْطُونَ على الضَّرْب والمِحوَان . وأَرَادَ
بالأسد الباسل أباه . والفِثَام : بكسر الفاء بعدها همزة ممدودة : الجماعة ^(١) .

وأبِير : أفنى . ومالك هو ابن أسد . وأَرَادَ بِنِ يَشْرُف من كاهل
عِلْبَاءِ بِنِ الحارث ، من بنى كاهل بن أسد .

وقوله : يُقَذَّف ، أى يُرْمَى بعضهم على بعض إذا قُتِلُوا . والمسنونة :
المحددة . والشائل : الساقط .

وقوله : « حَلَّتْ لى الخمر » إلخ قال السعدى (فى مساوى الخمر) :
إنما قال هذا لأنه لم يكن حضر قتل أبيه ، وكان أبوه أقصاه لأنه كره
منه قول الشعر ، وإنما جاءه الأعور العجلى بخبره وهو يشرب فقال :
« ضِيعْنى صغيراً ، وحملْنى ثِقْلَ الثَّأْرِ كبيراً . اليومَ خمرٌ وغداً أمر .
لا صحوَ اليومَ ولا سُكْرَ غداً » . ثمَّ شَرِبَ سبْعاً ، ثمَّ لَمَّا صَحَا حلف أن
لا يغسلَ رأسه ولا يشربَ خمرأً حَتَّى يدركَ ثأْرَهُ . فذلك قوله : « حَلَّتْ لى
الخمر » . وهذا معنى ما زالت العرب تطرِّقه . قال الشَّنْفَرى يَرْتِى خاله تَأَبَّطَ
شراً ^(٢) ، ويذكر إدراكه ثأْرَهُ ، من قصيدة له :

فادركنا الثأر فيهم ولمّا يَنْجُ من لِحْيَانِ إِلَّا الْأَقْلُ
حَلَّتْ الخمرُ وكانت حراماً وبلاى ما أَلَمَّتْ تَحِلُّ ^(٣)

وافهم أنهم إنما حرموا الخمر على أنفسهم فى مدّة طلبهم ، لأنها
مَشْغَلَةٌ لهم عن كريم الأخلاق والإقبال على الشهرة ^(٤) . ٥١ .

٥٣٣

(١) لا واحد له من لفظه .

(٢) عند التبريزى فى شرح الحماسة . « قال ابن أخت تأبط شراً » . وروى هذا الشعر أيضاً
خلف الأحمر . انظر التبريزى ٢ : ٣١٣ والمرزوق ٨٢٧ .

(٣) بلاى : أى بعد جهد ومشقة . ط : « وبلاى » ، صوابه فى ش والحماسة . وفى ط
أيضاً : « يحلى » صوابه بالتاء كما فى ش والحماسة وأمال المرتضى ١ : ٢٨٠ .

(٤) ش : « وإقبال على الشهرة » .

قال إسماعيل بن هبة الله الموصلي (في كتاب الأوائيل) أول من اخترع هذا المعنى امرؤ القيس في هذا الشعر . . وأما قول أبي نواس :
 في مجلس ضحك السرور به عن ناجذيه وحلت الخمر
 فكان نذر لا يشرب حتى يظفر بمن يهوى ، فلما ظفر به وشرب قال هذا البيت . وكذا أيضاً قول البحتري :

حتى نحل ، وقد حلّ الشراب لنا جنات عدن على الساجور ألفافاً^(١)
 فإنه نذر أن لا يشرب خمرأ حتى يصير إلى بلده ، فلما صار إليه حلّ
 له الشراب . ١٠ هـ .

وبيت أبي نواس ، قبله :

ظلت حُمياً الكاس تبسطننا حتى تهتك بيننا السُّرُ

قال السيد المرتضى ، قدس الله روحه (في أماليه) : قوله : « وحلت الخمر^(٢) » يحتمل أن ما وصف به من طيب الموضع^(٣) وتكامل السرور به وحضور المأمول فيه^(٤) ، صار مقتضياً لشرب الخمر ، وملجئاً إلى تناولها ، ورافعاً للخرج فيها ، على مذهب الشعراء في المبالغة . وتكون فائدة وصفها بأنّها حلت ، المبالغة في وصف الحال بالحسن والطيب . ويحتمل أيضاً أن يكون عقد على نفسه وآلى أن لا يتناول الخمر إلا بعد

(١) من قصيدة له في ديوانه ١٣٨٢ تحقيق الصيرفي ، يمدح بها أبا جعفر الطائي . وضمير « تحل » عائذ إلى « الخيل » في بيت سابق ، وهو :

أزاجر أنا جرد الخيل أجشمها سيراً إلى الشام إغذاذاً وإيجافاً
 جنات ألفاف يلتف : بعض شجرها ببعض . والساجور : نهر ينبع من الشام .

(٢) ط : « حلت لي الخمر » ، صوابه في ش ، وذلك لأن المرتضى إنما يعلق على بيت أبي نواس : « في مجلس ضحك السرور » . وانظر أمالي المرتضى ١ : ٢٨٠ .

(٣) ط : « المواضع » ، صوابه في ش وأمالي المرتضى .

(٤) في بعض أصول الأمالي : « وحصول المأمول فيه » .

الاجتماع مع محبوبه ، فكان الاجتماع معه مُخرجاً عن يمينه ، على مذهب العرب في تحريم الخمر على نفوسهم إلى أن يأخذوا بثأرهم . ويحتمل أيضاً أن يريد بحلّت : نزلت وأقامت ، من الحلول الذي هو المُقام لا من الحلال ، فكأنّه وصف [بلوغ^(١)] جميع آرابه ، وحضور فنون لذاته ، وأنّها تكاملت بحلول الخمر التي فيها جماع اللذات . وهذا الوجه وإن لم يُشر إليه^(٢) فالقول يحتمله . ولا مانع من أن يكون مراداً . وقد قيل إنّه أراد : إذا استحللنا الخمر سكرنا^(٣) ، وفقدنا العقول التي كنا نمتنع لها من الحرام . والوجه المتقدم أشبه وأقرب إلى الصواب . ا هـ .

وقوله : « فاليوم أشرب » إلخ غير حال من ضمير أشرب . (والمستحب) : المكتسب ، وأصله من استحب : أى وَضَعَ في الحقيبة ، وهى خُرج يُربط بالسرج خلف الراكب . (وإثما) مفعول مستحب . كأن شربها بعد وفاء النذر لا إثم فيه بزعمه . و (واغل) معطوف على مستحب ، والواغل : الذى يأتى شراب القوم من غير أن يدعى إليه ، وهو مأخوذ من الوغول وهو الدخول . ومعناه أنّه وغلّ في القوم وليس منهم . وترجمة امرئ القيس تقدّمت في الشاهد التاسع والأربعين^(٤) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد السّائة^(٥) :

(١) التكلة من آمال المرتضى فقط .

(٢) في الأمال : « وإن لم يشر إليه أحد من تقدم » .

(٣) ش : « أنا استحللنا الخمر » ، صوابه في ط . على أن الذى فى الأمال : « إنه أراد

استحللنا الخمر لسكرنا » .

(٤) الخزائن ١ : ٣٢٩ - ٣٣٥ .

(٥) الخصائص ١ : ٣٠٧ ، والمنصف ٢ : ١١٥ وسر الصناعة ١ : ٨٩ والمختص

١٣ : ١٤ / ٢٥٨ ، ٩ : والإنصاف ٢٦ وابن يعيش ١٠ : ١٠٤ ، ١٠٦ والمتع ٥٣٨ وشرح

شواهد الشافية ٤٠٩ : والتصريح ١ : ٨٧ والعينى ١ : ٢٣٦ والهمع ٢ : ٥٢ وملحقات ديوان

رؤبة ١٧٩ .

٦٣٥ (وَلَا تَرْضَاهَا وَلَا تَمَلِّقِ)

على أَنَّ حرف العلة قد لا يحذف للجازم في الضرورة .

قال أبو علي (في إيضاح الشعر) في باب ما كان لامه من الأفعال
حرفَ علة : قال الشاعر :

هجوتَ زَبَانَ ثم جئتَ معتذراً من هجو زَبَانَ لَمْ تهجو ولم تدعِ
وقال :

* أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي ^(١) *

وقال آخر :

* مَا أَنَسَ لَا أَنْسَاهُ آخِرَ عِشْتِي ^(٢) *

هذه الحروف قد تحذف في موضع الجزم في الاختيار، كما تحذف ^(٣)
النون في التثنية والجمع وفعل المؤنثة المخاطبة . وربما لم تحذف في الشعر .
فقدّر الشاعرُ في الواو والياء الحركة كالآبيات التي قدّمناها، فتشبه الألف
بالياء في نحو لا أنساه في البيت ، ونحو قوله :

إِذَا الْعَجُوزُ غَضِبَتْ فَطَلَّقِ وَلَا تَرْضَاهَا وَلَا تَمَلِّقِ

ويدلُّ على تقدير الشاعر الحركة في الياء والواو وحذفها في الضرورة
أَنَّ سيبويه ^(٤) زعم أَنَّ أعرابياً أفصحَ الناسَ من كُليب ، أنشدَ لجريز :

فِيَوْمًا يُؤَافِنَ الْهُوَى غَيْرَ مَاضِيٍّ وَيَوْمًا تَرَى مِنْهُمْ غَوْلًا تَغُولُ
ا هـ . وكذا قال ابن جني (في سر الصناعة ، وفي الخصائص) ، وشرحه

(١) لقيس بن زهير ، وهو الشاهد التالي .

(٢) أمالي ابن السجري ١ : ٨٦ . وفي ش : « عِشْتِي » تحريف .

(٣) ط : « كما حذفت » ، وأثبت ما في ش .

(٤) في كتابه ٢ : ٥٩ .

شرحاً واضحاً (في شرح تصريف المازني) . وزاد (في سر الصناعة) أنَّ بعضهم رواه على الوجه الأعرف :

* ولا ترَضَّها ولا تَمَلِّقِ *

قال ابن عصفور (في كتاب الضرائر) : ينبغي أن تجعل لا في قوله « ولا ترَضَّها » نافية ، والواو فيه للحال ، مثلها في قُمْتُ وأَصَكُ وجهه ، فيكون المعنى إذا ذاك : فطلَّقَها غير مترَضٍّ لها ، ويكون قوله ولا تَمَلِّقِ جملةً نهي معطوفةً على جملة الأمر التي هي طَلَّقْ . ولا ينبغي أن تجعل لاحرف نهي ، لأنها لو كانت للنهي لوجب حذف الألف من ترَضَّها . اهـ . وينبغي أن يكون على هذا جملة « لا ترَضَّها » خبر مبتدأ محذوف ، أي وأنت لا ترَضَّها .

صاحب الرجز والبيتان من رجز لرؤبة بن العجاج . وبعده :

واعِمِدْ لِأُخْرَى ذَاتِ دَلٍّ مَوْنِقٍ لِيَنْقُ الْمَسَّ كَمَسَّ الْخِرْنَقِ

هكذا أورده أبو محمد الأعرابي (في ضالة الأديب) .

وقوله : « إذا العجوزُ غضبت » روى أيضاً : « كبرت » بدل غضبت . والترضى والاسترضاء بمعنى . قال الجوهري : يقال تَمَلَّقَه وتَمَلَّقَ له تَمَلَّقَا وتِمَلَّاقًا ، أي تودَّد إليه وتلطَّف له . واعِمِدْ بمعنى اقصد . والدَّلُّ بفتح الدال ، بمعنى الدلال والغُنْج . ومونق : اسم فاعل من أنق الشيء أنقاً من باب تعب ^(١) ، أي راع حسنه وأعجب . والخِرْنَق بكسر الخاء المعجمة والنون وسكون الراء بينهما : ولد الأرنب .

وترجمة رؤبة تقدِّمت في الشاهد الخامس من أول الكتاب ^(٢) .

* * *

(١) كذا . والصواب أنه من آتق الشيء إيتاقاً ، أي أعجبي .

(٢) الخزائن ١ : ٨٩ - ٩٣ .

وَأُنْشَدَ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ السَّادِسُ وَالثَّلَاثُونَ بَعْدَ السِّتَمِائَةِ [وَهُوَ مِنْ شَوَاهِدِ س^(١)] :

٦٣٦ (أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْحِي)

لَمَّا تَقَدَّمَ فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ .

وَأُورِدَهُ سَبِيوِيهِ فِي مَوْضِعَيْنِ مِنْ كِتَابِهِ عَلَى أَنَّهُ أَثْبَتَ الْبَاءَ فِي حَالِ الْجَزْمِ ضَرْوَرَةً ، لِأَنَّهُ إِذَا اضْطُرَّ ضَمَّهَا فِي حَالِ الرِّفْعِ تَشْبِيهًا بِالصَّحِيحِ .

قَالَ الْأَعْلَمُ : وَهِيَ لُغَةٌ ضَعِيفَةٌ ، فَاسْتَعْمَلَهَا عِنْدَ الضَّرُورَةِ . ا هـ .

وَهَذَا قَوْلُ الزَّجَاجِيِّ (فِي الْجَمَلِ) ، وَتَبِعَهُ الْأَعْلَمُ .

قَالَ ابْنُ السَّيِّدِ (فِي شَرْحِ أَبْيَانِهِ) : وَقَوْلُهُ إِنَّهُ لُغَةٌ خَطَأٌ .

وَمِثْلُهُ لِلصَّفَّارِ (فِي شَرْحِ الْكِتَابِ) قَالَ : إِثْبَاتُ حَرْفِ الْعِلَّةِ فِي الْمَجْزُومِ ضَرْوَرَةٌ ، نَحْوُ : أَلَمْ يَأْتِيكَ . وَقِيلَ إِنَّهُ لُغَةٌ ؛ يَعْرَبُ بِحَرَكَاتٍ مُقَدَّرَةٍ . وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لَيْسَ لُغَةً ، وَلَا أَعْلَمُ مِنْ قَالِهِ غَيْرُ الزَّجَاجِيِّ ، وَلَا سَنَدَ لَهُ فِيهِ . وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ مَعْرَبٍ بِحَرَكَاتٍ مُقَدَّرَةٍ أَنََّّهُمْ لَا يَقُولُونَ لَمْ أَخْشَى^(٢) ؛ لِأَنَّهُ لَا يَظْهَرُ فِيهِ حَرَكَةُ بَوَجْهِ ، بِخِلَافِ الْبَاءِ . فَإِنْ

قُلْتَ : أَنَّهُ سَمِعَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى^(٣) ﴾ ، وَقَوْلُهُ :

إِذَا الْعَجُوزُ غَضِبَتْ فَطَلَّقِ الْبَيْتِ

(١) التَّكْلَةُ مِنَ الشَّقِيطِيَّةِ ، وَانْظُرْ سَبِيوِيهِ ١ : ٢/١٥ : ٥٩ : وَنَوَادِرُ أَبِي زَيْدٍ ٢٠٣ وَالْجَمَلُ ٣٧٣ وَالْخَصَائِصُ ١ : ٣٣٣ ، ٣٣٧ وَالْمُخْتَسَبُ ١ : ٦٧ ، ١٩٦ ، ٢١٥ وَالْمُنْتَصَفُ ٢ : ٨١ ، ١١٤ ، ١١٥ وَسِرُّ الصَّنَاعَةِ ١ : ٨٨ وَأَمَالِي ابْنِ الشَّجَرِيِّ ١ : ٨٤ ، ٨٥ ، ٢١٥ وَالْإِنْصَافُ ٣٠ وَابْنُ عَيْشٍ ٨ : ١٠/٢٤ : ١٠٤ وَالْمُقَرَّبُ ٤ : ٤٣ وَالْمُغْنَى ١٠٨ ، ٣٨٧

(٢) ش : « لَمْ أَخْشَى » .

(٣) الْآيَةُ ٧٧ مِنْ سُورَةِ طه . وَهَذِهِ هِيَ قِرَاءَةُ حِزَّةٍ وَالْأَعْمَشُ وَابْنُ أَبِي لَيْلَى . تَفْسِيرُ أَبِي حَيَّانٍ ٦ : ٢٦٤ وَإِتِّخَافُ فَضْلَاءِ الْبَشَرِ ٣٠٦ .

قلت : لا دليل فيه كما زعمت ، لأنَّ الأول مقطوع ، أى وأنت لا تخشى ، أى فى هذه الحال . وكذا ولا ترصّاها ، أى طلقها وأنت لا ترصّاها ، ثم قال ولا تملّق ، فلا دليل فيه . ١ هـ .

وقال ابن خلف: هذا البيت أنشده سيبويه فى باب الضّرورات ، وليس يجب أن يكون من باب الضّرورات ، لأنّه لو أنشد بحذف الياء لم ينكسر ، وإنّما موضع الضرورة ما لا يجد الشاعر منه بداً فى إثباته ولا يقدر على حذفه لثلاً ينكسر الشعر ، وهذا يسمّى فى عروض الوافر المنقوص ، أعنى إذا حذف الياء من قوله : « ألم يأتيك » .

هذا كلامه ، ولا يخفى أنّ ما فسّر به الضرورة مذهب مرجوح . والتحقيق عند المحققين أنّها ما وقع فى الشعر سواء كان للشاعر عنه مندوحة أم لا .

وقال ابن جنى (فى فصل الهمزة من سرّ الصناعة) : رواه بعض أصحابنا : « ألم يأتك » على ظاهر الجزم ، وأنشده أبو العباس عن أبي عثمان عن الأصمعيّ :

* ألا هل أتاك والأنباء تنمى * ١ هـ .

فالأول فيه الكفّ ، والثانى فيه نقل حركة الهمزة من أتاك إلى لام هل وحذفها . ورواه بعضهم :

* ألم يبلغك والأنباء تنمى *

فلا شاهد فيه على الروايات الثلاث .

والبيت أورده ابن هشام (فى موضعين من المغنى) :

أحدهما : فى الياء قال : الياء فى قوله بما زائدة فى الضرورة . وقال

ابن الضائع : الباء متعلقة بتنمى وإنَّ فاعل يأتى مضمر ، والمسألة من باب الإعمال^(١) .

وثانیهما : فى الجملة المعترضة من الباب الثانى ، قال : جملة والأنباء تنمى معترضة بين الفعل والفاعل ، على أنَّ الباء زائدة فى الفاعل . ويحتمل أنَّ يأتى وتنمى تنازعا ، فاعل الثانى وأضمر الفاعل فى الأوّل ، فلا اعتراض ولازيادة . ولكن المعنى على الأوّل أوجه ، إذ الأنباء من شأنها أن تنمى بهذا وبغيره . ١ هـ .

يريد أنَّ يأتى وتنمى تنازعا قوله بما ، والأوّل يطلبه للفاعلية ، والثانى يطلبه للمفعولية ، فاعل الثانى على المختار ، وأضمر الفاعل فى الأوّل وهو ضمير ما لاقت .

وقال الأعلم ، وابن السجى (فى أماليه) : الباء زائدة بمنزلتها فى : ﴿ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً ﴾^(٢) . وحسن دخولها فى ما أنَّها مبهمه مبنية كالحرف ، فأدخل عليها حرف الجر إشعاراً بأنّها اسم ، والتقدير : ألم يأتىك ما لاقت . ويجوز أن تكون متصلة بىأتىك على إضمار الفاعل ، فيكون التقدير : ألم يأتىك النبأ بما لاقت . ودلّ على النبأ قوله : «والأنباء تنمى» أى تشيع . وأصله من نعى الشيء ينمى ، إذا ارتفع وزاد . ١ هـ .

وعلى هذا لاتنازع . وفيه الاعتراض بالجملة . وقول ابن هشام إنَّ زيادة الباء هنا ضرورة هو قول ابن عصفور ، قال (فى كتاب الضرائر) : ومنها زيادة حرف الجر فى المواضع التى لاتزاد فيها فى سعة الكلام ،

(١) يعنى باب التنازع .

(٢) الآية ٧٩ ، ١٦٦ من سورة النساء .

نحو: أَلَمْ يَأْتِيكَ . البيت فزاد الباء في فاعل يَأْتِي ، وزيادتها لا تنقاس في سعة الكلام إِلَّا في خبر ما ، وخبر ليس ، وفاعل كفى ومفعوله ، وفاعل أَفْعِلْ بمعنى ما أَفْعَلَهُ . وما عدا هذه المواضع لا تُزاد فيه الباء إِلَّا في ضرورة ، أو شاذٍ مِنَ الكلام يُحْفَظ ولا يقاس عليه . ١ هـ .

وقال ابن جنى (في المحتسب) : زاد الباء في « بما لاقت » لَمَّا كان معناه : أَلَمْ تسمع ما لاقت لبونهم .
هذا كلامه ، وكأنه على التضمين . وفيه بعد .

وقال ابن المستوفى ، وابن خلف : ويجوز أن يكون « لبون » فاعل يَأْتِي على تقدير مضاف ، أَى أَلَمْ يَأْتِيكَ خبر لبونهم ، ويكون في لاقت ضميرٌ يعود إلى لبون ، ويكون لبون في نيّة التقديم . وعلى هذا تكون الباء متعلّقة بيأْتِي ، وفيه التنازع على إعمال الأوّل على خلاف المختار . وفيه تعسف لتقدير المضاف في الأوّل وعدمه في الثانى . والكاف في يَأْتِيكَ لمخاطب غير معيّن ، أَى يا من يصلح للخطاب . و (الأنبياء) : جمع نبأ وهو خبرٌ له شأن . و (اللّبون) قال أبو زيد : هى من الشاء والإبل^(١) : ذات اللبن ، غزيرة كانت أم بكيسة . فإذا قَصَدُوا قَصَدَ الغزيرة قالوا لبنة . وقال ابن السّيد ، وتبعه ابن خلف : اللّبون : الإبل ذوات اللبن ، وهو اسمٌ مفرد أراد به الجنس .

٥٣٦

وبنو زياد هم الكملة : الربيع ، وعمارة ، وقيس ، وأنس ، بنو زياد ابن سفيان بن عبد الله العيسى . وأُمُّهم فاطمة بنت الخُرْشُب الأُمّارِيّة . والمراد لبون الربيع بن زياد : فإنّ القصّة معه فقط كما يأتى بيانها .

(١) ش : « هى من الإبل والشاء » .

كما يقال: بنو فلان فَعَلُوا كَذَا ، إذا كان الفاعل بعضهم ، وأسند الفعل إلى الجميع لرضاهم بفعل البعض .

ومثل هذا البيت قولُ عُفَيْفٍ بنِ المنذِرِ ^(١) :

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي بِمَا لَاقَتْ سَرَاةُ بَنِي تَمِيمٍ
تَدَاعَى مِنْ سَرَائِهِمْ رَجَالٌ وَكَانُوا فِي النَوَائِرِ وَالصَّيْمِ ^(٢)

والبيت أول أبيات لقيس بن زهير بن جَذِيمَةَ بن رَوَاحَةَ العبسي ، وكان سيد قومِهِ ، ونشأت بينه وبين الربيع بن زياد العبسي شَحْنَاءُ في شأن درعٍ ساومه فيها ، ولَمَّا نظر إليها وهو على ظهر فرسه وضعها على القَرْبُوس ثم ركض بها فلم يردّها عليه ، فاعترض قَيْسُ بنُ زهير أُمَّ الربيع : فاطمة بنت الخُرْشَبِ المذكورة ، في ظعائن من بني عبس ، فاقتاد جعلها ، يريد أن يرتنها بدرعه ، فقالت له : ما رأيتُ كالיום قطُّ فَعَلَ رجل ! أين ضلَّ حِلْمُكَ يا قيس ؟ أترجو أن تصطَلَحَ أنت وبنو زياد أبداً وقد أخذت أُمَّهُم فذهبت بها يميناً وشمالاً ، فقال الناسُ في ذلك ماشاءوا أن يقولوا ؟ وحسبك من شرِّ سماعِهِ ! فأرسلتها مثلاً . فعرف قيسُ ما قالت فخلّى سبيلها ، ثم طرد إبلاً له ، وقيل إبلاً وإبل إخوته ، فقديماً بها مكّة ، فباعها من عبد الله بن جُدعان التيمي ، معاوضةً بأدراعٍ وسيوف . ثم جاورَ ربيعة بنَ قُرط بن سلمة بن قُشَيْر ، وهو ربيعة الخير ، ويكنى أبا هلال .

(١) أحد بني عمرو بن تميم ، ذكره سيف في الفتوح ، وأنه شهد مع العلاء بن الحضرمي في قتال الحطم ، وأبلى فيه بلاءً حسناً . الإصابة ٦٤٢٩ . وانظر الطبري ٣ : ٢٦٩ في خبر بني تميم وأمر سجاح بنت الحارث بن سويد . وكان الحطم بن ضبيعة قد أدرك الإسلام فأسلم ثم ارتد . (٢) الطبري : « وكانوا في النوائب » ، وهو الوجه . والنوائب : الرؤساء ، وذؤابة كل شيء : أعلاه . ومنه قول الأحنس بن شهاب في المفضليات ٢٠٨ :

أرى كل قوم ينظرون إليهم وتقتصر عما يفعلون الذوائب

وفاطمة الأنمارية هي إحدى المنجيات . وسئلت عن بنيتها : أيهم أفضل ؟ فقالت : الربيع ، لا بل عمارة ، لا بل قيس ، لا بل أنس ، شكلتهم إن كنت أدري أيهم أفضل ، هم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها .

أبيات الشاهد وكانت امرأة لها ضيافة وسودد . والأبيات هذه بعد الأول :

(ومحبسها على القرشي تُشرى بأدراع وأسيافٍ حدادٍ
كما لا قيتُ من حمَلِ بن بدرٍ وإخوته على ذاتِ الإصادِ
همُ فخرُوا علىٍّ بغيرِ فخرٍ وردوا دونَ غايته جَسَوا
وكنْتُ إذا مُنيتُ بخَصمٍ سوءٍ دلفتُ له بداهيةً نَادِ
بداهية تَدُقُّ الصُّلبَ منهمُ بقَصمٍ أو تَجوبُ على الفؤادِ^(١)
أطوفُ ما أطوفُ ثم آوى إلى جَارٍ كجَارِ أبي دُوادِ
منيعٍ وسطَ عِكرمةَ بنِ قيسٍ وهُوبٍ للطَّريفِ وللتَّلاذِ
تظَلُّ جِياذه يَغسلُنْ حولى بذاتِ الرِّمثِ كالجِدِّ العوادِ
كفانى ما أخافُ أبو هلالٍ ربيعةُ فانتَهت عَنِّي الأعادِ
كَانِي إذ أَنختُ إلى ابنِ قُرطٍ أَنختُ إلى يَكَلِّمِ أُونَضَادِ)

٥٣٧

وقوله : « ومحبسها » بالرفع معطوف على فاعل يأتيك ، وهو ما لاقت ، أو لبون ، وبالجر عطفاً على مدخول الباء إن كان الفاعل ضمير النبأ .
والمحبس : مصدر ميمي .

والقرشيُّ هنا هو عبد الله بن جُدعان ، بضم الجيم ، ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي . وعبد الله من أجواد قريش في

(١) ط : « عن الفؤاد » ، وأثبت ما في ش والأغاني ١٥ : ٢٨ .

الجاهليّة . وشذّ ابن السيّد في قوله : إنّ قيساً لمّا قدِم مكة بإبلِ الربيع باعها لحرب بن أميّة وهشام بن المغيرة ، بخيلٍ وسلاح .

وتُشرى ، بالبناء للمفعول ، الجملة حال من ضمير المؤنث في مَحْبَسها . وقالوا : هو بمعنى تباع . ويجوز أن يكون المعنى يشتريها القرشيُّ ، فالجملة حالٌ من القرشي .

وفي هذا البيت بيانٌ لما لاقتَه لبُونُ بني زياد ، وافتخارٌ وتبجُّحٌ بما فعله مِنْ أخذِ إبله وبيعها بمكة .

وقوله : « كما لاقيتُ » قال ابن الشجري : العامل فيه محذوف تقديره : لاقيتُ منهم كما لاقيت من حمَل بن بدر .

ومثله في حذف الفعل منه للدلالة عليه ، قول يزيد بن مفرغ الحميريّ :
لا دَعَرْتُ السَّوَامَ في وَصَحِ الصُّبِّ حِجْ مَغِيرًا ولا دُعَيْتُ يَزِيدًا
يَوْمَ أُعْطِيَ من المَخَافَةِ ضَمِيًّا والمَنَايا يِرْصُدُنِي أَن أَحِيدًا^(١)
طالَعَاتٍ أَخَذْنَ كُلَّ سَبِيلٍ لا شَقِيًّا ولا يَدْعُنَ سَعِيدًا
أَرَادَ : لا يدعن شقيًّا ، فحذف . انتهى .

وذاث الإصَاد ، بكسر الهمزة : موضع .

وهذا البيت وما بعده إشارةٌ إلى حرب داحس والغبراء ، وهذا إجمالها (من كتاب الفأخر للمفضل بن سلمة) قال : داحسٌ : فرسٌ قيس بن زهير العبسي ، والغبراء : فرسٌ حذيفة بن بدر الفزاري . وكان من حديثهما أنَّ رجلاً من بني عبس يقال له قِرواش بن هُنيّ ، مارَى حملَ

حرب داحس
والغبراء

(١) ط : « يوم أعطى من النخافة » ، صوابه في ش مع أثر تغيير . وفي ديوانه ٧٢ والأغاني ١٧ : ٥١ : « من نخافة الموت » .

ابن بدرٍ أَخَا حذيفة، في داحس والغبراء، فقال حمل : الغبراء أجود .
وقال قرواش : داحس أجود . فتراهنا عليهما عشرة في عشرة^(١) . فأتى
قرواش إلى قيس بن زهير فأخبره ، فقال له قيس : راهن من أحببت
وجنّبتى بنى بدر فإنّهم يظلمون ، لقدّرتهم على الناس في أنفسهم ، وأنا
نكّدتُ آبَاء! فقال قرواش : فإنّى قد أوجبتُ الرّهان . فقال قيس : ويليكَ ،
ما أردت إلى أشأم أهل بيت ؟ والله لتتقلنّ علينا شراً^(٢) . ثم إنّ قيساً أتى
حمل بن بدر فقال : إننى أتيتك لأواضِعك الرّهان عن صاحبي . قال
حمل : لا أواضِعك أو تجيء بالعشر ، فإن أخذتها أخذتُ سبقي ، وإن
تركتها تركتُ حقاً قد عرفته لى وعرفته لنفسى . فأحفظ قيساً فقال :
هى عشرون . قال حمل : ثلاثون . فتزايدتا حتى بلغ به قيس مائة ،
وجعل الغاية مائة غلوة - والغلوة بفتح المعجمة : مقدار رمية سهم - فضمروهما
أربعين يوماً ، ثم استقبل الذى ذرع الغاية من ذات الإصَاد ، وهى رَذْهَة
فى ديار عيس وسط هَضْب القليب - قال الأصمعيّ : هَضْب القليب
بنجد جبال صغار ، والقليب فى وسط هذا الموضع ، يقال له ذات
الإصَاد ، وهو اسم من أسائها . والرَذْهَة : نُقيرة فى حَجَر يجتمع فيها
الماء - فانتهى الذرع إلى مكانٍ ليس له اسم . فقادوا الفرسين إلى
الغاية وقد عطشوهما وجعلوا السابق الذى يرد ذات الإصَاد وهى
ملاى من الماء . ولم يكن ثمّ قصبة^(٣) . ووضع حملٌ حيساً فى دلاء ،
وجعله فى شُعب من شعاب هَضْب القليب على طريق الفرسين ، وكمّن
معه فتیاناً وأمرهم إن جاء داحس سابقاً أن يردوا وجهه عن الغاية
وأرسلوهما من منتهى الذرع ، فلما دنوا وقد برز داحس وثب الفتيان

٥٣٨

(١) فى الفاخر ٢١٩ : « عشرًا إلى عشر » . فالتذكير للنوق ، والتأنيث للإبل .

(٢) التنفيل : الزيادة . وفى الفاخر : « لتتقلن » بالعين المعجمة ، وما هنا صوابه .

(٣) فى الفاخر : « ولم يكن ثمّ قصبة ولا شيء غير هذا » .

فلطموا وجهه داحس فردّوه عن الغاية . فقال قيس : يا حذيفة أعطني سَبَقِي . وقال الذي وُضِعَ عنده السَّبَقُ : إنَّ قيساً قد سبق ، وإنّما أردتُ أن يقال سبق حذيفة ، وقد قيل ^(١) : فأمره أن يدفعه لقيس . ثم إنَّ حذيفة ندّمه الناس فبعث ابنه يأخذ السبق من قيس ، فقتله قيس ، فاجتمع الناس فاحتملوا ديتَه مائة عُسْرَاءَ ، فقبضها حذيفةُ وسكن النَّاسُ . ثم إنَّ حذيفة استفرد أخا قيس ، وهو مالك بنُ زهير ، فقتله . وكان الربيع ابن زياد يومئذٍ مجاورَ بنى فزارة عند امرأته ، وكان مشاحناً لقيس بن زهير في درعه التي اغتصبها من قيس ، كما تقدّم ذكرها ، فلما قُتل مالك بن زهير ارتحلَ الربيع بن زياد ولحق بقومه ، وأتاه قيس بن زهير فصالحه ونزل معه ، ثم دسَّ قيسُ أُمَّةً له إلى الربيع تنظر ما يعمل ، فأتته امرأته تعرّضُ له وهي على طُهر ، فزجرها ^(٢) وقال :

منَعَ الرُّقَادَ فما أغمَضُ حَارِ جَلَلُ من النَّبِإِ المهمِّ السَّارِ
مَنْ كَانَ مسروراً بمقتل مالكٍ فليأتِ نسوتنا بوجهِ نهارِ
يَجِدُ النِّسَاءَ حَوَاسِراً يندُبُهُ يندُبُن بين عَوَانِسٍ وَعَدَارِ
أَفْبَعَدَ مَقْتِلَ مالكِ بنِ زهيرٍ ترجو النِّسَاءُ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ ^(٣)

فأخبرت الأُمَّةَ قيساً بهذا فأعتقها .

ثم إنَّ بنى عبس تجمعوا ورئيسهم الربيع بن زياد ^(٤) ، وتجمع بنو ذبيان ورئيسهم حذيفة بن بدر ، وتحاربوا مراراً .

(١) بعده في الفاخر : « أفادفع إليه سبقه » .

(٢) وكذا في النسختين والفاخر ، وفي حواشي ش : « كذا بخط المؤلف : فزجرها ، والرواية : فذرّها ، أى طردها » .

(٣) في هذا البيت الإتيان بعروض الكامل مقطوعة ، وهي في سائر الأبيات تامة . وانظر العيون الغامزة للدمامي ٢٧٤ والمقد ٥ : ٥٠٧ واللسان (قوى ٧٠) . وهو ما يسميه بعضهم الإقواء ، كأن عروض البيت نقصت قوة من قواه . وقال ابن عبد ربه : « والخليل يسمى هذا : المقعر » .

(٤) وذلك في يوم الهبادة . وهو في الفاخر ٢٢٦ .

ثم إِنَّ الربيع بن زياد أظفره الله في جفَر الهبَاءة على حُذيفة بن بدر وأخويه : حمل بن بدر ومالك بن بدر ، فقتلهم ومثّلوا بحذيفة فقطعوا ذكره فجعلوه في فيه ، وجعلوا لسانه في دُبْره .

وقال الربيع بن زياد يرثي حمل بن بدر :

تَعَلَّمَ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ طُرًّا	عَنِ جَفَرِ الْهَبَاءَةِ مَا يَرِيمُ
ولولا ظلمه ما زلت أبكى	عليه الدهر ما طلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر	بغى ، والبغى مرتعه وخيم
أظنّ الحلم دلّ على قومي	وقد يستجهل الرجلُ الحلم
ألاقي من رجال منكرات	فأنكرها وما أنا بالظلوم ^(١)
ومارست الرجال وما رسوني	فمعوّج عليّ ومستقيم

ودامت الحرب بينهم أربعين سنة إلى أن ضعف قيس بن زهير ،
فحالف ربيعة بن قُرط بن سلمة بن قُشير ، وهو ربيعة الخير ، ويكنى
أبا هلال . وقيل هو ربيعة بن قُرط بن عبد بن أبي بكر بن كلاب .
فنزل قيس مع بني عبس عنده وقال :

أحاول ما أحاول ثم آوى إلى جارٍ كجار أبي دُوادٍ
إلى آخر الأبيات المذكورة .

وقوله : « وكنت إذا مُنيت » الخ ، أى بُليت . ودلّفت : أسرع .
والنَّادُ بهمزة ممدودة قبلها نون وبعدها دال : الشديدة من الدَّوَاهي .
وتَقَصِّمُ^(٢) : تكسر . وتَجُوب : تشق .

وقوله : « كجار أبي دواد » الجار هنا : الناصر والحليف .

(١) في هذا البيت إقواء كما ترى .

(٢) ط : « وانقسم » ، صوابه في ش .

كان أبو دُوادٍ الإياديُّ في الجاهلية جاورَ الحارثَ بنَ هَمَّامَ بنِ مُرَّةَ ابنِ ذُهلَ بنِ شيبانَ ، فخرجَ صِبيانُ الحَيِّ يلعبونَ في غديرٍ ، فغمَسوا ابنَ أبي دُوادٍ فقتلوه ، فقال الحارثُ بنُ هَمَّامَ : لا يبقُ في الحَيِّ صبيٌّ إلَّا غُرِّقَ في الغديرِ ! فوَدِيَ ابنُ أبي دُوادٍ تسعَ دياتٍ أو عَشراً .

وَيَعْسِلُنَ ، من العَسَلانِ ، وهو اهتزاز الذي يعدو . والحِدَاءُ : جمع حِدَاةٍ كعنب جمع عنبه : طائر معروف . ويَلْمَلِمُ ونَضَادٌ^(١) : جبلان .

وقول الربيع بن زياد :

مَنْ كانَ مَسْروراً بِمَقْتَلِ مالِكٍ . . . الخ
يقول : من شَمِتَ من الأعداءِ بِمَقْتَلِ مالِكٍ فليعلم أَنَّا قد أدركنا ثأره .
وكانت العرب لا تَنْدُبُ قَتْلَها حَتَّى تَدْرِكَ ثأرها . وكان قيسُ قتلَ ابنَ حذيفةَ كما تقدَّم ، فقتلَ حذيفةَ مالِكاً أَخا قيسٍ . والمراد فليحضرَ ساحتنا في أوَّلِ النَّهارِ ، ليعلم أَنَّ ما كانَ محرماً من البكاءِ قد حُلَّ ، ويجد النساءُ مكشوفاتِ الرُّمُوسِ يندُبْنَه . وروى :

يجدُ النساءُ حواسراً يندُبْنَه يَلْطِمُنَ أَوْجِهَهُنَّ بالأسْحارِ
وروى أيضاً :

* قد قُمنَ قبلَ تبْلُجِ الأسْحارِ *

وروى أيضاً :

* بالصُّبحِ قبلَ تبْلُجِ الأسْحارِ *

قال ابن نباتة (في سَرَحِ العيون ، في شرح رساله ابن زيدون) :
لبعض الأدباءِ اعتراضٌ في قوله :

* بالصُّبحِ قبلَ تبْلُجِ الأسْحارِ *

(١) قال ياقوت في (نضاد) : « يبني عند أهل الحجاز على الكر ، وبنو تميم ينزلونه بمنزلة ما لا ينصرف » .

فَإِنَّ الصُّبْحَ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ تَبْلُجِ الْأَسْحَارِ .

أُجِيبَ بِأَقْوَالٍ مِنْهَا : أَنَّ الصُّبْحَ هُنَا الْحَقُّ الْوَاضِحُ ، مِنْ وَصْفِهِ ^(١) الذى هو كَالصُّبْحِ ، لِأَنَّهَا تَنْدِبُهُ بِخِلَالِهِ الْحَسَنَةِ الْوَاضِحَةِ . انْتَهَى .

وَقَيْسُ بْنُ زَهِيرٍ جَاهِلِيٌّ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْحُرُوبِ بَيْنَ عَبَسَ وَذُبْيَانَ بِسَبَبِ الْفَرَسَيْنِ : دَاحِسٍ وَالْغُبَرَاءِ كَمَا تَقَدَّمَ . وَكَانَ فَارِسًا شَاعِرًا دَاهِيَةً ، يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلَ فَيَقَالُ : « أَدْهَى مِنْ قَيْسٍ » .

وَلَمَّا طَالَ الْحَرْبُ ^(٢) وَمَلَّ ، أَشَارَ عَلَى قَوْمِهِ بِالرُّجُوعِ إِلَى قَوْمِهِمْ وَمَصَالِحَتِهِمْ فَقَالُوا : سِرْ نَسِرْ مَعَكَ . فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا نَظَرْتُ فِي وَجْهِ دُبْيَانِيَّةٍ قَتَلْتُ أَبَاهَا أَوْ أَخَاهَا ، أَوْ زَوْجَهَا أَوْ وَلَدَهَا .

وَتَقَدَّمَ ذِكْرُ الصُّلْحِ فِي شَرْحِ مَعْلَقَةِ زَهِيرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ .

ثُمَّ خَرَجَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى لَحِقَ بِالنَّمْرِ بْنِ قَاسِطٍ ، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ وَأَقَامَ عِنْدَهُمْ مَدَّةً ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى عُمَانَ فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى مَاتَ . وَقِيلَ إِنَّهُ خَرَجَ هُوَ وَصَاحِبُهُ لَهُ مِنْ بَنِي أَسَدٍ عَلَيْهِمَا الْمَسُوحُ يَسِيحَانِ فِي الْأَرْضِ وَيَتَقَوَّتَانِ مِمَّا تُنْبِتُ ، إِلَى أَنْ دَفَعَا ^(٣) فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ إِلَى أَخْبِيَّةٍ لِقَوْمٍ ، وَقَدْ اشْتَدَّ بِهِمَا الْجُوعُ ، فَوَجَدَا رَائِحَةَ شَوَاءٍ فَسَعَا يُرِيدَانِهِ ، فَلَمَّا قَارِبَا ^(٤) أَدْرَكَتْ قَيْسًا شَهَامَةً النَّفْسِ وَالْأَنْفَةِ فَرَجَعَ وَقَالَ لِمُصَاحِبِهِ : دُونَكَ وَمَا تُرِيدُ ، فَإِنَّ لِي لُبْنًا عَلَى هَذِهِ الْأَجَارِعِ ، أَتَرَقَّبُ دَاهِيَةَ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ . فَمَضَى صَاحِبُهُ وَرَجَعَ مِنَ الْغَدِ فَوَجَدَهُ قَدْ لَجَأَ إِلَى شَجَرَةٍ بِأَسْفَلِ وَادٍ فَنَالَ مِنْ وَرَقِهَا شَيْئًا ثُمَّ مَاتَ .

* * *

(١) فِي سِرْحِ الْعَيُونِ ١٥٨ : « مِنْ وَصْفِ الْقَتِيلِ » .

(٢) الْحَرْبُ ، مُؤَنَّثَةٌ ، وَحَكَى فِيهَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ التَّذْكِيرَ ، وَأَنْشَدَ :

وَهُوَ إِذَا الْحَرْبِ هَفَا عِقَابِهِ كَرِهَ الْقِيَاءَ تَلْتَظِي حِرَابِهِ

(٣) دَفَعَ إِلَى الْمَكَانِ ، وَدَفَعَ أَيْضًا بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ ، كِلَاهُمَا بِمَعْنَى انْتَهَى إِلَيْهِ .

(٤) ش : « قَارِبَاهُ » .

وأنشد بعده :

(فأنظورُ)

هو قطعة من بيت ، وهو :

(وأننى حيثما يثنى الهوى بصرى

من حوثما سلكوا أذنو فأنظورُ)

أى فأنظر . وتقدم الكلام عليه فى الشاهد الحادى عشر من أوائل الكتاب^(١) .

* * *

وأنشد بعده :

(ينبأُ)

وهذا أيضاً قطعة من بيت تقدم فى الشاهد الثانى عشر^(٢) بعد بيت فأنظور ، وهو :

(يَنبَأُ من ذِفْرِى غَضُوبِ جَسْرَةٍ

زِيَافَةٍ مِثْلِ الفَنِيْقِ الْمُقْرَمِ)

أى يَنبُع . والذِّفْرِى : الموضع الذى يعرق من الإبل خلف الأذن . والغضوب : الناقة العبّوس الصَّعبة الشديدة الرأس . والجَسْرَة : الجاسرة فى السَّير . والزِّيَافَة : المتبخترَة . والفنيق : الفحل المكرم لا يُركب لكرامته عند أهله . والمُقْرَم ، بضم الميم وفتح الراء : البعير الذى لا يُحْمَل عليه ولا يذلل ، وإنما هو للفحْلة .

وتقدم الكلام هناك مفصلاً عليه .

* * *

(١) الخزائن ١ : ١٢١ - ١٢٢ .

(٢) الخزائن ١ : ١٢٢ - ١٢٩ .

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ السَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ بَعْدَ السِّمَاءَةِ ^(١) :

٦٣٧ (وَمَا كِدْتُ آيِبًا)

هو قطعة من بيت ، وهو :

(فَأُبَيْتُ إِلَى فَهْمٍ وَمَا كِدْتُ آيِبًا)

وَكَمْ مِثْلُهَا فَارَقْتُهَا وَهِيَ تَصْفِيرُ

على أَنَّ أَصْلَ خَبَرِ كَادِ الْاسْمِ الْمَفْرَدِ كَمَا فِي الْبَيْتِ .

قال ابن جني (في إعراب الحماسة) : استعمل الاسم الذي هو الأصل المرفوض الاستعمال موضع الفعل الذي هو فرع ، وذلك أَنَّ قولك : كدت أقوم ، أصله كدت قائماً ، ولذلك ارتفع المضارع . أى لوقوعه موقع الاسم ^(٢) ، فأخرجه على أصله المرفوض كما يضطر الشاعر إلى مراجعة الأصول عن مستعمل الفروع ، نحو صرف ما لا ينصرف ، وإظهار التضعيف ، وتصحيح المعتل ، وما جرى مجرى ذلك . ونحو من ذلك ما جاء عنهم من استعمال خبر عسى على أصله :

أَكْثَرَتْ فِي الْعَدْلِ مِلْحًا دَائِمًا لَا تُكْثِرُنْ إِنِّي عَسَيْتُ صَائِمًا ^(٣)

وهذه [هي ^(٤)] الرواية الصحيحة في هذا البيت ، أعنى قوله « وما كدت آيباً » . وكذلك وجدتها في شعر هذا الرجل بالخط القديم ، وهو عتيق عندى إلى الآن . والمعنى عليه البتة . ألا ترى أَنَّ معناه فأبى

(١) الخصائص ١ : ٣٩١ والإنصاف ٥٥٤ وابن يعيش ٧ : ١٣ ، ١١٩ ، ١٢٥ والخزانة ٤ : ٩٠ بولاق والعيني ٢ : ١٦٥ والتصريح ١ : ٢٠٣ والمع ١ : ١٣٠ والأشونى ١ : ٢٥٩ والحماسة بشرح المرزوق ٨٣ .

(٢) كلمة « أى » ساقطة من إعراب الحماسة الورقة ٢٢ .

(٣) لرؤبة في ملحقات ديوانه ١٨٥ .

(٤) التكملة من ش وإعراب الحماسة .

وما كدت أئوبُ ، كقولك : سلّمت وما كدت أُلّمْ . وكذلك كُلُّ ما يلي هذا الحرف من قبله ومن بعده يدلُّ على ما قلنا . وأكثر الناس يروى : « ولم أك آئباً » ، ومنهم من يروى : « وما كنت آئباً » . والصواب الرواية الأولى ، إذ لا معنى هنا لقولك : وما كنت ، ولا لِمَ أك . وهذا واضح . انتهى .

وقال مثله (في الخصائص في باب امتناع العرب من الكلام بما يجوز في القياس) قال : وإنما يقع ذلك في كلامهم إذا استغنت بلفظ عن لفظ ، كاستغنائهم بقولهم : ما أجودَ جوابه عن قولهم : ما أجوبه . ٥٤١ أو لأنَّ قياساً آخر عارضه فعاق عن استعمالهم إيَّاه ، كاستغنائهم بكاد زيد يقوم عن قولهم : كاد زيد قائماً أو قياماً . وربما خرج ذلك في كلامهم . قال تَابَطُ شراً :

* فَأُبْتُ إِلَى فُهِمٍ وَمَا كَدْتُ آئِباً *

هكذا صحّة رواية هذا البيت . وكذلك هو في شعره . فأمّا رواية من لا يَضْبُطُه : « وما كنت آئباً » و« لم أك آئباً » فليُعبده عن ضبطه . ويؤكّد ما روينا نحن مع وجوده في الديوان ، أنَّ المعنى عليه . ألا ترى أنَّ معناه فأبْتُ وما كدت أئوبُ . فأمّا « ما كنت » فلا وجه لها في هذا الموضع . انتهى .

ومراده من هذا التأكيد : الردُّ على أبي عبد الله النَّمْرى (في شرح الحماسة) ، وهو أول شارح لها ، وقد تحرّفت عليه هذه الكلمة ، وهذه عبارته : أبْتُ : رجعت . وفهم : قبيلة . والهاء في قوله : « وكم مثلها » راجعةٌ إلى هذيل . وقوله : « وهى تصفير » قيل معناه أى تتأسّف على فوقى . هذا كلامه . وقد ردّ عليه أبو محمد الأعرابى أيضاً فيما كتبه على شرحه

قال : سألت أبا الندى عنه قال : معناه كم مثلها فارقتهما^(١) وهي تتلهف كيف أفلتت . قال : والرواية الصحيحة « وما كدت آثباً » .
والهاء راجعة في فارقتهما إلى فهم . قال : ورواية من روى « ولم أك آثباً » خطأ . وفهم : ابن عمرو بن قيس عيلان . انتهى كلامه .

قال التبريزي : قد تكلم المرزوقي على اختيار ابن جنى هذه الرواية ردًا عليه ولم ينصفه ، وقال : قوله ولم أك آثباً ، أى رجعت إلى قبيلتي فهم وكدت لا أئوب لمشارفتي التلف . ويجوز أن يريد : ولم أك آثباً في تقديرهم وظنهم . ويروى : « ولم آل آثباً » بمد الهمزة واللام ، أى لم أدع جهدي في الإياب . والأول أحسن . انتهى .

وقد أورد ابن عصفور هذا البيت (في كتاب الضرائر) قال : ومنه وُضع الاسم موضع الفعل الواقع في موضع خبر كاد ، وموضع أن والفعل الواقع في موضع خبر عسى ، نحو قول تأبَّطُ شراً :
فأبَّت إلى فهم وما كدت آثباً . . . البيت
وقول الآخر :

* لا تُكثِرْنِ إِنِّي عَسَيْتُ صَائِماً *

كان الوجه أن يقول^(٢) : وما كدت أئوب وإني عسيت أن أصوم ، إلا أن الضرورة منعت من ذلك . وقولهم في المثل : « عسى الغوير أبو ساء » شاذ ، يُحفظ ولا يقاس عليه . انتهى .

وقال ابن المستوفى وغيره : قوله إلى فهم ، أى إلى عقل . وقيل إلى قبيلتي التي هي فهم . وهذا أولى . انتهى .

(١) الكلام بعده إلى « فارقتهما » التالية ساقط من ش .

(٢) ش : « أن يقال » .

ورجوع الضمير من مثلها إلى فهم غير مناسب ، والمناسب رجوعه إلى لحيان ، وهي قبيلة من هذيل ، في قوله :
أقول لِلْحَيَّانِ وَقَدْ صَفِرَتْ لَهُمْ وطأى ويومى ضيقُ الحَجَرِ مُغَوَّرُ
ويجوز أن يرجع إلى الحالة التي صدرت منه حين أحاط به بنولحيان وأرادوا قتله ، فتحيّل ونجا منهم . وعبر عنه ابن المستوفى بقوله : أى المحنة أو الخُطَّة أو المِنة . وكم مبتدأً وجملة فارقتها هو الخبر ، وجملة وهى تصفيرُ حاليّة ، ومثلها بالجر : مميّزكم الخبرية .

قال ابن المستوفى : قرأت على شيخنا أبى الحرم مكّي : « وكم مثلها » بجرّ مثلها ورفعها ونصبها . فالجر على الإخبار . والرفع على معنى كم مرّة وقع مثلها فارقتها . والنصب على أن تكون ^(١) كم مبهمه بالاستفهامية ، ويكون مثلها صفة لنكرة محذوفة تقديرها : كم مرّة مثلها فارقتها . هذا كلامه فتأمّله .

٥٤٢

وقد أنث مثلاً لإضافته إلى ضمير المؤنث ، بدليل عود الضمير إليه من فارقتها مؤنثاً . قال ابن جنى : أنثَ المثلَ حملاً على المعنى لما كان المراد به الحال والصورة التي ذكرها . وقد جاء في التنزيل : ﴿ فله عَشْرُ أمثالها ^(٢) ﴾ لما كان المراد عشر حسنات أمثالها ، وتأنيث المذكر أغلط من تذكير المؤنث ، لأنّه مفارقة أصل إلى فرع ، وفي ما ورد من تأنيث نحو هذا دليل على قوّة إقامة الصّفة مقامَ الموصوف ، حتّى كأنّ الموصوف حاضر . ولولا أنّ ذلك كذلك لما جاز تأنيث المثل ، لكن دلّ جواز تأنيثه على قوة إرادة موصوفه . فاعرف ذلك فإنّه هو غرضُ هذا الفصل . انتهى .

(١) ش : « يكون » .

(٢) الآية ١٦٠ من سورة الأنعام .

وقوله : « تصفيرُ » قال ابن هشام (في شرح الشواهد) أراد بالصفير النفخ عند الندم . ونقل ابن المستوفي عن أبي محمد القاسم بن محمد الديمرقي^(١) أَنَّ المعنى لما أعجزتها جعلت تصفير خجلاً . قال : ومن عادة العرب إذا فاتهم^(٢) أَن يقولوا : هو هو ! ثم يصفروا وراءه ، يريدون به البعد . انتهى .

صاحب الشاهد والبيت من أبيات لتأبط شراً ، تقدّم شرحها في الشاهد الثامن والستين بعد الخمسمائة^(٣) .

وكان بنو لحيان من هذيل أخذوا عليه طريقَ جبل وجدوه فيه يشتر عسلًا ، لم يكن له طريق غيره ، وقالوا : استأسِرْ أو نقتلك ! فكره أَن يستأسر ، فصب ما معه من العسل على الصخر ووضع صدره عليه حتّى انتهى إلى الأرض من غير طريق ، فصار بينه وبينهم مسيرة ثلاثة أيام ونجا منهم . فتحكى الحكاية في الأبيات . وأولها :

أبيات الشاهد (إذا المرء لم يَحْتَلْ وقد جدَّ جدُّه)
أضاعَ وقاسى أمره وهو مدبرٌ
ولكن أخواله الحزم الذى ليس نازلاً
به الخطبُ إلّا وهو للقصدِ مبصرٌ

(١) ذكره ياقوت في معجم البلدان (ديمرت) وقال : من نواحى أصهان . وينسب إليها أبو محمد القاسم بن محمد الديمرقي الأديب . وذكره كذلك في معجم الأدباء ١٦ : ٣١٩ ، وترجم له أيضاً ابن النديم في الفهرست ١٢٨ . ومن تأليفه كتاب تفسير الحماة فيما نقل ياقوت عن ابن النديم ، وإن لم أعثر عليه في الفهرست . وفي حواشى ش : « كذا بخط المؤلف ، وصوابه الذيمرقي بالذال والنون » . ولا وجه لهذه الحاشية .

(٢) في حاشية ش : « كذا بخط المؤلف بغير بيان ، وفيه حذف لفساد المعنى دونه » . وكتب مصحح ط : « قوله إذا فاتهم ، هكذا بالأصل . ولعله إذا فاتهم فارس أو نحو ذلك ، فليحذر » .

فذاك قريعُ الدَّهرِ ما عاش حَوَّلُ

إذا سُدَّ منه مَنْخَرُ جاش مَنْخَرُ

قال ابن هشام (في شرح الشواهد) : ومن محاسن أهل الأدب أَنَّ
محيي الدين بن قُرْناس قال بحضرة شرف الدين الحليّ ، ملغزاً في
الشَّبابَةِ^(١) :

وناطقةٍ خرساءٍ باد شجونُها تَكْنِفُها عَشْرُ ومنهنَّ تُخِيرُ

يَلْكَدُ إلى الأسماع رجعُ حديثِها إذا سُدَّ منها مَنْخَرُ جاش مَنْخَرُ

فأجابه في الحال :

نهاني النُّهى والشَّيبُ عن وَصَلِ مثليها

وكم مثليها فارقتها وهي تصفِرُ

وفي الموضعين تضمين .

تتمة

ما أورده الشارح المحقّق على البصريّين في قولهم : رفع المضارع
لوقوعه موقع الاسم ، قد أجاب عنه صاحب اللباب ، قال فيه : وأمّا
مرفوع الفعل فهو المضارع الواقع بحيث يصحّ وقوع الاسم ، إمّا مجرداً
أو مع حرف لا يكون عاملاً فيه ، في نحو زيد يضرب ، وسيضرب ،
ويضرب الزيدان . لأنّ مبدأ الكلام لا يتعيّن للفعل دون الاسم ،
ونحو : كاد زيد يقوم ، الأصل فيه الاسم ، وقد عدل إلى لفظ الفعل
لزوماً لغرض . وقد استعمل الأصل المرفوض فيمن روى قوله : « وما كدت
آتياً » . انتهى .

(١) الشَّبابَة ، قال الخفاجي في شفاء الغليل ١١٢ : « بالتشديد : قصبة الزمر المعروفة ،

مولد » .

واحترز بقوله لا يكون عاملاً عما إذا كان مع حرفٍ عاملٍ نحو: زيد لم يضرب ، أو لن يضرب . وقوله: لأنَّ مبدأً الكلام . إلخ ، هذا جواب عن سؤالٍ مقدَّر ، وهو أنَّ يضرب في يضرب الزيدان مرفوع ، مع أنَّه ليس بواقعٍ موقعٍ الاسم ، إذ لا يجوز ابتداءً ضاربُ الزيدان من غير اعتمادٍ على شيء .

فأجابَ بأنَّ هذا الكلام من حيث هو كلامٌ لا يتعيَّن أن يكون فعلاً دون اسم ، بل جاز أن يكون ابتداءً الكلام اسماً على الجملة ، فصدق أنَّه واقعٌ موقعٌ الاسم على الإطلاق ، أي موقعاً كان يصحُّ أن يُوقع فيه اسمٌ من الأسماء وإن لم يقع اسمٌ مخصوص .

وقوله: ونحو كاد زيد يقوم إلخ ، هذا أيضاً إيرادٌ وجوابٌ. أمَّا لإيراد فهو أنَّ خبر كاد يلزم أن يكون فعلاً ، وهو أنَّ كاد موضوع لمقاربة وقوع فعلٍ ، فحقُّ خبره أن يكون فعلاً مضارعاً ، فلا يكون خبره اسماً ، فينبغي أن لا يرتفع لأنَّ ارتفاعه لوقوعه موقعٍ الاسم ، والاسم لا يقع خبراً لكاد .

وأجاب بأنَّ أصل خبر كاد أن يكون اسماً كما في خبر كان ، ولذلك استعمل ذلك الأصل المرفوض في البيت ، فالفعل واقعٌ موقعٌ الاسم نظراً إلى الأصل .

وقد بسط الكلام على مذهب الفريقين ابنُ الأنباري (في مسائل الخلاف) فلا بأس بإيراده قال : اختلف مذهبُ الكوفيَّين في رفع المضارع ، فذهب الأكثرون إلى أنَّه يرتفع لتعريضه من العوامل الناصبة والجازمة .

وذهب الكسائي إلى أنه يرتفع بالزائد في أوله . وذهب البصريون إلى أنه يرتفع لقيامه مقام الاسم .

واحتج الكوفيون بأن المضارع إذا دخل عليه ناصب نصبه ، أو جازم جزمه ، وإذا خلا منهما ارتفع ، فعلمنا أنه بدخولهما يُنصب ويجزم ، وبسقوطهما عنه يُرفع . قالوا : ولا يجوز أن يكون مرفوعاً لقيامه مقام الاسم ، لأنه لو كان كذلك لكان ينبغي أن يُنصب إذا كان الاسم منصوباً نحو كان زيد يقوم . ثم كيف يأتيه الرفع لقيامه مقام الاسم ، والاسم يكون مرفوعاً ومنصوباً ومخفوضاً ؟ ولو كان كذلك لوجب أن يُعرب بإعراب الاسم ، ولوجب أن لا يرتفع في كاد زيد يقوم ، لأنه لا يجوز كاد زيد قائماً .

واحتج البصريون بوجهين : أحدهما أن قيامه مقام الاسم عاملٌ معنوي يشبه الابتداء ، والابتداء يوجب الرفع . وكذا ما أشبهه .

وثانيهما : أن بقيامه مقام الاسم قد وقع في أقوى أحواله ، فوجب أن يُعطى أقوى الإعراب وهو الرفع . وإنما لم يرفع الماضي مع جواز قيامه مقام الاسم لأنه ما استحق أن يكون معرباً بنوع من الإعراب ، فصار قيامه بمنزلة عدمه . وأما قول الكوفيين إنه يرتفع بالتعري من العوامل الناصبة والجازمة فهو فاسد ، لأنه يؤدي إلى أن يكون الرفع بعد النصب والعزم ، ولا خلاف بين النحويين أن الرفع قبلهما ، وذلك أن الرفع صفة الفاعل ، والنصب صفة المفعول ، فكما أن الفاعل قبل المفعول ينبغي أن يكون الرفع قبل النصب . وإذا كان الرفع قبل النصب فلأن يكون قبل العزم من طريق الأولى . وأما قولهم : لو كان مرفوعاً^(١) لقيامه مقام الاسم إلخ ، فنقول : إنما لم يكن منصوباً أو

(١) ط : « ولا يجوز أن يكون مرفوعاً » ، وأثبت ما في ش والإنصاف ٥٥٣ .

مجروراً إذا قام مقام الاسم المنصوب والمجرور، لأنَّ عوامل الأسماء لا تعمل في الأفعال . وأمَّا قولهم : « وَجَدْنَا نَصْبَهُ وَجَزَمَهُ بِنَاصِبٍ وَجَازِمٍ لَا يَدْخُلَانِ عَلَى الْأَسْمِ فَعَلِمْنَا أَنَّهُ يَرْتَفِعُ مِنْ حَيْثُ لَا يَرْتَفِعُ الْأَسْمُ » ، قلنا : وكذلك نقول فَإِنَّهُ يَرْتَفِعُ مِنْ حَيْثُ لَا يَرْتَفِعُ الْأَسْمُ ، لأنَّ ارتفاعه لقيامه مقام الاسم ، والقيام مقام الاسم ليس بعامل للرفع في الاسم .

٥٤٤

وأمَّا قول الكسائي إِنَّهُ يَرْتَفِعُ بِالزَّائِدِ فِي أَوَّلِهِ ، فهو فاسد من وجوه : أحدها : أَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيْهِ عَوَامِلُ النَّصْبِ وَالْجَزْمِ^(١) لَأَنَّهُمَا لَا يَدْخُلَانِ عَلَى الْعَوَامِلِ .

الثاني : كَانَ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَنْتَصِبَ وَلَا يَجْزَمَ بِدَخُولِهِمَا ؛ لوجود الزائد في أوله أبداً .

الثالث : أَنَّ هَذِهِ الزَّوَائِدَ بَعْضُ الْفِعْلِ لَا تَنْفَصِلُ مِنْهُ فِي لَفْظٍ ، بَلْ هِيَ مِنْ تَمَامِ مَعْنَاهُ ؛ فَلَوْ عَمِلَتْ لَزِمَ أَنْ يَعْمَلَ الشَّيْءُ فِي نَفْسِهِ .

وأمَّا قولهم : « لَوْ كَانَ مَرْفُوعاً لَقِيَامُهُ مَقَامَ الْأَسْمِ لَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَرْتَفِعَ فِي كَادٍ زَيْدٍ يَقُومُ » إلخ ، قلنا : هَذَا فَاسِدٌ ، لِأَنَّ الْأَصْلَ كَادُ زَيْدٍ قَائِماً . وَلِذَلِكَ رَدَّهُ الشَّاعِرُ فِي الضَّرُورَةِ إِلَى أَصْلِهِ فِي قَوْلِهِ : « وَمَا كَدْتُ آتِباً » ، إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ كَادُ مَوْضُوعَةً لِلتَّقْرِيبِ مِنَ الْحَالِ ، وَاسِمُ الْفَاعِلِ لَيْسَ دَلَالَتُهُ^(٢) عَلَى الْحَالِ بِأَوَّلَى مِنْ دَلَالَتِهِ عَلَى الْمَاضِي ، عَدَلُوا عَنْهُ إِلَى يَفْعَلُ ؛ لِأَنَّهُ أَدْلُّ عَلَى مُقْتَضَى كَادٍ ، وَرَفَعُوهُ مِرَاعَاةً لِلْأَصْلِ . فَدَلَّ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ .

انتهى كلامه باختصار ، وفيه مواضع تحتمل المناقشة لا تخفى على المتأمل .

(١) ط : « أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيْهِ عَامِلُ النَّصْبِ وَالْجَزْمِ » ، وَأَثْبَتَ مَا فِي شِ وَالْإِنْصَافِ .

(٢) وَكَذَا فِي الْإِنْصَافِ ٥٥٥ بترك التأنيث .

النواصب

أَنشد فيه ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد الستمائة ^(١) :

٦٣٨ (وَدِدْتُ وَمَا تُغْنِي الْوَدَادَةُ أَنْتَى

بِمَا فِي ضَمِيرِ الْحَاجِبِيَّةِ عَالِمٌ)

على أَنَّ (أَنَّ المفتوحة ^(٢)) يجوز أن تقع بعد فعل غير دالٍّ على العلم واليقين كما في البيت ، خلافاً للزمخشري (في مفصله) ، فَإِنَّ وددت بمعنى تمنيت .

قال ابن درستويه (في شرح فصيح ثعلب) : وددته بالكسر أَوَدَهُ بالفتح ، بمعنى وَمِيقَتِهِ أَمَقَهُ . وكذلك وددتُ أَنَّهُ كَذَا ، إِذَا تَمَنَّيْتَهُ ، لِأَنَّهُ أَيضاً مِنَ الْمِيقَةِ وَالْمَحَبَةِ . انتهى .

والزمخشري قاله ^(٣) في الحروف المشبهة بالفعل ، وهذا نصه :

فصل : والفعل الذي يدخل على المفتوحة مشددة أو مخففة يجب أن يُشاكلها في التحقيق . فَإِنْ لم يكن كذلك نحو : أَطْمَع ، وَأَرْجُو ، وَأَخَاف ، فليدخل على أَنَّ الناصبة للفعل . وما فيه وجهان كظننت وحسبت وخِلت فهو داخلٌ عليهما ^(٤) جميعاً . انتهى بحذف الأمثلة .

وقد جراه ابن يعيش (في شرحه) ولم ينتقده بشيء ، قال : قد تقدم أَنَّ أَنَّ المفتوحة معمولة لما قبلها ، وَأَنَّ معناها التأكيد والتحقيق ، مَجْرَاهَا فِي ذَلِكَ مَجْرَى الْمَكْسُورَةِ ، فيجب لذلك أن يكون الفعل الذي

(١) الحاشية ١٢٨٧ ، ١٥٧٠ بشرح المرزوقي وديوان كثير ٢ : ٣٦ .

(٢) ش : « على أن المفتوحة » .

(٣) ط : « قال » ، وأثبت ما في ش .

(٤) أي على أن وأن ، المشددة والمخففة .

تُبْنَى عليه مطابقاً لها في المعنى ، بأن يكون من أفعال العلم واليقين ونحوهما بما معناه الثبوت والاستقرار ، ليتطابق في المعنى العامل والمعمول ولا يتناقضا^(١) . وحكم المخففة من الثقيلة في التأكيد والتحقيق حكمُ الثقيلة ، لأنَّ الحذف إنما يكون لضربٍ من التخفيف ، فهي لذلك في حكم الثقيلة ، فلذلك لا يدخل عليها من الأفعال إلا ما يدخل على المثقلة . هذا كلامه

والبيت أول أبيات أربعة أوردها أبو تمام (في الحماسة) لكثير عزة . وهي بعد الأول :

(فَإِنْ كَانَ خَيْرًا سَرَّنِي وَعَلِمْتَهُ وَإِنْ كَانَ شَرًّا لَمْ تَكُنْ لِلْوَأْتِمْ
وما ذَكَرْتُكَ النَّفْسُ إِلَّا تَفَرَّقَتْ)

٥٤٥

فريقين : منها عاذرٌ لي ولانهم
فريق أبى أن يقبل الضَّيمَ عَنَوَةً
وآخرُ منها قابلُ الضَّيمِ راغماً

وقوله : (وما تُغْنِي الْوَدَادَةُ) أى تنفع ، جملة معترضة بين وَدِدْتُ وبين معموله وهو أَنَّنِي إلخ . و (العاجبية) هى عزةٌ محبوبةٌ كثيرٌ ، واشتهر بالإضافة إليها فيقال كثيرٌ عزةٌ ، بفتح العين المهملة وتشديد الزاى . والعاجبية : نسبةٌ إلى أحد أجدادها ، قال ابن الكلبي : عزة بنت حُمَيْل ، بضم المهملة ، ابن حَفْص ، بفتحها ، من بنى حاجب ابن غِفَار ، بكسر المعجمة . وتقدّم الكلام عليها في الشاهد الثالث والسبعين بعد الثلاثئة^(٢) .

(١) في ابن يمش ٨ : ٧٧ : « ليتطابق معنياً العامل والمعمول ولا يتناقضا » .

(٢) الخزائن ٥ : ٢٢١ - ٢٢٣ .

قال الطَّبْرَسِيُّ^(١) (في شرح الحماسة) : يقول : تَمَنَيْتُ أَنَّي عَالِمٌ
بِمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ قَلْبُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ لِي . وَالْوِدَادَةُ بِكُسْرٍ الْوَاوِ وَفَتْحُهَا^(٢) .

وقوله : « فَإِنْ كَانَ خَيْرًا » إلخ ، أَيْ فَإِنْ كَانَ مَا تَضَمَّرَهُ لِي وَدًّا صَافِيًا
سَرَّنِي ذَلِكَ ، وَإِنْ كَانَ مَا تَضَمَّرَهُ إِعْرَاضًا وَجَفَاءً قَتَلْتُ نَفْسِي وَأَرْحَتُهَا مِنْ
لَوْمِ اللَّامَاتِ . أَوْ يُرِيدُ : سَلَوْتُ فَاسْتَرَحْتُ مِمَّا أَلَامَ فِيهِ مِنْ حَبٍّ مِنْ
لَا يَحِبُّنِي . وَهَذَا الْأَخِيرُ عَنِ الْبِيَارِيِّ^(٣) . وَعَلِمْتَهُ بِمَعْنَى عَرَفْتَهُ ، وَلِذَلِكَ
اِكْتَفَى بِمَفْعُولٍ وَاحِدٍ .

وقوله : « وَمَا ذَكَرْتُكَ النَّفْسُ » إلخ ، أَيْ مَا ذَكَرْتُكَ إِلَّا تَفَرَّقْتُ نَفْسِي
فَرِيقَيْنِ : فَفَرِيقٌ يَعَذِّرُنِي ، يَقُولُ : إِنَّ مِثْلَهَا فِي جَمَالِهَا وَكَمَالِهَا يُحِبُّ .
وَفَرِيقٌ يَلُومُنِي ، يَقُولُ : لِمَ تَحِبُّ مِنْ لَا يَحِبُّكَ وَلَا تَصِلُ إِلَيْهِ ؟ وَالضَّمُّ
الظُّلْمُ . وَالْعَنُودُ بِالْفَتْحِ : الْقَهْرُ . وَرَاغِمٌ : ذَلِيلٌ مُلَصَّقٌ أَنْفُهُ بِالرَّغَامِ
وَهُوَ التُّرَابُ .

وترجمة كثيرٌ قد تقدَّمت في الشاهد الثالث والسبعين بعد الثلاثمائة^(٤)

(١) ط : « الطبرسي » ، صوابه في ش . والطبرسي هذا هو أمين الدين أبو علي الفضل بن
الحسن بن الفضل الطبرسي ، مفسر لغوي من أعيان الشيعة الإمامية . توفي سنة ٥٤٨ هـ . انظر إنباء
الرواة ٣ : ٦ ، ٧ ومعجم المؤلفين ٨ : ٦٦ . ومن شرحه للحماسة نسخة في مكتبة فيض الله التي
أدرجت ضمن مكتبة مللت بتركيا برقم ١٦٤٢ . ويسمى هذا الشرح « الباهر في شرح الحماسة » .
وانظر ما سبق في ٣١٥ .

(٢) ش : « يفتح الواو وكسرها » .

(٣) نسبة إلى بيار ، بالكسر ، وهي مدينة من أعمال قومس . وهو علي بن الحارث البيارى
الجراساني ، ترجم له القفطي في الإنباء ٢ : ٢٧٤ وذكر من تصانيفه كتاب شرح الحماسة .
وانظر دمية القصر ٣٠٢ . وشرحه للحماسة يعد مفقوداً وإن كانت قد بقيت منه بقية في نقول
أبي الرضا الراوندي ، ونقول الطبرسي . انظر تحقيق حماسة أبي تمام للدكتور عبد الله عسلان .
وفي النسختين : « البياسي » ، تحريف .

(٤) الخزانة ٥ : ٢٢١ - ٢٢٤ .

وكان مُشوّه الخلق دميماً مفطر القِصر، كان يقال له «زُبُّ الذُّباب»
وهجاه بعض الشعراء بقوله :

* يَعِضُّ القِرَادُ بَاسْتَهُ وَهُوَ قَائِمٌ^(١) *

روى صاحب الأغاني بسنده ، أنَّ عمر بن أبي ربيعة المخزومي قديم
المدينة لأمرٍ ، فأقام شهراً ثم خرج إلى مكّة ، وخرج معه الأحوص معتمراً .
قال السائب راوية كثير : : فلماً مرّاً بالروحاء استلباني^(٢) ، فخرجت
أتلوهما حتّى لحقتهما بالعرج ، فخرجنا جميعاً حتّى وَرَدْنَا وَدَّانَ ،
فحبسهما نصيب وذبح لهما وأكرمهما ، وخرجنا وخرج معنا نصيب ،
فلماً جئنا إلى منزلٍ كثيرٍ فقيل لنا : قد هبط قديداً . فجئنا قديداً فقيل
لنا : إنّه في خيمةٍ من خيامها ، فقال لي ابن أبي ربيعة : اذهب فادعهُ
لي . فقال نصيب : هو أحقُّ أشدَّ كبيراً^(٣) من أن يأتيتك . فقال لي
عمر : اذهب كما أقول^(٤) . فجئته فهشّ لي وقال : « اذكرُ غائباً ترهُ »
لقد جئت وأنا أذكرك . فأبلغته رسالة عمر ، فحدّد لي نظره ثمّ قال :
أما كان عندك من المعرفة بي ما كان يردعك عن إتياني بمثل هذا ؟
فقلت : بلى ، ولكن سترتُ عليك فأبى الله إلّا أن يهتك سترك . قال :
إنّك والله يا ابن ذكوان ما أنت من شكلي ، قل لابن أبي ربيعة : إن

(١) للزّين الكنانى . الأغاني ٨ : ٢٩ والجماسة ١٨٨٠ بشرح الرزوقي ومحاضرات
الراغب ٢ : ١٢٩ وحواشي الحيوان ٥ : ٤٣٩ . وصدره :

* يكاد خليل من تقارب شخصه *

(٢) أى طلبا منه أن يتلوها ويتبينها .

(٣) الأغاني ١١ : ١٧ : « أحق وأشدّ كبيراً » .

(٤) الأغاني : « كما أقول فادع لي » .

كُنْتَ قَرَشِيًّا فَإِنِّي قَرَشِيٌّ ! فَقُلْتُ : أَلَا تَتْرَكَ هَذَا التَّلَصُّقَ ^(١) ؟ فَقَالَ :
وَاللَّهِ لَأَنَا أَثْبِتُ فِيهِمْ مِنْكَ فِي دَوْسٍ ^(٢) . ثُمَّ قَالَ : وَقُلْ لَهُ إِنْ كُنْتُ
شَاعِرًا فَأَنَا أَشْعَرُ مِنْكَ . فَقُلْتُ : هَذَا إِذَا كَانَ الْحُكْمُ إِلَيْكَ . قَالَ : وَإِلَى
مَنْ هُوَ ؟ وَمَنْ أَوَّلَى بِهِ مِنِّي ؟ فَرَجَعْتُ إِلَى الْقَوْمِ فَأَخْبَرْتَهُمْ فَضَحِكُوا ثُمَّ
نَهَضُوا مَعِيَ إِلَيْهِ ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فِي خِيَمَةٍ فَوَجَدْنَاهُ جَالِسًا عَلَى جِلْدِ كَبِشٍ
فَوَاللَّهِ مَا أَوْسَعَ لِلْقَرَشِيِّ ، فَتَحَدَّثُوا مَلِيًّا ثُمَّ أَفْضَوْا فِي ذِكْرِ الشَّعْرِ . فَأَقْبَلَ
عَلَى عَمْرِ فَقَالَ لَهُ : أَنْتِ تَبِيعْتِ امْرَأَةً فَتَنْسَبُ بِهَا ، ثُمَّ تَدْعُهَا فَتَنْسَبُ
بِنَفْسِكَ . أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِكَ :

قَالَتْ : تَصَدَّقِي لِي لِيَعْرِفَنَا ثُمَّ اغْمِزِيهِ يَا أُخْتُ فِي خَفَرِ
قَالَتْ لَهَا : قَدْ غَمَزْتُهُ فَأَبَى ثُمَّ اسْبِطْرِي تَشْتَدُّ فِي أَثَرِي
وَقَوْلُهَا وَالدَّمُوعُ تَسْبِقُهَا لِنُفْسِدَنَّ الطَّوَافَ فِي عُمُرِ ^(٣)

أَتُرَاكَ لَوْ وَصَفْتَ بِهَذَا الشَّعْرِ هِرَّةً أَهْلَكَ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ قَبَّحْتَ ،
وَأَسَأْتَ لَهَا وَقُلْتَ الْهُجْرُ ! إِنَّمَا تُوصَفُ الْحَرَّةُ بِالْحَيَاءِ وَالْإِبَاءِ ، وَالْبَخْلِ
وَالْامْتِنَاعِ ، كَمَا قَالَ هَذَا - وَأَشَارَ لِلْأَحْوَصِ :

أَدُورُ وَلَوْلَا أَنْ أَرَى أُمَّ جَعْفَرٍ
بِأَبْيَاتِكُمْ مَا دَرْتُ حَيْثُ أَدُورُ
وَمَا كُنْتُ زَوَّارًا وَلَكِنْ ذَا الْمَهْوَى
إِذَا لَمْ يُزَرَ لَابِدًا أَنْ سِيزُورُ

(١) بعده في الأغاني : « وَأَنْتِ تَفَرِّقُ عَنْهُمْ كَمَا تَفَرِّقُ الصَّفَةَ » ، وصواب هذه
« تَقْرِفُ » ، و« كَمَا تَقْرِفُ » . وقْرِف الصَّفَةُ : قَشَرَهَا وَاقْتْلَاعَهَا .

(٢) في الأغاني : « سِدُوسٌ » .

(٣) وكذا في الأغاني ١١ : ١٧ . وفي الديوان ١٣٧ : « قَالَتْ لَتَرْبِ لَهَا مَلَاظِفَةً لِنَفْسِدَنَّ » .

لقد منعتُ معروفها أم جعفر
 وإني إلى معروفها لفقيّر
 فدخلتِ الأحوصَ الأبهةُ وعُرفتِ الخيلاءُ فيه ، فلما عرف كثيرٌ
 ذلك منه قال له : أبطلْ أخزأك الله وأذلك . أخبرني عن قولك :
 فإن تصلى أصلك وإن تبينى بصرمك بعد وصلك لا أبالي
 ولا ألقى كمن إن سيمَ خسفاً تعرض كى يردّ إلى الوصال^(١)
 أما والله لو كنتَ فحلاً لباليت ، ألا قلتَ كما قال هذا الأسود
 - وأشار إلى نصيب - :

بزینبَ ألم قبل أن يرحلَ الركبُ
 وقُلْ إن تملّينا فما ملّكِ القلبُ
 فانكسر الأحوص ودخلت نصيباً الأبهة ، فلما فهم ذلك منه قال :
 وأنت يا أسود أخبرنا عن قولك :
 أهيم بدعد ما حييت وإن أمت فوا كبدي من ذا يهيم بها بعدى
 أهملك من ينيكها بعدك ؟ فأبلس نصيب . فلما سكت كثيرٌ أقبل
 عليه عمر فقال : قد أنصتنا لك فاستمع ، أخبرني عن قولك لنفسك
 وتخيرك لمن تحب حيث تقول :
 ألا ليتنا يا عز من غير ريبة بعيران نرعى في الخلا ونعزب^(٢)

(١) الأغاني : « إن سيم صرمًا » . وفي ديوان الأحوص ١٦٩ : « إن سيم ضيا » .
 (٢) نعزب ، بالزاي ، من التعزيب ، وهو أن يذهب بالإبل إلى المرعى البعيد . ط :
 « ونعذب » بالذال ، صوابه في ش وديوان كثير ١ : ٠٩٩ لكن رواية الديوان : « نرعى في
 الخلا ونعزب » ، نعزب : نبعد ونغيب .

كِلَانَا بِهِ عَرٌّ فَمَنْ يَرِنَا يَقْلُ عَلَى حُسْنِهَا جَرِي تَعْدَى وَأَجْرِبُ^(١)
 إِذَا مَا وَرَدْنَا مِنْهَلًا صَاحَ أَهْلُهُ عَلَيْنَا فَمَا نَنْفَكُ نُرْمَى وَنُضْرَبُ
 وَدِدْتَ وَبَيْتَ اللَّهِ أَنْكَ بَكْرَةٌ هِجَانٌ وَأَنْتَى مُصْعَبٌ ثُمَّ نَهْرُبُ
 نَكُونُ بِعَيْرِي ذِي غِنَى فَيُضِيعُنَا

فَلَا هُوَ يَرَعَانَا وَلَا نَحْنُ نَطْلُبُ

وَبِلَكَ تَمَنَيْتَ لَهَا وَلِنَفْسِكَ الرَّقَّ وَالْجَرَبَ ، وَالرَّيِّ وَالطَّرْدَ وَالْمَسْخَ ،
 فَأَيُّ مَكْرُوهِ لَمْ تَتَمَنَّ لَهَا وَلِنَفْسِكَ ! وَلَقَدْ أَصَابَهَا مِنْكَ قَوْلُ الْأَوَّلِ : « معادة
 عاقِل خير من مودة أحمق » . فجعل يختلج جسد كثير كله ، ثم أقبل
 عليه الأحوص فقال : أخبرني عن قولك :

وَقَلَنْ ، وَقَدْ يَكْذِبُنْ : فَبِكَ تَعْفُفُ

وَشَوْمُ إِذَا مَا لَمْ تُطِيعْ صَاحَ نَاعِقُهُ

فَأَعْيَيْتَنَا لَا وَاخِيَا بِكَرَامَةِ

وَلَا تَارَكََا شَكْوَى الذِي أَنْتَ صَادِقُهُ

وَأَدْرَكَتَ صَفْوَا الْوَدِّ مِنَّا فَلَمَتْنَا

وَلَيْسَ لَنَا ذَنْبٌ فَنَحْنُ مَوَازِقُهُ^(٢)

وَأَلْفَيْتَنَا سِلْمًا فَصَدَعْتَ بَيْنَنَا

كَمَا صَدَعْتَ بَيْنَ الْأَدِيمِ خَوَالِقُهُ^(٣)

٥٤٧

(١) في هامش ش : « كذا بخط المؤلف وشكله بقلبه جري تعدى بالقصر ، وتعدى . وهو خلاف السماع والقياس ، والصواب جرياء تعدى ، بالمد ، وتعدى من أعدى » . وهذا الصواب الذي أشير إليه هو الثابت في الأغاني وديوان كثير .

(٢) أي مواضع لودك تمذقه لا تخلص لك فيه .

(٣) صدعت ، أي شقت . والخوالق ، من قولهم : خلق الأديم خلقاً : قدره لما يريد قبل القطع وقاسه ليقطع منه مزادة ، أو خفاً ، أو نحو ذلك .

والله لو احتفل عليك مازاد على ما بؤت به على مافى نفسك ! ثم
أقبل عليه نصيبٌ فقال : أقبل علىَّ يازُبُّ الدُّباب ، فقد تَمَنَّيتَ معرفة
غائب عنك علمُه حيث تقول :

ودِدْتُ وما تغنى الودادة أننى بما فى ضمير الحاجبيَّة عالمُ
انظر مافى مرآتك واعرف صورة وجهك، تعرف ما عندها لك !
فاضطربَ اضطراب العصفور ، وقام القومُ يضحكون .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد السَّتائة ، وهو من
شواهد سيوبه^(١) :

٦٣٩ (أن هالكُ كلُّ من يحفَى وينتعلُ)

هذا عجز ، وصدره :

(فى فتية كسيوف الهندِ قد علموا^(٢))

على أنَّ أن مخفَّفةٌ من الثَّقيلة ، واسمُها ضمير شأن محذوف ،
وهالك خبر مقدم ، وكلُّ مبتدأ مؤخر ، والجملة خبرها .

وأورده صاحب الكشف عند قوله تعالى : ﴿ وَأَخِرُ دَعَاؤُهُمْ أَنْ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٣) ، على أنَّ أن مخفَّفة واسمها ضمير شأن كما
فى البيت .

(١) فى كتابه ١ : ٢٧٢ ، ٤٤٠ ، ٢/٤٨٠ : ١٢٣ والخصائص ٢ : ٤٤١ والمنصف
٣ : ١٢٩ والمحتسب ١ : ٣٠٨ وابن الشجرى ٢ : ٢ والإنصاف ١١٩ وابن يعيش ٨ : ٧٤ ،
٨١ والخزانة ٤ : ٣٥٦ بولاق والعينى ٢ : ٢٨٧ والهمع ١ : ١٤٢ وديوان الأعشى ٤٥ .
(٢) رواية البيت فى الديوان :

فى فتية كسيوف الهند قد علموا أن ليس يدفع عن ذى الحيلة الخيل

(٣) الآية ١٠ من سورة يونس .

قال السيرافي : وفي كتاب أبي بكر مَبْرَمَان^(١) : هذا المصراع معمول ،
أى مصنوع ، والثابت المروى :

* أَنْ لَيْسَ يَدْفَعُ عَنْ ذِي الْحِيلَةِ الْحَيْلُ *

قال : والشاهد في كلتا الروایتين واحد ، لأنّه في إضمار الهاء في
أَنْ ، وتقديره ، أَنَّهُ هَالِكٌ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ يَدْفَعُ . انتهى .

قال ابن المستوفى : والذي ذكره السيرافي صحيح ، ولا شكَّ أَنَّ
النحويين غَيَّرُوهُ لِيَقَعَ الْأِسْمُ بَعْدَ أَنَّ الْمُخَفَّفَةَ مَرْفُوعًا ، وَحَكَمَهُ أَنَّ يَقَعُ
بَعْدَ أَنَّ الْمُثَقَّلَةَ مَنْصُوبًا ، فَلَمَّا تَغَيَّرَ اللَّفْظُ تَغَيَّرَ الْحُكْمُ . انتهى .

والبيت من قصيدة للأعشى ميمون^(٢) ، وقبلة : صاحب الشاهد

(وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الْحَانُوتِ يَتَبَعُنِي شَاوُ مِثْلُ شَلُولٍ شُلُشْلُ شُولُ)

وَعَدَوْتُ : ذَهَبَتْ غُدْوَةٌ ، وَهِيَ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الصُّبْحِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ
هَذَا أَصْلُهُ ، ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى اسْتُعْمِلَ فِي الذَّهَابِ وَالْإِنْطِلَاقِ أَيَّ وَقْتٍ كَانَ .
كَذَا فِي الْمَصْبَاحِ .

وَالْحَانُوتُ : بَيْتُ الْخَمَارِ ، يَذْكُرُ وَيُؤَنَّثُ . وَجُمْلَةُ « يَتَبَعُنِي » حَالٌ
مِنَ التَّاءِ فِي غَدَوْتُ . وَالشَّأْوَى : الَّذِي يَشْوَى اللَّحْمَ . وَالْمِثْلُ بِكَسْرِ الْمِيمِ
وَفَتْحِ الشَّيْنِ : الْمُسْتَحِثُّ وَالْجَيْدُ السُّوقُ ، وَقِيلَ الَّذِي يَشْلُ اللَّحْمَ فِي
السُّفُودِ ، مِنْ شَلَلْتُ الثَّوبَ ، إِذَا خِطَّتْهُ خِيَاطَةٌ . كَذَا قَالَ ابْنُ السِّرَافِيِّ .
وَالشَّلُولُ ، بَفَتْحِ الشَّيْنِ ، مِثْلُ الْمِثْلِ ، وَيُرْوَى : « نَشُولُ » بَفَتْحِ النُّونِ ،

(١) هو محمد بن علي بن إسماعيل ، أبو بكر المعروف بمبرمان ، تلميذ المبرد والزجاج ،
وأستاذ الفارسي والسيرافي . شرح كتاب سيبويه ولم يتمه ، وشرح شواهد . توفي سنة ٣٤٥ .
البنية ٧٤ وإنباه الرواة ٣ : ١٨٩ وياقوت ١٨ : ٢٥٤ .

(٢) ش : « لأعشى ميمون » .

وهو الذى يأخذ اللحم من القِدر ، يقال منه نَشَلْ يَنْشُلُ . والشُّلُّ ، بضم الشينين كقنفذ : الخفيف اليدِ فى العمل ، والمتحرَّك . والشُّول ، بفتح فكسر ، مثل الشُّلُّ ، وقيل هو الذى عادته ذلك .

وقال الخطيب التبريزى فى شرح هذه القصيدة : الشُّول هو الذى يحمل الشيء ، يقال شُلْتُ به وأشَلْتَه . وقيل هو من قولهم : فلانُ يَشُولُ فى حاجته ، أى يُعْنَى بها ويتحرَّك فيها . ومن روى : « شُول » بضم الشين وفتح الواو فهو بمعناه ، إلا أنه للتكثير . وروى بدله : « شَمِل » أيضاً بفتح فكسر ، وهو الطيبُ النَّفْسِ والرائحة . يقول : بكرت إلى بيت الخمار ومعى غلامٌ شواءٌ طبَّاخ ، خفيف فى الخدمة .

ويشبه هذا البيت قول أبى الطيب المتنبى وهو :

فقلقت بالهمم الذى قلقل الحشا قلاقل عيسٍ كلهن قلاقل

٥٤٨

قلقلت : حرَّكت . والقلاقل : جمع قَلَقَل ، كجعفر : الناقة الخفيفة .

وقوله : « فى فتية » إلخ ، متعلِّق بغدوت فى البيت المتقدم . وفى بمعنى مع . وقال العيني : حالٌ من شاوٍ ، أو حالٌ من الباء فى يتبعنى . والفتية : جمع فتى ، وهو الشاب . وقوله : (كسيوف الهند) فى محل الصِّفة لفتية ، وكذلك جملة (قد علموا) يريد أنهم كالسيوف فى المضاء والعزم ، أوفى صِّباحة الوجه تبرق كالسيوف . وخصَّها بالهند لحسن صقاتها^(١) . وجملة المصراع الثانى فى محل نصب على أنه ساد^(٢) مسدٌ مفعولى علموا .

(١) لم أجد الصقالة فى اللسان أو القاموس وسائر المعاجم المتداولة ، والمعروف الصقل والصقال بالكسر .

(٢) ط : « سادة » ، صوابه فى ش .

(ويحقّ) بالحاء المهملة من الحفاء ، وهو المشى بلا نعل ولا خفّ .
وأراد به الفقير . (ويتنعل) : يلبس النعل ، وأراد به الغنى . يريد
قد علم هؤلاء الفتيان أنّ الموت يعمّ فقيرهم وغنيهم ، فهم يبادرون إلى
اللّدات قبل أن يحول الموت بينها وبينهم ، كما قيل :

خُذُوا بنصيب من نعيم ولذّة فكلّ وإن طال المدى يتصرّم

والبيتان من قصيدة جيّدة للأعشى ، وهى أحسن شعره ، وقد ألحقت
بالمعلّقات السّبع . وقد شرحها الخطيب التّبريزى مع المعلقات ، وأولها :
(ودّع هُريرة إنّ الرّكبَ مرتحلٌ وهل تُطيق وداعاً أيّها الرّجلُ)

نقل الخطيب عن أبى عبيدة أنّه قال : هُريرة : قينةٌ كانت لرجل
من آل عمرو بن مرثد ، أهداها إلى قيس بن حسان بن ثعلبة بن عمرو
ابن مرثد ، فولدت له خليداً . وقد قال فى هذه القصيدة :

* جهلاً بأُمّ خليلٍ حبلَ من تَصِلُ^(١) * انتهى

وقيل إنّ هُريرة وخليدة أُختان كانتا قيتتين لبشر بن عمرو ،
وكانتا تغنيانه ، وقدم بهما إلى اليمامة لما هرب من النّعمان بن المنذر .
وقيل إنّ أمّ هُريرة كانت أمةً سوداء لحسان بن عمرو ، كان الأعشى
يشبّب بها . وقيل إنّ الأعشى سئل عن هُريرة فقال : لا أعرفها ، وإنّما
هو اسمٌ ألقى فى روعى .

ونقل صاحب الأغاني^(٢) عن الشّعبي أنّه قال : الأعشى أغزل الناس

(١) صدره فى ديوان الأعشى ٤٢ :

* صدت هُريرة عنا ما تكلمنا *

(٢) الأغاني ٨ : ٧٦ .

في بيت ، وأخضتُ النَّاسُ في بيت ، وأشجع الناس في بيت ، والكلُّ من
هذه القصيدة .

أما الأوَّل فبقوله :

(غرَاءُ فرعاء مصقولٌ عوارضُها تمشى الهوينى كما يمشى الوجي الوحل)

وأما الثاني فبقوله :

(قالت هريرةً لما جئتُ زائرَها ويلي عليك وويلي منك يارجلُ)

وأما الثالث فبقوله :

(قالوا الطُّرادُ فقلنا تلك عادتُنا أو تنزلون فإنَّا معشرٌ نُزلُ^(١))

والغرَاءُ : البيضاءُ الواسعة الجبين . والفرعاء : الطويلة الفرع ،
أي الشعر . والعوارض : الرباعيات والأنياب . والوجي ، بكسر الجيم :
الذي يشتكي حافره ولم يحف . والوحل بكسر الحاء المهملة : الذي
يتوَحَّل في الطين .

وقوله : « قالوا الطُّراد » يقول : إن طاردتم بالرماح فتلك عادتُنا ،
وإن نزلتم تجالدون بالسُّيوف نزلنا .

وروى صاحب الأغاني^(٢) بسنده قال : حدَّث جرير بن عبد الله البجلي
الصحابيُّ قال : سافرت في الجاهليَّة ، فأقبلت ليلةً على بعيرى أريد أن
أسقيه ماءً ، فلما قربته من الماء تأخَّر فعقلته ، ودنوت من الماء ، فإذا
قومٌ مشوِّهون عند الماء ، فبينما أنا عندهم إذ أتاهم رجلٌ أشدَّ تشويهاً

٥٤٩

(١) التفسير التالي من كلام البغدادى .

(٢) الأغاني ٨ : ٩٧ .

منهم فقالوا : هذا شاعر^(١) . ثم قالوا : يا أبا فلان أنشد هذا فإنه ضيف . فأنشد :

* ودّع هريرة إنّ الركبَ مُرتحلُ *

فوالله ما خرم منها بيتاً حتّى أتى على آخرها^(٢) ، فقلت : من يقول هذه القصيدة ؟ قال : أنا أقولها . قلت : اولا ما تقول لأخبرتكَ أنّ أعشى قيس بن ثعلبة أنشدنيها عامَ أوّل بنجران . قال : إنَّكَ صادق^(٣) ، أنا الذى ألقىتها على لسانه ، وأنا مسحلّ [صاحبه^(٤)] ، ما ضاع شعرُ شاعرٍ وضعه عند ميمون بن قيس .

وروى صاحبُ الأغاني عن الأعشى قال : حدّث الأعشى عن نفسه قال : خرجت أريد قيسَ بنَ معديكرب بحضرموت ، فضللتُ فى أوائل أرض اليمن لأننى لم أكن سلكت ذلك الطريق قبلاً ، فأصابنى مطرٌ ، فرميت ببصرى أطلب مكاناً ألاجأ إليه ، فوقعتُ عيني على خباءٍ من شعر ، فقصدتُ نحوه ، وإذا أنا بشيخ على باب الخباء فسلمت عليه ، فردّ على السلام وأدخل ناقتى خباء آخر كان بجانب البيت ، فحططتُ رجلي وجلست فقال : من أنت ؟ وأين تقصِد ؟ قلت : أنا الأعشى ، أقصِد قيسَ بن معديكرب . فقال : حيّاك الله ، أظنّك امتدحتَه بشعر ؟ قلت : نعم . قال : فأنشدنيهِ . فابتدأت مطلعَ القصيدة :

رحلتُ سُميَّةً غُدوةً أجمالها غَضباً عليكَ فما نقولَ بدّاً لها

(١) فى الأغاني : « شاعرهم » .

(٢) الأغاني : « حتّى انتهى إلى هذا البيت » :

تسمع لللى وسواساً إذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل

(٣) الأغاني : « فإنّكَ صادق » .

(٤) التكلة من الأغاني ، وهى ضرورية ليستقيم الكلام بعدها .

فلما أنشدته هذا المطلع منها قال : حسبك ، أهذه القصيدة لك ؟ قلت : نعم . قال : مَنْ سَمِيَّةُ التي تَنَسَّبُ بها ؟ قلت : لا أعرفها ، وإنما هو اسمٌ أَلْقِيَ في رُوعِي . فنَادَى : يا سَمِيَّةُ اخْرُجِي . وإذا جاريةٌ خماسيَّةٌ قد خرجت^(١) ، فوقففت وقالت : ما تريد يا أبت ؟ قال : أنشدني عمك قصيدتي التي مدحتُ بها قيسَ بن معديكرب ونسبتُ بكِ في أولها . فاندفعتُ تُنشد القصيدة حتَّى أتت على آخرها لم تخرم منها حرفاً ، فلما أتممتها قال : انصرفي . ثم قال : هل قلت شيئاً غير ذلك ؟ قلت : نعم ، كان بيني وبين ابن عمٍّ لي يقال له يزيد بن مُسهر ، ويكنى^(٢) أبا ثابت ، ما يكون بين بني العمِّ ، فهجاني وهجوته فأفحمتُه . قال : ماذا قلتَ فيه ؟ قال : قلت :

* ودّع هريرة إنَّ الركبَ مرتحلٌ *

فلما أنشدته البيتَ الأول قال : حسبك ، مَنْ هريرةُ هذه التي نسبتَ فيها ؟ قلت : لا أعرفها ، وسبيلُها سبيلُ التي قبلها . فنَادَى : ياهريرة . فإذا جاريةٌ قريبة السنُّ من الأولى خرجتُ ، فقال : أنشدني عمك قصيدتي التي هجوتُ بها أبا ثابت يزيدَ بنَ مسهر . فأنشدتها من أولها إلى آخرها لم تخرم منها حرفاً . فسُقِطَ في يدي وتحيرت ، وتغشّنتني رعدة . فلما رأى ما نزل بي قال : ليُفْرِخْ رُوعَكَ يا أبا بصير^(٣) أنا هاجسك مسحل بن أثاثة الذي ألقى على لسانك الشعر . فسكنتُ نفسي ورجعتُ إليّ ، وسكن المطرُ ، فدلتني على الطريق وأراني سمتَ مقصدي وقال : لا تُعْجِ يميناً ولا شمالاً حتَّى تقع ببلاد قيس .

(١) الخماسية من الوصائف : ما كان طولها خمسة أشبار .

(٢) ط : « يكنى » بدون واو .

(٣) في هامش كل من ط ، ثر : « هاجس الأعشى مسحل بن أثاثة ، وابنتاه سمية وهريرة

هما اللتان شُبَّ بهما » .

وروى صاحبُ الأغاني^(١) أيضاً أنَّ الأعشى قال هذه القصيدة ليزيد ابن مسهر أبي ثابت الشيباني .

قال أبو عبيدة : وكان من حديث هذه القصيدة أنَّ رجلاً من بني كهف بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، يقال له ضبيع ، قتل رجلاً من بني همام ، يقال له زاهر بن سيّار بن أسعد ابن همام ، وكان ضبيع مطروقاً^(٢) ، ضعيف العقل ، فنهاهم يزيد ابن مسهر ، وهو من بني ثعلبة بن أسعد بن همام ، أن يقتلوا ضبيعاً بزاهر ، وقال : اقتلوا به سيّداً من بني سعد بن مالك بن ضبيعة . فحضر بني سيّار بن أسعد على ذلك وأمرهم به ، فبلغ بني قيس ما قاله ، فقال الأعشى هذه القصيدة في ذلك ، يأمره أن يدع بني سيّار وبني كهف ، ولا يعين بني سيّار ، فإنه إن أعانهم أعانت قبائل بني قيس بني كهف . وحذّره أن يلتقي بنو سيّار منهم ما لقوا يوم العَيْن عَيْن مُحَلَّم بهجر .

وكان من حديث ذلك اليوم كما زعم عُمر بن هلال ، أحد بني سعد ابن قيس بن ثعلبة ، أنَّ يزيد بن مسهر كان خالِعَ أَصْرَمَ بنِ عوف ابنِ ثعلبة بن سعد بن قيس بن ثعلبة ، فلما خلع يزيد بن مسهر أَصْرَمَ من ماله خالعه على أن يرهنه ابنه : أَقْلَبَ^(٣) وشهاباً ابني أَصْرَمَ ، وأُمهُما فطيمة بنت شُرْحِبِيلَ بن عَوْسجة بن ثعلبة بن سعد بن قيس . وأنَّ يزيدَ قَمَرَ أَصْرَمَ^(٤) ، فطلَبَ إليه أن يدفع إليه ابنه رهينة ، فأبّت

(١) الأغاني ٨ : ٩٦ .

(٢) المطروق : الذي فيه رخوة وضعف .

(٣) في الأغاني : « أفلت » .

(٤) قره : غلبه .

أُمُّهُمَا ذَلِكَ فَنَادَتْ قَوْمَهَا ، فَحَضَرَ النَّاسَ وَاشْتَمَلَتْ فُطَيْمَةَ عَلَى ابْنَيْهَا
بَثْوَبَا ، وَدَافَعَ قَوْمُهَا عَنْهُمَا وَعِنَهَا . فَذَلِكَ قَوْلُ الْأَعَشَى :
نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْعَيْنِ ضَاحِيَةً جَنَيْتُ فُطَيْمَةَ لَا مِيلٌ وَلَا عَزْلُ
قال : فانهزم بنو سيَّار .

فَحَذَرَ الْأَعَشَى يَزِيدَ بْنَ مَسْهَرٍ مِثْلَ تِلْكَ الْحَالَةِ .

قال أبو عبيدة : وَذَكَرَ عَامِرٌ وَمَسْمَعٌ ، عَنْ قَتَادَةَ الْفَقِيهِ أَنَّ رَجُلَيْنِ
مِنْ بَنِي مَرْوَانَ تَنَازَعَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ ، فَجَرَّدُوا^(١) رَسُولًا فِي ذَلِكَ إِلَى
الْعِرَاقِ حَتَّى قَدِمَ الْكُوفَةَ ، فَأُخْبِرَ أَنَّ فُطَيْمَةَ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ قَيْسٍ ،
وَأَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَيَّارٍ وَلَهُ امْرَأَةٌ غَيْرُهَا مِنْ قَوْمِهِ ، فَتَغَايَرَتَا
فَعَمِدَتِ السَّيَّارِيَّةُ فَحَلَقَتْ ذَوَائِبَ فُطَيْمَةَ ، فَاهْتَاكِ الْحَيَّانِ فَاقْتَتَلُوا ،
فَهُزِمَتْ بَنُو سَيَّارٍ يَوْمَئِذٍ . انْتَهَى .

وإِنَّمَا نَقَلْتُ هَذَا الْفَصْلَ لِأَنَّ شُرَاحَ الْقَصِيدَةِ أَخْطَأُوا فِي شُرُوحِهِمْ بِهَذِهِ
الْأُمُورَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَتَرْجُمَةُ الْأَعَشَى تَقَدَّمَتْ فِي الشَّاهِدِ الثَّالِثِ وَالْعَشْرِينَ^(٢) .

* * *

وَأَنْشُدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الْأَرْبَعُونَ بَعْدَ السَّمَاةِ^(٣) :

٦٤٠ (وَلَا تَدْفِنْنِي فِي الْفَلَاةِ فَإِنِّي
أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ أَنْ لَا أَذُوقُهَا)

عَلَى أَنْ (أَنْ) مَخْفُفَةٌ لَوْقُوعِهَا بَعْدَ الْخَوْفِ بِمَعْنَى الْعِلْمِ وَالْيَقِينِ ،

(١) فِي الْأَغَانِي : « فَجَرَّدَ رَسُولًا » .

(٢) الْخَزَائِنُ ١ : ١٧٥ - ١٧٨ .

(٣) الْمَنَى ٣٠ وَالْمَع ٢ : ٢ وَالْأَشْمُونُ ٣٠ : ٢٨٣ وَدِيوَانُ أَبِي مَحْجَن ٨ .

واسمها ضميرُ شأنٍ محذوفٌ ، أو ضميرٌ متكلمٌ . وجملة لا أذوقها في محل رفع خبرها^(١) .

وقبله :

(إِذَا مِتُّ فَأَدْفَنِي إِلَى جَنْبِ كَرَمَةٍ
تَرَوُّى عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عَرُوقُهَا)

وأصل الخوف الفزع وانقباض النفس عن احتمال ضرر ، وإذا اشتدَّ الخوف التحق بالمتيقن كما قال الشارح المحقق .

قال ابن خطيب الدهشة^(٢) وهو ابن مؤلف المصباح (في كتاب التقريب^(٣) ، في علم الغريب) : يقال خاف الشيء : علمه وتيقنه . انتهى .

وذلك لأنَّ الإنسان لا يخاف شيئاً حتى يعلم أنَّه مما يُخاف منه ، فهو من التعبير بالمسبب عن السبب ، وليس إطلاقه عليه لأنَّه من لوازم اليقين كما قال الشُّمْنِيُّ ، فكم من يقينٍ لا خوفَ منه .

وقال بعض المحققين : الخوف والخشية يُستعملان بمعنى العلم ، لأنَّ الخوفَ عبارة عن حالة مخصوصة متولدة من ظنٍّ مخصوص ، وبين

(١) كلمة « رفع » ساقطة من ش .

(٢) أى ابن خطيب جامع الدهشة ، وخطيب جامع الدهشة هو صاحب « المصباح المنير ، في غريب الشرح الكبير » ، وهو أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ المتوفى سنة ٧٨٠ . وقد سبقت ترجمته في حواشي الخزانة ١ : ٢٥ . واسم ولده هذا هو محمود بن أحمد بن علي الحموي الفيومي ، وهو من فقهاء الشافعية كوالده . وأصله من الفيوم ، ومولده ووفاته بجدة (٧٦٠ - ٨٣٤) .

(٣) ذكر صاحب كشف الظنون أنه لغة تتعلق بالموطأ والصحيحين . وفي ش : « التعريب » ، صوابه في ط . وما يجدر ذكره أن كتاب والده « المصباح المنير » هو شرح للغات التي وردت في غريب الشرح الكبير للرافعي ، وهو أبو القاسم عبد الكريم بن محمد القزويني الشافعي المتوفى سنة ٦٢٣ وهو أحد شرحين ألفهما على كتاب « الوجيز في الفروع » للإمام الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ . وهو في فقه الشافعية .

الظن والعلم مشابهة في أمور كثيرة ، فلذلك صحَّ إطلاق كلٍّ منهما على
على الآخر .

وفي تخصيصه التولّد بالظنّ نظر ، لأنّ الخوف كما يتولّد عن
الظنّ يتولّد عن العلم أيضاً .

وقال الزمخشري في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ ﴾^(١)
فمن توقّع وعَلِمَ . وهذا في كلامهم شائع ، يقال أخاف أن تُرسل السماء ،
يريدون التوقّع والظنّ الغالب ، الجارى مجرى العلم^(٢) .

وقال الدماميني (في الحاشية الهندية) عند قول ابن هشام (في
المغني) : « الخوف في هذا البيت يقين » : قد يقال لا يلزم من تعقّل
العقلاء أنّه لا ينوقها بعد الموت ، حملُ الخوف على اليقين عند هذا
الشاعر ، لأنّ استهتاره بشربها ، ومغالاته في محبّتها ، أمرٌ مشهور ، فلعلّ
ذلك حمّله على أنّه خاف ولم يقطع بما تيقّنه غيره ، ولذلك أمر بدفنه
إلى جنب الكرمّة ، رجاء أنّه ينال منها بعد الموت . ومن ثمّ قيل إنّ هذا
أحمقُ بيت قالته العرب . انتهى .

قال المُلّا أحمد الحلبي (في شرحه) بعد نقل هذا الكلام : وهذا
مبنىٌّ كما قال شيخنا على أنّه كان إذ ذاك متردّداً بين ذوقها بعد الموت
بتقدير دفنه إلى جنب الكرمّة ، أو لا بتقدير دفنه في القلاة . فلا علم
ولا ظنّ . قال : وهذا احتمال ، لأنّ التعليل بقوله فإنّني أخاف ، إن
كان لمجموع الأمر والنهي^(٣) على معنى فإنّني أخاف أن لا أذوقها غداً

(١) الآية ١٨٢ من سورة البقرة .

(٢) تفسير الكشاف ١ : ٨٧ .

(٣) في ش : « لمجموع » ، والوجه ما أثبت من ط .

فلا علم ولا ظن ، فهي الناصبة أهملت . ففي (شرح الكافية للحديثي)
 أَنَّ الخفيفة بعد فعل الخوف والرجاء ناصبة ، لأنّه يحتمل أن يقع وأن
 لا يقع ، وبعد الظنّ تحتملها والمخففة ، نظراً إلى الرّجحان وعدمه ،
 أو على معنى فإنّني أخاف الآن ، بتقدير : أن لا تدفني إلى جنبها بل في
 الفلاة : أن لا أذوقها إذا ما مت ، أو فإنّني أخاف إذا ما مت ، بهذا
 التقدير : أن لا أذوقها . فالخوف هنا علمٌ ويقين ، فهي المخففة .
 وكذا إن جعل تعليلاً للنهي وحده ، لأنّه الذي قارنه في هذا البيت ،
 على معنى فإنّني أخاف الآن أو إذا ما مت ، بتقدير أن تدفني في الفلاة
 لا إلى جنبها ، أن لا أذوقها . انتهى .

قال ابن المُلّا : وههنا بحثٌ ، وهو أنّ الشاعر وإن كان من المغرمين
 بالصّهباء ، المتهتكين بها ، لكنّه من ذوى العقول الكاملة ، والأنظار
 الصائبة ، فكيف يظنّ به أنّه غير قاطع بما يتيقّنه غيره من عدم الذّوق
 بعد الموت ؟ بل هو أمرٌ مركّوز في الأذهان ، غنى عن البيان وإنما جرى
 في كلامه هذا على مذهب الشعراء في تخييلاتهم ، ورام سلوك جادة
 تمويهاتهم ، فإنّهم سحرة الكلام ، ومخترعو صور الإيهام . فأمرٌ أوّلاً
 بدفنه بعد الموت بجانب كرامة ، وأبدى عذره في ذلك بوصفها بقوله :

* تروى عظامي بعد موتى عروقها *

ليستفاد من ذلك علّة الأمر بالدّفن المذكور ، إشارة إلى أنّ ما لا
 يدرك كلّ لا يترك كلّ . وإذا تعذّرت التروية الحقيقية فلا
 أقلّ من حصول التروية المجازية . ثمّ نهى ثانياً تأكيداً للأمر الأوّل
 عن دفنه لا بجانب كرامة ، وعلّل ذلك بأنّه لا يذوقها إذا مات فلا
 يتروى بها حقيقة . فدفنه إلى جانبها مفوّت للتروية المجازية . ولمزيد

شَغَفَهُ بِهَا آثَرُ التَّعْبِيرِ عَنْ هَذَا الْيَقِينِ بِالْخَوْفِ إِلَيْهَا ؛ لِأَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لَا يَقْطَعُ بَعْدَ الدُّوقِ . وَجَعَلَ رَفَعَ الْفِعْلَ بَعْدَ أَنْ مَعَهُ دَلِيلًا عَلَى مَا قَصَدَهُ مَعْنَى . وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّ تَرْوِيَةَ الْعِظَامِ مُجَازِيَّةٌ لِأَنَّ الرَّوْيَ ^(١) حَقِيقَةٌ لَذَوَاتِ الْأَكْبَادِ عَنْ عَطَشٍ ، وَلَيْسَتْ الْعِظَامُ مِنْهَا . عَلَى أَنَّهُ لَا عَطَشَ بَعْدَ الْمَوْتِ . أَوْلَا [لَيْسَتْ] لَهُ قُوَّةٌ نَامِيَّةٌ . وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : رَوَى النَّبَاتُ مِنَ الْمَاءِ . وَالْعِظَامُ جَمَادٍ . انْتَهَى كَلَامُهُ ، وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ .

٥٥٢

ويؤيد هذا رواية ابن السكيت :

وَلَا تَدْفَنْنِي فِي الْفَلَاةِ فَإِنِّي يَقِينًا إِذَا مَا مِتُّ لَسْتُ أَذُوقُهَا وَعَلَيْهَا لَا شَاهِدَ فِي الْبَيْتِ .

صاحب الشاهد والبيتان أولاً قصيدة لأبي مِجْنَنٍ الثَّقَفِي ، رواها ابنُ الأعرابي وابن السكيت (في ديوانه) ، وبعدهما :

أَبْيَاتُ الشَّاهِدِ (أَبَاكِرْهَا عِنْدَ الشُّرُوقِ وَتَارَةً يُعَاجِلُنِي عِنْدَ الْمَسَاءِ غَبُوقُهَا ^(٢) وَلِلْكَأْسِ وَالصَّهْبَاءِ حَقٌّ مَعْظَمٌ فَمِنْ حَقِّهَا أَنْ لَا تُضَاعَ حَقُوقُهَا أُقُومُهَا زَقًّا بِحَقٍّ بِذَاكُمُ يُسَاقُ إِلَيْنَا فَجَرُّهَا وَفُسُوقُهَا ^(٣) وَعِنْدِي عَلَى شُرْبِ الْمَدَامِ حَفِيزَةٌ إِذَا مَا نَسَاءُ الْحَيِّ ضَاقَتْ حُلُوقُهَا

(١) الروي ، بكسر ففتح : الرى ، كما في اللسان . وفيه : « روى من الماء بالكسر ، يروى رياً وروى أيضاً مثل رضا ، وتروى وارتوى ، كله بمعنى » . وفي ش مع أثر تصحيح : « التروى » ولا داعي له .

(٢) في الديوان ٢٤ : « يعاجلني بعد العشي » .

(٣) ط : « بداكم » ، صوابه في ش وديوان أبي مجنون ٢٤ . ورواية الديوان أيضاً ، وهي الوجه : « تجرها ونسوقها » . وقال أبو هلال العسكري في تفسير البيت : « الحق من الإبل : ابن ثلاث سنين ، والأنثى حقة ، وسمى ذلك لأنه استحق أن يحمل عليه . يقول : أشتري زقاً بحق ، ولهذا يحمل إلينا الخمر ، لأننا نزج حاملها . والتجر : جمع تاجر ، مثل صعب وصاحب » .

وَأَعْجَلْنَ عَنْ شَدِّ الْمَآزِرِ وَلَهُمَا مَفْجَعَةُ الْأَصْوَاتِ قَدْ جَفَّ رِيْقُهَا
وَأَمْنَعُ جَارَ الْبَيْتِ مِمَّا يَنْوِبُهُ وَأَكْرَمُ أَضْيَافاً قَرَاهَا طُرُوقُهَا

قال ابن السكيت: قوله: (إِذَا مِتُّ فادفني) هذا خطابٌ مع ابنه يأمره بذلك ، وفيه مبالغة على حبه للخمر وتعطشه إليها ، إِذْ أَظْهَرَ الرِّغْبَةَ إِلَيْهَا وَهُوَ مَيِّتٌ . وقوله: (وَلَا تَدْفِنْنِي فِي الْفَلَاةِ) الخ . قال ابن السكيت: الفلاة: الأرض المهلكة التي لا عِلْمَ بها ولا ماء . والمعنى أَنَّ الْفَلَاةَ لَا يُغْرَسُ فِيهَا كَرَمٌ^(١) فَلَا تَدْفِنْنِي إِلَّا بِمَكَانٍ يَنْبِتُ فِيهِ الْعِنَبُ حَتَّى أَكُونَ قَرِيباً مِنْهُ ، فَأَلْتَذَّ بِذَلِكَ .

وقوله: « أَبَاكِرْهَا عِنْدَ الشُّرُوقِ » الخ . قال ابن السكيت: أَى إِنَّنِي أُصْبِحُهَا عِنْدَ شُرُوقِ الشَّمْسِ ، وَمَرَّةً أَشْرَبُهَا عِشَاءً ، إِلَّا أَنَّنِي أُقَدِّمُ شَرِبَهَا عَلَى الْعِشَاءِ فَيَعَايِلُنِي الْغَبُوقُ . وَالصُّبُوحُ : شَرِبَ الْغَدُوقَ . وَالْغَبُوقُ : شَرِبَ آخِرَ النَّهَارِ . وَأَبَاكِرُهَا : أَبَادِرُ إِلَيْهَا فِي بَكْرَةِ النَّهَارِ .

وقوله: « وَلِلْكَأْسِ وَالصَّهْبَاءِ » الخ . قال ابن السكيت: حَقُّهَا : كَوْنُهَا تَسْرُّ الْقَلْبَ وَتُذْهِبُ الْهَمَّ ، وَتُسَخِّي الْبَخِيلَ وَتَشْجَعُ الْجَبَانَ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فَعْلِهَا ، وَهَذَا حَقُّ لَهَا . وَإِذَا كَانَ هَذَا دَأْبُهَا فَمَنْ حَقُّهَا أَنْ تَعْظُمَ وَلَا تُضَيَّعَ حَقُوقُهَا . انتهى .

وقال ابن المَثَلَا : فَإِنْ قُلْتَ : حَقُّ الْكَلَامِ أَنْ يَقُولَ : وَمَنْ حَقُّهُمَا أَنْ لَا يَضَاعَ حَقُوقُهُمَا ، لِادِّعَائِهِ أَنْ الْحَقَّ الْمَعْظَمَ لِلْكَأْسِ وَالصَّهْبَاءِ . قلت : نعم ، إِلَّا أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْكَأْسَ وَالصَّهْبَاءَ وَإِنْ كَانَا شَيْئَيْنِ فَهُمَا بِمَثَابَةِ الشَّيْءِ الْوَاحِدِ . وَاسْتَلْمَحَ قَوْلُ الْقَائِلِ^(٢) :

(١) ط : « لَا يُمْرَسُ فِيهَا كَرَمٌ » ، وَأَثْبَتَ مَا فِي ش .

(٢) أَى لِحْهُ وَأَخَذَ مِنْهُ . وَالْوَجْهُ أَنْ تَقْرَأَ : « وَاسْتَلْمَحَ » بِصِيغَةِ الْمَضَارِعِ ، أَوْ « اسْتَلْمَحَ »

بصيغة الأمر ، وَيَأْخُذُ هَاتَيْنِ الْقَرَامَتَيْنِ يَنْتَقِي اعْتِرَاضُ الْبَغْدَادِيِّ عَلَيْهِ فِيهَا سِيَاقٌ .

رَقَّ الزَّجَاجُ وراقت الخمر وتشاكلا فتشابه الأمر
فكأنما خمرٌ ولا قدحٌ وكأنما قدحٌ ولا خمرٌ
انتهى . وفيه أَنَّ هذين البيتين لأبي إسحاق الصَّابِي ، وهو متأخِّر
عن أبي مخجن بأكثر من ثلاثمائة سنة . وكان ينبغي أن يعكس^(١)

وقوله : « أَقَوْمُهَا زَقًّا » إلخ . قال ابن السكيت : الزُّقُّ بالكسر : ظرف
الخمر . والحقُّ بالكسر من الإبل : ابن ثلاث سنين ، وكذلك الحِقَّةُ ،
وسُمِّيَا بهذا الاسمَ لَأَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا أَنْ يَرْكَبَا . وفَجَرُهَا : فجورها^(٢)
والفاجر : المائل عن الطاعة . والطاعة : الوقوف على الأوامر . والفسوق
توسيع ما ضيقه الله من أمر الدين .

٥٥٣

وقوله : « وَعِنْدِي عَلَى شُرْبٍ » إلخ . قال ابن السكيت : الحفيظة
كل شيء يُغَضَّبُ لِأَجَلِهِ . يعنى وإن كنت سكران لا أهملُ الحفاظ إذا
استغاثت بي نساء الحي وصيحن لنازلة نزلت بهن .

وقوله : « وَأَعْجَلَنُ عَنْ شِدِّ » إلخ . قال ابن السكيت : أَى دَرَهْمَهُنَّ
من البلاء ما أعجلهنَّ عن شد المآزر في أوساطهن . وولَّهًا : مفعول من
أَجَلَهُ ، أَى للولِّه الذى نزل بهن . والواله : الذَّاهِبُ العقل . والمفجعة :
التي نزل بها ما أخافها وأفرعها . وجفَّ ريقها ، أَى يبس . انتهى .
والصواب أَنَّ « وَلَّهًا » حال لا مفعول من أَجَلِهِ .

وقوله : « وَأَمْنَعُ جَارَ الْبَيْتِ » إلخ . قال ابن السكيت : قَرَّاهَا : أطعمها
يقول : إذا طرقتنا الضيفان ليلاً أعجلنا لها القرى ، فكأنَّ طروقها هو
الذى قَرَّاهَا . انتهى .

(١) ش : « أَنْ لَا يَعْكُسَ » ، صوابه في ط .

(٢) ط : « وفجورها » ، والوجه طرح الواو كما في ش .

أبو محجن الثقفي : شاعر صحابي ، له سماعٌ ورواية . كذا في الاستيعاب كما يأتي .

وإنما أثبت له السيوطي (في شرح أبيات المغني) رواية ، ولم يذكر أنَّ له سماعاً . ونفاها أيضاً الذهبي (في تاريخ الإسلام) . وقال (في التجريد) : أبو محجن الثقفي عمرو بن حبيب ، وقيل مالك بن حبيب ، وقيل عبدالله . كان فارساً شاعراً من الأبطال ، لكن جلدته عمرٌ في الخمر مرأت ، ونفاه إلى جزيرة في البحر ، فهرب ولحق بسعد وهو يحارب الفُرسَ فحبسه . وله أخبارٌ . روى عنه أبو سعد البقَّال . انتهى . ورواية أبي سعد البقَّال عن أبي محجن إنما هي بتدليس ، لأنَّه لم يدرك عصره . وقد ذكره في الضعفاء .

وقيل إنَّ اسمه أبو محجن ، وهي كنيته أيضاً . وهو بكسر الميم وسكون الحاء المهملة وفتح الجيم .

وهذه ترجمته (من الاستيعاب ، تأليف أبي عمر يوسف الشهير بابن عبد البر) قال : أبو محجن الثقفي اختلف في اسمه ، فقيل مالك ابن حبيب ، وقيل عبدالله بن حبيب بن^(١) عمرو بن عمير بن عوف بن عُقْدة بن عميرة بن عوف بن قسي ، وهو ثقيف ، الثقفي . وقيل اسمه كنيته . أسلم حين أسلمت ثقيف . وسمع من النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه . حدث عنه أبو سعد البقَّال قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي ثَلَاثٌ : إِيمَانٌ بِالنُّجُومِ ، وَتَكْذِيبٌ بِالْقَدَرِ ، وَحَيْفُ الْأُمَّةِ » .

(١) هذا يطابق ما في الاستيعاب ٣١٦١ والإصابة ١٠٠٧ من باب الكنى . وفي ش :

« وقيل » موضع « بن » هذه .

وكان أبو محجن هذا من الشُّجْعان الأبطال في الجاهلية والإسلام ، من أولى البأس والنجدة ، ومن الفُرسان البُهم^(١) . وكان شاعراً مطبوعاً كريماً إلا أنه كان منهمكاً بالشراب لا يكاد يُقْلِعُ عنه^(٢) ولا يردُّعه حَدٌّ ولا لومٌ لائم . وكان أبو بكر الصَّدِّيق يستعين به . وجلده عمر ابن الخطاب في الخمر مراراً ، ونفاه إلى جزيرة في البحر ، وبعث معه رجلاً فهرب منه ، ولحق بسعد بن أبي وقاص بالقادسية وهو محارب للفرس . وكان قد همَّ بقتل الرجل الذي بعثه عمر معه ، فأحسَّ الرجلُ بذلك ، وخرج فاراً ولحق بعمْر ، وأنخبره خبره ، فكتب عمر إلى سعد بحبس أبي محجن ، فحبسه .

حدَّثنا إسحاق ابن إبراهيم قال : حدَّثنا عبد الرزَّاق ، عن ابن جُريج قال : بلغني أنَّ عمر بن الخطاب حَدَّ أبا محجن الثَّقَفِيَّ سَبْعَ مَرَّات . ذكر ذلك عبدُ الرزَّاق في باب من حَدَّ من الصحابة في الخمر . قال : وأخبرنا معمر عن أيُّوب عن ابن سيرين قال : كان أبو محجن الثَّقَفِيَّ لا يزالُ يُجلَّدُ في الخمر ، فلما كثر عليهم^(٣) سَجَنَوْه وأوثقوه ، فلما كان يوم القادسية رآهم يقتتلون فكأنَّه رأى أنَّ المشركين قد أصابوا من المسلمين ، فأرسل إلى أمِّ ولد سعد ، أو إلى امرأة سعد ، يقول لها : إنَّ أبا محجن يقول لك : إن خَلَّيت سبيلَه وحملته على هذا الفرس ودفعت إليه سلاحاً ليكوننَّ أول من يرجع إليك ، إلَّا أن يُقتل . وأنشد يقول :

٥٥٤

كفَى حزنًا أن تلتقي الخيلُ بالقنصا
وأترك مشدودًا على وثاقيا

(١) البهم ، بضم ففتح : جمع بهمة بالضم ، وهو الشجاع الذي لا يهتدى من أين يؤتى .

(٢) وكذا في الاستيعاب ، وفي ش : « يقطع عنه » .

(٣) في الاستيعاب : « أكثر عليهم » .

إِذَا قَمْتُ عَنَّاىَ الْحَدِيدُ وَغُلَّقْتُ
 مَصَارِعُ دُونِي قَدْ تُصِمُّ الْمَنَادِيَا^(١)
 وَقَدْ كُنْتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَإِخْوَةٍ
 فَقَدْ تَرَكُونِي وَاحِدًا لَا أَخَالِيَا^(٢)
 وَقَدْ شَفَّ نَفْسِي أَنَّنِي كُلَّ شَارِقٍ
 أَعَالَجَ كَيْلًا مُصْمِتًا قَدْ بَرَانِيَا
 فَلِلَّهِ دَرَى يَوْمَ أَتْرَكَ مُوثِقًا
 وَتُذْهَلُ عَنِّي أُسْرَى وَرَجَالِيَا
 حُبِسْتُ عَنِ الْحَرْبِ الْعَوَانِ وَقَدْ بَدَتْ
 وَإِعْمَالُ غَيْرِي يَوْمَ ذَاكَ الْعَوَالِيَا^(٣)
 وَلِلَّهِ عَهْدٌ ، لَا أَخِيسُ بَعْدَهُ
 لَنْ فُرِجَتْ أَنْ لَا أَزُورَ الْحَوَانِيَا

فذهبت الأخرى فقالت ذلك لامرأة سعد ، فحلت عنه قيوده ،
 وحمل على فرسٍ كان في الدار ، وأعطى سلاحاً ، ثم خرج يركض حتى
 لحق بالقوم ، فجعل لا يزال يحمل على رجل فيقتله ويدق صلبه . فنظر
 إليه سعد فجعل يتعجب ويقول : مَنْ ذلك الفارس ؟ قال : فلم يلبثوا
 إلا يسيراً حتى هزمهم الله ، ورجع أبو محجن وردّ السلاح ، وجعل

(١) ط : « غناني الحديد » ، وأثبت ما في ش والديوان ١٧ والاستيعاب وابن سلام . والمصارع :
 جمع مصرع كمنبر ، وهو لغة في مصراع انبأ . وما بعد هذا البيت من أبيات المقطوعة لم يرد في
 الاستيعاب ، وأورد ابن سلام الثلاثة الأولى ، وزاد عليها رابعاً لم يرد في ديوانه ، وهو :
 أرى سلاحى لا أبالك أنسى أرى الحسب ما تزداد إلا تماديا
 (٢) وكذا في ابن سلام والأغاني ٢١ : ١٣٩ . وفي الديوان : « فأصبحت منهم واحداً » .
 وما بعد هذا البيت لم يرد في الاستيعاب ولا الديوان ولا ابن سلام ، وإنما ورد في الأغاني
 ٢١ : ١٣٩ .

(٣) في الأغاني : « حبساً عن الحرب العوان » . والعوان : التي قوتل فيها مرة بعد مرة .

رجليه في القيود كما كان ، فجاء سعد فقالت له امرأته أو أمُّ ولده :
كيف كان قتالكم ؟ فجعل يخبرها ويقول : لقينا ولقينا ، حتى بعث
الله رجلاً على فرسٍ أبلقٍ لولا أنَّى تركت أبا محجنٍ في القيود لظننتُ
أنَّها بعض شبائل أبي محجن ؟ فقالت : والله لأبُو محجن كان من أمره
كذا وكذا . فقصَّت عليه قصَّته . فدعا به وحلَّ قيوده وقال : لا نجلدك
على الخمر^(١) أبداً . قال أبو محجن : وأنا والله لأشربها أبداً . كنت
آنف أن أدعها من أجل جلدكم . قال : فلم يشربها بعد ذلك .

وروى صاحب الاستيعاب بسنده إلى إبراهيم بن محمد بن سعد بن
أبي وقاص عن أبيه قال : .

لما كان يوم القادسية أتى سعد بأبي محجن وهو سكرانٌ من الخمر ،
فأمر به إلى القيد ، وكان سعدُ به جراحة فلم يخرج يومئذ إلى الناس ،
واستعمل على الخيل خالد بن عُرْفُطة ، ورفَّع سعدُ فوق العذيب^(٢)
لينظر إلى الناس^(٣) ، فلما التقى الناسُ قال أبو محجن :

كفى حزناً أن تردى الخيل بالقنا^(٤) . . . الأبيات السابقة

فقال لابنة خَصَفة^(٥) امرأة سعد : ويحكِ خليئي ولكِ على^(٦) إن

(١) انظر ما سيأتى من كلام ابن حجر في هذا في ص ٤١١ - ٤١٢ .

(٢) العذيب ، هيئة التصغير : ماء بين القادسية والمغيثة .

(٣) ش : « ينتظر إلى الناس » ، صوابه في ط والاستيعاب .

(٤) في الاستيعاب : « أن تلتقى » وفي ط ، ش : « أن تردد » ، وصواب هذه ما أثبت
من الأغاني . ردت الخيل تردى ردياً : رجعت الأرض بجوافرها .

(٥) كذا في الاستيعاب والإصابة . وفي النسختين : « حفص » ، تحريف . وفي الأغاني :
« سلمى بنت أبي حفصة » ، تحريف أيضاً . وانظر الطبري ٣ : ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٥٤٢ ،

٥٤٨ ، ٥٥٠ ، ٥٧٠ ، ٥٧٥ .

(٦) هذا ما في ش . وفي ط : « ولك » فقط . وفي الاستيعاب : « ولك على عهد الله » .

سَلَّمْنِي اللَّهُ أَنْ أَجِيءَ حَتَّى أَضْعَ رَجُلِي فِي الْقَيْدِ ، وَإِنْ قَتِلْتُ اسْتَرَحْتُمْ مِنِّي . فَخَلَّتْهُ فَوْثُبٌ عَلَى فَرَسٍ لِسَعْدٍ يُقَالُ لَهَا الْبَلْقَاءُ ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّمْحَ ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى أَتَى النَّاسَ ، فَجَعَلَ لَا يَحْمِلُ فِي نَاحِيَةٍ إِلَّا هَزَمَهُمْ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ : هَذَا مَلَكٌ : وَسَعْدٌ يَنْظُرُ ، فَجَعَلَ سَعْدٌ يَقُولُ : الضَّبْرُ ضَبْرُ الْبَلْقَاءِ ، وَالطَّعْنُ طَعْنُ أَبِي مُحَجَّجٍ ، وَأَبُو مُحَجَّجٍ فِي الْقَيْدِ ! فَلَمَّا هُزِمَ الْعَدُوُّ رَجَعَ أَبُو مُحَجَّجٍ حَتَّى وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْقَيْدِ ، فَأَخْبَرَتْ ابْنَتُهُ خَصْفَةَ^(١) سَعْدًا بِالَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِهِ ، فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا أَبْلَى أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَا أَبْلَى فِي هَذَا الْيَوْمِ ! لَا أَضْرِبُ رَجُلًا أَبْلَى فِي الْمُسْلِمِينَ مَا أَبْلَى ! قَالَ : فَخَلَّى سَبِيلَهُ .

وَقَالَ أَبُو مُحَجَّجٍ : كُنْتُ أَشْرِبُهَا إِذْ يَقَامُ عَلَى الْحَدِّ وَأَطْهَرُ مِنْهَا ، فَأَمَّا إِذْ بَهَرَجَتْنِي^(٢) فَوَاللَّهِ لَا أَشْرِبُهَا أَبَدًا .
وَمِنْ رَوَايَةِ أَهْلِ الْأَخْبَارِ أَنَّ ابْنًا لِأَبِي مُحَجَّجٍ دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : أَبُوكَ الَّذِي يَقُولُ :

٥٥٥ إِذَا مِتُّ فَادْفِنْنِي إِلَى جَنْبِ كَرَمَةِ . . . الْأَبْيَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ

فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ : لَوْ شِئْتَ ذَكَرْتُ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا مِنْ شَعْرِهِ . قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : قَوْلُهُ :

لَا تَسْأَلُ النَّاسَ عَنْ مَالِي وَكَثْرَتِهِ وَسَائِلُ النَّاسِ عَنْ حَزْمِي وَعَنْ خَلْقِي^(٣)

(١) كَذَا فِي الْإِسْتِيعَابِ وَالْإِصَابَةِ . وَفِي النُّسخَتَيْنِ هُنَا : « حَفْصَةُ » تَحْرِيفٌ .

(٢) هَذَا مَا فِي الْإِسْتِيعَابِ وَاللَّسَانِ (يَهْرَجُ) . وَفِي النُّسخَتَيْنِ : « إِنْ بَهَرَجَتْنِي » . وَبَهْرَجَ الشَّيْءُ : أَبْطَلَهُ ، كَمَا تَبَهَّرَجَ الدُّنَانِيرُ وَالْدَّرَاهِمُ . أَرَادَ أَهْدِرَتْنِي بِإِسْقَاطِ الْحَدِّ عَنْهُ . كَأَنَّ فِي اللَّسَانِ .

(٣) وَكَذَا فِي الْإِسْتِيعَابِ . لَكِنْ رَوَايَةُ الْدِيَوَانِ ص ٣ :

لَا تَسْأَلُ النَّاسَ عَنْ مَالِي وَكَثْرَتِهِ وَسَائِلُ الْقَوْمِ عَنْ دِينِي وَعَنْ خَلْقِي
وَقَالَ أَبُو هِلَالٍ فِي تَقْسِيرِهِ : « إِنَّهُ خَاطَبَ امْرَأَتَهُ . وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يَخَاطَبُوا نِسَاءَهُمْ فِي ابْتِدَاءِ قِصَصِهِمْ إِذَا حَضَرُوا ، وَيَخَاطَبُوا خَلِيلَهُمْ إِذَا سَافَرُوا ، لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَسَافِرُ مِنْهُمْ أَقْلٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ » .

قد يَعْلَمُ النَّاسُ أَنِّي مِنْ سَرَاتِهِمْ
 إِذَا تَطِيشُ يَدَ الرَّعْدِيدَةِ الْفَرَقِ^(١)
 قد أَرْكَبُ الْهَمُولَ مَسْدُولاً عَسَاكِرُهُ
 وَأَكْتُمُ السَّرَّ فِيهِ ضَرْبَةُ الْعَنْقِ
 أَعْطَى السَّنَانَ غَدَاةَ الرُّوعِ حِصَّتَهُ
 وَعَامِلُ الرُّمَحِ أَرْوِيهِ مِنَ الْعَلَقِ^(٢)
 وزاد بعضهم في هذه الأبيات :
 وَأَطْعُنُ الطَّعْنَةَ النَّجْلَاءَ قَدْ عِلْمُوا
 تَنْفَى الْمَسَابِيرَ بِالْإِزْبَادِ وَالْفَهَقِ^(٣)
 عَفَّ الْمَطَالِبَ عَمَّا لَسْتُ نَائِلَهُ
 وَإِنْ ظَلَمْتُ شَدِيدُ الْحَقْدِ وَالْحَنْقِ
 وَقَدْ أَجُودُ وَمَا مَالِي بِذِي قَنَعٍ
 وَقَدْ أَكْرُهُ وَرَاءَ الْمُجَحَّرِ الْبَرَقِ^(٤)

(١) في الاستيعاب : « القوم أعلم » . وفي الديوان :
 قد يعلم الناس أنا من سراتهم إذا سما بصر الرعديدة الفرق
 (٢) ط : « عاسل » ، صوابه في الديوان وش مع أثر تصحيح . وفي الاستيعاب : « وحامل
 الرمح » تحريف . ورواية الديوان أيضاً « نخلته » موضع « حصته » . قال العسكري : « أصل النحلة
 أن يعطى الرجل الرجل ناقة ينتفع بمنافعها ثم يردّها ، ثم سمي كل عطية نحلة . وجعل أبو عجين
 ما نال السنان من الدم نحلة . وروى : حصته . ومجاز هذا الكلام مجاز قولهم : فلان يوفى هذه
 الصناعة حقها ، إذا قام بها حق القيام . وعامل الرمح وعاملته : على قدر ذراع من السنان .
 وسافلته : على قدر ذراع من الزج » .
 (٣) في الاستيعاب : « لوعلموا » . وفي الديوان : « عن عرض » . والمسابير : جمع
 مسبار ، وهو الميل الذي يسير به غور الجراحات . ط ، والديوان : « بالأزباد » صوابه في ش .
 (٤) الفنع : الكثرة . ط : « قنع » صوابه في ش والديوان . والمجهر ، بتقديم الجيم :
 المضيق عليه كأنه في جحر . وفي ط : « المجهر » بتقديم الحاء ، صوابه في الاستيعاب وش مع أثر
 تصحيح . والبرق : الشاخص البصر ، كما في شرح الديوان . وفي الاستيعاب : « الفرق » .

قد يُقْتَر المرء يوماً وهو ذو حسب
وقد يثوبُ سوامُ العاجزِ الحَمَقِ^(١)
ويكثرُ المال يوماً بعد قِلَّتِهِ
ويكتسبُ العودُ بعد الجذبِ بالورقِ
فقال له معاوية : لئن أسأنا القول لَنُجْزِلُ العَطِيَّةَ^(٢) . ثم أَجْزَلَ جائزته
وقال : إِذَا وَلَدَتِ النساءُ فلتلدُ مثْلَكَ !

وزعم الهيثم بن عدي أَنَّهُ أَخْبِرَهُ مَنْ رَأَى قَبْرَ أَبِي مُحَجَّجِ الثَّقَفِيِّ
بِأَذْرَبِيجَانَ ، أَوْ قَالَ : فِي نَوَاحِي جُرْجَانَ ، وَقَدْ نَبَتَتْ عَلَيْهِ ثَلَاثُ
أَصُولٍ كَرَمٍ وَقَدْ طَالَتْ وَأَثْمَرَتْ ، وَهِيَ مَعْرُشَةٌ عَلَى قَبْرِهِ ، مَكْتُوبٌ عَلَى
القَبْرِ : « هَذَا قَبْرُ أَبِي مُحَجَّجٍ » ٢ قَالَ : فَجَعَلْتُ أَتَعَجَّبُ وَأَذْكُرُ قَوْلَهُ :

* إِذَا مِتُّ فَادْفَنِي إِلَى جَنْبِ كَرْمَةٍ *

هذا ما اخترته من الاستيعاب

وروى ابن الأعرابي (في شرح ديوان أبي محجن) عن ابن الكلبي
أَنَّهُ قَالَ : أَخْبَرَنَا عَوَانَةُ قَالَ : دَخَلَ عُبَيْدُ بْنُ أَبِي مُحَجَّجٍ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَبُوكَ الَّذِي يَقُولُ مِنْ قَصِيدَةٍ :

* إِذَا مِتُّ فَادْفَنِي إِلَى جَنْبِ كَرْمَةٍ *

فقال : لا يا أمير المؤمنين ، ولكن أبي الذي يقول :

لاتسأل القومَ عن مالي وكثرته . . . إلى آخر الأبيات المذكورة .

ونقل ابن حجر (في الإصابة) عن ابن فتحون (فيما كتبه على

(١) يثوب : يكثر ، من قولهم : ثاب إليه قومه ، أي نهضوا إليه وكثروا حوله .

(٢) في الاستيعاب : : « لئن كنا أسأنا القول لتحسن لك الصفد » .

أوهام الاستيعاب) أنه عاب أبا عمر على ما ذكر في قصة أبي مِحنَن أنه كان منهماكاً في الشَّراب ، فقال : كان يكفيه ذكر حدِّه عليه ، والسكوتُ عنه أليق . والأولى في أمره ما أخرجه سَيْف (في الفتوح) : أَنَّ امرأةً سَعِدٍ سَأَلَتْهُ فِيمَا حُبِسَ^(١) ؟ فقال : والله ما حُبِسْتُ على حرامٍ أَكَلْتَهُ وَلَا شَرِبْتَهُ ، وَلَكِنِّي كُنْتُ صَاحِبُ شَرَابٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَجَرَى كَثِيرًا عَلَى لِسَانِي وَصَفُّهَا ، فَحَبَسَنِي بِذَلِكَ ، فَأَعْلَمْتُ بِذَلِكَ سَعِدًا فَقَالَ : اذْهَبْ فَمَا أَنَا بِمُؤَاخِذِكَ بِشَيْءٍ تَقُولُهُ حَتَّى تَفْعَلَهُ .

قال ابن حجر : وسيفٌ ضعيف ، والروايات التي ذكروها أقوى وأشهر . وأنكر ابن فتحون قولَ من روى أَنَّ سَعِدًا أَبْطَلَ عَنْهُ الْحَدَّ وقال : لَا يُظَنُّ هَذَا بِسَعِدٍ ! ثُمَّ قَالَ : لَكِنْ لَهُ وَجْهٌ حَسَنٌ وَلَمْ يَذْكُرْهُ . وَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَنَّ سَعِدًا أَرَادَ بِقَوْلِهِ لَا يَجْلِدُهُ فِي الْخَمْرِ^(٢) بِشَرَطِ أَضْمَرِهِ ، وَهُوَ إِنْ ثَبَتَ عَلَيْهِ أَنَّهُ يَشْرِبُهَا . فَوَقَّعَهُ اللَّهُ أَنَّ تَابَ تَوْبَةً نَصُوحًا فَلَمْ يَعُدَّ إِلَيْهَا ، كَمَا فِي بَقِيَّةِ الْقِصَّةِ .

وقوله في القصة : « الضَّبْرُ ضَبْرُ الْبَلْقَاءِ » هو بالضاد المعجمة والباء الموحدة : عَدُوُّ الْفَرَسِ . وَمِنْ قَالَهُ بِالضَّادِ الْمَهْمَلَةِ فَقَدْ صَحَّفَ . نَبَّهَ عَلَيْهِ ابْنُ فَتْحُونِ .

٥٥٦

تتمة

سَمَاءُ الْآمِدِيِّ (فِي الْمُؤْتَلَفِ وَالْمُخْتَلَفِ) عَلَى خِلَافِ مَا تَقَدَّمَ مَعَ بَعْضِ تَغْيِيرِ فِي أَسْمَاءِ آبَائِهِ . قَالَ : هُوَ حَبِيبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عُقْدَةَ بْنِ غَيْرَةَ الثَّقَفِيِّ . وَهُوَ شَاعِرٌ فَارِسٌ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :

(١) وكذا في الإصابة بإبقاء الألف ، وهي لغة قرئ بها : « عما يتساءلون » . وفي ش :

« فِيمَ حَبِسَ » .

(٢) ط : « لَا يَجْلِدُهُ » ، صوابه في ش والإصابة . وانظر ماسبق في ص ٤٠٨ .

لَمَّا رَأَيْنَا خَيْلًا مَحْجَلَةً وَقَوْمَ بَغْيٍ فِي جَحْضٍ لَجِبٍ^(١)
 طَرْنَا إِلَيْهِمْ بِكُلِّ سَلْهَبَةٍ وَكُلِّ صَافِي الْأَدِيمِ كَالذَّهَبِ
 وَكُلِّ عَرَّاصَةٍ مَثْقَفَةٍ فِيهَا سِنَانٌ كَشُعْلَةِ اللَّهَبِ
 وَكُلِّ عَضْبٍ فِي مَتْنِهِ أُثْرُ وَمَشْرِفٍ كَالْمَلْحِ ذِي شُطْبٍ^(٢)
 وَكُلِّ فَضْفَاضَةٍ مُضَاعَفَةٍ مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ غَيْرِ مُؤْتَشَبِ
 لَمَّا التَقِينَا مَاتَ الْكَلَامَ وَدَا رَ الْمَوْتُ دَوْرَ الرَّحَى عَلَى الْقُطْبِ
 فَكُلُّنَا يَسْتَكِيصُ صَاحِبَهُ عَنْ نَفْسِهِ ، وَالنَّفُوسُ فِي كُرْبٍ^(٣)
 إِنْ حَمَلُوا لَمْ نَرِمْ مُوَاضِعَنَا وَإِنْ حَمَلْنَا جَثَوْا عَلَى الرُّكْبِ

انتهى . وهذا الشعر لم يروه ابن الأعرابي وابن السكيت (فى ديوانه) .

وحبيب بالحاء المهملة المفتوحة ، أورده الأمدى مكبراً اسماً لخمسة شعراء ، أحدهم أبو محجن . ثم قال : وأما حبيب بالتصغير فهو حبيب ابن تميم المجاشعى . وأورد له شعراً .

وبعد أن نقل العيني الخلاف فى اسمه هل هو مالك بن حبيب أو عبد الله بن حبيب قال : وضبط عن أبي عمر « حبيب » مصغراً . وتبعه السيوطى (فى شرح أبيات المغنى) على هذا الضبط . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد الستمائة^(٤) :

(١) المؤلف للأمدى ٩٥ - ٩٦ .

(٢) الأثر بضمين ، وبضمة ، وبفتحتين وبفتحة ، وبالكسر أيضاً ، وهو فرند السيف وماؤه .

(٣) يقال كاص يكيص كيصا وكيصا ، وكيوصا : كع وجبن وضعف . وفى المؤلف : « يستليس » .

(٤) ديوان النابغة ٤٨ من مجموع خمسة دواوين . وانظر لقصة الشعر ديوانه ، والحيوان

٤ : ٢٠٣ - ٢٠٥ والشعراء ١١٢ - ١١٣ والخاص والمساوى ٢ : ١٣٤ وأمثال الميدانى

١ : ٨٢ ومروج الذهب ٢ : ١٢٩ وحياة الحيوان للدميرى ١ : ٤١٦ .

٦٤١ (فلما رأى أن تَمَرَ اللهُ ماله

وأثَّلَ موجوداً وسَدَّ مفاقره)

على أن الفراء وابن الأنباري جَوَّزا وقوعَ أن المصدرية بعد فعل علم غير مؤوَّل بالظن ، كما في البيت ، فإنَّ رأى فيه عِلْمِيَّة . ويجوز أن تكون فيه مخفَّفة ، من غير فصل بينها وبين تَمَرَ على الشذوذ . فإنَّ وما بعدها في تأويل مصدر سادَّ مسدَّ مفعولى رأى ، إلَّا أنَّها في القول الثانى مخفَّفة واسمها ضمير شأن محذوف ، وجملة ثمر الله خبرها .

ولم يتعرَّض لكون رأى بَصَرِيَّة فتكون أن هى المصدرية الداخلة على الفعل ، لأنَّ ذلك لا يجوز ، لأنَّ التثمير أمر معنوى غير مُدْرَك بحاسة العين ، ومعناه التكثير .

قال صاحب الصحاح : وأثمر الرجلُ بالمثلثة ، أى كَثُرَ ماله . وتَمَرَ اللهُ ماله ، أى كَثُرَهُ .

ففاعل رأى ضمير الحليف ، أى المعاهد فى بيت قبله .

(وأثَّلَ) أى أَصَلَ وثَبَّت . والتأثيل : التأصيل والتثبيت .

قال صاحب الصحاح : يقال سدَّ اللهُ مفاقره ، أى أغناه وسدَّ وجوه فقره . انتهى . فيكون جمعَ مَفْقَر كجعافر جمع جعفر . والمفقر : مكان الفقر وجهته .

وجواب لما فى بيت بعده .

والبيت من قصيدة للنابعة الذبياني يعاتب بها بنى مرة فيما كان بينه وبين يزيد بن سنان بن أبي حارثة ، واجتماع قومه عليه ، وطواعيتهم

له ، وطلبه بحوائجهم عند الملوك . وكان النابعة يُحسد كثيراً ، وكان
عفيفاً شريفاً فى قومه . وهذا أولها :

٥٥٧

(ألا أبلغنا ذبيان عني رسالة
فقد أصبحت عن منهج القصد جائره
أجدكم لم تزجروا عن ظلامة
سفيهاً ، ولن ترعوا لذى الود آصره
فلو شهدت سهم وأفناء مالك
فتعذرني من مرة المتناصرة^(١))

إلى أن قال بعد بيتين :

(فإن يك مولانا تجانف نصره
وأسلمنا لمرة المتظاهره
فإنى لألقى من ذوى الضغن منهم
بلا عشرة ، والنفس لابد عاثره
كما لقيت ذات الصفا من حليفها
وكانت تديه المال غباً وظاهره
تذكر أنى يجعل الله جنة
فيصبح ذا مالٍ ويقتل واثره
فلما رأى أن ثمر الله ماله
وأثّل موجوداً وسدّ مفاقره
أكب على فأسٍ يحد غرابها
مذكورة من المعاول باتره

(١) وكذا فى الديوان . وفى الحيوان « أليس لنا مولى يجب سراحنا فيعذرنا » .

فَلَمَّا وَقَاهَا اللَّهُ ضَرْبَةً فَأُسِـهِ
 وَلِلْبَرِّ عَيْنٌ مَا تَغْمُضُ نَاطِرَهُ
 تَنْدَمُ لَمَّا فَاتَهُ الذَّحْلُ عِنْدَهَا
 وَكَانَتْ لَهُ إِذْ خَاسَ بِالْعَهْدِ قَاهِرَهُ
 فَقَالَ تَعَالَى نَجْعَلِ اللَّهَ بَيْنَنَا
 عَلَى مَالِنَا أَوْ تُنْجِزَى لِي آخِرَهُ
 فَقَالَتْ يَمِينُ اللَّهِ أَفْعَلُ ، إِنَّنِي
 رَأَيْتُكَ مَسْحُورًا يَمِينُكَ فَاجِرَهُ
 أَبِي لِي قَبْرٌ لَا يَزَالُ مُقَابِلِي
 وَضَرْبَةُ فَأَسَ فَوْقَ رَأْسِي فَاقِرَهُ

وهذا آخر القصيدة .

والآصرة : القرابة . يقال : فلان ما تأصره على آصرة ، أى
 لا تعطفه على رَحِمٍ . وسهم هو ابن مرة بن عوف الذبباني . ومالك هو
 أخو سهم ، قبيلتان . ولهذا قال « المتناصره » أى التى ينصُر بعضها
 بعضاً . وتجانف : تمايل . والمتظاهرة : التى صار كلُّ منهم ظهيراً ومعيناً
 للآخر . والضغن : الحقد . وذات الصفا هى الحية كما يأتى شرحها .
 والحليف : المعاهد . وقوله : « وكانت تديه المال » إلخ روى الأصمعي
 بدله :

* وما انفكت الأمثال فى الناس سائره *

وقال : تلك الرواية منحولة ، لأنك تقول وديت فلاناً ، للمقتول
 نفسه ، ولا تقول وديت وليه ولا أهله . وودى فلان فلاناً : أعطى ديتَه .
 وغياً ، أى تعطيه من الدية فى يوم ولا تعطيه فى اليوم الثانى . والغبُّ

بالكسر : فَصَلُ الفعل وتركه بيوم^(١) بين فعلٍ يومين . ومنه حُمَيَّ الغِبِّ ، إِذَا أَتَتْ يوماً وتركت يوماً . والظاهرة : البارزة غير مختفية^(٢) ، وقيل الظاهرة التى تشرب كلَّ يوم .

وروى أبو عبيدة بدل البيت :

(فَوَاتَّقَهَا بِاللَّهِ حِينَ تَرْضَايَا فَكَانَتْ تَدِيهِ الْمَالَ غِبًّا وَظَاهِرَه)

وقوله : « تذكر » فاعله ضمير الحليف . وَأَنْتَى بمعنى كيف . والجُنَّة بضم الجيم : الوقاية . والواتر : الذى عنده الثَّأر ، من الوَثَر بفتح الواو عند قوم وكسرها عند آخرين ، وهو الذَّحْل والثَّأر . وقوله : « فلما رأى » فاعله ضمير الحليف . وقوله : « أَكَبَّ » هو جوابُ لَمَّا . يقال أَكَبَّ عَلَى كَذَا ، أى لازمه . ويُحَدُّ : مضارع أَحَدَه ، أى جعله حديدًا قاطعًا . والغُرَاب ، بضم المعجمة : رأس الفأس القائم ؛ ولها رأسان ، فالرأس العريض يقال له قَدُوم ، والآخر يقال له غُرَاب . قال صاحب الصحاح : الذَّكْر من الحديد : خلاف الأنثى . وسيف ذَكَرٌ ومُذَكَّرٌ ، بفتح الكاف المشدودة ، أى ذو ماء . وقال أبو عبيد : هى سيوفٌ شَفَرَاتُهَا حديدٌ ذَكَرٌ ومتونها أنثى . قال : ويقول الناس إنَّها من عمل الجنِّ . انتهى .

والذكر هو الفولاذ والصلب . والأنثى ، هو الحديد المعروف . والمعاول : جمع مِعُول يكسر الميم وفتح الواو ، وهى الفأسُ العظيمة التى يُنْقَرُ بها الصَّخر . والباترة : القاطعة . والذَّحْل ، بفتح الذال المعجمة وسكون الحاء المهملة : الثَّأر والحقْد . وكانت ، أى الحية .

(١) ط : « يقوم » .

(٢) كذا فى النسخين .

وخاس بالعهد بإعجام الأول وإهمال الآخر ، بمعنى غَدَر به . وأراد بقهرها إيَّاه قطع العطية من الدية . أو تنجزى : إلى أن تنجزى .

وقوله : « يمين الله أفعل » أى أقسم يميناً بالله لا أفعل ، أى لا أعطى . كما كنت أعطيك . أو بمعنى لا أقبل عهدك بعد هذا . والمسحور : المخدوع ، يقال سحره أى خدعه وعلَّله . وأرادت : إِنَّكَ إنسانٌ خادعٌ غدار . وفاقرة : قاطعة ، يقال فقر الحبلُ أنفَ البعير ، إذا حزه وأثر فيه .

وهذه الأبيات موقوفةٌ على سماع حكايةٍ هى من أكاذيب العرب قال أبو عمرو الشَّيبانى وابنُ الأعرابى : ذكروا أَنَّ أخوين كانا فيما مضى فى إبلٍ لهما ، فأجذبت بلادُهما وكان قريباً منهما وادٍ يقال له عُبيدَانُ فيه حيَّةٌ قد أَحمته^(١) فقال أحدهما لصاحبه : هل لك فى وادى الحيَّةِ فإنَّه ذو كَلٍّ ؟ فقال أخوه : إِنِّى أخاف عليك الحيَّةَ ، ألا ترى أَنَّ أحداً لم يهبط ذلك الوادى إِلَّا أَهْلَكَته ؟ فقال : والله لأفعلنَّ ! فهبط ذلك الوادى فرعى فيه إبله ، فبينما هو ذات يومٍ فى آخر الإبل نائمٌ إذ رفعت الحيَّةُ رأسها فأبصرته ، فأتته فقتلته ثم دخلت جحرها ، وأبطأت الإبلُ على أخيه فعرفَ أَنَّهُ قد هَلَكَ ، فقال : ما فى الحياة بعد أخى خَيْرٌ ، ولأطلبنَّ الحيَّةَ ولأقتلنها أو لأتبعنَّ أخى . فهبط ذلك الوادى فطلب الحيَّةَ ليقتلها فقالت له : أَلست ترى أَنِّى قد قتلت أخاك ، فهل لك فى الصُّلح فأدعك ترعى الوادى فتكونَ فيه ، وأعطيك ما بقيتُ ديناراً يوماً ويوماً لا ؟ قال : أو فاعلةٌ أنتِ ؟ قالت : نعم . قال : فإنِّى أَقبل . فحلف لها وأعطاه الموائيق لا يضرُّها ، وجعلت تعطيه ما ضَمِنَتْ له ، فكثر ماله ونبتت إبله حتَّى صار من أحسن

(١) كذا فى النسختين ، ويقال أحمى المكان : جعله حمى لا يقرب .

الناس حالاً . ثم إنه ذكر أخاه ذات يوم فدمعت عيناه وقال : كيف ينفعني العيش وأنا أنظرُ إلى قاتل أخى ؟ فعمد إلى فأس فأحدها ثم قعد ، فمرت به فتبعها وضربها فأخطأها ، ودخلت جحرها ، ووقعت الفأس فوق جحرها فأثرت فيه ، فلما رأت ما فعلَ قطعتُ عنه الدينار الذى كانت تعطيه ، فلما رأى ذلك تخوَّفَ شرَّها وندم ، فقال لها : هل لك أن نتواثق ونعود إلى ما كنَّا عليه ؟ فقالت : « كيف أعاودُك وهذا أثر فأسك » ، وأنت ترى قبر أخيك ، وأنت فاجر لا تبالي بالعهد .

وكان حديث الحيَّة والفأس من مشهور أمثال العرب .

قال أبو عبيدة : لما حجَّ عبد الملك بن مروان أولَ حجةٍ حجَّها في خلافته قديم المدينة فخطب ، فقال : يا أهل المدينة ، والله لا تحبُّونا ولا نحبُّكم أبداً وأنتم أصحابُ عثمان ، إذ نفيتمونا عن المدينة ونحن أصحابُكم يوم الحرة ، فإنما مثلُنا ومثلُكم كما قال النابغة . وأنشد ٥٥٩
هذه الأبيات من صفة الحية .

ثم قال : إنه كانت حيةٌ مجاورةً رجلاً فوكعته فقتلته ، ثم إنَّها دعت أخاه إلى أن يصالحها على أن تدي له أخاه ، فعاهدها ، ثم كانت تعطيه يوماً ولا تعطيه يوماً ، فلما تنجَّز عامة ديتِه قالت له نفسه : لو قتلتها وقد أخذتَ عامة الدية فيجتمعان لك ! فأخذ فأساً فلما خرجت لتعطيه الدينارَ ضربها على رأسها وسبقته فأخطأها وندم ، فقال : تعالِ نتعاقد ولا نغدر وتُنجزى آخر ديتي . فقالت : أبى الصلح القبرُ الذى بين عينيك ، والضربةُ التى فوق رأسى ، فلن تحبِّنى أبداً ما رأيت قبر أخيك ، ولن أحبَّك ما كانت الضربة برأسى . إننا لن نحبُّكم ما ذكرنا ما صنعتم بنا ، ولن تحبُّونا ما ذكرتم ما صنعنا بكم . انتهى .

والنابغة شاعرٌ جاهليٌّ تقدّمت ترجمته في الشاهد الرابع بعد المائة^(١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والأربعون بعد الستمائة^(٢)

٦٤٢ (أَنْ تَقْرَأَ عَلَى أَسْمَاءَ وَيَحْكُمَا
مِنِّي السَّلَامَ وَأَنْ لَا تُشْعِرَا أَحَدًا)

على أَنْ (أَنْ الخفيفة المصدرية) قد لا تنصب المضارع كما في البيت ،
إِمَّا لِلْحَمْلِ عَلَى مَا الْمَصْدَرِيَّةُ أَوْ عَلَى الْمُخَفَّفَةِ . ولو نصبت لحذفت النون
من تقرأن .

قال ابن جني (في الخصائص) : سألت أبا عليٍّ رحمه الله عنه
فقال : هي مخففة من الثقيلة ، كأنه : قال أَنْكَمَا تقرأن ، إِلَّا أَنَّهُ
خَفَّفَ مِنْ غَيْرِ تَعْوِيضٍ .

وحدثنا أبو بكر محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى قال :
شبه أَنْ بما ، فلم يُعملها كما لا يُعمل ما . انتهى .

وزاد (في سر الصناعة) : وهذا مذهب البغداديين . وفي هذا بُعد .
وذلك أَنَّ (أَنْ) لا تقع إِذَا وُصِلَتْ حَالًا أَبَدًا ، إِنَّمَا هِيَ لِلْمَضِيِّ أَوْ لِلْإِسْتِقْبَالِ
نحو : سَرَرَنِي أَنْ قَامَ ، وَيَسُرُّنِي أَنْ يَقُومَ . ولا تقولُ يسرنِي أَنْ يَقُومَ وهو
في حال القيام . و(مَا) إِذَا وُصِلَتْ بِالْفِعْلِ وَكَانَتْ مَصْدَرًا فَهِيَ لِلْحَالِ أَبَدًا
نحو قولك : مَا تَقُومُ حَسَنَ ، أَيْ قِيَامَكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ حَسَنَ ، فَيُبْعَدُ
تشبيهه واحدةٍ منهما بِالْأُخْرَى وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا لَا تَقَعُ مَوْقِعَ صَاحِبَتِهَا .
قال أبو علي : وَأَوَّلَى أَنْ الْمُخَفَّفَةُ مِنَ الثَّقِيلَةِ الْفِعْلُ بِلَا عَوْضٍ ضَرُورَةٍ .

(١) الخزانة ٢ : ١٣٥ - ١٣٨ .

(٢) مجالس ثلث ٣٩٠ والخصائص ١ : ٣٩٠ والمنصف ١ : ٢٧٨ والإنصاف ٥٦٣
وابن يعيش ٧ : ١٥ / ٨ : ١٤٣ ومعنى اللبيب ٣٠ ، ١٩٧ ، والعين ٤ : ٣٨٠ والتعريف
٢ : ٢٣٢ والأشئوف ٣ : ٢٨٧ .

وهذا على كلّ حال وإن كان فيه بعضُ الضعف ، أسهلُّ مما ارتكبه الكوفيون . انتهى .

وكذلك قال (في شرح تصريف المازني) : سألت أبا علي عن إثبات النون في تقرأن بعد أن ، فقال : أن مخففة من الثقيلة ، وأولها الفعل بلا فصلٍ للضرورة . فهذا أيضاً من الشاذّ عن القياس والاستعمال جميعاً ، إلّا أن الاستعمال إذا ورد بشيء أخذ به وترك القياس ، لأنّ السماع يُبطل القياس . قال أبو علي : لأنّ الغرض فيما ندوّنه من هذه الدواوين ، ونقننه^(١) من هذه القوانين ، إنّما هو ليلحق من ليس من أهل اللغة بأهلها ، ويستوى من ليس بفصيح ومن هو فصيح . فإذا ورد السماع بشيء لم يبق غرضٌ مطلوب ، وعُدل عن القياس إلى السماع . انتهى .

وذهب إلى هذا ابن عصفور (في كتاب الضرائر) قال : ومنه مباشرة الفعل المضارع لأنّ المخففة من الثقيلة وحذف الفصل ، نحو قول الشاعر ، أنشده الفراء عن القاسم بن معنٍ قاضي الكوفة :

إني زعيمٌ يأنوي قمةً إن سلمت من الرّزاح^(٢)

أن تهبطين بلاد قو م يرتعون من الطّلاح^(٣)

وقول الآخر :

أن تقرأن على أسماء ويحكما . . . البيت

(١) في المنصف ١ : ٢٧٩ : « ونثبته » .

(٢) الرزاح ، كسحاب : شدة الضعف في الإبل حتى تكاد تلصق بالأرض ولا يكون بها نهوض . وفي معاني الفراء ١ : ٣٦ : « من الزواح » كما في اللسان (زوج) .

(٣) الطّلاح : جمع طلحة ، وهو الواحدة من الطلح ، شبهوه بقصعة وقصاع . والطلح أعظم المعشاه وأكثره ورقاً وأشدّه خضرة .

وقول الآخر :

إذا كان أمرُ الناس عند عجزهم
فلا بدَّ أن يلقَوْا كلَّ يبابٍ^(١)

وقول ابن الدُّمينة^(٢) :

ولى كبداً مقروحةً من يبيعُ
بها كبداً ليست بذاتِ قروح
أبى النَّاسُ ويَح النَّاسُ أن يشترونها
ومن يشتري ذا علَّةٍ بصحيحٍ^(٣)

وقول الآخر^(٤) :

وإنى لأختار القِرَى طاوى الحشا
محاذرةً من أن يُقالَ لئِمُ

قال أبو بكر بن الأنباري : رواه الكسائيُّ والفراء عن بعض العرب برفع يقال . ولا يحسن شيء من ذلك في سعة الكلام حتى يفصل بين أن والفعل بالسين أو سوف أو قد في الإيجاب ، وبلا في النفي . فإن جاء شيء منه في الكلام حفظ ولم يُقَس عليه ، نحو قراءة ابن مجاهد : ﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة^(٥)﴾ برفع يتم . ومن النحويين من زعم أن أن في جميع ذلك هي الناصبة للفعل ، إلا أنها أهملت حملاً على المصدرية

(١) في حواشي ش : « هكذا بخط المؤلف ، وصوابه : كل تباب » .

(٢) ديوان ابن الدمينة ٢٧ .

(٣) في الديوان : « ويب الناس » .

(٤) هو حاتم الطائي . ديوانه ١١٤ .

(٥) الآية ٢٣٣ من سورة البقرة .

فلم تعملْ لمشابتها لها في أَنَّها تقدَّر مع ما بعدها بالمصدر . وما ذكرتُ^(١) قبلُ من أَنَّها مخفَّفةٌ أولى ، وهو مذهب الفارسيِّ وابن جنِّي ، لأنَّها هي التي استقرَّت في كلامهم ارتفاعُ الفعل المضارعِ بعدها . انتهى .

وزهد الزمخشريُّ إلى أَنَّ الرفع بعد أن لغةً . قال (في المفصل) : وبعض العرب يرفع الفعل بعد أن تشبيهاً بما . قال :

أَن تَقْرَأَنَّ عَلَى أَسْمَاءَ وَيَحْكَمَا

البيت . . .

وعن ابن مجاهد : ﴿ أَنَّ يَتِمُّ الرِّضَاعَةُ ﴾ بالرفع . انتهى .

قال شارحه ابن يعيش : قال ابنُ جنِّي : قرأتُ على محمد بن الحسن ، عن أحمد بن يحيى قولَ الشاعر :

يَا صَاحِبِي فَدَتْ نَفْسِي نَفُوسَكُمْ وَحَيْثُمَا كُنْتُمَا لَاقِيْتُمَا رَشْدَا
أَنَّ تَحْمَلَا حَاجَةً لِي خَفَّ مَحْمَلُهَا وَتَصْنَعَا نِعْمَةً عِنْدِي بِهَا وَيَدَا

أَن تَقْرَأَنَّ البيت

فقال في تفسير أَن تَقْرَأَنَّ : وَعِلَّةُ رَفْعِهِ أَنَّهُ شَبَّهَ أَنَّ بِمَا فَلَمْ يُعْمَلْهَا فِي صَلَاتِهَا . ومثله الآية ، وهو رأى السِّيرافي . ولعلَّ صاحب هذا الكتاب نقله من الشَّرح . وهذا رأى البغداديين ، ولا يراه البصريُّون . وصحَّة مَحْمَلِ البيت عندهم على أَنَّها المخفَّفة من الثَّقيلة ، أَي أَنَّكُمَا تَقْرَأَنَّ . وَأَنَّ وما بعدها في موضع البدل من قوله حاجة ، لأنَّ حاجته قراءةُ السلام عليها . وقد استبعدوا تشبيهه أَنَّ بما ، لأنَّ ما مصدرٌ معناه الحال ، وَأَنَّ وما بعدها مصدرٌ إمَّا ماضٍ وإمَّا مستقبل ، على حَسَبِ الفعل الواقع بعدها ، فلذلك لا يصحُّ أَحَدُهُمَا بمعنى الآخر^(٢) . انتهى .

(١) ش : « وما ذكرته » .

(٢) في ابن يعيش ٨ : ١٤٣ : « حمل إحداهما على الأخرى » .

ونقل ابن هشام (في المغنى) خلافَ هذا ، قال في بحث أن المخففة وقد^(١) يرفع الفعل بعدها كقراءة ابن مُحَيِّصِن : ﴿ لمن أَرَادَ أَنْ يَتَمَّ الرِّضَاعَةَ ﴾ ، وكقول الشاعر :

* أن تقرأن على أسماء ويحكما *

وزعم الكوفيون أنَّ أن هذه هي المخففة من الثقيلة شدَّ اتِّصالها بالفعل . والصَّواب قولُ البصريين ، أنَّها أن الناصبة أَهْمِلْتُ حملاً على أختها ما المصدرية . هذا كلامه .

وقوله : « أن تحملا حاجة » في موضع نصب بفعل مضمر دلَّ عليه ما تضمَّنه البيت الأوَّل من النداء والدعاء . والمعنى : أسالكما أن تحملا . وقول ابن جنى : التقدير أنكما تقرأن ، إشارة إلى أن اسم أن ضميرٌ محذوف ، وهو ضمير التثنية .

٥٦١

وقد ذهب ابن هشام (في موضعين من المغنى) كالشارح المحقق . إلى أنَّها في البيت هي الخفيفة الناصبة للمضارع ، قال في القاعدة الحادية عشرة من الباب الثامن : مِنْ مُلَحِّح كلامهم تقارُضُ اللفظين في الأحكام ، ولذلك أمثلة منها إعطاء أن المصدرية حكمَ « ما » في الإهمال كقوله :

أن تقرأن على أسماء ويحكما . . . البيت

الشاهد في أن الأولى^(٢) وليست مخففة من الثقيلة ، بدليل أن المعطوفة عليها . وإعمالُ « ما » حملاً على « أن » كما روى من قوله عليه

(١) ش : « قد » .

(٢) ش : « ليست » بطرح الواو .

الصلاة والسلام : « كما تكونوا يوئى عليكم » ، ذكره ابنُ الحاجب .
والمعروف في الرواية : « كما تكونون » . انتهى .

قال الدمامينى معترضاً على دليله في الأول : لا مانع من عطف أن
الناصبية وصلتها على أن المخففة وصلتها ، إذ هو عطفُ مصدر على مصدر
ولا يمنعهُ أحد ، كما تقول : عندى أن لا تسيءُ إلى أحد وأن تحسنَ
إلى عدوك ، برفع تسيءُ .

واعتذر عنه الشُّمْنِيُّ بأنَّ المراد بالدليل هنا ما يُفيد الظنَّ والرُّجْحانَ
وليس المراد أنَّ ذلك دليلٌ من جهة امتناع عطف أن الناصبة وصلتها
على أن المخففة وصلتها ، ومن جهة أنَّ الظاهر أنَّ الثانية من نوع الأولى ،
والثانية ليست خفيفةً ، فكذا الأولى .

وقال الدمامينى في دليله بالحديث : لا حاجة إلى جعل ما ناصبه
حملاً على أختها أن ، فإنَّ فيه إثباتَ حكمٍ لها لم يثبت في غير هذا المحلِّ ،
بل الفعل مرفوع ونون الرفع محذوفة . وقد سُمِعَ ذلك نظماً ونشراً .
قال الشاعر :

* أبيت أسرى وتبى تى تدلكى ^(١) *

أى : وتبىتين تدلكين . وخرَّج على ذلك ماروى عن أبى عمرو :
﴿ قالوا ساحران تَظَاهَرَا ^(٢) ﴾ بتشديد الظاء ، أى أنتما ساحران تتظاهران ،

(١) رجز مجهول القائل . انظر معجم شواهد العربية ٥١٥ .

(٢) الآية ٤٨ من القصص . والمراد بالساحرين : موسى وهارون ، أو موسى ومحمد ،
أو عيسى ومحمد . ونسبة هذه القراءة إلى أبى عمرو لم ترد في الإتحاف أو تفسير أبى حيان ،
وإنما نسبت في تفسير أبى حيان ٧ : ١٢٤ إلى محبوب عن الحسن ، ويحيى بن الحارث الزمارى ،
وأبى حيوة ، وأبى خلاد عن البزيدى . ونسبت في القراءات الشاذة لابن خالويه ص ١١٣ إلى
يحيى الزمارى . وقال ابن خالويه : « تشديده لحن لأنه فعل ماض ، وإنما تشدد في المضارع »
ورد عليه أبو حيان بقوله : « وله تخريج في اللسان ، وذلك أنه مضارع حذفت منه النون ،
وقد جاء حذفها في قليل من الكلام وفي الشعر » .

فحذف المبتدأ أو أُدغمت التاء في الظاء وحذفت نون الرفع . وفي الحديث : « لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا » ، فحذف النون من الفعلين المنفيين . فعليه يخرج « كما تكونوا » إن ثبت . ولا حاجة إلى ارتكاب أمرٍ لم يثبت .

ولم يهتد أبو البقاء لمراد الزمخشري في تشبيه أن بما .

قال تلميذه الإمام الأندلسي (في شرح المفصل) : قال أبو البقاء : إن أراد تشبيه أن بما النافية فهو تشبيه بعيد ، لَأَنَّ أن تقرأ في الشعر إيجاب فهو ضد للنفي . وتشبيه الإثبات بالنفي بعيد خصوصاً في باب العمل والإلغاء . وإن أراد بما الزائدة فهو أقرب ، ويؤيد ذلك قراءة ابن مجاهد : ﴿ لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتِمَّ الرِّضَاعَةُ ^(١) ﴾ .

ثم قال : قلت ما ذكره شيخنا خالٍ عن التحقيق ، بل المشبه بها ههنا ما المصدرية ، في أَنَّها تطلب [صلة^(٢)] وتقدر معها تقدير المفرد ، فتقسم الشيخ ضائع . ومن أراد إبطال شيء بالتقسيم فطريقه أن يحصر الأقسام بأسرها ، ثم يبطل قسماً قسماً . والشيخ لم يفعل ذلك . واستدلُّه أيضاً بقراءة ابن مجاهد على أَنَّها زائدة عجيب ، والأجود أن يقال : إِنَّها في البيت مفسرة بمعنى أى ، وتكون تفسيراً للحاجة المذكورة في البيت المتقدم . انتهى كلام الأندلسي .

وهذا تخريج ثالث للبيت ، تبعه جماعة ، فجعلوا أن تقرأ تفسيراً لحاجة .

قال الشارح المحقق في آخر الكتاب أن لا تفسر إلا مفعولاً مقدر

(١) الآية ٢٣٣ من البقرة .

(٢) تكلة يفتقر إليها الكلام .

اللفظ ، دالاً على معنى القول مؤدّياً معناه . وقد تفسّر المفعول به الظاهر كقوله تعالى: ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ . أَنِ اقْذِفِيهِ ^(١) 〉 . انتهى . ولا يخفى أنّ الحمل ليس فيه معنى القول ، فلا يجوز جعل أنّ تفسيرية . فتأمل .

وقوله: «ياصاحبي فدت نفسي» إلخ الجملة الدعائية - وهي فدت نفسي إلخ ، والجملة الشرطية المراد بها الدعاء أيضاً وهي المصراع الثاني - وقع الاعتراض بهما بين قوله ياصاحبي وبين قوله «أن تحملا» . وأنّ تحملا في تأويل مصدرٍ إمّا منصوبٌ بفعلٍ مقدّر هو المقصود بالنداء ، تقديره: أسألكما أن تحملا ، أي حمل حاجة لي . وإمّا مجرور بلام محذوفة مع فعلٍ يدلّ على النداء ، أي أناديكما أو أدعوكما لأنّ تحملا . ويجوز أن يكون مفعولاً لأجله وعامله محذوفٌ يدلّ عليه الدعاء لهما ، وتقديره: أدعو لكما لأجل حملكما حاجة لي . وعلى هذا لا اعتراض في الكلام ، ويكون المقصود بالنداء هو الجملة الدعائية .

و «المَحْمَلُ» بفتح الميمين: مصدر ميمي بمعنى الحمل . وعطف اليد على النعمة تفسيري .

وروى شارح الباب وغيره :

* تستوجبا منّة عندي بها ويّدا *

وهذا يقتضي أن يكون قوله: «أن تحملا» شرطاً ، و «تستوجبا» جوابه . فإنّ على هذا إما مكسورة وإمّا مفتوحة وهي حرف شرط كالمكسورة ، وهو مذهب الكوفيّين ، وتبعهم الشارح المحقق وابن هشام (في المغني) .

وقوله : « أَنْ تَقْرَأَنْ » هو إمّا بدل من قوله حاجة ، وإمّا خبر مبتدئ محذوف ، أى هى أَنْ تَقْرَأَنْ . والجملة استثنافٌ بيّانيٌّ . كذا فى شرح اللباب وغيره . وقال ابن المستوفى : هو بدلٌ من قوله أَنْ تحملا . وإن كان أَنْ تفسيريةً فلا محلّ لما بعدها من الإعراب . قال الزمخشريّ (فى أساس البلاغة) : يقال : اقرأ سلاحي على فلان ، ولا يقال : اقرأه منى السلام . انتهى .

ووجهه أَنْ قرأً يتعدّى إلى مفعول واحدٍ بنفسه ، وإلى المبلّغ إليه بعلّ . وهذا مذهب الأصمعيّ ، قال صاحب المصباح : قال الأصمعيّ : وتعديته بنفسه خطأ ، فلا يقال اقرأه السلام ، لأنّه بمعنى اتل عليه . وحكى ابن القطّاع أنّه يتعدى بنفسه رباعياً فيقال : فلان يُقرئك السلام . انتهى .

وما فى البيت جارٍ على كلام الأصمعيّ ، ولا مانع من تعلق منى بتقرآن كما فهمه ابن المُلّا من نقل كلام الزمخشريّ ؛ فإنّ مراده أَنْ قرأً لا يتعدّى إلى مفعولين بنفسه ، ولا يمنع من تعلق « منى » به إذا كان مستعملاً على ما قاله . ويجوز أن يكون « منى » حالاً من السلام .

و (أسماء) من أعلام النساء ، ووزنه فعْلَاءُ لا أفعال ، لأنّه من الوسم^(١) وهو الحُسن ، فهمزته بدل من الواو .

وجملة (ويحكما) معترضة . وويح : كلمة ترحم ورأفة ، وهو مصدرٌ منصوب بفعل واجب الحذف .

وهذه الأبيات الثلاثة قلّما خلا عنها كتابٌ نحو ، ومع كثرة الاستعمال لم يعزّها أحدٌ إلى شاعر . والله أعلم .

* * *

(١) كذا فى النسختين . والوجه « الوسم » أو « الوامة » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد السّائة^(١) :

٦٣٤ (كَانَ جَزَائِي بِالْعَصَا أَنْ أُجْلَدَا)

على أَنَّ الفراء استدل به على جواز تقديم معمول معمولٍ أَنَّ المصدرية عليها^(٢) ، فَإِنَّ قوله (بالعصا) يتعلّق بقوله أُجلدا ، و (أُجلدَ) معمول أَن .

وقال البصريون : معمولُ الصلة من تمام الصلة ، فكما لا يجوز تقديم الصّلة على أَن ، كذلك لا يجوز تقدّم معمولها عليها . وأجابوا عن هذا كما قال الشارح المحقق بأنّه نادر ، أو هو متعلّق بأجلد مقدراً ، يُريد : بأن أُجلد . فاختصر .

وزاد الشارح المحقق بأنّ قوله بالعصا خبرٌ مبتدأٌ مقدّر ، وتقديره ذلك الجزاء بالعصا ، والجملة اعتراضية .

وقال التبريزي^(٣) (في شرح الحاجبية^(٤)) : لم يتعلّق بالعصا بأن أُجلد ، بل إمّا بأعنى للتبيين ، أو بمثل المؤخر ، أو بجعل كان تامةً

(١) المحتسب ٢ : ٣١٠ والمنصف ١ : ٢٩ ، ١٣٠ / ٣ : ٢٠ وابن يعيش ٩ : ١٥١ والعيني ٤ : ٤١٠ والهمع ١ : ٨٨ / ٢ : ٣ والأشونى ٣ : ٢٨٤ وملحقات ديوان المعاج ٧٦ ليسك .

(٢) ش : « تقديم معمول أن المصدرية عليها » ، والصواب ما أثبت من ط ، فإن « بالعصا » معمول لأجلد الذي هو معمول أن المصدرية في هذا الشاهد .

(٣) هذا التبريزي غير التبريزي المشهور ، أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي ، المتوفى سنة ٥٠٢ . بل هو تاج الدين أبو محمد علي بن عبد الله بن أبي الحسن الأردبيلي التبريزي المتوفى سنة ٧٤٦ . قال صاحب كشف الظنون ٢ : ٢٥٣ عند الكلام على شرحه : « وهو شرح كبير كشرح الرضى » . وانظر بغية الوعاة ٣٣٩ .

(٤) أي الكافية في النحو لابن الحاجب .

وبالعصا متعلّقاً بها ، وأن أُجلّد في موضع رفع على أنّه بدل من الجزء .
انتهى .

وقال أبو علي (في الإيضاح الشعري) : لا يمتنع أن يتقدّم على وجه
التبيين ، ليس على أنّه متعلق بالصلة ، لم يجعلوا بالعصا متعلقاً بالجلّد ،
ولكن جعلوه تبييناً للجلّد ، كقوله :

* أَبْعَلَى هَذَا بِالرَّحَا الْمُتْقَاعِ^(١) *

وقوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾^(٢) .

قال ابن جني عند قول الحماسي^(٣) :

ولا يحمل القومُ الكرامُ أخاهم الـ عتيدَ السّلاحِ عنهمُ أن يُمارِسَا
أراد : في تَرْكِ أن يمارِسَ ، فحذف « في » أولاً ، ثم « تَرْك » ، ومعناه
أن يمارِس عنهم . إلّا أنَّ إعرابه الآن يمنع من حمله عليه ، لما في ذلك
من تقديم بعض الصّلة على الموصول . فإذا كان كذلك أضمر لحرف
الجرّ ما يتناوله ودلّ عليه يمارِس . ومثله قول العجاج :

* كان جزائي بالعصا أن أُجلّدا *

وقال أيضاً بعده ، عند قول الحماسي من بيت :

* واللّهُ أَعْلَمُ بِالصَّمَانِ مَا جَشِمُوا^(٤) *

(١) للهذلول بن كعب العبدي ، كما في الحماسة ٦٩٦ بشرح المرزوقي . وانظر معجم
شواهد العربية ١٩٧ . وصدّره :

* تقول وصكت صدرها يمينها *

(٢) الآية ٢٠ من سورة يوسف .

(٣) هو حسيل بن مجيع ، كما في الحماسة ٥٧١ بشرح المرزوقي .

(٤) لهرز بن المكبر لضي ، كما في الحماسة ٥٧٣ بشرح المرزوقي . وصدّره :

* حتى أتى علم الدهن يواعه *

المعنى والله أعلم : ما جِثِمُوا بالصَّمان . فَإِنْ حملته على هذا كان لحنًا ، لتقديم ما فى الصَّلّة على الموصول . لكنّ تجعله تبينًا فتعلّقه بمحذوف يدلُّ عليه الظاهر . وهو بابٌ فاعرفه .

وقد تكلم على التبين بأبسط من هذا (فى شرح تصريف المازنى) قال : إِنْ كان على تقدير أن أُجلد بالعصا فخطأ ، لأنَّ الباء فى صلة أن ، ومحالٌ تقديم شيء من الصلة على الموصول ، ولكنه جعل الباء تبينًا ومثله قوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾^(١) فلما قدّم جعل تبينًا فأخرج عن الصلة . ومعنى التبين أنّ تعلّقه بما يدلُّ عليه معنى الكلام ، ولا تقدّره فى الصلة ، لأنّ معنى البيت جلدى بالعصا . فإذا فعلتَ هذا سلم لك اللفظ والمعنى ، ولم تقدّم شيئًا عن موضعه الذى هو أخصُّ به ، ولا يجوز إزالته عنه . وليس يمتنع أن يكون تفسير المعنى مخالفًا لتقدير الإعراب . ألا ترى أنّ معنى قولهم : « أَهْلَكَ وَاللَّيْل » ، معناه الحقُّ بأهلك قبل الليل ، وإنّما تقديره فى الإعراب : الحقُّ بأهلك وسابق الليل . فكذلك أيضًا يكون معنى الكلام كان جزائى أن أُجلد بالعصا ، وتقديره فى الإعراب غير ذلك . وسيبويه كثيرًا ما يميل فى كلامه على المعنى ، فيتخيّل من لا خبرة له أنّه قد جاء بتقدير الإعراب ، فيحمّله فى الإعراب عليه وهو لا يدرى ، فيكون مخطئًا وعنده أنّه مصيب ، فإذا نوزع فى ذلك قال : هكذا قال سيبويه وغيره . فإذا تفتّنت لهذا الكتاب وجدته كثيرًا . وأكثر ما يستعمله فى المنصوبات فى صدر الكتاب ، لأنّه موضعٌ مشكّلٌ وقلّما يُهتدى له . انتهى .

والبيت للعجاج ، كما قاله ابن جنى . وقبله :
رَبَّيْتُهُ حَتَّى إِذَا تَمَعَّدَا وَآضَ نَهْدًا كَالْحِصَانِ أَجْرَدَا
كان جزائى . . . إلخ .

قال ابن جنى (فى شرح التصريف) : تمعدّد من لفظ معدّ بن عدنان
وإنّما كان منه لأنّ معنى تمعدّد تكلم بكلام معدّ ، أى كبير وخطب^(١) . هكذا
قال أبو على . ومنه قول عمر : « اخشوشنوا وتمعدّدوا » . قال أحمد بن
يحيى : تمعدّدوا ، أى كونوا على خُلُق معدّ . انتهى .

٥٦٤

وأورده الجوهري فى (عدد) ، ونقل الخلاف فى ميمه وقال : تمعدّد
الرجل أى تزيّا بزيّهم ، أو تنسّب إليهم ، أو تصبّر على عيش معدّ .
وقال أبو عبيد : فى أثر عمر قولان : يقال هو من الغلظ ، ومنه قيل للغلام
إذا شبّ وغلظ : قد تمعدّد . قال الراجز :

* رَبَّيْتُهُ حَتَّى إِذَا تَمَعَّدَا *

ويقال معناه تشبّهوا بغيث معدّ . وكانوا أهل قَشَف وغلظ فى المعاش .
يقول : فكونوا مثلهم ودّعوا التنعّم وزىّ العجم . قال : وهكذا هو فى
حديث آخر : « عليكم باللّبسة المعدّية » . اهـ .

وقال ابن دريد (فى الجمهرة) : التمعدد : الشدّة والقوّة . وأنشد
هذا الرجز ثم قال : والمعدة من هذا اشتقاقها . ومعدّان : اسم رجلٍ أحسب
اشتقاقه من المعدة . اهـ .

وقوله : « وآض نهداً » إلخ ، آض بمعنى صار . والنهد ، بفتح النون
وسكون الهاء : العالى المرتفع . والحِصان ، بكسر الحاء ، هو الذكر من
الخيال . والأجرد ممّا تُمدّح به الخيل ، ومعناه القصير الشعر .

(١) فى المصنف ٣ : ٢٠ : « خطب وكبر » .

والعجّاج تقدّمت ترجمته في الشاهد الحادى والعشرين من أوائل الكتاب^(١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد السّائة^(٢) :

٦٤٤ (وشفاء غيّكِ خابراً أن تسألِ)

على أن تقدّم خابراً على أن نادر ، أو هو منصوب بفعل يدلُّ عليه المذكور ، والتقدير : تسألين خابراً .

ولم يذكر التخرّيج الثانى فى البيت الذى قبله ؛ لأنّه لا يتأتّى هنا ، فإنّ خابراً منصوب .

قال ابن السّراج (فى الأصول) : ولا يجوز عند الفراء إذا قلت أقوم كى تضرب زيدا : أقوم زيدا كى تضرب . والكسائى يُجيزه ، وينشد :

* وشفاء غيّكِ خابراً أن تسالى *

وقال الفراء : خابراً حالٌ من الغى . ا هـ .

ونقله صاحبُ اللباب فقال : ولا يجوز : قمتُ زيدا كى أضرب ، كما لا يجوز : أريد زيدا أن أضرب . خلافاً للكسائى . وقوله :

* وشفاء غيّكِ خابراً أن تسالى *

(١) الخزّانة ١ : ١٧٠ . وفى ش : « الواحد والعشرين » .

(٢) الحماسة البصرية ٢ : ٣٧ مع نسبته إلى امرأة من سليم . وفى الأغانى ١٩ : ٩٣ قصيدة طويلة منسوبة إلى ربيعة بن مقروم منها هذا الشاهد . وهناك أبيات من الروى والعروض ، ليس منها هذا البيت فى الحماسة بشرح المرزوقى ٦١ - ٦٧ .

مما يعضد مذهبه . والفراء يجعل المنصوب حالاً من الغي على ما حكاه ابن السراج . اهـ .

وقول الفراء في البيت لا وجه له ، فإنّ خابراً اسمٌ فاعلٌ من خبرته أخبره ، من باب نصر ، خُبراً بالضم ، إذا عَلِمْتَهُ . وهو بالخاء المعجمة والباء الموحدة . فالخبر : العالم . و (الغي) بفتح الغين المعجمة : مصدر غوى غيًّا ، من باب ضرب ، أي انهمك في الجهل ، وهو خلاف الرشد ، والاسم الغواية بالفتح .

والمصراع عجزٌ وصدره :

(هَلَّا سَأَلْتُ وَخُبْرُ قَوْمٍ عِنْدَهُمْ وَشَفَاءُ غَيْكِ خَابِراً أَنْ تَسْأَلِي^(١))

وبعده :

(هَلْ نَكْرُمُ الْأَضْيَافَ إِنْ نَزَلُوا بِنَا وَنَسُودُ بِالْمَعْرُوفِ غَيْرَ تَنْحُلِ)

فلا يمكن تخريج البيت إلّا على ما ذكره الشارح المحقق أو الكسائي . ولا يصحّ جعل خابراً حالاً من الغي ولا من الكاف ، فإنّ الغي لا يتّصف بالخبر ، إذ هو ضده . وكذلك المخاطبة لا تتّصف به لأنّها متّصفة بالغى ، ولعدم قوله خابرة بالتأنيث .

وقد تصحّف على شارح اللباب لفظتان منه : الأولى : الغيّ تصحّفت عليه بالعين المهملة المكسورة . والثانية : قوله خابراً ، تصحّفت عليه بجابير بالجيم ، فإنّه قال بعد عبارة اللباب : هكذا ذكره المصنّف ، وفيه نظر :

أَمَّا أَوَّلًا فَلَأَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِالْقِصَّةِ ، فَإِنْ كَانَ جَابِرُ اسْمٍ رَجُلٍ فَالْحَقُّ مَا ذَكَرَهُ

(١) البيت شديد التحريف في الحماسة البصرية . والبيت الذي بعده ، وهما بيتان اثنان فقط ، سيأتان قريباً في ص ٤٣٥ .

الكسائي ، وإن لم يكن اسم رجل جاز أن يكون فاعلاً من الجبر ، فالحق ما ذكره الفراء . وإن كان مجهول الحال احتمل الوجهين .

وأما ثانياً فلأن وصف الشفاء بالجبر كان أولى من وصف العي به ، فإن العي والعجز ليس سبب الجبر والصّلاح ، بل هو سبب الاختلال ، والشفاء والخلاص عن العي هو الجابر للاختلال . فلعل تأويله أن العي سبب السؤال والحامل عليه ، والسؤال سبب الشفاء والجبر . فجاز أن يجعل العي شافياً ، إسناداً للأثر إلى سبب السبب .

هذا كلامه ، وهو في هذا معذور ، لأنه لم يقف على أصل الشعر . وقد أورد البيت بمصراعيه ابن الأنباري والقالي (في تأليفهما في المقصور والممدود) . شاهداً للممدود المكسور أوله ، وهو الشفاء .

ورأيت (في الحماسة البصرية) : قالت امرأة من بني سليم :

هلاً سألت خبير قومٍ عنهم وشفاء علمك خابراً أن تسأل
يُبدى لك العلم الجلي بفهمه فيلوح قبل تفكر وتأمل
ومثل البيتين الأولين في المعنى وغالب اللفظ ، قول سَعِيَة بن عريض^(١)

من يهود خيبر :

إن تسألني فاسألني خابراً فالعلم قد يُلقي لدى السائل
يُنبيك من كان بنا عالماً عنا ، وما العالم كالجاهل

(١) في النسختين : « سعيد بن العريض » ، تحريف . وهو بفتح العين المهملة والياء المثناة التحتية ، كما في الروض الأنف للسبيل ١ : ١٤٢ وابن الأثير في أسد الغابة ١ : ٦٩ - ٧٠ . ٢٤١ . وانظر ما أثبتناه في شرح الأسمعيات ٨٢ - ٨٣ . وسعية هذا هو أخو السمود المشهور بالوفاء . وسعية لم يدرك الإسلام ، ولكن أدركه ولداه : ثعلبة وأسد ، وأسلما وحسن إسلامهما وتوفيا في حياة رسول الله .

صاحب الشاهد

وبيت الشاهد من قصيدة لربيعة بن مقروم . وبعد ذينك البيتين :

أبيات الشاهد

(ونَحَلُّ بِالثَّغْرِ المخوفِ عدوهُ
ونُعِينُ غارِمَنَا ونَمْنَعُ جَارَنَا
وَإِذَا امرؤٌ مِنَّا جَنَى فكَأَنَّهُ
ومتى يَقُمُ عند اجتماعِ عشيرَةٍ
وَإِذَا الحِمَالَةُ أثْقَلَتْ حُمَالَهَا
ويَحِقُّ في أَمْوَالِنَا لِحَرِيبِنَا
ونَرُدُّ خَالَ العارِضِ المتهلِّلِ
ويزِينُ مولَى ذِكْرُنَا في المَحْفَلِ
مِمَّا يَخَافُ على مَنَاقِبِ يَذْبُلِ
خطبَاؤُنَا بين العشيرةِ يَفْصَلِ^(١)
فعلى سوائِمِنَا ثَقِيلُ المَحْمِلِ
حقُّ نَنوؤُ به وَإِنْ لَمْ نُسْأَلِ^(٢))

ومن هذه القصيدة :

(ولقد شَهِدْتُ الخيلَ عند طِرَادِهَا
مَتَقَازِفٍ شَنَجِ النَّسَا عَبَلِ الشَّوَى
لَوْلَا أَكْفَكِفُهُ لَكَادَ إِذَا جَرَى
وَإِذَا جَرَى مِنْهُ الحَمِيمُ رَأَيْتَهُ
وَإِذَا تُعَلَّلَ بِالسَّيَاطِ جِيَادُهَا
وَدَعَوْا نَزَالَ فَكَنتُ أَوَّلَ نَازِلِ
وَلَقَدْ جَمَعْتُ المَالَ مِنْ جَمْعِ امْرِئٍ
وَدَخَلْتُ أَبْنِيَةَ المُلُوكِ عَلَيْهِمْ
وَأَلَدَّ ذِي حَنْتٍ عَلَى كَأَنَّمَا
بَسْلِمٍ أَوْظَفَةَ القَوَائِمِ هَيْكَلِ
سَبَاقِ أُنْدِيَةِ الجِيَادِ عَمِيثِلِ^(٣)
مِنْهُ الشَّكِيمُ يَدُقُّ فَأْسَ المِسْحَلِ
يَهْوَى بِفَارَسِهِ هَوًى الأَجْدَلِ
أَعْطَاكَ نَائِبَةً وَلَمْ يَتَعَلَّلِ
وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزَلِ
وَرَفَعْتُ نَفْسِي عَنْ لَثِيمِ المَأْكَلِ
وَلَشَرُّ قَوْلِ المرءِ مَا لَمْ يَفْعَلِ
تَغْلِي عِدَاوَةَ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلِ

٥٦٦

(١) ط : « خطابنا » ، وأثبت ما في ش مع أثر تصحيح والأغاني .

(٢) في الأغاني : « ونحق في أموالنا لخليفنا حقاً ييؤ به » . والحريب هنا : المسلوب

ماله .

(٣) في الأغاني : « أبدية الجياد » .

أَوْجَيْتُهُ عَنِ فَأَبْصَرَ قَصْدَهُ وَكُوَيْتَهُ فَوْقَ النَّوَاطِرِ مِنْ عَلٍ^(١)
وَأَخَى مَحَافِظَةَ عَصَى عُدَّالَهُ وَأَطَاعَ لَدَّتَهُ مُعِمَّ مُخَوِّلِ
هَشَّ يَرَّاحُ إِلَى النَّدَى نَبَّهْتُهُ وَالصُّبْحُ سَاطِعُ لَوْنِهِ لَمْ يَنْجَلِ
فَأَتَيْتُ حَانُوتًا بِهِ فَصَبَّحْتُهُ مِنْ عَاتِقٍ بِمَزَاجِهَا لَمْ تُقْتَلِ
صَهْبَاءُ صَافِيَةِ الْقَدَى أَعْلَى بِهَا يَسَّرُ كَرِيمُ الْخَيْمِ غَيْرَ مَبْخَلِ
وَلَقَدْ أَصَبْتُ مِنَ الْمَعِيشَةِ لَيْنَهَا وَأَصَابَنِي مِنْهُ الزَّمَانُ بِكُلِّ كِلِ
فَإِذَا وَذَاكَ كَأَنَّهُ مَالِمٌ يَكُنْ إِلَّا تَذَكَّرُهُ لِمَنْ لَمْ يَجْهَلِ
وَلَقَدْ أَتَتْ مَائَةٌ عَلَى أَعْدُهَا حَوْلًا فَحَوْلًا لَوْ بَلَاهَا مَبْتَلِ^(٢)
فَإِذَا الشَّبَابُ كَمِيزَلٍ أَنْضَيْتُهُ وَالْدَّهْرُ يُبْلِي كُلَّ جِدَّةٍ مَبْذَلِ

ومن هذه القصيدة في وصف امرأة ، روى صاحب الأغاني بسنده إلى الهيثم بن عدي ، عن حماد الراوية قال :

دخلت على الوليد بن يزيد وهو مصطبح ، وبين يديه معبد ، ومالك ، وابن عائشة ، وأبو كامل ، وحكم الوادي ، وعمر الوادي ، يغنونه ، وعلى رأسه وصيفة تسقيه ، لم أر مثلها تماماً وكمالاً وجمالاً ، فقال لي : يا حماد ، إني أمرت هؤلاء أن يغنوا صوتاً يوافق صفة هذه الوصيفة ، وجعلتها لمن وافق صفتها نحلة^(٣) ، فما أتاني واحد منهم بشيء ،

(١) في الأغاني : « أوجيته » بالراء . وقال المرزوقي : « ذكر بعض المتأخرين ، في أوجيته ، أن الرواية الصحيحة : أوجيته ، وما عدها تصحيف . قال : وهو أفعلته من الوجي . وإنما أوجب ذلك ليكون لفق قوله بزعمه : وكويته » .

(٢) بلاها : اختبرها ففرها . وفي ط : « لابلاها » ، تحريف . صوابه في ش . وفي الأغاني : « إن بلاها » .

(٣) النحلة ، بالكسر : : الهبة والعطية .

فَأَنشِدُنِي أَنْتَ مَا يُوَافِقُ صِفَتَهَا وَهِيَ لَكَ . فَأَنشَدْتَهُ قَوْلَ رَبِيعَةَ بْنِ مَقْرُومِ الضَّبِّيِّ :

شَاءَ وَاضِحَةُ الْعَوَارِضِ طَفْلَةٌ كَالْبَدْرِ مِنْ خَلَلِ السَّحَابِ الْمُنْجَلِي
وَكَاَنَّ فَاهَا بَعْدَ مَا طَرَقَ الْكُرَى كَأَنَّ تُصَفَّقَ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِي
لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطَ رَاهِبٍ فِي رَأْسِ مَشْرِفَةِ الذُّرَى ، مُتَبَتِّلٍ ^(١)
لَصَبَا لِبَهْجَتِهَا وَطِيبِ حَدِيثِهَا وَلَهْمٌ مِنْ نَامُوسِهِ يَتَنَزَّلُ
فَقَالَ الْوَلِيدُ : أَصَبْتَ وَصَفَهَا فَاخْتَرَهَا أَوْ أَلْفَ دِينَارٍ . فَاخْتَرْتُ
الْأَلْفَ الدِّينَارَ ^(٢) .

وهذه القصيدة من فاخر الشعر وجيده . فمن مختارها ونادرها قوله :

بَلْ إِنْ تَرَى شَمَطًا تَفَرَّعَ لَمَّتِي وَحَنَى قَنَاقِي وَارْتَقَى فِي مِسْحَلِي ^(٣)
وَدَلَفْتُ مِنْ كَبِيرٍ كَأَنِّي خَاتِلٌ قَنَصًا وَمَنْ يَذِيبُ لَصِيدٍ يَخْتَلِلُ
وَلَقَدْ أَرَى حَسَنَ الْقَنَاقَةِ قَوْمِهَا كَالنَّصْلِ أَخْلَصَهُ جِلَاءُ الصَّيْقَلِ ^(٤)

رَبِيعَةُ بْنُ مَقْرُومٍ وَرَبِيعَةُ هُوَ ابْنُ مَقْرُومَ بْنِ قَيْسِ بْنِ جَابِرِ بْنِ خَالِدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ
غَيْظِ بْنِ السَّيِّدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ بَكْرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ ضَبَّةَ بْنِ أَدَّ بْنِ طَابِخَةَ
ابْنِ الْيَاسِ بْنِ مَضَرَ بْنِ نَزَارٍ .

(١) بَيْنَ هَذَا الْبَيْتِ وَتَالِيهِ فِي الْأَغَانِي ١٩ : ٩٢ :

جَارَ سَاعَاتِ النِّيَامِ لِرَبِّهِ حَتَّى تَخْتَدَّ لَحْمُهُ مُسْتَعْمَلِ

(٢) فِي النَّسَخَتَيْنِ : « الْأَلْفُ دِينَارٌ » ، صَوَابُهُ فِي الْأَغَانِي ، لَعْدَمِ جَوَازِ إِضَافَةِ مَا فِيهِ أَلْ
إِلَى مَا هُوَ نَكْرَةٌ . وَانْظُرِ الْأَشْهُونَ ٢ : ٢٤٥ وَالْمَجْمَعُ ٢ : ٤٨ .

(٣) فِي طِ وَالْأَغَانِي : « شَمَطَةٌ تَقْرَعُ » صَوَابُهُ فِي ش . وَالشَّمَطُ : بَيَاضُ الرَّأْسِ يَخَالِطُ
سَوَادَهُ . تَقْرَعُهَا : عَلَاهَا . وَالْمِسْحَلُ : وَاحِدُ الْمَسْحَلِينَ ، وَهُمَا جَانِبَا اللَّحْيَةِ . وَفِي النَّسَخَتَيْنِ
وَالْأَغَانِي أَيْضًا : « مِسْحَلٌ » ، وَوَجْهُ كِتَابَتِهَا بِالْيَاءِ كَمَا أُثْبِتَ .

(٤) الْأَبْيَاتُ مِنْ أَصْوَاتِ الْأَغَانِي ١٩ : ٩٢ وَلَهَا رَابِعٌ فِي الْأَغَانِي :

أُزْمَانُ إِذْ أَنَا ، وَالْجَدِيدُ إِلَى بَلِي تَصْبِي الْعَوَانِي مِيعَى وَتَنْقَلِي

وهو شاعرٌ مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان ممّن أصفق عليه كسرى^(١) ثم عاش في الإسلام زماناً^(٢) . كذا في الأغاني .

وزاد على هذا ابن الانباري (في شرح المفضليات) : وهو مُسلمٌ وشهد القادسية .

وزاد ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : شهد القادسية وجلّولاء . وهو ٥٦٧

من شعراء مضر الملعودين .

وقد ذكره ابن حجر (في قسم المخضرمين من الإصابة) ونقل عن المرزباني^(٣) أنّه قال : كان ربيعة بن مقروم أحد شعراء مضر في الجاهلية والإسلام ، ثم أسلم وشهد القادسية وغيرها من الفتوح ، وعاش مائة سنة .

وأما البيتان الأخيران فهما من قصيدة جيّدة أيضاً لسّعة^(٤) بن عريض اليهودي الخبيري ، وهو أخو السمّوع بن عريض بن عدياء ، الذي يضرب به المثل في الوفاء . وأوّل القصيدة :

لُبَابُ يَا أُخْتَ بَنِي مَالِكٍ لَا تَشْتَرِي الْعَاجِلَ بِالْأَجَلِ
لُبَابُ هَلْ عِنْدَكَ مِنْ نَائِلٍ لِعَاشِقٍ ذِي حَاجَةٍ سَائِلٍ
عَلَّلْتِهِ مِنْكَ بِمَا لَمْ يَنْلُ يَا رَبِّمَا عَلَّلْتَ بِالْبَاطِلِ

(١) إشارة إلى يوم الصفقة الذي نكل فيه كسرى ببني تميم ، فأخذ أموالهم وسبي ذراريهم بمدينة هجر من أرض البحرين ، لأنهم كانوا قد أغاروا على لطيمة له فيها مسك وعنبر وجوهر كثير ، فسميت تلك الوقعة يوم الصفقة . وانظر خبر اليوم في ياقوت (الصفقة) والمقد ٣٢٤ : ٥ والأغاني ١٦ : ٧٥ / ٢٠ : ١٣٥ والمعدة ٢ : ١٦٩ والميداني ٢ : ٣٥٣

(٢) ش : « ثم عاش زماناً » .

(٣) ط ، ش : « المرزبان » ، صوابه في الإصابة .

(٤) في النسختين : « لسعيد » ، صوابه ما أثبت . وانظر ماسبق في حواشي ٤٣٥ .

لُبَابُ دَاوِيْنِي وَلَا تَقْتُلِي قَدْ فَضَّلَ الشَّافِي عَلَى الْقَاتِلِ
 إِنْ تَسْأَلِي بِي فَاسْأَلِي خَابِرًا فَالْعِلْمُ قَدْ يُلْفَى لَدَى السَّائِلِ
 يُنْبِيكَ مَنْ كَانَ بِنَا عَالِمًا عَنَّا ، وَمَا الْعَالَمُ كَالْجَاهِلِ
 إِنَّا إِذَا جَارَتْ دَوَاعِي الْهَوَى وَأَنْصَتَ السَّامِعُ لِلْقَاتِلِ
 وَاعْتَلَجَ الْقَوْمُ بِالْبَاهِمِ فِي الْمُنْطَقِ الْقَاتِلِ وَالْفَاصِلِ^(١)
 لَا نَجْعَلُ الْبَاطِلَ حَقًّا وَلَا نُلِيطُ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ
 تَخَافُ أَنْ تَسْفَهَ أَحْلَامُنَا فَتُخْمَلُ الدَّهْرَ مَعَ الْخَامِلِ

روى صاحب الأغاني بسنده إلى العتبي قال : كان معاوية يتمثل كثيراً إذا اجتمع الناس في مجلسه بهذا الشعر :

* إِنَّا إِذَا مَالَتْ دَوَاعِي الْهَوَى *

الآبيات الأربعة :

روى أيضاً بسنده إلى يوسف بن الماجشون قال : كان عبد الملك ابن مروان إذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفاً على رأسه ينشده :

إِنَّا إِذَا مَالَتْ دَوَاعِي الْهَوَى وَأَنْصَتَ السَّامِعُ لِلْقَاتِلِ
 وَاصْطَرَعَ الْقَوْمُ بِالْبَاهِمِ نَقَضَى بِحُكْمٍ فَاصِلٍ عَادِلِ
 مع البيتين الآخرين ، ثم يجتهد عبد الملك في الحق بين الخصمين^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد الستائة^(٣) :

٦٤٥ (يرجى المرء مالا أن يُلاقى وتعرض دون أدناه الخطوب)

(١) القاتل : الخاطيء الضعيف . فال يفيل فيولا وفيالة وفيلولة .

(٢) الأغاني ١٩ : ١٠١ .

(٣) نوادر أبي زيد ٦٠ ومغنى اللبيب ٢٥ وشرح شواهد المغنى ٣٢ والتصريح ٢ : ٢٣

على أَنَّ الخليل قال : أَصْلُ لَنْ : لا أَنْ ، كما جاءت في البيت ، على أصلها ، بدليل أَنَّ المعنى فيهما واحد ، فحذفت الهمزة تخفيفاً لكثرة الاستعمال ، كما حذفت من قولهم : وَيُلْمُهُ ، والأصل ويلُ أمّه ، فلما حذفت الهمزة التقى ساكنان : أَلْفٌ لا ونون أَنْ ، فحذفت الألف لدفع التقاء الساكنين ، فصار : لَنْ .

وهذا مذهب الكسائي أيضاً . وردّه سيويوه بما ذكره الشارح المحقق .
والمشهور في رواية البيت :

* يَرْجَى المرء ما إن لا يلاقى *

بتقديم إن المكسورة الهمزة على لا ، وهي زائدة .

وبه استشهد صاحب الكشف والقاضي البيضاوي عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي مَآ إِنْ مَكَنَّاكُمْ فِيهِ ^(١) ﴾ على أَنَّ إِنْ في الآية صلة كما في البيت .

ومثله لابن هشام (في المغني) قال : وقد تزايد إِنْ بعد « ما » الموصولة الاسمية . وأنشد البيت .

ولم يذكر الزمخشري (في المفصل) زيادة إِنْ هذه إلا بعد ما النافية ثم قال : وقد يقال : انتظرني ما إِنْ جلس القاضي ، أى مُدَّة جلوسه .
وصرح ابن الحاجب بقلتها بعدها .

وهذه الرواية هي رواية أبي زيد وابن الأعرابي (في نوادرهما) ، وأنشدها بين بيتين ، والأصل :

(فَإِنْ أَمْسِكَ فَإِنَّ العيشَ حُلُوٌّ إِلَى كَأَنَّهُ عَسَلٌ مَشُوبٌ)

يَرْجَى الْعَبْدُ مَا أَنْ لَا يَرَاهُ وَتَعَرَّضُ دُونَ أَدْنَاهُ الْخَطُوبُ
وَمَا يَدْرِي الْحَرِيصُ عَلَامَ يُلْقَى شَرَّاشِرُهُ أَيَخْطِئُ أَمْ يَصِيبُ
قال أبو زيد : قوله : إِلَى فِي مَعْنَى عِنْدِي . وَالشَّرَّاشِرُ : الثَّقُلُ ثِقْلُ
النَّفْسِ . انْتَهَى

وقال [أبو] الحسن الأَخْفَشُ (في شرح نوادر أبي زيد) : وروى
أبو حاتم : « مَا لَا إِنْ يِلَاقِي » بِتَأْخِيرِ إِنْ الْمَكْسُورَةِ الهمزة . ورواية « مَا إِنْ
لَا يِلَاقِي » بِتَقْدِيمِ إِنْ الْمَكْسُورَةِ غَلَطَ ، وَالصَّوَابُ : « مَا أَنْ لَا يِلَاقِي » ،
بِفَتْحِهَا ، وَهِيَ زَائِدَةٌ ، تَزَادُ فِي الْإِيجَابِ مَفْتُوحَةٌ ، وَفِي النَّفْيِ مَكْسُورَةٌ ^(١) .
تَقُولُ : لَمَّا أَنْ جَاءَنِي زَيْدٌ أَعْطَيْتَهُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ
الْبَشِيرُ ^(٢) ﴾ . وَتَقُولُ فِي النَّفْيِ : مَا زَيْدٌ مُنْطَلَقًا ، فَإِذَا زِدْتَ إِنْ قُلْتَ مَا إِنْ
زَيْدٌ مُنْطَلَقًا ، فَإِنْ كَافَقَهُ لَمَّا عَنِ الْعَمَلِ . وَنَظِيرُ هَذَا قَوْلُكَ : إِنْ زَيْدًا
مُنْطَلَقًا ، ثُمَّ تَقُولُ : إِنَّمَا زَيْدٌ مُنْطَلَقًا ، فَكُفَّتْ مَا الزَّائِدَةُ إِنْ عَنِ الْعَمَلِ
كَمَا كُفَّتْ إِنْ مَا النَّافِيَّةُ . وَهَذَا تَمَثِيلُ الْخَلِيلِ . فَلَمَّا قَالَ « مَا أَنْ لَا يِلَاقِي »
فَنَظَرَ إِلَى مَا ، الَّذِي رَوَى هَذِهِ الرِّوَايَةَ ، ظَنَّنَاهَا ^(٣) النَّافِيَّةُ . وَهَذِهِ بِمَعْنَى الَّذِي
فَلَا تَكُونُ أَنْ بَعْدَهَا إِلَّا مَفْتُوحَةٌ . وَرِوَايَةُ أَبِي حَاتِمٍ : « مَا لَا إِنْ يِلَاقِي »
صَحِيحَةٌ ، لِأَنَّ لَا فِي النَّفْيِ بِمَنْزِلَةِ مَا ، وَإِنْ كَانَتْ إِنْ لَا تَكَادُ تَزَادُ بَعْدَ
لَا . انْتَهَى .

وهذا خلافاً ما نقله الشارح المحقق عن الخليل ، وهو المخطئ في
النقل والتخطئة . ودعواه أَنَّ إِنْ الْمَكْسُورَةُ لَا تَزَادُ بَعْدَ مَا الْمُوصُولَةُ مُرَدُّوَةٌ

(١) في النوادر : « وَإِنْ زَائِدَةٌ ، وَهِيَ تَزَادُ فِي الْإِيجَابِ مَفْتُوحَةٌ وَفِي النَّفْيِ مَكْسُورَةٌ » .
وكلمة « تَزَادُ » ساقطة من ش .

(٢) الآية ٩٦ من سورة يوسف .

(٣) ط : « فَظَنَّا » صوابه في ش والنوادر ٦١ .

فإنَّها تزداد بعد ما المصدرية وغيرها أيضاً . قال ابن عصفور (في كتاب الضرائر) : ومن زيادة إن المكسورة الهمزة في الضرورة قولُ الشاعر ، أنشدَه سيبويه :

ورجَّ الفتى للخَيْر ما إن رأيتَه على السنِّ خيراً لا يزالُ يزيدُ^(١)

فزداد إن بعد ما المصدرية وليست بنافية ، تشبيهاً لها بما النافية . ألا ترى أنَّ المعنى : رجَّ الفتى للخير مدَّة رؤيتك إيَّاه لا يزالُ يزيدُ خيراً على السنِّ . لكن لما كان لفظُها كلفظ ما النافية زادها بعدها ، كما تزداد بعد ما النافية ، في نحو قولك : ما إن قام زيد . وقول الآخر أنشدَه أبو زيد :

يرجى المرء ما إن لا يلاقى البيت

فزداد إن بعد ما ، وهى اسم موصول ، لشبهها باللفظ بما النافية ، وقول النابغة في إحدى الروايتين .

إلاَّ الأوارى لا إن ما أبينُّها البيت

فزداد إن بعد لا لشبهها بما من حيث كانتا للنفي . وزعم الفراء أنَّ لا وإن وما حروف نفي ، وأنَّ النَّابِغَةَ جمع بينها على طريق التأكيد . انتهى .

وقال ابن هشام (في المغنى) : وقد تزداد بعد ما الموصولة الاسمية وبعد ما المصدرية ، وأورد البيتين المتقدمين ، ثم قال : وبعد ألا الاستفتاحية :

ألا إن سَرى ليلي فبتُّ ككيِّا أحاذرُ أن تنأى النوى بغضُوبِا^(٢)

(١) كتاب سيبويه ٢ : ٣٠٦ ومعجم شواهد العربية ١٠٣ وهو للمعلوط بن بدل .

(٢) المغنى ٢٢ وشرح شواهد المغنى ٣٢ والمجمع ١ : ١٢٤ .

وَقَبِلَ مَدَّةَ الْإِنْكَارِ ، سَمِعَ [سِيْبُوِيَه ^(١)] رَجُلًا يَقَالُ لَهُ : أَتُخْرِجُ
إِنْ أَخْصَبْتَ الْبَادِيَةَ ؟ فَقَالَ : أَنَا إِنِّيهِ ! مُنْكَرًا أَنْ يَكُونَ رَأْيُهُ عَلَى غَيْرِ
ذَلِكَ ^(٢) . انْتَهَى

وقوله : « فَإِنْ أُمْسِكَ فَإِنَّ الْعَيْشَ حُلُوٌّ » إلخ ، أُمْسِكَ مُضَارِعُ أَمْسَكَ . قَالَ
صَاحِبُ الْمَصْبَاحِ : أَمْسَكَتْهُ بِيَدِي إِمْسَاكَ : قَبَضْتُهُ بِالْيَدِ . وَأَمْسَكَتُ عَنْ
الْأَمْرِ : كَفَفْتُ عَنْهُ . وَأَمْسَكَ اللَّهُ الْغَيْثَ : حَبَسَهُ وَمَنَعَ نَزْوُلَهُ . انْتَهَى .

وَلَمْ يَذْكُرِ الشَّاعِرُ صَلَاةَ أُمْسِكَ ، فَمَعْنَاهُ مُتَوَقِّفٌ عَلَى مَا قَبْلَهُ . وَقَوْلُهُ
« مَشُوبٌ » أَيْ مَخْلُوطٌ بِالْمَاءِ . قَالَ صَاحِبُ الْمَصْبَاحِ : شَابَهُ شُوبًا :
خَلَطَهُ ، مِثْلَ شُوبِ اللَّبَنِ بِالْمَاءِ ، فَهُوَ مَشُوبٌ . وَالْعَرَبُ تَسْمِي الْعَسَلَ
شُوبًا ؛ لِأَنَّهُ عِنْدَهُمْ مَزَاجٌ لِلْأَشْرِبَةِ .

وقوله : « يَرْجِيَّ الْمَرْءُ » إلخ ، رَوَى بَدَلُ الْمَرْءِ (الْعَبْدُ) وَهُوَ عَبْدُ الْخَلِيقَةِ .
وَيَرْجِيَّ بِمَعْنَى يَأْمُلُ ، وَهُوَ مَبَالِغَةُ رَجَاهُ يَرْجُوهُ رُجُوءًا عَلَى فَعُولٍ ، وَالْإِسْمُ
الرَّجَاءُ بِالْمَدِّ . وَرَجِيَّتُهُ أَرْجِيهِ مِنْ بَابِ رَمَى ، لُغَةٌ . كَذَا فِي الْمَصْبَاحِ .

وَقَدْ حَذَفَ الْعَائِدُ إِلَى مَا الْمَوْصُولَةُ مِنْ قَوْلِهِ (لَا يَلَاقِي) ، وَالْأَصْلُ
لَا يَلَاقِيهِ ، وَرَوَى بَدَلُهُ : (لَا يَرَاهُ) ، فَالْهَاءُ هِيَ الْعَائِدُ .

و (تَعْرِضُ) إِمَّا مِنْ عَرَضَتْ لَهُ بِسُوءٍ أَيْ تَعَرَّضَتْ ، مِنْ بَابِ ضَرَبَ ،
وَبَابُ تَعَبُ لُغَةٌ . وَفِي النِّهْيِ : لَا تَعْرِضْ لَهُ بِكُسْرِ الرَّاءِ وَفَتْحِهَا ، أَيْ
لَا تَعْرِضْ لَهُ فَتَمْنَعُهُ بِاعْتِرَاضِكَ أَنْ يَبْلُغَ مَرَادَهُ ؛ لِأَنَّهُ يَقَالُ سِرْتُ فَعَرَضَ
لِي فِي الطَّرِيقِ عَارِضٌ مِنْ جَبَلٍ وَنَحْوِهِ ، أَيْ مَانِعٌ يَمْنَعُ مِنَ الْمَضِيِّ . وَاعْتَرَضَ

(١) التَّكْمَلَةُ مِنَ الْمَغْنَى . وَانْظُرْ سِيْبُوِيَه ١ : ٤٠٦ وَ ٢ : ٤٢٠ مِنْ نَسَخَتِي .

(٢) فِي سِيْبُوِيَه : « مُنْكَرًا لِرَأْيِهِ أَنْ يَكُونَ عَلَى خِلَافِ أَنْ يُخْرِجَ » .

لى بمعناه . ومنه اعتراضات الفقهاء ، لأنها تمنع من التمسك بالدليل .
وإمّا مِنْ عَرْضَ له أمرٌ ، إذا ظهر ، من باب ضَرْبٍ أيضاً . ويحتمل أن
تكون « تَعْرِضُ » بضم الراء ، من عَرَضَ الشيء بالضم عَرَضاً كعنب
وعَرَاضَةٌ^(١) بالفتح : اتسع عَرَضُهُ وتباعدَ حاشيته ، فهو عريض .

و (أَدْنَاهُ) : أقربه ، أفعل تفضيل من الدنو وهو القرب .

(والخطوب) : جمع خطب . قال صاحب المصباح : والخطب :
الأمر الشديد يَنْزِلُ ، والجمع خطوب ، مثل فلس وفلوس . انتهى .

وقيل الخطب هو الشأن والأمر ، عَظُمَ أو صَغُرَ . وقال الدماميني (في
الحاشية الهندية) : هو سَبَبُ الأمر ، يقال : ما خطبك ؟ أى ما سببُ أمرِك
الذى أنت عليه . وغلب استعمال الخطوب في الأمور الشاقة الصعبة . انتهى .

وهذه الأبيات الثلاثة نسبها أبو زيد إلى جابر بن رَأْلان الطائي ، جابر بن رَأْلان
قال : وهو شاعرٌ جاهلي . وكذا نسبها ابن الأعرابي (في نوادره) ثم
قال : ويقال إنها لإِيَّاس بن الأَرْت .

ورَأْلان بالراء المهملة بعدها همزة ساكنة . وإِيَّاس بكسر الهمزة بعدها
مثناة تحتية . والأَرْت بالمثلثة ، قال صاحب الصحاح : الرُّتَةُ بالضم :
العُجْمة في الكلام . ووجلُّ أَرْتُ بَيْنَ الرَّتِّ ، وفي لسانه رُتَّة ، وأَرَّتَهُ الله .

* * *

وَأَنشُدْ بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد الستائة^(٢) :

٦٤٦ (إِذَنْ لِقَامَ بِنَصْرَى مَعْشَرُ خُشْنُ)

على أن (إِذَنْ) تدخل في الماضي كما في البيت .

(١) ط : « وإعراضة » ، صوابه في ش والمغني وابن يعيش ١ : ٨٢ / ٩ : ١٣ ، ٦٩ -

(٢) الخصائص ٢ : ٢٧ وأمال ابن السجري ٢ : ٢٨٨ وابن يعيش ١ : ٩ / ٢ : ٦٩ ، ١٣ -

والحماسة بشرح المرزوقي ٢٥ .

والمصراع من أبياتٍ في أول الحماسة ، وقبله :

(لو كنتُ من مازن لم تستبِحْ إبلى بنو اللَّقِيْطَةِ من ذُهلِ بنِ شَيْبانا
إِذَنْ لِقَامِ بنِصْرَى مَعْشَرُ خُشْنُ عند الحَفِيْظَةِ إِنْ ذُو لُوثَةٍ لَنَا)

قال الشارح المحقق بعد أسطر : إِنَّ إِذْنَ متضمَّنة لمعنى الشرط على ما حقَّقه . وإذا كانت بمعنى الشرط الماضى جاز إجراؤها مجرى لو فى إدخال اللام فى جوابها كما فى البيت . فجملة لقام إلخ جواب إِذَنْ ، كَأَنَّهُ قِيلَ : ولو استباحوا إبلى مع كوفى من بنى مازن لقام بنصرى إلخ .

٥٧٠

وهذا مختار الشارح المحقق ومذهبه فى إِذَنْ . وفيه ردُّ على الإمام المرزوقى فى زعمه أَنَّ قوله « لقام » جوابُ قسمٍ مقدَّر . قال : اللام فى لقام جوابُ يمين مضمَّر ، والتقدير : إِذَنْ وَاللَّهِ لِقَامِ بنِصْرَى . وفائدة إِذَنْ هو أَنَّ هذا البيت الثانى أُخْرِجَ مُخْرَجَ جواب قائلٍ قال له : ولو استباحوا ماذا كان يفعل بنو مازن ؟ فقال : إِذَنْ لِقَامِ بنِصْرَى إلخ . وإذا كان كذلك فهذا البيت جوابٌ لهذا السائل ، وجزاءٌ على فعلٍ المستبِيح . انتهى .

وفيه ردُّ أيضاً لما قاله ابن جنى (فى إعراب الحماسة) قال : قوله : « إِذَنْ لِقَامِ » إلخ هو جوابُ قوله : « لو كنت من مازن » . فَإِنْ قلت : فقد أجاب لو هذه بقوله لم تستبِحْ إبلى . قيل : قوله إِذَنْ لِقَامِ إلخ بدل من قوله لم تستبِحْ إبلى ، وهذا كقولك : لو زرتنى لأكرمك ، إِذَنْ لم يضعْ عندى حقُّ زيارتك . انتهى .

وتبعه جماعة ، منهم ابن يعيش (فى شرح المفصل) قال : فَإِذَنْ جوابٌ لقوله : لو كنت من مازن لم تستبِحْ إبلى ، على سبيل البدل

من قوله لم تستبج^(١) إبلى ، وجزاءً على فعل المستبج . انتهى .

ومنه ابن هشام (فى المغنى) قال : الأكثر أن تكون إذن جواباً
لإن ، أو لو ، ظاهرتين أو مقدرتين .
فالأوّل كقوله^(٢) :

لئن عادَ لى عبدُ العزيز بمثلها وأمكنى منها إذن لا أقبلها
وقول الحماسى : « لو كنتُ من مازن » البيتين . فقوله « إذن
لقام » بدل من لم تستبج ، وبدل الجواب جواب .

والثانى : [فى^(٣)] نحو أن يقال آتيتك ، فتقول : إذن أكرمك ، أى
إن آتيتنى إذن أكرمك . وقال تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ
مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ^(٤) ﴾ .
قال الفراء : حيث جاءت بعدها اللام فقبلها لو مقدرة ، إن لم تكن
ظاهرة . انتهى .

وجوز الإمام المروزقى أن تكون إذن لقام إلخ ، جواباً ثانياً للو ، لأعلى
البديّة . قال : ويجوز أن تكون أيضاً إذن لقام جواب لو ، كأنه أجيب
بجوابين . وهذا كما تقول : لو كنت حُرّاً لاستقبحت ما يفعله العبيد
إذن لاستحسننت ما يفعله الأحرار . انتهى .

وزعم ابن المُلّا (فى شرح المغنى) أن هذا عين ما قاله ابن هشام
أو قريب منه .

ولا يخفى أنه قريب منه لآعينه .

(١) ش : « لم يستبج » ، صوابه فى ط وابن يعيش ٩ : ١٤ .

(٢) هو كثير عزة . كما سيأتى فى ٤٧٣ . والبيت هو الشاهد ٦٥١ .

(٣) التكملة من ش .

(٤) الآية ٩١ من سورة المؤمنون .

وَجَعَلَ ابْنُ هِشَامٍ إِذْنَ لَا أَقِيلُهَا فِي الْبَيْتِ جَوَاباً لِإِنَّ الشَّرْطِيَّةَ دُونَ الْقِسْمِ الْمَقْدَّرِ مُخَالَفٌ لِلْقَاعِدَةِ ، كَمَا يَأْتِي بَيَانُهُ قَرِيباً عِنْدَ إِنْشَادِ الشَّارِحِ الْبَيْتَ . وَإِنْ أَرَادَ تَقْدِيرَ إِنْ وَلَوْ صِنَاعَةً يَرُدُّ عَلَيْهِ أَنَّهُ يَمْتَنِعُ النَّصْبُ فِي الْمِثَالِ الَّذِي أَوْرَدَهُ ، لَوْقُوعُهَا حَشْوًا ، وَهُوَ قَوْلُهُ : آتِيكَ ، فَتَقُولُ : إِذْنَ أَكْرَمُكَ ، أَيْ إِنْ أَتَيْتَنِي إِذْنَ أَكْرَمُكَ .

وما نقله عن الفراء فيه تقصير كما يظهر من نصّ عبارته ، قال (في تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَمْ نَصِيبْ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ^(١) ﴾ : وَإِذَا رَأَيْتَ فِي جَوَابِ إِذْنَ اللَّامِ فَقَدْ أَضْمَرْتَ لَهَا لَتَيْنَ أَوْ مِيمَيْنِ ، أَوْ لَوْ . مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ﴾ وَالْمَعْنَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ : لَوْ كَانَ [مَعَهُ ^(٢)] إِلَهٌ لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ . وَمِثْلُهُ : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِيُفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا ^(٣) ﴾ ، وَمَعْنَاهُ لَوْ فَعَلْتَ لَا تَأْخُذُوكَ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ كَدَّتْ تَرْكَنٌ ^(٤) ﴾ ثُمَّ قَالَ : ﴿ إِذَا لَاذَقْنَاكَ ﴾ مَعْنَاهُ : لَوْ رَكَنْتَ لِأَذَقْنَاكَ . انْتَهَى كَلَامُهُ .

٥٧١

وقوله : (معشر خشن) : جمع خشن أو أخشن ، وضمة الشين للإتباع ، بمعنى الشديد . وأراد بهم بني مازن . و (اللؤثة) بالضم : الضعف . وأراد به قومه . قال ابن جنّي : إِنْ قُلْتَ أَيْنَ جَوَابُ قَوْلِهِ إِنْ ذُو لُؤْثَةٍ لَأَنَا ؟ قِيلَ : مَحْذُوفٌ دَلٌّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ خُشْنٌ ، أَيْ إِنْ لَانَ ذُو لُؤْثَةٍ خَشِنُوا هُمْ أَوْ يَخْشِنُوا ، وَدَلُّ الْمَفْرُودِ الَّذِي هُوَ خُشْنٌ عَلَى الْجُمْلَةِ الَّتِي هِيَ خَشِنُوا

(١) الآية ٥٣ من سورة النساء . وانظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٧٣ - ٢٧٤ .

(٢) التكملة من معاني القرآن .

(٣) الآية ٧٣ من سورة الإسراء .

(٤) من الآية ٧٤ في سورة الإسراء .

أو يخشونوا ، وذلك لمشابهة اسم الفاعل وما يجرى مجراه الجملة ، بما فيه من الضمير ^(١) . انتهى .

والمشهور في مثل هذا أَنَّ المتقدم دليلُ الجواب المحذوف ، فيقدرُ قام بنصرى معشر خشن . وصنيع ابن جنى أبلغ . فتأمل .

والاستباحة : أخذ الشيء مباحاً للنفس . و (قام) من القيام بالشيء والتكفل به . و (المعشر) : اسمٌ لجماعة أمرهم واحد .

وتقدم شرحهما في شرح الأبيات بأوفى من هذا في الشاهد السادس والخمسين بعد الخمسائة ^(٢)

* * *

وأنشد فيه بعده :

(نَهَيْتُكَ عَنْ طَلَابِكَ أُمَّ عَمْرٍو بِعَاقِبَةٍ وَأَنْتَ إِذْ صَحِيحٌ)

وتقدم شرحه مفصلاً في الشاهد الثامن والتسعين بعد الأربعمئة من باب الظروف ^(٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأربعون بعد الستائة ^(٤) :

٦٤٧ (مَا إِنْ أَتَيْتُ بِشَيْءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ

إِذَنْ فَلَا رَفَعْتُ سَوْطِي إِلَى يَدِي ^(٥)

إِذَنْ فَعَاقَبَنِي رَبِّي بِعَاقِبَةٍ قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ مَنْ يَأْتِيكَ بِالْحَسَدِ

(١) بعده عند ابن جنى في شرح الحماسة الورقة ٧ : « وذلك نحو قولك : مررت برجل محسن إذا سئل ، شجاع إذا لقي . أى إذا سئل أحسن ، وإذا لقي شجع . وهو كثير . »

(٢) انظر الخزانة ٧ : ٤٤١ - ٤٤٦ .

(٣) الخزانة ٦ : ٥٣٩ - ٥٥٠ .

(٤) مجالس ثعلب ٣٦٦ والمغنى ٢٥ .

(٥) ط : « صوتي » ، صوابه في ش وجميع المراجع الأخرى .

على إنَّ إذن إذا كانت للشرط في المستقبل جاز دخول الفاء في جزائها ، كما في جزاء إنَّ ، كما في البيت ، كأنَّه قال : إنَّ أتيتُ بشيءٍ فلا رفعتُ . فجملة فلا رفعت الخ ، جملة دعائية وقعت جزاء واقترنت بما يقترن به جزاء الشرط ، لما في إذن من معنى الشرط . وكذا الحال في البيت الثاني .

صاحب الشاهد وهما من قصيدة طويلة للناطقة الذبياني مدح بها النعمان بن المنذر ، وتنصّل بها عمّا قذفوه به ، حتّى خاف وهرب منه إلى بني جفنة ملوك الشام . وهى من القصائد الاعتذاريات ، ولحسّنها ألحقها أبو جعفر النحاس ، والخطيبُ التبريزيُّ وغيرُهما ، بالمعلقات السبع .

وتقدّم شرح أبيات كثيرةٍ منها في (باب الحال) ، وفي باب (خبر كان) ، وفي (النعت) ، وفي (البدل) ، وفي (أسماء الأفعال) وفي غير ذلك . وقبلها :

(والمؤمنُ العائذاتِ الطيرِ يمسحُها رُكبانُ مكّةَ بين الغيلِ والسندِ)
وبعدهما :

(هذا لأبرأ من قولٍ قُذِفْتُ به طارت نوافذه حراً على كبدي)
قال ابن رشيّق (في العمدة) : وأجلُّ ما وقع في الاعتذار من مشهورات العرب ، قصائد الناطقة الثلاث ، إحداها ^(١) :

* يادارَ مئةً بالعلياء فالسندِ *

يقول فيها :

فلا لعمر الذى مسحت كعبته وما هريق على الأنصاب من جسد

٥٧٢

والمؤمن العائذات الطير . . . إلى آخر الأبيات الثلاثة :
والثانية :

* أرسماً جديداً من سُعادَ تجنَّبُ *

يقول فيها معتذراً من مدح آل جفنة ومحتجاً بإحسانهم إليه :
حلفتُ فلم أتركْ لنفسكِ ريبَةً وليس وراءَ الله للمرءِ مطلبُ
الأبيات المشهورة . والثالثة :

* عفا حُسمٌ من أهله فالفوارعُ^(١) *

يقول فيها بعد قَسَمٍ قدَّمه على عادته :
لكلَّفَتْنِي ذَنْبَ امرئٍ وتركتَه كذى العُرِّ يُكوى غيره وهو راتعُ
انتهى . وقد شرحنا القصائد الثلاث برُمُتها في المواضع التي استشهد
بأبياتها .

وقوله : « والمؤمن العائذاتِ الطيرِ » قد شُرح هو وما قبله في الشاهد
السابع والأربعين بعد الثلاثمائة من باب النعت^(٢) .

وقوله : « ما إنْ أتيتُ » إلخ ، هذه الجملة جواب القسم الذي هو قوله :
* فلا لَعَمْرُ الذي مسحَتْ كعبته * .

مع البيت الذي بعده . وما نافية وإنْ زيدت بعدها للتوكيد . وبه
استشهد ابن هشام (في المغني) .

وقوله : « فلا رفعتُ سَوَطِي^(٣) إلى يدي » ، أراد به : شَلَّتْ يدي ولم

(١) الذي في العمدة :

* عفا ذوحى من فرتنسا فالفوارع *

(٢) الخزائن ٥ : ٧١ - ٧٤ .

(٣) ط : « سوق » ، صوابه في ش .

تقدر على رفع السَّوط^(١). وهذا دعاءٌ على نفسه على تقدير صحَّة ما نسبته أعداؤه إليه .

وقوله : « إِذْنُ فَعَاقَبَنِي رَبِّي » إلخ ، هذا دُعاءٌ آخر على نفسه . وجملته « قَرَّتْ بِهَا » إلخ ، صفة مُعاقبة . والمعاقبة : العذاب . وقَرَّتْ العين قُرَّةً وقُرُوراً بضمها ، من باب تعب ، أى بردت سروراً . والحسد هو تمنى زوالِ نعمة الغير .

وقوله : « هذا لأَبْرَأُ » إلخ ، أى هذا القسم لأجل أن أتبرأ مما اتُّهمت به . والنوافذ تمثيلٌ ، من قولهم جُرِحَ نافذ . أى قالوا قولاً صارَ حرُّه على كبدي ، وشَقِيَّتْ به .

* * *

وأنشد بعده :

(والمرءُ عند الرُّشا إن يلقَها ذيبُ)

وهو عَجَزٌ ، وصدرة :

(هذا سُرَاقَةٌ للقرآن يدرسه)

وتقدّم شرحه في الشاهد الثاني والثمانين من أوائل الكتاب^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد السَّائة ، وهو من شواهد س^(٣) :

٦٤٨ (.... فَإِنَّ بِحَبِّهََا أَخَاكَ مُصَابُ الْقَلْبِ)

(١) ط : « الصوت » ، صوابه في ش .

(٢) الخزائن ٢ : ٣ - ٤ .

(٣) سيويه ١ : ٢٨٠ والمقرب ١ : ١٠٨ والمفنى ٦٩٣ وشرح شواهد المفنى ٣٢٧ والمبنى ٢ : ٣٠٩ والممع ١ : ١٣٥ والأشعوى ١ : ٢٧٢ .

على أنّه إنّما جاز الفصل بالجار والمجرور بين إنّ واسمها لقوّة شبه إنّ بالفعل .

قال سيّويه (في باب الحروف الخمسة التي تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده) : وتقول : إنّ بك زيداً مأخوذ ، وإنّ لك زيداً واقف . إلى أن قال : ومثل ذلك إنّ فيك زيداً لراغب . قال الشاعر :

فلا تلحنّني فيها فإنّ بحبّها أخاك مصابُ القلبِ جمُّ بلابله
كأنّك أردت : إنّ زيداً راغب ، وإنّ زيداً مأخوذ ، ولم تذكر « بك » ولا « فيك » ، فألغيتنا هنا كما ألغيتنا في الابتداء . انتهى .

قال الأعمى : الشاهد فيه رفع مصابُ على الخبر وإلغاء المجرور لأنّه من صلة الخبر ومن تمامه ، ولا يكون^(١) مستقراً للأخ ولا خبراً عنه . انتهى .

وقال أبو علي (في إيضاح الشعر) : الظرف قد استجيز فيه من الاتساع ما لم يُستجَزْ في غيره . ألا ترى أنّه قد جاء : « فلا تلحنّني فيها » البيت . ففصل بقوله « بحبّها » بين إنّ واسمها . ولو كان مكان الظرف غيره لم يجز ذلك . والظرف متعلّق بالخبر ، كأنّه قال : إنّ أخاك مصاب القلب بحبّها .

وأورده أيضاً في موضعين (من التذكرة القصّرية) قال في الأوّل : مسألة : إن قال قائل لم لا يكون المحذوف في التقدير مؤخراً ، كأنّه قال : [إنّ^(٢)] في الدار زيداً ، فلا يسقط بذلك حكم ما تعلّق به الظرف ؟

(١) ط فقط : « لا يكون » ، وأثبت ما في ش والشنترى .

(٢) ساقطة من النسختين .

قِيلَ : يقبح هذا للفصل ، كما [في ^(١)] : كانت زيدا الحمى تأخذ .
فإن قيل : فقد قال : « فَإِنَّ بِحَبِّهَا أَخَاكَ مَصَابَ الْقَلْبِ ^(٢) » قيل : قد روى
البغداديون هذا « مَصَابَ الْقَلْبِ » . فذا يدلُّك على استكراهم الرفع ،
لما فيه من الفصل ، فعدَّكوا عنه إلى النصب . ويجوز أن تقول : إنَّ
الظرف قد فُصل به في أماكن ، فيجوز أن يكون هذا مثلاً .

وقال في الموضع الثاني : مسألة : « ما كان فيها أحد خير منك » ، فيها
متعلِّقة بكان إذا نصبت خيراً منك ، ومتعلِّقة بمحذوف إذا كانت
مستقرّاً . ويجوز أن تنصبها بخيراً منك وإن تقدّم عليه ، لشبهه بالفعل .
وليس الفصلُ بفِيهما إذا علَّقْتَها بخير منك بقبيح ، لأنَّ أبا الحسن
قد أنشد (في المسائل الصغيرة) : فَإِنَّ بِحَبِّهَا أَخَاكَ مَصَابُ الْقَلْبِ ^(٣) ، ورواه
الكوفيون : « مَصَابَ الْقَلْبِ » . وأظنُّهم هربوا من الفصل فنصبوا ، مخافة
أن يجري مجرى : كانت زيدا الحمى تأخذ . وأتى أبو الحسن بمسائلٍ
هناك يُفصل فيها بالظرف المتعلِّق بالخبر . انتهى .

وقد فصل ابن السَّراج (في الأصول) مذهب الكوفيين في هذه
المسألة قال : إذا كان الظرف غير محلٍّ للاسم ^(٤) سَمَّاهُ الكوفيون الصِّفة
الناقصة ، وجعله البصريون لغواً ولم يجز في الخبر إلَّا الرفع ، وذلك
قولك : فيك عبدُ الله راغب ، ومنك أخواك هاربان ، وإليك قومك
قاصدون ، لأنَّ منك وفيك وإليك لا تكون محلاً ، ولا يتمُّ بها الكلام .

(١) هذه التكملة ليست في الأصل ، والكلام يفتقر إليها .

(٢) بعده في النسختين : « قد » ، وهي مقحمة لاوجه لها .

(٣) ط : « مَصَابَ بِالْقَلْبِ » ، صوابه في ط .

(٤) في الأصول ١ : ٢٤٧ : « للاسم » .

وقد أجاز الكوفيون : فيك راغباً عبدُ الله ، شَبَّهها الفراءُ بالصفة التامّة لتقدّم راغب على عبد الله . وذهب الكسائي إلى أَنَّ المعنى : فيك رغبةً عبدُ الله . واستضعفوا أَن يقولوا : فيك عبد الله راغباً ، وأنشدوا بيتاً جاء فيه مثل هذا منصوباً .

فلا تلحنى فيها فإنَّ بحبِّها البيت

فنصب « مصاب القلب » على التشبيه بقولك : إِنَّ بالدار أخاك واقفاً ، إلى آخر ما فصله .

وقوله : « فلا تلحنى » هو نهى ، أى لا تلمنى فى حبِّ هذه المرأة فقد أصيب قلبي بها واستولى عليه حبُّها ، والعَدَل لا يصرفنى عنها . يقال لَحَيْت الرجل ، إذا لُمته . قال صاحب الصحاح : ولحيت الرجل ألحاه لحياً ، إذا لُمته ، فهو ملحى ، ولأحيتهُ مُلاحاةً ولحاءً ، إذا نازعته . وفى المثل : « مَنْ لا حاك فقد عاداك » . وتلاحَوْا ، إذا تنازعوا ، وأصله من لَحَيْت العصا ألحيتها لحياً إذا سلخت لِحاءها وجلدها . وكذلك لَحَوْتُها ألحوها لحواً . واللِّحاء بالكسر والمد : قشر الشجر . وفى المثل : « لا تدخل بين العصا ولحائها » . كذا فى الصحاح .

وقال صاحب المصباح : اللِّحاء بالكسر والمد ، والقصر لغة : ما على العود من قشره . ولحوت العود لحواً من باب قال ، ولحيتة لحياً من باب نفع ، إذا قشرته .

و (المصاب) : اسم مفعول من أُصيب بكذا ، من المصيبة وهى الشدّة النازلة . (والجَمّ) بالجيم : الكثير . و (البلابل) : الأحزان وشغل البال ، واحداً بَلْبَال . وهو مبتدأ وجُم خبره ، والجملة خبر ثانٍ لِأَنَّ .

وزاد العيني: «أو هي بدل من قوله مصاب القلب» فتأمل. وقال:
البلابل: الوسوس ، وهو جمع بلبله وهي الوسوسة .
والبيت من الأبيات الخمسين التي هي في كتاب سيبويه ولم يُعرف
لها قائل . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد الستمائة^(١) :

٦٤٩ (لَا تَتْرُكْنِي فِيهِمْ شَطِيرًا إِنِّي إِذَنْ أَهْلِكَ أَوْ أَطِيرًا)٠
على أَنَّ الفعل جاء منصوباً بإِذَنْ مع كونه خبراً عما قبلها ، بتأويل
أَنَّ الخبر هو^(٢) مجموع إِذَنْ أَهْلِكَ ، لَا أَهْلِكَ وحده ، فتكون إِذَنْ
مصدرّة .

وقال الأندلسي : يجوز أن يكون خبر إنَّ محذوفاً ، أي إِنِّي لَا أَحْتَمِلُ .
ثم ابتداءً فقال : إِذَنْ أَهْلِكَ . والوجه رفع أَهْلِكَ وجعل أَوْ بمعنى إِلَّا .
أَمَّا التخريج الأول فهو للشارح المحقق . وقد ردّه الدماميني (في
الحاشية الهندية) بأنَّ مقتضاه جواز قولك : زيد إِذَنْ يَقُومُ ، بالنصب ،
على جعل الخبر هو المجموع ، إذ الاعتماد المانع منتفٍ ، إذ هو ثابتٌ
للمجموع ، وصريحُ كلامهم يَأْبَاهُ . وأجيب عن الرضى بأنَّ تخريجه
إنَّما هو لبيان وجه ارتكاب الشذوذ في هذا المسموع ، فلا يكون مقتضاه
جواز النصب في كلِّ ما سواه مما لم يتحقق فيه شذوذ . هذا كلامه .
ولا يخفى أَنَّ مراد الرضى تخريجُه على عملها المألوف قياساً ، وهو
أَن لا يَعْتَمِدَ ما بعدها على ما قبلها ، بدليل مقابله لقبول الأندلسي .

(١) معاني الفراء ١ : ٢٧٤ / ٢ : ٣٣٨ والإنصاف ١٧٧ وابن يعيش ٧ : ١٧ والمقرب
١ : ٢٦١ والمغني ٢٢ والعيني ٤ : ٣٨٣ والتصريح ٢ : ٢٣٤ والمجمع ٢ : ٧ واللسان
(شطر ٧٦) . ومع نسبته إلى رؤية لم يوجد في ديوانه .
(٢) ش : « بتأويل الخبر » .

وأما قول الأندلسي ، وعليه اقتصر ابن هشام (في المغني) ، فهو تخريجُ السّيرافي . قال (في شرح الكتاب) : هذا البيت شاذٌّ ولا يُحتجُّ به ، لأنَّ قائله مجهول لا يُحتجُّ بقوله . فإنَّ صحَّ فيما أن يقال إنَّه لغةٌ حُمِلَ فيها إذن على لن ، وهي لا تُلغى بحال . أو نقول : خبر إنَّ مقدَّر ، أي إنَّي لا أقدر على ذلك : وجملة إذن أهلك مستأنفة ، وإذن فيها مصلرة . انتهى .

وفيما قاله تخريجان آخران ، فصارت التخاريج أربعة .

وسلك نحوه ابن يعيش (في شرح المفصل) فقال : البيت شاذٌّ . وإنَّ صحَّت الرواية فهو محمول على أن يكون الخبر محذوفاً . وساغ حذفُ الخبر لدلالة ما بعده عليه وابتداء إذن بعد تمام المبتدأ بخبره . أو يكون شبه إذن ههنا بلن فلم يلغها ، لأنَّهما جميعاً من نواصب الأفعال المستقبلية . وتشبه^(١) إذن من عوامل الأفعال بأفعال الشك واليقين ، لأنَّها أيضاً تُعمل وتُلغى ، لأنَّ أفعال الشك إذا تأخَّرت أو توسَّطت يجوز أن تعمل . وإذن إذا توسَّطت بين جزأي كلامٍ أحدهما محتاجٌ إلى الآخر لم يجر أن تعمل ، لأنَّها حرف ، والحرف أضعف في العمل من الأفعال . انتهى .

وقد نقل ابن الحاجب تخريجاً خاصاً (في شرح المفصل) قال : وقد أوَّلُ إنَّي إذن أهلك على معنى إنَّي أقول . والقولُ يحذف كثيراً .

وقد ناقشه الإمام الحديثي^(٢) (في شرح الكافية) ، بأنَّه إنَّما يتخلَّص

(١) ش : « ويشبه » .

(٢) في كشف الظنون ٢ : ٢٥٤ : « ومن شروح الكافية شرح الإمام ركن الدين الحديثي ، وهو مثل شرح الرضي بجمعاً وجمعاً ، بل أكثر منه » .

عنه به إذا كان الموضع للحكاية فقط^(١) . وفيه نظر . وألا يكون حينئذ معتمداً على أقول . وتوضيحه : أنَّ المحكوم عليه بأنه خبر وأنه في موضع رفع حينئذ إما الحكاية فقط ، أعنى جملة أقول ، وبه يتحقق الخلاص عن هذه الورطة . أو الحكاية أو المحكى ، أعنى مجموع أقول إذن أهلك . لا سبيل إلى الأوّل لاقتضائه قطع كل من القول والمقول عن صاحبه ، واستثناؤه ما حقه أن لا يستأنف . ولا إلى الثاني لبقاء الإشكال لتحقيق النصب مع الاعتماد ، فإنَّ أهلك معتمدٌ على أقول لكونه جزءً معموله الذي هو إذن أهلك .

وأجاب عنه ابن الحنبلي (فيما كتبه على المغني) ، كما نقله عنه تلميذه ابن المُلّا ، بأنَّ لا نسلم أنَّ جزءً المعتمد معتمد . ولئن سلّمناه فلا نسلم أنَّ كلَّ معمولٍ لشيء يكون معتمداً عليه ، فهم قد حصّروا صور الاعتماد في ثلاث صور ليس إلّا ، بحكم الاستقراء ، فدلَّ ذلك على أنَّ ما عداها لا يتحقق فيه اعتماد ؛ وإن تحققت معموليته بوجه ما .

٥٧٥

ثم قال : ولعلَّ ابن الحاجب قدّر أقول ليكون إذن أهلك أو أظير مقولاً وقعت فيه إذن مصدرّة وإن توهم أنَّها بتقدير أقول غير مصدرّة . ألا ترى أنَّ القائل إذا قاله بعدُ كما سبق به الوعد أظهرت صدارتها فيه . انتهى .

وهذا بحثٌ جيّد ، إلّا أنَّه يردُّ على تخريجه بإضمار القول ما ورد على تخريج الشارح المحقّق وقول الأندلسي : « والوجه رفع أهلك » .

وقال الحديثي : الحقُّ رفع أهلك ، وجعل أو بمعنى إلّا أن ، كما في

(١) مابده إلى كلمة « فقط » التالية ، ساقط من ش .

قولك : لألزمْنَكَ أو تقضيني حقِّي ، أى إلّا أن تقضيتني حقِّي . أراد أن الرفع فيه وفي مثله هو القياسُ ، جرياً على القاعدة . وتعسف ابنُ المُلّا في قوله إن أراد أنه الوجه والحقُّ في مثل هذا التركيب إذا صدر من متكلّمٍ فله وجه ولكن غير نافع لنا بوجه . وإن أراد أنه الوجه والحقُّ في قول هذا الشاعرِ فممنوع . فإنّه كيف يسلمّ لهما ذلك حيث ثبت أن الرواية عن القائل بنصب الفعلين . انتهى .

وقال العيني : إعمال إذن في البيت ضرورة ، خلافاً للفراء . أراد بالضرورة ما هو المذهبُ الصحيح ، وهو ما أتى في النظم دون النثر ، سواء كان عنه مندوحة أم لا .

ولم يصب ابن المُلّا في قوله : هذا إنّما يتجه بالنسبة إلى نصب أظير دون أهلك ، فإنّه إن كان ثم ضرورة فهي قصدُ التوفيق بينه وبين « شطيراً » ، حذراً من عيب الإقواء . اللهم إلّا أن يدعى أن هذه الضرورة ألجأت إلى نصب أهلك ، لئلا يعطف منصوبٌ على مرفوع .

هذا كلامه . وأى مانع من العطف بالنصب بأن ، بعد أو التي بمعنى إلّا ، كما نقله عن الأندلسي والحديثي .

هذا . وقد نقل الفراء عن العرب (في تفسيره) أن النصب في مثل البيت لغة ، قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ^(١) ﴾ : إذا وقعت إذن على يفعل وقبله اسمٌ بطلت فلم تنصب ، فقلت : أنا إذن أضربك . وإذا كانت في أول الكلام

« إِنَّ » نصبَتَ يَفْعَلُ ورفعتَ فقلتَ : إني إِذَنْ أُؤْذِيكَ . والرفعُ جائز .
أَنشدني بعضُ العرب :

لا تتركني فيهمُ شطيرا إِنِّي إِذَنْ أَهْلَكَ أَوْ أَطِيرَا
وقال أيضاً (في تفسير سورة الأحزاب) عند قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا
لَا تُمْتَعُونَ ﴾^(١) : وقد تنصب العرب بإِذَنْ وهي بين الاسم وخبره في
إِنَّ وحدها ، فيقولون : إِنِّي إِذَنْ أَضْرِبُكَ . قال الشاعر :

لا تتركني فيهمُ شطيرا البيت

والرفعُ جائز . وإنما جاز في إِنَّ ولم يَجْزْ في المبتدأ بغير إِنَّ لَأَنَّ
الفعلَ لا يكون مقدماً في إِنَّ ، وقد يكون مقدماً لو أسقطت .

هذا كلامه ، وأنت ترى أَنَّهُ إِمَامٌ ثقة ، وقد نَقَلَ عن أهل اللسان ،
فينبغي جواز النصب في الفعل الواقع خبراً لاسمِ إِنَّ لا غير ، حسبما
نُقِلَ^(٢) . وحينئذ يسقط ما تكلفوا من التخريج .

وأفاد الفراءُ أَنَّ البيت حجةٌ يصحُّ الاستدلال به ، لقوله : « أَنشدني
بعض العرب » ، فيكون جواز النصب والرفع فيه مع إِنَّ ، مثل ما إذا اقترن
الفعل بعاطف ، في جواز الوجهين .

وقد أطلق الشارح المحقق في العاطف ولم يمثِّل إلا لما اقترن بالواو
والفاء . وقد صرح الفراءُ في تعميم العاطف ، قال : إذا كان في الفعل
فاءٌ ، أو واوٌ ، أو ثَم ، أو أوْ ، أو حرفٌ من حروف النسق ، فإن شئتَ كان معناها

٥٧٦

(١) الآية ١٦ من سورة الأحزاب .

(٢) حسبما ، بفتح السين وإسكانها . وفي اللسان (حسب ٣٠٢) : « والحسب والحسب
قدر الشيء ، كقولك : الأجر بحسب ما عملت وحسبه » .

معنى الاستئناف فنصبته بها أيضاً ، وإن شئت جعلت الفاء أو الواو إذا كانتا منها منقولتين عنها إلى غيرها^(١) . والمعنى في قوله . فإذا لا يؤتون [على : فلا يؤتون^(٢)] الناس نقيراً إذاً . ويدلُّك على ذلك أنه في المعنى ، والله أعلم ، جوابٌ لجزاء مضمَر ، كأنَّك قلت : ولئن كان لهم ، أو لو كان لهم نصيب لا يؤتون الناس إذاً نقيراً^(٣) . وهى في قراءة عبد الله منصوبة . وإذا رأيتَ الكلام تاماً مثل قولك : هل أنت قائم ، ثم قلت : فإذا^(٤) أضربك ، نصبتَ بإذن ونصبتَ بجواب الفاء ونويتَ النقل . وكذلك الأمر والنهى ، يصلح في إذن وجهان : النصب بها ، ونقلها . ولو شئتَ رفعتَ الفعل إذا نويتَ النقل فقلت : ائته فإذا يكرمك زيد ، فهو يكرمك إذن ، ولا تجعلها جواباً .

هذا كلامه ، وقد أجاز الجزم والنصب والرفع في جواب الشرط ، قال : وإذا كان قبلها جزاء وهى له^(٥) جوابٌ قلت : إن تأتني إذن أكرمك ، وإن شئت : إذن أكرمك . . فمن جزم أراد أكرمك إذن ، ومن نصب نوى في إذن فاء تكون جواباً فنصب الفعل بإذن ، ومن رفع جعل إذن منقولة إلى آخر الكلام ، كأنَّه قال : فأكرمك إذن . اهـ .

وهذا خلاف مذهب البصريين ، وليس عندهم إلا الجزم .

وقوله : « لا تتركني » إلخ ، الترك يستعمل بمعنى التخلي ، ويتعدى

(١) في حواشى معانى القرآن ١ : ٢٧٣ : « يريد بنقل حرف العطف عن إذا تقديره مقروناً بالفعل بعدها ، وتقدير إذا في آخر الجملة ، وبذلك تتأخر عن الصدر فتلتى » .

(٢) الكلمة من معانى الفراء . وقد أثبتنا الشقيطى بخطه على هامش نسخته .

(٣) في معانى الفراء : « لا يؤتون الناس نقيراً إذاً » .

(٤) ط : « إذن » ، وأثبت ما فى ش ومعانى القرآن .

(٥) في النسختين : « لها » صوابه في معانى القرآن .

لمفعول واحد وبمعنى التصيير ، وهنا محتملٌ لكلٍّ منهما ، فشطيرا على الأول حال من الياء ، وعلى الثاني هو المفعول الثاني ، و (فيهم) عليهما متعلقٌ بالترك ، أو هو المفعول الثاني . و (شطيرا) حالٌ من ضمير الظرف ، ويجوز أن يكون مفعولا آخر مكرراً ، كما قيل في قوله تعالى : ﴿ وَتَرَكْهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ^(١) ﴾ إِنَّ فِي ظُلُمَاتٍ مفعول ثانٍ وجملة لا يبصرون مفعول آخر مكرّر .

وقال العيني : فيهم يتعلق بشطيراً ، وشطيراً نصب على الحال ، والتقدير : لا تتركني حال كوني شطيراً كائننا فيهم .

هذا كلامه ، ولا يخفى أن ذكر كائناً مع قوله متعلق بشطيراً لا وجه له .

و (الشطير) : الغريب . وأهلك بكسر اللام ، والماضي بفتحها . والشعر لم ينسبه أحدٌ إلى قائله . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخمسون بعد السمائة ، وهو من شواهد من ^(٢) :

٦٥٠ (ازجُرْ حِمَارَكَ لَا يَرْتَعُ بِرَوْضَتِنَا
إِذَنْ يَرُدُّ وَقَيْدُ الْعَيْرِ مَكْرُوبُ)

على أنه يجوز على مذهب الكسائي أن يكون (لا يرتع) مجزوماً بكون لا فيه للنهي ، لا أنه جواب الأمر .

ويرد مجزوماً لا منصوباً بكونه جواباً للنهي ، كما هو مذهبه في

(١) الآية ١٧ من سورة البقرة .

(٢) سيوريه ١ : ٤١١ والمقتضب ٢ : ١٠ وابن عيمش ٧ : ١٦ والحامسة بشرح المروزق

نحو : لا تكفرْ تدخل النار ، أى إن تكفر تدخل النار . فيكون المعنى لا يرتع ، إن يرتع يُردّ . وعند غيره : يردّ منصوب ، وإذن منقطع عما قبله مصدر^(١) ، كأنَّ المخاطب قال : لا أزجره^(٢) . فأجاب بقوله : إذن يردّ .

أقول : [يكون^(٣)] لا يرتع على قول الكسائي بدلاً^(٤) من أزجر ، وهو أوفى من الأول في تأدية المعنى المراد ، كقوله :

* أقول له ارحل لا تقيمنَّ عندنا^(٥) *

وإذن تكون مؤكدة للشرط المقدّر ، وهو إن يرتع ، ويردّ جواب الشرط المقدّر . وهو مجزوم بسكون مقدّر ، والفتحة لدفع التقاء الساكنين . ويجوز ضم الدال وكسرها أيضاً للدفع المذكور ، والأصل بُردّ ، فلماً أدغم سكنت الدال الأولى ، والثانية ساكنة أيضاً للجزم ، فالتقى ساكنان فلنا أن تدفع التقاءهما بإحدى الحركات الثلاث^(٦) .

وقوله : « بكونه جواباً للنهي » متعلق بقوله مجزوماً . وقوله : « وعند غيره يردّ منصوب » ، أى عند غير الكسائي يردّ منصوب بإذن ، فالفتحة

(١) مصدر ، ساقطة من ش ثابتة في شرح الرضى ٢ : ٢٢٢ .

(٢) ط : « لا أزجر » ش : « لا تزجر » ، وفي شرح الرضى : « لا تزجر » ، والصواب ما أثبت من إحدى نسخ الشرح المسجلة في حواشيه .

(٣) هذه التكملة من ش .

(٤) ط : « بدل » .

(٥) تمامه كما في المعنى ٤٢٦ ، ٤٥٦ والمعنى ٤ : ٢٠٠ والتصريح ٢ : ١٦٢ وحواشى الأشموني ٣ : ١٣٢ ومعاهد التنصيص ١ : ٩٤ :

* وإلا فكن في السر والجهر مسلماً *

(٦) في النسختين : « بأحد الحركات الثلاث » ، والوجه ما أثبت .

فتحة إعراب وإذن هنا ليست متضمنة للشرط وإنما هي متضمنة للنهي ، وهو لا تزجره .

وعبر (التبريزي في شرحه) عن هذا بأنَّ إذن هنا على بابها ؛ لأنها جوابُ كلامٍ مقدرٍ ؛ لأنه قدّر أنَّ المأمور بالردِّ قال : لا أَرُدُّ . فأجابه بذلك ، وحذفه لفهم المعنى . اهـ .

وهذا من غير الغالب كما قال الشارح المحقق : الغالب في إذن تضمن الشرط . وهذا الوجه هو مذهب سيويه ، قال في الكتاب : واعلم أنَّ إذن إذا كانت بين الفعل وبين شيء الفعل [معتمداً] عليه ^(١) فإنَّها ملغاة لا تنصب البتة ، كما لا تنصب أرى إذا كانت بين الفعل والاسم في قولك : كان أرى زيداً ذاهباً ^(٢) . فإذا لا تصل في ذا الموضع إلى أن تنصب ، كما لا تصل أرى هنا إلى أن تنصب . فهذا تفسير الخليل . وذلك قولك : أنا إذن آتيك ، فهي هنا بمنزلة أرى حيث لا تكون إلا ملغاة . ومن ذلك : إن تأتني إذن آتيك ، لأنَّ الفعل ههنا معتمداً على ما قبل إذن . وليس هذا كقول ابن عَنَمَة الضُّبِّي :

ارْدُدْ حِمَارَكَ لَا تُنْزِعْ سَوِيَّتَهُ إذن يردُّ وقيدُ العَيْرِ مكروبُ

من قبل أنَّ هذا منقطع من الكلام الأوَّل وليس معتمداً على ما قبله لأنَّ ما قبله مستغن . انتهى .

(١) في النسختين : « وبين شيء الفعل عليه » ، مع ترك بياض في ط بين كلمتي « شيء » و « الفعل » ، والصواب ما أثبت مع التكملة من سيويه ١ : ٤١١ .

(٢) بعده في سيويه : « وكذا لاتعمل في قولك : إني أرى ذاهباً » .

وأجاز الأَعلم هنا رفع يُرَدُّ ، قال : الشاهد فيه نصب ما بعد إذن
لأنّها مبتدأة . والرفع جائزٌ على إلغائها وتقديرِ الفعل واقعاً للحال ،
لأنّ حروف النصب لا تعمل إلّا فيما خلص للاستقبال . ٥١ .

والبيت من أبياتِ ستّةٍ لعبد الله بن عَنَمَة ، أوردها المفضل (في صاحب الشاهد
المفضّليات) ، وأبو تمام (في الحماسة) ، وهى :

(ما إن تَرى السَّيِّدُ زِيداً فى نفوسِهِمْ
كما تَراه بنو كُوز ومرهوبُ
إن تَسألُوا الحقَّ نُعطِ الحقَّ سائلُهُ
والدَّرْعُ مُحَقَّبَةٌ والسَّيْفُ مقروبُ
وإن أبيتُمْ فإنّا معشرُ أنفُ لا نَظعمُ الخَسْفَ إنَّ السَّمَّ مشروبُ
فازجُرْ حمارك لا يرتع البيت
إن تدعُ زِيدُ بنى ذُهَلٍ لمغْضِبَةٍ نَغْضَبُ لَزُرْعَةٍ إنَّ الفضلَ محسوبُ^(١)
ولا يكونَنَّ كمُجرى داحسٍ لكمُ
فى غَظفانَ غداةِ الشَّعبِ عُرقوبُ)

قوله : « ما إن تَرى السَّيِّدُ » إلخ ، إن زائدة مؤكّدة لما النافية . والسَّيِّدُ
بالكسر ، وزيد ، وكوز ، ومرهوب ، كلٌّ من الأربعة : أبو حىٍّ من
بنى ضَبَّة . وزيد وكوز أخوان ، ابنا كعب بن بَجَالَة بن ذُهَل بن مالك
ابن بكر بن سعد بن ضَبَّة بن أَدُّ بن طابخة . والسَّيِّد هو أخو ذهل المذكور .

(١) ويروى : « إن القبس محسوب » ، كما فى المفضّليات والحماسة ، وسيشير إليه
البغدادى فى التفسير .

ومرهوب هو ابنُ عبيد بن هاجر^(١) بن كعب بن بَجَالَة المذكور .

وقد روى الضبي (في الفضليات) كُرز ، بالراء المهملة بدل الواو^(٢) .
قال المرزوقي : يقول : بنو السَّيد لا يَقسِمون لزيد من التعظيم ، ولا يوجبون
له في نفوسهم من الحرمة والتبجيل ، ما يوجبهُ ويقسمهُ بنو كوز
ومرهوب . والضمير على هذا في نفوسهم للسَّيد . ولا يمتنع أن يكون
لزيد ، لأنَّه قبيلة . وهذا كما يقال : لك في نفسك حقٌّ ومنزلة ،
كَأنَّ زيدا كان له إذا رجَعَ نفسه من التوجُّه والإدلال والتخصيص
والاعتزاز في بني كوز ومرهوب ، ما لا يكاد يجده في بني السَّيد .

٥٧٨

وقوله : « إن تسألوا الحقَّ » إلخ ، قال ابن الأنباري : قال الضبيُّ :
قوله محقبة أي تكون الدرع في حقيبة البعير . وكذلك كانت العرب
تفعل بالدرع إذا همُّوا بالقتال ، استخرجوا الدروع من الحقائق
فلبسوها . وقوله : « مقروب » أي في قرابه . يقال قرِبت السيف : أدخلته
في قرابه ، وهو غمده . يقول : إن أردتم الصُّلح أجبنناكم والسلاحُ مستور ،
وإن أبيتم أظهرناه لكم .

وقوله : « وإن أبيتم » إلخ ، الأنف ، بضمين : جمع أنوف ، وهو الذي
به أنفة ونخوة . والخسف : حمل الإنسان على ما يكرهه ، ثم استُعيل
في معنى الذلِّ . يقال سُمته الخسف ، إذا حملته على الهوان . وأصل
الخسف أن تبيت الدابة على غير علف . يقول : إن اقتصرتم على أخذ
حقكم أعطيناكموه والحربُ موضوعةٌ بيننا وبينكم ، وإن طلبتم أكثر

(١) هاجر ، بكسر الجيم ، كما في القاموس (هجر) ، قال : « وهاجر : قبيلة . وفتح الجيم :
أم إسماعيل صلى الله عليه وسلم » . وانظر الاشتقاق ١٠٠ وجمهرة ابن حزم ٢٠٤ .

(٢) الذي في الفضليات : « كوز » .

منه أبينا أن نعطيكم إياه . واستعارَ الطَّعمَ والشُّربَ لتجرُّع الغصَّة وتوطين النفس على المشقَّة عند إزالة المذلَّة وردَّ الكريهة . قال المرزوقي : لا نطعم الخسف وإن شربنا السم .

وقال أبو محمد الأعرابي (في شرحه) : لا نطعم : لا نذوق . وطعمت الشيء : ذقته ، وطعمته : أكلته أيضاً . والمعنى وإن أبيتم الحقَّ فإنَّا لا نقرُّ بالخسف ^(١) أى الهوان ، ونؤثرُ عليه شربَ السم ، كما قال :

* ويركب حدَّ السيفِ من أن تَضيمه ^(٢) *

وقال التبريزي : معناه نحن نأبى الذلَّ وإن كان غيرنا يقرُّ بما هو أبلغ في الهوان . أو يريد : إنَّ السُّمَّ مشروبٌ ، وإن احتجنا إلى شربه شربناه ولم نقبل ضيماً ، لأنَّ الإنسان يصبر على شرب السم ويكون ذلك أيسرَ عليه من صبره على الضيم .

وقال أبو عبد الله النمرى (في شرحه) : يريد بالسم الموت لا السمَّ المعروف . وقوله : مشروب ، أى كلُّ أحد يشربه ^(٣) ولا يُعفى منه ، كقولك : إنَّ الحوضَ مَورود ، يريد به الموت [أيضاً] . يقول : فعَلَامَ نحمل الضَّيمَ ومصيرُنا إلى الموت ؟

ورده أبو محمد الأعرابي فيما كتبه عليه وقال : إنَّما أراد : إنَّا نخوض الموت ونحمل الشدائد ولا ننزل تحت الضيم .

(١) في ش : « فإننا نقر بالخسف » ، وكتب في حاشيتها : « كذا بخط المؤلف . والصواب

لا نقر » .

(٢) لمن بن أوس في ديوانه ٣٧ والحماسة ١١٢٩ بشرح المرزوقي . وعجزه :

* إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل *

(٣) ط : « يشرب » .

قال التبريزي بعدما نقل هذا الكلام : هذه الأقوال يقرب بعضها من بعض ، وكلُّها ترجع إلى معنى واحد ، وليس فيها ما يُردُّ .

وقوله : « فازجر حمارك » إلى آخره ، هكذا في جميع الروايات بالفاء ، وقد سقطت من رواية الشارح المحقق تبعاً لرواية سيويه : « اردد حمارك » في إسقاط الفاء .

و (رتعت) الماشية رتْعاً ، من باب نفع ، ورْتوعاً : رعتْ كيف شاءت .

و (الرّوضة) : الموضع المعجب بالزُّهور . قيل سُمِّيَ بذلك لاستراضة المياه السائلة إليها ، أي لسكونها بها . وأراضَ الوادي ^(١) واستراض ، إذا استنقَع فيه الماء . كذا في المصباح . وروى سيويه هذا المصراع :

* اردد حمارك لا تنزع سويته *

والردّ : الإرجاع . والنزع : السَّلب . قال الأَعلم . والسويّة : شيء يُجعل تحت البرذعة للحمار ، كالجلس للبعير .

وكذا أورده الجوهري وقال : السويّة : كساءٌ محشوٌّ بثُمامٍ ونحوه كالبرذعة ، والجمع سَوَايا . وكذلك الذي يُجعل على ظهر الإبل ، إلّا أنّه كالخَلقة لأجل السَّنام ، وتسمى الحويّة . والجِمار والعير بفتح العين المهملة ، هما الذَّكَر من الحمير . وكان الظاهر أنّ يقول وهو مكروب ، لكنّه أعاد الحمار باسمه الظاهر المرادف له للضرورة . وحسنه وقوعه في جملة مستقلة .

٥٧٩

(١) ش : « وأراد الوادي » ، صوابه في ط .

قال المرزوقي قوله (ازجُرْ حمارك) : هذا مثلٌ ، والمعنى انقبضْ عن التعرّضِ لنا والدُّخولِ في حريمنا ، ورعَى سَوَامِكَ بروضتنا ، فَإِنَّكَ إِنْ لم تفعل ذلك دَمَمْتَ عاقبة أَمْرِكَ^(١) . وجعل إرسال الحمار في حماهم كنايةً عن التحكُّك بهم والتعرّض لمساءتهم ، ولا حمارَ ثُمَّ ولا رَوْضَ . وقال ابن الأعرابي : « اكفف لسانك » . وقوله إِذْنٌ ، قال سيويه : هو جوابٌ وجزاءٌ ، فالابتداء الذي هو جوابُه وجزاؤُه محذوف مستدلٌّ عليه ممّا في كلامه ، كَأَنَّهُ قال : فَإِنَّهُ إِنْ رَتَعَ رَجَعَ إِلَيْكَ وَقَدْ ضُيِّقَ قَيْدُهُ ، أَيْ مُلِيَ قَيْدُهُ فَتَلَّا حَتَّى لَا يَمْشِيَ إِلَّا بِتَعَبٍ . كَأَنَّهُ يُضْرَبُ أَوْ يُسْتَعْمَلُ حَتَّى يَرِمَ جِسْمَهُ وَيُؤَدِّيَ الْوَجْعُ مِنْهُ إِلَى مَوْضِعِ حَافِرِهِ ، فَيُضِيقُ عَلَيْهِ الْقَيْدَ . اهـ .

وكذا قال ابن الأنباري عن الضُّبِّيِّ : إِنَّ الْمَكْرُوبَ الشَّدِيدَ الْفَتْلَ ، يُقالُ قَدْ كَرَبَ حَبْلَهُ ، إِذَا شَدَّ فَتْلَهُ^(٢) ؛ كَأَنَّهُ مِنْ قَوْلِهِمْ : فَلَانَ مَكْرُوبٌ أَيْ مَمْتَلًى غَمًّا . وكذلك الجبل ممتلئ فتلاً . والمعنى : انتهِ عنا وازجر نفسك عن التعرّض لنا ، وإِلَّا رَدَدْنَاكَ مُضِيقًا عَلَيْكَ مَمْنُوعًا مِنْ إِرَادَتِكَ . اهـ .

وقال التبريزي : يقول اكفف شركَ عَنَّا . وجعل الحمارَ كنايةً عن الأداة ، أَوْ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ هَذَا الْمَخَاطَبِ يَتَعَرَّضُ لَهُمْ بِالْمَكَارِهِ . وهذا نحوُ من قول النابغة :

سَأْمَنْعُ كُلِّي أَنْ يَرِيكَ نَبِيحُهُ وَإِنْ كُنْتُ أَرَعِي مُسْحُلَانَ فَحَامِرًا
والعرب تكني بالحمار والغير في أنحاء الكلام ، فيقولون : قد

(١) بعده في المرزوقي : « وعدت خاسر الصفقة ، وخيم الرتبة » .

(٢) ش : « إذا اشتد فتله » .

حَلَّ حماره أو غيره بمكان كذا ، إذا أقام فيه وتمكَّن . وقوله : « وقيدُ العير » إلخ ، أى مُدَانِي مَضِيقٌ حَتَّى لَا يَقْدِرَ عَلَى الْخَطْوِ . اهـ .

ونقل النمرى (فى شرحه) عن الباهلى صاحب (كتاب المعانى) أَنَّ المكروب من كربت الشيء ، إذا أَحْكَمْتَهُ فَأَوْثَقْتَهُ . ومعنى البيت إِنَّا نَرُدُّ الحمار مملوءاً قيده فتلاً ، كما يمتلئ الإنسان كرباً . وحكى ثعلبٌ عن ابن الأعرابي فى قوله : « فازجرُ حمارك » أى اكفف لسانك . وقال يعقوب : هذا مثل ، يقول : رَدُّ أَمْرِكَ وَشَرُّكَ عَنَّا وَلَا تَعْرِضْ لَنَا ، فَإِنْ لَا تَفْعَلْ يَرْجِعْ عَلَيْكَ أَمْرُكَ مَضِيقًا . هذا كلامه .

ورَدَّ عليه أبو محمد الأعرابي فيما كتبه عليه وقال : هذا موضع المثل « عَى نَاطِقُ أَعْيَا مِنْ عَى سَاكِتٍ ^(١) » . لو سكت أبو عبد الله عن تفسير هذا البيت لكان أولى به . سألت أبا الندى رحمه الله عن معناه فقال : قوله ازجرُ حمارك ، يعنى فرسَ زيد الفوارس ، واسمه « عرقوب » فكُنِيَ عنه بالحمار على سبيل التهكم والهزاء . قال : وبعد البيت ما يدلُّك على ذلك ، وهو :

ولا يكونن كمجرى داحس لكم البيت

قال : وقوله : « وقيد العير مكروب ^(٢) » ، أى إِنَّهُمْ يَعْقِرُونَهُ . والعقر أَضِيقُ الْقَيْودِ . وجَعَلَ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَطِيَّةِ الْبَاهِلِيُّ الْعَقْرَ عِقَالًا فَقَالَ :
فخرٌ وظيفُ القَرَمِ فى نصفِ ساقِهِ وذاك عِقَالٌ لَا يَنْشِطُ عَاقِلُهُ
انتهى . وقوله : « إِنْ يَدْعُ زَيْدُ بَنِي ذُهْلٍ » إلخ ، قال المرزوقى : يقول
إِنْ غَضِبَ بَنُو ذُهْلٍ لَزِيدٍ وَامْتَعْصَمُوا مِنْ ضِيمٍ يَرْكَبُهَا فَأَغَاثُوهَا إِذَا

(١) العى ، بالفتح : مخفف العي ، كالحين بسكون الياء مخفف الهين .

(٢) ط : « مكرب » ، صوابه فى ش .

استجارت بهم ، غضبنا نحنُ لزرة وانتقمنا له ممن يهتضمه ، إِنَّ الفضل معدود . والمعنى : إِنَّه لا فضلَ لكم علينا ، فقد عددنا مآلكم ولنا فلم نجد زيادةً لكم توجب لكم التعلّي والتغلب . وإذا كان الأمرُ بيننا على التساوى فلا استبداد ولا احتكام . وروى : « إِنَّ الْقَبِيضَ محسوب » بكسر القاف وسكون الموحدة . وآخره صاد مهملة ، وهو العدد الكثير ، ويكون الكلام مثلاً . ويقال : إِنَّهم لفي قَبِصِ العددِ وفي قَبِصِ الحصا : في أكثر ما يستطاع عدُّه من كثرته . والمراد أَنَّ الأعداد الكثيرة تُضَبِّط وتُحصَر ، فكيف ما بيننا من تقارب أو تفاضلٍ ، أو تساوي وتعادل .

وقوله : « ولا يكوننْ كُمَجْرَى داحس » إلخ ، قال المرزوقي : كان التنازع بينهم في رهانٍ وقع على عُرْقوب ، وهو فرسٌ لهم ، فيقول : لا يكوننْ جَرَى عُرْقوبٍ عليكم في الشؤم . كمجرى داحس في غَطْفَان ، غداة شِعْبِ الْحَيْس ^(١) . فقوله « عرقوب » ارتفع على أَنَّهُ اسمٌ ولا يكوننْ ، وقد حذف المضاف منه ، أَيْ لا يكوننْ مجرى عرقوب كمجرى داحس . وغداة ظرفٌ لمُجْرَى . وجَعَلَ النَّهْيُ في اللفظ عرقوب وهو في المعنى لهم . حذَّره استعمالَ اللَّجَاج ؛ لئلا يتأدَّى الأمرُ إلى مثل ما تأدَّى في رهان داحس والغبراء . ومثُلُ هذا في النَّهْي قولهم : لا أَرَيْتَكَ ههنا . انتهى . ولم يذكر أحدٌ قصّة هذه الأبيات .

وعبد الله بن عَنَمَة ، بفتح العين المهملة والنون والميم . والعَنَمَة في عبد الله بن عَنَمَة اللغة : واحدة العَنَم ، وهي قضبانٌ حمراءُ تنبتُ في جوف السَّمَرَة تُشَبَّه بها البنان المخضوبة . وقيل : هي أطراف الخروب الشامي . ويقال :

هو دودٌ أحمر يكون في الرَّمْل يشبّه به . ويقال : بل هو شيءٌ ينبتُ ملتفّاً على الشجر يبدو أخضر ثم يحمرّ .

وعبد الله هذا شاعرٌ إسلاميٌّ مخضرمٌ ، وذكره ابن حجر (في القسم الأول ، في ترجمة عبد الله بن عَنَمَة المزني ^(١)) ، وهو صحابيٌّ ؛ ولم يفرد الضَّبِّيُّ بترجمة في قسم المخضرمين من الإصابة ^(٢) . والظاهر أنّه من المخضرمين . وهذه عبارته في ترجمة المزني :

وفي الشعراء مَن له إدراكٌ : عبد الله بن عَنَمَة الضَّبِّيُّ . قال ابن ماكولا شهد القادسية . انتهى .

وهو من بني غَيْظ بن السَّيد ، بكسر السين المهملة .

وهذا نسبه (من الجمهرة) : عبد الله بن عَنَمَة بن حُرْثان بن ثعلبة ابن دُؤَيْب بن السَّيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضَبَّة .

وأما زيد الفوارس الذي ذكره أبو محمد الأعرابيُّ فهو شاعرٌ فارسٌ جاهليٌّ من بني ضَبَّة ، وقد ذكرنا ترجمته في الشاهد السابع والثمانين

(١) الإصابة ٤٨٥٩ .

(٢) هنا حاشية بخط ناسخ الشنقيطية هذا نصها : « هذا خطأ ، بل أفردة في قسم المخضرمين وذكر أن المرزباني أفرده في معجم الشعراء ، وساق نسبه إلى ضبة ، وقال إنه أتى بسطام بن قيس الشيباني . وذكر ابن حجر له ثلاثة أبيات رثى بها بسطاماً » ، وفي هامش المطبوعة : « هذا سهو ، بل أفردة في قسم المخضرمين . وذكر أن المرزباني ذكره في معجم الشعراء وساق نسبه إلى ضبة ، وقال : إنه رثى بسطام بن قيس . وذكر ابن حجر له ثلاثة أبيات رثى بها بسطاماً . ١ هـ بتصرف من هامش الأصل . وكتب عليه به : لم أجده في نسختي من الإصابة . فقلعه في بعض النسخ دون بعض . فالشارح معذور . ك . ١ هـ » .

وقد أصاب صاحب هذه الحاشية ، فإن ما ذكره وارد في الإصابة برقم ٦٣٣٤ . أما « أتى بسطام بن قيس » في هامش الشنقيطية فصوابها : « رثى بسطام بن قيس » . وتجده نص المروثية ، وهي ثمانية أبيات في الحماسة ١٠٢١ - ١٠٢٧ . وأورد ابن حجر في الإصابة منها ثلاثة أبيات فقط .

بعد المائة^(١) . وهو ابن حُصَيْن بن ضِرَار بن عمرو بن مالك بن زيد بن كعب بن بَجَالَة . إلى آخر النسب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد الستائة ، وهو من شواهد س^(٢) :

٦٥١ (لئن عادلى عبد العزيز بمثلها وأمكننى منها إذن لا أقبلها)
على أن (إذن) لا تعمل فى المضارع الذى يقع جواباً للقسم الذى قبلها ، كما فى البيت .

فإذن مهمله لعدم التصدر ، ولا أقبلها مرفوعٌ ، وهو جواب القسم المذكور فى بيت قبله ، وهو :

(حلفتُ برَبِّ الراقصاتِ إلى منى يُغول الفياقى نصُّها وزَميلُها)

واللام فى لئن هى اللام المؤذنة ، ويقال لها الموطئة ، لأنها آذنت أى أعلمت ووطأت أن الجواب للقسم المذكور ، جرياً على المألوف المشهور فى اجتماع الشرط والقسم ، أن يكون الجواب للسَّابِقِ منهما ، وجوابُ المؤخر محذوفٌ لسدَّ المذكور مسدّه .

قال سيبويه : ومن ذلك : والله إذن لا أفعلُ ، من قَبْلِ أن أفعل معتمد ٥٨١
على اليمين وإذن لغو . وقال كُثَيْرٌ عَزَّة :

لئن عاد لى عبد العزيز بمثلها والبيت

(١) الخزانة ٣ : ١٧٧ .

(٢) سيبويه ١ : ٤١٢ والبيان والتبيين ٢ : ٢٤١ والجل ٢٠٥ وابن يعيش ٩ : ١٣ ، ٢٢٤ والخزانة ٤ : ٢٨٠ عرضاً وشذور الذهب ٢٩٠ والمغنى ٢١ ، والعينى ٤ : ٣٨٢ والتصريح والتصريح ٢ : ٤٣٤ والممع ٢ : ٧ والأشمونى ٣ : ٢٨٨ وديوان كثير ٢ : ٧٨ .

قال الأعلم : الشاهد فيه إلغاء إذن ورفع لا أقيلها اعتماداً على القسم المقدّر في أوّل الكلام . والتقدير : والله لئن عادَ لى بمثلها لا أقيلها .

وكذا صنع الشاطبي (في شرح الألفية) وقال : إنَّ جملة لا أقيلها جوابُ القسم . وقال : مثله قولُ الآخر^(١) :

لئن نائباتُ الدهرِ يوماً أدلنَ لى على أمِّ عمرو دولةً لا أقيلها
وهذا البيت من الحماسة . قال ابن جني (في إعرابها) : رفعه
لا أقيلها يدلُّك على أنَّه معتمد لليمين ، وأنَّ اللام في لئن ليست الجواب
للقسم في البيت الذى قبله . ٥١ .

ولا يصحُّ هنا جعل الجملة جواباً للشرط ، وإلا قيل لا أقيلها بالجزم
فإنَّ المضارع المنقّى بلا ولم ، يُجزم شرطاً وجواباً ولم يفتقر إلى الفاء .

وزعم ابن هشام (في المغنى) أنَّ جملة لا أقيلها جواب إن . قال فيه :
والأكثر أن تكون إذن جواباً لأنَّ أو لو ، ظاهرتين أو مقدّرتين . فالأوّل
كقوله :

لئن عادَ لى عبدُ العزيز بمثلها البيت

واعترض عليه اللّماميني (في الحاشية الهندية) بأنَّه مخالفٌ للقاعدة
المشهورة ، وهى أنَّ القسم والشرط متى اجتماعا فالجواب للسَّابق منهما ،
واللام مصاحبة لقسمٍ مذكور في بيتٍ قبلها ، فالجواب للقسم السابق
لا للشرط اللاحق ، ولهذا لم يُجزم الفعل . وإلا فلو كان^(٢) للشرط
لجُزم . انتهى .

(١) الحماسة ١٢٣٧ بشرح المرزوق ، بدون تعيين للقاتل .

(٢) ش : « وإلا لو كان » .

وما ذكره من القاعدة فى اجتماعهما هو ما نظمه ابن مالك (فى
الآلفية) وقال :

واحذف لى اجتماع شرطٍ وقسمٍ جواباً ما أخرت فهو ملتزمٌ

ولم يذكر الشاطبى (فى شرحه) خلافاً فى هذا . وبه تعلم سقوط
قول ابن الملا (فى شرح المغنى) : إطلاقاً أنّ إذن جوابٌ مجاز ، فلا
يردُّ أنّ رابط هذا الشرط إنما هو الفاء أو إذا الفجائية ليقال أراد بكونها
حرفَ جوابٍ أنّها تختصُّ به وإن لم تكن رابطةً له بالشرط . والاعتراضُ
بأنّ ما ذكره مخالفٌ للقاعدة ، فالجواب أنّ التمثيل هنا ليس على
المشهور ، بل على رأى ابن مالك كما هو مذهب الفراء ، من جعلِ
الجواب للشرط المتأخّر . هذا كلامه إن كان له .

وقد عرفت أنّ الجواب لو كان للشرطٍ لجزم ولم يُحتجْ للفاء أو إذا .
وأغربُ من هذا قول العينى : لا أقيلها فى موضع جزم على جواب
الشرط ، وعملتُ إن فى الموضع دُونَ اللفظ . والاستشهادُ فى إذن حيث
ألغيت لوقوعها بين القسم والجواب ، وهما : حلفت ، ولا أقيلها .
انتهى .

تتمّة

قال أبو على (فى المسائل البغدادية) : ذكر سيويه لثن أتيتنى
لأفعلن ، وما أشبهه نحو قوله تعالى : ﴿ لَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا ^(١) ﴾ ، فزعم أنّ الذى يعتمد عليه اليمين اللام الثانية .
فاعتلّ أبو إسحاق لذلك (فى كتابه فى القرآن) عند قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾^(١) بَأَنَّ قَالَ : إِنَّ اللامَ الثانيةَ هِيَ لامَ القسمِ في الحقيقة ، لَأَنَّكَ إِنَّمَا حَلَفْتَ عَلَى فَعْلِكَ لَا عَلَى فَعْلِ غَيْرِكَ فِي قَوْلِكَ : وَاللَّهِ لئن جِئْتَنِي لِأُكْرِمَنَّكَ . وهذا الَّذِي اغْتَلَّ بِهِ فَاسِدٌ جَدًّا ضَعِيفٌ ، وذلك أَنَّهُ لو قَالَ : لئن جِئْتَنِي ليقومَنَّ عمرو ، لكان الَّذِي يعتمد عليه القسم اللامَ الثانيةَ مع أَنَّ الحالفَ لم يحلف على فَعْلِ نفسه ، وَإِنَّمَا حَلَفَ على فَعْلِ غَيْرِهِ . فهذا عِنْدِي بَيِّنُ الفسادِ . ولكنَّ ممَّا يَدُلُّ على أَنَّ الاعتمادَ على اللامِ الثانيةِ أَوْ ما يقوم مقامها مما يُتَلَقَّى به القسم قولٌ كَثِيرٌ :

٥٨٢

لئن عادَ لي عبد العزيز بمثلها البيت

فلو كان الاعتمادُ على اللامِ في لئن دون لا لوجبَ أَن يَنْجُزَ الفعلُ بعد لا في الجزاء ، فلَمَّا ارتفعَ الفعلُ الَّذِي هو لا أَقِيلُهَا عِلْمَتَ أَنَّ معتمدَ اليمينِ إِنَّمَا هو على اللامِ الثانيةِ أَوْ ما أَشْبَهَ اللامِ . فمن هنا نعلمُ أَنَّ الاعتمادَ على الثانيةِ لا من حيث ذكر . ا هـ .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة لكثير عزة ، يمدح بها عبد العزيز بن مروان . ويتصل به من قبلُ أبياتٌ ، وهى :

(وَإِنْ ابْنُ لَيْلَى فَاهَ لِي بِمَقَالَةٍ
عَجِبْتُ لِتَرْكِي خُطَّةَ الرُّشْدِ بَعْدَمَا
وَأُمِّي صَعِبَاتِ الْأُمُورِ أَرُوضُهَا
حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاغِصَاتِ إِلَى مَنْى
لئن عادَ لي عبد العزيز البيت
فهل أنت إن راجعتك القول مرةً
ولو سرتُ فيها كنتُ ممن يُنِيلُهَا
بدا لي من عبد العزيز قَبُولُهَا
وقد أمكنتني يومَ ذَلَّ ذُلُولُهَا
يَغُولُ الْبِلَادَ نَصُّهَا وَزَمِيلُهَا
بأحسنَ منها ، عائدٌ فَمُقِيلُهَا)

قال ابن هشام اللخمي (في شرح أبيات الجمل) : ذكر أهل الأخبار أَنَّ كُثَيَّرًا لَمَّا دخل على عبد العزيز فأنشده قصيدته التي ألحق فيها البيتَ المستشهد به مع الأبيات المتقدمة ، أعجب بقوله فيها :

إذا ابتدرَ النَّاسُ المكارِمَ بذُّهُمُ عُراصةُ أخلاقِ ابنِ لَيْلى وطولُها

فقال : حكمك يا أبا صخر . قال : فإنِّي أحكمُ أنْ أكون مكانَ ابنِ رُمَّانة . وكان ابن رُمَّانة كاتبَ عبدِ العزيز وصاحبَ أمره . فقال له عبد العزيز : تَرَحَّأَ لك ^(١) ! ما أردتَ ويلك ولا علمَ لك بخراجٍ ولا كتابة ؟ اخرج عني ! فخرج كُثَيَّرٌ نادماً على ما حكم ، ثم لم يزل يتلطَّفُ حتَّى دخل عليه ، فأنشده :

عجبتُ لتركى خُطَّةَ الرُّشد الأبيات

فلما أتى إلى قوله :

فهل أنت إن راجعتك القولَ مرَّةً البيت

قال له عبد العزيز : أمَّا الآن فلا ، ولكن قد أمرنا لك بعشرين ألفَ درهم .

فقوله في البيت : (لئن عادَ لي عبدُ العزيز بمثلها) ، أي بمقالةٍ مثلها ، وهي قول عبد العزيز له : حكمك . وقوله : (إذن لا أقبلُها) أي أطلبُ منه ما لا اعتراضَ علىَّ فيه ولا قدَح . هكذا فسَّره العلماء ، وهو الصحيح . وما قاله ابن سيده ، أَنَّ عبد العزيز بن مروان كان أعطاه جاريةً فأبى كثيرٌ من قبولها ، ثم ندِمَ بعد ذلك فيقول : لئن عاد لي بجاريةٍ مثلها مرَّةً أخرى لا أقبلُها ، غلط . وهو قياسٌ منه ، والصَّحيح ما تقدَّم . اهـ .

ومن حكى هذا ابنُ السَّيد (في شرح أبيات الجمل) قال : وقيل بل عرضَ عليه أن يهبَ له جارية ويترك التغزلَ بعزَّة ، فأبى من ذلك ، ثم ندِمَ على ما فعلَ فقال هذا الشعر . ٥٨٣

ولم يذكر الجاحظ (في البيان والتبيين) إلَّا الوجهَ الأوَّل ، قال فيه : ومن الحمقى كثيرٌ عزَّة . ومن حُقمه أنَّه دخل على عبد العزيز بن مروان فمدحَه بمديحٍ استجاده ، فقال له : سلني حوائجك . قال : تجعلني في مكان ابن رُمَّانة . قال : ويلك ذاك رجلٌ كاتب وأنت شاعر ! فلمَّا خرج ولم ينل شيئاً قال في ذلك :

* عجبت لتركى خُطَّة الرشد^(١) * الأبيات المتقدمة

وقوله : « وإنَّ ابنَ ليلى فاه لي بمقالة » الخ ، قال السيرافي : أراد بمثل المقالة المذكورة في هذا البيت . والمعنى ممن يُنيلُها^(٢) . والعائد إلى من هو ضمير المذكور المنصوب المحذوف ، وضمير المؤنث للمقالة . وفي ينيلها ضمير فاعل لابن ليلى ، والمعنى ينيله ابنُ ليلى إيَّاهَا . أى لو سرتُ في طلبها .

وقال الأندلسي : فإن قلت : كيف ينيله المقالة ؟ قلت : يريد المقولة فيه .

قال ابن المستوفي : وهذا قولٌ غير مشكل ، لأنَّ عبد العزيز حَكَّمَه ، ولا نِيلَ أَوْفَى من أن يحكِّمَ المسئولُ سائلَه . أى لو طلبتها من عبد العزيز لعادَ لي بمثلها مُحَكِّمًا ، فكنت ممن ينيله عبد العزيز إيَّاهَا ، على ما ذكره السيرافي .

(١) في البيان : « لأخذى خطة النى » ، ومؤداهما واحد .

(٢) ط : « ممن ينيلوها » ، صوابه في ش . وانظر الأشموني ١ : ١٢٢ .

وقوله : « ولو سرتُ فيها » أى لو رحلتُ لأجلها ، أى لطلبها .

وقوله : « عجبت لتركى » إلخ ، الخطّة ، بالضم : الأمر والقصة .
وأراد بخطّة الرشد تحكيم عبد العزيز إياه فيما يطلب . وفسرها العيني
وتبعه السيوطى بخصلة الهداية . وهذا معناها اللغوى ، ولم يذكر
المراد منها .

عبد العزيز
بن مروان

وعبد العزيز هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، والد عمر بن
عبد العزيز أمير مصر ، وولى العهد بعد أخيه عبد الملك من أبيهما مروان .
وقول الدمامينى : أحدُ الخلفاء الأمويين ، ينبغى حملة على ولاية العهد ،
والأفوهو لم يلِ الخلافة أصلاً . لكن يبقى عليه أن الصحيح أن خلافة
مروان غير صحيحة ، وأنه خارجُ على ابن الزبير باغٍ عليه ، فلا يصحُّ
عهدهُ إلى ولديه .

ولما ملك مروان الشام سارَ إلى مصر ، وغلب عليها ، واستخلف عليها
ولده عبد العزيز ، فبقى أميرها إلى أن مات سنة خمس وثمانين ، عند
الأكثر .

حكى عنه أن رجلاً دخل عليه يشكو صهرأ له ، فقال : إن ختنى فعل
بى كذا وكذا . فقال له : ومن ختنك ؟ وفتح النون . فقال : ختنى
الختان الذى يختن الناس . فقال عبد العزيز لكاتبه : ما هذا الجواب ؟
فقال : إن الرجل يعرف النحو ، وكان ينبغى أن تقول : من ختنك ؟
بضم النون . فقال : والله لا شاهدتُ الناس حتى أعرف النحو ، وأقام
فى بيته جمعةً لا يظهر ، ومعه من يعلمه العربية ، ثم صلى بالناس الجمعة
الأخرى وهو من أفصح الناس .

وقوله : « وَأَمَّى صَعْبَاتٍ » إلخ ، الأَمْ بفتح الهمزة وتشديد الميم : القصد ، مصدرٌ مضاف إلى فاعله ، ومفعولُهُ الصَّعْبَات بسكون العين . وأروضُها : أذللها . والذَّلُول ، بالفتح : السَّهْل المنقاد .

وقوله : « حلفتُ بربِّ الراقصات » إلخ ، قال ابن السيرافي : الرَّقْص : ضربٌ من الخبب في العَدُو . وحلف بربِّ الإبل التي يُسار عليها إلى الحجِّ . و « تغول البلاد » : تقطعها . والنَّصُّ والذَّمِيل : ضربان من العَدُو .

وقوله : « لئن عاد لي عبد العزيز » ، الضمير في قوله بمثلها راجعٌ لمقالة عبد العزيز ، وهى : حُكْمك ، أو سَلَنى حوائجك . ويجوز أن يرجع لخطَّة الرشد التي هى عبارةٌ عن مقالة عبد العزيز . ولم يذكر غيره العينى . ويؤيده قول الزمخشري : منها أى من الخطَّة . لا أقيلها ، أى العثرة . اهـ .

والعثرة غير مذكورة في الكلام ، وإنما أعاد الضمير عليها لفهمها من المقام . والإقالة : الرَّدُّ . وفي الدعاء يقال : لا أقال الله عثرته !

قال ابن المستوفى وبعض فضلاء العجم (في شرح أبيات المفصل) : ويروى : « لا أقيلها » بالفاء ، أى لا أقيل رأيه فيها ، أو فى التأخر عنه والتشبُّط عن تنجيز ما وَعَدَنى به . يقال : فالَ يَفِيل فِيلُولَة ، إذا ترك الرأى الجيد وفعلَ ما لا ينبغى للعقلاء أن يفعلوه . فالفيلولة : ضعف الرأى . وهذه الرواية هى المناسبة . والله أعلم .

وترجمة كثيرٌ عزة تقدّمت في الشاهد الثالث والسبعين بعد الثلاثمائة^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والخمسون بعد الستائة ، وهو من شواهد المفصل^(١) :

٦٥٢ (فَقَالَتْ : أَكُلَّ النَّاسِ أَصْبَحْتَ مَانِحاً
لِسَانَكَ كَيْمَا أَنْ تُغَرَّ وَتَخْدَعَا)

على أَنَّ (كى) عند الأَخْفَش حرف جرٌّ دائماً ، ونصبُ الفعل بعدها بأن مضمرة ، وقد تظهر كما فى البيت .

نقل ابن المستوفى عن صاحب المفصل ، أَنَّهُ قال فى الحواشى : لَمَّا دخل عليها حرف الجرِّ تَعَيَّنَتْ أَنَّهَا حرفٌ ناصبٌ للفعل . فإذا جاءت كى ومعهما أَنَّ كان شاذّاً ، للجمع بين المنُوب والنائب ، كالجمع بين العَوَض والمعوَض عنه . ١٥١ .

وهذا عند ابن عصفور ضرورة ، قال (فى كتاب الضرائر) : ومنها زيادة أَنَّ ، كقولك :

* أَرَدْتَ لَكَيْمَا أَنْ تَطِيرَ بِقَرَبَتِي *

أَنَّ فيه زائدة غير عاملة ، لأنَّ لَكَيْمَا تنصب الفعل بنفسها ، ولا يجوز إدخال ناصب على ناصب . وأَمَّا قول حَسَّان :

فَقَالَتْ أَكُلَّ النَّاسِ أَصْبَحْتَ مَانِحاً البيت

فَأَنَّ فيه ناصبة لا زائدة ، أُظهرت للضرورة ، لأنَّ كَيْمَا إذا لم تدخل عليها اللام كان الفعل بعدها منتصباً بإضمار أَنَّ ، ولا يجوز إظهارها فى فصيح الكلام . ١٥١ .

(١) ابن يعيش ٩ : ١٤ - ١٦ والمغنى ١٨٣ وشذور الذهب ٢٨٩ والعينى ٣ : ٢٤٤ -
٤ : ٣٧٩ والتصريح ٢ : ٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ والممع ٢ : ٥ والأشونى ١ : ٢٧٩ / ٢ :
٢٠٤ وديوان جميل ٢٥ .

ومثله لابن هشام ، قال (في المغنى) : ولا تظهر أن بعد كي بلا لام
إلا في الضرورة . وأنشد البيت ثم قال : وعن الأخفش أن كي جارة
دائماً ، وأن النصب بعدها بأن ظاهرة أو مضمرة . ويردّه نحو : ﴿ لَكَيْلًا
تَأْسُوا ﴾^(١) . فإن زعم أن كي تأكيد للام كقوله :

* ولا للما بهم أبداً دواءً^(٢) *

ردّ بأنّ الفصيح المقيس لا يخرج على الشاذّ . اهـ .

وقال ابن يعيش : ويروى :

* لسانك هذا كي تغرّ وتخدعا *

وقال السيوطي : رأيته في ديوان جميل كما قال ابن يعيش ،
فلا شاهد ولا ضرورة .

وكذا قال ابن المستوفى : هكذا هو في شعره ، ولعلّ ما أورده الزمخشري
رواية أخرى . والمعنى أنها قالت له : أهكذا منحت لسانك هذا لتغرّهم
كما تغرّني ، وتخدعهم كما تخدعني .

صاحب الشاهد والصحيح أن البيت من قصيدة لجميل العذريّ صاحب بُشينة ،
لا لحسان بن ثابت . وهذا مطلع القصيدة :

(عرفتُ مصيفَ الحيّ والمتربعا	كما خَطَّتْ الكفّ الكتابَ المرجعا
معارفُ أطلالٍ لبُشنة أصبحتُ	معارفُها قفراً من الحيّ بَلَقعا
معارف للخود التي قلتُ أجملی	إلينا فقد أصفيت بالودّ أجمعا
فقلت : أفق ما عندنا لك حاجة	وقد كنت عنا ذا عزاء مشيعا

(١) الآية ٢٣ من سورة الحديد .

(٢) لسم بن مبد الوالي . وانظر معجم شواهد العربية ٢١ . وصدّره :

* فلا واقه لا يلفى لما بي *

فقلت لها: لو كنتَ أعطيتُ عنكم عِزَاءً لَأَقَلَلْتُ الغدَاةَ التضرُّعاً
فَقَالَتْ: أَكَلَّ النَّاسِ أَصْبَحَتْ مَانِحاً
لسانك هذا كى تَغُرَّ وتخدعاً^(١)

المصيف: موضع الإقامة في الصيف. والمتربّع: موضع الإقامة في الربيع.
وقوله: «كما خَطَّتْ» إلخ، حال منهما. أراد أن الآثار قد انمحت كالخطِّ
القديم الذي قد رُوجع للقراءة فيه مرّاتٍ كثيرة^(٢).

والمعارف: الأماكن المعروفة. والبلقع: الخالي من الأنيس. والخود،
بالفتح: الجارية الناعمة، والجمع خُود بالضم. وأجملى: أمرٌ من الإجمال
وهو المعاملة بالجميل. وأُصِفِيَتْ مجهول أَصْفِيَتْهُ الْوَدَّ، أى أخلصته
له. والعزَاء: الصَّبْرُ. والمشيع، بفتح المثناة التحتية المشددة، يقال قلبُ
مشيعٍ أى مشجعٍ، أى ذو شِيعَةٍ، وهم الأنصار والأنباع.

وقوله: «فَقَالَتْ أَكَلَّ النَّاسِ» إلخ، الهمزة للاستفهام، وكلٌّ مفعول
ثانٍ لمانِحاً، وفيه تقديم مفعول معمولٍ أصبح عليه، لأنَّ مانِحاً خبر
أصبح. والمنح: الإعطاء، يتعدّى لمفعولين. يقال مَنَحَهُ كَذَا بفتح
النون في الماضي، وتفتح وتكسر في المستقبل. و (لسانك) مفعوله
الأوّل. ومنح اللسان عبارة عن التلطف والتودّد. وقال بعض فضلاء
العجم (في شرح أبيات المفصل): روى: «مانِحاً» بالمشناة من فوق،
من متح الماء من البشر إذا استقى منها. وجعله هنا بمعنى سقى فعّدها إلى

(١) بعده في الديوان، وهما تمة الأبيات الثمانية:

فما نعمة أدماء ترعى مهارقاً تزجى لها طفلاً يروح مرضعاً
بأحسن منها يوم قالت: ألا أرى جيلاً غدا لم ينتظر أن يمتعا

(٢) هذا تفسير ساذج. وإنما المرجع من الكتب الذي أعيد عليه السواد مرة بعد أخرى.
يقال رجع النقش والوشم ترجيعاً: ردد خطوطه. وانظر اللسان (رجع ٤٧٣).

مفعولين . ويصح أن يكون لسانك منصوباً بنزع الخافض ، أي بلسانك .
هذا كلامه . وما في كيا زائدة .

وزعم العيني أنها مصدرية أو كافة . ولا وجه لهما . فتأمل .
وغرثه الدنيا غروراً ، من باب قعد : خدعته بزيتها . فمفعوله
محذوف ، أي تغرهم . وكذا ما بعده . وخدعه : مكر به ، بفتح الدال في
الماضي والمستقبل ، والألف للإطلاق .
وترجمة جميل العذري تقدمت في الشاهد الثاني والستين من أوائل
الكتاب ^(١) .

* * *

وأشدد بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد الستائة ^(٢) :

٦٥٣ (أردت لكيا أن تطير بقربتى فتركها شناً ببيداء بلقع)

لما تقدم قبله . وقال ابن الأنباري (في مسائل الخلاف) : ذهب الكوفيون
إلى أنه يجوز إظهار (أن) بعد كي توكيداً لكي . وذهب بعضهم
إلى أن العامل في جئت لكي أن أكرمك ، اللام ، وكي وأن توكيدان
لها . وقالوا : يدل على جواز إظهارها النقل ، كقوله :

* أردت لكيا أن تطير بقربتى *

والقياس على تأكيد بعض الكلمات لبعض ، فقد قالوا : لا ، ما ، إن ^(٣)
رأيت مثل زيد . فجمعوا بين ثلاثة من أحرف الجحد ؛ للمبالغة .

(١) الخزائن ١ : ٣٩٧ - ٣٩٨ .

(٢) معاني الفراء ١ : ٢٦٢ والإنصاف ٥٨٠ وابن يعيش ٧ : ١٩ / ٩ : ١٦ والمنى
١٧٢ وشرح شواهد السيوطي ١٧٣ والعيني ٤ : ٤٠٥ والتصريح ٢ : ٢٣١ والأشموني ٣ : ٢٨٠ .

(٣) ط : « لا ما إن » ، وأثبت ما في ش والإنصاف وإن كان مؤداهما واحداً .

وقال البصريّون : لا يخلو إظهار أن بعد كي إمّا لأنّها كانت مقدّرة فظهرت ، وإمّا لأنّها زائدة . والأوّل باطل ، لأنّ كي عاملةٌ بنفسها ، ولو كانت تعمل بتقدير أن لكان ينبغي إذا ظهرت أن يكون العمل لأنّ ، فلمّا أُضيف العمل إلى كي دلّ على أنّها العامل . وكذا الثّاني باطل ، لأنّ زيادتها ابتداءً ليس بمقيس ، فوجب أن لا يجوز إظهار أن بحال . ومنهم من قال : إنّما لم يجرّ إظهار أن بعد كي وحتى لأنّهما صارتا بدلاً من اللفظ بأنّ ، كما صارت ما بدلاً عن الفعل في قولهم : أمّا أنت منطلقاً انطلقتُ معك ، والتقدير : أن كنت منطلقاً ، فحذف الفعل وجُعِلَ ما عوضاً عنه . وأمّا قوله :

* أردت لكيا أن تطير بقربتي *

فلا حجة فيه ، لأنّ قائله مجهول . وإن علّم فإظهار أن بعد كي لضرورة الشعر ، أو لأنّ أن بدلٌ من كي ، لأنّهما بمعنى واحد^(١) . اهـ .

والجيد هو الجواب الثّاني . وأمّا الأوّل والثالث ففاسدان .

٥٨٦ والذاهب إلى أن العامل اللام ، وكى وأن مؤكّدان لها ، هو الفراء ، قال (في تفسيره) ، عند قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ^(٢) ﴾ : مثله في موضع آخر : ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ^(٣) ﴾ . والعرب تجعل اللام التي على معنى كي في موضع أن ، في أردت وأمرت ، فتقول : أردت أن تذهب وأردت لتذهب ، وأمرت أن تقوم وأمرت لك تقوم . قال تعالى : ﴿ وَأْمُرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ^(٤) ﴾ ، وقال في موضع آخر : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ

(١) تصرف البغدادى في هذا النص تصرفاً كبيراً .

(٢) الآية ٢٦ من سورة النساء .

(٣) الآية ٢٧ من سورة النساء .

(٤) الآية ٧١ من سورة الأنعام .

أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ^(١) وقال: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا^(٢)﴾ و﴿أَنْ يُطْفِئُوا^(٣)﴾. وإنَّما صلحت اللام في موضع أَنْ في أمرت وأردت ، لأنَّهما يطلبان المستقبل ولا يصلحان مع الماضي . ألا ترى أَنَّكَ تقول : أمرتك أَنْ تقوم ، ولا يصلح أمرتك أَنْ قمت ، وكذلك أردت . فلَمَّا رَأَوْا أَنْ في غير هذين تكون^(٤) للماضي وللمستقبل ، استوثقوا لمعنى الاستقبال بكى^(٥) وباللام التي في معنى كى . وربما جمعوا بينهما ، وربما جمعوا بين ثلاثهنَّ . أنشدني أبو ثروان :

أردتَ لكِما أَنْ تُرى لى عشرة ومَنْ ذا الذى يُعطى الكَمالَ فيكُمُلُ^(٦)
فجمع بين اللام ، وكى وأن . وقال تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا^(٧)﴾ . وقال الآخر في الجمع بينهما :

* أردتَ لكِما أَنْ تطيرَ بقربتى * البيت

وإنَّما جمع بينهما لاتِّفاقهنَّ في المعنى واختلاف لفظهنَّ . قال رؤبة :

* بغير لا عصفٍ ولا اضطرافٍ *

وربَّما جمعوا بين ما ولا وإن التي على معنى الجحد ، أنشدني الكسائي في بعض البيوت :

* لا ما إن رأيت مثلك *

(١) الآية ١٤ من سورة الأنعام .

(٢) الآية ٨ من سورة الصف .

(٣) الآية ٣٢ من سورة التوبة .

(٤) ش : « يكون » .

(٥) ط : « لكى » ، صوابه في ش ومعاني القرآن ١ : ٢٦٢ .

(٦) ورد أيضاً في مع الهوامع ٢ : ٥ والدرر ٢ : ٥ .

(٧) الآية ٢٣ من سورة الحديد .

فجمع بين ثلاثة أحرف . وربما جعلت العرب اللام مكان أن فيما أشبه أردت وأمرت . ممّا يطلب المستقبل . أنشدني أبو الجراح الأنثى ، من بنى أنف الناقة ، من بنى سعد :

ألم تسأل الأنثى يوم يسوقني ويزعم أنى مُبطل القول كاذبه
أحاول إعناني بما قال أم رجا ليضحك منى أو ليضحك صاحبه^(١)

والكلام : رجا أن يضحك . ولا يجوز ظننت لتقوم ، وذلك أن أن التي تدخل مع الظن تكون مع الماضي نحو : أظن أن قد قام زيد ، فلم تجعل اللام في موضعها ولا كى^(٢) إذ لم تطلب المستقبل وحده . وكلّما رأيت أن تصلح مع المستقبل والماضى فلا تدخل عليها كى ولا اللام .

هذا كلام الفراء . وظهر منه أن أن لا تكون إلا مع كى المسبوقه باللام مع تقدّم أحد الفعلين من أمر وأراد ، وما أشبههما ، وأن لام كى لا تكون إلا مسبوقه بأحد هذين الفعلين .

وقال ابن هشام (في المغنى) : كى تكون بمنزلة أن المصدرية معنّى وعملا ، نحو : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا ﴾^(٣) ، يؤيّده صحة حلول أن محلّها ، وأنّها لو كانت حرف تعليل لم يدخل عليها حرف تعليل . ومن ذلك : جئتك كى تكرمنى ، إذا قدّرت اللام قبلها ، فإن لم تقدّر فهى تعليلية جارة ، ويجب حينئذ إضمار أن . ومثله فى الاحتمالين قوله :

* أردت لكى أن تطير بقربتى *

(١) ش : « أوردجاً » .

(٢) معاني الفراء : « ولا كى فى موضعها » .

(٣) الآية ٢٣ من سورة الحديد .

فكى إمّا تعليلية مؤكّدة للام ، أو مصدرية مؤكّدة بأن . ولا تظهر
أن بعد كى إلّا فى الضرورة ، كقوله :

* كَمَا أَنَّ تَغَرَّ وَتَخَدَعَا^(١) *

وقوله : « أَرَدْتَ لَكِذَا » إلخ ، ما صلة وزائدة . والطَّيرَان هنا مستعارٌ
للذهاب السريع . و (القربة) بكسر القاف معروفة . و (تتركّها) منصوب
بالعطف على تطير . والترك يستعمل بمعنى التخليّة ويتعدّى لمفعول واحد ،
وبمعنى التصيير ويتعدّى لمفعولين ، وهنا محتملٌ لكلّ منهما . فشئنا
على الأوّل حال من الهاء ، وعلى الثانى هو المفعول الثانى ، و « ببیداء »
عليهما متعلّق بالترك ؛ أو هو المفعول الثانى ، وشئنا حال . وبلّقع بالجر
صفة بیداء .

٥٨٧

وقال العيني : شئنا حال بتأويل متشنّنة ، من التَشْنَن^(٢) وهو اليبس
فى الجلد . والباء فى ببیداء تتعلّق بمحذوف ، تقديره شئنا كائنةً
ببیداء . هذا كلامه .

والشَّنُّ ، بفتح المعجمة وتشديد النون : القربةُ الخلق . والبیداءُ :
الفلاة التى يبید من يدخلها ، أى يهلك . والبلقعُ : القفر .
وهذا البيت قلماً خلا منه كتابُ نحوى ، ولم يعرف قائله . والله أعلم .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد الستّمائة^(٣) :

٦٥٤ (كَى لَتَقْضِيَنِ رُقِيَّةً مَا وَعَدْتَنِ) البيت .

(١) هو الشاهد ٦٥٢ المنسوب لجبل . انظر ما سبق ص ٤٨١ .

(٢) ط : « التشنين » ، صوابه فى ش والعينى .

(٣) المبنى ٤ : ٣٧٩ والتصريح ٢ : ٢٣١ والمجم ١ : ٥٣ والأشمونى ٣ : ٢٨١

وديوان ابن قيس الرقيات ١٦٠ .

على أَنَّ الْأَخْفَشَ يَعْتَذِرُ لِتَقَدُّمِ اللَّامِ عَلَى كِي فِي (لَكَيْمَا) وَتَأَخُّرِهَا عَنْهَا فِي (كِي لِتَقْضِي) أَنَّ الْمَتَأَخَّرَ بَدَلٌ مِنَ الْمَتَقَدِّمِ .

وهذا يَرُدُّ عَلَى الْكُوفِيِّينَ فِي زَعْمِهِمْ أَنَّ كِي نَاصِبَةٌ دَائِمًا ، لِأَنَّ لَامَ الْجَرِّ لَا تَفْصِلُ بَيْنَ الْفِعْلِ وَنَاصِبِهِ . كَذَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ (فِي الْمَغْنَى) .

وقال الدماميني : هذا الرُّدُّ عَلَى الْكُوفِيِّينَ ظَاهِرٌ . أَمَّا إِذَا جُعِلَ النَّصْبُ بِأَنَّ مَضْمَرَةً كَمَا يَقُولُ الْبَصَرِيُّونَ ، وَكِي جَارَةٌ تَعْلِيلِيَّةٌ أَكَّدَتْ بِمَرَادِفِهَا وَهِيَ اللَّامُ ، انْتَفَى هَذَا الْمَحْذُورُ . نَعَمْ يُلْزَمُ الشُّذُوزُ مِنْ جِهَةِ هَذَا التَّأْكِيدِ ، وَلَكِنَّهُ سُمِعَ فِي كَلَامِهِمْ ، بَلْ هُوَ أَحَقُّ ، مِنْ نَحْوِ قَوْلِهِ :

* وَلَا لِيْلِمَا بِهِمْ أَبَدًا دَوَاءً^(١) *

لَاخْتِلَافِ الْحَرْفَيْنِ لَفْظًا .

هذا كلامه ، وهو خلاف ما (فِي التَّذَكِيرَةِ) لِأَنَّ عَلَى ، قَالَ فِيهَا : كِي هُنَا بِمَعْنَى أَنَّ ، وَلَا تَكُونُ الْجَارَةُ ، لِأَنَّ حَرْفَ الْجَرِّ لَا يَتَعَلَّقُ . وَإِذَا كَانَتْ الْأُخْرَى كَانَتْ زَائِدَةً ، كَالَّتِي فِي قَوْلِهِ :

* كَأَنَّ طَبِيْعَةً تَعْطُوْا إِلَى وَارِقِ السَّلَمِ^(٢) *

وقال النَّبِيلِيُّ (فِي شَرْحِ الْكَافِيَةِ) : وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ : لَكِي تَقْضِي ، فَقَدَّمَ وَأَخَّرَ .

وَالْبَيْتُ مِنْ أَبْيَاتِ لَابْنِ قَيْسِ الرُّقِيَّاتِ ، مَحْذُوفُ الْآخِرِ ، وَقَبْلَهُ : صَاحِبُ الشَّاهِدِ

(١) انظر ما سبق في ص ٤٨٢ س ٥ .

(٢) لابن صريم اليشكري . وهو الشاهد ٨٧٤ . وصدوره :

• وَيَوْمًا تَوَافَيْنَا بِوَجْهِ مَقْصَمِ *

(لَيْتَنِي أَلْتَمَسْتُ رُقِيَّةً فِي خَلْوَةٍ مِنْ غَيْرِ مَا أَنْسَى
 كَيْ لَتَقْضِيَنِي رُقِيَّةٌ مَا وَعَدْتَنِي غَيْرَ مُخْتَلَسٍ ^(١))

ورُقِيَّةٌ : اسم محبوبته . والأَنْسَى ، بفتحيتين ، بمعنى الإنْس ، بكسر
 الهمزة وسكون النون . وما زائدة ، وفيه مضاف محذوف تقديره من
 غير حضور أَنْس .

وقوله : « لَتَقْضِيَنِي » عِلَّةٌ لقوله أَلْقَى . والقضاءُ : الأداءُ ، يقال
 قضيت الحجَّ والدين . أى أدَّيْتُهُمَا . فهو متعدُّ لمفعول واحد . فما
 في البيت بدل اشتمال من الياء . وكون ما موصوفةً أحسنُ من كونها
 موصولة . فتأمل .

وقال العيني : مفعول ثانٍ لتقضيَنِي . وهى يجوز أن تكون موصولة
 والعائد محذوف ، أى وَعَدْتَنِي إِيَّاه . ويجوز أن تكون مصدرية ، أى
 لتقضيَنِي وعدَّها لى . اهـ .

وهو في هذا محتاجٌ إلى أن يثبت قَصَى متعدِّياً إلى مفعولين ،
 ولا سبيل إليه إلا بتضمين ، وهو غير مقيس .

و (المختلس) بفتح اللام : مصدر ميمي ، يقال خلست الشيء
 خلساً ، من باب ضرب ، واختلسته اختلاساً ، أى اختطفته بسرعة على
 غفلة . و (غير) مفعول مطلق ، أى لتقضيَنِي قضاءً غير اختلاس .
 والمراد : لِأَنَّهُ مِنْ وصلها في أَمْنٍ مِنَ الرُّقْبَاءِ .

(١) الشاهد من بحر المديد . قال العيني : « وفيه الخبن والحذف والكف » ، صوابه « الخبن
 والحذف » فقط .

وقد تقدّمت ترجمة ابن قيس الرقيات في الشاهد الثالث والثلاثين
بعد الخمسائة^(١).

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد الستائة^(٢) :

٦٥٥ (فُتْمٌ إِذَا أَصْبَحْتُ أَصْبَحْتُ غَادِيَا)

على أَنَّ الحرف قد يُبدل من مثله الموافق له في المعنى ، كما في البيت ،
فإنَّ ثُمَّ بدلٌ من الفاء .

وذهب ابن جنى (في سر الصناعة) ، وتبعه ابن هشام (في المغنى)
إلى أَنَّ الفاء زائدة . قال : لأنَّ الفاء قد عُهد زيادتها .

وكذا (في كتاب الضرائر) لابن عصفور ، قال : ومن زيادة الفاء
قوله :

يَمُوتُ أَنَاسٌ أَوْ يَشِيبُ فَتَاهُمْ وَيَحْدُثُ نَاسٌ وَالصَّغِيرُ فَيَكْبُرُ^(٣)

يريد : والصغير يكبر . وقول أبي كبير :

فَرَأَيْتُ مَا فِيهِ فُتْمٌ رَزِئْتُهُ فَلَبِثْتُ بَعْدَكَ غَيْرَ رَاضٍ مَعْمَرِي^(٤)

يريد : ثم رزئته . وقول الأسود بن يعفر :

فَلَنَهْشَلُ قَوْمِي وَلِي فِي نَهْشَلٍ نَسَبٌ لِعَمْرِ أَبِيكَ غَيْرِ غِلَابٍ^(٥)

(١) الخزانة ٧ : ٢٨٤-٢٨٩ .

(٢) سر الصناعة ١ : ٢٦٦ وابن الشجرى ٢ : ٣٢٦ وابن يعيش ٨ : ٦٩ والمغنى ١١٧

والمع ٢ : ١٣١ والأشعورى ٣ : ٩٥ وديوان زهير ٢٨٥ .

(٣) المع ٢ : ١٣١ والدرر ٢ : ١٧٢ بدون نسبة . ط : « أَوْ يَشِبُّ فَأَهْمُ » ، صوابه

في ش والمع .

(٤) ديوان الهذليين ٢ : ١٠١ وشرح السكري ١٠٨٢ . وقبله :

وبياض وجه لم تحلل أسرارَه مثل الوديلة أو كشتف الأنضر

(٥) ط : « نَسَبُ » ، صوابه في ش .

زاد الفاء في أول الكلام لأن البيت أول القصيدة . اهـ .

وقال النيلي (في شرح الكافية) : الذي أراه أن الفاء للترتيب المتصل في الحكم : ، وكأنَّ الشاعر أخبرنا بالحكم الثاني عقب إخباره بالحكم الأول .

ونقل السيوطي (في شرح أبيات المغني) : عن السيرافي أنه قال : الأجود فَثَمَّ ، بفتح المثلثة ، لكراهة دخول عاطف على عاطف .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة لزهير بن أبي سلمى ، وهي :

أبيات الشاهد (ألا ليت شعري هل يرى الناس ما أرى

من الأمر أو يبدو لهم ما بدا ليا
بدا لي أن الناس تفنى نفوسهم
وأموالهم ولا أرى الدهر فانيا
وأنى متى أهبط من الأرض تلعه
أجد أثراً قبلي جديداً وعافيا
أراني إذا ما بتُّ على هوى
فثمَّ إذا أصبحتُ أصبحتُ غاديا
إلى حفرةٍ أهوى إليها مقيمةٍ
يحثُّ إليها سائقٌ من ورائيا
كانني وقد خلفتُ تسعين حجةً
خلعتُ بها عن منكبي رائييا
بدا لي أني عشتُ تسعين حجةً
تباعاً ، وعشراً عشتها ، وثمانيا
من الحق تقوى الله ماقد بدا ليا
بدا لي أني لستُ مدرك ما مضى
ولا سابقاً شيئاً إذا كان جائيا^(١)
أراني إذا ما شئتُ لاقيتُ آيةً
تذكرني بعض الذي كنتُ ناسيا
وما إن أرى نفسي تقيها كريمي
وما إن تقي نفسي كريمة ماليا

(١) في ديوان زهير ٢٨٧ : « ولا سابق شيء » . وفي الشرح : « ويروى : « ولا فاتني » .

ألا لا أرى على الحوادث باقياً
 وإلا السماء والبلاد وربنا
 ألم تر أنّ الله أهلك تبعا
 وأهلك ذا القرنين من قبل ما ترى
 إذا أعجبتك الدهر حال من امرئ
 ألا لا أرى ذا إمّة أصبحت به
 ألم تر للنعمان كان بنجوة
 فغير عنه ملك عشرين حجة
 فلم أر مسلوباً له مثل ملكه
 فأين الذين كان يُعطى جياده
 وأين الذين كان يُعطيهم القرى
 وأين الذين يحضرون جفانه
 رأيته لم يُشركوا بنفوسهم
 سوى أنّ حياً من راحة حافظوا
 فساروا له حتّى أناخوا ببابه
 ولا خالداً إلاّ الجبال الرواسيا
 وأيامنا معدودة والليالي
 وأهلك لقمان بن عاد وعاديا
 وفرعون أردى كيدُهُ والنّجاشيا
 فدعهُ وواكل حالهُ والليالي
 ٥٨٩ فتتركهُ الأيّامُ وهى كما هيا
 من الشرّ لو أنّ امرأً كان ناجيا
 من الدهر يومٌ واحدٌ كان غاوياً^(١)
 أقلّ صديقاً معطياً أو مواسياً^(٢)
 بأرسانهنّ والحسان الغواليا^(٣)
 بغلاتهنّ والمثين العواديا^(٤)
 إذا قدّمت ألقوا عليها المراسيا
 منيته لما رأوا أنّها هيا
 وكانوا أناساً يتّقون المخازيا^(٥)
 كرام المطايا والهجان المتاليا^(٦)

(١) فى الديوان ٤ « رشد عشرين حجة » .

(٢) فى الديوان : « مثل قرصه » .

(٣) فى الديوان : « المواليا » ، جمع حالة .

(٤) فى الديوان : « والمثين الغواليا » . قال : « ويروى الغواديا » .

(٥) فى الديوان : « أقبلوا وكانوا قديماً » .

(٦) فى الديوان :

فقال لهم خيراً وأثنى عليهم وودَّعهم وداعاً أن لا تلاقيا وأجمعَ أمراً كان ما بعده له وكان إذا ما اخلولجَ الأمرُ ماضياً قال صعوداءُ ، والأعلمُ الشتمريُّ (في شرحيهما لديوان زهير) : هذه القصيدة قالها زهير يذكر النعمانَ بن المنذر ، حيث طلبه كسرى ليقتله ، ففرَّ فأتى طيِّثاً ، وكانت ابنةُ ^(١) أوس بن حارثة بن لأم عنده ، فأتاهم فسألهم أن يدخلوه جبلهم فأبوا عليه . وكانت له يدٌ في بني عبس في مروان بن زنباع ، وكان أسير فكلَّم فيه عمرو بن هند عمه وشفع له فشفعه ، وحمله النعمان وكساه . فكانت بنو عبس يشكرون ذلك للنعمان . فلما هرب من كسرى ولم تدخله طيِّثُ جبلها لقيته بنو رَواحةٍ من عبس ، وهم رهطُ مروان بن زنباع ، فقالوا له : أقيم فينا ^(٢) فإننا نمنعك مما تمنع منه أنفسنا . فقال لهم : لا طاقة لكم بكسرى وجنوده . فأبى وساروا معه ، فأثنى عليهم خيراً وودَّعهم .

وقال الأصمعيُّ : ليست لزهير ، ويقال هي لصِرمَة الأنصاري . ولا تشبه ^(٣) كلام زهير .

وقوله : « ولا أرى الدهرَ فانياً » ، قال صعوداءُ : يقال إنَّ الدهرَ هو الله جلٌّ وعزٌّ ثناؤه ، وإنما يراد بذلك أنَّ الذي يحدثه الدهر إنما هو من تقدير الله ، فلا ينبغي أن يُسبَّ الدهر ، لأنَّه يرجع إلى سبِّ ما قدر الله .

وقوله : « وأننى متى أهبطُ » إلخ ، قال الأعمى : التلعة : مجرى الماء إلى

(١) ط : « وكان ابن » ، صوابه في ش وشرح ثعلب ص ٢٨٣ .

(٢) ط : « قم فينا » ، صوابه في ش وشرح ثعلب .

(٣) ط : « ولا يشبه » .

الرَّوْضَةُ ، وتكون فيما علا عن السَّيْلِ وفيما سَفَلَ عنه . ودُونَ التَّلْعَةِ الشُّعْبَةُ .
والعافى : الدارس . يقول : حيثما سار الإنسان ^(١) من الأرض فلا يخلو
من أن يجدَ فيه أثرًا قديمًا أو حديثًا ^(٢) .

وقوله : « أُرَانِي إِذَا مَا بَتُّ » إلخ . مع البيت بعده ، قال صعوداء : على
هوى ، أى على أمر . يقول : أُرَانِي إِذَا مَا بَتُّ عَلَى أَمْرٍ أَوْ حَاجَةٍ أُرِيدُهَا
ثُمَّ أَغْدُو وَأَدْعُ .

وقال الأَعْلَمُ : أى لى حاجةٌ لا تنقضى أبدًا ، لأنَّ الإنسان ما دام
حيًّا فلا بدَّ من أن يهوى شيئًا ويحتاج إليه .
ولم يتعرَّضَ كلُّ منهما إلى قوله فتمَّ .

وفى جميع النسخ : « غَادِيَا » بالغين المعجمة . وروى البيت (فى معنى
اللييب) كذا :

أُرَانِي إِذَا أَصْبَحْتُ أَصْبَحْتُ ذَا هَوًى فَتُمَّ إِذَا أَمْسَيْتُ أَمْسَيْتُ عَادِيَا

قال ابن المُلَّا : أُرَانِي مِنْ أَفْعَالِ الْقُلُوبِ الَّتِي يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فَاعِلُهَا
ومفعولها الأول ضميرين متصليين متَّحدِي المعنى . والهوى : إرادة النفس
أى أصبح مريدًا لشيءٍ وأمسي تاركًا له متجاوزًا عنه . يقال عدا فلان
الأمر ، إذا تجاوزه .

قال الشُّمْنِيُّ : وهذا يدلُّ على أَنَّ عَادِيَا بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ . وهو مضبوطٌ
فى بعض نسخ الغنى وغيره بالمعجمة .

(١) فى النسخين : « صار الإنسان » ، وأثبت ما فى الشنترى ٨٧ .

(٢) عند الأَعْلَمِ الشنترى : « من أن يجد فيه أثرًا قبل أثره قديمًا وحديثًا » .

قال ابن القطّاع : غدا إلى كذا : أصبح إليه . ورواية الإعجام أنسب بالبيت بعده ، إذ يقال غدا إلى كذا بمعنى صار إليه . وإن صحَّ أن يقال المعنى متجاوزاً إلى حفرة . ووصف الحفرة بكونها مقيمةً إماً على مُعتقد الجاهلية من أنه لا فناء للعالم ولا بعث ، أو المقيمة عبارة عن ذات المدّة الطويلة . والسائق : الذي يحثُّ على العدو إلى تلك الحفرة ، وهو الزمان^(١) ، فإنه المفضي المبيدُ عندهم . اهـ .

وقوله : « كَأَنِّي وَقَدْ خَلَفْتُ » إلى آخره . قال الأعلام : أي لا أجد مَسَّ شيءٍ مضى ، فكأنَّما خَلَفْتُ^(٢) به ردائي عن مَنْكبي .
وقوله :

* بدا لي أَنِّي لستُ مدركُ ما مضى *
يأتى إن شاء الله شرحه في الجوازم^(٣) .

وقوله : « أَرَأَيْتَ إِذَا مَا شَتَّ^(٤) » إلخ ، أي إذا غفلتُ عن حوادث الدهر من موت وغيره ونسيتها رأيتُ آيةً مما تصيبُ غيري ، فذكرتني ما كنتُ نسيته . والآية : العلامة .

وقوله : « وما إن أرى » إلخ ، قال صُعوداءُ : كريمة ماله : أهله وخاصته . وروى الأعلام : « كريهتي » ، وقال : لا تبقى نفسي من الموت كريهتي ، أي شدتي وجراعتي ، ولا تقيها كرائمُ مالي .

وقوله : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَهْلَكَ تُبَعًّا » إلى آخره ، تُبَعَّ : ملكُ اليمن .

(١) ش : « هو الزمان » بطرح الوار .

(٢) ش : « خلفت » ، صوابه في ط والشتري .

(٣) هو الشاهد ٧٠٤ في ٦٤٦ بولاق .

(٤) ط : « إذا ما نسيته » ، صوابه في ش ونص الشعر .

وعادياً أبو السموعل^(١) ويقال السموعل^(٢) بن حيا بن عاديا . وكان له حصنٌ بتيما . وهو الذى استودعه امرؤ القيس أدراعه . وقال صعوداء : عاديا ابنُ عاد . وأوّل من سنّ الدّية لقمان بن عاد . وأوّل من تكلم بالعربية العمالقة بمكة ، ملوك كان يقال لهم العمالقة ، ولا يدرى لأى شئ سُموا بذلك . ا هـ .

والنجاشي : ملك الحبشة . والإمة بالكسر : النعمة والحالة الحسنة ، أى من كان ذا نعمةٍ فالأيام لا تتركه ونعمته كما عهدت ، أى لا بدّ من أن تغيّرّها الأيام . وقوله : « كان بنجوة من الشرّ » ، أى كان بمعزل منه . يقال فلانٌ بنجوةٍ من السّيل ، إذا كان بموضع مرتفع حيث لا يدركه السّيل . وروى صعوداء : « بنجوة من العيش » وقال : أى كان بمرتفع من السلطان والملك .

وقوله : « فغيّر عنه ملكٌ » إلخ ، الحجّة بالكسر : السنّة . والغاوى هنا : الواقع فى هلكة . وقال صعوداء : نسب اليوم إلى الغي لأنّ الغي كان فيه .

وقوله : « فلم أر مسلوباً » إلخ ، يقول : لم أر إنساناً سلب النّعيم والمُلْك ، وله عند الناس أياذٍ ونعم كثيرة فلم يَفِ له أحدٌ ولم يواسِه ، كالنّعمان حين لم يُجرّه من استجار به . والباذل : المعطى . وقوله : « والمثين الغواديا » ، أى كان يهبُ المثين من الإبل فتغدو عليهم .

وقوله : « ألقوا عليها المراسيا » أى ثبتوا عليها آكلين منها . والمراسي :

(١) ش : « عادياً » بالقصر ، فى هذا الموضع وتاليه .

(٢) ط : « ويقال أبو السموعل » ، صوابه فى ش .

جمع مَرْسَى ، وهو من رسا يرسو ، إذا ثبت وأقام ، ومنه مَرْسَى السفينة .
والجفان : القصاع .

وقوله : « لم يُشْرِكوا بنفوسهم » أى لم يواسوه فى الموت ، ومعناه
لم يخلطوه بأنفسهم حين استجار بهم من كسرى .

والهجان : البيض من الإبل ، وهى أكرمها . والمتالى : التى تتلوها
أولادها ، جمع مُتَلِيَة .

وقوله : ^(١) « فقال لهم خيراً » أى قال النعمان لبني رَوَاحَة خيراً لما دَعَوْه
إلى مجاورتهم وودَّعهم ودَاعَ مَنْ يَتَيْقَنُ بالموت .

وقوله : « وأجمع أمراً » إلخ ، ما بعده أى من ثنائه . وأَخْلَوَلَجَ : التَوَى
ولم يستقم . والماضى : النافذ فى الأمر العازم عليه .

٥٩١

وترجمة زهير تقدّمت فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد الستائة ^(٣) :

٦٥٦ (إذا أنتَ لم تَنْفَعْ فَضُرَّ فَإِنَّمَا
يُرَادُ الْفَتَى كَمَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ)

على أَنَّ (يَضُرُّ) بالرفع ، وما كافّةٌ وقيل مصدريةٌ ، وكى جارة ،
أى لمضرتّه ومنفعته .

وهذان الوجهان أجازهما أبو على (فى التذكيرة القصصية) و (فى
البغداديات) كما ننقله فى البيت بعده .

(١) ما بعده إلى « قوله » التالية ساقط من ش .

(٢) الخزائن ٢ : ٣٣٢ - ٣٣٦ .

(٣) المغنى ١٨٢ والعينى ٣ : ٢٤٥ / ٤ : ٣٧٩ والتصريح ٢ : ٣ والأشموقى ٢ :

٣/٢٠٤ : ٢٧٩ وملحقات ديوان قيس بن الخطيم ١٧٠ .

وكذا قال ابن هشام (في المغنى) .

وقال العيني : إنَّ دخول كى على المصدرية نادر .

ورأيت (فى طبقات النُّحاة) لأبى بكر محمد الشَّهير بالتاريخى عند ترجمة يونس بن حبيب ، أنَّ يونس قال : كان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر فصيحاً ، وهو الذى يقول :

إذا أنت لم تنفع فضرَّ فإنما يرجى الفتى كىما يضرَّ وينفعا

فعلى هذه الرواية ما زائدة ويضر منصوب بكى واللام مقدرة ، وأنت فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور ، أى إذا لم تنفع الصديق فضرَّ العدو . وإنما قدر الفعل واقعاً على هذا المفعول لأنَّ العاقل لا يأمر بالضر مطلقاً ، وحسن المقابلة اقتضى تعيين الأول .

و (يرجى) بتشديد الجيم المفتوحة ، أى إنما يرجى الكامل فى الفتوة لضرِّ من يستحق الضرَّ، ونفع من يستحق النفع .

وقيل : يمكن حمل البيت على أنَّ المراد الحثُّ على النفع بالأمر بالضرِّ ، لا على أنَّه مراد ، ولا يقدر للفعل متعلِّق ، بملاحظة أنَّ الإنسان إنما يُقصد ويكثر رجاؤه لوصف فيه لا لذاته .

وروى : « يُراد » بدل « يرجى » .

قال العيني : البيت للنابغة الذبيانيَّ ، وقيل للنابغة الجعدى . والأصحُّ أنَّ قائله قيس بن الخطيم . ذكره البحتريُّ (فى حماسه) . ١٥٠ .

ولم نسمع أنَّ للبحترى حماسة^(١) .

ونسبه الإمام الباقر^(٢) (في كتاب إعجاز القرآن) لقيس بن الخطيم
بنصب يَضُرُّ وينفع . والله أعلم .
* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد السمائة^(٣) :

٦٥٧ (لا تَظْلِمُوا النَّاسَ كما لا تُظْلَمُوا)

على أنَّ المبرد والكوفيَّين جَوَّزُوا نصب المضارع بعد (كما) على
أَنَّ أصلها كما ، حذفت الياء تخفيفاً ، فَإِنَّ لا تُظْلَمُوا منصوب بحذف
النون بها ، وقيل بل نصبه بما المصدرية حملاً على أَنَّ المصدرية كما أَنَّ
أَنَّ تُهْمَل حملاً على ما . وهذا من باب التقارض .

فالكاف حينئذ للتشبيه .

والبصريُّون يمنعون ذلك ، وينشدون :

* لا تَظْلِمِ النَّاسَ كما لا تُظْلَمُ *

بالتوحيد ، فالفعل مرفوع على هذا بعد لا النافية ، والكاف للتشبيه ،
وما كَافَّة .

(١) هكذا يقول البغدادي . والواقع أن هناك نسخة وحيدة من حماسة البحترى مودعة
في مكتبة ليدن برقم ٨٨٩ كما نص عليه بروكلمان . وقد طبعت حماسة البحترى عدة طبعات أولاها
سنة ١٩٠٩ بمطبعة بريل . وهي من رواية أبي العباس أحمد بن محمد ، المعروف بابن أبي خالد الأحول ،
عن أبيه عن البحترى اختارها من شعر العرب ، وأهداها للفتح بن خاقان ، ورتبها على ١٧٤ باباً .
وقد عني الأب لويس شيخو بطبعها مضبوطة بالشكل الكامل ووضع لها فهرساً : للشراء ،
وتوافيهم ، مع مقدمة باللغة الفرنسية . وذلك في المطبعة الكاثوليكية ببירות سنة ١٩١٠ . وقد استعان
فيها بطبعة ليدن المصورة سنة ١٩٠٩ .

(٢) أمالي ابن الشجري ١ : ١٨٦ والإنصاف ٥٨٧ ، ٥٩١ والخزانة ٤ : ٢٧٦ بولاق
وملحقات ديوان رؤبة ١٨٣ . .

قال سيويوه : سألت الخليل عن قول العرب : انتظرني كما آتيك
فزعم أنَّ ما والكاف جُعِلتا بمنزلة حرف واحد وصيرت للفعل كما صيرت
للفعل ربّما ، والمعنى لعلّي آتيك . فمن ثمّ لم ينصبوا به الفعل كما لم
ينصبوا برّبما . قال :

* لا تشتمّ الناسَ كما لا تُشتمّ^(١) *

وقال أبو النجم :

قلتُ لشيبان ادنْ من لقائه كما تُغدّي القومَ من شِوائه

انتهى .

٥٩٢ قال الأعم : الشاهد وقوع الفعل بعد كما لأنّها كاف التشبيه
ووصلت بما ، لوقوع الفعل بعدها ، كما فعل برّبما ، ومعناها هنا لعلّ ،
أى لا تشتمّ الناس لعلك لا تشتمّ إنّ لم تشتمهم . ومن النحويّين من
يجعلها^(٢) بمعنى كى ويجيزُ النصب بها ، وهو مذهب الكوفيين .

وقال النحاس : هذا قول الخليل وسيويوه . وحكى ابن سعدان
النصبَ بكما إذا كانت بمعنى كى ، وقد حكاه الأَخفشُ سعيد .

وقوله : « قلت لشيبان » إلخ يأمر ابنه شيبان باتّباع ظليم والدنو
منه ، لعلّه يصيده فيطعم أصحابه من شوائه .

وقال أبو على (فى البغداديات) بعد أن نقل عبارة سيويوه : جعل
سيويوه (كما) فى هذا البيت كالتى فى البيت الأوّل . وأنشده أبو بكر

(١) هو الشاهد ٨٣٨ . وانظر سيويوه ١ : ٤٥٩ بولاق .

(٢) يعنى « كما » . وفى ش : « من يجعلها » تحريف .

عن يعقوب أو غيره من أهل الثبت في اللغة : « كَمَا تَغْدِي الْقَوْمَ » . وقال :
 شيبان : ابنه ، أَيْ قَلْتُ لَهُ ارْكَبْ فِي طَلْبِهِ كَمَا تَصِيدُهُ فَتُغْدِي الْقَوْمَ بِهِ
 مَشْوِيًّا . يَصِفُ ظَلِيمًا . وَأَقُول : إِنَّ مَا عَلَى هَذَا الْإِنْشَادَ تَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ :
 يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ زَائِدَةً كَالَّتِي فِي قَوْلِهِ : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ^(١)﴾ وَالْفِعْلُ مَنْصُوبٌ .
 بِإِضْمَارِ أَنْ ، إِلَّا أَنَّهُ تَرَكَ عَلَى الْإِسْكَانِ ، وَذَلِكَ مِمَّا يَسْتَحْسَنُ فِي الضَّرُورَاتِ .
 وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَا بِمَعْنَى الْمَصْدَرِ ، فِي مَوْضِعٍ جَرٌّ بِكَيِّ ، وَتَغْدِي صَلْتَهُ
 وَمَوْضِعُهُ رَفْعٌ . وَنَظِيرُ ذَلِكَ قَوْلُ الْآخَرِ ، أَنْشَدَهُ أَبُو الْحَسَنِ :
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْفَعِ فَضُرٌّ فَإِنَّمَا يُرْجَى الْفَتَى كَيْمَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
 كَأَنَّهُ قَالَ : لِلضَّرَرِ وَالنَّفْعِ . وَيَحْتَمِلُ عِنْدِي أَنْ تَكُونَ مَا كَافَّةً
 لَكَيِّ ، كَمَا كَانَتْ كَافَّةً لِرَبٍّ . انْتَهَى .

وقال ابن هشام (في المغني) : اختلف في نحو قوله :
 وَطَرْفَكَ إِذَا جِئْتَنَا فَاجْبَسْنَهُ كَمَا يَحْسِبُوا أَنَّ الْهُوَى حَيْثُ تَنْظُرُ^(٢)

فقال الفارسي : الْأَصْلُ كَيْمَا ، فَحُذِفَ الْيَاءُ . وقال ابن مالك : هذا
 تَكْلُفٌ ، بَلْ هِيَ كَافُ التَّعْلِيلِ وَمَا الْكَافَةُ ، وَنُصِبَ الْفِعْلُ بِهَا ، لِشَبْهِهَا
 بِكَيِّ فِي الْمَغْنَى . وَزَعَمَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَسْوَدُ (فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى نَزْهَةَ الْأَدِيبِ)
 أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ حَرَّفَ هَذَا الْبَيْتَ ، وَأَنَّ الصَّوَابَ فِيهِ :

إِذَا جِئْتَ فَاْمَنْعَ طَرْفَ عَيْنِكَ غَيْرِنَا

لَكَيِّ يَحْسِبُوا . . . الْبَيْتُ^(٣) انْتَهَى

(١) الآية ١٥٩ من سورة آل عمران .

(٢) لعمري بن أبي ربيعة في ديوانه ٧٣ . وانظر الإنصاف ٣٤٤ والمغني ١٧٠ .

(٣) هنا ينتهي نص المغني . والنص فيه : « طرف عينيك » بالثنية .

والبيت الذى أوردّه الشارح المحقّق لرؤية بن العجاج ، ويأتى إن شاء الله بقيّة الكلام عليه فى الشاهد الأربعين بعد الثمانئة .

والمشهور فى الاستعمال ما أوردّه سيويّه : وهو :

* لا تشتمّ الناس كما لا تشتمّ *

وهو لرؤية بن العجاج أيضاً . وتقدّمت ترجمته فى الشاهد الخامس من أول الكتاب^(١) .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد السّائة ، وهو من شواهد (س)^(٢) :

٦٥٨ (ولُبُسُ عباءَةٍ وَتَقَرَّرَ عَيْنِي)

هذا صدرٌ وعجزه :

(أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ)

على أَنَّ (تَقَرَّرَ) منصوب بأنّ مضمرة بعد الواو ، وَأَنَّ تَقَرَّرَ فى تأويل مصدر معطوف على مصدر وهو لُبْسُ .

وسياق الكلام عليه إن شاء الله فيما بعد الشاهد الثانى والسبعين بعد السّائة .

والبيت من أبيات ليسون بنت بحدل الكلبية ، وهى :

(لَبِيتُ تَخْفِيقُ الْأَرْوَاحِ فِيهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَصْرِ مُنِيفِ)

(١) الخزانة ١ : ٨٩ - ٩٣ .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٢٦ . وانظر المقتضب ٢ : ٢٧ والجمل ١٩٩ والمختب ١ : ٣٢٦

وسر الصناعة ١ : ٢٧٥ ودرة الفواص ٢٤ وابن الشجرى ١ : ٢٨٠ وحاسة ابن الشجرى ١٦٦

وابن يعيش ٧ : ٢٥ والمفنى ٢٦٧ ، ٢٨٣ ، ٢٦١ ، ٤٧٩ ، ٥٥١ وشذور الذهب ٣١٤

والعنى ٤ : ٣٩٧ والتصريح ٢ : ٢٤٤ والممع ٢ : ١٧ والأشئوفى ٣ : ٣١٣ .

وَبَكْرٌ يَتَّبِعُ الْأَطْعَانَ سَقْبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ بَغْلٍ زَفُوفٍ
وَكَلْبٌ يَنْبَحُ الطَّرَاقَ عَنِّي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قِطٍّ أَلُوفٍ
وَلُبْسٌ عِبَاءَةٌ وَتَقَرُّ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ
وَأَكْلٌ كُسَيْرَةٌ فِي كِسْرِ بَيْتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَكْلِ الرِّغِيفِ
وَأَصْوَاتُ الرِّيحِ بِكَلٍّ فَجٌّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَقْرِ الدُّفُوفِ
وَخِرْقٌ مِنْ بَنِي عَمِّي نَحِيفٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عِلْجٍ عَلِيفٍ
خُشُونَةٌ عِشْتِي فِي الْبَدْوِ أَشْهَى إِلَى نَفْسِي مِنَ الْعِيشِ الطَّرِيفِ
فَمَا أَبْغَى سِوَى وَطَنِي بَدِيلًا فَحَسْبِي ذَاكَ مِنْ وَطَنِ شَرِيفٍ

الخفق : الاضطراب ، وفعله من باب ضرب . والمنيف : العالى .
وأورد الحريرى هذه الأبيات (فى درة الغواص) لأجل هذا البيت على
أنه يقال فى جمع ريح أرواح ، وقول الناس : أرياح ، قياساً على رياح خطأ .
والبكر بفتح الموحدة : الفتى من الإبل . والأطعان : جمع ظعينة ،
وهى المرأة ما دامت فى الهودج . والسقب : الذكر من ولد الناقة ، وهو
حالٌ مؤكدة . وروى : « صعب » فهو صفة لبكر . والزفوف بالزاء
المعجمة ^(١) والفاءين ، أى مسرع .

والطَّرَاق : جمع طارق ، وهو الذى يأتى ليلاً .

وقوله : « وَلُبْسٌ عِبَاءَةٌ » فى غالب كتب النحو « للبس » بلامين ،
وهو خلاف الرواية الصحيحة . والعِبَاءَةُ ، وكذا العَبَايَةُ : العِجَّةُ من
الصُّوف ونحوها ، وقيل كساءٌ مَخْطُوطٌ . وَتَقَرَّرَ بفتح القاف ، من قولهم :

عين قريره ، أى باردة من البرد ، الذى هو النوم ، وقيل من البرد الذى هو ضد الحر ، أو من القرار وهو السكون ، لأن العين إذا قرّت سكنت عن الطموح إلى شىء . والشفوف : جمع شِف بكسر الشين وفتحها ، وهو الثوب الرقيق ، سمى بذلك لأنه يُستشف ما وراءه ، أى يُبصر . ومثله قول بعض الأعراب :

لَعَمْرِي لأعرابيسةٌ فى عَبَاءَةٍ تحلُّ دماناً من سُوَيْقةٍ أو فَرْدَا
أحبُّ إلى القلب الذى لجَّ فى الهوى من اللابساتِ الخزِّ يُظهِرَنه كَيْدَا
والكُسيرة ، بالتصغير : القطعة من الخبز . والكسر ، بكسر الكاف : طرف الخباء من الأرض ^(١) .

والخرق ، بكسر الخاء المعجمة : الكريم . والعليج بالكسر ، قال ابن زريق : هو الصُّلب الشديد ، وبه سمى حمار الوحش عِلجاً . ويحتمل أن تريد : إنَّ الأَمْرَدَ أحبُّ إلى من ذى اللحية . قال أبو زيد : يقال لكل ذى لحية عليج ، ولا يقال للغلام إذا كان أَمْرَدَ عليج . واستعلاج الرجل ، إذا خرجت لحيته . والأوّل أنسب لقولها عليف أى مسمنٌ بالعلف . قال الأَعلم : تعنى به معاوية لقوته وشدته ، مع سمنه ونعمته .

وقال العيني : الغليف بالغين المعجمة ، وهو الذى يغلف لحيته بالغالية . ويجوز بالعين المهملة .

وميسون قال اللخمي : هي زوج معاوية بن أبي سفيان وأم ابنه يزيد ، وكانت بدويّة فضاقت نفسها لما تسرى عليها ، فعذّلها على

(١) الأوضح منه ما فى اللسان : « أسفل الشقة التى تلى الأرض من الخباء » وفى حواشئ ش : « من الأرض هكذا بخط المؤلف ، ولا يستقيم » .

ذلك وقال لها : أنتِ في مُلكٍ عظيمٍ وما تدرين قدره ، وكنتِ قبلَ اليومِ في العِباءةِ : فقالتُ هذه الأبياتُ ، فلمَّا سمعها قال لها : ما رضىتِ يا ابنةَ بَحْدَلٍ حتَّى جعلتِنِي علجاً عليفاً ، فالحقى بأهلك ! فطلَّقها وألحقها بأهلها وقال لها : كنتِ فبنتِ ! فقالت : لا والله ما سُررنا إذ كنَّا ولا أسفنا إذ بنَّا ! ويقال أنَّها كانت حاملاً بيزيد ، فوضعتَه في البريةَ ، فمِنَ ثَمَّ كان فصيحاً .

٥٩٤

وقال الشريف (في حماسته) : وروى الكلبي عن عَوانة قال : لما زُفَّتْ ميسونُ بنتُ بَحْدَلٍ من باديةِ كلبٍ إلى معاوية وهو بِرِيفِ الشَّامِ ثَقُلَ عليها الغُربةُ والبُعدُ عن قومها ، فسمعها ذاتَ ليلة تقول هذه الأبيات فقال : أنا والله العليج : وازداد بها عُجباً ، وإليها ميلاً .

قال ابن الكلبي (في الجمهرة) : كان معاوية بن أبي سفيان بعث رسولاً إلى بهدلة بن حسان بن عدى بن جبلة بن سلامة بن عبد الله بن عُلَيم بن جَنَابٍ يخطب إليه ابنته ، فأخطأ الرسول فذهب إلى بَحْدَلِ بن أنيف ، من بني حارثة بن جناب ، فزوجه ابنته ميسون بنت بحدل ، فولدت له يزيد . انتهى .

ذكره في جمهرة قضاة ، وهي من قبائل اليمن .

وميسون : فَيَعُول ، مِنْ مَسَنَةٍ ^(١) بالسوط إذا ضربه ، أو فَعْلُون ^(٢) من ماسٍ يَمِيس ، إذا تبختر ، ولا نظير له إِلَّا زَيْتون ، استدللَّ به بعض النحويين على زيادة النون بالزيت المصور . وحكى أرض زينة ، إذا كان فيها الزيتون . وبَحْدَل ، بفتح الموحدة وسكون الحاء المهملة .

* * *

(١) ط : « ميسنة » ، صوابه في ش .

(٢) ط : « أو من فملون » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح وترميم بخط الشنقيطي .

وأنشد بعده :

(أَلَا أَيُّهَذَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضَرَ الْوَغَى)

على أَنَّ (أَحْضَرَ) منصوب بأن مضمرة ، بدليل تمامه :

(وَأَنَّ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلَدِي)

وتقدّم الكلام عليه في الشاهد العاشر من أوائل الكتاب ^(١) .

وهذه رواية الكوفيّين ، والرفع رواية البصريّين . قال سيّويه :
وقد جاء في الشعر :

* أَلَا أَيُّهَذَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضَرَ الْوَغَى *

قال الأعلم : الشاهد فيه رفع أَحْضَرَ بحذف الناصب وتعرّيه منه .
والمعنى لِأَنَّ أَحْضَرَ الْوَغَى . وقد يجوز النّصب بإضمار أَنَّ ضرورة ، وهو
مذهب الكوفيّين . انتهى .

وفي التذكرة القصرية ، وهي أسئلة من أبي الطيّب محمد بن طوسي ^(٢)
المعروف بالقصري ، وأجوبة من شيخه أبي علي الفارسي قال : سألت
أبا علي عن أَحْضَرَ الْوَغَى ، أي شئٌ موضعه ؟ فقال : نصبٌ ، وهو يريد
حاضراً . فقلت : كيف يجوز أن يكون حالا وإنّما الحضور مزجورٌ
عنه لا عن غيره ؟ فقال : قد يجوز أن يكون لم يذكر المزجور عنه .
فقلت : قد فهمنا من قوله :

* أَلَا أَيُّهَذَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضَرَ الْوَغَى *

قد نهاه عن حضور الوغى . قال : صَيَّرَ أَنْ يُفْهَمَ مِنْهُ هَذَا وَإِنْ

(١) الخزائن ١ : ١١٩ - ١٢١ .

(٢) وكذا في معجم البلدان في رسم (قصر ابن هبيرة) ، وإنباء الرواة ٣ : ١٥٤ . وفي البنية
في طبعتها : « طوس » . وفي معجم الأدباء ١٨ : ٢٠٦ : « طويس » .

كان ذلك لا يفهم منه إذا قَدَّرته بقولك حاضرا . قلت : فإنَّ الحضور لم يقع ، ونحن نعلم أنَّه ما نهاه وقد حضر . قال : هذا مثلُ قولك : هذا صاحبُ صقر صائداً به غداً . قلت : فما الحاجة إلى أنَّ قَدَّرته حالا . قال : ليتعلَّق بما قبله ، وإلَّا فلا سبيل إلى تعلُّقه بما قبله إلَّا على هذا الوجه . انتهى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد الستمائة^(١) :

٦٥٩ (لَوْ بَغِيرِ الْمَاءِ حَلَقِي شَرْقُ)

على أنَّ الجملة الاسمية بعد (لو) وضعت موضع الجملة الفعلية شذوذاً ، كما قاله في باب الاشتغال .

٥٩٥

وهذا مذهبُ ابن جني . ونسبه أبو حيَّان إلى أبي بكر بن طاهر^(٢) . وهذا صدر ، وعجزه :

(كُنْتُ كَالْغَصَّانِ بِالْمَاءِ اعْتَصَارِي)

والباء من (بغير) متعلِّقة بالخبر ، وهو شرق ، (وحلقت) هو المبتدأ . وهذا أحد تخاريج ثلاثة في البيت .

ثانيها لبدر الدين (في شرح ألفية والده) قال : كان الشَّائِنية محذوفة بعد لو ، فهي على بابها من دخولها على الجملة الفعلية ، فتكون

(١) سيويه ١ : ٤٦٢ ، والاشتقاق ٢٦٩ والخزانة ٤ : ٤٦٠ ، ٥٢٤ بولاق والمغني ٢٦٨ والعيني ٤ : ٤٥٤ والتصريح ٢ : ٢٥٩ والجمع ٢ : ٦٦ والأشمونى ٤ : ٤٠ واللسان (عصر ٢٥٦) ودويان على بن زيد ٩٣ .

(٢) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن طاهر الأنصاري الإشبيلي ، المعروف بالحدب . والحدب ، بكسر الحاء وفتح الدال وتشديد الباء الموحدة : الرجل الطويل . أخذ عنه ابن خروف ومصعب الخشني ، وعبد الحق بن خليل ، وأطنبوا في الثناء عليه واشتهر بتدريس الكتاب . توفي في عشر الثمانين وخمسمائة . بغية الوعاة ١٢ .

الجملة الاسمية خبراً لكان المحذوفة . ونسبه أبو حيّان إلى البصريين .
ولم يذكر ابن هشام هذا التخريج (في المغنى) .

ثالثها : لأبى على الفارسي (في الإيضاح الشعريّ) قال فيه : موضعُ
« حلقى » رفعُ بأنّه فاعل ، والرافع له فعل مضمر يفسّره « شَرِق » كأنّه
قال : لو شَرِقَ حلقى بغير الماء . ولا يكون شَرِقَ خبر حلقى . هذا الظاهر .
لأنّ ما بعد « لو » لا يكون مبتدأً كما أنّ ما بعد « إن » وما بعد « إذا » لا يكون
كذلك . فإذا لم يجز أن تجعله خبر حلقى الواقع بعد لو ، لأنّه يرتفع
بفعل مضمر ، وجب أن تضمّر له مبتدأً ، والتقدير هو شَرِق ، فيكون
هو شَرِقُ ، بمنزلة شَرِقَ ، تفسيراً للفعل المضمر بعد لو ، ويكون ذلك بمنزلة
ما يحمل على المعنى . ألا ترى أنّ هو شَرِقَ بمنزلة شَرِقَ في المعنى . وقوله :
« بغير الماء » يتعلّق الجارّ فيه بالفعل الواقع لحلقى ، وهو أسهل من أن
تعلّقه بشرقِ هذا الظاهر . وإن لم تقدّر هذا المضمرَ لزم أن تكون لو قد
ابتدأء بعدها الاسم ^(١) فإذا ثبت في هذا الموضع إضمارُ الفعل فحكمُ
سائر ما أشبهه مثله . انتهى مختصراً .

واختصره ابن هشام (في المغنى) بقوله : وقال الفارسي : الأصل
لو شَرِقَ حلقى هو شَرِق ، فحذف الفعل أولاً والمبتدأ آخرأ . انتهى .

ونسب أبو جعفر النحاس هذا التخريجَ لأبى الحسن الأخفش ،
وأنشد البيت (في أبيات سيويه) وقال : أنشده سيويه في باب من
أبواب أنّ في نسخة أبي الحسن وحده . انتهى .

وقد راجعتُ الكتاب وهو من رواية المبرّد فلم أجده فيه .

وبتقدير المبتدأ تعرف أنّ ما نقله ابن جنى عن شيخه الفارسي

(١) ش : « قد ابتدأ بعدها الاسم » .

(٢) الحق أنه من صميم كتاب سيويه . انظر ١ : ٦٢ ، بولاق و ٣ : ١٢١ هارون .

عند الكلام على البيت الآتي خلافُ الواقع . قال : سألتنا يوماً أباً عليّ عن بيت عدّي فأخذ يتطَلَّب له وجهاً وتعسّف فيه ، وأراد ^(١) أن يرفع حلقى بفعل مضمر يفسّره قوله شرق . فقلنا له : فيمَ يرتفع إذن شرق ؟ فقال : هو بدلٌ من حَلَقِي . فأطال الطريق وأعورَ المذهب ^(٢) . ولو قال إنّ الجملة الاسميّة وقعتْ موقعَ الفعلية لكان أقرب مأخذاً وأسهل متوجّهاً . انتهى .

وقوله : « بالماء اعتصاري » قال أبو علي : موضعه نصبٌ بأنّه خبر كنتُ ، والعائد إلى الاسم الباء في اعتصاري ، وكالغصّان في موضع حال والعامل فيه كنت ، ولا يكون الخبر لأنّ الحال إذا تقدّمت لم يعمل فيها معنى الفعل كما يعمل في الظرف إذا تقدّمه . ولا تكون الباء في قوله بالماء كالجار في قوله : ﴿ إِنِّي لَكُما لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ ^(٣) ولكنه يتعلّق بمحذوف في موضع خبر المبتدأ ، ألا ترى أنّك لو قلت إنّني من الناصحين لكما ، لتعلّقت اللام بالناصحين ^(٤) . ولو قلت : كنت مروري بزيد لم تتعلّق الباء بالمرور ، إنّما تتعلّق بمحذوف . ا هـ .

وقوله : « ولا يكون الخبر » ، أي لا يكون العامل في الحال الخبر ، وهو قوله بالماء الواقع خبراً لقوله اعتصاري . والجملة خبر كنت .

وزعم العيني أنّ قوله كالغصّان خبر كنت . ولم يذكر موقع الجملة التي بعده من الإعراب . ويجوز على هذا أن تكون خبراً ثانياً .

٥٩٦

وشرق فلانُ بريقه أو بالماء ، إذا غصَّ به ولم يقدر على بلعه ،

(١) ش : « ورام » مع أثر تبديل .

(٢) ط : « وأغور » بالعين المعجمة ، صوابه في ش . يقال عوره تعويراً ، وأعوره إعوارة ، وعاره أيضاً ، أي صيره أعور . اللسان (عور ٢٩١) .

(٣) الآية ٢١ من سورة الأعراف .

(٤) ش : « بالنصح » .

وهو من باب تعب . والغَصَّان ، مِنْ غَصَّ فُلَانٌ بالطَّعام غَصَصاً من باب تعب ، ومن باب قتل لغة ، إذا لم يقدر على بلعه . والغُصَّة بالضم : ما غَصَّ به الإنسان من طعام ، أو غِيْظٌ على التشبيه به ، ويتعدَّى بالهمزة نحو : أَغَصَصْتُهُ به .

قال الجوهري : الاعتصار : أَنْ يَغْصَّ الإنسان بالطعام فيعتصر بالماء ، وهو أَنْ يَشْرَبَهُ قليلاً قليلاً لِيُسَيِّغَهُ . وأنشد هذا البيت .

وتحقيقه أَنَّ الاعتصار معناه الالتجاء ، كما قاله أَبُو القاسم على ابن حمزة البصري (فيما كتبه على كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري) وهذا نصُّ كلامه ، وفيه فوائد .

وأنشد أَبُو حنيفة للبعيث :

وذى أَشْرٍ كالأقْحُوَانِ تَشُوفُهُ ذَهَابُ الصَّبَاوالمُعْصِرَاتُ الدَّوَالِحُ^(١)

وقال : الدوالح : الثُّقَالُ التي تَدْلَحُ بالماء . وَيُرَى^(٢) أَنَّهُ معنى قول الله عز وجل : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً^(٣) ﴾ . وقال : قوم : إِنَّ المعصرات الرياح ذات الأعاصير ، وهو الرَّهَجُ والغُبَارُ . قال الشاعر :

وَكَأَنَّ سُهْكَ الْمُعْصِرَاتِ كَسَوْنَهَا تَرْبَ الْفِدَافِدِ وَالنَّقَاعِ بِمُنْخَلٍ^(٤)

النَّقَاعُ : جمع نَقَعَ ، وهو القاع من القيعان . وزعموا أَنَّ معنى مِنْ معنى الباء ، كَأَنَّهُ قال : وَأَنْزَلْنَا بالمعصرات . وقال بعضهم : بل المعصرات الغيوم أنفسها ، ذهب إلى معنى البعيث . ولا يحتمل قوله

(١) اللسان (دلح ، عصر) .

(٢) ط : « و يروى » .

(٣) الآية ١٤ من سورة النبأ .

(٤) السهك : جمع سهوك ، وهي العاصف الشديدة المرور . وفي النسختين : « سهل »

صوابه في اللسان والمقاييس (عصر) .

غير السحاب لقوله : « الدوالج » . فتكون المعصرات التي أمكنت الرياح من اعتصارها واستنزال قطرها ، كما يقال أمضغ النخل وآكل^(١) وأطعم ، وأفرك الزرع ، إذا أمكن ذلك فيه . قال أبو القاسم : ألم أبو حنيفة بالصواب ثم حاد عنه . المعصرات : السحابات بعينها ، ولكنها إنما سميت بذلك بالعصر بفتحيتين ، والعصرة بالضم ، وهما الملجأ . قال الشاعر^(٢) :

فارسٌ يستغيث غير مُغاثٍ ولقد كان عَصْرَةُ المنجودِ
أى ملجأً المكروب . ونقول : أعصرني فلانٌ ، إذا ألجأك إليه .
واعتصرت أنا اعتصاراً . قال عدى بن زيد :

لو بغير الماء خلقي شرقُ . . . البيت

فمعنى المعصرات المنجيات من البلاء ، المعصمات من الجذب بالخصب ، لا ما قال أبو حنيفة ، ولا ما قال من قال : إنها الرياح ذات الأعاصير . فلا تلتفتن إلى القولين معاً . انتهى كلامه .

وكذا قال أبو عبيد : الاعتصار : الملجأ . والمعنى : لو شرقت بغير الماء أسغتُ شرقي بالماء ، فإذا غصصت بالماء فبمَ أُسيغهُ ؟

وقد صار البيت مثلاً للتأذي ممن يرجى إحسانه . قال ابن عبد ربه (في العقد الفريد) : هذا البيت أول ما قيل في معناه . وقال آخر :
إلى الماء يسعى من يغصُّ بريقه فقلْ أين يسعى من يغصُّ بماءٍ
وقال الأحنف بن قيس : « من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء » . وقال العباس بن أحنف :

(١) ط : « وأكل » ، صوابه في ش .

(٢) هو أبو زيد الطائي . ديوانه ٤٤ ، واللسان والمقاييس (عصر) والمخصص ٩ : ٩٦ .
والبيت من قصيدة يرثي بها ابن أخته الحلاج ، وكان قد مات عطشاً في طريق مكة .

قلبي إلى ما ضرّني داعي يُكثر أحزاني وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوّي إذا كان عدوّي بين أضلاعي

وقال آخر :

كنتُ من كُربتي أفرُّ إليهم فهم كُربتي فلّين الفِرارُ ٥٩٧
والبيت من قصيدة لعدّي بن زيد ، يخاطب بها النّعمان بن المنذر ، صاحب الشاهد
وكان قد حبسه النّعمان . وقبله وهو أول القصيدة :

أبلغ النّعمان عني مألُكاً أنّه قد طال حبسي وانتظاري
وأبلغ فعلُ أمر . والمألُك ، بسكون الهمزة وضم اللام : الرّسالة .
وقال الزجاج (في تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ
اسْجُدُوا ^(١) ﴾ : ومألُك : جمع مألُكة ، وأنشد هذا البيت .
وبقية القصيدة مذكورة (في العقد الفريد) و (في الأغاني)
وغيرهما .

وقد استعطفه عدّي بعدّة قصائد فلم تنفعه شيئاً ، ثم قتله بعد مدّة
طويلة في الحبس . وقد ذكرنا سبب حبسه وكيفيّة قتله مع ترجمته
في الشاهد الستين ^(٢) .

* * *

(وأنشد بعده) :

يَقُولُونَ لَيْلَى أَرْسَلَتْ بِشَفَاعَةٍ إِلَيَّ فَهَلَّا نَفْسُ لَيْلَى شَفِيعُهَا
لما تقدّم في البيت قبله . وفيه التخريجان الآخران أيضاً .

(١) من الآية ٣٤ من البقرة ، و ٦١ من الإسراء ، و ٥ من الكهف ، و ١١٦ من طه .

(٢) الخزائن ١ : ٣٨١ - ٣٨٦ .

وقد تقدّم شرحه في الشاهد الخامس والستين بعد المائة ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستون بعد الستمائة ^(٢) :

٦٦٠ (تُرِيدِينَ كَيْمَا تَجْمَعِينِي وَخَالِدًا

وَهَلْ يُجْمَعُ السِّيفَانِ وَيَحْكُ فِي غَمْدٍ)

على أَنَّ (كى) جاءت من غير سببية بعد فعل الإرادة . (وما) بعدها زائدة ، والفعل منصوب بحذف النون ، والنون الموجودة للوقاية .

قال التبريزى (فى شرح الكافية) : فُجُوزُ الْفَصْلِ بَيْنَ كَيِّ وَبَيْنَ الْفَعْلِ بَلَا النَّافِيَةِ بِالِاتِّفَاقِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ كَيْلًا يَكُونُ دُولُهُ ﴾ ^(٣) وبلا الزائدة كقول قيس بن سعد بن عبادة :

أَرَدْتُ لَكَيْلًا يَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّهَا سِرَاوِيلُ قَيْسٍ وَالْوُفُودُ شُهُودُ
وقد فصل بينهما بما الزائدة ولا النافية ، كقول الآخر :

أَرَادَتْ لَكَيْمَا لَا تَرَانِي عَشِيرَتِي وَمَنْ ذَا الَّذِي يُعْطَى الْكَمَالَ فَيَكْمَلُ ^(٤)
ولا يجوز الفصل بينهما بغير ما ذكر . اهـ .

صاحب الشاهد والبيت أوّل أبيات خمسة لأبي ذؤيب الهذلى ^(٥) . وبعبده :

أبيات الشاهد (أَخَالِدُ مَا رَاعَيْتَ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ فَتَحْفَظُنِي بِالْغَيْبِ أَوْ بَعْضِ مَا تُبْدِي
دَعَاكَ إِلَيْهَا مَقْلَتَاهَا وَجِيدُهَا فَمَلَّتْ كَمَا مَالَ الْمَحَبُّ عَلَى عَمْدٍ

(١) الخزانة ٣ : ٦٠ - ٦٢ .

(٢) مع الهوامع ٢ : ٥ وديوان الهذليين ١ : ١٥٩ وشرح السكرى ٢١٩ .

(٣) الآية ٧ من سورة الحشر .

(٤) انظر ما سبق في ٤٨٦ . وصواب روايته : « أَرَدْتُ لَكَيْمَا لَا تَرَى لِي عَثْرَةً » . كفاي

الجمع ومعاني الفراء ١ : ٢٦٢ .

(٥) الهذلى ، ساقطة من ش .

فكنتَ كرقراق السّراب إذا جرى لقوم وقديبات المطى بهم تَخْدِي^(١)
فآليتُ لا أنفكُ أحدُو قصيدةً تكون وإياها بها مثلاً بعدى^(٢))

وسبب هذه الأبيات أنّ أبا ذؤيب كان يَعشَقُ امرأةً اسمها أمُّ عمرو ،
وكان رسوله إليها خالدًا ، وهو ابنُ أخت له وقيل ابن عم له ، وكان
جميلاً ، فعشِقته أمُّ عمرو ، فلما أيقن أبو ذؤيب بغدر خالد صرَمَها ،
فأرسلت تترضاه فلم يفعل ، وقال هذه الأبيات .

٥٩٨

وكان أبو ذؤيب فعلَ كذلك برجل يقال له مالك بن عُويمٍ ،
وكان رسوله إليها .

وتقدّم شرح هذه القصّة مبسوطاً ببسط من هذا في الشاهد الثامن
والأربعين بعد الثلاثئة^(٣) .

وجرى بين أبي ذؤيب وبين خالدٍ أشعارٌ مذكورةٌ في أشعار الهذليين ،
منها قول خالدٍ يجيبه ، قصيدةً على هذا الروى والوزن :

فلا تجزَعَنَّ من سُنَّةٍ أنتَ سِرَّتَها فأولُ راضٍ سُنَّةٌ من يَسِيرُها
وقوله : (تريدن كما تجمعينى وخالدًا) هكذا رواه السكري وغيره .

ورواه ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) وصاحب الصحاح :

* تريدن كما تَضْمِدِينى وخالدًا *

وقال : الضمد : أن تتخذ المرأة خليلين ، وفعله من باب ضرب .

و (هل) للاستفهام الإنكارى . و (الغمد) بالكسر : قراب

(١) فى شرح السكري : « يَخْدِي » بالياء .

(٢) فى ديوان الهذليين وشرح السكري : « فأقسمت » . وفى ديوان الهذليين : « أدعك

وإياها بها مثلاً » .

(٣) الخزائن ٥ : ٨٣ - ٨٦ .

السَّيْف . وفي أمثال العرب : « لَا يُجْمَعُ سَيْفَانِ فِي غَمَدٍ ، وَلَا فَحْلَانِ فِي دَوْدٍ » .

وقد استعمل هذا المصراعُ مثلاً ، قال الزَّمخشرى (في أمثاله) : هو من قول أبي ذؤيب . يُضْرَبُ فِي قَلَّةِ الْإِتِّفَاقِ . اهـ .

ومنه قول يزيد بن خَذَّاق^(١) الشَّئِيَّ ، من قصيدة مذكورة في المفضليات :

لَنْ تَجْمَعُوا وَدِّيَ وَمَعْتَبِي أَوْ يُجْمَعَ السَّيْفَانِ فِي غَمَدٍ^(٢)
وقول العذيل بن الفرخ العجلي^(٣) ، من قصيدة مذكورة في الحماسة :

وَعَلَّ النَّوَى بِالْدارِ تَجْمَعُ بَيْنَنَا وَهَلْ يَجْمَعُ السَّيْفَانِ وَيُحْكُ فِي غَمَدٍ
وقوله : « أَخَالَ مَا رَاعَيْتَ » إلخ ، الحمزة للنداء . قال السكري : أراد فتحفظني بالغيب ، أو في بعض ما تُظْهِرُ لِي مِنَ الْإِخَاءِ وَالْمُودَةِ . وَالْغَيْبُ : السِّرُّ .

وقوله : « فَكُنْتُ كَرَقْرَاقٍ » إلخ ، قال السكري : يقول^(٤) : ظَنَنْتُ أَنَّ

(١) خَذَّاق ، بالذال المعجمة المشددة . قال ابن دريد في الاشتقاق ٣٣١ : « فعال من قولهم : خَذَقَ الطَّائِرُ وَخَزَقَ ، إِذَا رَمَى بِذَرْقِهِ » . وفي النسختين : « خَذَّاق » بالحاء المهملة ، تصحيف . ويزيد هذا شاعر جاهل من شعراء عبد القيس . قال أبو عمرو بن العلاء : ليزيد بن خذَّاق هذا أول شعر قيل في ذم الدنيا ، وهو :

هَلْ لَفَتِي مِنْ بَنَاتِ الدَّهْرِ مِنْ رَاقٍ أَمْ هَلَلْ لَهْ مِنْ حَمَامِ الْمَوْتِ مِنْ رَاقٍ
(٢) المفضليات ٢٩٦ ، والمعنية : الموجدة ، والمعادة .

(٣) سبقت ترجمته في ٥ : ١٦٠ - ١٦١ ، وهو بضم العين على هيئة التصغير . والفرخ بضم الفاء ، كما قيده البغدادى . وقيده التبريزى بالفتح ، إذ قال : « الفرخ أصله في ولد الطائر » .
(٤) القصيدة في الحماسة ٧٢٩ بشرح المروزقى ٢ : ٢٤٩ بشرح التبريزى . وليس في أبيات هذا البيت . ويقول أبو رياش : « ليست هذه الأبيات للعذيل ، وهى قصيدة طويلة لأبي الأخيل العجلي ، قالها في آخر أيام بني أمية » .

لك أمانة ، فكنت كالسّرّاب الذى يكذب من رآه ، يظنُّ أنّه ماءٌ وليس بماءٍ ، وكذلك أنت .

وقوله : « فآلَيْتُ » إلخ هذا البيت من شواهد النحويين فى باب المفعول معه . وآليت : حلفت . ولا أنفكُ : لا أزال . وأحدُو^(١) ، رواه السكرى بالدّال المعجمة لا غير ، بمعنى أطابق . قال ابن السّيد (فى شرح أبيات الجمل) : ومعنى أحدو : أصنعُ وأهيئُ كما تُحدى النّعل على المِثال ، إذا سُويّت عليه . ومن روى « أحدو » بدال غير معجمة فهو من قولهم : حدوت البعير إذا سقته وأنت تتغنّى فى أثره ، لينشط فى السير .

ونقل العيني عن ابن يسعون أنّه قال على هذه الرواية : عندى فى « أحدو » ثلاثة أوجه :

الأول : أن يريد أحدُو قصيدةً إليك ، أى أسوقها حادياً ، كما يفعل الحادى بالإبل عند سَوقها ، لأنّه يتغنّى ، وإنما أراد بذلك الشّهرة .

الثانى : أن يريد أحدُو غَدْرَتَكَ لى قصيدةً أبلغُ بتخليدها فيك أملى . فحذف المفعول للحال الدّالة عليه ، ونصب قصيدةً نصب المصدر ، أى حدُو قصيدةً ، فلمّا حذف المضاف أقام المضاف إليه مقامه .

الثالث : أن يريد : أتحدّى لها وأتبعها ناظماً لها ، حتّى كأنه قال : أوالى قصيدة .

ثم قال العيني : وقال السكرى : أحدُو معناه أغنّى ، فعلى هذا ينبغى أن يكون قوله قصيدة مفعولاً بإسقاط حرف الجرّ ، وهو الباء . ١٥٠ .

(١) ش : « وأحدو » بالدال المهملة .

أقول : إِنَّ السَّكْرَى لَمْ يَرَوْا أَحَدًا ، بدال مهملة ، فكيف يفسرها بما ذكر . وإنما أحدو معناه أسوق ، فلا حذف^(١) .

٥٩٩

وقوله : « تكون وإياها » إلخ قال ابن السِّيد : تكون في موضع الصفة لقصيدة ، وهي صفةٌ جَرَتْ على غير من هي له ، ولو جعلتها صفةً محضة لبرز الضمير الفاعل المستتر فيها ، وكنت تقول : كائناً بها أنت وإياها . والضمير في قوله (وإياها) يعود على المرأة ، كأنه قال : حلفت لا أزالُ أصنع قصيدةً تكون مع هذه المرأة مثلاً بعدى ، أى إنها تبقى ما بقى الدهر .

قال العيني : فإن قلت : كيف يكون مثلاً خبراً والتطابق شرط ؟ قلت : هو مفرد وقع موقع الثنية ، وكذلك قد يقع موقع الجمع لما فيه من العموم المقتضى للكثرة . هذا كلامه فتأمله .

قال أبو عليّ : نَصَبَ وإياها على المفعول معه بتوسطِ الواوِ لما لم يمكنه العطف ، فيقول : « تكون وهي » ، لأمرين : أحدهما كَسْرُ البيت لو فعل ذلك ، والثاني قبج العطف على الضمير المرفوع وهو غير مؤكّد . وقال ابنُ بَرِّي (في شرح أبيات الإيضاح لأبي عليّ) : لما لم يمكنه العطف على الضمير في تكون من غير تأكيد نصب على معنى مَع . وكان أبو الحسن يذهب إلى انتصابه على الظرف كما كانت مع ، فلما حُدِفَتْ وقامت الواو مقامها انتصبَ الاسم على ذلك المعنى ، ودخلت مهيشة لعمل الفعل فيه ونصبه على الظرف . ومعنى العطف قائمٌ فيها وجائزٌ فيها ، ولذلك لم تعمل الجرّ كما لا تعمله حروف العطف ، بخلاف

(١) الحق والإنصاف أن السَّكْرَى رواها « أحدو » بالذال المعجمة ، ثم إنه قال في الشرح : « من قال أحدو قال أقول ، ومن قال أحدو قال أغنى » . فقد أتى بالروايتين .

واو القسم لَأَنَّ معنى العطف معدومٌ فيها . والصواب مذهبُ الجمهور
لَأَنَّ وجود معنى العطف فيه ينافي الظرفية ، لَأَنَّ العطف في التقدير من
جملة أخرى والظرف من الجملة الأولى ، ولَأَنَّ تقديره بني بعيدٌ ،
إذ لا يجوز تقديرها قبل الواو لفصلها بين الجار والمجرور ، ولا بعدها
لفصلها بين الفعل وما تعلّق به . انتهى كلامه .

وقال السكري : روى الباهليُّ : « أَدْعَكَ وَإِيَّاهَا » ، ويروى ^(١) : « أَذْرَكَ
وَإِيَّاهَا » فجزم لكثرة الحركات . وروى أيضاً .

* تكونان فيها للملأ مثلاً بعدى ^(٢) *

وعلى هذه الروايات الثلاث لا شاهد فيه .

وترجمة أبي ذؤيب ، وهو شاعر إسلامي ، تقدّمت في الشاهد السابع
والستين ^(٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الواحد والستون بعد السّائة ^(٤) :

٦٦١ (ولا صَلَحَ حَتَّى تَضْبَعُونَ وَنَضْبَعَا)

على أَنَّ (حَتَّى) فيه ابتدائية والفعل بعدها مرفوع بثبوت النون ،
ونصب (نضبع) بالعطف على توهم نصب ما قبله .

وهذا على رواية ثعلب (في أماليه) عن ابن الأعرابي ، قال :
والمعنى : تملّدون ^(٥) أيديكم إلينا بالسيوف ونمّد أيدينا . وكذا قال ابن
السكيت (في إصلاح المنطق) : أي تملّدون إلينا أضباعكم بالسيوف ونمّد

(١) ط : « ويرى » ، صوابه في ش .

(٢) الذي عند السكري ٢١٩ : « ويروى : أَذْرَكَ وَإِيَّاهَا . الأصمعي : أَدْعَكَ » ، فقط .

(٣) الخزانة ١ : ٤٢٢ - ٤٢٣ .

(٤) مجالس ثعلب ٥٠ وإصلاح المنطق ١٩٦ ثالثة واللسان (ضج ٥٨) .

(٥) في النسختين : « حتى تملّدون » تحريف . والذي في المجالس : « قال تملّدون » .

إليكم أظباعنا بالسيوف. قال : وقد صَبَعَت الخيلُ والإبلُ تَضْبَع ، بفتح الباء فيهما ، ضَبْعًا بسكونها ، إذا مَدَّتْ أظباعها في عَدْوِها ، وهي أعضاؤها . ومنه هذا البيت . لكنه رواه بالنصب .

وتبعه صاحب الصحاح هكذا :

* ولا صلَحَ حَتَّى تَضْبَعُونَا ونَضْبِعَا *

فحَتَّى فيه جَارَةٌ ، وتَضْبَعُونَا منصوب بآن على حذف النون ، ونَا ضميرُ المتكلم مع الغير مفعوله ، والفعل مستقبل ، ولا حاجة لتأويله بالحال ، ويكون نصب نضبع بالعطف عليه ظاهراً من غير ادعاء توهم .

وفسره أبو عمرو بن العلاء ، كما نقله صاحب الصحاح : بقوله : أى حَتَّى تَضْبَعُونَ للصلح والمصافحة^(١) . وقد جاء نظائره بالنصب منها ما أنشده صاحب العباب ، قال : وَضَبَعَتِ الرَّجُلَ : مَدَدَتْ إِلَيْهِ ضَبْعِي لِلضَّرْبِ ، قال عمرو بن الأسود ، أحد بني سُبَيْع ، وكانت امرأة اسمها غَضُوبٌ هَجَتْ مَرِيْعَ بْنَ سُبَيْعٍ ، فقتلها مَرِيْعٌ ، فعرض قومٌ مَرِيْعَ الدَّيَّةَ فَأَبَى قَوْمُهَا :

٦٠٠

كذبتُم وبيتَ الله نرفعُ عقلَها عن الحقِّ حَتَّى تَضْبَعُوا ثم نَضْبِعَا
أى حتى تَمْدُدُوا إِلَيْنَا أظباعكم بالسيوف ونَمْدُ أظباعنا إليكم . وقال أبو عمرو : أى حتى تَضْبَعُوا للصلح والمصافحة . انتهى

والضَّبْعُ ، بسكون الموحدة وفتح الضاد المعجمة : العُضْدُ ، وقيل من العُضْدِ : وَسَطُهُ بلحمه ، يقال أَخَذْتُ بِضَبْعِي فلان فلم أَفَارِقْهُ . ومَدَدْتُ

(١) كلمة « حتى » ليست في الصحاح .

(٢) البيت من شواهد سيبويه ١ : ٢٢ بولاق ١ : ٤٧ هارون .

بضْبُعِيهِ ، إِذَا قَبِضْتَ وَسَطَ عَضْدِيهِ . ومنها قول عمرو بن شَأْسِ الجاهلى من قصيدة :

بْنِ أَسَدٍ هَلْ تَعْلَمُونَ بِلَاعِنَا إِذَا كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبَ أَشْنَعَا
إِذَا كَانَتْ الْحَوُ الطُّوَالُ كَأَنَّمَا كَسَاهَا السَّلَاحُ الْأَرْجُونَ الْمَضْلَعَا
نَدُودَ الْمُلُوكِ عَنْكُمْ وَتَذُودُنَا إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى يَضْبِعُوا ثُمَّ نَضْبَعَا^(١)
والبیت الأول من الثلاثة استشهد به سيبويه على أنه أراد الشاعر
إِذَا كَانَ الْيَوْمُ يَوْمًا . وأضمر لعلم المخاطب ، ومعناه إِذَا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِى
يَقَعُ فِيهِ الْقِتَالُ . قال سيبويه : وبعض العرب ينشده :
* إِذَا كَانَ يَوْمٌ ذُو كَوَاكِبَ أَشْنَعَا *

ومعنى كان فى الوجهين معنى وقع : ويوماً منصوب على الحال ،
وأشنعاً حال أيضاً مؤكدة على الرواية الثانية . وزعم المبرد أنه خبر كان ،
ورُدُّوا عليه بأنه لا فائدة فى هذا الإخبار^(٢) .

وَالْحَوُ : جمع أَحْوَى ، أراد به أَنَّ الْخَيْلَ السُّودَ قَدْ صُبِغَتْ بِدَمِ
الْأَعْدَاءِ حَتَّى صَارَتْ كَالْأَرْجُونَ .

وتضربون هنا ظاهرٌ فيما فسره أبو عمرو بن العلاء .
والبیت الشاهد لم أقف على تتمته ، ولا على قائله . والله أعلم^(٣) .

* * *

(١) لم يرو سيبويه هذا البيت ، بل روى سابقيه فقط .

(٢) رواية البيت عند المبرد فى المقتضب ٤ : ٩٦ تخالف ما هنا . وفيه :

فدى لبني ذهل بن شيان ناقتى إِذَا كَانَ يَوْمٌ ذُو كَوَاكِبَ أَشْنَبِ
وهو بيت آخر لقائل آخر هو مقاس العائذى ، ولكن موضع الكلام فى « إِذَا كَانَ يَوْمًا » .

(٣) سيبويه ١ : ٤٢٣ ، ٤٤٨ . وانظر المقتضب ٢ : ٢٤ والمختضب ١ : ١٩٧ .
وابن عيش ١ : ٢٧٩ والمقرب ١ : ٢٦٣ والمغنى ١٧٥ وشرح شواهد المغنى ١٦٩ والشذور
٢٢٢ والعينى ٤ : ٤٩٠ والهمع ١ : ٧٧/٢ : ١٠ ، ١٦ ، ٧٣ والأشمونى ٣ : ٣٠٥ .

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الثَّانِي وَالسُّتُونُ بَعْدَ السَّهْمَةِ ، وَهُوَ مِنْ شَوَاهِدِ سَيَبَوِيهِ :

٦٦٢ (سَأَتْرُكَ مَنْزِلِي لِبْنِي تَمِيمٍ وَأَلْحَقُ بِالْحِجَازِ فَأَسْتَرِيحَا)

على أَنَّ (أَسْتَرِيحَ) جَاءَ مَنْصُوباً بَعْدَ الْفَاءِ فِي ضَرُورَةِ الشَّعْرِ ، فَمَا لَيْسَ فِيهِ مَعْنَى النَّقْيِ أَصْلاً .

قال سيبويه : وقد يجوز النصب في الواجب في اضطرار الشعر ، ونصبه في الاضطرار من حيث انتصب في غير الواجب ، وذلك لأنك تجعل أَنَّ العاملة . فمما نُصِبَ في الشعر اضطراً قوله :

سَأَتْرُكَ مَنْزِلِي لِبْنِي تَمِيمٍ البيت

وهو ضعيف في الكلام . انتهى

قال الأعلام : ويروى : « لأستريحاً » ، ولا ضرورة فيه على هذا .

وقال ابن السراج (في الأصول) : جعل لحاقه بالحجاز سبباً لاستراحته ، فتقديره لما نُصِبَ كأنه قال : يكون لحاقاً فاستراحة . وقد جاء مثله في الشعر لقومٍ فصحاء ، إِلَّا أَنَّهُ قَبِحَ النَّصْبُ فِي الْعُطْفِ عَلَى الْوَاجِبِ الَّذِي عَلَى غَيْرِ شَرْطٍ ، لِأَنَّهُ قَدْ جُعِلَ لِهَذَا الْمَعْنَى آلَاتٌ ، وَكَانَ حَقُّ الْكَلَامِ أَنْ يَقُولَ : لو كان في غير شعر : وَأَلْحَقُ بِالْحِجَازِ فَإِذَا لَحِقْتُ اسْتَرَحْتُ ، أَوْ وَإِنْ أَلْحَقُ اسْتَرَحْ . ومع ذلك فَإِنَّ الإِيجَابَ عَلَى غَيْرِ شَرْطٍ أَصْلُ الْكَلَامِ ، وَإِزَالَةُ اللَّفْظِ عَنْ جِهَتِهِ فِي الْفُرُوعِ أَحْسَنُ مِنْهَا فِي الْأُصُولِ ، لِأَنَّهَا أَدْلُ عَلَى الْمَعْنَى . انتهى

ونقل أبو على هذه العبارة بعينها (في التذكرة) .

وأورد ابن عصفور (في كتاب الضرائر) لهذا البيت نظائر ثم قال :

لَمَّا اضْطُرَّ إِلَى استعمال النصب بدلَ الرفع حُكِمَ لها حُكْمُ الْأَفْعَالِ الواقعة بعد الفاءِ في الأَجوبةِ الثَّانِيَةِ ، فنُصِبَ بِإِضْمَارِ أَنْ ، وتَوَوَّلَتِ الْأَفْعَالُ الَّتِي قَبْلَهَا تَأْوِيلًا يوجبُ النصبَ ، فحُكِمَ لقوله وَأَلْحَقُ بِالْحِجَازِ بِحُكْمِهِ : ويكونُ ^(١) مَنِيَّ لِحَاقُ بِالْحِجَازِ فاستراحة ، فَعُطِفَتْ بِالفاءِ عَلَى الْمَصْدَرِ الْمَتَوَهَّمِ . انتهى .

فقول الدماميني (في الحاشية الهندية) : النصب على حد :

* وَلُبَسَ عِبَاءَةً وَتَقَرَّرَ عَيْنِي *

غير جيد . وقال أيضاً : للقاتلِ أَنْ يَقُولَ : لَا نَسْلَمُ ^(٢) أَنْ أَسْتَرِيحَ منصوب ، بل هو مرفوع مؤكَّد بالنون الخفيفة موقوفاً عليها بِالْأَلْفِ ، وتأكيد مثل هذا جائز في الضرورة . قال سيبويه : يجوز للمضطرِّ : أَنْتَ تَفْعَلَنَّ . ولا شكَّ أَنَّ التَّخْرِيجَ عَلَى هَذَا مَتَّجِهٌ ، بخلاف التَّخْرِيجِ عَلَى النصب مع فقد شرطه .

هذا كلامه ، وهو من باب غسل الدم بالدم ، لِأَنَّهُ تَفَصَّى مِنْ ضَرُورَةٍ وَلَجَأَ إِلَى ضَرُورَةٍ ، وشرط كلُّ من النصب والتأكيد مفقود .

ونقل الدماميني أَنَّ بَعْضَهُمْ رَامَ تَخْرِيجَهُ عَلَى النصب في جواب النفي المعنويِّ المستفاد من قوله : « سَأَتْرُكُ مَنْزِلِي » ، إِذْ مَعْنَاهُ : لَا أَقِيمُ بِهِ . ثم تعقبه بأنَّه غير متَّجِه ، لِأَنَّ جَوَابَ النفي مَنِيَّ لَا ثَابِتَ ، نحو : مَا جَاءَ زَيْدٌ فَأَكْرَمَهُ ، بالنصب ، والاستراحة ثابتة لا منفية .

والبيت لم يعزه أحدٌ من خَدَمَةِ كِتَابِ سَيْبَوِيهِ ^(٣) إِلَى قَاتِلٍ مُعَيَّنٍ .

(١) ويكون ، ساقطة من ش ثابتة في ضراثر ابن عصفور ص ٢٨٥ .

(٢) ش : « أَنْ يَقُولَ لَأَنَّم » وكتب في حواشيها : « كَذَا بِنُحْطِ الْمُؤَلَّفِ وَالصَّوَابِ لَا نَسْلَمُ » .

(٣) في النسختين : « كَلَامُ سَيْبَوِيهِ » وكتب في حواشي ش : « كَذَا بِنُحْطِهِ » ، والصواب :

خَدَمَةُ كِتَابِ « . وَاَنْظُرْ مَا كَتَبْتُ فِي مُقَدِّمَةِ سَيْبَوِيهِ ١ : ١١ مِنْ نَسْخَتِي .

المغيرة بن حَبْنَاء ونسبه العينيُّ وتبعه السيوطيُّ (في أبيات المغني) إلى المغيرة بن حَبْنَاء ابن عمرو بن ربيعة الحنظلي التيمي . وقد رجعتُ إلى ديوانه وهو صغير فلم أجده فيه .

والمغيرة شاعر إسلاميٍّ من شعراء الدولة الأموية ، وغالبُ شعره^(١) هجوٌّ في أخيه صخر .

وقال صاحب الأغاني : وَحَبْنَاءُ : لقبٌ على أمه غلب على أبيه ، واسمه حُبَيْن . هاجى زياداً الأعجم . وَحَبْنَاءُ ، بفتح المهملة وسكون الموحدة بعدها نون وألف ممدودة . وَحُبَيْن بضم المهملة وفتح الموحدة^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد الستائة ، وهو من شواهد سيبويه^(٣) :

٦٦٣ (أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبَّعَ الْقَوَاءَ فَيَنْطِقُ)

هذا صدرٌ وعجزه .

(وَهَلْ تُخْبِرُنَا الْيَوْمَ بَيِّدَاءَ سَمَلَقُ)

على أن ما بعد فاء السببية قد يبقى على رفعه قليلاً وهو مستأنف .

وأنشد سيبويه هذا البيت وقال : لم يجعل الأول سببَ الآخر ، ولكنه جعله ينطق على كلِّ حال ، كأنه قال : وهو ممَّا ينطق ، كما قال : اثنتي وأحدثك ، فجعل نفسه ممن يحدثه على كلِّ حال . وزعم

(١) ط : « وقال شعره » ، صوابه في ش .

(٢) سيبويه ١ : ٤٢٢ . وانظر معاني القرآن ١ : ٢٧/٢ : ٢٢٩ والجمل ٢٠٤ والأغاني ٨ : ١٤٥ وابن يعيش ٧ : ٦٣ والشذور ٣٠٠ والمغني ١٦٨ والعيني ٤ : ٤٠٣ والتصريح ٢ : ١١ ، ١٣١ وديوان جميل ١٤٤ .

يونس أَنَّهُ سَمِعَ هَذَا الْبَيْتَ بِأَلَمٍ . وَإِنَّمَا كَتَبْتُ ذَا لَثَلًا يَقُولُ إِنْسَانٌ فَلَعَلَّ
الشاعر قال : أَلَا . انتهى .

قال أبو جعفر النحاس عن أبي إسحاق قال : إِنَّهُ تَقْرِيرٌ ، معناه
إِنَّكَ سَأَلْتَهُ . فيقبح النصب لِأَنَّ المعنى يكون : إِنَّكَ إِنْ تَسَأَلَهُ يَنْطِقُ .
ويمنع سيويه أَنْ يَرُوى : « أَلَا تَسْأَلُ الرَّبَّ » لِأَنَّهُ لَوْ رَوَاهُ كَذَا حَسَنُ
النصب ، لِأَنَّ معناه فَإِنَّكَ إِنْ تَسَأَلَهُ يَنْطِقُ . قال أبو الحسن : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ^(١) ﴾ . والقَوَاءُ : التي لَا تُنْبِتُ .
والسَّمْلَقُ : الخالية . انتهى .

قال الأعلم : الشاهد فيه رفع ينطق على الاستئناف والقطع ، على
معنى فهو ينطق ، وإيجاب ذلك له . ولو أمكنه النصب على الجواب لكان
أحسن . والرَّبَّع : المنزل . والقَوَاءُ : القفر . وجعله ناطقاً للاعتبار بدروسه
وتغيره . ثُمَّ حَقَّقَ أَنَّهُ لَا يَجِيبُ وَلَا يَخْبِرُ سَائِلَهُ ، لعدم القاطنين به . ٦٠٢
والبيداء : القفر . والسَّمْلَقُ : التي لَا شَيْءَ بها . انتهى .

وأورده الفراء عند هذه الآية (من تفسيره) قال : رُفِعَتْ فَتُصْبِحُ
لِأَنَّ المعنى فِي أَلَمْ تَرَ معناه خَبِرُ ، كَأَنَّكَ قُلْتَ فِي الْكَلَامِ : أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ
يُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ . وهو مثل قول الشاعر ^(٢) :

* أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبَّ الْقَدِيمَ فَيَنْطِقُ *

أَيَّ قَدْ سَأَلْتَهُ فَنَطِقُ . ولو جعلته استفهاماً وجعلتَ الفاء شرطاً لنصبته ،
كما قال الآخر :

(١) الآية ٦٣ من سورة الحج . وكذا ورد الكلام في النسختين .

(٢) هو جميل . ديوانه ١٤٤ ومعجم الشواهد . وعجزه :

* وهل تخبرنك اليوم بيدا سملق *

أَلَمْ تَسْأَلْ فَتُخْبِرَكَ الدِّيارَ عَنْ الْحَيِّ الْمَضَلَّلِ حَيْثُ سَارَا^(١)
والجزمُ في هذا البيت جائز ، كما قال :

فقلت له صَوِّبْ وَلَا تُجْهِدْنَهْ فَيُذْرِكْ مِنْ أُخْرَى الْقِطَاةَ فَتَزْنَقِ^(٢)
فجعل الجواب بالفاء كالمسوق على ما قبله . انتهى .

وقال ابن المستوفى : قصدَ الشاعر نفي السؤالِ فرفع . وقد جَوَّزُوا فيه
النصب والجزم لولا أَنَّ الروى مرفوع .
وهذا هو ما نقلناه عن الفراء .

وأما قول ابن هشام (في المغنى) : الفاء فيه للاستئناف ، أى فهو
ينطق ؛ لأنها لو كانت للعطف لجزم ما بعدها ، ولو كانت للسببية لنصب ،
فقد قال شُراحُه : الملازمة الثانية ممنوعة ، فقد تتحقق^(٣) السببية مع
رفع الفعل ، كما قيل في قوله تعالى : ﴿ لَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾^(٤) . نعم
الأكثر مع السببية النصب ، اللهمَّ إِلَّا أَنْ يُقالَ إِنَّ الملازمة بالنسبة إلى
الأكثر .

وهذا الاعتراض إنما هو من كلامِ الشارح المحقق هنا .

والبيت مطلع قصيدة لجميل بن مَعْمَرٍ العُذْرِيّ . وبعده :

صاحب الشاهد

(١) ويروى : « حيث سارا » . معاني الفراء ٢ : ٢٢٩ .

(٢) نسب في اللسان (ذرا ٣٠٩) إلى امرئ القيس ، وليس في ديوانه طبعة هندية ولكنه
في ديوانه ١٧٤ بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ونسبه سيويه في كتابه ٣ : ١٠١ إلى
عمرو بن عمار الطائي . ط : « فيذكر » ، صوابه بالذال المعجمة كما في ش والديوان .

(٣) ط : « يتحقق » .

(٤) الآية ٥٦ من سورة المرسلات . ونصها : « ولا يؤذن لهم » .

(بمختلف الأرواح بين سُوَيْقَةٍ وَأَحْدَبَ كادت بعدَ عهدك تُخلَقُ^(١) أبيات الشاهد
 أَضَرَّتْ بِهَا النَّكْبَاءُ كُلَّ عَشِيَّةٍ وَنَفَحُ الصَّبَا وَالْوَابِلُ الْمُتَبَعُ^(٢)
 وَقَفْتُ بِهَا حَتَّى تَجَلَّتْ عَمَائِي وَمَلَّ الْوَقُوفَ الْأَرْحَى الْمُتَوَقُّ^(٣)
 وَقَالَ خَلِيلِي إِنَّ ذَا لَصَبَابَةٍ أَلَا تَزْجُرُ الْقَلْبَ اللَّجُوجَ فَيَلْحَقُ^(٤)
 تَعَزَّ وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ كَرِيمَةٌ لَعَلَّكَ مِنْ أَسْبَابِ بَشَنَةٍ تَعَتَّقُ
 فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الْبِعَادَ يَشُوقُنِي وَبَعْضَ بَعَادِ الْبَيْنِ وَالنَّأْيِ أَشُوقُ
 روى صاحب الأغاني عن الهيثم أَنَّ جَمِيلًا طَالَ مُقَامُهُ بِالشَّامِ ، ثُمَّ
 قَدِمَ وَبَلَغَ بَشِينَةَ خَبَرِهِ ، فَرَأَسَتْهُ مَعَ بَعْضِ نِسَاءِ الْحَيِّ تَذَكُّرُ شَوْقِهَا إِلَيْهِ
 وَوَجَدَهَا بِهِ ، وَوَعَدَتْهُ لِمَوْضِعٍ يَلْتَقِيَانِ فِيهِ ، فَصَارَ إِلَيْهَا وَحَادَثَهَا طَوِيلًا
 وَأَخْبَرَهَا بِحَالِهِ بَعْدَهَا ، وَقَدْ كَانَ أَهْلُهَا رَصَدُوهَا ، فَلَمَّا فَقَدُوهَا تَبِعَهَا
 أَبُوهَا وَأَخُوهَا حَتَّى هَجَمَا عَلَيْهَا ، فَوُثِبَ جَمِيلٌ فَسَلَّ سَيْفَهُ وَشَدَّ عَلَيْهِمَا
 فَاتَّقِيَاهُ بِأَذْرَبِ ، وَنَاشَدَتْهُ بَشِينَةُ بِالْإِنْصِرَافِ وَقَالَتْ : إِنْ أَقَمْتُ
 فَضَحَنْتِي ، وَلَعَلَّ الْحَيَّ أَنْ يَلْحَقَ سَوْكُ ! فَأَبَى وَقَالَ : أَنَا مُقِيمٌ وَامْضِي أَنْتِ
 وَلْيَصْنَعُوا مَا أَحَبُّوا ! فَلَمْ تَزَلْ بِهِ تَنَاشِدُهُ حَتَّى انْصَرَفَ . وَقَالَ فِي ذَلِكَ وَقَدْ
 هَجَرَتْهُ مَدَّةً طَوِيلَةً وَلَمْ تَلْقَهُ^(٥) ، هَذِهِ الْقَصِيدَةُ وَهِيَ طَوِيلَةٌ .

قوله : (أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبْعَ) الخ قال اللخمي (في شرح أبيات الجمل)
 الرَّبْعُ : الدار بعينها حيثما كانت . والمربع : المنزل في الرَّبْعِ خاصة .

(١) الأحدب : جبل في ديار بني فزارة ، أو هو موضع كما سيأتى في الشرح .

(٢) ط : « ونفخ » ، صوابه في ش والديوان .

(٣) الديوان : « العنتريس المنوق » .

(٤) الديوان : « إن ذا لسفاهة » .

(٥) ش : « فلم تلقه » .

٦٠٣ والقَوَاءُ : القفر . يقال رُبْعٌ قَوَاءٌ ودارٌ قَوَاءٌ ، أى خالية . والبيداءُ : القفر الذى يُبِيدُ مَنْ سَلَكَه ، أى يُهْلِكُه . والسَّمْلَقُ : الأرض التى لا تنبت شيئاً ، وقيل هى السَّهْلَةُ المستوية . ومفعول تَسَّالَ الثانى محذوف ، والتقدير : ألم تَسَّالَ الربع عن أهله فينطق . انتهى .

وقال ابن السِّدِّ : ومعنى نُطِقَ الربع ما يتبين من آثاره . والعرب تسمي كلَّ دليلٍ نُطْقاً وقولاً وكلاماً . قال الله تعالى : ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطَلِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ^(١) ﴾ : ومنه قول زهير :

* أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دَمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ *

أى لم يكن بها أثر يُسْتَبانُ لقدم عهدها بالنزول فيها ونحوه . انتهى . وقوله (وهل تُخْبِرُنكَ ^(٢) اليوم) إلخ ردٌّ على نفسه بأن مثله لا ينطق فيجيب . وهذا رجوعٌ إلى الحقيقة بعد المجاز . ومثله ما أنشده أبو الفرج الأصبهاني (فى الأغاني) لمحمد بن عبدالله بن مسلم بن المولى ، مولى الأنصار ، من مخضرمى الدولتين ، يمدح المهدي :

سَلَا دَارَ لَيْلَى هَلْ تُبَيِّنُ فتنطقُ وَأَنْتَى تردُّ القولَ ببداءِ سَمْلَقٍ ^(٣)
وَأَنْتَى تردُّ القولَ دَارٌ كَأَنَّهَا لِطَوْلِ بِلَاهَا والتَّقَادُمِ مُهَرَّقُ
وقوله (فينطق) الفاء للاستئناف ، وجملة ينطق خبر مبتدأ محذوف ، أى فهو ينطق . قال صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ وهو الله فى السَّمَوَاتِ وفى الأرضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ^(٤) ﴾ : يعلم جملة مستأنفة أى هو يعلم سرَّكم .

(١) الآية ٢٩ من سورة الجاثية .

(٢) ط : « وهل يخبرنك » .

(٣) الأغاني ٣ : ٨٥ .

(٤) الآية ٣ من سورة الأنعام .

قال التفتازانى : جرت عادته فى مثل هذا بتقدير المبتدأ ، ولا يظهر له وجهٌ يعتدُّ به . وقال (فى التلويح) فى قوله تعالى : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ^(١) ﴾ هكذا قال جار الله (فى الكشف والمفصل) ، فيقدّر المبتدأ فى جميع ما هو من هذا القبيل . وفيه نظرٌ لأنّ الجملة الفعلية صالحة للابتداء من غير احتياج إلى تقدير مبتدأ .

وفى شرح التسهيل (للدّمامينى) : النحويون يقدّرون فى الاستثناف مبتدأ ، وذلك إمّا لقصد إيضاح الاستثناف ، وإمّا لأنّه لا يستأنف إلّا على هذا التقدير . وإلّا لزم العطف الذى هو مقتضى الظاهر . انتهى .

قال شيخنا الشهاب الخفاجى فى بعض رسائله : حاصله أنّ الجملة المضارعية المستأنفة يقتضى كلامُ المفسرين والنُّحاة أنّه لا بدّ فيها من تقدير ضمير مبتدأ . واستشكله المتأخرون بأنّه لا ضرورة تدعو إليه ، فإنّه يجوز الاستثناف بدونه . ولم يدفعه أحد ، فظنّوا أنّه واردٌ غير مندفع . ولما تأملت ما قالوه حقّ التأمّل ظهر لى أنّ الحق ما قالوه ، وأنّه لا بدّ من هذا التقدير ، لأنّك إذا وقفت على قوله : فى الأرض) من غير تقدير لم يقع موقعه ، إذ لم يُفدّ ما يحسُن السكوت عليه . والضمير المستتر خفى لا يظهر بادى الرأى . فإذا قلت يعلم لم يُعلم من العالم . فإذا كان المبتدأ ظاهراً أو [فى] ^(٢) حكمه علم المراد . ونظيره النعت المقطوع إذا رفع ، يقدّر قبله ضمير لأنّه مفرد لا يفيد إلّا على ذلك التقدير . وبهذا تبين أنّ الاعتراض من الغُفول ، عمّا قصده هؤلاء هؤلاء الفحول . وهو معنى قوله (فى شرح التسهيل) : وإلّا لزم العطف ،

(١) الآية ٧ من آل عمران .

(٢) تكلّة يفتقر إليها الكلام .

أى بطل الاستثنافُ وكان خبراً ثانياً . وكيف يُتردّد في مثله بعد اتفاق النحاة عليه .

إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَبَيِّنُوا أَنَّ هَذَا الْحَذْفَ وَاجِبٌ أَوْ لَا . وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ وَاجِبٌ . وَهَذَا مِنْ مَهْمَاتِ الْمَقَاصِدِ . انْتَهَى كَلَامُ شَيْخِنَا .

وما ذكره بحثاً هو كلام الشارح المحقّق عند كلامه على قول الشاعر :
غير أَنَّا لَمْ تَأْتِنَا بَيِّقِينَ فَنَرَجَّى وَنَكْثَرَ التَّأْمِيلَا^(١)

٦٥٤

بعد نحو ورقة من هذا الموضع .

وقول شيخنا : « أى بطل الاستثناف وكان خبراً ثانياً » فيه أَنَّ الخبر المتعدد يجوز فيه العطف ولم يجب كما بين في محله .

وقوله : « بِمُخْتَلَفِ الْأَرْوَاحِ » إلخ الباءُ للسببية . وَالْمُخْتَلَفُ : الْمَوْضِعُ الَّذِي تَهَبُّ فِيهِ الرِّيحُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ . وَسُؤْيُقَةٌ بِالتَّصْغِيرِ ، وَأَحْدَبُ بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ لَا بِالمثلثة : مَوْضِعَانِ . وَتَخَلَّقَ : تَبَلَّى ، يُقَالُ خَلَقَ الثَّوْبَ بِالضَّمِّ ، إِذَا بَلَى ، فَهُوَ خَلَقَ بِفَتْحَتَيْنِ . وَأَخْلَقَ الثَّوْبُ بِالْأَلْفِ لُغَةً .

وقوله : « أَضْرَّتْ بِهَا النُّكْبَاءُ » إلخ . النُّكْبَاءُ : كُلُّ رِيحٍ تَهَبُّ بَيْنَ مَهَبِّ رِيحَيْنِ ، لِأَنَّهَا نَكَبَتْ عَنْ مَهَبِّهَا ، أَيْ عَدَلَتْ . وَنَفَحَتْ الرِّيحُ بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ ، أَيْ هَبَّتْ ، مِنْ بَابِ نَفَعَ . وَالْوَابِلُ : الْمَطَرُ الْعَظِيمُ الْقَطْرُ . وَالتَّبَعُّقُ ، بِتَشْدِيدِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ الْمَكْسُورَةِ : الشَّدِيدُ الْمَطَرُ . يُقَالُ تَبَعَّقَ الْمُزْنُ ، إِذَا سَالَ بِشِدَّةٍ .

والعَمَاية بفتح المهملة بعدها ميم : الضَّلالة ، وهى من عَمَى القلب .
وروى : « غيابتى » بالغين المعجمة . والغيابة : الظُّلْمَة ، وقعرُ البئر ونحوها .
والأَرْحَبُ : الجمل النجيب ، منسوبٌ إلى أَرْحَبَ بالحاء المهملة : قبيلة ،
وقيل فحل ، وقيل موضع . وروى بدله : « العنتريس » ، وهو الجمل
الشديد الصلب . والمنوَّق : المذلل كالناقة .

وقوله : « لعلك من أسباب بَثْنَة » روى بدله « لعلك من رِقِّ لبثنة » .
وجميل بن معمر شاعرٌ إسلاميٌّ ، تقدمت ترجمته فى الشاهد الثانى
والستين من أوائل الكتاب ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد السّائة ^(٢) :

٦٦٤ (لم تدرِ ما جزعُ عليك فتَجزعُ)

لَمَّا تقدَّم قبله . وهو عَجْزٌ وصدره :

(ولقد تركتِ صَبِيَّةً مَرحومة)

قال ابن هشام (فى المغنى) : وللاستثناف وجه آخر ، وهو أن يكون
على معنى السببية وانتفاء الثانى لانتفاء الأوَّل ، وهو أحد وجهي النَّصَب
وهو قليل ، وعليه قوله :

ولقد تركتِ صَبِيَّةً مَرحومةً لم تدرِ ما جزعُ عليك فتَجزعُ

أى لو عرفتِ الجزعَ لَجَزِعْتَ ، ولكنها لم تعرفه فلم تجزع . إلى آخر
ما ذكر من نظائره من الآيات القرآنية .

(١) الخزائن ١ : ٣٩٧ - ٣٩٨ .

(٢) المحتسب ١ : ١٩٣ والمغنى ٤٨١ والمجاسة ٩٠٣ بشرح المرزوق .

وقد تكلم ابن جني على هذا البيت (في إعراب الحماسة) فلا بأس بإيراده قال : هذا البيت طريفٌ غريب الحديث ، وذلك أنه ليس بجواب لأنه مرفوع كما ترى ، ولو كان منصوباً جواباً لكان أوفق معنى : وأسلب طريقاً^(١) ، ولا قبله أيضاً فعلٌ مرفوع فيعطف عليه كما عطف في قوله :

« فما تحلُّ على قوم فترتحل^(٢) » .

فلهذا كان غريباً . غير أنَّ وجهه عندى أن يكون قوله فتجزع صفةً لقوله مرحومة أو صغيرة ، ويكون معطوفاً على جملة قوله : « لم تدر ما جزعُ عليك » ، لأنَّ هذه الجملة صفة لقوله صغيرة أو مرحومة ، فكأنَّه قال : فلقد تركتِ صغيرةً جاهلةً بالجزع فجازعةً مع ذلك . فلما وقع تجزع موقع الاسم ارتفع فجرى مجرى قولك : مررت برجل من أهل العلم ويُقرئُ الناس . فتعطف يقرئُ على من أهل العلم ، حتَّى كأنَّكَ قلت : عالم ومقرئُ . وإن شئت جعلت الفاء زائدة في جميع ذلك فكان . فلا أمٌ تبكيه ولا أخت تفقده^(٣) . و : فما تحلُّ على قوم تترحل ، [أى]^(٤)

(١) ش : « طريق » ، صوابه في ط وإعراب الحماسة . وأسلب ، من السلب وهو الخفيف السريع .

(٢) لأب تمام في ديوانه ٢٢٩ من قصيدة في مدح المعتصم ويمتاز بمدحته فيه . والبيت بتمامه مع ما قبله :

لقد لبست أمير المؤمنين بها حلياً نظاماً بيت سار أو مشعل
غريبة تونس الآداب وحشها فاحمل على قوم فترتحل
(٣) إشارة إلى بيت سابق في الحماسة ٨٩٨ بشرح المرزوقي ، تعرض له ابن جني في إعراب الحماسة الورقة ١٣١ . ونصه :

فلا أم فتبكيه ولا أخت فتفتقه
(٤) التكلة من ش وإعراب الحماسة .

٦٠٥ معتقده للارتحال ، ولم يكن بيننا شرٌ نصطلح من أجله ^(١) ، ولم تدر ما جزعٌ عليكِ جازعة ، أى تركت صبية جازعةً وإن لم تعرف الجزع ، أى صورتها صورة الجازعة .

فإن قلت : فهل هناك أمٌ غير باكية ، أو أخت غير مفتقدة ؟ قيل : ليس نفيُ الشيء عندنا إثباتاً لصدّه . ألا ترى لو قلت ^(٢) : إن زيدا لم يُعزني ^(٣) لم يكن في هذا دليل على أنه قد أهانك .

وقال أبو الحسن في قوله تعالى : ﴿ يا ليتنا نُردُّ ولا نكذبَ بآياتِ ربِّنا ونكونَ من المؤمنين ﴾ ^(٤) قال : هو في اللفظ معطوفٌ وفي المعنى جواب ، قال : وذلك أنهم إذا تمنّوا ^(٥) الردَّ ولم يتمنّوا ترك التكذيب ولا الإيمان ، بل أوجبوه ^(٦) على أنفسهم عند الردَّ ، فكان يجب النصب ، أى إن رُدِّدنا آمناً ولم نكذب . قال : ولكنّه جرى في اللفظ معطوفاً ، والمعنى معنى الجواب . وشبهه في الحمل على اللفظ والمعنى مخالف لقراءة من قرأ : ﴿ وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم ﴾ ^(٧) بالجر ، فهذا يقتضى مسح الرجلين .

(١) هذا إشارة إلى بيت أنشده ابن جني في إعراب الحماسة الورقة ١٣٢ وهو للبحر في ديوانه ١١٦ من قصيدة يمدح بها الحسن بن مخلد . ونصه :

يرى كاتبه صلحى لينقصنى ولم يكن بيننا شر فنصطلح

(٢) في إعراب الحماسة لابن جني : « ألا تراك إذا قلت » .

(٣) في إعراب الحماسة : « لم يكرمنى » .

(٤) الآية ٢٧ من سورة الأنعام .

(٥) في إعراب الحماسة : « لما تمنّوا » .

(٦) إعراب الحماسة : « بل أوجبوها » .

(٧) الآية ٦ من سورة المائدة . وهى قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحزرة وأبي بكر وأنس وعكرمة والشعبي والباقر وقتادة وعلمة والضحاك . وقرأ الحسن : « وأرجلكم » بالرفع . تفسير أبي حيان ٣ : ٤٣٧ - ٨٣٤ وإتحاف فضلاء البشر ١٩٨ . وفي النسختين : « فامسحوا » بالفاء ، وهو تحريف قرأتى .

وإنَّما المفروض فيهما الغَسْلُ^(١) ولكنه جرى في اللفظ على الجرّ ، والمعنى معنى النصب . وهذا لعمري متوجّه في قوله :

* فما تحلُّ على قومٍ فترتحلُّ *

لأنَّ هناك مرفوعاً قبله . فأما قوله :

* لم تدر ما جزعٌ عليكٍ فتجزع *

فليس في قوله قبله مرفوع فيعطف عليه . وقد يجوز أن يكون أراد فهي تبكيه وهي تفتقده^(٢) على أنَّه وضع الجملة المركبة من المبتدأ والخبر موضع الفعل المنصوب على الجواب . ومثله قوله تعالى : ﴿ هل لكم ممّا ملكتُ أيّمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء ﴾^(٣) [أى]^(٤) فتستووا . ومثله : ﴿ أعنده علمُ الغيب فهو يرى ﴾^(٥) أى فيرى . فاعرف تفصيل ذلك .

هذا كلام ابن جنى .

وأورده (في المحتسب) أيضاً عند قراءة الحسن ويزيد النخوى : ﴿ ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً ﴾^(٦) بالرفع ، قال رَوْح^(٧) : لم

(١) ط : « المسح » ، صوابه في ش وإعراب الحماسة .

(٢) ط : « تفتقده » ش : « مفتقدة » ، صوابهما في إعراب الحماسة .

(٣) الآية ٢٨ من سورة الروم .

(٤) التكلة من إعراب الحماسة .

(٥) الآية ٣٥ من سورة النجم .

(٦) الآية ٧٣ من النساء .

(٧) هو روح بن عبد المؤمن البصرى النخوى ، مقررٌ جليل ثقة ضابط مشهور ، روى عنه البخارى في صحيحه . توفى سنة أربع أو خمس وثلاثين مائة . طبقات ابن الجزرى برقم ١٢٧٣ .

يجعل لِلَيْتَ ^(١) جواباً . (أقول) : محصولة ^(٢) أنّه يتمنى الفوز ، فكأنّه قال : ياليتني أفوز فوزاً عظيماً . ولو جعله جواباً لَنَصَبِهِ ، أى إنَّ أكن معهم أفز . هذا إذا صرّحت بالشرط ، إلّا أنّ الفاء إذا دخلت جواباً للتمنّى نصب الفعل بعدها بإضمار أن ، وعطف أفوز على كنت معهم لأنّهما جميعاً متمنّيان ، إلّا أنّه عطف جملة على جملة ، لا الفعل على انفراده على الفعل ، إذ كان الأوّل ماضياً والثاني مستقبلاً . وعليه قول الآخر :

* لم تدرِ ما جزعُ عليك فتجزعُ *

والقوافي مرفوعة ، أى هى تجزع . ولو كان جواباً لقال فتجزعاً . وقد ذكرنا هذا ونحوه (فى كتابنا تفسير مشكل أبيات الحماسة) . انتهى .

والبيت لم يعرفه شراح مُغْنِي اللبيب ، وهو من أبياتٍ أوردها صاحب الشاهد . أبو تمام (فى باب المراثى من الحماسة) لمُوَيْلِكَ المزموم ، فى امرأته أمّ العلاء . وأوردها الأعلام الشنتمرى أيضاً فى حماسته ، وهى :

أمرُّ على الجدث الذى حلَّتْ به	أمّ العلاء فنادها لو تسمعُ	أبيات الشاهد
أننى حللتِ وكنتِ جدُّ فروقةٍ	بلداً يمرُّ به الشجاع فيفزعُ	
صَلَّى عليك اللهُ من مفقودةٍ	إذ لا يلائمُك المكانُ البلقعُ	
فلقد تركتِ صغيرةً مرحومةً البيت	
فقدتِ شائِلَ من لزامِكِ حُلوةٍ	فتبيتُ تسهرُ ليلها وتَفجّعُ	
فإذا سمعتُ أنينها فى ليلها	طَفِقْتُ عليكِ شئونُ عيني تَدْمَعُ	

(١) ط : « لليت » ، صوابه فى المحتسب وش مع أثر تصحيح .

(٢) فى المحتسب : « قال أبو الفتح : محصول ذلك كله » .

وزاد الأَعلَم بعد هذا ستّة أبيات آخر .

وقوله : « امرر على الجَدَث » إلخ . هو بفتح الجيم : القبر . وروى « فحيّها » بدل « فناديها » . و « هل » بدل « لو » .

قال الطَّبْرَسِيُّ^(١) (في شرحه) : يقول : امرر على القبر الذي دُفنت فيه وسلّم عليها إن كانت تسمع . وهذا توجّع وتلهّف . وروى : « هل تسمع » . والفرق أنّ لو فائدته الشرط ، وهل من حيث كان استفهاماً كلام راجع لسماعها ، فكأنّه قال : وانظر هل تسمع .

وقوله : « أنّى حللت » إلخ : قال ابن جنّى : الهاء في فروقة مع المؤنث مثلها مع المذكر ، لا فرق بينهما في الحال . وإنّ المراد فيهما معنى الغاية والمبالغة . وكذلك رجلٌ راوية وامرأة راوية ، وكذا علامة ونسابة ، لم تدخل هذه الهاء على المؤنث ، لأنّها لو كانت كذلك لما لحقت المذكر . وهذا قاطع . انتهى .

وقوله : « جدّ فروقة » أى كنت فروقة جدّاً لا هزلاً ، وحقّاً لا باطلاً . والبلدة : القطعة من الأرض . يقول : كيف أقمت في بلد قفر إذا مرّ به الرّجلُ الشجاع استولى عليه الفزع ، وعهدى بك أنّك كنت أشدّ الناس خوفاً وأضعفهم قلباً .

وقوله : « صلى عليك الله » إلخ . الصلّاة من الله الرحمة ، ومن العبد الدّعاء . ولا يلائمك : لا يوافقك . والبلقع : الخالى . ومن مفقودة : تمييز

(١) في النسختين : « الطبرسى » ، تحريف . وهو أمين الدين أبو على الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسى ، مفسر لغوى من أعيان الشيعة الإمامية . من أشهر كتبه مجمع البيان لعلوم القرآن ، ومختصر الكشاف . توفي سنة ٥٤٨ . إنباه الرواة ٣ : ٦ ، ٧ وروضات الجنات ٥١٢ - ٥١٤ . وأعيان الشيعة ٤٢ : ٢٧٦ - ٢٨٢ ومعجم المؤلفين ٨ : ٦٦ . وقد طبع كتابه مجمع البيان في صيدا بمنأى محسن الحسينى العالمى .

وقوله : (فلقد تركت صغيرة) إلخ. قد تقدّم أنّ ابن جني جوز وجهين : أن يكون فتجزع صفة لصغيرة ، وأن يكون استثناءً . واختار المرزوقي الاستثناء وقال : أراد أنّها من صغرها لا تعرف المصيبة ولا الجزع لها ، فهي على حالها تجزع ، لأنّ ما تأتيه من الضجر والبكاء وتتركه من النوم والقرار فعل الجازعين .

وقوله : « فقدت شائل » إلخ ، جمع الشّال بالكسر ، وهي الطبيعة . يقول : كانت قد اعتادت منك أخلاقاً جميلة ففقدتها ، بقيت لاتنام ولا تنيم^(١) بل تفجع وتوجع ، فإذا سمعت شكواها وبكاءها أقبلت شئون رأسي تسح بالبكاء ولها عليك . وطفقت : شرعت . والشئون : جمع شأن ، وهو الشعب الذي يجمع بين القبيلتين من قبائل الرأس ، وهي القطعة المشعوب بعضها إلى بعض . ويقال إنّ الدمع يجري من الشّان .

ومؤيلك : مصغر مالك . والمزوم : اسم مفعول من زمت الناقة ، مؤيلك المزوم أي وضعت عليها الزمام .

والظاهر أنّه شاعر إسلامي . ولم أقف على نسبه حتّى أكشف عنه (في الجمهرة) ، ولا على ترجمته . والله أعلم .

* * *

(١) ش : « ولا تقيم » ، صوابه في ط . وهو مثل معروف أورده المفضل وسلمة في الفاخر ٤٢ والمسكرى في الجمهرة : ٤١٨ . وأنشد في اللسان (نوم) لخنساء . :

كما من هاشم أقررت عيني وكانت لا تنام ولا تنيم
وأورده المفضل أيضاً في الفاخر ٢٠٢ ، وكذا الميداني في ١ : ٣١٠ بلفظ : « السليم لا ينام ولا ينيم » . والسليم هنا : الملدوغ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والستون بعد الستائة وهو من شواهد س^(١) :

٦٦٥ (غير أَنَا لم يَأْتِنَا بَيِّقِينَ فَنرْجِي وَنَكْثُرُ التَّأْمِيلَا)

على أَن ما بعد الفاء هنا على القطع والاستثناف ، أى فنحن نرْجِي .

قال سيبويه عند توجيهه النصب فى : ما^(٢) تَأْتِنَا فتحدَّثْنَا : وإن شئت رفعت على وجه آخر ، كَأَنَّكَ قلت : فَأَنْتَ تحدَّثْنَا . ومثل ذلك قول بعض الحارثيين :

غير أَنَا لم تَأْتِنَا بَيِّقِينَ البيت

كَأَنَّهُ قال : فنحن نرْجِي . فهذا فى موضع مبنى على المبتدأ . انتهى .

فالإتيان منى وحده ، والرجاء مثبت ، وهو المراد . ولا يجوز نصب نرْجِي ، لَأَنَّهُ يقتضى نفية إمَّا مع نفي الإتيان وإمَّا مع إثباته ، كما هو مقتضى النصب ، وكلاهما عكسُ المراد .

ويدلُّ لهذا قول أبى على (فى التذكرة) : هو بالرفع ، وكذلك الصَّواب ، لَأَنَّهُمْ إِنَّمَا رَجَوْا وَأَمَلُوا مَالِمْ يَأْتُهُمْ بَيِّقِينَ ؛ ولو أَتَاهُمْ بَيِّقِينَ لَالَ إِلَى التَّرجِي والتَّطْهِيلِ بَيِّقِينَهُ .

ومثله لابن هشام (فى المغنى) قال : المعنى أَنَّهُ لم يَأْتِ بِالْيَقِينِ فنحن نرجو خلافَ ما أَتَى به ، لانتفاء اليقين عما أَتَى به . ولو جَزَمَهُ

٦٠٧

(١) فى كتابه ١ : ٤١٩ . وانظر ابن يعيش ٧ : ٣٦ والمقرب لابن عصفور ١ : ١٦٥ والمغنى ٤٨٠ وشرح شواهد السيوطى ٢٩٥ والتصریح ٢ : ٢٠٤ .
(٢) كتبت فى النسختين : « فَمَا » ، والوجه ما أثبت .

أو نصبه لفسد معناه ، لأنّه يصير منتفياً على حدّته كالأوّل إذا جزم ،
ومنفياً على الجمع إذا نصب . وإنّما المراد إثباته . انتهى .

وقوله : « ومنفياً على الجمع إذا نُصب » أراد بالجمع نفي الإتيان
والرجاء كليهما . ولم يذكر الشقّ الثاني من النصب ، لأنّه لم يتصور
نفي الرجاء مع ثبوت الإتيان بيقين . ومنه يظهر لك فساد تجويز الأعم
نصبه بمرتبتين ، وقوله : ولو أمكنه النصبُ على الجواب لكان أحسن .

وتبعه ابن يعيش (في شرح المفصل) ولم يتنبّه لفساده .

ومقتضى كلام أبي عليّ وابن هشام أنّ قوله « لم يأتنا » بالمشاة
التحتيّة لا الفوقية ، فيكون فاعله مستتراً فيه . والمشهور بالفوقية على
الخطاب .

ومشى على الأوّل شارحُ شواهد المفصل أيضاً فقال : المعنى أأتانا آت
بخبر إخوتنا ، غير أنّا أيّ لكنا لم يأتنا الآتي بخبر يقين يوجب اليأس ،
فنحن نرجى خلاف ما آتى به ، لانتفاء اليقين عما آتى به ، فنكثر
التأمّل لخلاف خبره ، ونقول : لعلّه يكون كذباً . ولا يجوز في قوله
فترجّى إلّا الرفع . اهـ .

وكون اليقين هو خبر الإخوة إنّما هو حدس وتخمين ؛ فإنّ البيت
من أبيات سيبويه الخمسين التي ما عرف قائلها ولا تتمّها . والله أعلم به .

فيقين صفةٌ موصوف محذوف ، أيّ بخبر يقين . ونكثر بالرفع
عطفٌ على نُرجّى . و (التأمّل) : مصدر أمّلته ، إذا رجوته .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والستون بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه ^(١) :

٦٦٦ (وما قامَ مِنَّا قائِمٌ في نديِّنا فينطقُ إلَّا بالتي هيَ أعرفُ)
على أنَّ النفي بالمعنى الثانى ، وهو أنَّ يرجعَ النفي لما بعد الفاء ، كثيرُ الاستعمال كما فى البيت ؛ فإنَّ النفي منصبٌ على ينطق فى المعنى ، و (قام) مثبتٌ فى تأويل المستقبل ، لمناسبة المعطوف . ولهذا قال الشارح المحقق : أى يقومُ ولا يقومُ إلَّا بالتي هيَ أعرف . وإنَّما جعل النفي هنا بالمعنى الثانى لأجل الاستثناء ، فإنَّ الاستثناء المفرغ لا يكون إلَّا مع النفي ، فلما اعتبر فى ينطق صَحَّ التفرغ .

وجوزَ صاحب اللباب أنَّ يكون النفي فى البيت على ظاهره من القسم الأول . قال فى باب الاستثناء : والمفرغ لا يكون إلَّا فى الإثبات . إلى أن قال : ويجوز فيما هو جوابُ النفي . وأنشد هذا البيت .

قال الفالى فى (شرحه) : لا يقال ينبغى أن لا يجوز ، لأنَّ قولك فينطق مثبت ، ولا يصحُّ المفرغ فى مثبت ، لأنَّ قوله فينطق بالنصب بأنَّ مضمرة ، والتقدير فأن ينطق ، وهذا المصدر معطوفٌ على مصدر منتزع من الأول وهو قام ، أى ما يكون قيام فنطق . فحكم النفي منسحبٌ على القيام والنطق . فالنطق فى المعنى منى فيصحُّ الاستثناء المفرغ فيه . ونظيره : ما تأتينا فتحدثنا ، بالنصب ، أى ما يكون منك إتيان فتحدثت على نفي المركب ، أى ما يكون منك إتيان كثير ولا تحديث عقيبهِ . هـ .

(١) سيبويه ١ : ٤٢٠ . وانظر الأصول لابن السراج ٢ : ١٩٢ والعينى ٤ : ٣٩٠ والأشعرونى ٣ : ٣٠٤ ، ٣٠٥ وديوان الفرزدق ٥٦١ .

وهذا نصٌ سبويه في باب الفاء ، قال : وتقول ما أتيتنا فتحدثنا ، والنصبُ فيه كالنصب في الأوّل ، وإن شئت رفعتَ على معنى فأنّت تحدثنا الساعة . والرفع فيه يجوز على ما . وإنّما اختير النصب لأنّ لوجه ههنا وحدّ الكلام أن تقول : ما أتيتنا ^(١) فحدثتنا ، فلمّا صرفوه عن هذا الحدّ ضعُفَ أن يضمُّوا يفعل إلى فعلتَ ، فحملوه على الاسم ، كما لم يجرُ أن يضمُّوا إلى الاسم في قولهم : ما أنت منّا فتنصرنا يعنى أنت ونحوه . وأمّا الذين رفعوه فحملوه على موضع أتيتنا ، لأنّ أتيتنا ^(٢) في موضع فعل مرفوع ، وتحدثنا ههنا في موضع حدثتنا . وتقول : ما تأتينا فتكلّم إلاّ بالجميل . فالمعنى إنك لم تأتينا إلاّ تكلمت بجميل . ونصبه على إضمار أن كما كان نصبُ ما قبله على إضمار أن . وإن شئت رفعتَ على الشّرْكة ، كأنه قال : وما تكلم إلاّ بالجميل . ومثّل النصب قولُ الفرزدق :

وما قام منّا قائمٌ في ندينا فينطق إلاّ بالتي هي أعرفُ

وتقول : لا تأتينا فتحدثنا إلاّ ازددنا فيك رغبة ، فالنصب ههنا كالنصب في ما تأتيني فتحدثني ، إذا أردتَ معنى ما تأتيني محدثاً ، وإنّما أراد معنى ما أتيتني محدثاً إلاّ ازددتُ فيك رغبة . ومثّل ذلك قول اللّعين :

وما حلّ سعدىً غريباً ببلدة فينسب إلاّ الزُّبرقان له أب ^(٣)

وتقول : لا يسعني شيءٌ فيعجزَ عنك ، أى لا يسعني شيءٌ فيكون

(١) الكلام بعده إلى « أتيتنا » التالية ساقط من ش .

(٢) هنا ينهى سقط ش الذي أشرت إليه قريباً .

(٣) هو الشاهد ١٩٤ ، في المزاينة ٣ : ٢٠٦ هارون .

عاجزاً عنك ، ولا يسعني شيءٌ إلاّ لم يعجز عنك . هذا معنى الكلام .
فإن حملته على الأوّل قُبِحَ المعنى ، لأنّك لا تريد أن تقول إنّ الأشياء
لا تسعني ولا تعجز عنك . فهذا لا ينويه أحد . انتهى كلام سيويه .

ومنه تعرف وجه جعل الشارح المحقّق هذا المثال من النفي بالمعنى
الثاني ، وأن الرواية ينصب فينطق .

قال الأعلام : الشاهد في نصب ما بعد الفاء على الجواب مع دخول
إلاّ بعده للإيجاب ، لأنّها عرّضت بعد اتّصال الجواب بالنفي . ونصبه
على ما يجب له ، فلم يغيّره . والندى : المجلس ، أى إذا نطق منّا
ناطق في مجلس جماعة عُرِف صوابُ قوله فلم تُردّ مقالته . انتهى .

ومثله لابن السّراج ، قال (في الأصول) : وتقول ما قام زيدٌ
فيحسّن إلاّ حُمِد ، وما قام زيد فيأكل إلاّ طعامه بالنصب . قال الشاعر :
* وما قام منّا قائمٌ في نديّنا *

ويجوز رفع (فينطق) كما جاز في : ما^(١) أتينا فتكلّم إلاّ بالجميل ،
فتكون الفاء للعطف .

وبه استشهد ابن الناظم والمرادى (في شرح الألفيّة) . قال العيني :
الشاهد فيه رفع ينطق لأنّ من شرط النصب بعد النفي أن يكون النفي
خالصاً ، وههنا ليس كذلك . انتهى .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة طويلة للفرزدق ، يفتخر بها على جرير ، وعدّها
مائة بيت وخمسة عشر بيتاً ، تقدّم منها بيتان ، أحدهما في باب النعت وهو :

(١) في النسختين : « فيا » ، ووجه كتابته ما أثبت .

فأصبح في حيثُ التقينا شريدهم البيت^(١)

وثانيهما في باب العطف ، وهو :

وعضُ زمانٍ يا ابنَ مروانَ لم يدعُ . . . البيت^(٢)
وهي قصيدة جيدة من غرر قصائده .

* * *

وأنشد بعده :

(وما حلَّ سعدىً غريباً ببلدة فيُنسبَ إلاّ الزبرقان له أبُ)
لما تقدّم قبله ، أى يحلُّ ولا ينسب .

والكلام فيه كما تقدّم قبله . قال الأعلم : الشاهد فيه نصب ما بعد
الفاء على الجواب . والرفع جائز ، والقول فيه كالقول في الذي قبله .
يقول : الزبرقان سيّدُ قومه وأشهرهم ، فإذا تغرّب رجلٌ من سعد وهم
٦٠٩ رهط الزبرقان فسئل عن نسبه انتسب إليه لشرفه وشهرته . انتهى .

وقد تقدّم الكلام على هذا البيت مفصّلاً في الشاهد الرابع والتسعين
بعد المائة من باب الحال^(٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستون بعد السّمائة ، وهو
من شواهد س^(٤) :

(١) تمامه في الخزانة ٥ : ٣٦ ، وهو الشاهد ٣٣٩ :

* طليق ومكتوف اليدين ومرهف *

(٢) تمامه في الخزانة ٥ : ١٤٤ ، وهو الشاهد ٣٥٧ :

* من المال إلا مسحاً أو مجلف *

(٣) الخزانة ٣ : ٢٠٦ - ٢٠٩ .

(٤) في كتابه ١ : ٤٢٧ . وانظر المقتضب ٢ : ٢٨ والمجلد ١٩٧ والخصائص

١ : ٢٣٦ وابن بيميش ٧ : ٢٢ ، ٢٣ والأشعري ٣ : ٢٩٥ وديوان امرئ القيس ٦٦ .

٦٦٧

(نُحَاوِلُ مُلْكًا أَوْ نَمُوتُ)

وهو قطعة من بيت ، وهو :

(فقلتُ له لا تبكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا نُحَاوِلُ مُلْكًا أَوْ نَمُوتُ فَنُعْذِرَا)

على أَنَّ سيبويه جوّز الرفع في قوله (نموت) إمّا بالعطف على نحاول ،
أو على القطع ، أى نحن نموت .وهذا نصُّ سيبويه : واعلم أَنَّ معنى ما انتصب بعد (أو) على
إِلَّا أَنْ ، كما كان معنى ما انتصب بعد الفاء . تقول : لَأَلْزِمَنَّكَ أَوْ
تَقْضِيَنِي حَقِّي ، وَلَأَضْرِبَنَّكَ أَوْ تَسْبِقَنِي . فالمعنى لَأَلْزِمَنَّكَ إِلَّا أَنْ تَقْضِيَنِي ،
وَلَأَضْرِبَنَّكَ إِلَّا أَنْ تَسْبِقَنِي . هذا معنى النصب . قال امرؤ القيس :

فقلتُ له لا تبكِ عينك البيت

والقوافي منصوبة ، فالتمثيل على ما ذكرت لك ، والمعنى على إِلَّا أَنْ
نَمُوتَ فَنُعْذِرَا . ولو رفعتَ لكانَ عربيًّا جيدًا^(١) على وجهين : على أَنْ
تشرك بين الأوّل والآخِر ، وعلى أَنْ يكون مبتدأً مقطوعاً من الأوّل ،
يعنى أَوْ نحن ممّن يموت . وقال تعالى : ﴿ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ
شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾^(٢) ، إِنَّ شئتَ كانَ على الإِشْرَاقِ ، وَإِنْ شئتَ
كانَ على : أَوْ وَهُمْ يَسْلِمُونَ . انتهى كلامه .وقال صاحب التكميل : ويحتمل أَنْ يكون أَوْ هنا للغاية ، أى نحاول
الملك إلى أَنْ نموت . وأمّا نصب قوله فَنُعْذِرَا فبالعطف على نموت على

(١) في كتاب سيبويه : « جائزاً » .

(٢) الآية ١٦ من سورة الفتح .

رواية النصب ، وأما على رواية الرفع فحنق . ولهذا حذفه الشارح المحقق من المصراع .

ووجه نصبه الكرمانى (فى شرح أبيات الموشح) بأنّ الفاء للسببية ، وبعدها أن مضمرة فى جواب الننى الضمنى ، بتأويل « نموت » بلا نبقى . فتأمل .

و (نعدرا) بالبناء للمفعول ، وروى « نُعذر » من أعذر الرجل إذا أتى بعذر .

وقال ابن السيد (فى شرح أبيات الجمل) : وروى : فنَعذر ، بكسر الذال ، أى نبليغ العذر .

والبيت من قصيدة لامرئ القيس مشتملة على جمل من يواقيت صاحب الشاهد الفصاحة ، وجواهر البلاغة ، قالها لما دخل بلاد الروم مستجيراً بقيصر ، لأنّ أباه كان قد وليّ بنى أسد فظلمهم ، فتعاونوا على قتله ، كما تقدّم فى ترجمته ، فخرج امرؤ القيس إلى قيصر يستمده .

قال أبو القاسم السّعدى (فى كتاب مساوى الخمر) : وممن بلغ به إفشاء سرّه حتفه امرؤ القيس بن حُجر الكِنْدَى . وذلك أنّ المنذر بن ماء السماء عهد ما ملك على الحيرة عندما ولّاه أنو شروان ذلك بعدمقتل حجر ، وزوال ملك بنى آكل المُرار ، أرسل جيشاً من بكر وتغلب فى طلب بنى آكل المُرار ، فجىء إليه منهم بستة عشر رجلاً ، فضرب أعناقهم فى بيوت بنى مَرِينا . وفى ذلك يقول امرؤ القيس :

أَلَا يَا عَيْنَ بَغَى لى شَنِينَا وَبَغَى لى المُلُوكَ الذَّاهِبِينَا^(١)

(١) فى التسخين : « شبيهاً » ، صوابه من الديوان ٢٠٠ . وفى شرحه : « وهو فعيل من الشن ، وهو الصب » .

ملوكاً من بني حُجر بن عمرو يُساقُونَ العشيَّةَ يُقتَلونَا
فلو في يومٍ معركة أُصِيبُوا ولكنَّ في بيوت بني مَرِينَا

٦١٠

وفي ذلك أيضاً يقول عمرو بن كلثوم في معلقته :

فآبُوا بالنَّهَابِ مع السَّبَايَا وَأَبْنَاءَ الْمُلُوكِ مَصْفَدِينَا^(١)

فهرب منه امرؤ القيس ، قيل : كان معهم فأقلتَ ، وقيل سمع
بخبيرهم فذهبَ على وجهه يستجيرُ بالعرب ، فبعضُ يقبلُه وبعضُ
يردُّه . فخرج إلى الحارث بن أبي شَمِر الغَسَّانِي : المعروف بابن ماريَّة ،
وحالُ الحارثِ يومئذٍ بالشَّامِ كحال المنذر بن ماء السماء بالعراق ، فسأله
الجوارَ والنُّصرة ، وتوسَّلَ إليه بالخُتْلَة . وذلك أنَّ ماريَّةَ ذات القُرطين
اللذين يَضْرِبُ العربُ بهما المثلَ هي أختُ هندٍ امرأةِ حُجرٍ والدِ امرئِ
القيس . فأكرمه ، وسأله النُّصرة على المنذر فاعتذر إليه ، وقال له :
إنِّي لست أقدر على المسير إلى العراق في هذا الوقت ، ولكنِّي أَسِيرُ معك
إلى الملك قيصر فهو أقوى منِّي على ما سألت . وكانت للحارث وفادةٌ
على الملك ، فأوفده معه . وهذا قبل أن يغزو المنذرُ بنُ ماء السماء إلى
الحارث بن أبي شَمِر وقبل أن يقتله .

وقيل إنَّ سبب ما هيجَّ ما بين المنذر والحارث هذا الحربُ^(٢) إنَّما
هو إجارة الحارث لامرئِ القيس ، فتوجَّه معه امرؤ القيس إلى بلد
الرُّوم . وفي ذلك قال هذه القصيدة ، ذكر فيها استجارته وخلوصه إلى
التوجُّه إلى بلد الروم :

(١) هذه الرواية الفريية اتفقت فيها النسختان ، ولم أجدها في روايات المعلقات عند كل
من ابن الأنباري ، وابن النحاس ، والزوزني ، والتبريزي ، وكذلك جمهرة أشعار العرب
والرواية المعروفة : « وأبنا بالملوك مصفدينا » .

(٢) الحرب تذكر وتؤنث . ووردت في النسختين مذكرة . وفي ش : « هكذا بخط المؤلف » .

سَمَا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَمَا كَانَ أَقْصَرَا وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ ظُبِيٍّ فَعَرَعَرَا^(١)
 فَدَعَّهَا وَسَلَّ الْهَمُّ عَنْهَا بَجَسْرَةً ذَمُولٌ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَهَجَّرَا^(٢)
 عَلَيْهَا فَتَى لَمْ تَحْمِلِ الْأَرْضُ مِثْلَهُ أَبَرُّ بِمِشَاقٍ وَأَوْفَى وَأَصْبَرَا
 إِذَا قُلْتُ هَذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيَتْهُ وَقَرَّتْ بِهِ الْعَيْنَانِ بُدِّلَتْ آخِرَا
 كَذَلِكَ جَدِّي لَا أَصَاحِبُ صَاحِبًا مِنْ النَّاسِ إِلَّا خَانِي وَتَغَيَّرَا
 تَذَكَّرْتُ أَهْلِي الصَّالِحِينَ وَقَدْ أَتَتْ عَلَى جَمَلٍ بَنَى الرِّكَابَ وَأَعْفَرَا^(٣)
 وَلَمَّا بَدَتْ حَوَارُنُ وَالْآلُ دُونَهَا نَظَرْتُ فَلَمْ تَنْظُرْ بَعَيْنِيكَ مَنْظَرَا^(٤)
 تَقْطَعُ أَسْبَابُ اللَّبَانَاتِ وَالْهَوَى عَشِيَّةَ جَاوَزْنَا حِمَاةَ وَشَيْرَا
 بِكِي صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرَبَ دُونَهُ وَأَيَّقَنَ أَنَّنَا لَاحِقَانِ بِقَيْصَرَا
 فَقُلْتُ لَهُ : لَا تَبِكْ عَيْنُكَ إِنَّمَا نُحَاوِلُ مُلْكًا أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرَا

(١) في ديوانه ٥٦ : « بطن قو » . وبين هذا البيت وتاليه في الديوان ٢٣ بيتاً .

(٢) في الديوان ٦٣ : « فدع ذا » . وبين هذا البيت وتاليه في الديوان خمسة أبيات . وهكذا نجد الأبيات هنا مختزلة من قصيدة الديوان ، مع الخلاف في الرواية والترتيب أيضاً .

(٣) في الديوان ٦١ : « على خلى خوص الركاب وأوجرا » . وفي الشرح : « حلى وأوجر : موضعان قبل الشام » . ولم يرسم ياقوت لهذين الموضعين ، لكن ذكرهما البكري في رسم (أعفر) استطراداً ، كما أفرد رسماً خاصاً للموضع (أوجر) وقال : « موضع بأرض بلقين من الشام قد تقدم ذكره في رسم أعفر » . وكلاهما لم يرسم لحمل ، وانفرد البكري في (أعفر) بذكر (حلى) قال : « وروى الأصمعي :

* على خلى خوص الركاب فأوجرا *

بالهاء المعجمة على وزن فعلى » .

أما رواية « جل » بالجم المعجمة فقد ذكرها ياقوت في رسم (جل) عرضاً ، إذ قال : « العمراني : جل بالشام في شعر امرئ القيس . ورواه السكري عن الكلبي بالجم » . كما ذكر البكري « جل » بالحاء المهملة في رسم (أعفر) عرضاً ولم يفردها برسم ، وسكت عن رواية « جل » بالجم .

(٤) أي لم أر شيئاً أسر به ، فكأن كل ما أراه غير مرئي ، لحقارته وقبحه في عيني .

وبعد هذا سبعة أبيات في وصف فرسه وفي بعض ما مرَّ له في بعض المنازل .

وصاحبُه الذي بكى هو عمرو بن قميئة الضُّبَعِي الشاعر المشهور ، وقد تقدَّمت ترجمته في الشاهد السابع عشر بعد الثلاثمائة^(١) . كان صاحب امرأ القيس لماً مر ببيكر بن وائل يطلبُ منهم النصرة ، فسألهم عن شاعرٍ محسن فيهم ، فأتوه به وقد أَسْنَّ ، فاستنشدَه فأعجبه ، ثم شكَا إليه حاله فقال له : اصحبني . فصحبَه وكان معه حتَّى سلك الطريق إلى بلد الروم ، فلماً توسَّط الدَّربَ بكى عمرو بن قميئة وقال : غرَّرت بنا .

- والدَّرب : كلُّ مدخلٍ إلى الروم ، أو النافذ منه ، وباب السكة الواسع ، والباب الأكبر . كذا في القاموس -

ثم إنَّ عمرًا مات في الطَّرِيق فكان يسمَّى عمرًا الضائع . فلماً وصل امرؤ القيس إلى بلد الروم أمرَ ملكُ الروم بإدخاله عليه ، وكان لا يدخل على قيصرٍ أحدٌ إلَّا سجدَ له . فقبل له إنَّ امرأ القيس لا يسجدُ لك . وكان لقيصر بابان أحدهما صغير والآخر كبير ، فقال أدخلوه من الباب الصغير ليضع رأسه لي . فلماً رأى امرؤ القيس صِغرَ الباب ولَّى ظهره فدخل مؤلفاً حتَّى قام بين يديه . قالوا : فنظر إليه قيصر فأعجبه ، وكان وسيماً جميلاً ، وأعلمه أَنَّهُ جاءه يستمدُّه على العرب . فرحَّب به وألطفه وقال له : أيُّما أحبُّ إليك : ستمائة من أولاد الملوك أو ستَّة آلاف من الجند ؟ فاخترار ستمائة من أبناء الملوك . وخَفَّ على قلب قيصر حتَّى ناداه ، ففي ذلك يقول :

ونادمتُ قيصرَ في مُلكه فأوجهنى ورَكِبتُ البريدا^(١)
إذا ما ازدحمتنا على سَكَّةٍ سَبَقْتُ الفُرانقَ سَبْقاً بعيداً

— والفُرانق بضم الفاء وكسر النون : الذى يدلُّ صاحبَ البريد على الطريق . والبريد : دابةُ الرسولِ المستعجلِ —

ثم إنَّ امرأَ القيسِ لطفَ محلّه من قيصر ، فأدخله الحمامَ معه ،
فرأى غُلْفَةَ قيصر فقال :

لقد حلفتُ يميناً غيرَ كاذبةٍ إِنَّكَ أَغْلَفُ إِلَّا ما جَنَى القمرُ^(٢)
— وخِتانة القمرِ مثلُ تضربُهُ العربُ للأغلف ، لأنَّ القمرَ لا يَخْتِن
أحدًا —

وفى مدّة منادمته لقيصر رأته ابنةُ قيصر فعشّقته وراسلته ، وصار
إليها ، وفيها يقول من قصيدة :

سموتُ إليها بعد ما نامَ أهلُها سُمُو حَبَابِ الماءِ حالاً على حالِ^(٣)
فقالَتْ سَباكَ اللهُ إِنَّكَ فاضِحِي أَلستَ تَرى السُّمَارَ والنَّاسَ أحوالى
فقلتُ لها باللهِ أبرحُ قاعداً ولو قطعُوا رأسى لَدَيْكَ وأوصالى

وسياتى شرح هذا إن شاء الله فى حروف القسم وغيرها .

قالوا : ولم يزل يصير إليها ، ثم أَخْبَرَ بذلك أصحابه ، وفيهم
الطَّمّاح بن قيسِ الأُسدي ، فقال له : اثتنا بأَمارةٍ . فأتاه بقارورة من

(١) ديوان امرئ القيس ٢٥٢ . أوجهه : جعل له وجهاً عند الناس فكان وجيهاً .

(٢) البيت مع قرين له فى الديوان ٢٨٠ .

(٣) الديوان ٣١ - ٣٢ .

طبيب الملك ، وذلك كان عند سُكره . وكان أبو امرئ القيس قد قَتَلَ قيساً أبا الطَّمَاح أيام أوقع ببني أسد ، فتحيل الطَّمَاح حتَّى أَخَذَهَا فَأَنفَذَهَا إِلَى قَيْصِر وَأَخْبَرَهُ بِالْحَدِيث ، فعرفه وعلم صحته . ففي ذلك يقول من قصيدة :

لقد طَمَحَ الطَّمَاحُ من بُعد أرضه ليُلبسني من دائه ما تلبساً^(١)
وقال أيضاً من قصيدة :

إذا المرء لم يُخزن عليه لسانه فليس على شيءٍ سِوَاهُ بخزانٍ^(٢)
فلما نَفَذَ امرؤ القيس بالجيش^(٣) ، أتى الطَّمَاحُ ملكَ الروم فقال له :
أيُّها الملك أهلكَ جيشاً بعثته مع المطرود الذي قَتَلَ أبوه وأهل بيته ،
وما تريد من نصره ، وكلَّمنا قَتَلَ بعضُ العرب بعضاً كان خيراً لك !
قال : فما الرأي ؟ قال : أن تتدارك جيشك وتردّه ، وتبعثَ إلى امرئ
القيس بِحُلَّةٍ مسمومة . ففعل وعزم على امرئ القيس أن يلبسها ، فدخل
امرؤ القيس الحمامَ فاطَّلَى ولبسها وقد رقَّ جلده لقروح كانت به ،
فتساقط لحمه . وردَّ قَيْصِرُ جيشه . وقدم امرؤ القيس أنقرة^(٤) ، وهي
التي يقال لها الآن أنكورية ، فأقام بها مُدْنَفاً يعالج قروحه ، ونزل إلى
جنب جبلٍ يقال له عَسِيب ، وإلى جنبه قبرٌ لابنة بعضِ الرُّوم ، فسأل
عن القبر فأخبر به فقال :

٦١٢

(١) الديوان ١٠٨ .

(٢) الديوان ٩٠ . وكُنِيَ باللسان عن السر الذي يحفظه ويذمّه .

(٣) نفذ ، بفتح الفاء وآخره دال مهملة ، أى جاز .

(٤) أنقرة ، بكسر القاف ، كما في اللسان والقاموس ومعجم البلدان . وفي اللسان :
« وهو أيضاً : جمع تقير ، مثل رغيث وأرغفة ، وهو حفرة في الأرض » .

أَجَارَتَنَا إِنَّ الْخُطُوبَ تَنُوبُ وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ^(١)
أَجَارَتَنَا إِنَّا غَرِيبَانِ هَهْنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ
فلما أَيْقَنَ بالموت قال :

كَمْ طَعْنَةٌ مُثْعَنَجِرَةٌ وَخُطْبَةٌ مُسْحَنَفِرَةٌ^(٢)
وَجَفْنَةٌ مُدْعَثِرَةٌ قَدْ غُودِرَتْ بِأَنْقَرَةٍ
وكان هذا آخرُ ما تكلّم به ومات .

هذا ما نقلته من كتاب مساوى الخمر^(٣) .

والثعنجرة : السّائلة . والمسحنفرة : الواسعة ، فى الصحاح يقال
اسحنفر فى خطبته ، إذا مضى واتّسع فى كلامه . والجفنة بفتح الجيم :
القصة . والمُدعَثرة : المتثلّمة والمتكسّرة^(٤) .

وقوله : « بطن ظيى وعرعرا » هما موضعان .

وترجمة امرئ القيس تقدّمت فى الشاهد التاسع والأربعين^(٥) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد السّمانّة ، وهو من
شواهد سيبويه^(٦) :

(١) فى الديوان ٣٥٧ : « إن المزار قريب » . وعسيب : جبل بعلية نجد معروف .

(٢) ديوانه ٢٤٩ .

(٣) وكذا ورد ذكره فى الجزء الأول من الخزائنة ١ : ٢١ . وفى ٥ : ٣٣٠ : « مساوى
الخمرة » . وذكر أن مؤلفه هو أبو القاسم عبد الرحمن السعدى الأندلسى المتوفى بمصر سنة ٥٥٥ .
وقال : « وهو كتاب ضخم ، وهو عندى فى جلدين » .

(٤) ط : « والمتكسرة » بالنون .

(٥) الخزائنة ١ : ٣٢٩ - ٣٣٥ .

(٦) سيبويه ١ : ٤٢٩ . وانظر المحتسب ١ : ١٩٥ وابن الشجرى ٢ : ٣٠ والمغنى ٦٩٣ ،
والجمع ٢ : ٦٠ وديوان الأعشى ٤٨ .

٦٦٨ (إِنْ تَرْكَبُوا فَرَكَوبُ الْخَيْلِ عَادَتُنَا

أَوْ تَنْزَلُونَ فَإِنَّا مَعْشَرٌ نُنْزَلُ)

على أَنَّ (تنزلون) عند الخليل معطوفٌ على إِنْ تَرْكَبُوا على المعنى ، وهو المسمَّى عطف التوهم . وقال يونس : هو على القطع ، أى بل أنتم نازلون ، وأَوْ بمعنى بل .

وكلُّ من الخليل ويونس شيخ سيبويه ، وهذا نصُّه في الكتاب :

وسألت الخليل رحمه الله عن قول الأعشى :

إِنْ تَرْكَبُوا فَرَكَوبُ الْخَيْلِ عَادَتُنَا البيت

فقال : الكلام ههنا على قوله يكون كذا أو يكون كذا ، لما كان موضعه ما لو قال فيه أتركبون لم ينقص المعنى ، صار بمنزلة ولا سابق شيئاً^(١) . وأما يونس فقال : أرفعه على الابتداء ، كأنه قال : أو أنتم نازلون . وقول يونس أسهل . وأما قول الخليل فجعله بمنزلة قول زهير :

بدا لي أني لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئاً إذا كان جائياً

والإشراك على هذا التوهم بعيدٌ كبعد : ولا سابق شيئاً . انتهى .

قال الأعلم : الشاهد في رفع تنزلون حملاً على معنى إِنْ تَرْكَبُوا ، لأنَّ معناه ومعنى أتركبون متقارب . وكأنه قال أتركبون فذلك عادتنا ، أو تنزلون في مُعْظَمِ الحرب فنحن معروفون بذلك . هذا مذهب الخليل وسيبويه . وحمله يونس على القطع ، والتقدير عنده : أو أنتم تنزلون . وهذا أسهل في اللفظ ، والأوّل أصحُّ في المعنى والنظم ، والخليل ممن يأخذ بصحة المعاني ولا يبالي باختلال الألفاظ . انتهى .

وكذا نقل ابن هشام (في المغنى) .

فَأَنْتَ تَرَى أَنَّهُمْ حَمَلُوهُ عَلَى إِضْمَارِ الْمَبْتَدَأِ بِالنَّقْلِ عَنْ يُونُسَ ،
ولم يقل أحدٌ منهم إِنَّ أَوْ بِمَعْنَى الْإِضْرَابِ كَمَا قَالَ الشَّارِحُ الْمُحَقِّقُ .
ولا ضرورةٌ تُلَجُّهُ إِلَيْهِ .

واقْتَصَرَ ابْنُ عَصْفُورٍ (فِي كِتَابِ الضَّرَائِرِ) عَلَى مَذْهَبِ الْخَلِيلِ ،
وخصَّه بالضرورة ، قال : أَلَا تَرَى أَنَّ تَنْزِلُونَ حَكَمَهُ أَنْ يَحْذِفَ مِنْهُ
النُّونَ لِلْجُزْمِ ، لِأَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى الْفِعْلِ الْمَجْزُومِ بِأَدَاةِ الشَّرْطِ وَهُوَ تَرْكِبُوا
لِكَتْنِهِ اضْطُرَّ إِلَى رَفْعِهِ بِالنُّونِ فَاسْتَعْمَلَ الرِّفْعَ بَدَلَ الْجُزْمِ ، حَمَلًا عَلَى
أَتْرَكِبُونَ الْمُضْمَنَ مَعْنَى إِنْ تَرْكَبُوا ، لِأَنَّ الْفِعْلَ الْمُسْتَفْهَمَ عَنْهُ جَائِزٌ فِيهِ
أَنْ يَضْمَنَ مَعْنَى الشَّرْطِ إِلَّا أَنَّ مَا حَمَلَ عَلَيْهِ رَفَعَ تَنْزِلُونَ لَا يُحَوِّجُ إِلَى
الْلفظ . انتهى .

والبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةِ الْأَعَشَى مِيمُون ، الَّتِي أَوَّلُهَا :
وَدَعَّ هُرَيْرَةً إِنَّ الرِّكْبَ مُرْتَحِلٌ وَهَلْ تَطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ
وَتَقْدِّمُ شَرْحَ أَبْيَاتِ مِنْهَا . وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ مِلْحَقَةٌ بِالْمَعْلُقاتِ السَّبْعِ .
وَرُويَ الْبَيْتُ كَذَا أَيْضًا :

قَالُوا الطَّرَادُ فَقَلْنَا تِلْكَ عَادَتُنَا أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعْشَرٌ نَزَلُ
وَعَلَيْهِ لَا شَاهِدَ فِيهِ .

وَلَمْ يَذْكُرِ الْخَطِيبُ التَّبْرِيزِيُّ فِي شَرْحِ الْقَصِيدَةِ غَيْرَ هَذِهِ الرِّوَايَةِ ،
وَقَالَ فِي شَرْحِهِ : يَقُولُ : إِنْ طَارَدْتُمْ بِالرَّمَاحِ فَتِلْكَ عَادَتُنَا ، وَإِنْ نَزَلْتُمْ
تُجَالِدُونَ بِالسُّيُوفِ نَزَلْنَا . انتهى .

ونُزِلَ بضمّتين : جمع نازل . ونزولهم عن الخيل يكون عند ضيق
المعركة ، ينزلون فيقاتلون على أقدامهم ، وفي ذلك الوقت يتداعون :
نزال .

وقد تقدّم الكلام على شرح النزول مفصلاً في الشاهد الواحد والأربعين
بعد الأربعمائة^(١) .

والأعشى شاعر جاهلي تقدّمت ترجمته في الشاهد الثالث والعشرين
من أوائل الكتاب^(٢) .

* * *

وأنشد بعده :

(ولا ناعبٍ إلّا ببينٍ غرابها)

وهذا عجزٌ وصدره :

(مشائيمٌ ليسوا مُصلِحينَ عشيرةً)

على أَنَّ ناعب عطف بالجرّ على مُصلِحين الواقع خبراً لليس على
توهم الباء فيه ، فإنّها يجوز زيادتها في خبر ليس .

ومشائيم : جمع مشئوم كمنصور ، وهو من به الشُّوم ، نسبهم إلى
الشُّوم وقلة الصّلاح والخير . يقول : لا يُصلِحون أمر العشيرة إذا
فسد ما بينهم ولا ياتَمرون بخير ، فغُرابُهم لا ينعِبُ إلّا بالتشتيت
والفراق . وهذا مثلٌ للتطير منهم والشُّوم بهم . والعرب تتشاءم بصوت
الغراب .

(١) كذا في النسختين . والصواب أنه الحادى والأربعون بعد الثلاثمائة . الخزانة ه :

٤٩ - ٥٠ .

(٢) الخزانة ١ : ١٧٥ - ١٧٨ .

وقد تقدّم شرحه مفصّلاً في الشاهد الثامن والسبعين بعد المائتين^(١)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون بعد السّائة ، وهو من
من شواهد سيبويه^(٢) :

٦٦٩ (عَلَى الْحَكَمِ الْمَاتِيَّ يَوْمًا إِذَا قَضَى قَضِيَّتَهُ أَنْ لَا يَجُورَ وَيَقْصِدُ)

على أَنَّ القطع قد يجيء بعد الواو غير الجمعية . وقد شرحه الشارح
المحقق .

قال سيبويه : ومما جاء منقطعاً قولُ الشاعر :

على الحكم الماتِيَّ البيت

كأنّه قال : عليه غير الجور ، ولكنه يقصد أو هو يقصد أو هو
قاصد ، فابتدأ ولم يحمل الكلام على أَنَّ ، كما تقول : عليه أَنَّ لايجور
وينبغي له كذا وكذا . فالابتداء في هذا أسبق وأعرف . فمن ثم لايكادون
يحملونها^(٣) على أَنَّ . انتهى .

وقال النحاس (في شرح شواهد) : سألت عنه أبا الحسن فقال :
ويقصد مقطوع من الأوّل ، وهو في معنى الأمر وإن كان مضارعاً ،
كما تقول : يقوم زيد ، فهو خبرٌ وفيه معنى الأمر . انتهى

ومثله للأعلم قال : قطعته لأنّ المعنى وينبغي له أَنَّ يقصد . ولم يحمله
على أوّل الكلام لأنّ فيه معنى الأمر ، فكأنّه قال : وليقصد في حكمه .

(١) الخزانة ٤ : ١٥٨ - ١٦٥ .

(٢) في كتابه ١ : ٤٣١ . وانظر المحتسب ١ : ١٤٩ / ٢ : ٢١ ، وابن يعيش ٧ : ٣٨ ،
٣٩ والمغني ٣٥٩ واللسان (قصد) .

(٣) ط : « يحملون » ، وأثبت ما في ش وسيبويه .

ونظيره ممّا جاء على لفظ الخبر ومعناه أمرٌ قوله تعالى : ﴿ والوالداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ ^(١) ﴾ أى ليرضعن أولادهنّ ، وينبغي لهنّ أن يرضعنهم . انتهى .

ونقله الجوهري في الصحاح وقال : قال الأخفش : أراد : وينبغي أن يقصد ، فلما حذفه وأوقع يقصد موضع ينبغي رفعه ، لوقوعه موقع المرفوع .

وإليه ذهب ابن جني (في المحتسب) . وهذا توجيهٌ لانقطاعه واستثناؤه ، وليس المراد أنّ « يقصد » كان منصوباً بأنّ فارتفع لمّا حُذفت ، كما ذهب إليه اللدماينيّ (في الحاشية الهندية) وقال : ويحتمل أن يكون يقصد منصوباً في الأصل بإضمار أنّ ، والمعنى : عليه أن لا يجورَ وعليه أن يقصد ، ثم حذفت أنّ وارتفع الفعل كما في : « تسمع بالمُعَيَدِ خيراً من أن تراه » . انتهى .

وهذا المعنى وإن كان جيّداً إلا أنّه لا يحسنُ التخريج على حذف أنّ ، فإنّه غير مقيس . فالصحيح الاستثناف .

قال ابن الحاجب (في الإيضاح) : العطف على يجور غير مستقيم لأنّ غرضه ^(٢) أن ينفي الجور ويثبت القصد ليحصل المدح ، وإذا أشرك بينه وبين الجور دخل في النقي ، فيصير نافياً للجور ونافياً للقصد ، فلا يحصل مدح ، بل يتناقض . فوجب أن يُحمل على أنّه مستأنف ليكون مثبتاً فيكون الجورُ منفيّاً والقصد مثبتاً ، فيحصل المقصود ، ويرتفع التناقض . انتهى .

(١) الآية ٢٣٣ من سورة البقرة .

(٢) ش : « لأنه غرضه » .

وقوله (على الحُكْم) ظرف وقع في موقع الخبر المقدم . وروى :
 * على الحُكْم الماتِي حقٌّ إذا قضى ^(١) *
 فيكون حقٌّ هو الخبر ، وعلى متعلقة به .

وقوله : (أن لا يجور) في تأويل مبتدأ مؤخر ، والمعنى واجبٌ على كلِّ
 حُكْم بين الناس يؤتى لفصل الخصومات أن لا يجور في حُكْمه إذا قضى
 قضيتَه وحُكْم حُكْمه ، وهو يقصد ويعدل في قضاياه . وهذا منه إرشادٌ
 للحاكم إلى العدل في الحُكْم : وحثٌّ على النّصفه . والحُكْم بفتحيتين :
 وصفٌ من حكمت بين القوم : فصلت بينهم ، فأنا حاكم وحُكْم
 بفتحيتين . والحُكْم بالضم : القضاء ، وأصله المنع ، يقال حكمت عليه
 إذا منعتَه من خلافه فلم يقدر على الخروج من ذلك .

و (الماتِي) : اسم مفعول من أتيتَه ، يكون متعدّياً بنفسه ويجيء
 لازماً يتعدّى بإلى . وعلى ^(٢) الأول يكون اسم المفعول منه بدون إلى
 بلا حاجة إلى قول ابن الملا (في شرح المغنى) : الماتِي معناه الماتِي إليه ،
 فهو على الحذف والإيصال ، كقولهم المشترك . وقضى : حكم . وقضية
 فعيلة بمعنى مفعولة . وجار في حكمه ، أى ظلم . والقصد : العدل ،
 يقال قصد في الأمر من باب ضرب ، إذا توسّط وطلب الأسدَّ ، ولم
 يجاوز الحدَّ .

والبيت من قصيدة عدتها تسعة عشر بيتاً لأبي اللّحّام التغلبي ^(٣) صاحب الشاهد

(١) هذه رواية غير التي صدر بها الشاهد ، فإنها في الشاهد : « يوماً إذا قضى » وكذا في
 جميع المراجع المذكورة في تحريجه . ويبدو أنها رواية أبي تمام في مختار أشعار القبائل كما سيأتي .

(٢) ط : « وقال » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

(٣) ط : « اللّجام » بالجيم ، صوابه في ش .

أوردها أبو عمرو الشيباني (في أشعار تغلب له) ، وانتخبها أبو تمام فأورد منها خمسة أبيات (في مختار أشعار القبائل) وهذا أولها :

(عَمِرْتُ وَأَطَوَلْتُ التَّفَكُّرَ خَالِيًا وَسَاءَلْتُ حَتَّى كَادَ عُمَرَى يَنْفَدُ
فَأَضَحَّتْ أُمُورُ النَّاسِ يَغْشَيْنَ عَالِمًا بِمَا يُتَّقَى مِنْهَا وَمَا يُتَعَمَّدُ
جَدِيرٌ بَأَنَّ لَا أَسْتَكِينَ وَلَا أَرَى إِذَا الْأَمْرُ وَلَّى مُدْبِرًا أَتَبَلَّدُ
عَلَى الْحَكَمِ الْمَائِي حَقٌّ إِذَا قَضَى ) البيت

عمرت ، أى عشت عمراً طويلاً ، من باب فرح ، والمصدر العَمَرُ بفتح العين وضمها مع سكون الميم فيهما . وسألت : فاعلت من السؤال أى أكثرت السؤال . وينفد : ينفى .

وَيَغْشَيْنَ : يَأْتَيْنِ . وَالْغَشْيَانِ : الْإِتْيَانِ . وَأَرَادَ بِالْعِلْمِ نَفْسَهُ .
وَالْفِعْلَانِ بَعْدَهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَا بِالْبِنَاءِ لِلْمَعْلُومِ وَبِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ .
وَيُتَعَمَّدُ بِمَعْنَى يُقَصَّدُ .

٦١٥

وجديرٌ خبر مبتدئ محذوف ، أى أنا جديرٌ بأن لا أستكين ، أى لا أخضع ولا أذل . وأرى بالبناء للمفعول . ورؤى المصراع الثانى هكذا :
* إِذَا حَلَّ أَمْرٌ سَاعَى أَتَبَلَّدُ *

أى أتحير^(١) كالبليد .

ومن هذه القصيدة :

(وليس الفتى كما يقولُ لسانه إذا لم يكن فعلٌ مع القول يُوجَدُ

(١) في النسختين : « أتغير » ، صوابه ما أثبت .

عسى سائلٌ ذو حاجةٍ إنْ منعتَه من اليوم سؤلاً أن يكون له غد
وإنّك لا تدري بإعطاء سائلٍ أنّت بما تُعطيه أم هو أسعدُ
وأبو اللّحّام شاعرٌ جاهليّ ، اسمه حُرَيْثٌ مصغر حارث^(١) . واللّحّام أبو اللّحّام التغلبي
بفتح اللام وتشديد الحاء المهملة .

وهذا شيءٌ من أخباره ، أورده أبو عمرو الشيباني قال :

كان أبو اللّحّام خرج في ناس من بني تغلب ، فأغار على قرى
من قرى السّواد وأقام يَجْبِيهِمْ^(٢) ويأخذ منهم ، فبعث إليهم كسرى
النّخِيجان^(٣) في خيلٍ من الأساورة ، فهزم ذلك الجيش وأخذ أبا اللّحّام
فحمّله على بعير ، وعدّله بفراشٍ وهو مغلولٌ ، فقال : انظروا إلى هذا
الخبث الذي جاء يُغيّر على الملك وهو عدلٌ فراشٍ في الخفّة ! ثم إنّه
نزل في ناحية الفرات على شاطئه الغربي فبعث خيلَه إلى العرب فلم
يُصبْ أحداً إلّا قتله . وجعل مع أبي اللّحّام رجلاً من أهل الحيرة عربياً
كان من أعوانه يقال له بَرِيم ، في سلسلة ، شمالُ أبي اللّحّام يمينه ، وهو
يريد أن يقدّم الحيرة ليصلّيه بها فيراه من يقدّم الحيرة من العرب .
فلقى رجلاً نبطيّاً كان يعرفه في بعض السّواد إلى جنب أجمة ، فأخذ

(١) ط : « حرث » ، وكلاهما صحيح . فإنّ تصغير حارث على حريث ، هو تصغير
ترخيم كما يقال في حامد وحمدان وحامد ومحمود : حيد . انظر الأشرفي ٤ : ١٦٩ . وحمله على
المألوف في التسمية وهو « حارث » أولى من حمله على غير المألوف ، فإنهم لم يسموا حرثاً .
(٢) ط : « بجيهم » ، صوابه في ش . وجباية الخراج : جمعه وتحصيله .

(٣) النخِيجان كان عاملاً على الحيرة هو وإياس بن قبيصة الطائي ، أمضيا في البهالة تسع
سنين في زمن كسرى بن هرمز . ولسته وثمانية أشهر من ولاية إياس بن قبيصة بعث النبي صلى
الله عليه وسلم . الطبري ٢ : ٢١٣ . وقد استمر النخِيجان عاملاً من قبل الفرس إلى سنة ١٥ من
الهجرة حيث هزم بعد يوم القادسية . الطبري ٣ : ٦١٩ . ثم كان على بيت مال كسرى .
ونجد بعد وقعة نهاوند خبراً عنه في كنوز آل كسرى التي كان قياً عليها . الطبري ٤ : ١١٦ .

منه دراهم ، فجعل إذا مشى ينطلق ببريم فيسقيه ويدهنه ^(١) ويطعمه من تلك الدراهم . فلما كان ذات ليلة أظلمت السماء بغيم ومطر ، وجعل يلح عليه بالشراب ، ثم جعلاً يمشيان في الأجمة فتناول سيف بريم فاستله ثم ضرب السلسلة فقطعها ، ثم خرج إلى البرية فأتى رجلاً من الأعراب من بكر بن وائل فأخبره الخبر ، وأخذ منه نجبية فلحق بالشام .

* * *

وأنشد بعده :

(فترجى ونكثرت التأميلاً)

على أن نرجى مقطوع بعد الفاء . وهذا عجز ، وصدده :

(غير أننا لم يأتنا بيقين)

وتقدم شرحه قريباً ^(٢) . والفاء استثنائية لا سببية ، بدليل القطع . وجوز هناك أن تكون سببية . وإنما لم ينصب نرجى لعدم اللبس .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السبعون بعد السمائة ، وهو من شواهد سيبويه ^(٣) :

٦٧٠ (وما هو إلا أن أراها فجاءةً فأبْهَتَ حتى ما أكاد أُجيبُ)

على أنه يروى بنصب (أبْهَتَ) ورفع على القطع ، أى فأنا أبْهَتَ .

(١) يريد : يطعمه اللبن ، نظير قولهم : ألحمه : أطعمه اللحم ، وأشحمه : أطعمه الشحم . لكن لم أجد يدهن هذا المعنى في المعاجم المتداولة .

(٢) هو الشاهد ٦٦٥ .

(٣) في كتابه ١ : ٤٣٠ . وانظر ابن يعيش ٧ : ٣٨ وديوان عروة بن حزام مخطوطة الشنقيط الورقة ٥ .

قال سيبويه : وسألت الخليل رحمه الله عن قول الشاعر :

* وما هو إلّا أن أراها فجاءة * البيت

فقال : أنت في أبهت بالخيار ، إن شئت حملتها على أن ، وإن شئت لم تحملها عليه فرفعت ، كأنك قلت : ما هو إلّا الرأى ^(١) فأبتهت . انتهى .

وقوله (هو) ضمير يفسره خبره ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ^(٢) ﴾ . قال الزمخشري : هذا ضمير لا يُعلم ما يُعنى به إلّا بما يتلوه . وأصله : إن الحياة إلّا حياننا الدنيا ، ثم وضع هي موضع الحياة ، لأنّ الخبر يدلّ عليها ويبينها . انتهى .

٦١٦

وليس هو في البيت ضمير الشأن والحديث كما زعمه شارح أبيات المفصل ، لأنّ ضمير الشأن لا بدّ أن يفسّر بجملة ، ولا جملة هنا ، وأمّا أن أراها ففي تأويل المفرد كما صرح به سيبويه ، لأنّ أن هي الناصبة للمضارع ، وليست مخففة من الثقلية لأنّها تقع بعد فعل اليقين أو ما نزل منزلته ، وحيثنذ يكون اسمها ضميراً وخبرها جملة مفصولة عنها بقدر ، أولو ، أو السين ^(٣) ، أو النفي ، على ما فصل في محله . وقد غلط [في ^(٤)] ذلك الشارح فزعم أنّها المخففة ، قال : والتقدير إلّا أنّه أراها أي إنّ الشأن . وهذه غفلة منه ، فإنّها لو كانت المخففة ما كان وجهه لنصب أبهت بالعطف على مدخولها .

(١) الرأى هنا بمعنى الرؤية ، يقال رأى رأياً ورؤية وراءة مثل راعة أيضاً . وفي الكتاب العزيز : « يرونهم مثليهم رأى العين » .

(٢) الآية ٢٩ من الأنعام و٣٨ من المؤمنون .

(٣) ط : « بقدر والوار والسين » ، صوابه في ش .

(٤) تكلّة يفتقر إليها القول .

و (أراها) بفتح الهمزة من رؤية العين تتعدى إلى مفعول واحد ، وهو ضمير الحبيبة . ورأيتها في بعض النسخ بضم الهمزة على أنه من أرى المتعدى بالهمزة إلى مفعول ثان ، فيكون المفعول الأول نائب الفاعل وهو ضمير المتكلم ، والثاني ضمير الحبيبة .

و (الفجأة) بالضم والمد : البغته ، يقال فجئت الرجل أفجؤه ، مهموز ، من باب تعب ، وفي لغة بفتحيتين ، إذا جئته بغته . والاسم الفَجَاءَةُ . وفجأةً : مفعول مطلق ، أى رؤية فجأة . وقال ذلك الشارح : هو مصدر في موضع الحال من الفاعل أو المفعول ، أى مفاجئاً أو مفاجأة .

وقوله : (فأبَهِت) إن^(١) روى بالنصب فالفاء عاطفة ، عطفت أبَهِت على أراها ، وهو عطف مفرد على مفرد ، وهو في تأويل مصدر ، أى إلاّ الرأى فالبَهِت . وإن روى بالرفع فالفاء استثنائية ، وجملة البَهِت خبر مبتدأ محذوف ، أى فأنا أبَهِت بفتح الهمزة وضم الهاء وفتحها ، لأنّه جاء من بابي قُرْب وتعب ، بمعنى أدهش وأتَحَيَّر . وأما أبَهِت بالبناء للمفعول فغير مراد هنا . يقال بهته يَبْهته بفتحيتين ، فَبَهِتَ بالبناء للمفعول ، فهذا متعدّد وذاك لازم .

و (حتى) هنا ابتدائية ، ومعناها الغاية ، و (ما) نافية . و (أكاد) بمعنى أقرب . وجملة (أُجيب) في محل نصب خبرها ، ومفعول أُجيب محذوف أى أُجيبها إن كَلَمْتَنِي . ومثله قول الآخر :

عَلَامَةُ مَنْ كَانَ الْهُوَى فِي فَوَادِهِ إِذَا لَقِيَ الْمَحْبُوبَ أَنْ يَتَحَيَّرَا

والبيت من قصيدة لعروة بن حزام العُدريّ : تقدّمت مع ترجمته صاحب الشا
في الشاهد السادس والتسعين بعد المائة ^(١) . وقبله وهو مطلع القصيدة :

(وإِنِّي لتعروني لذكراك رَوْعَةً لها بينَ جِلْدِي والعِظَامِ دَيْبٌ)

وقد وقع البيت الشاهد مع بيتين آخرين من القصيدة في قصيدة
لكثير عزة ، أورد ستة أبيات منها (في حماسته) الشريف ضياء الدين
هبة الله على بن محمد بن حمزة الحسيني ، وهي ^(٢) :

(أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا أُمَّ عمرو وَبَغَّضْتُ إِلَى نِسَاءٍ مَاهَنَ ذُنُوبُ

وليس على شَحْطِ النوى أَكْثَرَ الْبِكَاءِ لَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي وَالْمَزَارُ قَرِيبُ

لَعَمْرُ أَبِيهَا إِنَّ دَهْرًا يَرُدُّهَا إِلَى عَلَى شَحْطِ النوى لَطْلُوبُ

وما هو إِلَّا أَنْ أَرَاهَا (البيت)

وقد وقع البيت الشاهد بقافية رائية في قصيدة لأبي صخر الهذليّ منها :

وَإِنِّي لَأَتِيهَا أُرِيدُ عَتَابَهَا وَأُوْعِدُّهَا بِالْهَجْرِ مَا بَرَقَ الْفَجْرُ ^(٣)

فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فَجَاءَةً فَأَبْهَتَ لَا عَرَفُ لَدَيَّ وَلَا نُكْرُ ^(٤)

(١) الخزائن ٣ : ٢١٢ - ٢١٣ .

(٢) حاسة ابن الشجرى ١٥٣ .

(٣) لم ترد الأبيات ولا قصيدتها في ديوان الهذليين ، ووردت في شرح السكري ٩٥٦ -
٩٥٩ وأمالى القالى ١ : ١٤٨ - ١٥٠ . وأبيات من القصيدة في الأغاني ٥ : ١٥ - ١٦ والحماسة
١٢٣٠ - ١٢٣٢ بشرح المرزوقي

(٤) بدله في شرح السكري ٩٥٨ :

وَإِنِّي لَأَتِيهَا لَكَيْمًا تَثْبِيئِي أَوْ أَوْذَنُهَا بِالصَّرْمِ مَا وَضَعَ الْفَجْرُ
وَفِي الْأَمَالِ :

لَقَدْ كُنْتُ أَتِيهَا وَفِي النَّفْسِ هَجْرُهَا بَتَاتًا لِأُخْرَى الدَّهْرِ مَا طَلَعَ الْفَجْرُ
(٤) في شرح السكري : « أَنْ أَرَاهَا بِخُلُوةٍ » .

وَأَنسَى الَّذِي فِيهِ أَكُونُ هَجَرْتُهَا كَمَا قَدِ تَنَسَّى لَبَّ شَارِبِهَا الْخَمْرُ^(١)

وعلى هذا فضمير هو عائد على العتاب .

وَأَبُو صَخْرٍ الْهَذَلِي تَقَدَّمَتْ تَرْجَمَتُهُ فِي الشَّاهِدِ الْخَامِسِ بَعْدَ الْمَائَتَيْنِ^(٢) .

* * *

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الْحَادِي وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ السِّتَائَةِ ، وَهُوَ
مِنْ شَوَاهِدِ س^(٣) :

٦٧١ (لَا تَنَهَ عَنْ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ)

عَلَى أَنَّ (تَأْتِي) مَنْصُوبٌ بِأَنَّ مُضْمَرَةً بَعْدَ وَאו الْجُمُعِيَّةِ^(٤) الْوَاقِعَةُ
بَعْدَ النِّهْيِ .

قَالَ سَيَبَوِيه : وَاعْلَمْ أَنَّ الْوَاوَ وَإِنْ جَرَتْ هَذَا الْمَجْرَى فَإِنَّ مَعْنَاهَا
وَمَعْنَى الْفَاءِ مُخْتَلِفَانِ . أَلَا تَرَى الْأَخْطَلَ قَالَ :

لَا تَنَهَ عَنْ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلَهُ الْبَيْت

فَلَوْ دَخَلَتْ الْفَاءُ هَهُنَا لَافْسَدَتِ الْمَعْنَى . وَإِنَّمَا أَرَادَ : لَا تَجْمَعَنَّ النِّهْيَ
وَالْإِثْيَانَ ، فَصَارَ تَأْتِي عَلَى إِضْمَارٍ أَنْ . انْتَهَى .

(١) السكري :

وَأَنسَى الَّذِي قَدْ جِئْتُ كَيْمَا أَقُولُهُ كَمَا تَتَنَاسَى لَبَّ شَارِبِهَا الْخَمْرَ

(٢) الخزائن ٣ : ٢٦١ - ٢٦٣ .

(٣) فِي كِتَابِهِ ١ : ٤٢٤ . وَانْظُرِ الْمُقْتَضِبَ ٢ : ١٦ وَالْجَمْلَ ١٩٨ وَحَاسَةَ الْبَحْتَرَى ١٧٤
وَالْمُؤْتَلَفَ ١٧٩ وَمَعْجَمَ الشُّعْرَاءِ لِلْمَرْزُبَانِي ٤١٠ وَابْنَ يَمِيشَ ٧ : ٢٤ وَالْمَغْنَى ٣٦١ وَالشُّفُورَ
٢٣٨ ، ٣١٢ وَأَدَبَ الدُّنْيَا وَالَّذِينَ ٢٨ وَالْيَمِينَ ٤ : ٣٩٣ وَالتَّصْرِيحَ ٢ : ٢٣٨ وَالْأَشْمُونِي
٢ : ٢٠٧ وَمُلْحَقَاتِ دِيوَانَ أَبِي الْأَسْوَدِ ١٣٠ .

(٤) هَذَا تَعْيِيرُ الرِّضِيِّ فِي شَرْحِ الْكَافِيَةِ ٢ : ٢٣٠ ، ٢٣١ . وَالْمَأْلُوفُ فِي اصْطِلَاحِ النُّحَاةِ ،
هُوَ وَاوُ الْمَعْيَةِ ، وَتَعْيِيرُهُ أَدَقُّ ، وَذَلِكَ لِلْفَصْلِ بَيْنَ وَاوُ الْمَعْيَةِ الْخَاصَّةِ بِالْمَفْعُولِ مَعَهُ ، وَالْوَاوِ الَّتِي
تَضْمُرُ بَعْدَهَا أَنْ .

ويجوز رفعه على أَنَّهُ خبر مبتدأ محذوف ، أَى وَأَنْتَ تَأْتِى .
ولا يجوز جزؤه ، لفساد المعنى . وعار خبر مبتدأ محذوف ، أَى هو عارٌ .
وعظيم صفته . وهذه الجملة دليلُ جوابٍ إذا . ومعنى البيتِ من قوله
تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾^(١) . وقال الحاتمى : هذا
أَشْرَدُ بَيْتٍ قِيلَ فى تجنبِ إتيانِ ما نُهِىَ عنه^(٢) . والبيت وُجد فى عدة
قصائد . ومنه اختلف فى قائله ، فنسبه الإمام أبو عبد الله القاسم بن
سَلَام (فى أمثاله) إلى المتوكل الكِنَانِى . وأورده فى باب تعيير الإنسان
صاحبه بعيب هو فيه .

والتوكل من شعراء الإسلام ، وهو من أهل الكوفة ، وكان فى عصر
معاوية ويزيد ، ومدحهما .

ونسبه إليه أيضاً الآمدى (فى المؤلف والمختلف) ، وقال فيمن يقال
له المتوكل : منهم المتوكل الليثى ، وهو المتوكل بن عبد الله بن نَهْشَل
ابن وهب بن عمرو بن لقيط بن يَعْمَر الشَّذَّاح بن عوف بن كعب
ابن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة ، الشاعر
المشهور ، القائل :

* لا تنهَ عن خُلُق * البيت

ونسبه إليه أيضاً أبو الفرج الأصبهاني (فى الأغاني)^(٣) وذكر بإسناده

(١) الآية ٤٤ من سورة البقرة .

(٢) الشرود هنا بمعنى الشهرة والذِيع ، من قولهم : قافية شرود ، أى عائرة سائرة فى
البلاد ، تشرد كما يشرد البعير . قال الشاعر :

شرود إذا الرءون جلسوا عقالها محجلة فيها كلام محجـلـ

(٣) الأغاني ١١ : ٣٧ .

والمشهور أَنَّهُ من قصيدة لأبي الأسود الدؤلي . قال اللخمي (في شرح أبيات الجمل) : الصَّحِيح أَنَّهُ لأبي الأسود . فَإِنْ صَحَّ ما ذكر عن المتوكل فَإِنَّمَا أَخَذَ البيت من شعر أبي الأسود . والشعراء كثيراً ما تفعل ذلك . وهذه هي قصيدة أبي الأسود ، سُقناها بِرُمَّتْها لجودتها :

(١) حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سَعْيَه	فالقومُ أعداءُ له وخصوم
كضرائر الحسناء قُلْنَ لوجهها	حسداً وبغياً إِنَّه لدميم ^(١)
والوجهُ يشرق في الظلام كأنه	بدرٌ منيرٌ والنساءُ نجوم ^(٢)
وترى اللبيبَ محسداً لم يجترمُ	شتمَ الرجالَ وعرضه مشتومُ
وكذاك مَنْ عَظُمَتْ عليه نعمةٌ	حُسَادُهُ سيفٌ عليه صَرومُ
فاتركُ مُحاورَةَ السفيهِ فَإِنَّها	ندمٌ وغبٌ بعد ذاك وخيمُ
وإذا جريت مع السفيه كما جرى	فكلاكما في جريه مذمومُ
وإذا عتبتَ على السفيه ولتته	في مثلٍ ما تأتي فَأَنْتَ ظَلومُ ^(٣)
لاتنهَ عن خُلُقٍ وتأتى مثله	عارُ عليك إذا فعلتَ عظيمُ
ابدأ بنفسك وانهها عن غيها	فإذا انتهت عنه فَأَنْتَ حكيمُ ^(٤)
فهناك يُقبل ما وَعَظْتَ ويُقتدى	بالعلم منك وينفع التعليمُ
ويل الخلل من الشجى فَإِنَّه	نَصِبُ الفؤاد بشجوه مغموم ^(٥)

(١) ط : « قلنا لوجهها » ، صوابه في ش والديوان . وفي الديوان : « حسداً وبغضاً » .

(٢) في الديوان : « والعيون نجوم » .

(٣) في سمط اللات ٦٠٦ :

وإذا عتبت على اللئيم ولتته في بعض ما يأتي فَأَنْتَ ملوم

(٤) في حاسة البحري ١٧٤ : « فَأَنْتَ عليم » .

(٥) في ش مع تصحيح الشنقيطي بقلمه : « ويل الشجى من الخلل » ، وهو الوجه .

وهو نص المثل المشهور ، وقائله أكرم بن صيفي . الفاهر ٢٤٨ وجهرة العسكري ٢ : ٣٣٨

والميداني ٢ : ٢٩١ - ٢٩٢ . وقالوا أيضاً : « ما يلقى الشجى من الخلل » . الميداني ٢ : ٢٠٣ .

وترى الخلى قريرَ عينٍ لاهياً وعلى الشجى كآبةً وهمومٌ
ويقول : مالك لا تقولُ مقاتلي ولسانُ ذا طلقٍ وذا مكظومٌ
لا تكلمنَ عرضَ ابنِ عمِّك ظالماً فإذا فعلتَ فعرضُك المكلومُ
وحريمُهُ أيضاً حريمُك فاحمِه كى لا يُباعَ لديكَ منه حريمٌ
وإذا اقتصصتَ من ابنِ عمِّك كلمةً

فكلومه لك إن عقلتَ كلومٌ^(١)

وإذا طلبتَ إلى كريمٍ حاجةً فلقاؤه يكفيكَ والتسليمُ
فإذا رآكَ مسلماً ذكرَ الذى كلَّمته فكأنَّه ملزومُ
ورأى عواقبَ حمْدٍ ذاكَ وذمِّه للمرءِ تبقى والعظامُ رميمٌ
فارجُ الكريمِ وإن رأيتَ جفاهه فالتعبُ منه والكرامُ كريمٌ^(٢)
إن كنتَ مضطراً وإلاً فاتخذُ نفقاً كأنَّكَ خائفٌ مهزومُ
واتركه واحذر أن تمرَّ ببابه دهرأ وعرضُك إن فعلتَ سليمٌ
فالناسُ قد صاروا بهائمَ كلِّهم ومن البهائمِ قائلٌ وزعيمٌ^(٣)
عمى وبكم ليس يُرجى نفعهم وزعيمهم فى النائباتِ مُليمٌ^(٤)
وإذا طلبتَ إلى لثيمٍ حاجةً فاللح فى رفيقٍ وأنتَ مُديمٌ
والزُم قبالةَ بيتهِ وفناءه بأشدَّ مالزمِ الغريمِ غريمٌ^(٥)
وعجبتُ للدنيا ورغبة أهلها والرزقُ فيما بينهم مقسومُ
والأحمقُ المرزوقُ أعجبُ من أرى من أهلها والعاقِلُ المحرومُ

٦١٩

(١) الكلمة ، بالفتح : المرة من الكل بالفتح أيضاً ، وهو الجرح ، كلمة يكلمه ، من بابى ضرب وقتل .

(٢) كذا فى النسختين . وفى الديوان : « والكريم كريم » .

(٣) ش : « قابل وزعيم » . والقابل : الكفيل ، وفى الديوان : « قائد وزعيم » .

(٤) ألام : فعل ما يلام عليه . وفى الديوان : « كلم » .

(٥) فى الديوان : « واسكن قبالة بيته وفنائه » ، والوجه ما هنا .

ثم انقضى عجبى لعلمى أنه رزق موافٍ وقته معلوم)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والسبعون بعد الستائة ، وهو من شواهد س^(١) :

٦٧٢ (وما أنا للشيء الذى ليس نافعى ويغضب منه صاحبي بقول) على أن سيويه جوز في (يغضب) النصب والرفع .

وهذا نص سيويه : وسمعتنا من يُنشد هذا البيت من العرب ، وهو لكعب الغنوى ، بالنصب . والرفع أيضاً جائز حسن . ويغضب معطوف على الشيء ، ويجوز رفعه على أن يكون داخلاً في صلة الذى . انتهى .

قال النحاس : قال محمد بن يزيد : الرفع الوجه ، لأن يغضب في صلة الذى ؛ لأن معناه الذى يغضب منه صاحبي . قال : وكان سيويه يقدم النصب ويثنى بالرفع ، وليس القول عندي كما قال ، لأن المعنى الذى يصح عليه الكلام إنما يكون بأن يقع يغضب^(٢) في الصلة كما ذكرت لك . ومن أجاز النصب فإنما يجعل يغضب معطوفاً على الشيء ، وذلك جائز ولكنه بعيد . وإنما جاز لأن الشيء منعوت ، فكان تقديره : وما أنا للشيء الذى هذه حاله ولأن يغضب صاحبي . وهو كلام محمول على معناه ، لأنه ليس يقول الغضب . ومثل هذا تجوز . تقول : إنما جاء بك طعام زيد . والمعنى إنما جئت من أجله . قال أبو إسحاق : النصب بمعنى وغضب ، أى دون غضب صاحبي . والرفع على أن يكون

(١) في كتابه ١ : ٤٢٦ . وانظر المقتضب ٢ : ١٩ والمنصف ٣ : ٥٢ والقال

٢ : ٢٠٤ وحاسة ابن الشجرى ١٣٧ وابن يمش ٧ : ٣٦ والأمميات ٧٦ .

(٢) ش : « بأن يغضب » .

داخلاً في صلة الذي ، كأنه قال : والذي يغضب منه صاحبي . وسألت عنه أبا الحسن فقال : يجوز عندي أن يكون جواباً لما . انتهى .

أي يكون يغضب منصوباً بعد الواو في جواب النفي الأول الذي هو : وما أنا ، دون الثاني الذي هو : ليس نافع . وهو المسمى في الشرح بالصَّرف^(١) . وهو مختار الشَّارح ، تبعاً لصاحب الباب .

وفيه ردُّ على ابن الحاجب (في أماليه على المفصل) من وجهين :

أحدهما : أنه زعم أنَّ الواو في ويغضب ليست واو الجمع ، وإنما هي واو العطف . وذكرها الزمخشريُّ وإن لم يكن بابها^(٢) لموافقتها لواو الجمع من وجهين ، الرفع والنصب . وكذلك فعل في الفاء .

ثانيهما : في أتباعه لسيبويه في زعمه أنَّ يغضب معطوف على قوله للشيء .

بقي احتمال آخر لعطف يغضب المنصوب ، قال ابن الحاجب : ولا يستقيم أن يكون معطوفاً على نافعٍ لأمْرٍ معنويٍّ ، وهو أنه يصير المعنى : لا ينفعني ولا يُغضب صاحبي . وليس الغرض كذلك ، بل الغرض نفي النفع عنه وإثبات الغضب للصاحب . وأورد على مختار الشارح بأنه يلزم منه تقدُّم المعطوف وهو يغضب ، على المعطوف عليه وهو قَوْل . وأجاب بأنَّ قوله ويغضب في نية التأخير ، إذ التقدير : وما أنا بقَوْل للشيء الذي لا ينفعني ويغضب صاحبي بالنصب ، أي مع

٦٢٠

(١) في شرح الرضى على الكافية ٢ : ٢٣٢ : « وإذا نصبته فهو على الصرف » . وتسمية هذه الواو بواو الصرف اصطلاح كوفي ، كما في المغني ٣٦١ عند الكلام على الواو المفردة . وانظر الصبان ٣ : ٣٠٦ .

(٢) ط : « تكن بابها » .

غضب صاحبي . فيغضب وإن كان مقدماً لفظاً على قَوْل فهو متأخراً
معنى ، لأنَّ بقَوْل خبر ما ، فهو مقدّم في التقدير . ونظيره تقدّم الفاء
في قولك : متى فأكرمك تكرمنى . والتقدير متى تكرمنى فأكرمك .

وقول الشارح المحقق : « وقال أبو علي في كتاب الشعر : بل هو
عطف على نافعى » ، أراد بكتاب الشعر كتابه المسمى بإيضاح الشعر
وإعراب الشعر .

وهذه عبارته فيه : في قولك يغضب ضربان ^(١) : إن جعلتها داخلةً
في الصلة كانت مرفوعة ، لأنّه لا شيء يحمل عليه فينصب ، فإذا عطّف
لم يخرجها من الصلة وحمل الكلام على المعنى ، كأنه قال : وما أنا
للذى لا ينفعنى ويغضب منه صاحبي بقَوْل . فإذا دخل يغضب في
الصلة عطّف المضارع على اسم الفاعل ، وكلُّ واحد من المضارع واسم
الفاعل يُعطّف على الآخر لتشابههما . وموضع المضارع الذى هو يغضب
نصبٌ للعطف على خبر ليس ، والضمير الذى هو منه ، يعود على اسم
ليس ، والمقول حينئذٍ هو الشيء ، والقول يقع عليه لعمومه ^(٢) ، واحتماله
أن يكون القول وغيره . وليس كالغضب . فإذا أخرج يغضب من الصلة
أضمر أن يعطفه إياها على الشيء ، كأنه قال : وما أنا للشيء الذى
ليس نافعى ويغضب ^(٣) صاحبي بقَوْل . فالغضب لا يقال ، ولكن
التقدير لقول غضب صاحبي . فتضيف القول الحادث عنه الغضب

(١) ط : « ضرباب » ، صوابه في ش .

(٢) يعنى عموم الشيء .

(٣) ط : « ولغضب » ، صوابه في ش .

إلى الغضب، كما تقول: ضرب التلف، فتضيف الضرب إلى ما يحدث عنه. هذا كلامه.

ونظرَ صاحبُ اللباب في تقدير القول المضاف، وبينه شارحه الفالائي^(١) بأنَّ القولَ المقدر إمَّا من باب إضافة المصدر إلى المفعول، أو من باب إضافة الشيء للشيء للملابسة. وهما فاسدان.

أما الأولُ فلأنَّه يلزم منه وقوعه على ما هرب منه، إذ يلزم أن يكون الغضب مقولا.

وأما الثاني فلأنَّ لفظة منه تدفعه^(٢)، إذ إضافة الملابس مغنيّة عن ذكر منه، إذ قولك قول غضب صاحبي بمعنى الملابس، معناه قولٌ يصدر ويتولّد عنه غضبُ صاحبي. فلا حاجة إلى ذكر منه، كما تقول: رأيتك يومَ خرجت، فإنَّ الإضافة مصحّحة لكون الخروج في اليوم، فلا حاجة إلى أن تقول يومَ خرجت فيه.

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة لكعب بن سعد الغنوي، أوردها أبو تمام (في مختار أشعار القبائل) وأورد بعضها القالي (في أماليه)، والشريف (في حماسه)، وهي:

(لقد أنصبتني أم عمرو تلومني وما لوم مثلي باطلاً بجميل
ألم تعلمي أن لا يراخي منيتي قعودي، ولا يُدني الحمام رَحيلي^(٣))

(١) في النسختين: «القالى». بالقاف، صوابه بالفاء كما سبق التنبيه في أكثر من مرة. نسبة إلى مدينة «قاله» قريبة من أيلج من بلاد خوزستان، وذكر الميمى أن من هذا الشرح نسخة بميدراآباد كتبت سنة ٧٧٥ وأنه يوجد كثير من نسخه بالهند.

(٢) ش: «يدفعه».

(٣) الأصمعيات ٧٤: «ولا يدني الوفاة». والأبيات كلها في الأصمعيات.

- فإِنَّكَ واللومَ الذى تَرَجِّعِينِهِ عَلَى ، وما لَوَّامَةٌ بِعَقُولِ^(١)
 كداعى هَدِيلٍ لا يُجَابِ إِذَا دَعَا ولا هو يَسْلُو عَنْ دُعَاءِ هَدِيلِ
 وذى نَدَبٍ دَامِيَ الْأَظْلُ قَسَمَتُهُ محافظةً ، بينى وبينَ زَمِيلِ^(٢)
 وزادِ رَفَعْتُ الكَفَّ عَنْهُ عَفَافَةٌ لأُوْثِرَ فى زَادِى عَلَى أَكْبِيلِ^(٣)
 وَمَنْ لا يَنْلُ حَتَّى يَسُدَّ خِلَالَهُ يَجِدُ شَهَوَاتِ النَّفْسِ غَيْرَ قَلِيلِ
 وعوراءٌ قد قِيلَتْ فلم أَلْتَفِتْ لها وما الكَلِمُ العوراءُ رُبَّ بِقَبُولِ^(٤)
 وما أنا للشيء الذى ليسَ نافعى . . . البيت ٦٢١
 ولن يلبثَ الجُهَّالُ أَنْ يَتَهَضَّبُوا أَخَا الحِلْمِ مالمَ يَسْتَعِنْ بِجَهُولِ^(٥)
 وهذا ما أوردته أبو تمام .

وأنصبه : أَوْقَعَهُ فى النَّصَبِ بفتحِ تين ، وهو التعب . والحِمام
 بالكسر : الموت . والهِدِيلُ : فرخ كان على عهد نوح عليه السلام ،
 فصاده جَارْحٌ من جوارح الطير . قالوا : فليس من حمامةٍ إِلَّا وتبكي
 عليه . قال النكيت :

وما مَنْ تَهْنِئِينَ بِهِ لِنَصْرِى بِأَقْرَبَ جَابَةً لَكَ مِنْ هَدِيلِ^(٦)

(١) فى الأصمعيات :

- فإنك والموت الذى ترهينيه على وما عذالة بغفول
 (٢) هذا البيت مع تاليه والبيت التاسع ثلاثة فى أمانى القالى .
 (٣) فى أمانى القالى : « عنه تجملا » . وهذا البيت مع التاسع والعاشر ثلاثة فقط فى حماسة
 ابن الشجرى .

(٤) فى الأصمعيات : « فلم أستمع لها » .

(٥) حماسة ابن الشجرى : « أخا الحكم » .

(٦) الجابة : الجواب ، ومنه المثل : « أساء سمعاً فأساء جابة » . وفى ط : « جامة » ،

صوابه فى ش وديوان الكيت ٢ : ٥٨ واللسان (هدل) وجمهرة المسكرى ١ : ٢٥ .

والنَّدَب بفتحيتين ، قال القالى : هو الأثر ، وجمعه نُدوب وأنداب .
والأَظْلُ بالمعجمة قال القالى : هو باطنُ خفِّ البعير . والزَّمِيل : الرفيق .
يريد أنه قَسَمَ ظهرَ بعيره بينه وبين رفيقه فى الرُّكوب ولم يتركه
ماشياً . والعَفَافَة : العِفَّة . والأَكِيل : المؤكِّل . والخلال بالكسر :
جمع خَلَّة بالفتح : الحاجة والفقر . والعوراء : الكلمة القبيحة .
وتهَضَّمه وهَضَّمه ، إذا دَفَعَه ^(١) عن موضعه .

كعب بن
سعد الغنوى

وكعب بن سعد الغنوى هو شاعرٌ إسلامى ، وهو أحد بنى سالم بن
عُبَيْد بن سَعْد بن عوف بن كعب بن جَلَّان ، بكسر الجيم وتشديد
اللام ، ابن غُثَم بسكون النون ، ابن غنى بن أعصُر . كذا قال أبو عبيد
البكرى (فى شرح أُمالى القالى) فى موضعين منه .

وقد راجعتُ كتب الصحابة وكتاب الشعراء لابن قتيبة ، وكتاب
الأغاني وغيرها ، فلم أجد ترجمته فى أحدها إلا ما قاله أبو عبيد المذكور .
والظاهر أنه تابعى .

* * *

وأنشد بعده :

(وَلُبْسُ عِبَاءَةٍ وَتَقَرَّرَ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ ^(٢))

على أن (تقرَّرَ) منصوب بأن بعد واو العطف .

قال سيبويه : لما لم يستقم أن تحمل وتقر وهو فعل ، على لبس

(١) ط : « رفعه » ، صوابه فى ش .

(٢) فى النسختين : « لما لم يستقم له أن يحمل » ، صوابه ما أثبت من كتاب سيبويه

١ : ٤٢٧ و ٣ : ٤٦ من نسختي . والكلام كله على الخطاب عند سيبويه .

وهو اسم ، ولَمَّا ضُمَّتْهُ إِلَى الاسمِ وجعلتَ أَحَبَّ لهما ، ولم ترد قطعه^(١) لم يكن بدًّا من إضمار أَن .

قال النحاس : قال أبو الحسن : أئى لم ترد^(٢) لُبِسَ عِبَاءَةٌ أَحَبُّ إِلَى وَأَن تَقَرَّ عَيْنِي ، لِأَنَّ هَذَا يَبْطُلُ الْمَعْنَى ، لِأَنَّهُ لَمْ يَرِدْ أَنَّ لِبِسَ عِبَاءَةٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ . هَذَا سَخَفٌ ، إِنَّمَا أَرَادَ قُرَّةَ الْعَيْنِ^(٣) ، فَلِهَذَا نَصَبَ .

وقال الأعمى : نصب تَقَرَّ بِإِضْمَارِ أَن لِيُعْطَفَ عَلَى اللَّبْسِ ، لِأَنَّهُ اسْمٌ وَتَقَرَّ فَعَلَ ، فَلَمْ يُمْكِنْ عَطْفُهُ عَلَيْهِ فَحُمِلَ عَلَى إِضْمَارِ أَن لِأَنَّ أَن وَمَا بَعْدَهَا اسْمٌ ، فَعُطِفَ اسْمًا عَلَى اسْمٍ ، وَجُعِلَ الْخَبَرُ عَنْهُمَا وَاحِدًا ، وَهُوَ أَحَبُّ . وَالْمَعْنَى : لِبِسَ عِبَاءَةً مَعَ قُرَّةَ الْعَيْنِ وَصَفَاءَ الْعَيْشِ أَحَبُّ إِلَى مَنْ لُبِسَ الشُّفُوفُ مَعَ سُخْنَةِ الْعَيْنِ وَنَكَدَ الْعَيْشِ . وَالْعِبَاءَةُ : جَبَّةُ الصَّوْفِ . وَالشُّفُوفُ : ثِيَابٌ رَقَاقٌ تَصِفُ الْبَدْنَ ، وَاحِدُهَا شِفٌّ . انْتَهَى .

فإن قلت : ما الفرق بين واو الجمع وواو العطف ، وهل هما إلا شيء واحد؟ قلت : واو الجمع في الأصل للعطف ، لكنه خصّ ببعض أحواله ، وذلك أَنَّ المعطوف قد يكون قَبْلَ المعطوف عليه في الوجود ، وقد يكون بعده ، وقد يكون معه ، نحو : جاء زيد [وعمر^(٤)] قبله أو بعده أو معه . فخصّ واو الجمع بما يكون بمعنى مع ، فهو باعتبار أصل معنى العطف احتاج إلى تقدير مصدرٍ منتزِعٍ من الأوّل . وباعتبار اختصاصه العارض بحال المعية صار كأنه قسيمٌ للعطف المطلق الذى لا يتقيّد . فواو الجمع عطفٌ مقيّد بالمعية ، وواو العطف غير مقيّد بها . فهذا هو الفرق .

٦٢٢

(١) ط : « لفظه » ، صوابه في سيبويه وش مع أثر تصحيح .

(٢) كذا بالتاء هنا ، وبالياء فيما سأتى : « لم يرد » .

(٣) في النسختين : « قرت العين » ، والوجه ما أثبت ، لأنه يريد المصدر . وانظر ما سأتى من كلام الشنترى .

(٤) تكملة يستقيم بها الكلام .

وقال اللخمي (في شرح أبيات الجمل) : ولو رفعت وتقرّ لجاز ،
على أن ينزل الفعل منزلة المصدر ، ونحو قولهم : « تسمع بالمعيدي » ، فتسمع
منزل منزلة سماعك . وكقول جرير يعني الفرزدق :

نفاك الأغرُّ بنُ عبد العزيز وحَقُّكَ تُنفَى من المسجد^(١)

وقول امرئ القيس :

فدمعُهما سحٌّ وسكبٌ وديمة ورشٌ وتوكافٌ وتَنهملان^(٢)

قال : يريد وحَقُّكَ التَّنْيُ وانهمالٌ .

واستشهد صاحب الكشاف بالبيت على قراءة : ﴿ أَوْ آوَى ﴾^(٣) بالنصب
على إضمار أن ، كأنه قيل : لو أن لي بكم قوة أو أويًا ، كما في : لبس
عباءة وقرة عيني .

صاحب الشاهد والبيت من أبيات لميسون بنت بحدل الكلبيّة ، وتقدّمت مشروحة في
الشاهد الثامن والخمسين بعد السّمانّة^(٤)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد السّمانّة^(٥) :

٦٧٣ (أَوْ أَنْ يَلُومَ بِحَاجَةٍ لُّوْأُمُهَا)

على أن (أن) قد ظهرت بعد (أَوْ) في الشعر .

(١) الخصائص ٢ : ٤٣٤ والأغاني ١٩ : ٢١ ، ٥٢ وديوان جرير ١٢٨ .

(٢) ديوان امرئ القيس ٨٨ .

(٣) الآية ٨٠ من سورة هود . ونصها : « قال لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد » .
وهذه قراءة شيبة وأبي جعفر كما في تفسير أبي حيان ٥ : ٢٤٧ .

(٤) ش : « الثاني والخمسين بعد السّمانّة » ، صوابه ما أثبت من ط . وانظر ما سبق في

هذا الجزء من الخزائن ص ٥٠٣ - ٥٠٦ .

(٥) الشاهد من معلقة ليبيد ، ولم أجده مستشهداً به لهذا غير الرضي .

وهذا عجزٌ ، وصدره :

(أَقْضَى اللَّبَانَةَ لَا أَفْرَطُ رَيْبَةً)

والبيت من معلّقة لبید الصحابي رضى الله عنه . قال شارح المعلقات صاحب الشاهد القاضي أبو الحسين الزوزنى : يقول : أَقْضَى وطرى ولا أَفْرَطُ فى طلبِ بُغْيَتِي ، ولا أدع رَيْبَةً إِلَّا أَنْ يَلُومَنِي لائِمٌ . وتحرير المعنى أَنَّهُ لا يَقْصُرُ ، لكنّه لا يمكنه الاحتراز عن لوم اللوام . وأَوْ فى قوله : « أَوْ أَنْ يَلُومَ » بمعنى إِلَّا أَنْ يَلُومَ . ومثله قولهم : لَأَلْزِمَنَّهُ أَوْ يُعْطِيَنِي دَيْنِي ، معناه إِلَّا أَنْ يُعْطِيَنِي حَقِّي . انتهى كلامه .

يقال قضيت وطرى ، أى بلغت وبلغته . واللّبانة بضم اللام : الحاجة . ويقال فرطته ، أى تركته وتقدّمته . كذا فى الصحاح . وفرط فى الأمر تفريطاً : قصر فيه وضيّعه . والرّيبة : الحاجة ، ومثله الرّيب . قال الشاعر^(١) :

* قضينا من تَهَامَةٍ كُلِّ رَيْبٍ *

هذا المناسب ، وهو المفهوم من كلام الزوزنى السابق .

وقال أبو جعفر النحوى ، والخطيب التبريزى ، وأبو الحسن الطوسى (فى شروحه) : الرّيب : الشك . ورووا :

* أَقْضَى اللَّبَانَةَ ، أَنْ أَفْرَطَ رَيْبَةً *

بنصب ريبة ورفعها . قالوا : فمن رفع جعله خبر ابتداءً ، والمعنى تفريطى رَيْبَةً . ومن نصب فالمعنى مخافة أَنْ أَفْرَطَ ، ثم حذف مخافة .

(١) لكعب بن مالك فى السيرة ٨٧٠ واللسان (ريب ٤٢٧) . وعجزة :

* وخيبر ثم أجمنا السيوف *

هذا قول البصريين . وقال الكوفيون : لثلا مضمرة ، والمعنى لثلاً أفرط ريبة . يريد إنني أتقدم في قضاء حاجتي لثلاً أشك وأقول إذا فاتتني : ليتني تقدمت ، أو يلومني لائم على تقصيري . والمعنى إنني لا أدع ريبة تنفذني^(١) حتى أحكمها . والتفريط : الإنفاذ والتقديم .

هذا كلامهم ، وفي حلهم المعنى قلاقة وعقادة^(٢) . وليست «أو» على كلامهم بمعنى إلا . ومعنى البيت على شرح الزورني واضح لا خفاء فيه . واللوام : مبالغة لائم . فاعل يلوم .

وترجمة لبيد تقدمت في الشاهد الثاني والعشرين بعد المائة^(٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد الستائة^(٤) :

٦٧٤ (لقد عدلتني أم عمرو ولم أكن مقالتها ما كنت حياً لأسمعا)

٦٢٣ على أن مقالتها مفعول مقدم لأسمع عند الكوفيين كما نقله الشارح المحقق وغيره . وعند البصريين منصوب بفعل^(٥) محذوف يفسره المذكور ، والتقدير : ما كنت أسمع مقالتها . ثم بين ما أضمر بقوله لأسمعا .

وهذا البيت قد أورده ابن الأنباري (في مسائل الخلاف) ، وابن يعيش (في شرح المفصل) ، ولم أقف على تتمته ولا على قائله . والله أعلم بذلك .

(١) في النسختين : « تنفذني » بالقاف ، صوابه بالفاء كما أثبت من الشروح .

(٢) يريد التعقيد . ولم أجدها المصدر في المعاجم المتداولة .

(٣) الخزائن ٢ : ٢٤٦ - ٢٥١ .

(٤) ابن يعيش ٧ : ٢٩ والإنصاف ٥٩٣ والتصريح ٢ : ٢٣٦ .

(٥) ط : « لفعل » ، وأثبت ما في ش مع أثر تصحيح .

وما مصدرية ظرفية ، وحيأ خبر كنت ، أى مدة كونى حياً .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد الستائة ^(١) :

٦٧٥ (وَحُقَّ لِمَثَلِي يَا بُشَيْنَةَ يَجْزَعُ)

على أَنَّ أصله : أَن يجزع ، فحذفت أَن وارتفع الفعل ، وهو نائب فاعلُ حقّ .
قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : وقد حملهم كثرة حذف أَنَّ
مع غير الفاعل على أَنَّ استجازوا ذلك مع اسم مالم يُسمَّ فاعله وإن كان
جارياً مجرى الفاعل وقائماً مقامه . وذلك قول جميل :

(جَزَعْتُ حِذَارَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحْمَلُوا وَحُقَّ لِمَثَلِي يَابُشَيْنَةَ يَجْزَعُ)

أراد : أَن يجزع . على أَنَّ هذا قليل . والمفعول قد يكون غير اسمٍ
صريح نحو : ظننت زيدا يقوم ، والفاعل لا يكون إلا اسماً صريحاً
محضاً ، وهم على إمحاضه اسماً أشدَّ محافظة من جميع الأسماء . ألا ترى
أَنَّ المبتدأ قد يقع غير اسم محض ، وهو قولهم : « تسمعُ بالمُعِيدِى
خيرٌ من أَن تراه » ، فتسمع كما ترى فعل ، وتقديره أَن تسمع ،
فحذفهم أَن ورفعهم تسمع يدلُّ على أَنَّ المبتدأ قد يمكن أَن يكون
عندهم غير اسمٍ صريح . فإذا جاز هذا فى المبتدأ على قوة شبهه بالفاعل
فهو فى المفعول الذى يبعد عنهما أجوز . فمن أجل ذلك ارتفع الفعل
فى قول طرفة :

* أَلَا أَيُّهَا الزَّاجِرَى أَحْضَرُ الْوَغَى *

(١) الخصائص ٢ : ٣٤٥ وسر الصناعة ١ : ٢٨٦ ، ٢٨٩ وابن عيش ٤ : ٨/٢٧ :

٤٣ وضرائر ابن عصفور ٢٦٤ وديوان جميل ١١٨ .

عند كثير من الناس ، لَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ أَحْضُرَ . وَأَجَازَ سَ فِي قَوْلِهِمْ :
«مُرَّهُ يَحْفِرُهَا» أَنَّ يَكُونُ الرَّفْعَ عَلَى قَوْلِهِ مُرَّهُ أَنَّ يَحْفَرُهَا ، فَلَمَّا حَذَفْتَ أَنَّ
ارْتَفَعَ الْفِعْلُ بَعْدَهَا . انْتَهَى كَلَامُهُ .

وَقَالَ (فِي الْخَصَائِصِ) عِنْدَمَا أَنْشَدَ هَذَا الْبَيْتَ : أَيْ وَحَقٌّ لِمَثَلِي
أَنْ يَجْزَعَ . وَأَجَازَ هَشَامٌ : يَسْرَنِي تَقَوْمٌ . وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ جَائِزاً
عِنْدَهُ فِي الشَّعْرِ لَا فِي النَّثْرِ . انْتَهَى .

وَقَدْ عَدَّ ابْنُ عَصْفُورٍ (فِي كِتَابِ الضَّرَائِرِ) جَمِيعَ هَذَا مِنَ الضَّرُورَةِ .
قَالَ : وَمِنْهُ وَضَعَ الْفِعْلَ مَوْضِعَ الْمَصْدَرِ عَلَى تَقْدِيرِ حَذَفَ أَنَّ وَإِرَادَةِ
مَعْنَاهَا مِنْ غَيْرِ إِبْقَاءِ عَمَلِهَا ، نَحْوُ قَوْلِهِ :

وَمَا رَاعَنِي إِلَّا يَسِيرُ بِشُرْطَةٍ وَعَهْدِي بِهِ قَيْنًا يَفُشُّ بِكِيرٍ^(١)

يُرِيدُ : وَمَا رَاعَنِي إِلَّا أَنْ يَسِيرَ بِشُرْطَةٍ . فَحَذَفَ أَنَّ وَأَبْطَلَ عَمَلَهَا
وَهُوَ يُرِيدُ مَعْنَاهَا . وَالذَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْفِعْلَ الْمَضَارِعَ يُحْكَمُ لَهُ بِحَكْمِ مَا هُوَ
مَنْصُوبٌ بِأَنَّ وَإِنْ كَانَ مَرْفُوعاً قَوْلُهُ :

أَلَا أَيُّهَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضُرِ الْوَعْيَ وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي^(٢)

فِي رَوَايَةٍ مِنْ رَفَعِ أَحْضُرَ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ عَطَفَ أَنْ أَشْهَدَ عَلَى أَحْضُرَ ،
فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ أَحْضُرَ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَهْمَاءِ بْنِ خَارِجَةَ :

أَوَلَيْسَ مِنْ عَجَبٍ أَسْأَلُكُمْ مَا خَطَبْتُ عَاذِلَتِي وَمَا خَطَبَنِي^(٣)

(١) سِيَاقُ الْكَلَامِ عَلَى هَذَا الشَّاهِدِ فِي التَّنْمَةِ الْمُلْحَقَةِ بِالشَّاهِدِ ٦٧٥ .

(٢) مِنْ مَمْلُوقَةِ طَرَفَةٍ . وَانْظُرْ سِرَ الصَّنَاعَةِ ١ : ٢٨٦ وَالْمَقْتَضِبَ ٢ : ٨٥ ، ١٣٦
وَالْمَحْتَسِبَ ٢ : ٣٣٨ وَالشُّذُورَ ١٥٣ .

(٣) مِنَ الْأَصْمِيَةِ ١١ . انْظُرِ الْأَصْمِيَّاتَ ٤٩ .

٦٢٤

يريد ، أَن أُسائلكم . وقول عليّ بن الطفيل السعدي :
 وأهلكني لكم في كلِّ يوم تَعَوَّجكمُ عليٌّ وأَسْتقيمُ^(١)
 يريد : وَأَن أَسْتقيم ، أي واستقامتي لكم . وقوله :
 جَزَعْتُ حِذَارَ البين يومَ تحمَّلوا وَحُقَّ لِمثلي يا بَشِينة يَجْزَعُ^(٢)
 يريد : أَن يَجْزَع . وقوله :
 نفاك الأَعْرُ بنُ عبد العزيز وَحَقُّكَ تُنْفِي عن المسجدِ^(٣)
 يريد : وَحَقُّكَ أَن تُنْفِي عن المسجد . وقول الآخر ، أَنشدُه يعقوب :
 * لولا يرائي النَّاسَ لم يَصِلُ^(٤) *
 يريد : لولا أَن يرائي النَّاسَ .

وقد يجيءُ مثلُ هذا في الكلام ، نحو قولهم : « تسمع بالمُعَيَّدي خَيْرٌ من أَن تراه » ، إِلَّا أَن ذلك يقلُّ في الكلام ، ويكثرُ في الشعر . انتهى .
 وجَزَع الرجلُ جَزَعًا ، من باب تعب ، فهو جَزَعٌ وَجَزَوْعٌ مبالغة ،
 إِذَا ضَعُفَتْ مُنْتَهَى حَمَلٍ ما نَزَلَ به ولم يجدْ صَبْرًا . وأَجْزَعه غيره ،
 والغَدَاة : الضَّحوة . والبَيْن : الفراق ، مصدر بانَ يبين ، إِذَا فارقَ وانفصل .
 ولمَّا ظَرَفُ بمعنى حين ، بدلٌ من غداة^(٥) . والواو في ترحَّلوا ضميرُ أَهل

(١) نوادر أبي زيد ١٦١ والمحتسب ٢ : ٣٢ .

(٢) هو الشاهد المفقود له هذا الفصل .

(٣) لجرير في ديوانه ١٢٨ من نقائضه مع الفرزدق . وانظر النقائض ٧٩٧ والخصائص ٣٤٢ : ١٩ والأغاني ٢١ : ٥٢ .

(٤) الضرائر لابن عصفور ٢٦٥ وتهذيب الألفاظ ١٣٢ .

(٥) لم يرد نص البيت هنا على هذه الرواية : « جزعت غداة البين لما تحملوا » ، وإنما هي رواية ديوان جميل ١١٨ كما أنها رواية الأغاني في نسخة البغدادى ، تبناها فانطلق في تفسيرها سهوًا منه .

بشيئة . وكان الظاهر أن يقول تَرَحَّلْتُ بالتأنيث ، لأنَّ جزعَه إِنَّمَا كان لرحيلها ، لكن لَمَّا كان رَحِيلُ أهلها مُوجباً لرحيلها جَمَعَ .

وقوله : (وَحُقَّ لِمَثَلِي) إلخ ، وهو بالبناء للمفعول . في الصحاح : قال الكسائي : يقال حُقَّ لك أَنَّ تفعل كذا وهو حقيق به ومحقوق ، أى خليق له . وقال الفراء : حُقَّ لك أَنَّ تفعل كذا وَحُقَّ عليك أَنَّ تفعل كذا . فإذا قلت حُقَّ بالضم قلت : لك ، وإذا قلت حَقَّ بالفتح قلت : عليك . وهذا من باب قولهم : مثلك لا يبخل ، وهو أَنَّهُ استعمله كنايةً من غير تعريض ، ممَّا لا يراد بلفظ (مثل) غيرُ ما أُضيف إليه ، لكن أُريد أَن من كان على هذه الصفة التى هو عليها كان مقتضى العُرف أَن يفعل ما ذكر . فعلى هذا ليس المراد فى البيت أَن مثله حقيقٌ بالجزع ، بل المراد بالمثل نفسه . لكن كلُّ من كان على هذه الصِّفة من فراق الأَحبة ينبغى أَن يكون حاله مثل حاله فى الجزع .

وجملة « حُقَّ لِمَثَلِي » إلخ ، إمَّا حال من التاء فى جزعتُ بإضمار قد ، وإمَّا معطوفة على جزعت .

وروى الأصبهاني (فى الأغاني) :

* وما كان مثلى يا بشيئةُ يعجزُ^(١) *

فعلى هذا لا شاهد فيه .

وبشيئة : محبوبة جميل قاتل الشعر . وقد نَسَبَ بعض الشعراء بنساءً مخصومة ، واشتهر كلُّ واحد منهم بمن تغزل بها ، منهم جميل اشتهر ببشيئة ، ومنهم كثير اشتهر بعزة ، ومنهم عروة بن حزام اشتهر

(١) لم أجد هذا البيت فى نسخة الساسى من الأغاني .

بعفراء ، ومنهم مجنونُ بنى عامرٍ اشتهر بليلى ، ومنهم قيس بن ذريح
اشتهر بلبنى ، ومنهم المرقش اشتهر بفاطمة ، ومنهم ذو الرمة اشتهر
بمئة وهى الخرقاء كما تقدم ، ومنهم العباس بن الأحنف نسب بفوز .
وبعض الشعراء لا يلتزم التغزل بامرأةٍ مخصوصة كما مرى القيس .

و (بثينة) مصغر بثنة . قال صاحب الصحاح : البثنة بالتسكين :
الأرض اللينة ، وبتصغيرها سميت بثنة .

والبيت من قصيدة طويلة لجميل بن معمر العذرى . صاحب الشاهد

روى صاحب الأغاني بسنده ^(١) قال : اجتمع جميل مع جماعة من
رهطه يتحدثون فقال بعضهم : بالله حدثنا أعجب يوم لك مع بثينة .
قال : نعم ، مُنعتُ من لقائى مُدةً ، وتعرضتُ لها جهدى فلم أصلُ إليها .
فبينما أنا ذات ليلة جالسٌ بين شجراتٍ بالقرب من حَيْها ، وقد أقمتُ
فيها ثلاثاً أنتظرُها ، إذا شخصٌ قد أقبلَ إلىّ ، فجلستُ وانتضيتُ سيفي
فلم ألبثُ أن غشيّ الشخصُ ، فإذا هى بثينةٌ قد أكبّت علىّ ، فأذهشنى
ذلك وبقيت متحيراً لا أُحيرُ جواباً ولا أراجعُها ، حتى برق الصبحُ
وما استطعتُ أن أكلّمها . قالوا : فهل قلتَ فى ذلك شيئاً ؟ فأنشدهم
قصيدةً طويلةً . وهذه أبياتٌ من أولها :

أهاجك أم لا بالتناضبِ مربعٌ ورسمٌ بأجراعِ الغديرين بلقعٌ ^(٢)
ديارٌ لليلى إذ نحلُّ بها معاً وإذ نحن منها فى المودة نطمعٌ ^(٣)

(١) هذا الخبر لم يرد فى نسخة الساسى من الأغاني .

(٢) التناضب بكسر الصاد : موضع . وفى الديوان : « بالمدخل مربع ودار » وهو موضع كذلك .

(٣) فى حواشى المطبوعة : « قوله لليلى ، لا يخفى أن جيلا ينسب ببثينة ، كما تقدم قريباً .
وسياتى فى هذه الأبيات يقول : يابثينة يجزع . إلا أن يقال إنه قد يعبر عن محبوبته تارة ببثينة وتارة
بليلى . فليحذر » .

فياربَّ حَبْنِي إِلَيْهَا وَأَعْطِنِي الـ
وإِلَّا فَصَيِّرْنِي وَإِنْ كُنْتُ كَارِهَاً
فَإِنْ يَكْ قَدْ شَطَّتْ نَوَاهَا وَقَدْ نَأَتْ
جَزَعْتُ غَدَاةَ الْبَيْنِ لَمَّا تَحَمَّلُوا
تَمَتَّعْتُ مِنْهَا يَوْمَ بَانُوا بِنَظَرَةٍ
سُودَةٌ مِنْهَا أَنْتَ تُعْطَى وَتَمْنَعُ
فَإِنِّي بِهَا يَا ذَا الْمَعَارِجِ مُوَلِّعٌ^(١)
فَإِنَّ النُّوَى مِمَّا تُشْتِ وَتَجْمَعُ^(٢)
وَمَا كَانَ مِثْلِي يَا بَشِينَةُ يَجْزَعُ
وَهَلْ عَاشِقٌ مِنْ نَظَرَةٍ يَتَمَتَّعُ

وتقدمت ترجمة جميل العذري في الشاهد الثاني والستين من أوائل الكتاب^(٣).

تتمة

قد وقع (في مغنى اللبيب) و (في بعض شروح الألفية) الاستشهاد بقوله :

وما راعني إِلَّا يَسِيرُ بِشَرْطَةٍ وَعَهْدِي بِهِ قَيْنًا يَفُشُّ بِكَبِيرٍ
ولم يقف على قائله ولا على تتمته السيوطي ولا العيني ، وهو مذكور
(في نوادر ابن الأعرابي) قال : أَنَشَدَنِي الدُّبَيْرِيُّ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ
يَقَالُ لَهُ مَعَاوِيَةُ بْنُ خَلِيلِ النَّصْرِيِّ^(٤) ، فِي إِبْرَاهِيمَ ذِي الشَّقَرِ . وَكَانَ
إِبْرَاهِيمَ أَطْرَدَهُ عَنْ بِلَادِهِ ، فَأَقَامَ فِي رَمْلِ بَنِي حِجْلٍ ، فَقَالَ يَهْجُو إِبْرَاهِيمَ

(١) المعارج : جمع مرج ، وهو الدرجة والسلم ، واستعير للرتب والفواضل والصفات الحميدة والنعم ، كما جاء في تفسير قتادة وابن عباس . وقال ابن عباس أيضاً : المعارج : السموات تعرج فيها الملائكة من سماء إلى سماء . وقال الحسن : هي المراق والمصاعد إلى السماء . وقال الفراء : ذى المعارج من نعم الله ، لأن الملائكة تعرج إلى الله ، فوصف نفسه بذلك . تفسير أبي حيان ٨ : ٣٣٣ واللسان (عرج) ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ٢ : ٢٠٥ في تفسير الآية ٣ من سورة المعارج .

(٢) في الديوان : « وإن تلك قد شطت نواها ودأرها » .

(٣) الخزائن ١ : ٣٩٧ - ٣٩٨ .

(٤) نسبة إلى بني نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد . وانظر بجمهرة ابن حزم ١٩٤ ، ٤٦٦ .

يلقب « فروخاً » وربما قالوا «^(١) فروجاً » . وهو إبراهيم بن حوران :
يَعْرِضُ فَرُوحُ بْنُ حَوْرَانَ بِنْتَهُ كَمَا عُرِضَتْ لِلْمَشْتَرِينَ جَزُورُ^(٢)
فَأَمَّا قَرِيشٌ فَهِيَ تُعْرِضُ رَغْبَةً وَأَمَّا الْمَوَالِي حَوْلَهَا فَتَدُورُ^(٣)
وَمَا رَاعِنَا إِلَّا يَسِيرُ بِشُرْطَةٍ وَعَهْدِي بِهِ قَيْنًا يَفُشُّ بِكَبِيرِ
لِهَا اللَّهُ فَرُوحًا وَخَرَّبَ دَارَهُ وَأَخْزَى بَنِي حَوْرَانَ خِزْيَ حَمِيرِ

* * *

وأنشد بعده :

(أَلَا أَيُّهَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضَرُ الْوَعَى)

هو صدر ، وعجزه :

(وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلَدِي)

على أنه روى : (أحضر) بالرفع ، وأصله أن أحضر ، فلما حذفت
(أن) ارتفع الفعل . وروى أيضاً بالنصب بإبقاء عملها بعد الحذف .

وقد تقدّم الكلام على هذا البيت مستوفى فيما بعد الشاهد الثامن
والخمسین بعد الستمائة^(٤) ، وفي الشاهد العاشر من أوائل الكتاب^(٥) .

نهاية الجزء الثامن من تقسيم محققه

(١) ش : « قال » .

(٢) في البيت خرم ، بإسقاط حرف في أوله . و « فروخ » كتبت في ش بنقطة للميم في وسطها وأخرى فوقها لتقرأ بالوجهين .

(٣) أي رغبة عنها وزهداً فيها .

(٤) انظر هذا الجزء الثامن ص ٥٠٧ - ٥٠٨ .

(٥) الخزنة ١ : ١١٩ - ١٢١ .

فهرس التراجم

٢٧٣	الزباء	١٥	طلحة الطلحات
٢٨٦	عبيد الله بن العباس	٢٢	جرير بن عبد الله البجلي
٣١٣	المرقش الأكبر	٢٣	الأقرع بن حابس
٣١٣	المرقش الأصغر	٢٤	عمرو بن خثارم
٣١٣	بشامة بن حزن النهشلي		(منافرة جرير البجلي وخالد
٣١٤	بشامة بن الغدير	٢٤	ابن أوطاة)
٣٢٩	أسماء أم الأسع	٤٩	سلمى بن ربيعة
٣٣٣	المؤمل بن أميل المحاربي	٦٥	الصمة القشيري
٣٦٦	فاطمة الأتمارية	٦٥	(من اسمه الصمة)
٣٦٧	(حرب داحس والغبراء)	٧٤	الطرماح بن حكيم
٣٧٢	قيس بن زهير	٨٠	سعيد بن قيس الهمداني
٣٩٧	(يوم عين محلم)	٩٤	أبو الطمناح القيني
٤٠٥	أبو محجن الثقفي	١٠٠	الزبرقان بن بدر
٤٣٨	ربيعة بن مقروم الضبي	١٣٤	مالك بن زغبة الباهلي
٤٤٥	جابر بن رألان	١٤٥	سعد بن ناشب
٤٧٢	عبد الله بن عنمة المزني	١٧٣	أبان اللاحقي
٤٧٢	عبد الله بن عنمة الضبي	١٧٧	عبد الله بن المقفع
٥٠٥	ميسون بنت بحدل	١٨١	ريحانة بنت معديكرب
٥٣٧	مويلك المزوم	٢٠٩	أبو كبير الهذلي
٥٥٩	أبو الحمام التغلبي	٢٥٧	(منافرة عامر وعلقمة)
٥٦٥	المتوكل اللبني	٢٧٠	(حديث عدى بن نصر)

فهرس الشواهد

باب المجموع

الشاهد	صفحة
٥٧٨	لنا جاملٌ لا يهدأ الليلَ سامرُهُ ٣
٥٧٩	عرَفْنَا جعفرًا وبنى أبيهِ وأنكرنا زعانفَ آخِرِينَ ٦
٥٨٠	نَصَرَ اللهُ أَعْظَمَاءَ دَفَنُوهَا بسجستانَ طلحةَ الطَّلَحَاتِ ١٠
٥٨١	إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعُ أَخوكَ تُصْرَعُ ٢٠
٥٨٢	زَعَمْتَ تُمَاضِرُ أَنَّنِي إِمَّا أُمْتُ يَسُدُّ أُبَيْنُوهَا الْأَصَاغُرُ خَلَّتِي ٣٠
٥٨٣	قد شَرِبْتُ إِلَّا الدُّهَيْدِ هِينَا قُلَيْصَاتٍ وَأُبَيْكِرِينَا ٥٠
٥٨٤	ولِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ سَيِّدُ عَمَلَسُ وَأَرْقَطُ زُهْلُولُ وَعِرْفَاءُ جِيَالُ ٥٥
٥٨٥	دَرَانِي مِنْ نَجْدٍ فَإِنَّ سِنِينَهُ لِعَيْنَ بِنَا شَيْبًا وَشَيْبِنَا مُرْدًا ٥٨
٥٨٦	وماذا يَدْرِي الشُّعْرَاءُ مِنِّي وقد جاوزتُ حَدَّ الْأَرْبَعِينَ ٦٥
٥٨٧	غِراثُ الوُشَحِ صَامِتَةُ الْبُرَيْنِ ٧٠
٥٨٨	وَأَنْ لَنَا أَبَا حَسَنِ عَلِيًّا أَبُّ بَرٌّ وَنَحْنُ لَهُ بَنِينَ ٧٥
٥٨٩	إِذَا مَا بَنُو نَعَشٍ دَنَوْا فَتَصَوَّبُوا ٨٢

جمع المؤنث السالم

٥٩٠	أَتَتْ ذِكْرُ عَوْدَنَ أَحْشَاءَ قَلْبِهِ خُفُوقًا وَرَفَضَاتُ الْهُوَى فِي الْمَفَاصِلِ ٨٧
٥٩١	وَأَهْلَةً وَدٌّ قَدْ تَبَرَّيْتُ وَدَّهَمَ وَأَبْلَيْتُهُمْ فِي الْحَمْدِ جَهْدِي وَنَائِلِي ٩١
٥٩٢	وَهُمْ أَهْلَاتُ حَوْلِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ إِذَا أَدْلَجُوا يَدْعُونَ بِاللَّيْلِ كَوَثَرًا ٩٦
٥٩٣	أَخُو بَيْضَاتٍ رَائِحٌ مَتَاوَبٌ ١٠٢

جمع التذكير

٥٩٤	لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ فِي الضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا ١٠٦
-----	-------------------------------------------------------------------------------------------------------

المصدر

- ٥٩٥ وما الحربُ إِلَّا ما علمتمْ وذُقتمْ وما هو عنها بالحديثِ المرَّجمِ ١١٩
 ٥٩٦ أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ مَرَبَّعٍ وَمَصِيفُ لَعِينِكَ مِنْ مَاءِ الشُّثُونِ وَكَيْفُ ١٢١
 ٥٩٧ ضَعِيفُ النَّكَايَةِ أَعْدَاءُهُ يَخَالُ الْفِرَارَ يُرَاخِي الْأَجَلَ ١٢٧
 ٥٩٨ لَقَدْ عَلِمْتَ أَوَّلَى الْغِيْرَةِ أَتْنَى كَرَرْتُ فَلَمْ أَنْكِلْ عَنِ الضَّرْبِ مِسْمَعًا ١٢٩
 ٥٩٩ أَكْفَرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمَائَةِ الرُّتَاعَا ١٣٦

اسم الفاعل

- ٦٠٠ فَبِتُّ وَالْهَمُّ تَغْشَانِي طَوَارِقُهُ مِنْ خَوْفِ رَحْلَةٍ بَيْنَ الطَّاعِنِينَ غَدَا ١٣٩
 ٦٠١ فَيَا لِرِزَامٍ رَشَّحُوا بِي مُقَدَّمًا عَلَى الْحَرْبِ خَوَاضًا إِلَيْهَا الْكَرَائِبَا ١٤٠
 ٦٠٢ ضَرُوبٌ بَنْضَلِ السَّيْفِ سَوْقَ سِمَانِيهَا

- إِذَا عَدِمُوا زَادَا فَإِنَّكَ عَاقِرُ ١٤٦
 ٦٠٣ شُمُّ مَهَاوِينَ أَبْدَانَ الْجَزُورِ مَخَا مِيصِ الْعَشِيَّاتِ لَأُخَوِرُ وَلَاقَزِمُ ١٥٠
 ٦٠٤ حَتَّى شَاها كَلِيلُ مَوْهِنًا عَمِلُ بَاتَتْ طِرَابًا وَبَاتَ اللَّيْلُ لَمْ يَنْمُ ١٥٥
 ٦٠٥ حَذِرُ أُمُورًا لَا تُخَافُ وَآمِنُ مَا لَيْسَ مُنْجِيَهُ مِنَ الْأَقْدَارِ ١٦٩
 ٦٠٦ أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعُ يُؤَرِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعُ ١٧٨
 ٦٠٧ ثُمَّ زَادُوا أَنَّهُمْ فِي قَوْمِهِمْ غَفَرُ ذَنْبُهُمْ غَيْرُ فُخْرُ ١٨٨
 ٦٠٨ مَمَّنْ حَمَلْنَ بِهِ وَهْنًا عَوَاقِدُ حُبُّكَ النَّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مَهْبِلِ ١٩٢
 ٦٠٩ وَكَرَّارُ خَلْفِ الْمُجَحَّرِينَ جَوَادُهُ إِذَا لَمْ يُحَامِرْ دُونَ أَنْثَى حَلِيلُهَا ٢١٠
 ٦١٠ هَلْ أَنْتَ بَاعْتِ دِينَارٍ لِحَاجَتِنَا أَوْعَبَدَ رَبًّا أَخَا عَوْنِ بْنِ مِخْرَاقِ ٢١٥

اسم المفعول

أَدْنُو فَاَنْظُوْرُ ٢٢٠

الصفة المشبهة

٦١١ أَنْعَتْهَا إِنْنَى مِنْ نُعَاتِهَا كَوْمَ الذرى وادِقَةً سُرَاتِهَا ٢٢١

٦١٢ الْحَزْنُ بَاباً وَالْعَقُورُ كَلْباً ٢٢٧

أفعل التفضيل

٦١٣ أَبْيَضُ مِنْ أُخْتِ بَنَى أَبَاضِ ٢٣٠

٦١٤ لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ ٢٣٨

٦١٥ إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ ٢٤٢

٦١٦ سَتَعْلَمُ أَيْنَا لِلْمَوْتِ أَدْنَى إِذَا دَانَيْتَ لى الْأَسْلَ الْجِرَارَا ٢٤٩

٦١٧ وَلَسْتَ بِالْأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصاً وَإِنَّمَا الْعِزَّةُ لِلْكَائِرِ ٢٥٠

٦١٨ وَرِنْتُ مُهْلِهْلاً وَالْخَيْرَ مِنْهُ زَهيراً نِعَمَ ذُخْرُ الذَاخِرِينَا ٢٦١

٦١٩ فَإِنَّا وَجَدْنَا الْعِرْضَ أَحْوَجَ سَاعَةً إِلَى الصَّوْنِ مِنْ رِبِطِ يَمَانٍ مَسْهَمِ ٢٦٣

٦٢٠ وَاسْتَنْزَلَ الرَّبَّاءَ قَسْراً وَهَى مِنْ عُقَابِ لُوحِ الْجَوِّ أَعْلَى مُنْتَمَى ٢٦٨

٦٢١ قُبْحُهُمْ يَا آلَ زَيْدٍ نَفَرَا أَلَّامَ قَوْمٍ أَصْغَرَا وَأَكْبَرَا ٢٧٦

٦٢٢ مُلُوكٌ عَظَامٌ مِنْ مُلُوكٍ أَعَاظِمِ ٢٨٢

٦٢٣ لَعَمْرِكَ مَا أَدْرِى وَإِنِّى لَأَوْجَلُ عَلَى أَيْنَا تَعْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ ٢٨٩

٦٢٤ فِي سَعْيِ دُنْيَا طَالَمَا قَدْ مُدَّتْ

٦٢٥ وَإِنْ دَعَوْتَ إِلَى جَلَّى وَمَكْرُمَةٍ يَوْمًا سَرَاةَ كِرَامِ النَّاسِ فَادْعِينَا ٣٠١

٦٢٦ وَلَا يَجْزُونَ مِنْ حَسَنَ بَسُوعَى وَلَا يَجْزُونَ مِنْ غِلَظِ بَلِينِ ٣١٤

- ٦٢٧ وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا ٣١٩
٦٢٨ مَرَرْتُ عَلَى وَادِي السَّبَاعِ وَلَا أَرَى كَوَادِي السَّبَاعِ حِينَ يُظْلِمُ وَادِيَا ٣٢٧

الفعل الماضي

- ٦٢٩ وَاللَّهِ لَا عَذَّبْتُهُمْ بَعْدَهَا سَقَرُ ٣٣٢

الفعل المضارع

- ٦٣٠ أَبَيْتُ أُسْرِي وَتَبَيْتِي تَذُلُّكِي جِلْدَكَ بِالْعَنْبِرِ وَالْمِسْكِ الذَّكَى ٣٣٩
٦٣١ كَجَوَارِي يَلْعَبْنَ بِالصَّحَرَاءِ ٣٤١
٦٣٢ أَبَى اللَّهُ أَنْ أَسْمُو بِأُمٍّ وَلَا أَبٍ ٣٤٣
٦٣٣ كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ أَيْدِي جَوَارٍ يَتَعَاطَيْنَ الْوَرِقَ ٣٤٧
٦٣٤ فَالْيَوْمَ أَشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحَقِّ إِثْمًا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ ٣٥٠
٦٣٥ وَلَا تَرْضَاهَا وَلَا تَمْلِكُ ٣٥٩
٦٣٦ أَلَمْ يَأْتِكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي ٦٣١

النواصب

- ٦٣٧ وَمَا كَدْتُ آيِبًا ٣٧٤
٦٣٨ وَدِدْتُ وَمَا تُغْنِي الْوَدَادَةُ أَنَّنِي بِمَا فِي ضَمِيرِ الْحَاجِبِيَّةِ عَالَمٌ ٣٨٣
٦٣٩ أَنَّ هَالِكُ كُلِّ مَنْ يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ ٣٩٠
٦٤٠ وَلَا تَدْفِنَنِي فِي الْقَلَاةِ فَإِنِّي أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ أَنْ لَا أَذُوقَهَا ٣٩٨
٦٤١ فَلَمَّا رَأَى أَنْ ثَمَرَ اللَّهُ مَالَهُ وَأَثَّلَ مَوْجُودًا وَسَدَّ مَفَاقِرَهُ ٤١٣
٦٤٢ أَنْ تَقْرَأَ عَلَى أَسْمَاءَ وَيَخْكُمَا مِنِّي السَّلَامَ وَأَنْ لَا تُشْعِرَا أَحَدًا ٤٢٠
٦٤٣ كَانَ جَزَائِي بِالْعَصَا أَنْ أَجْلَدَا ٤٢٩

- ٦٤٤ وشفاء غيكِ خابراً أن تسألِي ٤٣٣
- ٦٤٥ يرجي المرء مالا أن يُلاقِي وتعرضُ دون أدناه الخطوبَ ٤٤٠
- ٦٤٦ إذن لقام بنصرى معشرُ خُشنُ ٤٤٥
- ٦٤٧ ما إن أتيتُ بشيءٍ أنتَ تكرهُه إذن فلا رفعتُ سوطِي إلى يدي
- ٦٤٨ إذن فعاقبني ربِّي مُعاقبةً قرَّت بها عينُ من يأتيك بالחסدِ ٤٤٩
- ٦٤٨ فلا تلحنِي فيها فإنَّ حبَّها أخاك مُصابُ القلبِ جمَّ بلابلُه ٥٥٢
- ٦٤٩ لا تتركْنِي فيهمُ شطيرا إنِّي إذن أهلكَ أو أطيِّرا ٤٥٦
- ٦٥٠ ازجرْ حمارك لا يرتع بروضتنا إذن يردَّ وقيدُ العيرِ مكروبُ ٤٦٢
- ٦٥١ لئن عادَ لي عبدُ العزيزِ بمثلها وأمكِنِي منها إذن لا أقبلُها ٤٧٣
- ٦٥٢ فقالت أكلُ الناسِ أصبحت مانِحاً لسانك كما أن تغرَّ وتخدعا ٤٨١
- ٦٥٣ أردتَ لكما أن تطيرَ بقربتي فتتركها شناً ببيداءَ بلقعِ ٤٨٤
- ٦٥٤ كى لتقضيَنِي رُقِيَّةُ ما وعدتني غيرَ مُختلِسِ ٤٨٨
- ٦٥٥ فثمَّ إذا أصبحتُ أصبحتُ غاديا ٤٩١
- ٦٥٦ إذا أنتَ لم تنفعَ فضرَّ فإنَّه يُرادُ الفتى كما يضرُّ وينفعُ ٤٩٨
- ٦٥٧ لا تظلمُوا الناسَ كما لا تظلمُوا ٥٠٠
- ٦٥٨ ولُبسُ عباءةٍ وتقرُّ عيني أحبُّ إليَّ من لبسِ الشُّفوفِ ٥٠٣
- ٦٥٩ لو بغيرِ الماءِ حلقي شرقُ كنتُ كالغصانِ بالماءِ اعتصارِي ٥٠٨
- ٦٦٠ تريدِنَ كما تجمعيَنِي وخالداً وهل يُجمعُ السِّيفانِ ويحكُ في غمِدِ ٥١٤
- ٦٦١ ولا صلحَ حتى تَضبَعُونَ ونَضبَعَا

- ٦٦٢ سَأَتْرُكُ مَنْزِلِي لِبْنِي تَمِيمٍ
وَالْحَقُّ بِالْحِجَازِ فَاسْتَرْيَحَا ٥٢٢
- ٦٦٣ أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبْعَ الْقَوَاءَ فَيَنْطِقُ
وَهَلْ تُخَيِّرُكَ الْيَوْمَ بِيَدَاءِ سَمَلِقُ ٥٢٤
- ٦٦٤ وَلَقَدْ تَرَكْتَ صَبِيَّةً مَرْحُومَةً
لَمْ تَدْرِ مَا جَزَعُ عَلَيْكَ فَتَجَزَعُ ٥٣١
- ٦٦٥ غَيْرَ أَنَّا لَمْ يَأْتِنَا بَيِّقِينَ
فَنُرْجَى وَنَكْثُرُ التَّأْمِيلَا ٥٣٨
- ٦٦٦ وَمَا قَامَ مِنَّا قَائِمٌ فِي نَدِينَا
فَيَنْطِقُ إِلَّا بِالسَّتَى هِيَ أَعْرِفَ ٥٤٠
- ٦٦٧ فَقُلْتُ لَهُ لَا تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا
نُحَاوِلُ مُلْكًا أَوْ نَمُوتُ فَنُغْذَرَا ٥٤٤
- ٦٦٨ إِنْ تَرَكِبُوا فَرَكُوبُ الْخَيْلِ عَادَتُنَا
أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعَشْرُ نُزُلُ ٥٥٢
- ٦٦٩ عَلَى الْحَكَمِ الْمَائِيَّ يَوْمًا إِذَا قَضَى
قَضِيَّتُهُ إِنْ لَا يَجُورَ وَيَقْصِدُ ٥٥٥
- ٦٧٠ وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً
فَأَبْهَتَ حَتَّى مَا أَكَادُ أُجِيبُ ٥٦٠
- ٦٧١ لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلُهُ
عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ ٥٦٤
- ٦٧٢ وَمَا أَنَا لِلشَّيْءِ الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي
وَيَغْضَبُ مِنْهُ صَاحِبِي بِقَوْلِ ٥٦٩
- ٦٧٣ أَقْضَى اللَّبَانَةَ لَا أَفْرِطُ رَيْبَةً
أَوْ أَنْ يَكُومَ بِحَاجَةٍ لَوَائِمُهَا ٥٧٦
- ٦٧٤ لَقَدْ عَذَلْتَنِي أُمُّ عَمْرٍو وَلَمْ أَكُنْ
مَقَالَتَهَا مَا كُنْتُ حَيًّا لِأَسْمَعَا ٥٧٨
- ٦٧٥ جَزَعْتُ حَذَارَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحْمَلُوا
وَحَقُّ لِمَثَلِي يَا بَثِينَةَ يَجْزَعُ ٥٧٩